

بوتني الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدركه إلا أولو الأبواب

المجلد الثامن
١٣١٥

فتشرع عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارا » كنار الطريق)

(مصر — الأمانة — المحرم سنة ١٣٢٣ — ٧ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

حقيق فاتحة السنة الثامنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ،
إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح برفعه والذين يمكرون السيئات
لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، والصلاة والسلام على روح
الإصلاح وإمام المصلحين ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، « لينذر من
كان حيا ويحق القول على الكافرين » ، « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله
والرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه
وأنه إليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا
أن الله شديد العقاب ، واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض

تخافون أن يتخذظنكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات
لعلكم تشكرون »

تلك آيات من الكتاب المبين ، يذكر بها المنار قراءه على رأس ثمان
سنين ، ليتذكروا أن في الكون ظلمة ونورا ، وكلما غيبتنا وكلما ماثورا ،
وعملنا سيئا وعملنا مبرورا ، وأن للأئمة حياة وموت ، وأن في الناس مكرا
وفتئا ، وأن للحياة دعوة يخاطب بها الأحياء ، وأن لها فتنة من قبل الكبراء
والرؤساء ، وأن العاقبة للمتقين ، وإن كانوا مستضعفين ، وأو من كان
ميتا فأحييناه وجمالنا له نورا يعيش به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس
بخارج منها ؛ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون * وكذلك جعلنا في كل
قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يعملون الا بأنفسهم وما يشعرون »

ليتذكروا أن من يدعو الى الحياة فهو يدعو الى الاستقلال والمساواة ،
ومن يدعو الى الحق فهو مقاوم للباطل ، وأن أنفض الأشياء الى الرؤساء
المستبددين استقلال الفكر ، والتساوي بين الناس في الحقوق ، وأنفض
الناس الى الكبراء المترفين من يدعو الى نصرته الحق ومقاومة الباطل ،
والى جعل التفاضل بين الناس بالأعمال والفضائل ، فالسادات المالوف
والكبراء المستكبرون ، أعداء المصلحين في كل زمان ، وخصماء الحق والفضيلة
في كل مكان ، غرورا بالقوة وطنيانا بالثني و « استكبارا في الارض ومكر
السي » ولا يحيق المكر السي الا بأهله ، فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن
نجد لسنة الله تبديلا ولن نجد لسنة الله تحويلا - أولم يسيرا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله
ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليا قديرا ،

ليتذكروا بهذه الآيات كلها أن الله تعالى بين للناس أن له سبنا في حياة الأمم وموتها لا بد لهم فيها بالتفصيل من الرجوع الى التاريخ الذي يبين مصداق آياته في الفارين، ومن السير في الأرض لمعرفة تأويلها في الأولين والآخرين، وقد نطقت سير البشر بتصديق قوله تعالى «إني الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وأنه ما وقع تغيير الا بدعوة وأن دعاء الخير والاصلاح في كل أمة كانوا محقوتين من أصحاب السلطة، ومضطهدين من رؤساء الأمة اولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام ابي حنيفة حتى مات في السجن، وجاهدوا الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة، واضطروا الامام الشافعي الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه، ووطئوا الامام أحمد بالنعال، وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى، حتى تم لهم بطول الزمان إفساد الدين والدنيا، «واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون» ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، وإذا تذكروا أن انتقال الامم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين، ولا يأتي باختيار الأمراء والسلاطين، وإنما يكون بتغيير أفراد الأمة ما بأنفسهم من الافكار والمقائد والاخلاق والسجايا - وتذكروا أن المسلمين غيروا ما كان بأنفسهم في أول نشأتهم بالتدريج فغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة، وسيادة العدل والفضيلة، ولن يغير ما هم الآن فيه، الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه، وشرطه قلع جراثيم التقليد، واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب، وأساسه جمع كلمة الأمة، وتحقيق معنى الوحدة، - فانا أدعوهم الى الاصلاح الديني قبل كل شيء - لانه يتوقف عليه كل شيء فانه لا يصلح آخر هذه الأمة الا ما يصلح به اولها كما قال الامام مالك بن

أنس رحمه الله تعالى . صلح أول هذه الأمة بهدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهداهم ذلك الى كل إصلاح صوري ومعنوي « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين » أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون »

أدعواهم الى هذا الإصلاح بهذه المجلة وأدعواهم الى الدعوة إليها والى ما ندعو اليه ما أصابت ، والى بيان خطاها فيها اذا رأوها أخطأت أدعواهم الى قطع الآمال من السياسة والسياسيين ، والى ترك الغرور بالرزاء والحاكين ، وعدم السماع لا تباعهم ، والانخداع لانصارهم وأشباعهم ، لا يعرفونكم عن الجسد باصلاح النفس ، الى الهدل بارضاء الحس ، فانهم طلاب مال وجاه ، طلاب رتبة ووسام ، أصحاب أوهام ، وشقة السنة واقلام ، « ولو نشاء لا رينا كهم لمعرفتهم بسياهم » ولتعرفهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم »

أدعواهم الى الدعوة معي الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين ، في بلاد أبيع فيها القول للقائلين ، وسهل فيها النشر على الكاتبين ، وأطلقت فيها حرية العلم والدين ، فصرح فيها الملمع بالحاده ، وجاهر فيها الفاسق بفسقه ، ودعا فيها الكافر الى كفره ، ونشرت فيها الكتب والجرائد تطعن في القرآن ، وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية تروى شهادت الطامنين ، وتؤيد المقائد بالحجج والبراهين ، وتبين حكم الاحكام ، وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومكان ، وتأمر بالمعرف والبر ، وتنبه عن البدعة والنكر ، حتى اذا أنشئ المنار وقام بهذه الفرائض نقيم منه بعض المسلمين في بلاد الحرية ، وانتقم بعضهم من عشيرته في بلاد المبودية ، نقيم منه المتجرون بالدين ، ومقلدة المبتدعين و « الذين يخطون الدين

بغيره ، ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله ، (*) هاج عليه أهل المذاهب المتعصبون ، لأنه يقول ان الوهابية السلفية والأشاعرة والماتريدية والشيعة والاباضية كلهم مسلمون ، وأنه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيهم فيه يختلفون ، « إن الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » إنما أمرهم إلى الله ثم يذبهم بما كانوا يفعلون »

دعوت إلى هذا منذ بضع سنين ، وسأدعوا إليه ان شاء الله حتى يأتي اليقين ، وقد عارض الدعوة قوم أكثرهم معذور بالجهل ، ثم استهدفت بعد (*) هذه العبارة لجريدة التوحيد من تقر يظها للمنار وقد رأينا أن تنشر ذلك التقرير هنا لأنه في معنى هذه الفاتحة وقد نشر في العدد (٣٦٣٧) من التوحيد الأغر الصادر في ١٩ المحرم سنة ١٣٧٠ ونصه : « صدر العدد الأول للسنة الخامسة من مجلة « المنار » الغراء وهي المجلة العلمية الدينية التهذيبية الإسلامية الوحيدة في القطر المصري لحضرة صاحبها السيد محمد رشيد رضا الطرابلسي » وقد قضى حضرة أربع سنوات يصدر هذه المجلة مثابرا على الخدمة المليّة الصحيحة ، محاربا البدع المضلّة ، بالحكم المدلّة ، والهوى بالعقل ، والاهتمام الفاشيات على الأفهام ، بالآيات الينيات من الكلام ، يعمل للاصلاح الديني جهدا مستطيع ، وهو الحق يقال مستطيع فيما يجهد به نفسه ، يبرز المتدعين غير هباب ، ويعتمد في إجماعه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه صرا على اذواق الذين يخلطون الدين بغيره ، ويظنون أو يزعمون أنهم أئمة أهله ، يشدد كلما اعتقد الحق في جانبه وفي اعتقادنا أنه لو كان أخف اسلوبا في الوطأة ، وألن جانبا في المقال ، من حيث لا يجيد يئنة أو يسرة عن خطته الحالية ولا يضيع شيئا من غرضه الذي يسعى إليه لكان « المنار » اضماف ماهو اليوم انتشارا واكثر فائدة ، واعم عائدة ، وكل مسلم يشعر بحاجة الاصلاح الديني للأمة المحمدية يتمنى من صميم فؤاده أن يكون لكل قطر من الاقطار الإسلامية منار مثل هذا « المنار » ، له من الانتشار اضماف مال هذا من الظهور والانتشار ، وفق الله صاحبه الفاضل دائما إلى طريق السداد ، وأنجح عمله دائما بالتوفيق والرشاد ، آمين ، اه

التسكن والانتشار لنضال قوم أضلهم الله على علم ، يخذلون الحق لأنهم على باطل ، وينفرون من الهداية لأنهم على ضلالة ، وانك لتراهم من وراء الجدار ، وتستشفهم من خال السجوف والامستار ، يكدون ويأتمرون ، ويوسوسون ويهمسون ، ويستفتون ويفتون ، « والله يعلم ما يسرون وما يعلنون » على انهم هم الذين يفشون أسرارهم ، ويكشفون عوارهم ، فهم كمن نزل فيهم « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم » - استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » لماذا لا يمارضون المعترضين على دينهم ؟ لماذا لا يناهضون الطاعنين في كتابهم ؟ لماذا لا يمدون العادين على حقيقتهم ؟ لماذا لا يخرجون الخارجين على أممهم ؟ لماذا لا يفتنون الفاتنين لمامتهم ؟ لماذا لا يهاجمون المهجمين على خاصتهم ؟ لماذا خفت عليهم دعوة كل ملة ؟ وثقلت عليهم الدعوة الى الكتاب والسنة ؟ ماذا كان قوة الحق تروهب المبطلين ، ونور الرشاد يمشي أبصار الغاوين ، وأما الباطل فانه يمد يده بفضله وان اختلفت ألوانه ، وتسميت أفعاله ، « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون »

انما يفر هؤلاء وأمثالهم تلك الكلمة المشهورة « القوة تغلب الحق » وهي كلمة لا تصدق على الإطلاق ، وليس هذا موضع بيان ما فيها من الاجمال ، وإنما نقول ليست القوة محصورة في المال والجاه ، ولا في السلطة والحكم ، ولا بكثرة الأعوان والاصار فان في العالم قوى حسية وقوى معنوية ، كقوة

الاعتقاد وقوة الشعور وقوة العلم وقوة الاتحاد وقوة العدل وقوة الفضيلة وقوة الحاجة وقوة الحق . فكم من ملك كبير ، يتضاءل امام صعلوك فقير ، لانه يشعر بضعف الرذيلة امام الفضيلة وبذل الباطل تجاه الحق ، وهذا قصر روسيا الملك المستبد القاهر قد أصبح كالمسجون في قصره على ماله من السلطة السياسية والدينية ، وقد مرق عمه كل مرق ثم منقت صورته هو إشارة الى نية الايقاع به ، أنسو التاريخ وما فيه من السير ، التي هي منابع العبر ، كلاً إن الباطل لا يقف أمام الحق اذا وجد الحق ناصراً وصادف الناصر حرية « يل تنفذ بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

ان للحقائق رجالاً كما ان للاوهام رجالاً ، ان للدين أنصاراً كما ان للدنيا أنصاراً ، إن الدين من حاجات البشر الطبيعية ، وقوة من أعظم قواهم المنوية ، ان الضميف في الدين لا يستطيع الزعامة فيه ، وفاقداً شي ، لا يعطيه ، ان الأحرار يميلون للشيء بقدر احساسهم بالحاجة اليه ، وعلى حسب اعتقادهم بالفائدة منه ، ان الاعتقاد في الامة قوة لا تقاب ، والاحساس الوجداني فيها ثروة لا تنفذ ، ان لوم المحبين مدعاة الاغراء ، ومقاومة المعتقدين داعية التمكن والثبات ، ان المخلص في عمله يفيد ظهور خطاه كما يفيد ظهور صوابه ، لان كلامهما يزيد يقينا فيما يرتب فيه عنه ، ان الله تعالى وعد بنصر من ينصر الدين ، وجعل الماقبة للمتقين ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز - الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأصروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور »

يقولون إن الاحساس بالحاجة الى الاصلاح الديني ضعيف ، وإن عدد المعتقدين بوجوب اتباع السلف قليل ، وإن الدعوة هنا الى الرابطة

الملية ، معارضة بالدعوة الى الوطنية ، : ونقول ان كل إصلاح في الكون بدأ بضمف وانتهى بقوة زلزلت جميع المعارضين و «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» وما بلغوا به أحداث العصر ، من وجوب مقاومة من يهاجر الى مصر ، فهو مخالف لسنة الكون في الامم الحية وتعوز نجاحه القدرة على جميع العناصر الأجنبية ، وأما دعوتنا هذه الاسلامية ، فهي هي التي تأتي بالهضة الوطنية ، لانها تهدم التقاليد التي فرقت بين الناس ، وألقت العداوة والبغضاء بين أهل المال والمذاهب والاجناس ، فكما تذكر المسلمين بقوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » تذكرهم أيضا بقوله في المخالفين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

وجملة القول ان دعوتنا هذه دعوة عامة مروضة في صحيفتنا كما يعرض غيرها من الدعوات السياسية والأدبية وفي اعتقادنا أنها خير دعوة ألفت للناس وإن من أسسها البعد عن مشاركات الخلاف والشقاق ، ونشهد الله تعالى أنه ليس في قلبنا حرج على أحد من الناس وقد صنفنا عمن ظلمنا ، وعفونا عن المعتدي علينا « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » واننا نحمد الله ونشكره أن أعطانا فوق ما كنا نرجو ، ثم نشكر أصحاب القلوب الطاهرة والأفكار النيرة الذين تنشر بهم الدعوة وتنمو ، « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

منشئ النار ومحرره
محمد رشيد رضا

فتاوى المفتين

فتننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج مثالاً ورمزاً لمناعتاً آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا هذا. ولما عني على سؤاله شهر ان أو ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم تذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ فطرة الاسلام وحديث الولادة عليها ﴾

(س ١) سليمان عبداقة في (السويس) وهو رجل غريب كتب الينا بان عنده شبهات في الدين يحب كشفها وانه يبدأ بالسؤال الآتي عميذا لها وهو :

الحديث المشهور (ما من مولود الا يولد على الفطرة الاسلامية او فطرة اهل اسلام وانما أبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) أصحح هو وما هي الفطرة الاسلامية ؟ أمسا ما يولد المولود ؟ أيعرف الأركان الاسلامية بالطبع والفطرة أم يعرف الله والهي محمدا فقط حاشا الأركان الأخرى ؟ فبالاجمال ما معنى هذا الحديث الشريف ؟

(ج) أما الحديث فصحيح أخرجه البخاري من حديث ابن شهاب عن أبي هريرة وهو لم يدرك أباه ريرة فالحديث عنده منقطع بانقطاع كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كاتبع البيعة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ورواه مسلم والترمذي وصححه وفيه « يشر كانه » بدل يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث ما جاء في قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (سورة الروم ٣٠) وقد قرأ أبو هريرة الآية بعد الحديث وأشار البخاري الى أنه أخرجهما للبيان وتقدم لنا تفسير الآية في التار وقول هنا ما لا بد منه لان السائل لم يطلع على التار الا قليلا

اتما نرى جميع اهل الملل حتى الكتابيين يعتقدون ان الدين شرع لمقاومة مقتضى الحاقة وان امواله فوق قضايا العقول وأحكامه وراء مدى الافهام وان المرض منه تهذيب النفس وحرمانها من نعم الحياة وانه لاحق لمصاحب الدين في طلب الدليل على عقائده ولا في السؤال عن حكمة عباداته ولا في تطبيق أحكامه على مصالح الأمة

وخير البشر بل عليه أن يسلم بكل ما يرويه له الرؤساء ويقلدهم تقليداً أعمى
ثم أنهم يعتقدون أن الدين رابطة جنسية لأهله عند الله تعالى من الحقوق مثل
مال أهل الأجناس في عرف السياسة وقوانينها أي أن اليهودي مثلاً يمتدح الله اصطفاً
كل يهودي ويميزه على العالمين لأنه يهودي فهو إذا أذنب يعفو الله عنه بفضله أو بشفاعة
أحد سلفه الصالحين وإذا عذبه فأما يعذبه أياماً معدودات ، وإن غير اليهودي لا قيمة
له عند الله تعالى إذا أحسن لا يقبل إحسانه وإذا أساء يتضاعف عذابه . كما أن أهل
السياسة يحزنون الأمة التي تضمها جنسية الدولة ويخصها قانونها بحقوق لا تكون لغيرها
فلا يحزنون محاربة طائفة منها ولا تدمير بلد من بلادها وإن كانوا أجهل الناس وأعرقهم
في الرذائل ويستبيحون محاربة قوم آمنين مهذبين وإذلال كبرائهم وإهانة عظمائهم واستعباد
دهمائهم وإن أفضى ذلك إلى التخريب والتدمير . وسرت عدوى هذه العقيدة وما قبلها

إلى المسلمين فلا يكاد يسلم منها إلا الواقف على أسرار القرآن ودقائق السنة
أما القرآن فقد أتى على أمثال هذه القواعد التقليدية فنسفها نسفاً وبين للناس
أن الدين مع الفطرة في قرن ارتقاؤه هو ارتقاء الفطرة وضعفه هو ضعف الفطرة
وفساده هو فساد الفطرة فمقائمه وضمت لترقية العقل وآدابه وعباداته لترقية النفس
وأحكامه وشرائعه لترقية حال الاجتماع والتعامل بين الناس ولذلك جعل العلم بالمعالم
علويه وسفليه والبحث عن حكمه ونظامه وأسواره وفوائده هو الأساس الذي يقوم
عليه بناء التوحيد ومعرفة الله ، وذكر عند طلب كل عبادة بيان فائدتها في تقوي الله
تعالى وتهذيب النفس وتخليتها بالاخلاق العالية كما بين عند ذكر كل خلق وأدب وحكم
فائدته ومنفعته . وبين أن العقوبة على الكفر والرذائل والأعمال القبيحة هي علة
تأثيرها الأثر السيء في النفس كما أن الثوبة الحسنه أثر المعارف الصحيحة والأعمال
الصالحه في النفس . والآيات المؤيدة لجميع ما قلناه كثيرة جداً وقد فسرنا في مجلدات
المنار الماضية العشرات منها في الأصول العامة والفروع الجزئية واعادته هنا تطويل
لأجل له فإذا اشتبه السائل أو خلا فليسال عن الشواهد يجب . وفي باب التفسير من

هذا الجزء شيء من ذلك

ولم يجعل اسم الاسلام اسم جنس لطائفة من الطوائف بل سمي أهل الحق

مسلمين كما سماهم مؤمنين وحنفاء ومخلصين لأن معاني هذه الالفاظ قائمة بهم وجعل مصدر السعادة على ما يتحقق به معنى الاسم على قبول التسمي والرضى بالتلفظ والمباشرة مع أصحابه ولذلك قال في بعض المسلمين وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقال ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب والآيات وقال ما رأيت تفسيره في هذا الجزء

فعلم مما تقدم أن معنى كون دين الاسلام دين الفطرة هو أنه موافق لسنن الله تعالى في الخلقة الانسانية لانه يمطي القوى الجسدية حقوقها والقوى الروحانية حقوقها ويسير مع هذه القوى على طريق الاعتدال حتى تبلغ كمالها . ومعنى ولادة كل مولود على هذه الفطرة هو أنه يولد مستعدا للارتقاء بالاسلام الذي يسير به على سنن فطرته التي خلقه الله عليها بما يبين له أن كل عمل نفسي أو بدني يصدر عنه يكون له أثر في نفسه وان ما ينطبع في نفسه من ذلك يكون عملة سعادته أو شقائه في الدنيا والآخرة . فاذا فهم هذا وأدركه يظهر له أنه سنة الفطرة وناموس الطبيعة واذا كان له أبوان (وفي منها من يقوم مقامها في تربيته وتعليمه) على غير الاسلام يطبعان في نفسه التقاليد التي تحيد به عن صراط الفطرة فالتصرايان ينشأان ولدهما على التسليم بأن البشر خالقوا كلهم أشراراً فجارا بمقتضى الفطرة وأن نجاحهم وسعادتهم انما تكون بالاعتراف بشيء واحد يجب القول به والاعتماد عليه وأن لم يعقل وهو أن واجب الوجود الذي كان منه كل شيء ويده ملكوت كل شيء قد اعتنى بأمرهم وأعياه خلاص أرواحهم بقدر ما تنقذ من زمن قريب لا يبلغ ألفي سنة وهو أن حل في بطن امرأة منهم واتحد فيه بجنين فصار إلهاً أو إنساناً ثم خرج من حيث يخرج الطفل ونشأ فيهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون ، ويألم مما يألمون له ويتمب مما يتمبون ، ثم مكن شرارهم من صلبه فصلبوه وهو يصيح ويستغيث فلا يقات ثم قبروا لمن ودخل الجحيم وخرج منها لأجل الرحمة بهم وأنجاهم ومع ذلك كله لم تكن طريقته هذه كاذبة بعموم رحمة بهم وانما كانت خاصة بطائفة منهم وهم الذين استطاعوا أن يبدلوا فطرتهم ويسلموا بهذا القول تسليماً

فهذا پاسيدي معنى كون دين الاسلام دين الفطرة وهذا هو الفرق بينه وبين

أديان التقايد وليس معناه أن المولود يولد عالماً بالشريعة فإن هذا ليس من الفطرة في شيء وفسر كثير من العامة الفطرة بالاستعداد للخير والشر والحق والباطل ورواية مسلم هكذا: كل مولود يولد فطراً فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فإن كانوا مسلمين مسلمين وهو الذي جبرنا عليه في كتابنا (الحكمة الشرعية) ولا تنافي الا انها هنا شرحنا موافقة الاسلام لفطرة والله أعلم

﴿ اختلاف المذاهب في الأحكام . وشهادة أوربي للاسلام ﴾

(ص ٢) ح . ح في الحيل الاسود :

فتبين لكم هذا مشغول بالتجارة وقبل عيد الاضحى خرجت في أوروبا لاجل التجارة فاجتمعت يوماً بأحد الأوربيين فقال ان أكل الأديان وأجلها دين الاسلام لكن الذي كان عليه محمد (ص) وأصحابه (رض) فقلت ونحن الحمد لله على دينهم وعلى سبيلهم . فقال نعم ولكن منكم الخفية ومنكم الشافعية وغير ذلك فكل واحد من هؤلاء يخالف صاحبه في الاعمال والأحكام الدينية فعند الخفية اذا جرى دم أحدهم يقتض وضوءه وعند الشافعية لا ، واذا مس المرأة أحد الشافعية يقتض وضوءه وعند الخفية لا . فهل كان النبي يفعل كما يفعل الخفية أم كما يفعل الشافعية .. فبقيت لا أقدر على رد جوابه فان أحسنتم بالجواب ، فلكم من الله الثواب

(ج) انه لا خلاف بين أئمة الاحكام في شيء من أصول الدين وأحكامه التي لا يخفق الاسلام بدونها وانما اختلفوا في مسائل فرعية للاجتهاد والرأي فيها مجال اذ لم يصح فيها شيء قطعي في الكتاب العزيز والسنة المنوثة المجموع عليها ولذلك كان يهتذر بعضهم بعضاً في اختلاف الرأي فيها ويعد كل عبادة المخالف له صحيحة ويصلي وراءه كما ينهه غير مرة . ولذلك قلنا في مقالات المصلح والمقلد ان الطريق الى الوحدة الاسلامية هي أن يجعل ما اجمعت عليه جميع المذاهب هو الاصل الذي يؤاخي به بعضنا بعضاً وقلنا عن كتاب القسطنطين المستقيم لحجة الاسلام الغزالي ان رأيه ترك المسائل الخلافية والعمل بما اتفقوا عليه . وانك لتجد التمسكين لمسائل الخلاف لا يعملون بجميع مسائل الاجماع والاتفاق ، ولو عملوا بها لأدوا جميع الفرائض وتأدبوا بأكل الآداب وتركوا جميع الرذائل والحرمان المضارة بأفرادهم وأمتهم ولكنهم قد أهملوا وتهاونوا في كل شيء الا في تعصب

كل فريق على الآخر فيما تفرقوا فيه واذا دعوتهم الى الوفاق الذي دعا اليه الغزالي في آخر عمره قالوا بالنصرة انه يريد هدم المذاهب وافساد الدين .

أما طريقة الوفاق بين من يحبون البحث في هذه الفروع الخلافية ولا يرضون بالبراءة الأصلية التي قال بها الغزالي فالتوفيق بينهم لا يكون إلا بالرجوع الى السنة الأحادية والروايات القولية ، ولم يثبت حديث يحتاج به على وجوب الوضوء من خروج الدم بل ورد خلافه على أن الوضوء منه احتياط لا يضر بل الأولى أن يتوضأ الإنسان لكل صلاة اذا لم يجد مشقة في ذلك . وأما مسألة لمس المرأة فقها آية (أولاً مس النساء) والأرجح أن الملامسة فيها كناية عن الوقاع وأما الروايات فهي منارضة ولكن ما ورد في عدم النفق هو الذي يصح كحديث وضع عائشة يدها على بطن قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي رواه مسلم والترمذي وحديث مسها برجله هو عند ما اعترضت أمامه وهو يصلي رواه النسائي وصححه الحافظ ابن حجر والاحتياط لا يخفى لاسيما اذا كان اللبس بشهوة والله أعلم

﴿ تنف ريش الطائر ﴾

(س ٣) الشيخ محمد خطاب بالأزهر : نرى قوما من صادة السمان في شواطئ البحر الأبيض المتوسط ينفقون ريشه قبل ذبحه لأنه لا جلد له بل الريش مفروس في اللحم وفي هذا من تمذيب الحيوان ما لا يخفى ولو تنف ريشه بعد ذبحه خرج ما فيه من السم مع ريشه لا تنفأ حرارته بالذبح وقد عمت هذه البلوى كل أهالي بلادنا فهل يجوز أكله وهل يسوغ استعمال هذه الطريقة في تنظيفه

(ج) لا خلاف في أن تمذيب الحيوان محرم ولكن تنف الطائر حيا لا يقتضي تحريم أكل المتوفى المذكي تذكية شرعية . ولعلمهم لو تنفوا السماني عقب الذبح قبل أن تبرد حرارته لتيسر لهم والأقلهم أن يصبوا على ريشه ماء سخنا من غير مبالغة تؤثر في بطنه وما يفعلونه من وضع الطيور في الماء المغلي زمنا يؤثر تأثيرا مازجا به رطوبة العجاسة اللحم غير ضروري لتسهيل التنف وهو جهل فينبغي تنبيههم له .

﴿ الصيد بالبندق والرصاص ﴾

(س ٤) ومنه : كثير ما يصطاد الصيادون الطيور بالرصاص ويسمون وقت الغد ولكن

بعض الصيد ينزل حيا والبعض ميتا وما كان حيا بعضه به حياة مستقرة والبعض ليس به هذه الحياة والصيد يذبح الجميع وربما تواتى بالتذكية عن بعض ما فيه الحياة فلا يدركه الا وقد فارقت فلول يجوز أكل هذا وهل ذكاة فاقده الحياة واجبة والمصيبة الكبرى أن كثيرا من البيوت بل عائلاتهم يضمون هذه الطيور وكل أنواع الدجاج في ماء منلي لسهولة تنف الريش قبل استخراج ما في بطنها وربما أوقدوا نارا تحت هذا الماء وهي فيه فما حرم الله في هذا ممثنا في النار للاسترشاد به شد الله به أو اصره الدين

(ج) قد اختلف المشتغلون باللعنة في حمل صيد بندق الرصاص بعد وجوده فخرمه منهم لانه متقل فهو بمعنى الوقذ وأحله آخرون وجعلوه بمعنى الصيد بالسهم وألف ابن عابدين رسالة في حله وكذلك أحد مشايخ الاسلام في تونس . وهو الذي أراه أقوى وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم الصيد بالمرأض وهو عصا في رأسها حديد أو سهم لا يصل له ولا ريش اذا خرق أي خدش وان أدرك الصيد ميتا والحديث في الصحيحين والرصاص والبندق أشد خرقا وأسرع قتلا وانما حرم لوقد لانه تعذيب (راجع مقالات التذكية والموقوفه في المجلد السادس) ولا حاشية لذبح الصيد الذي رمي فيدرك ميتا أو يأتي به الكلب ونحوه ميتا بشرطه لان ذكائه تذكية له بلا خلاف واذا جاز الصيد بالبندق والرصاص فهو كذلك

﴿ الجبر والقدر ﴾

(س •) ومنه : طالما يخطر في بالي ويتردد في فكري قول القائل

ما حيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال ايها الرائي

القاء في اليم مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبدل بالماء

ولا اسجد منه مخلصا او اقف على مسلك فلجأت لساحتكم مسترشدا بملككم الله

وكنار كينا للمسلمين

(ج) هذا القائل يخاطب الرائي وهو لا يرى فانه اكتفى بما في خياله عما تحت

نظره اذ يرى العبد محتال وهو يسأل ما حيلته والأقدار هي التي جعلته محتال ويصنع

كما هو مشاهد ومنه ان بعض الناس ألقوا أنفسهم في اليم ومنهم من لم يلقها ولو كانت

الأقدار حكمت على كل انسان بان يلقى في اليم مكتوفا لكانوا كلهم سواء وما هم

بسواء . وظاهر انه يريد باللقاء في اليم الحال السيئة التي يقع الانسان فيها ولا يجده

له مفرا منها وليس كل الناس كذلك ، والمسألة عقدتها كثرة الكلام والتخيلات فيها وهي بدعية لمن فهم معنى الانسان ، وسنن الا كوان ، ومن شدة الظهور الخفاء ، فان القدر والتقدير والمقدار الواردة في الكتاب والسنة معناها ظاهر وهو ان كل شيء يجري في العالم فهو يجري بسنن ونواميس ومقادير معينة ثابتة . وهذا هو الذي ينزل الحيرة ويهدي الانسان الى سبب المنافع واجتناب المضار ولو كانت الاشياء تجري بغير تقدير ولا حساب لكان الانسان الذي خلق عابداً متفكراً في عبادة دائمة لانه لا يعرف طريقاً اشي من مصالحه ، وهذا أسهل حل لمسألة القدر وأفسره وأنصهره ومن زاد عليه البحث في كيفية الخلق والتكوين فهو من المجانين

در باب الفقه في أحكام الدين

(رسالة البدعة * في صلاة الظهر بعد الجمعة)

البحث الثالث في عرض المسئلة على كتاب الله وسنة رسوله

اعلم ان الله عز وجل قد امر بفهم كتابه الكريم والعمل بسنة رسوله ﷺ ثم عرف الرحيم ، قال تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفاؤها » وقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » واخبرنا عليه الصلاة والسلام انه ترك لنا شيئين لا نفضل اذا تمسكنا بهما ابداً وهما كتاب الله وسنة رسوله وقد أمرنا الله بان نمرض ما تنازع فيه الناس واختلفوا على الله ورسوله فقال : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً » وقال أيضاً : « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقول سمعنا واطعنا » وقال : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويساءوا تسلياً » فهذه الآيات ونحوها تدل ابلغ دلالة على ان المرجع مع الاختلاف انما هو الى حكم الله ورسوله . وحكم الله كتابه وحكم رسوله بعد ان قبضه الله هو ما سح عنه من الامانيث ولا يقال ان ما استشهدت به وارد في أمر مخصوص فلا يصلح دليلاً لاننا نقول : ان العبرة بمجموع اللفظ لا بخصوص السبب وهو مطلق حكم في مطلق اختلاف ومشاجرة ، ولا ريب ان الامر هنا للوجوب اذا ان الله قد تعبدنا بكلامه

وكلام رسوله دون سواهما من الخلق لأنهما هما عليهما الممول وكلام غيرهما قد يخطئ
وقد يصيب فلذا قال امام أهل المدينة مالك ابن انس رضي الله عنه « ما منا الا من
ورد عليه الا صاحب هذا القبر » وأشار الى قبر الرسول الاعظم صلى الله
عليه وسلم ، وقد نقل عن الأئمة الأربعة وغيرهم رضوان عليهم جل كثيرة كلها دالة
على ان الانسان لا بد ان يرضى الأحكام كلها على الكتاب والسنة فما وافقهما عمل
به وما خالفهما نبذه وراء ظهره .

ولما كانت مسئلتنا هذه مما اختلفت المذاهب فيها ليس بين الشافعية وغيرهم فقط
بل بين الشافعية أنفسهم أموتهم وأحيائهم ووجب علينا ان نرضها على كتاب الله
وسنة رسوله وقد بينا مسئلة الجمعة بيننا شافيا وعرفنا انه لم يرد نص عنه من القرآن
ولا الأحاديث وان مذهب الشافعي يقتضي التعدد عند الحاجة اليه وقد بقي علينا
عرض مسئلة صلاة الظهر بعد الجمعة مع تعددها فنقول قال تعالى « يا ايها الذين آمنوا
اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسموا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون » ثم قال « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل
الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » فانت ترى انه قد امرنا بان نتشرف في الارض
بعد انقضاء الصلاة ونطلب من فضل الله ولم يأمرنا ان نصلي الظهر بعد الجمعة
ولم يقل ان تعددت فصولها ، فمن اين استنبطنا هذه الصلاة ومن اين اتينا بها حتى
انه قد ورد ان النبي ما كان يصلي سنة الجمعة البعدية في المسجد بل كان يذهب ويصليها
في البيت عملا بهذه الآية لانه تعالى أمر بالانتشار بعد الصلاة الجمعة يدل على ذلك ما روي
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين
في بيته رواه الجماعة ، وعنه انه اذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلي ركعتين ثم تقدم
فصلي اربعاً واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلي ركعتين ولم يصل
في المسجد رواه أبو داود . قال الآلوسي عند تفسير هذه الآية « واخرج أبو عبيد
وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن بر الحارثي قال رأيت عبد الله
ابن بر المازني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق
ساعة ثم رجع الى المسجد فصلي ما شاء الله تعالى ان يصلي فليل له لاي شيء تصنع

هذا قال أبي رأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هكذا صنع وتلا هذه الآية (فإذا قضيت الصلاة) الخ . فقام من هذا ان الكتاب لا ينطق بلزوم الظاهر بعد الجمعة مع التمدد بل يفهم منه خلاف ذلك لان الأمر بالانتشار مطلق غير مقيد

واما السنة السنية ، والأحاديث النبوية ، فهي طائفة بما يدل على خلاف ذلك ويناقضه كل تناقض . اذ معلوم من الدين بالضرورة انه لم يثبت عن النبي القوله بصلاتها مع تعدد الجمعة وانت تعلم ان الدين قد كمل في عهده صلى الله عليه وسلم بحكم قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عابكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» فلا حاجة لناذن بعبادة لم تؤمر بها

هذا ولو اردنا ان نبعت لو وجدنا التمدد لحاجة الغير حاجة ليس شرطاً في صحة الجمعة نفسد بفقد ما علمت في البحث الاول من انه لم يرد نص عن المعصوم ولا عن الصحابة ناطق او مقتضى لعدم جواز التمدد ولو اقر ضرورة . واما كونها لم تفعل الا في معنى واحد فليس بدليل لما اوضحناه لك سابقاً ايضاحاً شافياً ولما هو مقرر من انه لا ينسب لساكت قول على ان إجبابكم عدم التمدد لانها لم تعدد في زمن الرسول يلزمكم أن توجبوا الخروج لصلاة العيد خارج البلد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج لصلاتها مع الصحابة الى الصحراء ولا قائل منكم بذلك والمثنتان سواء (*)

فالحق الذي لا محيد عنه ان المصلي الواحد ليس شرطاً في صحة الجمعة وانما هو حكمة من حكمها ، ولو تعددت الجمعة فهي صحيحة ولا ظهر بعدها سواء أكان تعددها لضرورة أم لا لانه لم يرد ما يحظر ذلك بل الوارد خلافه فقد روي عن ابن عباس انه يجيز للرجل أن يصلي الجمعة منفرداً في بيته قل ذلك الشرائع في كشف الغممة وإني ذاكر لك الأحاديث الدالة على عدم مشروعية الظهور بعد الجمعة بحال من الأحوال حتى لو لم تصل الجمعة (١)

(*) اللهم إلا ماورد من صلاة أياها في المسجد لمطر وقع كما في حديث أبي هريرة عند أبي داود وابن ماجه والحاكم وذلك لعذر كما رأيت اهـ منه

(١) اختلف العلماء في صلاة الجمعة هل فرضت بطريق الأصالة أم بطريق البدل عن الظهور فمنهم من قال بالاول ومنهم من قال بالثاني وهذه الأحاديث التي سنسردها لك تؤكد مذهب القائلين بانها فرضت بطريق الأصالة لا البدل الأحاديث العرفية في دليلهم

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عبر من الشام فاقبل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً فزلت هذه الآية التي في الجمعة « وإذا رأوا تجارة أو هواً انقضوا إليها وتركوك قائماً » الآية رواه أحمد ومسلم والترمذي وفي رواية أقبلت عبر ونحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فانقضت الناس الا اثني عشر رجلاً فزلت هذه الآية « وإذا رأوا الخ » رواه أحمد والبخاري فتسألهم معشر الفقهاء الذين توجبون لصحة الجمعة أو يبين رجلاً أحراً أو مقبلاً لا يظفون شيئاً ولا شتاء يستمعون أركان الخطبة كلها ويقومون الجمعة كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعد الجمعة أو لم يصل الظهر لأن جهته غير صحيحة إذ لم يبق وهو يخطب الا اثنا عشر رجلاً ولا شك أنه لا يسعكم الا التسليم بأن الجمعة لا يشترط فيها العدد المخصوص وهو غير مذهبكم أو أن تقولوا يحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر أو أعاد الجمعة والحال أنه لم يثبت ذلك قطعا والدين لا يثبت بالاحتمال أو تقولوا : حقا أن صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة لا تجوز لأن النبي لم يفعلها ولو لزمت لفعلها يوم المير (*)

(*) وقد علمت من هذا الحديث أن الأربعين ليسوا بشرط في صحة الجمعة فلو صلاها رجلان في مكان لم يكن فيه غيرهما لفعلها ما يجب عليهما فإن خطب أحدها فقد عملا بالسنة وإن تركا الخطبة فهي سنة فقط لأنه لم يرد ما يدل على وجوبها . وقد قال عليه الصلاة والسلام الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة ، وما روي عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال « أول جمعة جمع بنا أسعد ابن زرارمة في بقيع الخضبان قبل أنكتب كم كنتم يومئذ قال أربعون رجلاً فجمع بنا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة » فهو مما لا يستدل به على عدم صحتها بأقل من العدد المذكور لأن الجمهور على أن وقائع الأعيان لا تصلح دليلاً لعدم ولذا قال الشمراني الشافعي في كشف الغمة قال شيخنا رضي الله عنه « والظاهر أن العدد المذكور ليس بشرط ولو كان أسعد وجد دون الأربعين لجمع بهم وأقام شعار الجمعة فهي واقعة حال ولذلك اختلفت مذاهب العلماء في العدد فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الجمعة تصح من الواحد وذهب إبراهيم النخعي وداود وأهل الظاهر إلى أنها

ومن الأدلة على عدم طاب الظهر بعد الجمعة بل على عدم مشروعيتها يوم الجمعة مطلقاً صليت الجمعة أم لم تصل ما ورد من اجتماع عيد وجمعة في عهد الرسول الأكرم صلى العيد ورخص في الجمعة ولم يرد أنه أمرهم بالظهر لأنه لم يثبت ذلك وهناك انصوص عن زيد بن أرقم رضي الله عنه وسأله معاوية هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتماعاً قال: نعم صلى العيد أول النهار ثم رخص في الجمعة فقال من شاء أن يجمع فليجمع رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة وأنا مجتمون» رواه أبو داود وابن ماجه وعن وهب بن كيسان قال «اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير فاخر الخروج حتى تعالى النهار ثم خرج فخطب ثم نزل فصلى ولم يصل للناس يوم الجمعة فذكرت ذلك لابن عباس فقال أصحاب السنة «رواه النسائي وأبو داود بخوه لكن من رواية عطاء ولابي داود عن عطاء قال «اجتمع يوم الجمعة ويوم الفطر على عهد ابن الزبير في يوم واحد فجمعتهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر

فهذه الأحاديث ناطقة بأسان فصيح على منبر الحق بأنه لا يظهر بعد الجمعة بل أن الظهر لم تشرع ذلك اليوم اقيمت الجمعة أم لم تقم وفيما روي عن ابن عباس وقد سئل عن رجل صلى الجمعة منفرداً في بستانه فقال لا بأس إذا قام شعار الجمعة بغيره دليل على ما نقول لأن صلاته على ما اشترطه الفقهاء فاسدة وإن كنا لا نقول بصدقه الجمعة في غير جماعة لما روى أبو داود من حديث طارق بن شهاب «الجمعة تصح من اثنين وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري رضي الله عنهما إلى أنها تصح باربعة أحدهم الإمام إلى آخر ما قال

وأما الرجولية والاقامة والحرية فهي شروط لوجوبها دون صحتها إذ لا تجب الجمعة على المرأة والمسافر والرقيق لحديث أبي داود الآتي ولكن إن فعلوها تصح منهم قلو مسلمي رقيقان أو مسافران الجمعة مثلاً أحدهما إمام والآخر مأموم صحت منهما وقد ورد أن النبي صلى الجمعة في بعض أسفاره مع الصحابة فلو كان يشترط في صحتها الاقامة لما فعلها الرسول ولا فخرني الآن ألفاظ الحديث

حق واجب على كل مسلم في جماعه الا اربعة عبد مملوك او امرأة او صبي او مريض
وفي حديث أبي هريرة وحديث جابر (ذكر المسافر)

وقد قال في نيل الاوطار بعد ما اورد حديث أبي داود السابق وحديث النسائي
وظاهره انه لم يصل الظهر وفيه ان الجمعة اذا سقطت بوجه من الوجوه المسوغة لم
يجب على من سقطت عنه ان يصلي الظهر واليه ذهب عطاء حكي ذلك عنه في البحر
والظاهر انه يقول بذلك القائلون بأن الجمعة اصل وانت خير بأن الذي افترضه الله
تعالى على عباده في يوم الجمعة هو صلاة الجمعة فإيجاب صلاة الظهر على من تركها
لعذر أو لغير عذر محتاج الى دليل ولا دليل يصلح لتمسك به على ذلك فيما اعلم اه
وانت تعلم ان مؤلفه الامام الشوكاني من مشاهير حفاظ الحديث وفقهائه المول عليهم
وربما يقل هذا القول على فقهاء المصر ، في كل قرية ومصر ، اللهم الا من كان
محباً للحقيقة منهم

قال في كشف الغمة : وكان صلى الله عليه وسلم يقول : من ترك صلاة الجمعة
لغير عذر فليصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار فان لم يجد فبدرهم او نصف
درهم او صاع حنطة او نصف صاع او مده فانت ترى انه لم يأمره بصلاة الظهر
بل امره بالصدقة ولا يقال امره بالظهر والصدقة لانه لم يثبت ذلك والخبر في الاتباع
والشر في الابتداع

(الخلاصة) اعلم ان صفوة الكلام ان تعدد الجمعة للحاجة جائز عند الامام
الشافعي وان الجمع في بلدتنا ونحوها متعددة للحاجة وعليه فصلاة الظهر بعدها
غير واجبة ولا مستوتة بل هي بدعة غير جائزة وعلمت ان القول بصلاتها بعد الجمعة
مبني على التعدد لغير حاجة في بعض الصور وقد وقينا الكلام حقه في الابحاث السابقة
فراجعه بدقة وانصاف والله اعلم

هذا ما اردت انشاء وايراده في هذه الرسالة فمضى ان تكون فصل الخطاب فقد
جمت من الكلام ما هو اضواء من الشمس ، وأنور من البدر ، ومن الادلة الساطعة ،
والبراهين الناصمة ، ما أزال عن وجه الحقيقة الغشاء ، فبدت وضاحة الجبين ، غراه
الطلعة ، وفيها كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد فاجعلها اللهم خالصة لوجهك الكريم

أشار على البرية

* انتقاد شواهد الطبعة الاولى من تفسير ابن جرير الطبري *

تابع لما قبله

(٧٣) تفرد حتى ظالماً ولوى يدي لوى يده الله الذي هو ظالمه
ورد شطره الثاني في الثالث ص ٢١١ واصله في الخامس عشر ص ١٤٩ وأنشد
الشر الاول هكذا * يظلمنى مالى كذا ولوى يدي * والصواب ما ذكرنا والبيت

في الصفحة العاشرة من الجزء الرابع حماسة

(٧٤) وان مهاجرين تكفاه لمر الله قد خطيا وحابا

ورد في الاول ص ٢٣٩ وهنا أنشد صحيحاً . وفي الرابع ص ١٤٣ وكتب هكذا

وان مهاجرين تكفاهدا نبيذ الله خطيا وحابا

وفي الثالث عشر ص ٣٢ وكتب هكذا

وان مهاجرين تكفاهدا بيد الله خطيا وحابا

(٧٥) رمى فأخضا والاقدار غالبه فانصن والويل هجيراه والحرب

في الخامس ص ٤٠ وقد كتب في أول الشطر الثاني فالضن والصواب فانصن

(٧٦) فلم أر معشراً أسروا هديا ولم أر جار بيت بيتا

في الثاني ص ١٢٤ ووردت الكلمة الاخيرة هكذا يستيا ٧

(٧٧) أسيتى بنا أو احسنى لاملولة لدينا ولا مقلية ان تقات

ورد في الاول ص ٢٩٥ وكتب الكلمة الاولى هكذا أسيتى وفي العاشر ص ٩٣

وكتب هكذا

أسيتى بنا أو احسنى لاملولة ولا مقلية ان تقات

(٧٨) وليلة ذات ندى سريت ولم يلق عن سراها ليت

ورد في موضعين في الثالث ص ١٥ وكتب هكذا

وليلة ذات دجى سريت ولم يردنى عن سراها ليت

وفي السادس والعشرين ص ٨٣ وكتب صحيحاً .

(٧٩) كَانَ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسَاءً قَصَصَهُ عَلَى أَمِّهَا وَإِنْ تَحَدَّثُكَ تَبَلَّتْ

فِي السَّادِسِ عَشَرَ ص ٤٤ وَكُتِبَ الشُّطْرُ الثَّانِي هَكَذَا

أَإِذَا مَا خُدَّتْ وَإِنْ تَحَدَّثُ تَبَلَّتْ

وَالْبَيْتُ لِلشُّنْفَرِيِّ وَالْبَيْتُ الْإِقْطَاعُ وَتَبَلَّتْ الْكَلَامُ لَمَّا يَحْتَرِبُهَا مِنَ الْبُحْرِ

(٨٠) سَلَامُ اللَّهِ وَرَبِّهَا وَرَحْمَتُهُ وَسَيِّدُ دَرَرٍ

فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ ص ٦٥ وَكُتِبَ هَكَذَا

سَلَامُ اللَّهِ وَرَبِّهَا وَجَنَّتْ وَسَيِّدُهَا ٧ وَبَعْدَ الْبَيْتِ

فَهَامُ يَنْزِلُ رِزْقُ السَّيِّدِ فَأَحْيَا الْبِلَادَ وَطَابَ الشَّجَرُ

(٨١) يَا حَيْذَا الْقَمَرُ وَاللَّيْلُ السَّاجُ وَطَرَقَ مِثْلُ مَلَأَ النَّسَاجُ

فِي الثَّلَاثِينَ ص ١٢٧ وَكُتِبَ هَكَذَا

يَا حَيْذَا الْقَمَرَ وَاللَّيْلُ سَاجُ وَطَرَقَ مِثْلُ مَلَأَ النَّسَاجُ

(٨٢) وَلَيْتَ بَسْنَاهُ وَلَا رُجِيَّةٌ وَلَكِنْ عَرَايَا فِي السَّيِّئِينَ الْجَوَانِحُ

فِي الثَّلَاثِ ص ٢٤ وَكُتِبَ بَدَلَ بَسْنَاهُ فِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ سَنَاهُ ٥ وَبَدَلَ عَرَايَا فِي

الشُّطْرِ الثَّانِي غَرَانَا

(٨٣) فَهَمِمْتُ أَنْ أَغْشَى إِلَيْهَا عَجْرًا فَلَمَثَلَهَا يَنْشَى إِلَيْهِ الْمَجْجَرُ

فِي التَّاسِعِ عَشَرَ ص ٢ وَكُتِبَ بَدَلَ أَغْشَى وَيَنْشَى الْقَى وَيَلْقَى وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ

ذَهَبَتْ بِقَلْبِكَ رِيعَةً مَطْوِيَةً وَهِيَ الْقَى يَهْدِي بِهَا لَوْ تَنْشُرُ

(٨٤) وَهِيَانَ مَدِينٍ لَوْ رَأَوْكَ تَنْزَلُوا وَالْعَصَمُ مِنْ شَعْفِ الْعَقُولِ الْقَادِرُ

وَرَدَّ فِي مَوْضِعَيْنِ (١) فِي السَّابِعِ ص ٤ وَكُتِبَ الشُّطْرُ الثَّانِي هَكَذَا

وَالْعَصَمُ مِنْ شَعْفِ الْعَقُولِ الْقَادِرُ

(٢) فِي الْعِشْرِينَ ص ٣٢ وَكُتِبَ هَكَذَا الْآيَةُ أَحْوَالُهُ عَلَى عَدَدِ ٧ يُقَالُ رَعْلٌ عَاقِلٌ

صَدَدُ الْجِبَلِ وَالْقَادِرُ بِالْفَاءِ الْمُسْنُ مِنَ الْوَعُولِ

(٨٥) هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرَفِي سَجِيسِ الْيَالِي مَبْسِلًا بِالْجُرَاثِ

فِي السَّابِعِ ص ١٣٩ وَكُتِبَ بَدَلَ سَجِيسِ مَجِيرٌ وَهُوَ غَلَطٌ

(٨٦) وَإِنْ كَلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَانْتَبَرِي مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرُ

في التاسع ص ٤٦ وكتب بدل كلابا كلابا وبدل برى ترى فاختل المعنى والوزن
(٨٧) وظلت بأعراف تعالت كأنها رماح نحاهها وجهة الريح راكز

في الثامن ص ١٢٨ وكتب الشطر الثاني هكذا * رماح وجهه راكز * ٧
وانشد الأساس البيت هكذا

مسيبة قُبَّ البطون كأنها رماح نحاهها وجهة الريح راكز
وفيه يقات خيل مسيبة يقال لها قاتلها الله واخزها اذا استجيدت وفي الجمهرة
كتب البيت هكذا

واضحت تعالى بالاستار كأنها رماح نحاهها وجهة الريح راكز
وتعالى تسابق تدخل رأسها بين اخواتها

والبيت الذي فيه الأعراف بيت آخر في أول قصيدة الشهاخ وهو
وطلت بأعراف كان عيونها الى الشمس هل تدنو ركي نواكز
(٨٨) لقد صرتمكم لو ان ردكم يوماً يحى بها مسحى وأساسى
في الخامس ص ٧٢ وكتب هكذا

وقد نظرتمكم لو ان درتكم يوماً يحى به مسحى وأساسى
(٨٩) حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس

ورد الشطر الثاني في الثامن ص ٣١ وكتب بدل الا تلك : الأثم : وورد البيت
كاه في التاسع عشر ص ٢ وكتب بدل حنت حنت وبدل الا تلك الا ملك
(٩٠) مالك ترعين ولا ترعوا الخائف وتضجرين والمطى معترف
في الثاني ص ٣٥ وكتب الشطر الاول وهو الذي أنشد هكذا
مالك ترعين ولا ترعوا الخائف

(٩١) ناج طواه الابن مما وجفا * طي الأيالي زافا فرقا * سبابة الهلال حتى احقوقفا
الأولان في الثاني عشر ص ٧٣ والاخيران في التاسع عشر ص ٤٦ وكتب
بدل سبابة سبابة

(٩٢) ان سميراً أرى عشيرة قد حذبوا دونه وقد أنفوا

ان يكن الغن صادقاً بنى النجار لا يطعموا الذي علفوا

في الرابع ص ٢٣ وكتب هكذا

ان سمير أرى عشيته قد حدثوا دونه وقد أبقوا

ان يكن الظن صادقي ببنى النجار لم يطمعو الذي علقوا

والبيتان من كلمة مالك بن المجلان قائمة الروي

(٩٣) تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود البعثة السفن

ورد في الرابع عشر ص ٧٠ وكتب بدل قردا أفودا أو بدل البعثة البعثة وكلاهما غلط

(٩٤) تذهبه كل مفلاة الوهق مضبورة قرواء هرجاب تنق

ورد الأول في الثلاثين ص ١٧ وكتب بدل مفلاة معلات. المفلاة الناقة التي تبعه

الخطو والوهق بالتحريك المباراة والمسايرة. مضبورة مجتمعة الخلق. القرواء الطويلة

القرأ بالفتح وهو الظاهر وقالوا في تنيته قروان وقريان. الهرجاب كفتح الطويلة أو

السريسة وقيل هو كل عظيم البطن. الفلق بضمين الناقة الفتية الضخمة. والهاء عائدة على

ما وصف قبل في قوله * وقام الأعماق خاوي المحرق *

(٩٥) حسبت بنام راحلتى عناقاً وما هي ويب غيرك بالضاق

فلو أني رمتك من قريب لعاقبك عن دعاء الذئب عاق

ورد الأول في الأول ص ١٩ وكتب بدل بنام بنام ويب ويب وفي

الثاني ص ٢٣ وفيه كتب ويل بدل ويب. وفي الرابع ص ٥٦ وكتب فيه بدل بنام

راحلتى: بنام راحل: وفي الخامس عشر ص ١٣ وكتب فيه بدل ويب غيرك: وثب

مسيرك. وورد الثاني في الخامس عشر ص ٥٨ وكتب الشطر الأول هكذا

* ولو أني رمتك من بعيد *

(٩٦) لئن حلت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بشتافك

ورد في الماشر ص ٦٨ وكتب بدل بجو بجو

(٩٧) أقول له والريح يأطر متة تأمل خفافاً اننى انا ذاك

ورد في الأول في موضعين أولهما ص ٢٩٩ وكتب بدل: يأطر: ناظر: وبديل

تأمل: تبين: الثاني ص ١٦ وكتب صحيحاً الآاء ترك همز يأطر فصارت هكذا يأطر

(٩٨) طمعت بنظرة فرأيت منها تحيت الحدود واضعة القرام

ورد في الاول ص ١٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا فنجحت الحذر ناصعة القوام .

وروى الطبري: سمت لي نظرة: بدل طمحت بنظرة

(٩٩) وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريسته كشدق الاعلم

من معلقة عنتره ورد في التاسع ص ١٣٧ وكتب بدل وحليل غانية وحليل غائبة

(١٠٠) عرفت المتأني وعرفت منها مطايا القدر كالحدا الجثوم

ورد في الثامن ص ١٥٢ وكتب هكذا

عرفت الصبا وعرفت منها مطايا العنبر كالحدا الجثوم

(١٠١) عهدي به شد النهار كغما خضب البنان ورأسه بالهظلم

من معلقة عنتره ورد في الثامن ص ٥٧ وكتب الشطر الثاني هكذا . خضب البنان

رأسه بالهظلم .

(١٠٢) رقوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه همهم

لأبي خراش ورد في السابع ص ١٥١ وكتب الشطر الاول هكذا . رقوني

وقالوا يا خويلد لم ترع .

ومعنى رقوني بالناء سكتوني وقيل أراد رقوني فالتى الهمة والهمة لا تلقى الأنى الشعر

وقد ألقاهما في هذا البيت ومعناه اني فزعت فطار قلبي فضموا بعضي الى بعض .

(١٠٣) ماوي ياربتما غارة شعواء كالذعة بالميسم

ورد في الثامن عشر ص ١٤٤ وكتب هكذا

ياربتما غارة شعواء كالذعة بالميسم

(١٠٤) حواء قرهاء أشراطية وكفت فيها الذهب وحفها البراعم

ورد في الثلاثين ص ٨٤ وكتب هكذا

حوي فرحا سراطيه وكفت فيها الذهب وحفها البراعم

(١٠٥) أقول اذ درأت لها وضيفي أهذا دينه أبدا وديني

ورد في الاول ص ٣٨٥ وكتب صحيحا وورد في الرابع ص ١٠٥ وكتب هكذا

أقول وقد درأت لها وضيفي وهذا دينه أبدا وديني

(١٠٦) مهلا بني عنمامهلا موالينا لا تبشروا بنتنا ما كان مدقونا

ورد في الخامس ص ٣١ وكتب الشطر الثاني مكذاه لا تظهر وزن لنا ما كان مدفونا
(١٠٧) ان شرح اشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا
ورد في العاشر ص ٧٦ وكتب بدل الشباب والشباب وبديل يعاص بقاص وهو غلط لا معنى له
(١٠٨) اذا ماقت أرحلها بايل تأوؤ آهة الرجل الحزين
ورد في الحادي عشر ص ٣٣ وكتب بدل اذا ماقت: اذا قضت: فاحتل المعنى والوزن
(١٠٩) عجبت من دهماء اذ تشكونا ومن ابي دهماء اذ يوصينا خيرا بها كاتنا جافونا
وردت في الخامس عشر ص ٤٤ وكتبت صحيحة الا ان تشكونا كتبت بيا
مشتاة من تحت وهو غلط

وردت في العشرين ص ٧٧ وكتب الأخير ان مكذاه
ومن أي دهماً اذ توصينا خيراً بها كأنهم يخافونا
ولو أنه أحال على ما تقدم لكان خيراً

باب التقريظ والانتقاد

(خواطر الخواطر)

مقالات أدبية حكيمية وعظيمة لعمود أقدى سلامه صاحب جريدة الواعظ كان يكتبها في جريدة اللواء أيام كان محرراً لها وكانت خير ما ينشر في تلك الجريدة وأعذبه في فوق القراء على ما فيها من السجع ومرارة الوعظ لأنها كانت محاورات بين تلميذ واستاذة الدهر ثم طرد الكاتب الى هذا في جريدة الواعظ لأنها أجدر به . وقد اقترح عليه ما وافق رغبته من جمع ذلك في كتاب يجعل أجزاءه لجمع معظم ما كتب في جريدة اللواء وطبعه بطبعة الواعظ فجاء جزءاً لطيفاً ومن مباحثه مقالات في الخمر والميسر والقتل والانحار وطلب الدنيا وآداب الصيام وآثار القرب في الشرق وغير ذلك فبعث القراء على مطالعته وثمنه خمسة قروش صحيحة

طولة العمر . في حديث أبو يوسف ونمر

كتاب ألفه شكري أفندي الحوري السوري المقيم في البرازيل باللغة العامية السورية وأودع فيه من الفوائد والنصح الصحية والأدبية ما لا يستغني عنه أحد من العامة على أنه لا يقصر عن إفادة الخاصة . جعله محاورة بين رجلين من عامة اللبنانيين وقد رأينا

فيه من قدرته على تصوير أفكار العوام ، ما يناسب قدرته على ضبط عبارتهم في الكتاب ، وكلا الأمرين عسير على الناشئين في دور العلم والمشتغلين بالكتابة والتأليف باللغة العربية السليمة وأنا لعرف من أنفسنا العجز عن المضي في ذلك بل إنا نجهل كثيراً من كلام عامتنا وأذكر الآن أنني كنت أحتاج إلى تصوير بعض المسائل الفقهية في الدرس باللغة العامية فلا أدري ماذا أقول وأتني لأجول كثيراً من مفرداتهم. ولكنني رأيت فيما قرأته من الكتاب لحناً وغلطاً أعني خروجاً عن العامية المتزنة فيه كاستعمال الذال والصاد بالفاء وغير ذلك ، ولا يخلو من غلط في الرسم كاستعمال الهاء في موضع الواو في مثل قوله « الواحد بييم استقلاله الشخصي وحرية بوظيفة حقه » ويكون موش عاوز الوظيفة ويخون بلاده وأهله وعشيرته لأجل كم قرش يقبضها آخر كل شهر » فالعروف في الكلام العامي أن يقال « استقلالو » عند الناطقين بالقاف وقليل ما هم ولكن الكتاب جرى على طريقةهم ومثلها « بلادو ووظيفتو » وفي هذا المثال أيضاً قوله « يقبضها » من غير إلحاق الباء بالفعل ولعلها يقال قليلاً

ومن نصائح الكتاب التي عن الخوض في الأمور الدينية والسياسية الآن (والقيد بالآن للآخرة) وجعل ذلك من أسباب الراحة التي تطيل العمر وبهذه المناسبة تكلم في حال النصارى في سوريا وآمالهم ومستقبلهم بالاختصار وقد انتقدنا عليه في هذا السياق ما قاله عن المسلمين من مقتهم للولاء والحكام المادلين لأنهم يحولون بينهم وبين إيذاء النصارى فهذا شيء لا يصح الآن يكون بالنسبة إلى بعض أهل بيروت ولهم من النصارى أكرههم في حب الاعتداء وأما سائر مسامي بيروت وسوريا فإن حالهم مع الحكام الظالمين شر من حال النصارى لأن الضرائب والمظالم عليهم أكثر .

الجرائد والجامعة الإسلامية وانتقدنا عليه قوله إن جرائد الإسلام في كل الدنيا تدعو إلى جامعة دينية إسلامية وكلها تسقى من ينبوع واحد بخلاف جرائدهم التي بحث لكثرة النداء بالجامعة العثمانية لاسيما جرائد المهجر المشتعلة بنار الفيرة على الوطن :

أقول ليعلم هذا الوطني الفيور أن أكثر جرائد المسلمين لم تفكر في مسألة الجامعة الإسلامية الدينية وإن منها ما يدعو إلى جامعة وطنية غربية يفض فيها المسلم إلى المسلم الموافق له في لفته وجنسيته السياسية إذا كان من بلد آخر ولو مجاوراً له وإن أكثر

أصحابها لا يعرفون حقيقة الاسلام وأنه ليس فيها جرائم دينية وباليات للعالم الاسلامي كله من الجرائم الدينية بدد ما للتصاري في بيروت والقاهرة، وهذه مجلة المنار الاسلامية ووجدت في مسلمي مصر من يحرص عليها جميع جرائم المسلمين وغيرهم في مصر وان كان الاكثر لم يسمع ولم يجب بل إن بعض الجرائد اليومية للمسلمين تنشر أحياناً ما هو طعن صريح في الشريعة والدين، ومجلة القول أنها لم تتفق على دعوة واحدة، ثم إن الجامعة الاسلامية التي تكلم بها بعض فضلاء المسلمين لاتتأفي الجامعة العثمانية في بلاد الدولة العلية بل تجتمع معها

سوريا والحجاز والسياسة : وانتقدنا عليه أيضاً ما قاله في سكة الحديد الحجازية والتي بدوها تقليب وجه السياسة قلبه مملونه، إذ تخيل أن غرض السلطان أو الدولة تخية التصاري عن سوريا وجعلها مع الحجاز بلاداً اسلامية محضة ومحط رحال المسلمين من كل الدنيا، ليحلم أن هذا الخاطر لم يطف في دماغ تركي قط لأنه فرع الرضى بالتنازل عن الجنسية التركية وعدم تمييز التركي على العربي وإني ذلك وجريدة (ترك) المقابلة التي تصدر في مصر تعتبر عن الترك « باللة المالكه » وانما الغرض الاول من هذه السكة أن يسهل على الدولة سوق المساكر الى الحجاز عند الحاجة لاسيما إذا حدثت فيه انقلابات سياسية بدسائس الانكليز إذ لا يمكنها حينئذ أن ترسل اليه الجيش في البحر.

ونقد عينا نقد الكتاب لفائده ولأنه نشر في جريدة الهدى الفراء وجمع منها وطبع وانتشر ولا نحب أن نسكت على ما يحدث نفوراً ويقوي قنوراً بين أهل الوطن فسي أن تنه جريدة الهدى على ذلك كما تفعل جريدة المناظر في مثله

حجج كمال بلاغة العربية

« في مدح الفرد الكامل والاستاذ المطاق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية » أهديت إلينا رسالة بهذا الاسم أنشأها الشيخ كمال الدين العراقي وطبعها على نفقته وذكر في آخرها قصيدة له سماها « لسان الحق في بيان الحقيقة والأخلاق والمحجوب » والرسالة ساجدة بالثر، مزينة بالشعر، مصممة بالتوجيه والتصريح، مصنوعة من طينة أنواع البديع، على طريق أهل القرون المتوسطة وهي مناظرة بين منشئها وأحد الشيوخ في الأزهر وتباع عند جميع الكتبية.

(الرياض) صحيفة تهذيبية علمية صناعية اجتماعية تصدر في أول كل شهر إفرنجي في

حجم المنار اصحابها حسن أفندي صديق في بني سويف وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً وقد صدر العدد الثاني منها في أول فبراير الماضي ولم تر عدد شهر مارس وفيما صدر فوائده كثيرة أنعمها الكلام في مصادر الخير فمسي ان يكون احتجابها عنا لا لاحتجابها في نفسها

(التربية) مجلة مدرسية شهرية لمديرها محمود أفندي عمر الباجوري يتألف العدد منها من ٨ صفحات كبيرة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش في القطر المصري واربعة فرنكات في غيره وقد أرسل إلينا العدد الثاني منها (دون الأول) وفيه نبذة علمية وأدبية وفكاهات وحيزة بلغة الولدان العرفية وفوائد منزلية منها ما نصه :

البيض يلزم نمسه في ماء مقلي عشر نوان لتنظيف الزجاج تضاف قطعة من زهرة
• لحفظ الفسيل الى الماء الذي يغسل به لكي يكون ضوء اللامبة لا يعايق الشريط في الحل
قبل استعماله ولعلنا نجد عبارتها في الاعداد الآتية خيرا من هذه العبارة وأصح
فقد جاء في صدر العدد أن الغرض مما ينشر فيها من المقالات التمرين على الانشاء
واختيار الأساليب المفيدة • والتلميذ في حاجة الى ذلك في كل ما يكتبه

(جريدة المعجائب) أرسلت ادارة جريدة المعجائب رقاعاً الى الجرائد ترغب
اليهم فيها بالتشويه بدخولها في السنة الرابعة فنهشها بذلك ورجو لها العمر الطويل بما
رائها من ثباتها على خطة واحدة في الاستحسان والمدح والاستهجان والنقد على حين
نرى كثيراً من الجرائد تدم اليوم من مدحت أمس وتستحسن غداً ما استهجن اليوم
— ديوان أبي تمام الطائي —

لا يجمل أحد من الأدباء مكان شعر أبي تمام من البلاغة وقد طبع ديوانه غير
مرة فنقدت نسخته حتى لا تكاد تجد منها نسخة عند كتي في مصر وقد علمنا ان
محمد أفندي جمال من أدباء بيروت شرع بطبعه على ورق جيد بإذن من نظارة المعارف
في الاستانة وكلف الشيخ محي الدين الحياط أحد محرري جريدتي بيروت والاقبال
بضبطه وتفسير غريبه وسيتم طبعه في أواخر صفر الآتي ويصدر في ٥٥٠ صفحة
وهو يقبل الاشتراك فيه الى ان يتم طبعه بثمانية قروش مصريه صحيحة وسيكون
ثمنه بعد ذلك اثني عشر قرشاً فمن احب الاشتراك من أهل هذه الديار فليرسل القيمة الى
مكتبة المنار بمصر أو يلتزم الطبع في بيروت وله بعد حضور الكتاب ان يستلمه من هذه المكتبة

المنار الجديد

سنتا الجديدة

نهى قراء المنار بالامام المجرى الجديد ونسأل الله تعالى ان يجعله عاماً مباركاً عليهم وعلى جميع الامم. وقد صدرنا هذا الجزء بفتحة أطول من فوائج السنين الساقية ونكناها على طولها مختصرة تشير الى قواعد وحوادث في تاريخ الإصلاح نوثق أن تشرح يوماً ما في سفر كبير.

فهرس الاشتراك في المنار

المنار يتألف من ٢٤ جزءاً، تبلغ صفحاتها ٩٦٠ ماعدا الفهرس والذي يشترك فيه يطالب شيئاً معلوماً بضمنه من غير ما يكتب عن خلافه. وهذا البيع من قبل الاستصناع ومشرطه أن من يقبل الجزء الأول من السنة يكون ملزماً بدفع ثمن أجزاء السنة وليس له أن يرد شيئاً منها إلا في هذا الضرر أو عيباً أو فقد جزء من المنار كفقده مجموعة السنة كلها. ومن لا يصل إليه بعض الأجزاء فله أن يطلبه الى ما بعدهم عند صدوره بشهر فإن طلبه بعد ذلك أم نكث مكلفين بإرساله اليه، ومن فقد بعض الأجزاء فادارة المجلة غير مكلفة بإعطائه بدلاً منها ولكنها تعد بأن تبيع الجزء ان وجد فيها زائداً عن المجموعات الكاملة بخمسة وعشرين ملية لأهل مصر وخمسة وسبعين سنتاً لسائر الناس. فمن قبل بهذا فقد وجب عليه دفع قيمة أجزاء السنة كلها بقبول الجزء الأول وحسبنا رضاهم حجة وذهنهم وكلامهم وإنا ذكرنا هذا مع العلم بأنه قد يتقدمنا تقاسي كل عام من طلب الكثيرين للأجزاء المفقودة ومنها أصدقاؤنا الذين يؤمنوا المعجز عن اجابة طلبهم.

(فهرس المنار أو فهرسه)

جمع فهرس المنار المادي المرتب على حروف المعجم وكان في العزم توزيعه مع هذا الجزء ولكن تراعى لنا أن نضم اليه فهرسين آخرين أو أكثر وقد بدأنا بجمع فهرس الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وربما نضيف اليهما فهرساً لاسماء الأشخاص. فليتظروا من يريد تجليده أجزاء السنة السابعة صدوره مع الجزئين الثاني والثالث فانهما سيصدران معاً في أوائل صفر ان شاء الله تعالى.

﴿ تقريظ المنار ﴾

جاءنا ما يأتي من أحد علماء سوريا الفضلاء المحاضرين فنشرناه مع الحياء والحجل
امتثالاً لأمره وطلباً لرضاه قال حفظه الله

لقد منّ الله على المسلمين إذ أقام لهم مناراً يهديهم سبل الحكمة، ووقاهم وحث
السبيل، ولو فتح الذين أعرضوا عنه بصائرهم لرأوا أنهم في مكان ويل، أفسدت
بصيرتهم بل هم مسحورون بما هويت آباؤهم من المناهج وكم ضل جيل بما ضل من
قبل به القليل، هاهم أولاء تنزههم أيدي الزن بما ضلوا عن الحقائق وبما صكّكوا
يتوهمون، أقلم بأن لهم أن يفيقوا من سكرتهم وينظروا ما قدمت أيديهم وسعت
إليه أرجلهم من الحلال الهون، أولم بأن لهم أن ينظروا ما منّ الله عليهم اذهباً رشيداً
منهم لرفع المنارة لعلمهم يرشدون.

سلام أيها الرشيد بما رفعت «المنارة» طوبى ونم عتبي الرشداء الأبرار، يسرى
وان لك مدحاً في الأعمار والأعصار، نعمى تدوم لك العمر، يسرى تبقى لك الدهر،
حسنى تحمدك الذكر، فوقى لك في الملا الفراء، مرحى لاصلاحك، أكرم بملكه
لقد جلوت الديجور بالسنا، وأرشدت القاصي كمن دنا، وقد غنيت بمن عني، ولم تكن
بمن حسد وشنا، كذاك حزب الهدى، لا يضيئهم السدى، ولا يثنيهم الهوى، ولا يروعهم
من جفاء حسبك الحق وكفى، لم ينجب من إليه اتقى، ان لديه الآخرة والأولى،
ان هذا رجاء أولي النهى، فاستفتح هذه الثامنة بمثل ذلك الهدى، وتوكل على الذي
برأ الحمقى، وأرسل محمداً بالهدى للورى، ليكونوا اخواناً في الطريقة المثلى، عليه
الصلاة الحسنى، والسلام الأسنى.

وسلام عليكم قراء «المنارة» بما طبعتم في الملة إن لكم فيه ما ينفعكم في الدين،
وان لكم فيه ما يرفعكم بين العالمين، وان لكم فيه ما تعارفون، وان لكم فيه ما تأسفون،
وانه هناء لكم وتبصرة للمستعدين، ولقد من الله علينا بلوغه (الثامنة) يفيض بالنور
الدين، وهذه كلمات لاخ لكم ليهديكم التحيات الطيبات، ويملن اشترى كه معكم
بالمسرات، وتذكرة لعلنا نكون من المرقاء بالفضل وعسى أن نكون من الشاكرين.

(سوري شالي)

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خزيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

ففسر عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الأربعاء ١٦ المحرم سنة ١٣٢٣ — ٢٢ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

حياة الأمر وموتها

ان للأجسام حياة وقلوبها حياة غير حياة الأجسام ولكن بعضها يرتبط ببعض، وان
للأفراد حياة وللأمم حياة غير حياة الأفراد ولكن أحدهما يتوقف على الأخرى
يمر ف الجسم الحي بطلب الغذاء الذي يحفظ حياته من الخارج ويدفع الموارد الضارة
عنه وإفراز المواد الميتة من بنية، ويستوي في هذه الحياة النبات والحيوان، وتعرف
النفس الحية بالحرص على السكرامه وارتفاع المنزلة بالحق ويدفع أسباب المهانة وتوفي
طرقها وبالانضال عن الشرف أن تصل إليه أيدي العابثين، أو يصيبه وهم الواهمين،
وأما حياة الأمة فهي أثر روح يسري في أفرادها فيشمرهم بأن مكان كل واحد منهم
من مجموع الأمة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعة نفسه
ومنفعة أمته معاً كما ان عمل كل عضو في البدن يكون سبباً في حفظ حياته من حيث
هو سبب لحفظ حياة البدن كله

الجسم الحي أشرف من الجسم الميت وأبقى بل الأجسام الميتة تكون غذاء للأجسام

الحياة ومتاعاً تتناول منه ما تحتاج إليه لتجمله عوضاً عما يندثر منها ويفصل عنها، كذلك الأمم الحية تتغذى من الأمم الميتة وتتبرع منها ما تحتاج إليه في حفظ حياتها وطول بقائها ودوام عزتها وشرفها . فالأمة الحية أشرف من الأمة الميتة وأرقى في مرتبة الوجود

قد يشتهى على الجاهلين التفاضل بين الناس في الحياة والموت بهذا المعنى فيذهب الجاهل بعضهم إلى أن زيدا الميت أفضل من عمرو الحي بما هو أكثر مالا وعشيرة وأحسن أثاثاً ورثاً . ولو رجعوا إلى العلم الصحيح والاختبار الدقيق لرأوا أنفسهم يفضلون معاملة فلان التاجر الذي يملك ألف دينار على فلان الوارث الذي يملك مئة ألف ويرون من الثقة والرجاء في الأول مالا يرون في الثاني لأن الأول يجمع ويشيد ، والثاني يبني ويهدد ، فالألف تنمو في كل عام ، ومئة ألف تنقص في كل يوم من الأيام ، حتى أن حديد البصر يرى الأول غنياً ثرياً، والثاني فقيراً مستجدياً، ذلك أنه ينظر إلى المستقبل الذي يسيران إليه ، فيمثل له في الحاضر الذي يراها فيه، معرفة شؤون الأمم والشعوب، احتفى على الأكثرين من معرفة حال الأفراد والبيوت، فكم من جاهل يفضل أمة على أخرى لأنها أصبح ديناً وأعدل شريعة ، أولانها أشرف أرومة وأعرق في المجد جرثومة ، أو لأن تراثها من سلفها أكثر ، ومزاياها الجنسية أشهر، أولانها أكثر عدداً ومدداً وأعز عشيرة وفراً، وإذا أصبح أن يكون هذا كله أربضه للأمة الميتة زمناً من الأزمان فإنه لا يبقى إلا ريثاً تتصل بها أمة حية، فترى هذه تتمتع بجميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية . وتلك تتحمل آفات هذه وعلاها البشرية، حتى تكون إحداهما في عليين، والأخرى في أسفل سافلين ،

يسهل على القارئ في الشرق القريب ، أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسية أو نفوية ، وتفصل بينها روابط نسبية أو ملية، فإنه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة العدد وكثرة المال وقوة الحكم وقوة العلم ثم يمجده نفسه تفضل قليل المزايا منهما على كثيرها لأنه يرى الشعب الكثير المزايا يتزرق ويتفرق فتذهب مزاياه بذهاب الأعوام ، والشعب القليل المزايا ينمو ويجمع ويتألف فيمتز ويشرف بإقبال الأيام ، يرى الشعب الكبير يتخاذل فيتضاءل ، والشعب الصغير يتلاءم

ويتعاطف ، وما ذلك إلا أن في أحدها نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب
 فيقوى وينكو ، وتقويه كل يوم بقضاء جديد فينهو ويسمو ، وليس في الآخر شيء
 من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل ، ويحترق ويذبل ،
 ويسهل على القارئ في الشرق البعيد (كالهند) أن يرى مثل هذين الشعبين
 المتقابلين في الحياة والموت ولكنهما يرى أكبرهما هو الذي يعز ويترقى ، وأصغرهما
 هو الذي يذل ويتدلى ، فلا تفره حينئذ دعوى بعض المتطفلين على عام الاجتماع وسنن
 الخليفة أن علة الحياة في الشعب الصغير القريب هي صغره وقلة عدده لأن اجتماع
 المدد القليل للتعاون والتناصر وتوحيد المصلحة العامة أسهل من اجتماع العدد الكثير ،
 ويشبه هذا الوهم تعليل بعضهم لنجاح صاحب الالف ونمو ثروته ، وخيبة صاحب
 المئة الالف والمقار الواسع وتبدد ثرائه ، بأن ثمر المال القليل أسهل من ثمر الكثير ،
 كذلك يقول من لا يعرف معنى الحياة في الأمم والأفراد ولنا بصدور بيان علة حياة
 الحي وموت الميت على الإطلاق ولا يان علة حياة أمة معينة وموت أخرى ففقد
 في كشف وهم الواهين وجهل الجاهلين ، وانما غرضنا بيان معنى الحياة المنوية
 ومميزات واجديها ، ومخازي فاقديها ،

التمييز بين أمة في أعلى مراقبي الحياة وأوج العزة والقوة ، وأمة في الخفيض
 الأوهدة ، والشقاء المؤصدة ، مما يتناول كل نظر ، ويحكم به كل عقل ، ولكن التمييز بين
 أمتين أو شعبين أحدهما يموت بعد حياة وثانيهما يحيا بعد موت هو الذي يخفى على
 غير علماء الاجتماع المدققين لأن الذي اعتاد على الحكم بأدي الرأي يخدع بما يرى
 في الأول من علامات الحياة الموروثة كأثارة من علم ، وبقية من حكم ، ولا يجسد مثلها
 عند الثاني فهو كمن يفضل وارث مئة الالف على كاسب الالف جاهلا بما وراء ذلك
 من مصير ثروة الوارث الى الزوال ، ومصير ثروة الكاسب الى الكساد ،
 لا يترك ما ترى من آيات الحياة في أمة تقطعت روابطها ، وانقصت عروة الثقة
 بين أفرادها ، ونقض اليها النظام ، وفقدت التلاحم والائتام ، وان كان ما رام أخلاقا
 كريمة ، ومعارف صحيحة ، وثروة واسعة ، وسلطة نافذة ، مع العلم بأن هذه الأشياء
 كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لذهابها ، فقد يكون ذلك من بقايا ارث

قديم ، يعيث به الفساد الحديث ، إلا أن ترى العلم والأخلاق تقرب البعيد ، وتجمع الشتيت ، وتزيد في الثقة بين الناس ، وتدعو إلى التعاون على البر والإحسان ، وترى الثروة تجمع مع ملاحظة مصلحة الأمة ، وينفق جزؤها على المرافق العامة ، وترى السلطة موجهة لدفع الأذى عن البلاد ، وإقامة العدل في البلاد ، وإسماء الأفراد على الاستقلال ، وإعدادهم لمشاركة الحاكمين في الأعمال .

روح الحياة في الأمة تحول الشر إلى خير . وفقدتها يحول الفضائل إلى رذائل ، فما يكون فيها من عزة وإباء يصير كبراً وعجباً ، وما يبقى من كرم وسماح يصير اسرافاً وتبذيراً ، وتكون الشجاعة فيها سبباً للاعتداء والإيذاء ، وجودة الرأي وسيلة للمكر والاحتيال ، ويحول فيها حب الشرف والكمال ، إلى حب الفخفخة بالانقاف ، وينقلب التنافس تحاسداً ، والآثار أثره وطعماً ، وقس على هذا سائر الأخلاق التي تفقد . كذلك يكون العلم آلة لاهله يكدون بها للناس ويوقعون بينهم ليستفيد الكائد من النزاع والشقاق . أما السلطة فانها تكون الآلة المحللة لكل الثام ، والممزقة لكل شمل ، والمفرقة لكل اجتماع ، إلا الاجتماع لتأييدها والخنوع لأصحابها حتى أن الملك أو الأمير ليتجرر بالامة أنجاراً بل يكون هو الفاصب والناهب ما استطاع حتى إذا لم يبق للامة قوة حافظة يبيعها للأجانب بالمحافظة على رياسته الصورية ، وتمكينه من شهواته الحيوانية والشرطانية ،

تسري الأمراض الاجتماعية في الأمم فتذهب منها بقومات الحياة من حيث لا تشعر ولا تدري ولذلك يسقى لها الضرور والدعوى بأنها أشرف الأمم وأفضلها ويسر على من يكون على علم بأعراض الأمم أن يقنعها بأن أمة وضيعة مهينة وإن كانت أصوات الاهانة تصيح بها في كل يوم ، وأسواط العذاب تقع عليها في كل آن . وإذا كانت متكة في غرورها على عصا الدين كان اقناعها أسير ، وإشعارها أبعد ، وإن نخرت أرضه البدع تلك المنسأة فانكسرت ، وخرت الامة في مهواة الضلال فهلكت ،

إذا أهاب الداعي بالامة الضرورة بالدين . وحاول اقناعها بالبراهين ، وإيقاظ الشعور فيها بما تذوق من العذاب الموهين ، وأشبه حماة البدع الجديد ، وحن عليه انصار التقليد ، واستعانوا عليه بالأصراء المستبددين ، وحالوا بينه وبين العامة المساكين ، بل

العامه هي قوة رؤساء الدنيا والدين ، بها يصلون على المصلحين ، ولو كانوا يقارعون الدليل بالدليل ، ويصارعون البرهان بالبرهان ، لظهر للعامه سوء حالهم ، وقساد أقوالهم وأفعالهم ، ولكان للمصلح على انفرادهم ، وضعف أنصاره وأعوانه ، ما يغلبهم به على عزه سلطنتهم ، وعظم شأنهم ، لان الحق نصيره ، والفطرة البشرية عون ، لو لأنهم يفسدون بها ألبانهم ، ويحولون بينها وبين نور الاصلاح بغير سلطانهم » وقالوا لانتموهوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلمكم تغلبون»

أظهر دلائل الحياة في الامة النول والنمو في أسباب الارتقاء من العلوم والفضائل والأعمال العمومية فلا يموت فيها شيء بموت القائم به . وأظهر دلائل الموت العقم والتحلل في ذلك فلا يكاد يذهب منها شيء من الخير ويخلفه مثله وانما يموت العلم بموت العلماء والفضل بموت الفضلاء حتى تبقى حالة بهم تبطل الامة

لا تنزع روح الحياة من الامة بما يمرض عليها من الامراض الا اذا فتكت هذه بمزاج الامة الجامع لافرادها واذا كان مزاج الجسم يتألف من أمشاج متعددة كالدم والذهب والفضة فمزاج الامة الاجتماعي يتألف مثله من اصول متعددة كالنسب والجنسية والدين والحكومة لذلك ترى الباحثين في اصلاح الامم الفاسدة المزاج يختلفون فيقول بعضهم ان الامة لا تحيا الا بترية النساء التي هي الاصل في صلاح البيوت ويقول آخرون إنها لا تحيا الا بتقوية الرابطة الجنسية التي تكون باللغة أو الوطن ويقول غيرهما ان الاصل في الحياة هو الاصلاح الديني — على ان الدين عند المسلمين حاكم في كل شيء فاصلاحهم من جهة اصلاح لكل شيء — ويخالفهم مخالفون قائلين بل الاصلاح انما يكون بصلاح حال الحكومة لان السياسة هي المدبرة لكل شيء . والصواب ان معالجة كل ما فسد من الاصول التي يتألف منها المزاج مما لا بد منه لشفاء الامة وجعلها في عداد الامم الحية . ولكن يقال ان هذه الاصول ترجع الى اصلين الامة والحكومة أيهما يصلح بسهل عليه اصلاح الآخر ولكن ما يجي من جانب الحكومة يكون أسرع ، وما يأتي من الامة يكون أدهم وأثبت ، وقدينا ذلك في السنة الاولى من سني المنار ، وسنشر في الاجزاء الآتية مقالات في أنواع الحياة النسبية أو الزوجية والمالية والجنسية والسياسية ونبين كيف يكون الاصلاح فيها والله الملمم للسداد

أثر علماء الأزهر في مصر

رأي عالم أزهري في العلماء وحالهم في مصر

وصف مؤلف كتاب العلم والعلماء العالم الديني المسلم بأنه المرشد إلى مصالح الدنيا وطريق الآخرة وما قاله في ذلك (ص ٨) : « بينما نجد في درسه يقرر حقيقت المسائل في العلوم المختلفة تجده قد خرج يخاطب الناس على اختلاف طبقاتهم كأنه واحد منهم يرشد هذا بالعبارة وذاك بالإشارة، هذا بالأحاديث وهذا بالآيات، هذا بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والاكتشافات، طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين، وطوراً يحاكي فلاسفة اليونان وحكماء الأوربيين، » الخ

وقال في (ص ٩) : العلماء لا تحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن بل هي على الحقيقة أعم من ذلك وأشمل وأنفع . وظيفتها لها دخل في سائر الأعمال والأحوال، وترتبط بسائر الأمور الدنيوية والأخروية، لأن العالم يعتبر مؤسس المبدأ الذي يسير عليه الإنسان ويبنى عليه سائر أفعاله المتعلقة بالمعيش والمعاد . وواضح الخطأ التي تجري عليها الأمة في سائر شؤونها للادوية والادبية وغيرها :

ثم ذكر أن للتعليم ثلاث مراتب أو لها تعليم صفات المسلمين في المدارس الابتدائية المسماة بالمكاتب وثانيتها تعليم جمهور الناس وثالثها التعليم العالي في نحو الأزهر والجامع الاحمدي . ثم قال في علماء مصر (ص ١١) ما نصه : « ولكن من موجب الأسف أن علماءنا أعرضوا عن المرتبتين الأولىين ولم يعيروها أقل التفات مع أنهما من أهم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم الأمة وحسن نشأتها في امري الدين والدنيا بل هما اللذان ينبغي أن يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينية ويضعون فيه الأعمار من غير أن يعود على الأمة منه فائدة تذكر . على أنه في الحين الذي يأنف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين أرى أنهم لا يمكنهم أن يقوموا بهما حتى القيام » الخ

ثم ألم بفائدة الإرشاد وتعليم العامة وقال (ص ١٢) : وما يوجب الأسف أن

هذه الوظيفة السامية لا يقوم بها العلماء الآن أيضاً وقد بني على إهمالها ما نراه من النقص العظيم وعلى قواعد هذا الإهمال ثبتت جذرائه القوية التي قد (لا) تهدمها إلا معاول القدرة القاهرة والروح الإلهي إن شاء الله تعالى هـ

ثم قال في (ص ١٧) : «ولم يكن من العجب العجيب أنهم أهملوا الآن هذا الواجب وأعرضوا عنه فكان من نتائج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك حرمة الشريعة حتى فيما يرجع إلى مصالح هذه الحياة الدنيا . بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانحياز أمر الدين حتى كاد يعد من الأحوال الشخصية والأمور الاستثنائية التي تختلف باختلاف المشارب والأذواق»

ثم قال في ذلك بعد كلمات في أهل الطريق : «فوا أسفاه على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . واأسفاه على تركة الإسلام التي تفرقت أيدي سبياً في أيدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل ونسوها وشوهوها حتى صارت في ظاهر الأمر من المعاني السافلة والأمور الدنيئة . الخ

وقال في الكلام على الكمال في الملكات والوجدان (ص ٣٣) : «وإنما نرى بأعيننا من العلماء المشهورين الذين أحرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا من الرؤساء من ينقصهم هذا المعنى وإن ملكاتهم ووجداناتهم النفسية دنيئة ناقصة تبين صراحتهم الرسمية وتضاد منزلتهم بين الناس وأنهم لا يزال لهم من الصفات الناقصة ما يحيطهم عن أكثر الناس وإن كان ذلك لا يترأى إلا لمن يعاشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقد يبنى على ذلك صدور أعمال منهم تعد من الأعمال التي تورث النقص العام وتوجب العار الفاضح للامة والدين والشواهد على ذلك كثيرة»

إننا وإن كنا نريد بيان رأي هذا العالم الأزهرى ابن العالم الأزهرى في وصف العلماء دون انتقاد أو امتحان لا يسعنا إلا أن نستدرك عليه ونقول إن في هؤلاء العلماء من يعد نفراً للعلم والدين بعلومهم وشهامة أنفسهم وعزة الدين ووقار العلم كما يشهد العدو والصديق والقريب والغريب وكان ينبغي أن يصرح بذلك هنا

ثم قال في فصل «الكمال في التنوير والتأثير» وشدة حاجة العالم إليها (ص ٣٣) :

« أصبح علماؤنا اليوم فاقدين كل شيء من معنى النفوذ والتأثير عاثرين عن سائر موادها ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه . لا اقول فقدوا النفوذ والتأثير فقط بل واكتسبوا صفة الاستتقال والاحتقار من اكثر الطبقات العليا حتى كاد يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم مكذبا والنصح منهم غشا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ولو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهداة العالم واوهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبنائهم اولا كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس (لانه استبدل بهذين اللفظين ما هو انزه منهما) وان من يتبعهم كان اقل القليل فاذا ما اكتسبوا قوة النفوذ والتأثير انعكس الامر واقبل الناس عليهم ودخلوا في دين الله افواجا وأوهم بعين غير الأولى كأنهم ليس هم اولئك الاولون (كذا) ذلك لان الناس دائما امراء العادة عباد المظاهر ايمانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم دائما لا يستمعون الا لمقال من يكتب صفات الاحترام العام ولا يرضخون الا لمن يحرز قوة النفوذ (١) واذا كان الامر هكذا فلم لا نكتسب هذه القوة لنتمكن من نشر الحقائق الاسلامية ونوصل الى إعلاء كلمة الله ثم لم لا نكتسبها وهي التي ترفع الانسان من الطبقات السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

« ما هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده واحدا منا انظر لما اذا علا دون أمثاله ولم وصل الى ان صار صاحب الرأي الاعلى في سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند اكثر اهل الطبقة العالية حتى امكنه ان يسود اكثر الذين يفضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر عند الناس كأحد الطلاب . اشئ جاء (بالصدفة) ام هذا نتيجة العمل والاجتهاد ؟ لا جرم ان هذا كان اولا نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان وإتقان العمل وذلك حصل له مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة اكتسبته نفوذا آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد تمكن بهذا وذلك ان يرأس العلماء وتكون له كلمة التصرف حتى على شيوخه ومن

(١) العامة تستعمل الرضوخ بمعنى الخضوع والامتثال وهو المراد هنا والا

فالرضخ في اللغة هو المطاء القليل ولا يصح في هذا السياق

يعضونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويأبى دعوته كثير من الناس وهو لودعا اليها في بدء نشأته ما اجتمع اليه أكثر المجتهدين حوله الآن اه
ثم أطال في وصف الشيخ ونفوذه بما لا حاجة الى ذكره وقد ذكرناه ليعلم القارى
ان المؤلف لم يكتب الا ما يعتقدو انك لم يعمم الا واستثنى .

ثم انه انتقل الى الكلام على (الكمال في الفعل) فانتقد عادات العلماء وذكر من يخالفهم لما عده كمالا ذلك لاسباب طلم في حفلات التثريفات وتشجيع الجوائز والجماع وفي مجالسهم الخاصة الخاصة وفضل عليهم سائر الفرق . وفقى ذلك بذكر (التور العام) اي المشاركة في فنون العصر وحال البشر في عامة شؤونهم وقال في (ص ٤٢)

« لكن هناك من العلماء من يرى تورهم قاصرا على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لا يمكنه أن يخوض مع انسان في حديث ما في ثقته وان جلس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه بل اما سكوت واما كلام تمجده الاسماع ويأباه الطبع السليم اه

ثم تكلم في مطالعة الجرائد والمجلات وقال (ص ٤٣) : « هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد ككذب لا تجوز قراءته وهو رأي واضح الفساد فان عدم قراءة الجرائد تجعل الانسان في انحياز تام عن العالم وبيداعهم كانه ليس على ظهر البسيطة وتجهله ايضا مستقلا محقرا في أعين المتورين كما يحتقر الجاهل بأبسط الاشياء حتى انهم ليمدون مخاطبتهم له تنزلا وبجاراتهم واحترامهم له تفضلا لانه في أعينهم رجلا بسيط لا يعرف الأحكام الدين ولا يدري ما عليه الناس » ثم قال في المجلات خاصة : « ومن أهم ما يجب الاطلاع عليه أيضا المجلات العلمية كالمقتطف والهلال والنار فانها تطلع الانسان على معلومات لا يستغني عنها العالم وحذا لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية وإرشاداتهم المفيدة » اه وللاقل بقية

﴿ تقويم المؤيد لعام ١٣٢٣ ﴾

هذه هي السنة السابعة لهذا التقويم المفيد الذي يؤلفه محمد أفندي مسعود المحرر بمجريدة المؤيد وقد صدر في أول المحرم مطبوعا بمطبعة الجمهور وهو فيما صار اليه من الشهرة، وما صادقه من الإقبال والرغبة، غني عن التقريظ له والترغيب فيه الا أن يذكر ذاكر بعض ما عتاز به في كل سنة عما قبلها وقد يستغني قراؤه ومتتبعه عن ذلك بما

عرفوا من فوق مؤلفه في حسن الاختيار ومنه أن فتح في هذه السنة باب الحرب الروسية اليابانية واسعا ذكر فيه ملخص تاريخها وأكبر ملاحمها وأشهر مواقعها وصور قوادها في البر والبحر . وفي غير هذا الباب من التطويل في المسائل السياسية ما لا يستغنى عن معرفته وفي باب التاريخ فصل طويل في تاريخ تونس ودولها من بين بصورة البايع السابق رحمه الله والبايع الحاضر وفقه الله . وعن النسخة منه خمسة قروش ماعدا أجرة البريد ويطالب من المكاتب المشهورة .

باب المشيخة والأزهر

الأزهر - مشيخته وإدارته

ما كانت مشيخة الأزهر في زمن الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من الأحكام كما تراها في هذه السنين فقد تناول العزل والأبدال شيوخ هذا الجامع عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونة باتفاق الحكومة مع الأمير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المتن فاختار الأمير للمشيخة الشيخ سليمان البشري ثم عزله بمحض إرادته وولي مكانه السيد عليا البيلوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولى الأمر كما يقال وفي هذا الشهر استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة وتلا الشيخ البيلوي في الاستقالة من مجلس إدارة الأزهر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ عبد الكريم سلمان أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا والسيد أحمد الحنبلي شيخ رواق الخطابة وكان سبق الشيخ وهؤلاء الأعضاء في الاستقالة من إدارة الأزهر الشيخ أبو الفضل الحيزاوي عضو المالكية والشيخ سليمان عبد عضو الشافعية والعلامة في استقالة الجميع واحدة في الحقيقة لا يسمح لها هذا الوقت بغير شعار التاريخ لا ينسى شيئا

أما الشيخ حسونة فكان من علماء الأزهر الذين علموا في مدارس الحكومة ووقفوا على شيء من نظامها وكان الغرض من جعله شيخاً للأزهر وجعل الشيخ محمد عبده معه في الإدارة تغيير نظام التعليم وترقيته فيه . وأما الشيخ سليم البشري

فهو من علماء الدرجة الأولى وقد ولي في وقت تألب المشايخ على الحكومة في مسألة المحاكم الشرعية المعروفة . وأما السيد علي البيلاوي فقد ولي لشهرته بالصلاح بعدما استشار الأمير الحكومة في نفر من أشهر الشيوخ فلم يرض أحداً منهم وقد كان أقدر من سبقه على الإدارة حتى أن أولي الأمر وأهل الفهم قالوا ما كنا نظن أنه يوجد في هؤلاء المشايخ الذين لم يزاووا الأعمال الإدارية ولم يعتنوا بالاطلاع على أمور العالم مثل هذا الرجل . وأما الشيخ عبد الرحمن الشريميني فهو مشهور بالعلم والصلاح والزهد وقد عرضت عليه مشيخة الأزهر من قبل غير مرة فلم يقبلها على أنها منتهى ما يطمح إليه علماء هذا الجامع من الرياسة . وقد عجب الناس من قبوله في هذه المرة ويقال إن الناس الذين كانوا عاتين باستقالة السيد البيلاوي قبل وقوعها وقبل ظهورها كانوا يرغبونه في ذلك ويقال إنه لم يرض إلا بعد صدور الأمر بتوليته والله أعلم أي ذلك قد كان . وقد كثر القول والقبيل وتباينت الآراء في خطئه والصواب أنه لا يؤخذ بشيء مما قيل ولا مما يقال ، حتى يعرف السير وتشاهد الأعمال . ونسأل الله تعالى أن يوفقه لما فيه مصلحة هذا الجامع ومصلحة الإسلام وإن يشاء أزره بقربنا الخير والله على كل شيء قدير .

غرض الحكومة الخديوية من الأزهر

قد شاع وذاع أن سمو الأمير اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم الحكومة من الأزهر شيان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة الشرعيين . ولما كان التعليم في الأزهر غريب كاف لتخريج القضاة الذين تصلح بهم حال المحاكم وينفذ حكم الشريعة عازمت الحكومة الخديوية على إنشاء مدرسة خاصة لتخريج القضاة يتأون تلامذتها من طلبة الجامع الأزهر ولم يكن أحد يصدق هذه الاشاعة لولا أن المؤيد ذكر أن الأمير قال ذلك في كلامه الذي خاطب به مشايخ الأزهر في حفلة إلباس الحلبة للشيخ الشريميني ووافقته المقطع في مقامه وأسندته إلى أولياء الأمور وقد كثر التساؤل بين الناس عن سبب استقالة الشيخ محمد عبده من إدارة الأزهر على عنايته المظيمة بخدمة الأزهر وحرصه على تخريج رجال فيه يقدرون على خدمة الشرع وتأييد الدين ، وكان ينبغي أن يكون أول سبب يخطر في البال بعد الاطلاع على تلك الأقوال ، هو بلوغ الشعب في هذه المدرسة غايته ومثله من رجال

الجسد لم يخلق للعب بالشغب ، بدون فائدة نكافي ، إتفاق الوقت في التنب . ثم استكفاؤه بنساية اولياء الأمور بتربية جماعة من طلبة الأزهر في مدرسة خاصة لينتخرج منهم أساتذة وقضاة وهو شيء مما كان يميل إليه ، قد تفسر الوصوب إليه ، ويقول المقطعم ان الحكومة ستسيطر بالشيوخ محمد عبده وفق الديار المصرية أصري هذه المدرسة فان صح ذلك فحسبه تربية البعض من الكل على ان تركه لإدارة الأزهر ليس للأزهر كله فانه شيخ رواق الخفية وهو أكثر الأروقة طلاباً فهو بيت فيهم النظام ويرشد هم الى روح العلم والدين وهذا بعض آخر من كل و كل ميسر لما خلق له ،

﴿ مقام الافتاء ﴾

جرت العادة في هذه البلاد وفي سائر بلاد الدولة الملية أن المفتي يجعل داره ممهداً للافتاء وقد كان الشيخ الصامي مفتياً وشيخاً للأزهر وكان مع هذا يفتي في داره . ولكن الشيخ حسونه النواوي لما صار شيخاً للأزهر ومفتياً جعل محل الافتاء في الأزهر لانه محل عمله وكذلك فعل الشيخ محمد عبده فانه لكثرة شغله في إدارة الأزهر رلكون داره في خارج القاهرة أبقى محل الافتاء حيث وضعه الشيخ حسونه من الأزهر ولما استقال في هذه الايام من إدارة الأزهر رأى انه لا معنى لبقاء محل الافتاء في الأزهر فمزم على اتخاذ محل آخر له ويقال ان الحكومة ستبني له مكاناً في نظارة الحفانية

﴿ المعرض الزراعي ﴾

ما ارتقى الناس في عمل من الاعمال الا بمحاولة المتأخر ان يفوق من قبله في عمله ولان يحاول أحد أن يفوق أحداً في شيء الا بعد اطلاعه على منتهى ما وصل اليه وبمحة عن أسباب ارتقائه فيه . والمعارض أكبر معين على اطلاع الناس على غاية ما وصل اليه الناس لذلك عنت الامم الحلية بهذه المعارض فجعلت في بلادها معارض عامة ومعارض خاصة بالزراعة وبالصناعة وبعض فروع العلوم والاعمال . وقلدها الحكومة المصرية في المعرض الزراعي إذ كانت هذه البلاد زراعية قوام معيشتها الزراعة . وانك لتري هذا المعرض يتقدم وتكثر المعروضات فيه ويستفيد الزراع منه عاماً بهد عام . وقد كانت المعروضات في هذه السنة أكثر منها في غيرها لاسيما الآلات الزراعية لا محترث

والفرق والسقي والنقل حتى أن محل أورنستين كابل مد في ميدان الممرض سكة زراعية
سبر عليها القطارات بهيئة وجهت إليها الأنظار .
تعرض في هذا المعرض كل سنة الآلات والأدوات ، وكذلك الأسمدة ونتائج
الثقالات ، وتعرض الانعام والحيل والخير والبالغ ، وقد عرض محمد أفندي صالح سليمان
أنواعاً من الأخشاب المصرية الجميلة ومصنوعات محله منها قنات الجائزة الأولى ، وتعرض
فيه أيضاً آلات الخياطة والتطريز ، وعرضت فيه في هذه السنة الآلة الكاتبة بالعربية
وهذا وما قبله ليس من الأمور الزراعية .

(الشيخ عبد الباقي الأفغاني - وفاته)

لعت إلنا أخبار سوريا هذا السأخ العالم العامل التقى الذي عرفناه ونحن في
صبيان المكتب إذ كان يزور بلدنا في سياحته ويقم فيها أياماً ، وصرت السنين عليه ولم
ز تغيراً في سيرته المحموده . وكان له حسن ظن في منشي هذه المجلة حتى كان يقول :
ان علم رشيد لدني ، وقد كتب إلنا بعض من عرفه وأخذ عنه ما يأتي نسيا وترجمة :
فضل الحياة لا ينكره الا حلفاء أو هام وسفسطة قد عمي عليهم فيها سبل النظام
الكوني البديع الذي تدور السعادة الانسانية على محور العلم والعمل به من غير هوس
بالتقريب عن غير النافع والضرار لكن العقلاء في فلسفة الحياة مجمعون على أمر ومختلفون
في أمر والوهميون السوفسطائية لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، يجمع العقلاء على أن الحي
يجب عليه إيفاء شكر لواهب الحياة ويختلفون في طرق إيفاء هذا الشكر وكل مذاهيم
المختلفة تؤدي الى نقطتين متقاربتين ولكن بينهما سد ثخين من الاصطلاحات والأوام
وبُست هي من سد بين البشر القرباء فان الاكثرين لم يتمكنوا من هدم هذا السد
إما لعدم مساعدة علمهم وإما لعدم مساعدة ظروف حياتهم (النقطة الأولى) شكر الله
بقبول دعوته الى المائدة التي وضعها للأنام والرضاء عن كل خادم بهذه المائدة . (النقطة
الثانية) شكر الله باللسان بتكرير الثناء عليه مع عدم الالتفات للمائدة ولمن يبسها البتة
فلا يتناولون منها الا النافه وكثير منهم يرون أن يسبوا المائدة والذين يتناولون منها
أما تقارب النقطتين فلان كلا من السائرين يرون هذه المائدة حاضرة فيها من كل

الأنواع ويعرفون النبي أعدها ويعلمون أنه لا بد من التناول منها وأنه لا بد من شكر هذا الكريم العظيم . وأما السد الذي يذهبهم فهو أن الشكر هل هو بقول المرء أمدحك يا واهب أمدحك يا واهب أمدحك يا واهب ملايين من المرات أو بتسميم المرء مقصود الواهب من تلك الطبة فتعريف الشكر بأحد التعريفين هو من الاصطلاح وهو ذلك السد ومن وراء هؤلاء كلهم من ليس لهم إلا صورة بشرية لها من الحياة مالمئات أنواع الحيوان منها فليدسوا عن تتكلم بهم .

ونحن لم نرد في هذا الموقف الآن أن ندل على مسلكنا بهذا الشأن ولكن قد منا هذه الكلمات لنقول إننا نحترم العقلاء مهما اختلفوا وكيفما كانوا ولهذا يؤسفنا نقضاء حياة كبارهم ويجدر بنا أن نعلن أسفنا لهم . إن تذكر محاسنهم بعد ما يودعوننا ويسبقوننا بذلك الرحيل الأبدى . وكل ذلك تقدمه امام نعينا الأستاذ العالم الزاهد الورع الشيخ عبد الباقي الأفغاني الذي يعرفه أكثر قراء « المنارة » في سوريا .

كان الأستاذ من الزاهدين الصادقين في زهدهم لأبحاري في ذلك من عرفه فمن كان ممن ينتقد الزهد يطالبه أن لا ينتقد هذا الزاهد الذي كان كبير العقل فإن زهده قد أعانه على رحل طويلة بث فيها العقليات بقدر الامكان فأكرم بزهد يثمر مثل هذه البذرة في مثل هذه البلاد .

نشأ هذا الفقيد (الذي عز على عارفه فقده) في « بشاور » ثم رحل في غضاضة شبابه إلى « واتفور » وهناك أكمل تحصيله على المفتي سمد الله وأخذ يدرس هناك نحواً من خمس وعشرين سنة من بعدها قصد الحجاز وفي عودته رأى في البلاد الشامية نقص العلوم العقلية فبعد تردد طويل رجح لديه أن يدرس في بعض البلاد من غير أن يقيم في بلدة واحدة فطفق يسبح في البلاد من شبالي ولاية حلب إلى الولاية الحجازية وكانت جل سياحاته مشياً على أقدامه كان يقيم في البلدة أو القرية شهرين ثلاثة - أقل أو أكثر - ثم يرحل عنها لغيرها وحيث وجد شبانا مستعدين للعلم يرشدتهم إلى سبيله بقدر معارفه . مكث على ذلك أكثر من عشرين سنة ثم انقطع عن التدريس البتة وكان يحب أن ينتشر علم أصول الفقه ولخص فيه أوراقاً على الطريقة المألوفة وفي آخرات هذه الحياة التي مرت بالعلم والتعليم بمبلغ العلم اقام في حمص ثلاث سنين وهناك اتاه اليقين ورحل الرحلة الأبدية يوم الجمعة رابع المحرم ١٣٢٣ وكان لخجازته احتفال يفوق الوصف عليه الرحمة ولطافه جزاء أسفهم على فضله .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٥ هـ
أوتيت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارا » كنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة صفر سنة ١٣٢٣ — ٦ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

﴿ الحياة الزوجية ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (سورة الروم ٣٠)
«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ» (سورة النساء ٤)
الأزواج تلد الافراد ومن الافراد والازواج تتألف الأمم والشعوب . مجتمع
فردان فيكونان زوجاً ولفظ الزوج يطلق على كل واحد منهما لان الزوجية تحققت
به للآخر كما تحققت بالآخر له فالزوجان كونا حقيقة الزوجية فهما حقيقة واحدة
ظهرت في صورتين : وروح واحدة انبثت في جسدين ، وبناء واحد أقيم بركنين .
بل هما حقيقة الانسانية الكاملة وكل واحد منهما جزء لها لو وجد وحده لما وجدت
الانسانية ، ولو هدم بناء وحدتهما بهد وجوده لما بقيت لها بقية : « خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء »

هؤلاء الرجال والنساء الكثيرون هم الأمة فالأمة أثر الزوجية وحياتها العزيزة تابعة للحياة الزوجية فإذا كانت البيوت التي يعمرها الأزواج ويبتون منها الأفراد في عيشة راضية وحياة طيبة خرج منها أولئك الأفراد أحياء وكوّنوا بيوتاً يكون مجموعها بلاداً ومدائن وقرى ومزارع يطلق على عمارها لفظ الأمة، والمكوّن من الأجزاء الحية يكون حياً بحياتها، فالحياة الزوجية الطيبة هي الأصل في حياة الأمة والنظر في الأصل مقدم على النظر في الفرع

الفطرة البشرية هادية إلى الزوجية بكمال مناساتها وإلى أثرها في نفس الزوجين وفي آلهما وفيما يرزقان من الولد فهي تسوق كل رجل إلى طلب الأزواج بامرأة وكل امرأة إلى قبول الاتحاد مع رجل وهي التي تربط قلوبهما وتخرج تقسيماتهما وتوحد مصالحهما وتجعل الصلة بينهما أقوى من كل صلة بين اثنين في هذا العالم حتى يسكن كل منهما إلى الآخر عند كل اضطراب، ويأنس به ما لا يأنس بالأهل والأصحاب، وهي التي تقلل المودة منهما إلى أهل كل منهما حتى تكون كل عشيرة عروناً للآخرى على دفع مضار الحياة وجلب منافعها، وهي التي تربي عاطفة الرحمة فيهما بالتعاون على تربية الولد فتتمو هذه الرحمة فيهما حتى يتفجع بهما من يعجز عنهما عن مساعدة الآخر في الشؤون المشتركة لضعف أو عجز فيرى عاطفة الرحمة قد نابت عن عاطفة سكون النفس إلى الإتيان عن الاحساس بالحاجة إلى التعاون

لكن الإنسان قد أعطي من القوى ما يمكنه من التصرف في الميل الفطري فيجعله عن جادته ويسلك به الجاهل والشعاب فيضل ويردى، لذلك بنى الرجال على النساء في عصور لا يعرف التاريخ أولها واعتزوا عليهن بالقوة حتى أنهن بالكيد والمكر والكذب والخلافة والتصنع والدهان فأشققوهن وشققوا معهن في أنفسهن وفي أولادهم ففسدت حالة البيوت، وساءت بها حالة الأمم والشعوب، فجاء الدين مرشداً إلى الرجوع بالفطرة إلى جادتها، بل العناية بتكميلها وترقيتها، ثم بنى الدين كما بنوا في الفطرة حتى عميت علينا معالم أكثر الأديان، وحسبنا ما حفظناه من هداية القرآن، يدفع الرجل لضم حقوق المرأة بدافع الاحساس والشعور بقوة طلبها وحاجتها إليه ودافع الاعتقاد بأنه سيدها وهي خادمتها المسخرة أو متاعه المملوك، فأما الشعور

بالقوة فهو آلة البغي في البشر ولولا أن للرجل شعوراً آخر بحاجة إلى المرأة وميله إليها يعارض ذلك الشعور الدافع إلى البغي عليها فيكسر من سوره لكان البلاء أعظم والشقاء أشد . وكان يجب عليه أن يحمل عقاله مؤدباً للشعور الدافع إلى الشر ومؤيداً للشعور السائق إلى الحسنى لولا ما يمرض للعقل من الخطأ في الاعتقاد فيخرج به عن الصواب إذ يعتقد أن له الحق في أن يعامل المرأة بما يسوقه إليه طبعه الفاسد ورأيه الباطل . ولا مساعدة في الزوجية ولا الأمانة إلا إذا صح اعتقاد الرجال فعلموا أن المرأة هي شطر الحقيقة الانسانية والرجل هو الشطر الآخر وأنه يجب أن يكون كل منهما متمماً لعمل الآخر في الوجود فيما يشتركان فيه وعوناً له على ما تختلف فيه وظيفتهما مع ملاحظة جهة الوحدة كما تساعد إحدى اليدين أختها وتم كل من الرجلين سعي صاحبها وكما يؤدي العقل وظيفته الفكر والقلب وظيفته الشعور والوجد وكما تسمع الأذن وتبصر العين والقرص من عمل كل عضو واحد وهو مصلحة الشخص . فإذا قام بناء الزوجية على هذا الأساس كان بناء الأمة - الذي يتألف من الأزواج والافراد التي ينسلها الأزواج لتكون أزواجاً في البيوت متفرقة وأمة في البيوت مجتمعة - بناءً محكماً رصيناً إذا فسد الشعور القلبي والاعتقاد العقلي في الأمة فقضت ما أبرمتها القطرة من ميثاق الزوجية حتى صارت المعاملة بين الأزواج كالمعاملة بين التجار والصناع والاجراء يؤدي كل واحد من حقوق الآخر ما يمكنه من استخداؤه مع ظلم القوي للضعيف ومكر الضعيف وخداعه للقوي فالواجب المبادرة إلى معالجة هذا المرض فإن انتشاره في الأمة وباء مجتاح، وخسران لا يرجى منه نجاح، لأن من يضع حقوق أشد الناس صلة به بل من كان متمماً لمعناه وحقيقته ومسوقاً هو إلى حبه بمقتضى غريزته فكيف يرجى أن يقوم بحقوق من لا يتصل به إلا بصلة بعيدة هي فرع تلك الصلة القريبة؟ وإذا لم يتم كل فرد من الافراد بما عليه من الحقوق الخاصة والعامة فكيف تكون الأمة وتحدد على دفع الأذى، وتعاون على المصالح حتى تبلغ المدى ؟

معالجة النفوس أعسر من معالجة الأبدان ومعرفتها أغرض وأدق، والاحساس بالامراض الروحية أخفى من الاحساس بالامراض الجسدية، لذلك كانت الامراض الروحية في الافراد والجماعات أكثر من الامراض البدنية

لا يتم علاج النفس المريضة إلا بإصلاح العقل والقلب معاً وذلك بإقناع العقل بما تقدم الأوامر إليه من معنى الزوجية ومكانة كل واحد من الزوجين من الآخر وتربية شعور القلب ووجدانه تربية صحيحة مبنية على احترام ذلك المعنى وإكباره ليكون الوجدان مؤيداً للفكر والاعتقاد بأن تحقق معنى الزوجية وقيام كل من الزوجين بحقوقها من أركان السعادة التي لا تبنى إلا عليها . فأما تربية الكبير على ذلك فهي بتفهمه أو متعصمه وأما إقناعه بذلك فهو سهل على العارف به ولكن فائدة العلم بغير إقناع النفس وشعور القلب قليلة الجدوى

إذا كان انشائي على فساد الأخلاق وسوء الفعال لا يستطيع أن يقوم من نفسه عوجها فيعامل زوجه بالحسنى التي هي أثر سكون النفس وحب القلب فهذا لا يدل على أن المسلم بمعنى الزوجية والافتناع بحقوقها لا يكون نافعاً بدون التربية على هذا العلم حتى يصير وجداناً وشموراً فإن العلم الصحيح ينزل الوجدان الفاسد ويبعث صاحبه على مقاومته بالتكليف حتى يزول إذا لم يكن راسخاً ولا ضعف أثره وحسنت الحال في الجملة ولذلك ترى حياة الزوجين العالمين الفاضلي الأخلاق هنا من حياة الجاهلين الفاسدين أو أقل نقاء ونفصاً . ذلك بأن العالمين تجيب كل منهما إلى الآخر حتى يصير التكليف حباً أو تكون له أكثر ثمرات الحب وكذلك يبقى كل منهما ما يسيء قريته بمقاومة طبعه ومغالبة ميله فتكون لهما صورة الحياة الطيبة وكثير من معانيها . ثم إن الزوجين العارفين بمكان الزوجية وجوب مساواة الزوجين فيما عدا رئاسة المنزل وزعامة المشيرة بريان من يرزقان من الولد على ذلك عسى أن يتم لهما في ولدهما ما فاتهما من السعادة في نفسيهما . ولولا أن العلم يكون وسيلة للتربية النفسية التي يتجد بها القلب مع العقل لما رأيت مصلحاً يظهر في الأمة الفاسدة الأخلاق يدعوها إلى التربية كما ترى في أممنا الآن إذن نحن في حاجة إلى العلم بمعنى الزوجية وحقوقها والشروط التي تتم بها حقيقتها حسبنا في بيان معنى الزوجية وثمراتها والآية التي صدرونا بها هذا المقال وفي حقوقها بعض الآيات الذي يلهم تفيد الآية أن أركان هذه الحياة ثلاثة أولها سكون كل من الزوجين إلى الآخر فإن المراد بالانفس في الآية الجنس والمراد بالزواج ما يعم الرجال والنساء . فالحكمه الأول للزوجية أن يكون لكل من الزوجين وجود آخر من جنسه يسكن إليه من اضطرابه

ومنارات الاضطراب في هذه الحياة كثيرة وأنواع المتاعب فيها غير معدودة وما اخترع
الناس أنواع الملامى واللعب الا ليقاوموها على أن اللعيب شأن الاطفال لا شأن الرجال وان
سكون الزوج الى زوجه وأنس الانسان يشقى نفسه وروحه وشريكه في جميع شؤون
حياته لما يذهب بكل اضطراب ويزيل كل وحشة اذا تحققت الزوجية بكامل معناها .

يقول المفسرون ان الله - في أنس كل من الزوجين بالآخر الجنسية كما يعطيه ظاهر
اللفظ في قوله : وخلق منها زوجها ليسكن اليها وهو صحيح عقلا وطبعاً فقد خلق الله
في كل من الزوجين الذكر والانثى جاذباً بجذبه الى الآخر لا أجل ان يتحد به وقد يكون هذا
الجذب والانجذاب في بعض أطوار العمر مهما لا يتصور صاحبه انفاة الفطرية من ذلك
الاتحاد وهو أن ينشأ عنه وحدة أو وحدات أخرى من الجنس بل ولا مقدمة هذه
الغاية أيضاً . ولكن هذا التعليل لا يصدق على إطلاقه في الوجود الخارجي كما يعقل في
الوجود الذهني لأمع كل زوجين ولا مع أكثر الأزواج كما قيل فان الباحثين في حياة
الحيوت يقولون إنه قلما يوجد زوجان سيدان كل واحد منهما مقبوض بالآخر راض به
يسكن اليه من اضطرابه ويصفيه حبه ورده ظاهراً وباطناً على أن هذا هو غاية الكمال
في سعادة الحياة الزوجية وأنى للأكثرين أو الأقلين بالكمال في هذه الحياة .

والصواب أن أكثر الأزواج في البشر يسكن بعضهم الى بعض ويودعه مهما كانت حالهم
من فساد الفطرة وسوء الأخلاق والجهل بقيمة الطمأنينة والسكينة في الحياة ولكن هؤلاء
الأكثرين منقصات في حياتهم هذه لها أسباب تختلف باختلاف البلاد والأسم وباختلاف
الأفراد في التربية والعلم والأخلاق والأفكار واستقصاء هذا لا يكون الا في كتاب مستقل
يكون فيه باب للأزواج في القبائل البدوية وفي البلاد التي تقرب حال أهلها من حال البدو
في السذاجة وقلة الحاجة وتقارب النساء والرجال في الأدب والمعرفة . وباب لأهل الحضارة
العالية التي عم التعليم والتربية جميع أفرادها أو أكثرهم . وباب أوسع للبلاد المنذبذة
التي بعدت عن سذاجة الفطرة ، ولم تصل الى شيء من كمال العلم والصناعة كالبلاد الشرقية
التي طاف بها طائفت المدنية الغربية فزلزل أخلاقها وعاداتها وعقائدها وأفكارها الأولى
ولم يبدها بذلك الأخلاق الغربية وما يتبعها فهذه البلاد أشقى بلاد الله تعالى وأبدها
عن سعادة الحياة الزوجية وما يتبعها فلك تجد أكثر الذين أصابهم هذا الزلزال في

حيرة من أمر الزواج قبل الاقدام عليه وبعد الوقوع فيه، ونحن الى الدخول في هذا الباب أحوج لانتنا في بلاد الزلازل عاثشون . ولأهلها في الأكثر مخاطبون وكاتبون ، ونكتفي منه في هذا المقال ببيان طرق اختيار الزوج وما يكون من ورائه

اختيار الزوج : جرى المعروف بأن يكون الرجل هو الذي يختار المرأة ويطلبها والاصل في الاختيار أن يكون للمصلحة وهي لا تحقق الا بصحة الجسم والتناسب مع الرجل في الاخلاق والعادات والميل والرغبة والاتحاد أو التقارب في الصنف والطبقة لان النفس لا تسكن وترتاح لمن يباينها في صفاتها وبخلافها في عاداتها . ولكن الناس قلما يحجرون على المصلحة الحقيقية في أعمالهم الاختيارية لأن اللهة عندهم ليس لها حدود طبيعية بقانون عتدها وانما تعرف الحدود بالشرع والعقل والشرع يؤخذ بالتعلم والاقتداء والعقل بموجب التجارب والاختبار لذلك تختلف الحدود في نظر الافراد وترى بعض الناس يبنون اختياره على الهوى والميل الى الجمال ، وبعضهم يحكم المصلحة ويجعل مناطها الجاه والمال ، فالأصل في اختيار المرأة عند الأمم الحماة الفاسدة الاخلاق هو الحسن والجمال اتباعاً لهوى النفس المستند ، او الثروة والجاه إيتاراً للمصلحة الموهومة

أكثر ما يقع التعخير بالحسن أو الاستحسان من طائفتين (أولاهما) الشبان الاغرار الذين يتوهمون ان عاطفة الهوى لمن رأى احدهم فاستحسن وأحب تدوم فاذا هو اقترن بمن أحب كان له نشوة سرور دائمة فيعيش مضبوطاً ناعم البال قرر العين يرى الملك ملكة والزمان غلامه وهيمات ما يتوهم ولكن أنى له ان يفهم ذلك وهو محكوم بشهوره ووجدانه تعبت به الخواطر وتقوده الاماني التي يولها عليه ذلك الشعور . ثم أنى له أن يعرف سيرة الناس الذين سبقوه في تحكيم الهوى واتباع لمحات العيون وطاعة هواجس النفوس فتزوجوا بمن استحسنوا وأحبوا ولم يلبث أن تحول الاستحسان استباحاً ، والحب العارض مقتاً وبفضاً ،

الحسن والجمال من لاعراض التي يسرع اليها الزوال . ثم أن سلطانها على القلب الواحد لا يدوم أو لا يطول الا اذا صار عشقا خيالياً يخطف القلب من عالم الحس ، وزج به في عالم الخيال . وهذا انضرب من العشق لا يكون مع ملكة الاستمتاع بالمحبوب ، على ان هوى الاغرار لا يتقيد بالحسن الرائع ، والجمال البارع ، قل لهؤلاء الاغرار ليست تلك

العاطفة الرقيقة التي وجدتكم ، عند إرسال الطرف الى الوجه الذي استملعتم ، هي أثرا طبيعيا لشيء ثابت في ذلك الوجه فتقولوا ان العلة تلازم المألول بل هي شيء كامن في النفس تحركه وتهزه في أحد الصنفين رؤية الآخر في صورة تعجب وفديضة ذلك الشيء في وقت ما وقد تمثل الصورة المحركة له او تعرض للمعين صورة أخرى فتبطل حركتها وتندسخ آيتها ، فالاعتماد في هناء العيش وسعادة الزوجية على الاستملاح والاستحسان الذي تحمده النظرة المعجلى اعتماد على ركن غير شديد .

والطائفة الثانية هي طائفة المترفين الذين لا هم لهم الا الاستمتاع والتفكر في الشهوات والذات وهم أعرق في البيهية من الطائفة الاولى لان الشاب الفير الذي يكثفي في اختيار الزوج بلمحة طرفه وخفقة قلبه دون الوقوف على أخلاق من اعجب بصورتها وخفق قلبه عند رؤيتها ولا على سيرتها وسيرة اهلها وعشيرتها ليعرف المنيب والنبات - قد يتفق أن تكون الفتاة التي اختارها مشاكلة له في طبعه قريبة منه في أخلاقه وعادته فيعيش معها عيشة راضية وتسكن نفس كل منهما الى الآخر ويقمان بإقامة هذا الركن الاول ركني الزوجية الآخرين - المودة والرحمة - بحسب حالهما وطبقتهما في الأمة .

واما المترفون الواقفون من الأمراء واهل الثراء ومن تسري اليهم - موهمهم بمن دونهم فهم اشقى الناس في يومهم وما اشقى نساءهم بهم . ذلك ان احدهم لا يلبث ان يمل من زوج بها حسنها او يستهويه حسن آخر فيهوي اليه وهيكذا يتبع مواقع الحسن الجديد ويوغل في المحرمات فلا يكون زوجا حقيقيا للاولى ولا لغيرها وانما هو شقي بشهوته ومشقى لمن يعمل به فان المرأة عنده اما ان تفسد كفساده فتكون من الذواقات وما أسهل ذلك على ذات الجمال البارع التي قلما يسلم مثلها مع تطلع القساق المترفين اليها واقتنائها هي بنفسها ، واما ان تعيش في نكد ، وتظل في كبد ، وكلا الأمرين شقاء للبيوت وشقاء للأمة - فهذا اجمال يكشف للمتفكر عن وجه الخطأ في جعل استحسان الصورة والاعجاب بالجسم اسلا لتخير المرأة زوجها واما جعله اسلا لتخير المرأة للرجل فذلك مما لا حاجة الى بيان فساد وخطأ الذهاب اليه

يقول قائلون ان النظر رسول القلب ، وان الاستحسان علة الحب ، والحب هو علة ذلك السكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية فان لم يكن عينه فهو علة

له أو أثر من آثاره. فما بالك تطلق القول في تخطيطه من بحكم استحسان الصورة وميل القلب في الاختيار كأنك تؤيد عادة مسلمي المدن الذين يتزوجون غالباً على السماع ، فافلا عما يتبع هذه العادة من التناثر بين الزوجين لأول وهلة ، وما يبرز آن به من الخصام والجفوة :؟ وتقول أننا قد بينا أن استحسان الصورة وميل القلب إلى ما يرضي العين عما لا يبقاء له ولا ثبات لما يبني عليه وإنما البقاء والثبات للحب الذي عتته تمارف الأرواح ومشاكلة الطباع ولا تنكر مع هذا أن حسن الصورة وجمال الحلقة له أثر عظيم في نفوس عشاق المصافي ربما يفوق أثره في نفوس عشاق الصور ولكنه عندهم في الدرجة الثانية بل يقرب في ذوقهم من المحسنات المارضة كالثياب والجلي ، فإن سليم الطبع لا تسكن نفسه إلى دوام مباشرة رث الثياب وسخها ، يأتي طبعه من العلمام الطيب في الآثاء الحليث . وإن من الناس من تشتمز نفسه وتتفر من بعض العيوب الخلقية فإذا هي فاجأته في وجه من اختيار له زوجاً يلبسه ويأزجه حتى يتحد معه أتم اتحاد يوشك أن تكشف نفسه انكاشاً يندمر معه الاتحام والائتام لذلك كان من السنة في الإسلام أن لا يتزوج المرء إلا بعد الرؤية وما جرى عليه المسلمون في أكثر المدن أوجيها مخائف الفطرة والشريعة جميعاً واسكن حكم المادات أقوى سلطاناً على نفوس الجماهير من كل حكم يخالفه .

على أن من يطلب الأزواج لأقامة سنة الفطرة ، لا مجرد ارضاء الشهوة ، ولا لاجل التقل في مهاد اللذة ، فقلما يخون الوصف رغبته فيما يحب من حسن الصورة وجمال الحلقة ، . ولعلنا لو احصينا عدد الأزواج الذين مفتوا أزواجهم استقباحاً لصورهن لما وجدنا فرقاً كبيراً بين من تزوج منهم عن رؤية ومن تزوج عن سماع فإن للرؤية نظراً خادعاً ليس معه الرؤية مجال ، والسماع يثبت فيه ويتروى حتى ينهي عن النظر في كثير من الأحوال .

ويقولون في انتقاد ما عليه أكثر مسلمي المدن من التشدد في الحجاب أن الحاجة إلى رؤية الرجل من يريد الاقتران بهما للوقوف على طابعها وأخلاقها وعادها ، أشد منها لمعرفة حسننها وجمالها ، بل لا بد لمعرفة الأخلاق والطباع من المعاشرة زمن أطول ولا . وتقول أن هذا هو الذي يظهر بإدي الرأي وأما ما يظهر بعد التدقيق والتحصين فهو

أنه يتعسر أو يتعذر على الشاب أن يعرف حقيقة أخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فإن ما يتنازع الفتاة من غروب الشهور والوجدان إذا كانت يرى من الفتى ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عندها صحيحاً لأن حججها طبيعياً استدلالاً على أخلاقها وسجاياها . ثم إن من وراء هذا الحجاب أو من أمامه حجاباً آخر صناعياً وهو ما يكون من التكلف والتصنع لتكون أمام الفتى بالمظهر الذي تظن أنه يرضيه ويجذب قلبه ، فالعمدة إذن في معرفة الآداب والأخلاق هي الوقوف على حال المنبت والمشيئة وخبر الصادق الذي يحسن التقدير ويميز بين ما يرغب فيه وما يرغب عنه . وقد يسهل على الخلطاء والخيران من العشائر أن يعرف قياتهم أخلاق قياتهم بالاختبار الصحيح إذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشعشع برغبة المختبر في تزوج من يلاحظ أحوالها ويتقيد أعمالها وقلما يكون هذا في المدن إلا بين الأقربين . وحدثني السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله) أن أهل الاستانة إذا رضوا بالخطاب دعوه إلى دارهم وجمعوا بينه وبين بناتهم في مجلسهم فبأهوا وبراءه ويسمع كل حديث الآخرون وتسأله عن آثاره الأدبية والعلمية ثم يكون المقعد بعد ذلك

وجهة القول أن الذين يعتمدون على مجرد استحصان الصور في تخير الأزواج ضالون لا يرجي لهم أن يكونوا بيوتاً (عائلات) تكون أعضاؤها حية عاملة لأمة عزيزة . وسيأتي بيان حال من يبنى اختياره على طلب المال والثروة ثم من يبنى اختياره على ما يجب أن يبنى عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمهيداً واستعداداً

فَتَاوِي الْمَشَارِقِ

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزأ إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً قد منأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولئن عضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ التحكيم بين الزوجين في الشقاق ﴾

(ص ٦) الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس بالمدرسة التوتارية (روسيا) :

أعرض على حضراتكم مسألة كثرت البلوى بها في ديارنا مستفتيا من شريف علمكم متوقفا البيان الوافي بالمقصود في أحد أعداد المنار ليعم نفعه ويكثر أجره وهي: هل يوجد طريق شرعي من الكتاب والسنة للتفريق بين الزوجين عند طلب الزوجة له وامتناع الزوج عنه مع وقوع الشقاق بينهما؟ واني راجعت كتب الحنفية الموجودة في أيدينا فوجدت أن قول امامنا أبي حنيفة (رض) عدم التفريق وقول الامام محمد (رض) التفريق اذا وجد في الزوج عيب غير متحمل وتقع الفرقة بمجرد اختيار الزوجة كما ذكره في كتاب الآثار وأما الامام مالك وأحمد والشافعي في أحد قوايه (رض) فذهبهم التفريق بسبب عيب الزوج اذا كانت الزوجة تطلبه كما هو المنقول في كتبنا فاتفق الأئمة سوى الامام أبي حنيفة يقوي القول بالتفريق فيكون العمل به أولى وأحوط . ثم اني بعد ما نظرت في قوله تعالى « وان خفتم شقاق بينهما » الآية ظهر لي بإعانة التفسير أنه عند وقوع الشقاق (الشقاق هو الخلاف والمداوة على ما ذكره) بين الزوجين ينصب القاضي الحكمين المدعين ويوليهما أمر الجمع والتفريق كما هو المروي عن علي (رض) فهذان الحكمان بعد ما يطلعا على أحوال الزوجين يجتهدان في الإصلاح بينهما بإعادتهما إلى المسائرة بالمعروف ان ممكن وان لم يمكن ذلك فان كان النشوز من طرف الزوج فحكم الزوج بفرق الزوجة نيابة عنه على سبيل التخليق وان كان النشوز من طرف الزوجة فحكم الزوجة بفرقها على سبيل الخلع فكلا الأمرين أي الجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف ينبغي أن يكون مرادا من الإصلاح المذكور في الآية . وأما الإبقاء على حال الشقاق فليس هو من الإصلاح في شيء بل هو داخل في ضمن قوله تعالى « فتدروها كالمعلقة » الآية ومناف لقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » الآية وقوله « فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا تعتدوا » الآية والخاص أن الإصلاح إنما هو لا فم الشقاق ولا يتصور ذلك الا بأحد الأمرين أي بالجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف . في الآية دلالة على كلا الأمرين أي على ثبوت حق الجمع والتفريق للحكمين لتضمن معنى الإصلاح ذلك . هذا ما ظهر لي من تأمل الآية الكريمة ولا دري أصواب أم خطأ . والمأثور من الاستاذ إصاح هذه المسئلة وتطبيقها على الكتاب والسنة خدمة للدين والملة حتى يظهر الصواب في هذه المسئلة ولكم الأجر والمثنة

(ج) ان الآية الكريمة صريحة في وجوب التحكيم بين الزوجين ان خيف شقاق بينهما لانه يجب ان يكونا شقيقين لامتناعين ينضوي كل منهما الى شق (جانب) غير الشق الذي فيه الآخر . ولا يجوز الاسلام للمسلمين ان يدعوها يستبد أقواهما بأضعفهما والخطاب في الآية للحكام في قول وللمؤمنين في قول والقرآن يخاطب المؤمنين عامة في الامور العامة لأنهم المسيطرون على الحكام أولاً لأن الحكم شورى بينهم فاذا قصر أمرهم في تنفيذ الشرع ألزموه به أو عزلوه وولوا غيره فالحق لان متلازمان . ويجب على كل من الزوجين قبول ما يحكم به الحكمان فمن أبى الخضوع ألزمه الحاكم المؤيد بجماعة المسلمين بقول تنفيذ الشرع

وقد أخرج الشافعي في الأتم والبيهي في السنن وغيرها عن عبيدة السلماني قال جاء رجل وامرأة الى علي كرم الله تعالى وجهه ومع كل واحد منهما قمام من الناس فأمرهم أن يمتنوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ثم قال للحكمين : تدريان ما عليكما؟ عليكما ان رأيكما أن تجمعا أن تجمعا وان رأيكما ان تفرقا ان تفرقا : قالت المرأة رضيت بكتاب الله تعالى بما عليّ فيه ولي وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به : وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الآية : هذا في الرجل والمرأة إذا تفسد التي بينهما أمر الله تعالى ان يمشوا رجلاً صالحاً من اهل الرجل ورجلاً مثله من اهل المرأة فينظران أيهما المسىء فان كان الرجل هو المسىء حجبوا عنه امرأته وقسروه على التفقة وإن كانت المرأة هي المسيئة قسروها على زوجها وسنموها التفقة فان اجتمع أمرهما على ان يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز فان رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ثم مات أحدهما فان الذي رضي يرث الذي كره ولا يرث الكاره الراضي : وليس في قول ابن عباس (رض) شيء لا يفهم من الآية الا مسألة الإرث بعد التفريق ويقول الأصوليون والمحدثون في مثل ذلك انه شيء لا مجال للرأي فيه فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وما قاله بعض الخنفية من ان نفوذ حكمها يتوقف على رضی الزوجين بالتحكيم أخذاً من قول علي للرجل : كذبت الخ غير وجيه لان مضاه الإلزام بالإقرار

وبكونه لا يصدق في الاتباع حتى يخضع له وهذا لا ينافي إلزامه به كره أن لم يرض طوعاً
قال في فتح البيان في مقاصد القرآن عند تفسير « إن يريدوا إصلاحاً: أي على
الحكمين أن يسميا في إصلاح ذات البين جهدهما فإن قدرا على ذلك عملاً عليه وإن
أعياهما إصلاح حالها ورأيا التفريق بينهما جاز لهما ذلك من دون أمر من الحاكم
في البلد ولا توكيل بالفرقة من الزوجين وبه قال مالك والأوزاعي واستحق وهو
مروى عن عثمان وعلي وابن عباس والشعبي والنخعي والشافعي وحكاه ابن كثير
عن الجمهور قالوا لأن الله تعالى قال « فابشروا حكماً من أمته وحكماً من أهلها » وهذا
نص من الله سبحانه أنهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان . وقال الكوفيون وعطاء
وابن زيد والحكم وهو أحد قولي الشافعي أن التفريق هو إلى الإمام أو الحاكم في
البلد لا إليهما مالم يوكلفهما الزوجان أو يأمرهما الإمام أو الحاكم لأنهما رسولان شاهدان
فليس إليهما التفريق : ويرشد إلى هذا قوله « أن يريداه أي الحكمان » إصلاحاً يوفق
الله بينهما لاقتصاره على ذكر الإصلاح دون التفريق : اهـ

وانت ترى أن القول الأول هو المتبادر وزيد قوة أنه مروى عن أعلم الصحابة
ولم يرو أن غيرهم منهم خالفهم فيه وأما الاكتفاء في الآية بذكر الإصلاح فلا أنه هو
المطلوب الذي ينبغي الحرص عليه وعدم المصير إلى غيره إلا للضرورة والتفريق
يؤخذ من المفهوم ولولا ذلك لم يقل به الضعابة والتابعون . على أن الساعي في
الإصلاح لا يحكم له فيسمى حكماً . وقد كان المسلمون في الصدر الأول يعملون بهذه
الآية على أحد الوجهين في تفسيرها وقد تركوها في هذه الأزمنة التي انفصلت فيها
عروة الدين . ونسخ الحكم المستبدون أكثر أحكام الكتاب المبين ، وأهمل الناس
النهاية بأمر أخوانهم المسلمين ، ومن قدر على إحياء هذه السنة كان له أجر المصلحين ،

في الأرض - دليل حركتها من القرآن ﴿

(س ٧) ومنه: ثم أيها الأستاذ قد أوردتم في بعض أعداد المنار قوله تعالى « يشي
الليل النهار بطلبه حيناً » دليلاً على دوران الأرض ولكن لم يظهر لي وجه
الاستدلال في ذلك وراجعت التفاسير ولم أجدها يشفى العلة فأرجو من فضلكم إيضاح
ذلك أيضاً في أحد الأجزاء . وقد أورد الأستاذ العلامة المرحوم شهاب الدين المرجاني

القزاني (رح) دليلاً على حركة الأرض قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة» الآية وفصل ذلك وبسطه حتى لو نظر المتأمل في ذلك يظهر له أن الآية واضحة الدلالة على المدعى. ذكر ذلك في كتابه (وفية الأسلاف) والحاصل أنه حمل المرور المذكور في الآية على المرور في الحال ولكن سائر المفسرين حملوه على المرور الآخرى على ما هو الظاهر من سوق الآية وفي آيات أخرى أيضاً سير أن الجبال سيق لبيان السير الآخرى والمرجو من الأستاذ إفادة ما هو الصواب فيه أيضاً.

وقد أرسلت لكم مع هذا مقالة المرجاني في ذلك نقلاً عن كتابه (وفية الأسلاف) ونحية (الاخلاف) وهو كتاب كبير في التاريخ ثمان مجلدات ضخام لم يطبع منها إلا مقدمته وله تصانيف أخرى نافعة معمول بها في بلادنا. وكان رحمه الله سنيا خالصاً على مذهب السلف يمسك بالكتاب والسنة في الأصول والفروع وهذه عبارته :

«ويدل على حركة الأرض قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة» وهي ثمرة من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء أنه خير بما تعلمون» فإنه خطاب لجناب الرسالة وإيدان الأمر له بالأصالة مع اشتراك غيره في هذه الرؤية وحسبان جهود الجبال وثباتها على مكانها مع كونها متحركة في الواقع بحركة الأرض ودوام مرورها من السحاب في سرعة السير والحركة وقوله «صنع الله» من المصادر المؤكدة لنفسها وهو مضمون الجملة السابقة يعني أن هذا المرور هو صنع الله كقوله تعالى : وعد الله وصيفة الله : ثم الصنع هو عمل الإنسان بعد تدرب فيه وترو ونحري إجادته ولا يسمى كل عمل صناعة ولا كل عامل صانعاً حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وقوله «الذي أتقن كل شيء» كالبرهان على اتقانه والدليل على إحكام خلقته وتسوية مسوره على ما ينبغي لأن اتقان كل شيء يتناول اتقانه فهو تنبئة للمراد وتذكير له كقوله تعالى «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» وقد اشتملت هذه الآية على وجوه من التأكيد وأنحاء المبالغة ومن ذلك تعبيره بالصنع الذي هو الفعل الجميل المتقن المشتمل على الحكمة وإضافته إليه تعالى تعظيماً له وتحقيقاً لاتقانه وحسن أعماله ثم توصيفه سبحانه باتقان كل شيء ومن جملة هذا المرور ثم إرادته بالجملة الكلامية الدالة على دوام هذه الحالة واستمرارها مدى الدهور ثم التقييد بالحال لتدل على أنها لا تفك عنها دائماً فإن قوله

تعالى «وهي ثمرة» حال عن المفعول به وهو الجبال، ومعمول لفعله الذي هو رؤيتها على تلك الحال، وعن هذا استدلوا على قصر عدد الحل الزائد على أصل الحل بوقوع قوله تعالى «ثني وثلاث ورباع» حالا من الفعل وعلى اشتراط اذرا الامام في الجملة لقوله عليه السلام «من تركها ولها امام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله» وغير ذلك فهذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الارض وصور الجبال معها في هذه النشأة وليس يمكن حملها على أن ذلك يقع في النشأة الآخرة أو عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن متعاهد النظام وإن حسابها جامدة احساسها لعدم تبين حركة كبار الاجرام اذا كانت في سمت واحد فان ذلك لا يلائم المقصود من التهويل على ذلك التقدير على أن ذلك نقص واهدام، وليس من صنع وإحكام، والمعجب من حذاق العلماء المفسرين عدم تعرضهم لهذا المافى مع ظهوره واشتراك الكتب الحكمية على قول بعض القدماء به مع أنه أولى وأحق من تنزيل احتمالات كتاب الله على القصص الواهية الاسرائيلية على ما شخضوا بها كتبهم وليس هذا بخارج عن قدرة الله تعالى ولا بعيد عن حكيمته ولا القول به بمصادم للشريعة والعقيدة الحقة بعد ان تقف ان كل ذلك حادث بقدرة الله تعالى وارادته وخلقته بالاختيار كأنما ما كان وهو العلي الكبير وعلى ما يشاء قدير

«واعلم ان هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى «ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات يوقنون» اعتراض في تضاعيف ما ساقه من الايات الدالة على أحوال الحشر وأحوال القيمة كاعتراض توصية الانسان بالديانة في تضاعيف قصة لقمان ومثل ذلك ليس بمنزلة في القرآن وفائدة هذا التنبيه على سرعة تقضي الآجال ونصر الاماد والتهويل من هجوم ساعة الموت وقرب ورود الوقت المعاد فان انقضاء الازمان وتقضي الاوان انما هو بالحركة اليومية المارة على هذه السرعة المنطبقة على أحوال الانسان وهذا المرور وان لم يكن مبصرا محسوسا لكن ما يثبت منه من تبدل الأحوال بما يطرؤه من تعاقب الليل والنهار وغيره بمنزلة المحسوس المبصر» فاعتبروا يا أولي الابصار، فيكون هذا معجزة النبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة به إذ لم يجز به قبله غيره من الانبياء وليس يمكن حمل الآية على تسير الجبال الواقع عند قيام الساعة ووفاء النشأة الآخرة اذ هو ليس من الصنع في شيء بل افساد أحوال الكائنات واختلال نظام

عالم واهلاك بني آدم اه وذكرناه بنصه وامله لا يسلم من تحريف
 (ج) قوله تعالى «يشي الليل النهار يطلبه حثيثا» ليس نصا قطعا في حركة الارض
 يمكنه يدل على أن الليل الذي هو ظل الارض يسير مسرعا وراء النهار الذي هو نور
 الشمس الواقع على الارض حتى كأنه يطلبه بإرادة واختيار ولا يخفى ان النظر الى تعاقب
 بل والنهار يجيز لنا ان نقول ان كل واحد منهما يشي الآخر ويتبعه أو يطلبه ولكن
 على الليل هو الغاشي كما يؤيده قوله تعالى «والليل اذا يشي» يشمر بأن هذه الحركة
 تدور فيها الليل وراء النهار والنهار وراء الليل هي للأرض وذلك ان العقل جازم
 بذلك لا بد أن يكون بسبب دوران الأرض تحت الشمس أو دوران الشمس وما يتبعها
 الكواكب حول الأرض في هذا المدار الواسع الذي يبلغ نصف قطره بالنسبة إلى الشمس
 باعتبارنا الأرض مركزا نحو ٥٢ مليوناً من الأميال . وذكرنا أن مختار باشا الغازي
 هو من أكبر علماء الفلك يقول ان الآية تدل على دوران الأرض قطعا وذلك انه يجب
 لها على أحد الوجهين المشار اليهما وأحدهما ممنوع بالدلة الرياضية وهو كون الشمس
 تدور في هذا الفلك الواسع حول الأرض ويتبع ذلك ان كواكبها كذلك تدور
 حول الأرض ومنها ما هو أبعد منها عن الأرض كثيراً فتعبر الوجه الثاني وهو الذي قامت
 عليه الدلائل الرياضية على أنه أقرب إلى العقل والتصور
 وأما قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» الآية فقد استدل
 بها المعاصرون على حركة الأرض وقد قرع هذا الاستدلال سحبي في المدرسة أيام التحصيل
 ولم يحسن أحد في توجيه إحسان عالمكم القزاني رحمه الله تعالى فان جوابه عن ورود الآية
 في سياق الكلام عن قيام الساعة وأحوال الآخرة بأنه يصح ان يكون مراداً به البرهان بقياس
 النظير في العمران على النظير في الخراب جواب وجيه وما دعم قوله به من بيان معنى الصنع
 والافتقار قد أحسن فيه الصنع كل الاحسان، لولا أنهم أجابوا عنه بأن الله تعالى أحسن الصنع
 واتقنه في تخريب العالم وتبديله، كما أحسنه في انشاءه وتكوينه، فلكل وجه وليست الآية نصافي
 أحدهما ويؤيد قول الجمهور آيات ذكر فيها تسير الجبال في معرض الكلام على الساعة . ولنا
 في حاجة الى نصوص قاطعة تصف الاكوان بكل أوصافها، وتبين حقائقها وما هيئتها، فحسبنا
 أن الله تعالى أرشدنا إلى البحث وأمرنا بالنظر لنصل إلى ما يمكن الوصول إليه مستدلين به على

علمه وحكمته وشموال قدرته سبحانه فالكتاب مرشد والحدث موصل وقد تركنا هذا
التنظر وصار قينا من محرمه باسم الدين، وإن ترك الدين بمخالفة كتابه المبين،

﴿شهادة غير المسلم وخبره﴾

(ص ٨) ومنه: هل تقبل شهادة غير المسلم كالنصراني أو اليهودي في بعض الأمور أم لا قبل
أصلا وشهد طبيب نصراني بأن الزوج ضرب زوجته ضرباً شديداً والمرضى حصل بسبب
ذلك. هكذا كتب الطبيب فهل يتبل قول هذا الطبيب؟ وهل هذا لقول شهادة أم خبر؟
وما الفرق بين الشهادة والخبر؟ أم هذا القول في حكم الكتاب فيعمل به من حين هو
كتاب؟ هذا ما كنا نرجو شرحه من حضر تكلم دام فضلكم وعم فمكم وعلى الله أجركم
(ج) تقبل شهادة غير المسلم في بعض الأمور وفي ذلك نزل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا
شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من
غيركم» وهي في سورة المائدة التي لا تسج فيها فقد أخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله عن
عائشة قال دخلت على عائشة فقالت هل تقرأ سورة المائدة قلت نعم قالت فأتها آخر سورة
انزلت فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وروى البخاري
في التاريخ وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم
مع تميم الداري وعدي بن بداء (١) فذات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته
فقدوا جاماً من فضة مخصوصاً (٢) بذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد
الجام بمكة فقالوا ابتعاه من تميم وعدي ابن بداء فقام رجلان من أوليائه خلفا لشهادتنا
أعق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهما قال ففهم نزلت هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا شهادة
بينكم» وروى أبو داود والدارقطني بسند قال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات عن الشعبي
إن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاً (٣) ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على

(١) الرجل السهمي اسمه بزييل (كزير) لا بديل بالبدال أو الراء كما قيل وتميم
وعدي كانا نصرانيين وقد مر قال الجام من متاع الرجل ولم يعلم أنه كتب ورقة بجميع
ما أودعهما (٢) الخوص بتشديد الهمزة أو المنقوش بما يشبه الخوص وهو عمامة في الآن في علب
الفضة وأنها وما يوضع في رؤوس المصي منها (٣) هي بفتح الدال وضم القاف وسكون الواو
والقصر بلد بين بهداد واربعة

وصيته فأشهر جلين من أهل الكتاب فقدا الكوفة فأثيا الأشعري يعني إمام موسى فأخبراه
وقدما بركته ووصيته فقال الأشعري هذا امرام يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانما
لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما:

ظاهر الآية والأحاديث مشروعية اشهاد غير المسلم وخصه من قال به من العلماء
بالسفر وعدم وجود مسلمين ولا نعلم ان احدا قال بالاطلاق او بقياس غير السفر عليه عند
الحاجة . وعظم على بعضهم جواز اشهاد غير المسلم وحاولوا التفصي منه فزعم بعضهم ان
الآية محتمل ان تكون منسوخة ورد بأن سورتها آخر القرآن نزولا وورد انه لا منسوخ
فيها على ان النسخ لا يثبت بالاحتمال . وزعم بعض ان قوله تعالى « او آخر ان من غيركم »
معناه من غير اقاربكم ورد بأن الخطاب في الآية للمؤمنين فغيرهم من ليس على دينهم . وقال
بعض العلماء ان هذه الآية في غاية الاشكال . واحتج من لم يجز لشهاد غير
المسلم ولم يقبل شهادته عليه بقوله تعالى « وأشهدوا ذوي عدل منكم » قالوا والكافر
لا يكون عدلا : وقال الرازي في تفسيره « أجاب الاولون عنه لم لا يجوز ان يكون
المراد بالعدل من كان عدلا في الاحتراز عن الكذب لامن كان عدلا في الدين
والاعتقاد والدليل عليه انا أجمعنا على قبول شهادة أهل الأهواء والبدع مع أنهم
ليسوا عدولا في مذاهبهم ولكنهم لما كانوا عدولا في الاحتراز عن الكذب قبلنا
شهادتهم فكذا هنا . سلمنا ان الكافر ليس بعدل الا ان قوله « وأشهدوا ذوي عدل
منكم » عام وقوله في هذه الآية « اثنان ذوا عدل منكم » أو آخر ان من غيركم إن أتم
ضربتم في الأرض » خاص فانه أوجب شهادة العدل الذي يكون منافي الحضر واكتفي
بشهادة من لا يكون منافي السفر فهذه الآية خاصة والآية التي ذكرتموها عامة والخاص
مقدم على العام لاسيما اذا كان الخاص متأخرا في النزول ولا شك أن سورة المائدة
متأخرة فكان تقديم هذه الآية الخاصة على الآية العامة التي ذكرتموها واجبا
بالإنفاق والله أعلم » اهـ

ولاشك ان المراد بعدل الشهود ما ذكره أولا ومن عجيب أمر الحمود على
الذهب والتعصب للتقليد أنه يجري صاحبه على سوء الادب مع الله تعالى ومن ذلك قول

بعضهم ان الآية تخالف القياس والاصول واي اصل لدين الاسلام غير القرآن فيحتمل عليه أو يرجع اليه . قال في نيل الاوطار : « وأما اعتلال من اعتدل في ردها بأن الآية تخالف القياس والاصول لما فيها من قبول شهادة الكافر . . . » وقد أجاب عنها من قال به بأنه حكم بنفسه مستثن عن نظيره وقد قبلت شهادة الكافر في بعض المواضع كما في الطب : الخ

أما قبول قول الطبيب الكافر فقد قال به بعضهم على إطلاقه وقيد به بعض الفقهاء في المرض المبيح لتيمم أو الفطر في رمضان بما اذا صدقه المريض أي يعمل بقوله اذا لم تقم قرينه أو شبهة على انه كاذب . وكذلك الطبيب المسلم اذا قامت القرينة على كذبه لا يعمل بقوله

ثم ان من العلماء من يقول ان البينة هي كل ما يتبين به المطلوب حتى يعلم الحاكم مثلاً ان الذي حصل هو كذا وقد أطال ابن القيم بيان هذا في كتابه (اعلام الموقعين) واحتج عليه بالكتاب والسنة . وعليه يقال اذا كان بعض الكافرين المعروفين بالصدق شهدوا في قضية شهادة تؤيدها القرائن بحيث يطمئن قلب القاضي وغیره بصحتها وافترض ان من جملة هذه القرائن انها ربما مستهم بضرروا ان كتابها ربما جر اليهم منفعة فان هذه الشهادة تعتبر على ما ذهب اليه ابن القيم بينة شرعية . على ان من ذهب اصحابه الحنابلة تخصيص شهادة الكافر بمسألة الوصية كما ورد وبكون الشاهدين من اهل الكتاب ولو غير ذميين

واما الفرق بين الشهادة والخبر فالاصل في الشهادة ان تكون اخباراً عن مشاهدة ورؤية ثم انها تطلق على النحول وعلى الأداء قال في كشف اصطلاحات الفنون : « الشهادة بالفتح والهاء المخففة لصفة خبر قاطع كما في القاموس وشرعاً إخبار بحق للخبر على آخر عن يمين وذلك الخبر يسمى شاهداً : وقال في الكلام على هذه القيود : وقولنا عن يمين يخرج الاخبار الذي هو عن حساب وتخمين : وكان ينبغي ان يقول الذي قد يكون عن حساب وتخمين ثم زاد قيداً آخر عن فتح القدير وهو في مجلس الحكم . »



﴿ رأي عالم أزهرى في العلماء ﴾ تابع لما قبله

وقال في فصل عنوانه حال العلماء اليوم ما نصه بحرفه ورسمه :

« ماذا أقول في هذا الباب وماذا ينبغي أن أقول فيه والمقام خرج والحاجة إلى الإبانة شديدة . أخشى سطوة الرؤساء وقيامه العلماء فأكتب من صحائف الأطراء ما تمزقه يد الشهود أم تأخذني العزة بالآثم فلا أرضى أن أنسب لنفسي ولا لأبناء جنسي ما سخطنا وحقرنا في هذا الوجود أم أسكت وأغالط شعوري وأقول إني واحد من كثير ، أو أعمل نفسي بالقضاء والتقدير ،

ربي أنت أعلم بحيرتي ودهشتي فانشأني من أحوال هذا الترديد ، وألهمني القول الرشيد ووقفني لما فيه الخير لي ولأهل ملي يارب العالمين

تالله إن من أهم ما يستلقت الأنظار حال علماءنا اليوم وفائدة الأمة منهم فهم بحسب أصل الوضع المرجع الأعلى في إصلاح شؤون الأمم الإسلامية وغرس المملكات الدينية في قلوب المسلمين ونشر العلم بينهم ودلائهم على ما ينبغي أن يكونوا عليه في أمري الدنيا والآخرة وإيقافهم على قبح القبح وحسن الحسن من الأخلاق والعادات والأقوال والأفعال أذهبا هو المقصود من أفراد طائفة بالأشتغال بالعلم وتشديد دور واسعة لهم

ولكن المطامع على حالنا اليوم لا يدري هل المقصود من الاشتغال بالعلم الديني هو هذا ، أو المقصود أن يحوز الإنسان مرتباً يقوم بضروريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد للتميش أو المقصود أن يحوز شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لا يحوزها إلا من يأدي الامتحان فيقال ذكي نجيب حاز قصب السبق إلى غير ذلك من العبارات أو المقصود تكميل الفرق وتنظيم الطوائف حتى لا يكون المجتمع الإسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تميماً للنظام وإن لم تنفع هذا المجتمع بشيء يذكر . أو المقصود المحافظة على التقاليد الأولى والأحوال القديمة ولو بغير معنى ، أو المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي أقامت هيكل العلم الإسلامي وشيدت له بيتاً من العز في العصور الأولى كما يكون في تشخيص رواية مثلاً

ولا يعرف أيضاً هل المقصود من العلم أن يعرفه الإنسان وإن كان لا يلاحظه في خلقه وعاداته وعمله أو لا بد أن يظهر أثر علمه في شخصه قبل غيره وهل الغرض أن يحصر

العلم بين جدران المدارس الدينية . أو الفرض أن تكون المدارس كالشمس تضيئ منها
الأنوار في جميع أرجاء العالم ويكون لها أثر في ترقى الأمم الإسلامية مثل تأثير الشمس
في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على أني لا أريد أن أفوض في بيان حال علماءنا وما هم عليه فذلك شيء مؤلم
وحسي . منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة لإيادته في سابق هذا الكتاب ولا حقه
ولكنني أذكر من ذلك أمراً واحداً مهما هو علة العذل في كل الأحوال . الأول أنه
مبدأ العلماء اليوم ومشربهم فأقول : ينقسم علماءنا في مبدائهم إلى قسمين - آخذين
بالعادة ، وآخذين بالفكر - فأما الآخذون بالعادة فهم جمهور العلماء لا يعملون إلا
بما وجدوا عليه من قبلهم معتقدين أن الكمال فيه سواء في ذلك علومهم ومعتقداتهم
والكتب التي يدرسونها وطريقة التدريس والأمور الشخصية وسائر الأحوال . والأكابر
منهم أهل الكمال هم المنازون بالصلاح والتقوى والنظر إلى الآخرة أو بالتدقيق في
المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولكن مع الجهل بالشؤون العامة وأكثر العلوم
الضرورية والأحوال العمومية ومع التنبس بكثير من المعتقدات الخرافية والأوهام
العامة ومع الجمود والوقوف عند حد من الفكر والتعلل أدنى مما ينبغي ومع الاقتصاد
من العلم على ما لا يكفي ومع عدم النظر إلى نشر العلم أو تقريبه من الفهم وعدم السعي
فيما يصلح العامة وما يعود على الأمة بالترقي في أمري الدنيا والآخرة ومع عدم
الجرأة في شيء مما ينبغي الجراءة فيه ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بما يطراء
اليوم على الإسلام من أوجه الطعن وعدم الاكتراث باقتناع المعارضين ورد المجادلين
بل يكتفون من العلم بتدقيق في الالفاظ وتحقيق لبعض المعاني على ضرب خاص لا يفيد
إلا بعد زمن مديد وجهد شديد

وأما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قليلين جداً وهؤلاء يرون
أن ما عليه الأولون غير صواب وينتقدون عليهم في علومهم وأخلاقهم وصلاحهم
وسائر أحوالهم ويرون الكمال في أن يكون الإنسان قوي الفكر شديد المارضة
صحيح النظر في الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه أن يرقى به الأمة
ويوقفها في صفوف الأمم الحية ويخرجها من الأوهام وأسر الجهالة ويتغالبون في ذلك

الا انهم مع هذا يثقون بأفكارهم ويستبدون بها ويحكمونها فيما لا ينبغي أن تحكم فيه ويكرهون كل قديم مما عليه الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بأمر الآخرة من العناية مثل الذي أعطوه للأمور المتقدمة بل مع اغفال ما يقرب الانسان من الملاء الأعلى ويظهر عليه آثار العبودية

والذي أراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وان كلا منهما يعتمد عن الفاية التي ينبغي أن يصل اليها أهل العلم بقدر ما يقترب الآخر منها وان أجزاء الكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم لا مجموعة وان كلا مصيب في شيء مخطئ في آخر . فان التمسك بالمادة قبيح كما ان الثقة بالفكر توقع الانسان في الخطأ من حيث لا يشعر بل المبدأ الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه أهل العقول الراجحة هو كما أقول (لا تقدر المادية ولا تثق بفكرك) بل تأمل وتدبر فمسي أن يكون ما عليه الناس حقاً خفي عليك وعسى أن يكون ما رأيته صواباً غفل عنه الناس . وما يمسك به الاولون من الصلاح والتقوى والانكسار والاقبال على أمر الآخرة والتحقيق بالعبودية حسن ولكن في موضعه وعلى وجه لا يؤدي الى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هو عالم يلزمه أن يكون ذا نظر وسعة اطلاع والمسام باخلاق الناس وأحوالهم وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الا كما ان يمكنه ان يقوم بالواجب عليه للناس حق القيام ويكون لقومه تسمياً مضيئاً ولا إلاء كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سيفاً ماضياً ومناراً عالياً فهذا واجب وهذا لازم ولهذا وقت ولذلك وقت آخر . فالعالم اذا جن عليه الليل ذل وخشع وانكمش وانخلع عن هذا الكون الناقص وأقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح ويقدس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماء ويخل جسمه واذا أصبح أصبح شهيداً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي الى سواء السبيل يسائر هذا ويجلس الى ذاك . ان استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وان استعمل اللين فغير ضعف لا تفوته شاردة ولا واردة مما يري فيه صلاح الامة في أمر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في اصحاب رسول الله (أشداء على الكفار رحما بينهم) وقد كانوا اذا رأهم راء في النهار ظنهم من قطاع الطريق يشنون الفارة

هنا ويطارضون غير قرش هنا وهكذا لاتأخذهم رافة في دين الله فإذا أقبل الليل كان لهم أزيز كآزيز النحل (*) يذكرون الله تعالى ويسبحونه أنا الليل وأطراف النهار لا يفترون

وما يغلب على القسم الثاني من القيام باصلاح الأمة وارشادها الى طريق سدادها وعدم إغفال الفكر مع الميل الى الترقى في العلوم والمعارف والاخلاق الخ حسن . ولكن على وجه لا يعقل منه قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية العالية والتقرب من الملأ الاعلى وتعمير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي هي غاية الكمال لمربية الانسان والتي تقرب من الحق جل وعلاه وأنت تجد اصكث اقرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة وراء هذه السعادة الدنيوية وكما فوق هذا السكان الظاهر

هذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتثيل بالأمثلة الحائزين لحصال الكمال والمشهورين بأنواعها واقول ان العالم لا بد ان يكون في جراءة وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وذلك وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشيخ الشريفي

بل اقول ان العالم الكامل لا بد ان يكون في اقدام عمرو وحلم الاحنف وزكا^١ اياس وتقوى ووجدان الجيد وبلاغة سحبان وعبد القاهر ونحو سيويه وفلسفة ابن سينا وفقه ابي حنيفة الخ واقول ثالثاً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع الغزالي او يفرقه او يقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شأنهم انه سميع قريب مجيب هاجر وفه وغلظه ونحرينه

(المنار) وهذا هو اعتقاد احد المدرسين في الازهر بعلماء الازهر الذين يقول بعض الناس ان حفظ الدين يتوقف على بقائهم على حالهم وان حديث الناس في مثل ما كتب هذا الشيخ الازهري كثير ولكن لم يتجرأ احد على كتابة ما يعتقد او يسمع وطبعه وتشره بين الناس ولهذا كان لكتابه تأثير عظيم عند خواص الناس ورجال المخلصون

(*) المنار: الدوي هو صوت النحل وكذا صوت الغراب والريح وأما الازيز فإنه صوت المرحل (القدر) عند الغليان ويقال ايضاً أزيز الرعد

في حب الخير لملتهم أن يكون هذا المؤلف عضدا عظيما للإصلاح ولكنه ما عثم أن زلزل
رجاءهم ببذنه نشرها في بعض الجرائد اليومية عنوانها (كتاب مفتوح) لا مير البلاد
خالف فيها بعض رأيه في كتاب العلم والعلماء وكتب في بعض الجرائد ردَّ عليه يشعر بأنه
ما كتب هذا الكتاب المفتوح إلا بتأثير لا يقوى مثله على دفعه. وقد بلغنا أن من طلب
منه كتابة الكتاب المفتوح هدهد بمحو اسمه من ديوان العلماء والمدرسين إذا هو لم
يكتب فصدق القول لأن للمهدد اتصالا بمن يظن فيهم القدرة على المحو والاثبات. ولو
ثبت على رأيه لكان خيرا له ولو محي اسمه من المدرسين. على أن محوه لم يكن ميسورا
لأنك المهددين، وإتانه كراخانا المؤلف بأن المعتقدين مثله بحاجة الأمة إلى الإصلاح
الديني والعلمي كثيرون ومنهم من هم أوسع نظرا وأبعد رأيا في طريق الإصلاح وإنما
يعوزهم العزم والثبات، وعدم المبالاة بما يلاقون من المعارضة والصعوبات، فإن استطاع
أن يكون كذلك فليقدم ولا يخف في الحق لومة لائم والا فليكت ويكن خيرا له من أن
يكون كبعض أصحاب الجرائد يسير يوما على صراط المصلحين، ويوما على طرق المعارضين،

أشاد علي بن عبد الله

﴿ كلية ودمنة ﴾

لهذا الكتاب من الشهرة ما يفني عن التعريف به والتبويه بما فيه من الحكم الرائعة
والآداب العالية في العبارة البليغة والأسلوب الرفيع. قلما يوجد كاتب مجيد في هذه اللغة لم
يكن كتاب كلية ودمنة من مادته وهو من الكتب التي غزت نظارة المعارف في مصر بطبعها
وأوجبت على تلامذة مدارسها مطالعته ليكون عوناً لهم على تحصيل مدكة الانشاء والتحرير
واستفيدوا من آدابه وحكمه ما يفيدهم في أنفسهم كما يفيدهم بعبارة في أقلامهم وألسنتهم.
وقد طبع غير مرة في مصر وبيروت وأوربا ولكن كل طبعته طائلة من حلي الصور التي
وضعت في أصله لتمثيل ما فيه من الحوادث والأمثال أو لأجل «زيادة الأنس للقلوب»،
وشدة الحرص عن المكتوب، كما قال ابن المقفع من ترجم الكتاب حتى عز الشيوخ أحمد طباره
محرر جريدة ثمرات الفنون في بيروت حتى على نسخة خطية من الكتاب من مينة بالصور

في مكتبة الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق الشام كتب عليها ان نسخها قد تم في عاشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين بعد الالف على يد أبي المنا بن نسيم النقاش هـ وعدد الصور فيها ٨٦ فأخذت نسخة وكلف بعض مهرة الصانع الاوربيين بنقلها الى الزنك ليطلع عنها فجاءت كأصلها وطبع الكتاب بالصور واضما كل صورة في مكانها من الأصل هـ وقد عني بمقابلة هذه النسخة على النسخة المطبوعة في باريس سنة ١٨١٦م والنسخة المطبوعة في مصر سنة ١٢٩٧ هـ والنسخ المطبوعة في بيروت قال هـ واخترت منها ما كان اقربها من الأصل وأبهداها عن التحريف والتبديل وأسلمها من الزيادة والنقصان هـ وهذه الصور فائدة تاريخية لأنها تمثل لنا ازياء تلك العصور لذي وضع فيها الفيلسوف الهندي كتابه وشيئا من عاداتهم وفائدة صناعية من حيث فن الرسم والتصوير هـ والقارى يرى ان هذه النسخة أحسن نسخ الكتاب وهي مشكولة ومضبوطة وثمن النسخة منها عشرة قروش صحيفة واحدة لبريد قرشان وتطاب من إدارة المناو بمصر

﴿جواب اهل الايمان في تفاضل آي القرآن﴾

سئل شيخ الاسلام أبو العباس أحمد تقي الدين بن تيمية الشهير عما ورد في الحديث من أن سورة « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن وعما ورد في سور أخرى من التفضيل فأجاب بمجواب مطول فيه فوائد كثيرة لا توجد في غيره وطبع في هذه الأيام فكان كتابا مؤلفا من ١٣٢ صفحة ومن مباحث الكتاب بيان معنى المعادلة والتفاضل في القرآن وما ورد في الفاتحة وأحكام المذاهب في قراءتها في الصلاة، وبيان كون قصة موسى أعظم قصص الأنبياء في القرآن، وبيان سبب عدم تكرير قصة يوسف وغير ذلك من الكلام في قصص الأنبياء ومنها مباحث في القرآن وكونه غير مخلوق وفي النسخ ومباحث في التوحيد والاعتقاد والتفسير هـ وقد طبع على نفقة الشيخ عبد الرحمن زين الدار الحلبي فجزاه الله خيرا

(خطب الاعظمي)

قرطنا في الجزء الرابع والعشرين من المجلد السابع ما طبع من هذه الخطب وانتقدنا على الخطيب الشدة في التعبير في بعض المواضع لعلنا بأنها تهيج عليه بعض الجامدين على ما هم عليه الزاعمين ان كثبان عيوب الامة والمكوت على ما وصلت من الانحطاط واجب لئلا يطلع الاجانب على نقصنا فيحتقرونا أولانه لا يصح ان نبين ان المسلمين الآن من محطون

عن الكافرين ولغير ذلك من الشبه الواهية ، وقد وقع ذلك من بعض أهل الجود في الهند وأما الذين اظلموا على نموذج الخطب في مصر فلم نسمع عنهم انتقادا لأنهم تمودوا على سماع وقراءة أمثال هذه الزواجر وانتي لأدري أي القطرين أشد جودا على الحال السيئة التي وصل إليها المسلمون - القطر المصري أم القطر الهندي ولكنني أعلم ان في كل منهما أنصاراً كثيرين لمن ينادي بالإصلاح ويتدد بالتقاليد والمبادئ الضارة في أصل الدين وأصل الدنيا ، هما غافلون وشدد ، ومن يقل منهم بوجوب إله القول فأنما يريد الفرق بأهل الجود لهم يجذبون إلى الحق بسهولة ولا يريد أن لشدة في غير محلها أو غير نافعة . واحسن القول عند طلاب الإصلاح ما كان تأليفاً بين المسلمين ، وهو اقبحه عند الجامدين ، كما ترى فيما يلي :

﴿ أهل السنة والشيعة ﴾

ان العلماء الراسخين من هاتين الطائفتين لا يقولون بأن مخالفهم في المذهب كافر خارج من الملة وأهل السنة يذكرون في كتب العقائد أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة وان أنى شيء مما يهدونه كفراً متأولاً فيه ، ولا شك أن الشيعة يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ويشهدون أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله وأن كل ما جاء به من أمر الدين حق وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت من استطاع منهم إليه سبيلاً ومع هذا كله تجد من المتعصبين الذين يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة من يحكم بكفرهم وأهل السنة والجماعة أحرص على الجمع بين أهل القبلة منهم على التفريق ومن القواعد عند بعض فقهاءهم - وحيداً هذه القاعدة - أنه اذا وجد مثله قول صحيح في تكفير مسلم بقول أو عمل أو اعتقاد وقول واحد ضعيف بعدم تكفيره قالوا يجب ان يفتى بالقول الضعيف

لهذا تعجب أشد التعجب مما بلغنا عن بعض المشايخ المتفقيين في الهند أنهم كفروا الشيخ عبد الحق الأعظمي لأنه عبر في خطبة له عن الشيعة بقوله « اخواتنا » وقد يوجد في مصر من يطلق هذه الكلمة على النصارى أو اليهود ولا يكفر أحد منهم بأنه يعني بلفظ الاخوان اخوة الانسانية لا اخوة الدين ولا وجه لتكفيره الا اذا علم أنه يعتقد ان عقائد النصارى وعبادتهم هي عين عقائد الاسلام وأنها حق ومرضية عند

الله تعالى مثله لأنه بذلك يكون مكذبا للقرآن، وخارجا خروجا حقيقيا عما جاء به النبي من أصول الإيمان، وأما إذا أراد مجرد المجاملة كما يجاملوننا بمثل هذا اللفظ ولا يرضون به اتقا على الحق من غير ملاحظة أمر الدين ولا أمر اخوة الانسانية فإنه لا يحكم بكفره مادام يعتقد ان دينه هو الحق ولا يكر شيئا من أسو له المجمع عليها المعلوم بالضرورة أنها منه يظن هؤلاء الشيوخ الغافلون المفرورون بخضوع العوام لا قواهم من غير دليل ولا برهان أن الأغلاظ على المخالف لمذاهبهم والغلو في عداوته من أسباب تأييد الاسلام وأهله وخذلان الكفر وحزبه والبدعة وفرقتها والحق الذي لا صرية فيه هو ان الغلو في الخلاف والعنف في المقاومة هو الذي يجري كل ذي رأي او مذهب او دين بالتعصب فيه والجمود عليه والدفاع عنه من غير تأمل في كونه حقا او باطلا بل لجرد مقاومة المخالفين وبذلك تكون الحسارة على صاحب الحق من المختلفين لأنه لو لا الغلظة والتعصب لنظر كل فريق فيما عند المخالف له نظر انصاف والانصاف اقوى اعوان الحق وانصاره ولو جرت القرون الاولى بالاسلام على طريق الغلظة والشدة في مقاومة المخالف ومجادلته لما انتشر في الحافقين ذلك الانتشار السريع

هؤلاء الشيوخ الغالون في التعصب على كل من يخالف آراءهم او آراء شيوخهم في مذاهبهم اعدى اعداء الجماعة والسنة، لانهم افدر من غيرهم على تفريق الكلمة، فهم يهدمون بناء الوحدة الاسلامية في حزب المحافظين على القديم بشبهة تأييد المذاهب ومن ورائهم المنفرون يهدمون به شبهة تأييد الوطنية، فالهدم واقع على بناء الاسلام من داخله ومن خارجه ولا نصير له الا فئة تحاول الجمع والتأليف بحمل اهل المذاهب المختلفة على تحكيم الكتاب العزيز والسنة المتواترة فيما شجر بينهم وان يعذر كل فريق منهم الآخر فيما وراء ذلك من الأمور التي فيها للنظر والاجتهاد مجال، وباقتناع المتعصبين للوطنية بأن الاتحاد على عمارة الأوطان، لا يقطع الاخوة بين اهل الاسلام والايمان، فنسأل الله تعالى ان ينصر هذا الحزب ويؤيده على اعداء انفسهم واعداً مذاهبهم بأن يوفقهم للدخول في السلم كافة واجتباب خطوات الشيطان الرجيم

(مناظرة متى ابن يونس وأبي سعيد السيرافي)

كان بين متى ابن يونس النبطي وأبي سعيد السيرافي النحوي مناظرة في المناظرة

بين المنطق والنحو وكان الفلج فيها لأبي سعيد في محفل حافل بالعلماء والفضلاء فأدلى
بمحججه على أن النحو قد يعني عن المنطق وأن المنطق لا يعني عن النحو ولا شك أن متى قد يحجز
عن بيان فائدة المنطق وأن بعض ما قاله أبو سعيد في حججه لا يتخلو من المغالطة ولكنه
في بلاغته وقوة عارضته قد اختاب خصمه الذي كان عيباً حصره لا يقدر أن يبين ما يعلم
حق البيان . والمناظرة من رواية أبي حيان التوحيدي وهي عبارة انتهت إليها البلاغة
وبراعة الأسلوب . وقد عني بطبعها صاحبنا الدكتور مصطفى جليل في الانكليزي المستشرق
الاستاذ بمدرسة اكسفورد الجامعة وطبع معها ترجمتها بالانكليزية له والطبعة العربية
لا يتخلو من تحريف قليل يعرف أكثره عما وضع في الطامش من اختلاف النسخ فتعني على
همة الدكتور لهأيته بخدمة لغتنا ثناء حسناً

(الهدى) مجلة إسلامية علمية أدبية عمرانية إصلاحية تصدر في غرة كل شهر
عربي لمديرها سيد أفندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية وقد صدر
الجزء الأول منها في غرة المحرم الماضي في ٢٨ صفحة كبيرة وفيها بعد فائحة المجلة وبيان
منهجها دعوة شريفة يخاطب بها الكاتب علماء هذه الأمة بوجوب مقاومة البدع
الفاشية، وجمع كلمة الأمة المتفرقة، ومقالة في آراء حكماء العرب في المعدن والنبات والحيوان
والإنسان ومقالة في العلوم الاجتماعية لأحد طلبة مدرسة الحقوق ونبذة عن مسلمي
القرآن، وخطرات في الإصلاح، وقصائد لبعض شعراء العصر، وقيمة الاشتراك فيها
للمصريين ٤٠ ولفيرهم ١٢ فرنكا فتعني لهذه المجلة التوفيق والثبات

(الصحافة) جريدة أسبوعية تصدر في القاهرة لصاحبها ومحررها مصطفى أفندي
توفيق الجراحي مؤلفة من ثمان صفحات بشكل الجريدة الرسمية وتطبع على ورق جيد
وهي من أحسن الجرائد الأسبوعية بمصر نزاهة واعتدالاً وقيمة الاشتراك فيها ٧ فرنكا
في مصر و ٢٢ فرنكا في غيرها فتعني لها التوفيق والنجاح

(الهجرة) جريدة أسبوعية تصدر في طنطا لصاحبها ومدير سياستها عبدالرحمن
أفندي الذهبي وهي كسابقها في مقدمة الجرائد الأسبوعية موضوعاً على حداثة عهدهما
وقد قرأنا فيها مقالات مفيدة ولكننا نحب أن يعني بتصحيحها فيما يأتي أكثر من العناية
به فيها مضي . وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في القطر المصري و ٣٠ فرنكا في سائر الأقطار
فتعني لها الثبات والانتشار

البدع والخرافات

وَالنِّقَالِيَّةُ قُلُوبُ الْعَجَائِلِ

كتب أحد المهندسين في القاهرة إلى مفتي الديار المصرية كتاباً قال فيه بعد رسم الخطاب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — أما بعد فإني شاب مسلم مصري الجنس تعلمت في مدارس الحكومة وحصلت على الشهادات النهائية التي أهلتني أن اشتغل بوظيفة مهندس الآن وطالما ألهاني الشباب عن تأدية القرائن الدينية حينما من الدهر لأمر يعلمه الله ولما ان من الله سبحانه وتعالى علي بالهداية وهدني إلى الصراط المستقيم قدمت لحضرتهكم هذا الخطاب بصفةكم أول عالم عامل بمصر كما أعلمه ويعلمه اخواني جميعاً محبون إزالة النقائص التي يقوم بها اخواننا في الاسلام سوا في القرى أو البنادر التابعة لحكومة مصر التي لم تنزل إلا أن تمتع بحرية الاسلام وتلك النقائص كثيرة جداً أهمها زيارة الأضرحة الخطابة يوم الجمعة بالمساجد والندور. الأذكار (١) زيارة الأضرحة — تعلمون فضيلتكم ان تسعة وتسعين في المائة من مسلمي القطر يعتقدون ان ساكن الضريح له اليد الطولى في شفاء الأمراض وتسهيل الأرواق بل قد أشركوه مع الله سبحانه وتعالى في العمل مع انه بريء من ذلك وانه لم يكن الا مخلوقاً مثلاً أطاع الله وعمل بشرائعه في دياره فأكرمه الله في أخراه وإني واثق ان فضيلتكم تعلمون ذلك وسمعت بالطلبات التي تقدم لها كن الضريح بل قد تطرفوا فافتعلوا من زيارة صاحب الضريح إلى تبرك بالمقصورة أو التابوت أو عتبة مدخل الضريح الأمر الذي يقضي فيما بعد بتغير المتائد الدينية (٢) الخطبة يوم الجمعة — قد رأيت أغلب خطباء المساجد ليست عندهم مقدرة تامة على أداء وظيفة الخطابة بدرجة تؤهلهم ان يبنوا في أفكار المصلين ما يلزم أتباعه ومالا يلزم شأن كل خطيب في زمن السابق بل انهم جعلوا الخطبة محفوفة بحفظوها حفظاً ورعاً لا توافق الزمن الذي نحن فيه لأن فائدة الخطابة حض المصلين على ترك مالا يوافق الشريعة ويأتي الخطيب بأحاديث تزجر المصلين عن ذلك بل ان بعض الخطباء يملو المنبر ويبتدي بالخطبة وينتهي منها ولا يسمع له صوت الا في الصف الأول وربما لا يمتد إلى الصف الثاني فإذا رأيتهم يمل تديلاً في مشايخ المساجد وترك مسألة الوراثة واستحضار خطباء من المتخرجين من مدرسة دار العلوم يكون ألبق بالاسلام والمسلمين وتكونوا قد وفيتهم الدين حقه وجاهدتم الجهاد المفروض على كل مسلم (٣) أرى لكل ضريح صندوقاً مخصوصاً للندور وما يجمع في هذا الصندوق من فقير أو غني جاهل أو مقل يوزع

في آخر السنة على خدمة الضريح وتزود فضيلتكم ان أغلب خدمة الأضرحة هم أناس ذوو
 هيسرة عن غيرهم خصوصاً في هذا الوقت الذي عم فيه جهل الزائرين فاذا وافقتم على أن يعطى
 ما يجمع في تلك الصناديق لديوان الأوقاف كي يصرفه في أعماله الخيرية التي يعم نفعها أو يسلم
 للجمعية الخيرية الإسلامية كي تسعين به على إنشاء المدارس وتربية الأيتام وعلى أن تظهر وافي
 حالة الخدمة المستحقين الذين ليس عندهم عقارات أو أطيان وتزيدوا مرتباتهم حتى يمكنهم
 النعيش منها وعلى وضع مبشرين من المتخرجين من مدرسة دار العلوم بالأضرحة كي
 يرشدوا الزائرين الى حقيقة الزيارة وفوائدها فهذا تابون من الله ثواب الدنيا والآخرة
 (٤) الاذكار التي تقام في البلدان أرى أنها مخالفة للشريعة فاذا رأيتم وضع عقاب
 صارم لكل شخص يحدث منه تهكم أو تقص فيها يكون أوفى والله يهديكم ويوفقكم
 افعل الخير لاخوانا المسلمين جميعاً وفي الختام أقدم لجنابكم احترامي لمقامكم العلمي اهـ
 (نثار) اطعن على هذا الكتاب فنشرناه لعلنا انه كما قال كاتبه صدى رأي كثيرين من
 المهندسين وغيرهم والشكوى من هذه البدع والتقاليد قد كثرت في هذه البلاد بكثرة
 المتعلمين المميزين وأما المخاطب به وهو الشيخ محمد عبده فقد بذل جهده في مقاومة البدع
 بالارشاد في دروسه العامة ومجالسه الخاصة حيث كان وقد سعى لاصلاح حال المساجد وما
 يتبعها من الأضرحة بالفعل فوضع لذلك تقريراً المشهور الذي اقترح فيه على ديوان الأوقاف
 ان يجعل خطباء المساجد وأئمتها من العلماء المدرسين وان يكون التفاضل بينهم بالامتحان
 وغير ذلك من الاقتراحات الإصلاحية التي تحيي العلم والدين وبعد ان اقره المجلس الأعلى
 وكاد يشرع في تنفيذه عرض ما اوقف التنفيذ كما ذكرت ذلك بعض الجرائد من نحو سنة
 وذكروا أيضاً . ولما كان هذا الرجل هو الذي انبرى لمثل هذه الخدم دون غيره من
 العلماء الذين وجد فيهم من يسعى لابطال خدمته للإسلام فالواجب على هذا الكاتب وعلى
 من على رأيه من اخوانه المسلمين ان يكتبوا بمثل هذه الكتابة الى شيخ الجامع الأزهر
 طالبين منه ان يكلف طائفة من العلماء بأن يسموا معه في المطالبة بتنفيذ لأئمة المساجد
 والأضرحة وابطال هذه البدع الفاشية في معاهد الدين وأعماله وما كان له وجه شرعي
 من هذه الأعمال التي يستنكرها الكاتب وامثاله فليبينوه لهم بدليله من الكتاب والسنة
 واقوال الأئمة دون اقوال المقلدين ليكنوا على بصيرة من دينهم ومق قام بالدعوة جماعة
 من العلماء رجي من النجاح ما لا يرجي من الواحد ولهذا قال تعالى « ولتكن منكم امة يدعون
 الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »



بوتني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يؤذك إلا أولو الالباب

الله
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٦ صفر سنة ١٣٢٣ — ٢١ ارييل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٢

اختيار المرأة للمال :

ان من يختار المرأة زوجاً له لحسها وجمالها يختارها لصفات فيها وإنما كان مخطئاً
لأنه عني بصفات الجسد التي يسرع اليها التفتير ولا تكفي للقيام بحقوق الزوجية وما
تراد له الزوجية ولم يحفل بصفات النفس الثابتة التي هي مناط السادة والهناء ، أو
مجلبة التماسه والتقاء ، وأما من يختار المرأة لأنها ذات مال وثروة فهو إنما يختارها
لأمر خارج عن ذاتها فهي غير مطلوبة له ولا مرغوب فيها وإنما مطلوبه المال
يتمتع به وهي عنده وسيلة له فإذا تراءت بلال جائحة أو اغتالت غائلة صارت المرأة عنده
كالتشيء اللقا لا قيمة لها ولا حاجة اليها ، وما عساه تصادفه مع وجود المال من الخطوة
والكرامة فأجدر به أن يكون مصانعة ورياء وحسب الزوجين شقاء أن يراي بعضهما
بعضاً ويدهن أحدهما الآخر ، وهذا شأن من يطلب المال عفواً بغير عمل لا يكون
إلا صرايئاً مداهناً

يعيش المتافق مع الناس الذين يدهن لهم في اضطراب دائم لأنه يشمر في نفسه
بأنه يعيش مع خصماء وأعداء فإذا لم يكن له من يخلص هو لهم ويخلصون له فكان
شقاؤه دائماً واضطرابه مستمراً ، ومن أحق بهذا الاخلاص من الزوجين الذين
خلقوا ليسكن كل منهما الى الآخر ويلبسه في جميع شؤونه لباساً يحد به معه حق
يكونا كشيخص واحد !! أرايت إذا انعكس الأمر فكانت الزوجية التي هي علة السكون
والارتياح ، ومبعث الحب والاخلاص ، وسبب المودة والرحمة ، علة للاضطراب والانكاش ،
ومثار للرياء والدهان ؟ أرايت إذا صارت الغاية التي يقصد لأجلها الكسب ، وسيلة للرزق
وطريقة للربح ، يلجأ اليها الكسالى المترفون ، ويرغب فيها أهل النرم والطامعون ، أرايت
إذا وصل الناس الى هذا الحد في فساد الفطرة ، والخروج عن محيط الشرعة ، أيكون المال
الذي يبدون كافيًا لتحقيق سعادتهم ، وحفظ شرف بيوتهم وأمتهم ، ؟ كلا ان هؤلاء

لاحظ لهم في الحياة الا التوغل في اللذات الجسدية والزينة الظاهرة فلا يبالي واحد منهم بشرف البيت ولا بعزة الأمة، يخربون بيوتهم بأيديهم، ويسلون أمتهم بسوء مساعيهم، بل هم آلات التفريق والتحليل لان كل واحد منهم يهتم بلذته نفسه، ويجتهد في أن لا يتصل بغيره، وكيف يمكن أن يجمع مجموع قومه، من انكسبت نفسه دون الاتحاد بزوجه، على ما لاتحاد الزوجين من العلل والجواذب النفسية والطبيعية والشرعية والاجتماعية؟
يكثّر طلب للمرأة الغنية لهذا العهد في الطبقة المتعلمة على الطريقة المصرية فلا تكاد ترى بين شبان هذه الطبقة الا الباحثين عن البنات الوارثات أو اللواتي ينتظر ان يرثن مالا كبيرا وأرضاً واسعة ودوراً عامرة. ولا تكاد نسمع منهم عند ذكر الزواج الا قولهم انني أطلب فتاة تملك داراً وكذا قداناً من الطين. وهذا دليل على أن التعليم الذي تعلموه ما كان الاضاراً بهم بما أفسد من فطرتهم، وياشقاء من تزوج بواحد منهم، فاما يكون حظها منه أن يستعين بماطأ، على التمتع بشهواته الفاسدة خارج بيتها، ويذل لها ان سكنت موافقة، وألف ويل لها ان نطقت مخالفة،

لو ذهبنا نعد مفاصل هؤلاء الخذولين في اختيارهم هذا و آثاره خرج بنا القول عن حد المقالة المبها، ودخل في أبواب الكتب المطولة، وكفى بما ذكرناه منها العنقيل وسائقاً للنظر العقلي في ذلك والبحث في حال هؤلاء الناس وفيها عبر وآيات للمتفكرين
وقد يشبه على بعض الباحثين ما يراه من الحب وسكون النفس والوفاق وحسن المعيشة بين زوجين اختار الرجل منهما المرأة لغناها أو استحسان صورتها فيظن أن ما قلناه غير صحيح. ونحن لا نجهل ان مثل هذا قد يقع فيكون على حد المثل « زمية من غير رام » والسبب في مثله أن يكون بين هذين الزوجين مشاكسة في الطباع وتناصب في الاخلاق وتقارب في العادات من حيث لا يدري بذلك أحد منهما قبل الاقتران. ولكن هذا قليل لاسيما في طلاب المال وعباده الذين يرضون أن تكون الزوجية وسيلة له لان من بلغ منه فساد الفطرة هذا المبلغ قلما يهتأ لأحدهما عيش كما قلنا آنفاً

الطريقة المثلى في الاختيار

يجب أن يلاحظ في المرأة الصفات التي يرجى أن تحقق بها مضمون قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقوله عز

وجل «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» وقوله جل ثناؤه «محصنين غير مسافحين» وهذه الصفات بعضها بدنية وبعضها نفسية وبعضها قومية ومنها مالا بد منه في كل امرأة ومنها ما يختلف باختلاف أحوال الناس فيشترط عند بعض دون بعض .

أما الصفات الجسدية فمالا خلاف في اشتراطها منها الصحة وسلامة البدن من التشويه والامهات المنفرة ولا حاجة لتفصيل هذا الشرط ولا لبيان سوء حال الحياة الزوجية عند عدمه فإنه من المعلوم بالبدهة ان النفس لا تسكن الى ذوي العاهات والادواء بل تضطرب وتزعج منهم . وأن المرأة المريضة لا تحسن الرجل ولا تكون قرة عين له بل تكون بلاء عليه ، وأما ما يختلف فيه الأذواق فهو ما وراء ذلك مما يسمون الكمال فيه حسناً بارعاً وجمالاً رائعاً ، والميل إلى الحسن والجمال عزيز في البشر وهو مما يختلف فيه الأذواق والمشارب ، «وللناس فيها يشقون مذاهب» ، ولا نعرف شعباً من الناس يشترط وجاهه الجمال البارع في الزوج وإنما يمدونه من الأوصاف السكالية الا من ذكرنا في التبعة الأولى من هذا المقال وهم الذواقون الذين يتزوجون ميلاً مع الهوى لا اتباعاً للمصلحة ، ولا إقامة لسنة الفطرة .

قد يكون من المصلحة للاكثر تجنب الجمال البارع لمن يتزوج لمسا ذكرنا من منافع الزواج وحكمه ولكن يعذر من يعقت في المرأة صفة من الصفات اذا لم يرض الاقتران بالمتصفة به كمن يعقت بالبحيرة أو البهولة أو الرسحاء أو النقواء . وقد تكون هذه الأوصاف من المنغرات لبعض الناس . على ان لكل ساقطة لا قطة وانما يتخير الجمال البارع أو مادون البارع من يكون موضعاً لقسايق وغبات النساء وأهلبن اليه لمكاته وجاهه أو ثروته وماله . فان من طبيعة التفاضل أن يكون فيما تصل اليه يسهل الاستيلاء عليه

وأما الصفات النفسية فهي الأخلاق والملاكات والعلم أو العلوم فأما الأخلاق فانها علة لسعادة الحياة أو شقاءها في جميع طبقات الناس على الجملة . وأفضل أخلاق النساء العفة والصيانة لأن معنى الزوجية لا يتحقق إلا بختصاص وإيمان تكون المرأة مختصة بعملها اذا كانت عفيفة . ثم إن الحكمة في الزوجية هي الاتاج والنسل الذي يحفظ به النوع ويكثر به سواد الأمة وتبطل قوتها واختلاف الرجال على امرأة واحدة من أسباب قلة النسل فما

هتك النساء حجاب العفة في أمة إلا وقل نساها بمقدار شيوع الفاحشة فيها وناهيك
بما في اختلاط الانساب من المفسد • لا يوجد عيب من العيوب في الحلقة أو في
الاخلاق يذهب بهناء الزوجية وغبطتها ويححو آيات منافعها وحكمتها، كخيانة المرأة
لرجل في نفسها، ويغنيها عن الاسهاب في بيان ذلك ما هو ثابت في التراث ومعروف
بالاختبار، وقد من الشاعر العربي على أولاده بخير والدتهم من ذوات العفة قال

فاول احساني اليكم تخيري لما جدة الاعراق باد عفافها

ومن غريب إكسار الرجال لعفة نسايم أنك تجد الفاسقين من أشد الناس غيرة
لأن علمهم بفساد النساء يزيد في حذرهم على نسايم أن يكن كمن يعرفون من غيرهن
وهذا من أسباب قلة الزواج في البلاد التي يكثر فيها الزنا لأن أكثر الرجال يخافون
أن يتلوا بمن لا عفة لهن • وأغرب منه ما اشتهر عن الفساق من محاولة بعضهم الاختصاص
ببعض البغايا، يحب الرجل بيا تومه ان له عندها من الخطوة ما ليس لغيره فيبدل لها
المال الجم الكثير ليفتيها به عما تكسب من سواء، وتكون خاصة به دون من عدا،
وهي كانت البغي ترعى العهد، وتصفى الولد، ولكن جنون الرجال بالاختصاص
والغيرة يخرجهم عن محيط العقل والتجارب، وكم أدى ذلك الى دماء تسفك،
وارواح تزهق •

ومن الاخلاق التي لا يتم لاحد هناء العيش مع فقدها الامانة والحرص والاقتصاد
فاذا لم تكن المرأة أمينة على ما يهد اليها حفظه حريصة على ما بين يديها من مال
الرجل وكسبه مقصدة فيما تنفق تسوء حال البيت ويقع فيه الشقاق ويحيط به الشقاء
واما الصفات والملكات، التي تختلف الرغبة فيها باختلاف الاشخاص والطبقات،
فأهمها عند الطبقات المرتقية بالعلم والتربية النظام وتدير شؤون البيت واذا كانت
بيوت الشعر في الصحاري وشعاف الجبال، واكواخ الفقراء وبيوت الفلاحين في
المزارع والقرى، ليس فيها من الاثاث والرياش والماعون ولا من المرافق والاعمال
ما هو في ادارته وتديره ملكة النظام المكتسبة بالعلم والمادة والقدرة فان في دو
الطبقات العالية والمتوسطة من المتعلمين وكذا غير المتعلمين مالا يتم نظامه الا اذا
كانت ربة الدار مدبرة على النظام والتدبير • نعم ان غير المتعلمين لا يؤهلهم من فقد

النظام في بيوتهم ما يؤلم الذين عرفوا قيمة النظام وفوائده وتربوا عليه أو حملهم العلم بفائدته على طلبه والاستقامة على طريقته . يبلغ حب النظام بعض العارفين مبلغاً لا يهناً له عيش مادام يرى في داره شيئاً من الخلل الذي لا يشعر غير العارفين معرفته بكونه خلا لا يطلب إصلاحه فيكون حجرة النوم قليلة الأثاث تمرض فرشها وحشايا سريرها للشمس والهواء كل يوم ، و تكون كل من حجرة الجلوس وحجرة الطعام وحجرة المكتب وغيرهن على طريقة كذا وكذا . ومن المعلمين من يرى من ضروريات الحياة أن تكون نفقات البيت كلها في يد ربه وأن يكون العمل فيها بمقتضى ميزانية سنوية فإذا لم تكن امرأة قادرة على ذلك فإن نفسه لا تسكن إليها ولا تكون هي قرعة عين له . ولا تقل إن هذا يدخل في صفة العلم الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة فإن العلم لا يكفي فيه ولكنه شرط له فما كل من يتعلم علماً يقدر على العمل به وإنما يقدر عليه من يقرن العلم بالعمل والمزاولة .

كثير في الترك عدد الرجال الذين يريدون أن تكون المرأة قهرمانة وربحانة معاً وفي نساءهم (لاسيما في الآستانة) عدد غير قليل قهوين على ما يحب الرجال . وجميع المعلمين من النصارى وكثير من المسلمين في سوريا ومصر على هذا الرأي أيضاً ولكن عدم المسلمات التعليمات التربيات على هذه الطريقة قليل جداً في القطرين ولذلك صار الزواج يقل في المعلمين رويداً وإذا ارتقى التعليم والتهذيب عما هو عليه الآن في الرجال فإن هذه القلة تزيد زيادة فاحشة ولكن أكثر المعلمين لم ترتق نفوسهم عن اتخاذ المرأة وربحانة يتمتع بها ماصلة للتمتع كالزهرة تشم ويعتني بها مادامت غضة ذكية فإذا ذبلت ألقيت . ولا رغبة لهم فيها وراء هذا إلا بأن تكون ذات مال يتمتع به الزوج كما يتمتع بصاحبه فهي عندهم من جهة المتاع لا فرق بينها وبين ما يحصل ممها إلى دار الزوج من الأثاث والماعون إلا كما يفضل إناء إناء آخر من جنسه أو نوعه ولو كثرت عدد الفتيان المهذبن لبعه كثرة الفتيات المهذبات لانهن متى عرفوا واشتهر أن جواهر الشبان المحترمين لا يرغبون في غير المهذبة القادرة على إدارة المنزل وإقامة النظام فيه يادر الناس إلى تربية بناتهم على الطريقة المرغوب فيها لأن الفتيات يطلبن الفتيان دائماً بلسان الحال والاستعداد . فكل ما يشكو منه بعض الشبان المهذبن من سوء تربية البنات سببه سوء تربية البنين في الجمهور .

وان لي كلمة قلنا ثم علمت أن اللاوربيين كلمة تخالفها فإذا كرهما هنا أما كلمتهم فهي
 « كما يريد النساء يكون الرجال » وأما كلمتي فهي « كما يريد الرجال يكون النساء » والدليل
 على هذا أن النساء لا استقلال لمن في أنفسهن وإنما من تبع للرجال عند جميع الأمم.
 يولد للزوجين غلام وجارية فيريان الغلام على أن يكون رجلا مستقلا بيت كيتهما وعلى
 أن ينهض بكفالتهم عند الكبر أو السجز إذا كانا فقيرين ، ويريان الجارية على أن
 تكون تابعة لرجل يتزوج بها فيعولها ويكفلها فيكتفيا نأمرها « ينشأ في الغلام من أول
 من الإدراك شعور الاستقلال بنفسه وحاجة غيره إليه وينشأ في الجارية شعور القصور
 والحاجة إلى كفالة رجل غريب مجهول ستكون تابعة له ، ومن التقاليد العامة في أمتنا
 وفي غيرها أن هم النساء الأكبر هو أن يكن بحيث يحبهن الرجال ويرغبون فيهن لأنهن
 في حاجة إلى كفالتهم ولا يسهل عليهن طلبهم إلا بلسان الاستعداد وكونهن كما يحبون
 ويرغبون كما قلنا آنفاً ثم إن الوالدين الذين يريان الغلام والجارية يعلمان أن تزويج
 الجارية أعسر عليهما من تزويج الغلام من حيث أنه لا طار عليهما ولا عليه في الناس
 امرأة بالطلب والبحث ولو عن هم دونهم وأنه من المار العظيم أن يحنا على زوج لبنتها
 ويرضاها على الرجال وإن كانوا من الأكفاء وأشد من ذلك طارا ان بحث هي عن الزوج
 وتعرض نفسها على من تظن أنه يرضاها، وإن الشرف والمصلحة محصوران في تعرضها
 للخاطبين تريتها على ما يحب إلا كفاء ويرضون . نعم أن الأوربيين قد حاولوا تربية النساء
 على الاستقلال وتعليمهن طرق الكسب وجعلوا للبنات رأيا في اختيار الأزواج ولكنهم
 لم يخرجوا عن جعل المرأة تابعة للرجل ولم يقدروا على جعل أ كثر النساء مستقلات
 في معيشتهم غنيات عن الرجال بل هم الذين يربون بناتهم على ما يرغب فيه جهود قياتهم
 ويخطبون الزوج بالحال وبالمال جميعاً ويشعرون من سعادة الحياة الزوجية بما لا يشعر
 بمثله من لم يناموا شأوهم في الحياة الاجتماعية وللجارية المخطوبة عندهم مقام رفيع
 ولربة البيت مكانة مالية ولأم الأولاد المقام الأعلى وإنما قالوا كلمتهم تلك للترغيب في
 تعليم المرأة إذ لا يقرر الرجال على إتقان التربية إلا بإسعاد النساء لهم عليها . ثم إن هذه
 التربية الاستقلالية قد أضرت بالنساء أنفسهن حتى كثرت أصوات الكاتبات منهن بالشكوى
 منها وقلنا بعض ما كتب في المجلد الرابع فليراجع

الدين والأخلاق

ملاك تهذيب الأخلاق وقوام الملكات الدين فلو ربي البنات تربية دينية صحيحة لم يكن تهذيب الأخلاق، وكن مصدراً لمحاسن الأعمال، وقرة أعين للرجال، وقد عرفت الأمم الحية ذلك فعنت بتربية البنات على آداب الدين وأخلاقه وأعماله على فساد عقائد الكثيرين من علمائها وحكمائهم ذلك بأن هؤلاء الذين رأوا في دينهم ما لا ينطبق على علمهم القطعي فتركوا الدين للعلم يستقدون أن الدين هو روح التهذيب والآداب في البشر وأن هذا الروح هو الأصل في الحياة الزوجية والحياة القومية لأسباب في النساء والناشئين فإذا هو زال تعذر الاستغناء عنه أو استبدال غيره به كالشرف والعلم بالمصلحة، والذين جروا على هذه الطريقة من نصارى الشرق يحامون الانتقاد على الدين في حضرة النساء وإن كانوا لا يستقدون ولا يؤمنون فلا يتسرب الشك والارتياب إلى نفوس النساء، بل أخبرني بعض علمائهم وأدبائهم المشهورين أنهم يكونون في النادي أو السامر ينتقدون بعض رجال الدين منهم فتدخل إحدى النساء فيحولون الحديث لكيلا تسمع انتقادهم فيقل احترام الدين من نفسها ويضعف الشعور به في قلبها، ولا تجد جزءاً من هذه العناية عند المسلمين الذين جهلوا الدين فأهملوه، بل ولا عند الذين سلم اعتقادهم وحسن عملهم، وكل ما عند النساء المسلمات من الدين فهو من تقليد الدين بشأن فيهم وتربيتهم ليس للرجال فيه عناية ولا عمل وبألبت فساق قومنا وزنادقهم يكتبون بإهمال تربية النساء على آداب الدين وتعلمهن أحكامه ولا يظهرون لهن ما هم عليه من الفساد والاحاد فقد حدثني كثيرون من الثقات المختبرين أن كثيراً من المسلمين (الجفرايين) (*) يجتمعون مع عيالهم لطعام الغداء بعد الظهر في شهر رمضان وإن منهم من يتزوج بالمرأة فيكرهها على شرب الخمر معه وأخبرني شيخ من أهل القاهرة أن رجلاً تزوج بنت من أقاربه (أي أقارب الشيخ) فدعاها إلى شرب الخمر معه فأبى ولما أعياء إلزامها طلقها، وأغرب من هذا ما يتحدثون به عن بعض أصحاب البيوت أو البيوتات من إشراك البنات مع الرجال في ساقرة الخمر ومن أحضار

(*) نهر على المسلمين الذين ليسوا على شيء من الإسلام بالمسلمين الجفرايين لأن الإحصاء

الذي يذكر في كتب الجفراية يدهم منهم، وقد نهينا على هذا من قبل.

أهل الرقص والعزف من الرجال والنساء إلى البيوت واجتماعهم في بعض الحجرات على المقامرة والمخامرة والنساء يسهمن وينظرن من وراء السجوف والستار يظن الكثيرون من فساق البلاد المشرقية أن الدين في أوروبا قد صار نسياً وأن ذلك لم يزد أمماً إلا ارتقاء لانه أثر الارتقاء وذلك أن هؤلاء لا تتوجه نفوسهم ولا يهتدون استعدادهم إلا لمعرفة أمثالهم والصواب إن أكثر أهل أوروبا متدينون وإنما أبطأوا التقاليد النصرانية التي تنافي العمران والارتقاء لأنها ليست إلا من وضع الرؤساء وهم مع ذلك أشد الناس تعصباً لدينهم وعلى من يخالف دينهم ولا ينافي ذلك كثرة الفسق في بلادهم لاسيما التي تغلب فيها الكاثوليكية كفرنسا وإيطاليا فإن من الأسباب في ذلك المذهب الذي يمد من أصوله أن القسوس والرؤساء ينفرون الذنوب كما أن من أسباب الحرية الشخصية وعدم التكبر وإباحة الخمر أم الحباث . ولقد يسهل على الفاسق أن يجد كثيراً من الفاسقين والفاسقات في كل المدن العظيمة في الأرض حتى ما كان فيها الفسق منكراً وممنوعاً أظهره لا يراه إلا الباحثون عنه ومن بحث عن شيء مما لا يخلو العمران منه وجدته فإذا هو قصر همه عليه ظن أن كل الناس أوجبهم على مذهب فيه .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وحسن ما يعتاده من توهم

أهل فرنسا أقل الأوربيين تمسكاً بالدين لتطرفهم في الحرية والجمهورية التي يرون سلطة الكنيسة الكاثوليكية خطراً عليها ولذلك قاوموا جميعات القسيسين ومدارسهم وقد سألت فرنسا عن تدين قومه فقالوا أكثرنا متدين يحب الله ولكن لا نحب الكنيسة إذا فرضنا أن نعيم التعليم والتربية على حب الوطن والآداب القومية قد يغني عن الدين في إصلاح حال البيوت والجميعات فأوربا هي التي يمكنها أن تستغني عنه بذلك ولكنها لم تقل بذلك ولم تعمل به ولا أدري بماذا يستغني المسلمون عن آدابهم الدينية التي أمسوا لا يبالون بهاء هل الرابطة الوطنية التي يلفظ بها مصطفى كامل وأضرابه من الأحداث المتفرجين كافية في هذه الأمة التي غلب عليها الجهل والامية . ووقع معظم أوطانها في قبضة الدول الأجنبية ، لأن نصلاح ما أفسد الزمان فيها من الآداب الشخصية والروابط الزوجية ، لتكون مهامة عزيزة قوية ، ؟ وهل يكفي في تفخ روح هذه الحياة الوطنية أن ينمق ناعق في الأمة بمدحها وإن لم يسمع نعاقه الاقليل ولم يفهم مراده منهم الا اقل

القليل وأكثروا من فهم ومن لم يفهم، يرى أن اتفاق وسيلة للدرهم، ؟؟
ومن المجانب أن هؤلاء الأحداث المتفرجين يهذون أحياناً أو كثيراً بالكلام
في الأمة والملة ويشكون بالقول من سوء الحال وخطر الاستقبال ثم لا ينتبهون لوجوب
بت روح الدين في البيوت وتربية النساء على أعماله وآدابه ليربوا الأطفال عليها بل
تراهم يسيرتهم عوناً للجهل على إفساد بقايا الدين التقليدية إذ لا يتعلمون شيئاً من
أحكام الدين ولا يعملون بما هو معلوم منه بالضرورة ولا يسألون عن دين من يخطبونها
وانما يسألون هل تعلمت لغة أجنبية هل تعلمت العزف على البيانو والعود هل عندها مال كثير
يساعدنا على المصيف في أوروبا والتحق بلذاتها؟ وأعجب من هذا أنهم يدعون أحياناً الانتصار
للدين بدم أوروبا وذكر طمعتها في بلاد المسلمين واعتدائها على استقلالهم وعلى دينهم
بما تبعه من الكتب والدعاة إلى النصرانية ويوزل هذا العجب إذا عرف سببه وهو
مخادعة المسلمين بإيهامهم خدمة للملة لينفذوهم بالدرهم والدينار وأنى يخدم الملة من لا
يفهم كتابها ولا يعرف سنتها ولا يحقق بمقائدها ولا يقيم عباداتها ولا يخلق بأخلاقها
بل أخذ عن أوروبا من الأخلاق والمعادن السيئة ما يفرق به كتبها، ويطلق به وحدتها،
ويفسخ به شرعتها، ثم هو يشكونها ومن آثارها في إفساد النابتة وجموع الأمة !!
وجهة القول أن الحياة الزوجية في المسلمين لا يمكن أن تكون سميدة في نفسها
وسيلة لارتقاء الأمة وتزويها إلا إذا كان الزوجان متصممين بحبل الدين متمسكين
بصروتها في الأخلاق والآداب والأعمال ليكونا قدوة لأولادها في ذلك، وإن الخطر
الذي يهدد المسلمين وينذرهم بزوال سلطتهم من الأرض لا يزول إلا بصلاح حال
البيوت الأدبية على هذا الوجه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: تسبح المرأة لأربع لما لها
ولحسبها ولجمالها ولدينها فاطفر بذات الدين تربت يداك، رواه أحمد والشيخان وأصحاب
السنن ما عدا الترمذي عن أبي هريرة قال: لكن من لنا من يصلح لنا أخلاقنا وآدابنا الدينية وليس
لنا زعماء ولا سراة من أهل الدين والحكمة، وإذا ظهر فينا زعم فالتضعف استعدادنا
لا نتقم به بل يحكم فيه جمهورنا كلام الأحداث المغرورين، الذين يضرهم ويفضحهم
ما يدعوا إليه من إحياء روح الدين !!



فتاوى المفتان

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ،اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعداً منا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا . ولئن عضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

حقوق الذميين ومعاملة الاجانب

(س ٩) م ١٠٠ في سراي بوسنة : كتب محمد فريد وجدي في كتابه « تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية » في بحث واجبات المسلمين بالنسبة للذميين أي أهل الكتاب الذين هم في ذمة المسلمين في صحيفة ٨٦ « وقد ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعظم أسوة يجب ان نأتي بها في معاملة الاجانب عن ديننا ومخالفتي معتقداتنا فانه عليه أشرف التحية والسلام كان يحضروا لأئمتهم ويشي عجالهم ويشيع جنازتهم ويعزيهم على مصائبهم »

ونحن لم نطلع على ذلك في كتاب غير كتابه المذكور ولا ندري : أيجوز ذلك أم لا وخصوصاً تشييع جنازتهم فانه صلى الله عليه وسلم على ما علم نهي عن ذلك بقوله عز وجل : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » وهذا وإن نزل في حق الصلوة على المنافقين والقيام على قبورهم الا انه يدخل فيهم سائر الكفار قياساً بدليل قوله عز وجل عقيب ذلك « أنهم كفروا بالله وبرسوله وما تواؤهم فاسقون » فيجئنا الى حضرتكم سائلين أن تبينوا لنا هل صح انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نقلناه آنفاً من الكتاب المذكور وهل جاز لنا أن نفعل ذلك اقتداءً بأثر نينا صلى الله عليه وسلم فان صح ذلك وجاز لنا أن نفعل فما هو الجواب عن الآية الكريمة المذكورة ؟ أفيدونا بذلك آجركم الله تعالى :

(ج) ما ذكره فريد أفندي في كتابه غير صحيح على الإطلاق وقد بينا غير مرة أنه لايجوز الاعتماد على ما يذكر في الكتب من الأحاديث والسنة الا اذا كانت معروفة الى مخرجها من المحدثين ليعرف صحيحها من غير . وعباوة فريد أفندي يدل على أن ما ذكره

كان سنة متبعة ولو كان كذلك لاتفق الفقهاء أو أهل الآثار منهم على القول بوجوبها أو منيها. نعم ورد في العبادة حديث صحيح ذكرناه في المجلد السابع وفيه حديث ضعيف عند البيهقي عن أنس « كان إذا عاد رجلاً على غير الإسلام لم يجلس عنده وقال كيف أنت يا يهودي كيف أنت يا نصراني ولا يجتج به » وأي حجة لنا على حسن معاملة المخالفين لنا في الدين أقوى من قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » الخ ومن أباحة طعام أهل الكتاب والزواج منهم ومن وجوب حاية الذمي والمماهد وغير ذلك مما هو معلوم فلا حاجة إلى أن نغزو إلى السنة ما ليس منها ونوجب على المسلمين ما لم يوجب الله تعالى عليهم مما ذكر في السؤال

أما قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات » الآية فهو نهي عن جعل المناقبين كالمسلمين في أحكام الدين الظاهرة والاستدلال به على تحريم تشييع جنازة الكافر أو زيارة قبره غير ظاهر ولم أر أحداً من علماء السلف وأئمة الدين استنبط ذلك منها ولكن بعض المفسرين المتأخرين رأى أن من الاحتياط عدم زيارة قبر الكافر لأنه يشبه أن يكون من القيام المذكور في قوله « ولا تقم على قبره » وإن أجاز الزيارة كثير من العلماء بل نقل بعضهم جوازها عن أكثر العلماء لأنهم لا يبالون بالعبادة والصواب أن القيام المنهي عنه هو ما كان معهوداً من القيام على القبر بعد الدفن للدعاء والاستغفار ولا شك أنه محرم على المسلم أن يشارك غير المسلمين في كل عمل من أعمال دينهم وأنه يباح له أن يجاملهم فيما لا ليس من أعمال دينهم ولا مخالفاً لديننا وقد ذكرنا في المجلد الماضي وغيره كثيراً من أحكام معاملات المسلمين لغيرهم وفيها من التساهل ما نفتخر به على جميع الملل فلتراجع

هو المدالة العامة وحكمة الله في الناس ﴿

(س ١٠) ومنه: ربما يقع البحث عن الواجب الوجود تعالى وتقدس وأوصافه الشريفة وخصوصاً كمال عدله ورحمته تعالى فيوجد من الشاكين المشككين من يقول لو كان الله موصوفاً بكمال العدل لما جعل بعض الناس مؤمنين وبعضهم كافرين وجعل مأوى الطائفة الأولى الجنة والآخرة جهنم فإذا أوجب له عن ذلك بما أوجبتم في واحد من أعداد النار وهو أن الله تعالى لم يخلق كافراً قط إلى آخر ما قلتم وأقع

بذلك أورد اعتراضاً آخر يقول فيه : نعم سلمنا أنه لم يخلق كافراً قط كما قام لكن ليس من العدل أن يجعل بعض الناس مولوداً من الأيوين المؤمنين اللذين يكونان سبب إيمانهم وفي ديار الإسلام التي أكثر أهلها أهل الإسلام والناسي بينهم في العادة يتخذ ديناً ومذهباً مثل دينهم ومذهبهم وإن يجعل البعض الآخر مولوداً عن الأيوين الكافرين اللذين يهودانه أو نصرانه أو مجسانه وفي دار أهل الكفر اللذين بمجاورتهم وانتشور بينهم يكون هو في العادة مثلهم قرب رجل مؤمن لولد من الأيوين الكافرين وخصوصاً في دار أهل الكفر لم يكن مؤمناً بل قلما يتصور ذلك وبالعكس وب رجل كافر لو ولده أبوان مؤمنان وخصوصاً لو نشأ بين أهل الإسلام كان مسلماً ولم يكن كافراً فسهل لبعضهم الدخول إلى الإسلام ووعدوا الجنة وسبب ذلك للبعض الآخر وأوعده بجهنم .

وإذا جيء إلى البحث عن كمال رحمة تعالى يقول : إما أنه تعالى ليس متصفاً بكمال الرحمة وإما أنه لا يدخل أولاً يخلد أحداً في النار فإن تخليد التعذيب لا سيما بالنار التي هي أشد المذيب الذي إذا ذكر أقشع جلد الرجل المدني لا يليق بإنسان بل يخرج عنه أن يكون رحماً بالطريق الأولى عن أن يكون متصفاً بكمال الرحمة فكيف يليق ذلك بالباري تعالى الذي يقول في حقه أن أعمالنا لا تضره ولا تنفعه ؟ فحينئذ يسرعين إلى باب جنابكم راجين أن تشفوا غليل صدورنا بمحدد الرد على الاعتراضات المذكورة للشاكين المشككين وترووننا بزال أجوبتكم الشافية الوافية التي تكون حجة جازمة للموحدين ، دافعة للذين امتلأت قلوبهم بشبهات الطييعين والدهريين ، وخلت عن اليقين الخصوص بالمؤمنين ، لازمت ملجأ وملاذ للمحتاجين ، إلى الاستنارة بنور علم الدين المين ، ومورداً للذين صدورهم ظمأى ، وطيباً للذين قلوبهم مرضى ، قاهر اللذين أفقدتهم هواء :

(ج) ترى في كتب الصوفية كلمة جليلة يروونها حديثاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول المحدثون أنها لم ترو حديثاً وإنما هي ليحيى بن ميمون الرازي رحمه الله تعالى وهي « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ولا يعرف علو قدر هذه الكلمة إلا من عرف نفسه وعرف ربه فإن كانت ليحيى فله دور يحيى « من عرف نفسه بعرفان معنى الإنسان وما خص به من المزايا والمقومات لا يصدور عنه مثل ذلك الاعتراض الذي يهذي به

جهلاء للماديين أو المقلدين الذين قال في مثلهم الشاعر:

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لا هم كفروا بالله تقليدا

لا ينكر هؤلاء المنترضون أن الإنسان أرقى المخلوقات المروفة في هذا العالم ثم إنهم على اعترافهم بفضل الإنسان وسمو الحكمة في خلقه وتقويته يبتذرون من الأقوال ما يستلزم الاعتراض على خلق الإنسان والاعتراف بأن عدمه خير من وجوده

ثم إن لاعتراضهم سببا آخر وهو الجهل بمعنى ماورد من إثابة المحسنين وعقاب المجرمين إذا ظنوا أنه من قيل عقاب الحكام لمن يخالف أوامرهم وقوانينهم انتقاما منهم والحق أن ماورد في القرآن من ذلك هو كالشرح لما أودعه الله تعالى في خلق الإنسان من المزايا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم والتبعية أن ذلك الاعتراض جهل بالحقيقة و جهل بالتشريعة

بيان ذلك أن الإنسان خلق مستمدا لأرتقاء وكمال في عقله وروحه غير محدودين على أن يكون ارتقاؤه بسميه وعمله الاختياري كما خلق مستمدا لأن يهبط بسميه واختياره إلى أخس دركة من الشر والرذيلة . هكذا خلق الإنسان كما هو معروف لنا في أنفسنا وفيما نراه في أفراد جنسنا وجمياته ولم يخلق حيوانا محضا كسائر أنواع الحيوان محدود الادراك والقوى ملهما طلب ما تقوم به حياته الحيوانية واجتتاب مالا حاجة له به في تهيئتها ، ولا ملكا روحانيا كامل الخلقة محدود القوى لا أثر لعمله في ارتقاؤه ولا في تدهيره . فالإنسان نوع من أنواع الحقائق الممكنة تملكت قدرة الله تعالى بإيجاده فوجد على ما نعلم من الاستعداد غير المتناهي الذي تظهر آثاره جيلا بعد جيل ولو لم يوجد الله تعالى هذه الحقيقة لكان العالم ناقصاً ولم يكن فيه شيء من هذه الآثار البديعة التي تظهر وسيظهر بها من سنن الله تعالى وحكمه في خلقه ما لم يكن يظهر لو لا هذا النوع المكرم لأن الحكمة الأزلية قصت بأن تكون آثار مخلوق مختار في عمله غير محدود في قواه وتصرفه لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يخلق قوة من قواه البدنية والروحية عبثاً فكل قوة منها آلة لاكتساب الخير والسعي في أسباب الرقي إذا لم يفرط ولم يفرط في استعمالها وقد جعل الله ميزانين يعرف بهما القسط في الوزن من التفریط وهو الحسبان والافراط وهو الطغيان وهما العقل والدين . فمن كان له اعتراض على قوة من قوى الإنسان أو منية من

من آياته يزعم أنها تنافي العدل الإلهي أو الرحمة العامة فإثنا مستعدون لكشف الشبهة
له في اعتراضه وإثبات أن تلك القوة آية من آيات العدل والحكمة وأثر من آثار
الفضل والرحمة

بعد التسليم بأن الإنسان أثر من آثار الحكمة والرحمة تنظر في تأثير عمله في
نفسه التي هي حقيقة وجوهه كما أن البدن صورته ومظهره فتجد أن من تلك الأعمال
ما ترتقى به النفس في معارفها وصفاتها وهو ما تكتسبه من العقائد الصحيحة والمعارف
الحقيقية ومن عمل الخير والبر ومنها ما هو بضد ذلك والمرتبون هم الأبرار والآخر
هم الفجار، وإذا انتهينا إلى هذا الحد من بيان حقيقة الإنسان، فإثنا نذكر مسألة الكفر
والإيمان، ونذكر بعدها مسألة الرحمة والمذاب متجنين التطويل والأطناب، لما سبق
لنا من تكرير الدخول في هذا الباب، فنقول

بيننا غير مرة أن عقائد الإسلام هي سرقة لأقل وآدابه وعباداته سرقة للنفس
وأحكامه سرقة للاجتماع وقد ذكرنا هذا المعنى في تفسير « ومن يرتدد منكم عن
دينه فإنت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون » من هذا الجزء، فننضم إلى هذه الأصول دعوة صحيحة فلم ينظر
فيها أو نظر فظهر له الحق فمأنده ولم يتبعه يكن في غاية الأخطاط العقلي والنفسي ونهاية
البعد عن الحق والخير والتوغل في الباطل والشر وهو ما يعبر عنه بالكفر والجحود
وهو الجاني على نفسه بمماندة الحق والخير ورفض سلم الترقى، وأما من لم يبلغه هذه الدعوة
على وجهها الصحيح الذي يحرك إلى النظر ومن بخلته فنظر فيها بالأخلاص ولم تظهر له
حقيقتها فهو غير مماند للحق ولا كاره بسوء اختياره للخير، وعلامة مثله أن يتبع ما يظهر
له أنه الحق ويعمل بما يراه من الخير بحسب فهمه واجتهاده ولكنه مع هذا لا بد أن يكون
منحط العقل والأدراك إذ عرض عليه أرقى العقائد وأسمى الفضائل وأعدل الشرائع فلم
يتبدل إلى فهم مكانة هذه الأصول فلا يكون ارتقاؤه كارتقاء من فهم هذه الأصول وتقبلها
وكل نفسه بها، فإثنا طبقات في الارتقاء العقلي والروحي أرقاها طبقة المؤمنين الكاملين
وقليل ما هم وأسفلها طبقة الذين يبدون الحق لا يحفلون به ولا ينظرون في دعوته
أو يماندونه ويجاحدونه كرامة وعداء لاهله، وبينهما طبقات من الناس كالذين يقبلون

الدعوة ولا يقومون بحقوقها كما يجب والذين لم نبأهم الدعوة بالمرّة • وقد أرشدنا الدين إلى أن الناس يكونون في النشأة الآخرة في دارين أحدهما دار نعيم ورضوان والثانية دار آلام وخذلان سميت الأولى الجنة لأن فيها جنات وبساتين لا بمعنى أنها بستان واحد فقط وسميت الثانية النار والجحيم لا بمعنى أنها كلها جذوة نار ملتهبة بل ورد أن فيها زهريرا • وإنما هما دارا مخلود للسعداء والأشقياء وكلاهما من عالم الغيب لا يجوز لنا البحث عن حقيقتيهما والتحكم في بيان كنهيهما كما هو مقرر في علم العقائد من وجوب التفويض في أمر الآخرة وعالم الغيب

وخلاصة القول إن الإنسان خلق مستهداً لقبول الحق والباطل ولعمل الخير والشر وهو مختار في أفعاله التي بها يترقى في عقله وروحه وكلها ما أرشد إليه الدين الحق أو يتردى فيها وغاية تربيته الجحود والكفر • وإن خلق الإنسان على هذه الصفة التي هو عليها من أبداع حكم الله وعدله وأن هذا النظام والإحكام سيكون من أثره سعادة المرتقي بالإيمان الكامل والعمل الصالح في الحياة الآخرة، وشقاوة الكافر المجرم في النشأة الثانية • وكل ذلك نتيجة عمل الفريقين وأثر سعيهما كما يتم العالم الحكيم بالذات العقلية والمعارف الصحيحة والأخلاق الكريمة في هذه الحياة من حيث يحسبون الجاهل الشرير في عذاب أليم من وساوسه وهواجسه ومفاسده أخلاقه • فالجزاء في الدنيا وفي الآخرة كله عدل ورحمة • لأنه أثر النظام والحكمة • فالاعتراض على تفاوتهم في الآخرة كالاكتراض على تفاوتهم في الدنيا « وما ربك بظلام للبصير » وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم • وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين »

وقد بينا هذه المعاني مرات كثيرة في التفسير وفي غير التفسير وكنا نود أن نكتب هذا الجواب في وقت صفاء وسعة ليكون آسماً ياتنا أولئك زارنا عند الكتابة أناس شغلونا بالقليل والقال فان خفي عن السائل شيء أو أحب زيادة البيان فيه فليكتب إلينا ثانية والله الموفق

حجرتي فتوى ابن حجر في تحريم الاجتماع للموالد وغيرهما من البدع

كتبنا غير مرة في بيان مفاسد هذه الاجتماعات التي يسمونها الموالد • وقد سمعنا وقرأنا في الجرائد أن مولد السيد البدوي (رحمه الله تعالى) الذي احتفل به في هذه

الأيام قد حشر له من الخلائق أكثر من ألف ألف أي أكثر من ضعفي حجاج
بيت الله الحرام وإن أسواق التجارة فيه كاسدة ولكن أسواق الفحش والفجور في
رواج لم يهتد له نظير لأن ثروة المصريين كل عام في مزيد وتمسكهم بالدين كل يوم
في قص . وقد أحيينا أن تنشر لهم فتوى في الموالد لأشهر فقهاء الشافعية في عصره .
وأكثر المصريين شافعية . وهي موافقة لسائر المذاهب لأن الدليل الذي ذكره
متفق عليه ولأنه لو كانت المسألة خلافية لما اطلق القول بحكمها . ليمر ف من لم يكن
يعرف أن حضور بعض علماء العصر في هذه الموالد لا يدل على حملها وإنما يدل على
عصيانهم لله تعالى وعدم الاعتداد بعلمهم ولا بعلمهم . وهي بحروفها كما في ص ١١٢
من الفتاوى الحديثة :

« وسئل فقهاء الله به عن حكم الموالد والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا
الزمان هل هي سنة أم فضيلة أم بدعة ؟ فإن قلتم أنها فضيلة فهل ورد في فضلها أثر
عن السلف أو شيء من الأخبار ؟ وهل الاجتماع للبدعة المباح جائز أم لا ؟ وهل
إذا كان يحصل بسببها أو سبب صلاة التراويح اختلاط واجتماع بين النساء والرجال
ويحصل مع ذلك مؤانسة ومحادثة ومعاينة غير مرضية شرعاً (عل) وقاعدة الشرع
مهما رجحت المفسدة حرمت المصلحة وصلاة التراويح سنة ويحصل بسببها هذه الأسباب
المنكرة فهل يمنع الناس من فعلها أم لا يضر ذلك ؟ »

« فأجاب بقوله : الموالد والأذكار التي تفعل عندنا أكثرها مشتمل على خير
كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وعلى شرب
شعير لو لم يكن منهما إلا رؤية النساء للرجال الأجانب (لكني) وبعضها ليس فيها شر
لكنه قليل نادر ولا شك أن القسم الأول ممنوع لقاعدة المشهور بالقررة أن درء المفاسد
مقدم على جلب المصالح فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص
آثم ويفرض أنه عمل في ذلك خيراً قريباً خيراً لا يساوي شره ألا ترى أن الشارع
صلى الله عليه وسلم اكتفى في الخير بما تيسر وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال :
« إذا حركتكم بأمر فاقبوا منه ما استطعتم وإذا نهىتكم عن شيء فاجنبوه » فتأمل ما
قرره من أن الشر وإن قل لا يرخس في شيء . منه والخير يكتفى منه بما تيسر . والقسم

الثاني سنة تشملها الأحاديث الواردة في الأذكار الخاصة والعامة كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يقيم قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة » وذكرهم الله تعالى فيمن عنده « رواء مسلم وروى أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال تقوم يذكرون الله ويحمدونه على أن هداهم للإسلام : « أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة وفي الحديث أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له وإن الجالس على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله تعالى بالثناء عليهم بين الملائكة فأني فضل أجل من هذه » وقول السائل نعم الله به وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز ؟ جوابه نعم هو جائز قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : البدعة فعل ما لم يعمد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم إلى خمسة أحكام : يعني الوجوب والتدب الخ « وطريق معرفة ذلك أن نخرج البدعة على قواعد الشرع فأني حكم دخلت فيه فهي منه فمن البدع الواجبة تعلم النحو الذي يفهم به القرآن والسنة ومن البدع المحرمة مذهب نحو القدرية ومن البدع المدونة أحداث نحو المدارس والاجتماع لصلاة التراويح ومن البدع المباحة المصاحفة بعد الصلاة ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد والمصاحف أي بغير الذهب والفضة محرمة وفي الحديث « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وهو محمول على المحرمة لا غير وحيث حصل في ذلك الاجتماع لذكر أو صلاة التراويح أو نحوها محرم ويجب على كل ذي قدرة النهي عن ذلك وعلى غيره الامتناع من حضور ذلك والأصاير يكرهون من ثم صرح الشيخان بأن من المعاصي الجلوس مع الفساق أينا سألهم « أه « وعبارته تشمر أنه لم يكن في هذا الموالد على عهد من المنكرات عشر مشارفها اليوم أفلم يكن الفسق مباحاً في عصر من العصور كما هو اليوم مع عموم الجهل بالدين وكثرة الفواحش والدناير فكيف لو رأى زماناً هذا وإذا كان الاجتماع للذكر أو صلاة التراويح يحرم إذا هو اشتمل على محرم ويجب النهي عنه لمن قدر فكيف لا يجب على شيخ الأزهر النهي عن مثل الموالد الأحدي الذي صار موسماً للفحش والفجور وكبائر الذنوب والذي يتمتع لأجله طلب العلم في الجامع الأحدي ليكون مأوى للنساء ينامون مع الرجال ليسلاً ونهاواً وللأطفال يبولون فيه وينوطون والمجانين يصيحون فيه ويصخبون « وأما خصصنا شيخ الأزهر بالذكر لانه أقدر رجل في عصر على إبطال هذه البدع والفواحش والله الموفق

باب الحركات

سجل أحوال المغرب الأقصى

كتب إلينا من قاص عاصمة المملكة المراكشية ما يأتي
أحوال المغرب الأقصى الحالية في غاية الارتباك والتشوش وأضحت أعقد من
ذنب الضب وبيان ذلك : أن سفير فرنسا طالب من السلطان باسم حكومته تقرير
مطالبه الآتية : (١) ترتيب وتنظيم جيش يؤلف من ١٠٠ أورطه (٢) أن يكون هذا
الجيش تحت إمرة أحد قواد فرنسا ويعطى هذا القائد صفة وعنوان مستشار لناظر
الحربية الفرنسية (٣) أن يكون ضباط الجيش مافوق اليوزباشي من الفرنسيين
(٤) مد الأسلاك البرقية بواسطة الفرنسيين (٥) تعيين مستشارين فرنسيين للمالية
ولما أبلغ السلطان طلبات السفير ألف في الحال لجنة من حسين واحداً من أعيان
البلاد وكلفهم أن يقرروا ما يجب وإن يكتبوا الجواب اللازم ليبلغ السفير الفرنسي
واجتمعت اللجنة قبل تاريخه بثلاثة أيام وقررت باتفاق الآراء رفض طلبات السفير
ولما أرسل الجواب إليه قال : إنكم تقوم لا تبغون الإصلاح لوطنكم ولكن اعلموا
أن الحكومة الفرنسية تصرف كل سنة ما يزيد عن ستة ملايين في سبيل إعادة
الامن العام على الحدود الجزائرية الذي طالما اختل بسبب ثورات القبائل الماشقة
من قساد أحكامكم وسوء أحوالكم لذا ترى حكومي أن ترسل جنود المقاومة كل
ثورة تقوم على الحدود في المستقبل وتضرب القبائل الثائرة وتؤديها وتضبط بلادها
وتعين عليها الحكام والقضاة من قبلها (أي فرنسا) والآن أريد من حضرة السلطان
أن يصدق على طلبي هذا ويأذن أن تعمل بموجبه .

هذا ما قاله السفير الفرنسي وهذا ما طلبه بعد رفض طلباته الأولى على أن
الفتن والقتال والمشا كل والثورات الناشئة عما يليق أصحاب الدسائس مثل أبي
حمارة وأبي عمامة امتدت على طول الحدود الجزائرية حتى إن نار الثورة سرت
من الحدود إلى القبائل النازلة قرب العاصمة التي لا تبعد عن أبوابها إلا ساعتين فقط
والحكومة متحيرة في أمرها لا تعلم كيف ترد عنها هذه النازلة والمتنظر أن تصير
الثورة عامة في البلاد المراكشية فتقضي على المملكة . ويوجد الآن جيش مؤلف

من (٥٠٠٠٠) جندي من مسامي الجزائر في (وجده) على مقربة من الحدود ينتظرون الأمر من الحكومة الفرنسية لتخطي الحدود والدخول في الأراضي المراكشية على أن حكومة المخزن ليس لها حق في ماصمتها أكثر من خصائصة جندي . كل ذلك والسلمون قضائهم وحكامهم وعلماؤهم وعامتهم ينتظرون المدد والفرج من قبر مولاي إدريس والسلطان يستأجر مائتين من طلبة العلوم ويأتي بهم كل ليلة للنداء بكلمة (يا لطيف) مائة ألف مرة فيجلسون عند قبر مولاي إدريس ويرسلون أصواتهم إلى السماء قائلين (يا لطيف يا لطيف ٠٠٠) والناس ينتظرون من تأثير ذلك أن يرضى السفير الفرنسي فيموت أو أن ألمانيا تعلن الحرب على الحكومة الجمهورية . ومن المصادقات الغربية أن وردت الأخبار يقرب وصول امبراطور ألمانيا إلى طنجة فأتهجت القلوب وابتسمت الثغور ولا تسل عما دخل من السرور بل من الفروخ في قلوب هؤلاء الطلبة قراء (يا لطيف) من فوزهم الاكبر هذا ونجاحهم باستجلاب امبراطور الألمان إلى بلادهم ليدروا عنهم العلة الفرنسية نسئل الله أن يكون في عون هذا الأمة المسكينة المسماة إلى يد الجهل والغرور

أما السلطان فإنه أرسل محم مولاي عبد الملك والصدر الأعظم ومستشار ناظر الخارجية لاستقبال عاملي الألمان ومعهم كثير من الهدايا النفيسة ومما يصح أن يذكر أن السفير الفرنسي لم يذكر شيئاً عن نشر المعارف وفتح المدارس في مذكرته بل يظهر أنه يقاوم المعارف فقد علمنا أن بعض الأعيان والأغنياء هنا عزموا على فتح مدرسة حرية وأخرى طيبة بشرط أن يكون التدريس فيها باللغة العربية ولما استأذنوا أولي الشأن في المسألة وبلغت مسامع السفير الفرنسي استشاط غضباً وأقام التكبر واعترض اعتراضاً شديداً على فتح المدارس . ولا إصلاح بدونها رأينا في النار أنهم فازمون على الرد عن رسالة المهدي الوزاني ولا حاجة إلى ذلك فانها ملانة بقال فلان وحكي فلان كأن الرجل مسدود الأذنين عن الآية القائلة (اياك نعبد واياك نستعين) ولا يخفى أن هذا الرجل ومن مائة يحصلون على قوتهم من وراء قبور (الاولياء) واتم باجتهاداتكم الدفينة المفيدة أقم سدائنا منيما بينهم وبين مقامهم فلو استطاع لنسفكم بقنبلة مدفع ولم يكتف بالرد عليكم

هنا ربيعة (الربيعة صندوق التدور) عبد السلام الوزاني وربيعة مولاي إدريس يملآنه الأيسر بمعمل (قابريقة) مدافع كروب إذ أن العوام ينثرون نصف ما يكسبونه

على ربيعة مولاي ادريس قائلين (يا قطب المغرب يا مولاي ادريس) ويضعون النصف
الآخر في جيب الوزاني صائحين (يا دار الضمان) اهـ

(المنار) اذا صحت رواية المكاتب ولا نعلمها الا صحيحة فالسفير الفرنسي لم يترك لها قتل
منفذا لتحسين الظن بفرنسا لأن مقاومة العلم والاكتفاء من الاصلاح بالاحذ بقوف رقة
الحرية وبمحجزه خزينة المالية وبمناقد المواصفات العمومية مما يثير سوء الظن بأنه لا غرض
لفرنسا إلا الاستيلاء على البلاد لاجل استغلالها لاجل تمدينها أما غرض المرء كشين
بزيارة قضاة ألمانيا لطبعة توها أن ذلك كرامة لمولاي ادريس رحمه الله فهو لجهلهم بالسبب
واعتمادهم على جعل الامور العادية من خوارق العادات السبب الصحيح لمعارضة ألمانيا
لفرنسا في استعمار مصر اكش الآن هو المناظرة والمنافسة المعروفة وسنوح الفرصة بانكسار
روسيا في حربها مع اليابان واشتعال نيران الثورة والفتنة في بلادها ولولا واقعة مكدين
التي خسرها الروس نحو ١٥٠ رجلا بين قتل وجرح وأسير وتلك الثورات لم تندفع
ألمانيا الى ما اندفعت اليه ولبت المرء كشين يعلمون ان ألمانيا ليست خيرا من فرنسا في
مستعمراتها بل هي شر منها وأنهم اذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالعقل والحكمة
دون الاتكال على الكرامات فلا يكون دخول الألمان في بلادهم الا وبالاعليم

وقت اغلاط في تفسير آية (كان الناس الخ) المنشور في الجزء الثاني فعمدنا لها هذا الجدول لتصحيح

| صفحة | سطر | خطأ | صواب | صفحة | سطر | خطأ | صواب |
|------|-----|----------------------|-----------------------------|------|---------|----------------|-------------|
| ٤٧ | ٣ | الآية | الامة | ٥٧ | ١٤ | جاءهم | جاءتهم |
| ٤٨ | ٦ | بعد | بعدها | ٦٠ | ٢٠ | خفيف | ضئيف |
| ٤٨ | ٩ | كما تراه | ولما معنى أنهم كانوا جميعا | ٦١ | ٦ | علمه | عمله |
| ٤٨ | ١٦ | اولا يراون ولا يراون | على الضلال، كما تراه | ٦١ | ٨ | المعلوم | المعلومة |
| ٥٠ | ٥٧ | كما كانوا | لما كانوا | ٦١ | ٨ | ذلك السن | ذلك السن هي |
| ٥٢ | ١٢ | أن لا يؤولوا | هو المعروف | ٦٢ | ٨ | لأدنى | لا أدنى |
| ٥٥ | ٤ | أوربا | إلى مرحلة | ٦٥ | ١١ | مرحلة | مرحلة |
| ٥٦ | ٨ | الخاطئين | ١٤ و ١٥ وعمدت أهملت الجمعية | ٦٥ | ١٤ و ١٥ | الجمعية لتقويم | تقويم |
| ٥٦ | ٩ | قدمهم | الجمعية لتقويم | ٦٥ | ١٩ | اختلف | اختلف فيه |
| ٥٦ | ١٩ | الحزب | ١٩ فيه | ٦٦ | ١٩ | فيه | فيه |

بوقتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أوله الأبواب

المشكاة

قشر عبادي الذي يستعملون القول فينبغون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — السبت غرة ربيع الأول سنة ١٣٢٣ — ٦ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٢

وأما العلم فلا يشترطه في المرأة أحد في بلادنا إلا ثلة من المتعلمين والمتأدين على
الطريقة الأفرنجية وقليل من العارفين بكنهه مدنية الأفرنج الذين يقدرون محاسنها قدرها وإن
لم تعلموا على طريقهم ولا يزال أكثر المسلمين لا يعقلون لتعليم المرأة فائدة بل يرونه
ضاراً من جهة واحدة هي عندهم لا توازن ولا تقابل بشيء إلا وتكون أربى منه وأكبر
وهي أن البنت المتعلمة تجرأ على الرجال وتقدم على مكاتبه من تميل إليه من الشبان
وإنه ليوجد في المتعلمات لهذا العهد من يحكي عنهن ذلك ومثل هذه الحكايات تسري
وتذيع بسرعة البرق وتؤخذ بالتسليم ويجري فيها القياس للقطع بأن علماها تعلم وأنه
حيث وجدت العلم لزمها المنعول لأعماله ولا يمكن إقناع العامة بأن العلم ليس علة لمكاتبه
البنات للشبان يلزم من وجودها الوجود وإنما هو شرط يلزم من عدمه العدم ولا
يلزم من وجوده وجود ولا عدم، لأن العامة لا تفهم مثل هذه الحجج وخاصة النساء
فالعامة في إقناعهم بجزايا تعليم البنات هو ظهور أثره الحسن في المتعلمات بمصر وتونس

وسوريا وغيرها من الأقطار ولم يظهر على أن التقليد يفعل في الأمم مالا يفعل الاقناع وأشد الناس استعداداً أو قبولاً له الشعب المصري وإذا وجد في أسرائه وكبرائه غناية بتعليم البنات تقليداً للأفواج الذين يعاشرون ويمارحون فلا بد أن يعم التقليد جميع الطبقات وقد ظهرت بوادر ذلك منذ أعوام وهي تتوسع السنين والأيام، فالأباء والأمهات صاروا يفتنون بناتهم إلى المدارس وهم لا يدرون ماذا يتعلمن ولا يعرفون من المصداقة في ذلك إلا أن البنات المتعلمة يرضى فيها الخطاطيون الأغنياء مالا يرغبون في غيرها، ثم إنهم بهذا الاندفاع لا يعيرون بين مدرسة إسلامية أو غيرها ولا يفكرون في خطر افساد عقيدة البنات وتحويلها عن دينها وأعادات قومها، وخلافتهم المميزة لهم ولا في كونها تطرح الحياء ونهجراً على مكتبة الرجال كما يعتقدون لأن تيار التقليد الجارف لا تقف في طريقه هذه الخواطر إن هي طافت بهذا المقول الضعيفة والقلوب المنيعة التي اعوزتها البصيرة والمزجعة نظم نجد حماة وارتبة ولا تربية، وفي هذا الاندفاع خطر عظيم على الأمة كنا ولا نزال نحدث الناس به فقبله المستدلون وينفذ الخلافة في التفرنج وقد أتيح لنا في هذه الأيام ما يقتسمهم وهو ما قاله اللورد كرومر في تقريره من مصر لسنة ١٩٠٤ وأما نذكره هنا لأن بحثنا في الحياة الزوجية إنما هو من حيث هي وكن الحياة الأمة وسعادتها أو عكس ذلك قال

﴿ تعليم البنات ﴾

وكثيراً ما أسمع الناس يتبعون الحسبج والأقيسة على محل بعض المسائل السياسية والإدارية في بر مصر وينسوها على فرضي أن المصريين لا يزالون متصفين اليوم بصفات أجدادهم وخصائصهم، وعندني أن هذه اسبجج والأقيسة لا تخلو من سفهة، فالتيار حاصل ولست أقصد أن أعظمه أو أبالغ فيه وإنما أقول أنه لا يمكن أن كل خلق وصفة من الأخلاق والصفات القومية يتغير تغيراً تاماً في ربع قرن ولو أمكن ذلك لا كان مستحسناً لأنه يفتني في مثل هذا التغير السريع أن يذهب الحسن من الأمة بجريرة الردي، ولكن ليكن معلوماً عند الحكام المصريين وعند كل من له اتصال بطور مصر أن هناك تورات عامة قد أثرت في أخلاق المصريين القومية فتغيرها بعض التغير وستغيرها أكثر من ذلك على مر الأيام، وهذه القوات العامة يعمل تدريجاً وتغيراً وريداً وريداً حتى لقد يفتني عمله عن ميوز المراقبين في بعض الأحوال ولكن بعضها يعمل

سرياً حتى لقد تغير تغيراً ظاهراً محسوساً
 من الشواهد على ذلك تعليم البنات فان الرأي العام المصري تغير في هذه الاعوام
 الاخيرة تغيراً كلياً في هذه المسألة الجوهرية المنظمة الشأن. ومما يزيدنا استغظاماً لهذا
 التغير في الرأي العام انه آخر ما كان الناس حتى الذين يراقبون منهم اخلاق أهل الشرق
 أدق مراقبة يتوقعون حدوثه بمثل ما حدث من السرعة نظراً الى الآراء المعهودة
 عن مقام المرأة في بلاد مصر. ولكن مصر بلاد المجائب والنرائب فلا عجب اذا كذب
 أهلها نبوءات المصلحين الاجتماعيين بخوفهم من حال الى حال تحولاً لم يكن يخطر على بال
 فقد كانوا منذ عشر سنوات لا يبالون بتعليم البنات بل ربما استخفوا به واستكفوا منه
 ولذلك كانت كتاباتهم خالية من بناتهم سنة ١٩٠٠ ماعدا ٢٧١ كتاباً من جملة الكتابات
 التي تحت مراقبة الحكومة. وكان عدد كل البنات اللواتي يتعلمن فيها ٢٠٥٠ بنتاً أما
 في سنة ١٩٠٤ فبلغ عدد الكتابات التي يتعلمن فيها ١٧٤٨ كتاباً وبلغ عددهن فيها
 ١٠٤٦٢ بنتاً وأبلغ من ذلك ان ١٠٠ بنت طلبة دخول المدارس الابتدائية العالية
 ومدارس تعليم المعلمات بالقاهرة في السنة الماضية فلم يجبن الى طلبة لعدم وجود محل
 لهن فيها. فأحسن خدمة يخدم بها المصريون المعارف والتعليم في بلادهم تقوم بإنشاء
 مدارس ابتدائية منظمة للبنات في بنادر القطر

هذا وان قلة المعلمات المدرسات على التعليم أفضت الى تأخير تعليم البنات في جميع
 فروعه ولكن المقبات في هذا السبيل أسهل من العقبات التي في سبيل وجود المعلمين
 المدرسين على التعليم. فان عند نظارة المعارف في المدارس الابتدائية العالية والكتابيات
 عدداً قليلاً من البنات المسلمات المرعات على التعليم. وعليه يتسع نطاق تعليم البنات شيئاً
 فشيئاً. وفي مدرسة المعلمات الآن ١٥ تلميذة يقضي معظمهن منها في الثلاث سنوات
 القادمة ويتضمن في تلك المعلمات. وقد أخبرت أنهن متى أنهين من المدرسة لم يحسر
 وجود غيرهن من اللواتي يدرسن مكانهن

أما مقدار ما تؤثر هذه النهضة لتعليم البنات في أفكار الجيل المقبل من بنات مصر
 وفي أخلاقهن ومقامهن فستظهر لنا الايام على مر الاعوام. على أنه اذا تأتى عنها تغيير
 في مقامهن فالمأمول ان هذا التغيير يكون تدريجياً وعلى ان المصلحين الاجتماعيين من

أبناء مصر يحفظون في أذهانهم قول مثلهم العربي «السجدة من الشيطان والثاني من الله» وعلى الأخص في هذه المسألة أكثر مما في غيرها لأن السجدة فيها يمكن أن تؤدي إلى طامة أدبية عظيمة. على أنه إذا لم يتغير مقام المرأة المصرية تغيراً تدريجياً فهم اقله المصريون أهل المدن الأوروبية ظاهراً فهيئات أن يتشربوا روح المدن الأوروبية الصحيح بأحسن مظاهر حقيقة هاهنا كلام اللورد

فليتأمل القارئ البصير كيف عدّ هذا السياسي الحكيم تحول أهل مصر بسرعة من حال إلى حال في هذه المسألة من السجائب والعرائب التي لم تكن تخطر في بال أحد من علماء الاجتماع وكيف أشار إلى أن هذه السجدة شيطانية. وقول أن نصيحته هذه للمصلحين من أبناء مصر سيحفظها له التاريخ ويذكرها له في المستقبل مقرونة بإجلال النفيسة والاخلاص لاسيما إذا كان ثم انقلاب المتظار أكبر من نفعه كما يتوقع، كانت حال النساء في أوروبا على أسوأ ما يخطر في بال البشر من اللهاة والاحتقار ولذاك كان ما يسمونه «رد الفعل» في التحول والاعقاب عظيمًا فبعد أن كانوا يعتقدون أن المرأة ليست من البشر وإنما هي حيوان دون الإنسان وفوق سائر الحيوانات وبعد أن كانوا يسومونها الحنف حتى حرموا عليها أكل اللحم ومنعوها الكلام والضحك في حضرة الرجال وأوجبوا عليها السمع والطاعة لزوجها في كل شيء ولو كان ضاراً أو خبيثاً أو شاقاً لا يطاق أطلقوا لها العنان تتعلم ما تشاء وتعمل ما تشاء وتهلك كما تشاء وتحكم كما تشاء حتى صارت تشارك الرجال في أعمالهم الخاصة خارج البيوت فأهل من أمر نظام البيوت بقدر ذلك ولا غنى للبيوت عن النساء وكل عمل خارجها فهو مستغن بالرجال عنهن. وانتهى الأمر بكثيرات منهن إلى اختيار التبتل فراراً من أفعال الزوجية ونهايك بانتشار البغاء وشيوع الفاحشة وما في ذلك من المفاسد والمضرات. وقد أثار العلماء والحكماء يشعرون بخطر هذا الإطلاق لصنف لاهم لأفراد غير الزينة والراحة واتباع هوى النفس لأن وجدانهم أقوى من عقلهم ولكن كل ما يتعلق بصنات الأمم وشؤونها لا يظهر نفسه أو ضرره ولا يمكن إيجاده أو منعه إلا في زمن طويل. ليس من غرضنا في هذا المقال أن نبحث عن أحوال الأمم في انتقالها وتحول أحوالها ولا عن حال النساء في أوروبا ومنافع تعليمهن ومضاره وإنما غرضنا أن نبين أن العلم

الذي ينبغي أن تعرفه المرأة هو مالا يخرج بها عن كونها امرأة وهو ما تكون به قوة
عين وخبر سكن الرجل المتعلم يحسن معها به عيشه ويكون عوناً لها على تهذيب ولده
 وإدارة شؤون بيته لا ما تكون به فيلسوفة ولا سياسية ولا صانعة، وهذا ما اختارته أرقى دول
أوروبا في العلوم والمعارف وهي دولة ألمانيا التي ينسب إليها بعض دول أوروبا التقصير في
تعليم النساء وتستظهر كل الدول إلى سلوك سبيلها في يوم من الأيام
ليس البيت عملة فيتوقف عمرانه على العلوم المالية والفنون الصناعية والزراعية
والتجارة وتوقف إدارته على معرفة الشرائع والقوانين، وليست العلاقة بين البيوت
كالعلاقة بين الدول فتضطرب ربة البيت في حفظ حقوقه إلى التوغل في السياسة والفنون
المسكينة حسب المرأة أن تتقن لغة أمها وتعرف آدابها وأن تعرف الحساب وعلم تدبير
المنزل وعلم حفظ الصحة وعلم الأخلاق وعلم التربية وأن يكون هذان العلمان
قائمين على أساس الدين مقرونان بمعرفة عقائده وآدابه وأحكامه والتاريخ العام
بالأجمال وتاريخ أمها وبلادها بالتفصيل وعلم تقويم البلدان وعلم الاقتصاد ثم
مبادئ وموضوعات سائر العلوم وفوائدها بقوة الأجمال، وأن تعرف الطبخ والخياطة
والتطريز وما يتصل بذلك، ولا يصدقها عن هذا أنها من بيوت الأغنياء الذين
لا يطبخون طعامهم ولا يخطون ثيابهم بأيديهم فإن علمها بذلك وتمرنها عليه نافع بل
ضروري وقد بلغنا أن قصيرة روسيا تحسن الطبخ والخياطة وكانت فيكتوريا ملكة
انكلترا وامبراطورة الهند تنسج وتخط وتطرز فهذا كمال للنساء أن لم يعلمن به فليعلمن
أن يعلمن كيف يعمل في بيوتهن ويعرفن نفقته ودرجة جودته ويحسن المراقبة والرياسة
على الخدم التي تقوم به

أما معرفة موضوعات وغايات العلوم والفنون المتداولة في الأمم الحية فلها فوائد
منها أن لا نكون عدوة أو كارهة لشيء نافع لقومها فإن من جهل شيئاً عادموكرهه
وان الإنسان يكون ناقصاً بمقدار ما يجهل من المضار والمنافع، ومنها أن تعرف قيمة
زوجها إذا هي تزوجت بمن يشتغل بعلم أو فن مما يجهل النساء تفصيله فإذا رآته يشتغل
بتجارب زراعية أو كباوية مثلاً عرفت فضله في ذلك ورجت له من الفائدة ما تكون
عوناً له على عمله، فإن المرأة التي تجهل قيمة زوجها المنوية ومعارفه التي يمتاز بها لا ينأ

لها معه عيش لأنها لا ترى عمله الا شاغلا له عنها كأنه ضرة لها وهو لا ينأى له معها عيش لأنه يراها جاهلة بقدره، بعيدة عنه في نفسه وعقله، وان شئت قلت أنها يكونان شخصين متباعدين بالروح والعقل لا يمكن ان تكون منهما حقيقة الزوجية التي ينشأ منها في النبتة الاولى، ومن تلك الفوائد ان يكون لها رأي فيما تصرف وجهه أولادها لا تقاها من العلوم والفنون بعد التعليم الابتدائي والثاني، وكثيرا ما يموت الوالد وتكون المرأة هي القيمة على أولادها منه فينبغي ان تعرف وجههم في المدرسة وظايفهم في التعلم لتحسن القيام عليهم.

وأما فائدة اللغة وآدابها فهي بديهة لمن يقول بالتعليم فالمرأة التي لا تفهم لغة أمها الوطنية الأدبية تكون بمنزلة البهائم لا تشمر الا بالحاجات الجزئية التي أودع الشهور بها في فطرة كل حيوان ويكون سكوت الرجل العالم الا يرب اليها بمقدار الداعية الحيوانية الى ملامتها وفي وقت هذه الداعية وتكون في سائر الاوقات كلا عليه وبلاء ومصابا اذ يراها مباينة له في إنسانيته لا تشاركه في حسن تصوره ودقة مداركه ورقة شعوره بالعاني الأدبية والافكار الاجتماعية، ويرى اقناعها بالمسائل المعقولة والمصلحة الوطنية متعذرا أو متعسرا عليه لأنها ليس لها لغة تعبر عما وراء الضروريات التي يدور عليها كلام العامة، ثم انه اذا سافر تقطع الصلة بينه وبينها لا يكتب اليها ولا تكتب اليه فيما يتعلق بشؤون البيت ومصلحة المشيرة الا اعلاما بالصحة واستعلاما عنها ونحو ذلك ويتعذر عليه ان يشمرها بما يشمر به في سفره من لغة وألم وسرور ومكآبة كما يتعذر عليها ذلك.

وأما فائدة الحساب فلا يجهد بها أحد في البشر الا أن يكون بعض أهل الأزهر، فالمرأة التي تعرفه يمكنها أن تضبط نفقات البيت على القاعدة التي يسمونها الميزانية فتجعل الخرج على نسبة الى الدخل معروفة فهو عون على الاقتصاد، وقلما توجد امرأة في الأرض لا تشتري ولا تبيع شيئا ولا تعامل أحدا بالمسالك والنساء اللواتي يملكن المسالك والعقار والأرض والمروض كثيرات والأسلام جعل لهن حق التصرف في أموالهن فالمرأة التي لا تعرف الحساب تصكهن عرضة للخطأ في كل معاملة مالية فيفسد البائع والمشتري واوكيل والاجير ويطمع في غيال ماله زوجها السفيفه

ويثبت به ولدها الصغير ،

وأما الاقتصاد الذي يعد الحساب من وسائله فهو روح المعاملة وأسس النظام وملاك المعيشة ودعم السعادة . فإذا لم تكن ربة البيت عارفة بهذا الفن عامة به فلا يستقيم للمعيشة حال بل تكون مضطربة بين أمواج الحوادث يتقاذفها اليسر والعسر ، ويتناوبها الفنى والفقر ، وليس الرجل بخفى في اقتصاده عن اقتصاد المرأة عن رضى واقتناع ولا رضى ولا اقتناع إلا بالمسلم والمرأة بأن مصلحتها ومصلحة بيتها في الاقتصاد . ألم تر أن معظم المال يذهب في سرف النساء وخيالاتهن ، ألم تسمع أنهن الرجال وأطببهم من ثقل النفقة على ما يتدع النساء كل حين من الأزياء والتقل في غروب الحلى والحلل ، ألم تعلم بأنهن لا يبدون الرجل إذا قال لا أستطيع لأقدر لا أملك بل يتنصن عيشه ويسلبن راحته أو يبذل هن ما يطلبن ولو استدان بهن بالربا الفاحش أو باع لأجله الغالي النفيس بالتمن البخس ، ؟

هذا مما تعرف قول لك أن تضم الى معرفة الداء ومعرفة العلاج وهو أن تزوج بامرأة صكابة حاسبة مقصدة وتجهل للبيت بالاتفاق معها ميزانية يكون الخرج فيها جزءا من الدخل وتكون هي النفقة والقيمة كما تجهل لأرضك وعقارك ميزانية تكون أنت المنفذ لها وبذلك تكون امرأتك مقصدة بأن ما توفر من الدخل في الحال ، هو عدة لها ولأولادها في الاستقبال ، .

جرب كثير من الرجال هذا العلاج فوجدوه نافعا مفيدا ومنهم من أسعدوا الخلق به على غير علم بفائدته فأصاب السعادة عفوا . أعرف رجلا مسرفا كان يضع كسبه الكثير بغير عقل ولا حساب ويضطر الى الدين حتى أخذ الدين بتلايينه لأنه كان جاهلا سكورا تزوج بفتاة كانت يهودية وأسلمت إسلاما صحيحا فما علم أن حسنت حاله فقل سرفه وحسن عمله وقضى دينه ثم صارت له ثروة مدخرة . وحدثت عن رجل في مصر له راتب من الحكومة لم يكن كافيا لست في نفقاته الشخصية فتزوج بفتاة متعلمة مهندبة فهو يعيش معها في هناء ونعيم ويقتصد من راتبه شيئا يدخره للمستقبل المجهول . بل أعرف غير واحد من الفقراء جعلوا كسبهم في أيدي نساءهم فكانوا معهن في عيشة راضية يزيد فيها دخلهم على نفقتهم زيادة لها شأن عندهم .

وإنني أظن أنه يصعب على أكثر النساء أن يبذلن جميع ما في أيديهن من المال في الأمور الزائدة على الضروريات أو الحاجيات ولكن يسهل عليهن أن يبذلن أكثر مما في أيدي أزواجهن إذا كانت النفقة بيده. فالمرأة الجاهلة تقدر على الحياة الاقتصادية في بيت فقير ولا تقدر على ذلك في بيت غني ولا متوسط. إلا بالعلم وحسن التربية. وأما علم حفظ الصحة فهو ضروري لكل إنسان سواء كان يعيش منفرداً أو زوجاً أو صاحب عيال ورئيس عشيرة فمن عرف هذا العلم سهل عليه التوقي من أكثر الأمراض والأوبئة ووقاية من يولده منها وإذا هو أصيب بمرض فإنه يحسن وصفه ويبان أسبابه وكيفية سيره للطبيب فيكون أكبر عون له على تشخيصه ومعرفة حقيقته ثم إنه يحسن العمل بما يأمر به الطبيب من المعالجة. فربة البيت الجاهلة بهذا العلم تكون بلاء على نفسها وعلى زوجها وأولادها ولا يمكن أن تقل الأمراض والأدواء في أمة إلا إذا تعلم نساؤها هذا العلم فكم من طفل فتنك به المرض لجهول أمه بمداواة صحته وكم من امرأة قتلت ولدها أو زوجها بنفس الأدوية التي وصفها الطبيب لشفائه لجهلها بأسماؤها وبمقادير ما يعطى المريض منها. ولقد يتعسر على المريض العالم أن يحسن معالجة نفسه في بيت قيمته جاهلة لأن أي عمل في البيت لا يتم إلا بها.

وأما علم الأخلاق فهو عون للإنسان على تكميل نفسه في الكبر وعلم التربية يتوقف عليه لأن من لا يعرف قوى النفس وكيفية تكوين ملكاتها وانطباع أخلاقها وطريقة تأديبها وآثار صفاتها ووجدانها فهو لا يعرف معنى الإنسان أو هو ليس بإنسان كامل فيتعذر عليه تكميل غيره بحسن التربية التي هي أهم ما يجب على المرأة أن تعلم ما يطلب منها ويدخل كل ما تقدم في علم تدبير المنزل ما عدا مبادئ الفنون وعلم اللغة التي هي وسيلة كل علم لأن المراد بتدبير المنزل سياسة أهله وموضوعه حقوق كل من الزوجين على الآخر وحقوقهما على الأولاد والخدم وحقوق هؤلاء عليهم وطريق قيام كل بما يطلب منه والمرأة هي ربة البيت ومديرة نظامه فينبغي أن تكون عارفة بما عليها ومرشدة للأولاد والخدم إلى ما يجب عليهم تحت رعايتها لينتظم شأن البيت فتكون العيشة راضية وليتربى الأولاد بالقنوة الصالحة فيكونوا أعضاء صحيحة عاملة في الأمة.

ومعرفة التاريخ وتكوين البلدان هي التي تودع حب الأمة في القلب وتبعث فيه روح

الفيرة فإذا كانت المرأة جاهلة بتاريخ أمها ومكانها من غيرها فهي لا تشر بأنها عضو من جسد أمة كبيرة لها حقوق يجب على الافراد القيام بها وعلى الوالدین تربية أولادهم على احترامها والتنافس في المسابقة اليها واعتقاد أنهم ادعامة الشرف ووركن العزة والسيادة .
يكون الانسان كبير النفس وعظيم الهمة اذا كان يشعر بأن وجوده غير محصور في مساحة جسمه الصغير وإنما هو واسع بروحه المنبثة في عالم كبير يسمى الأمة . لأنه كما يعمل كل عضو في جسده لمصلحة الجسد كله . ويكون أكبر وأعظم اذا كان يشعر بأن وجوده أوسع وأرقى لأنه خلق ليعمل ما يفيد البشر كلهم بالتقريب والجمع بين المختلفين والتأليف بين المتفارين وغير ذلك من الأعمال أو يثبت العلوم التي ينتمى منها الجميع . ويكون الانسان حيوانا حقيرا ضيق الوجود اذا كان علمه وعمله وجهين خدعة شخصه ومن عساه يتصل به اتصالا محسوسا كاهله وعشيرته . ومن كانت هذه حاله فإنه لا يرجي منه ان يربي أولاداً ينفذون أمهم ووطنهم او يتفهمون الناس اجمعين . لذلك كان لا بد لكل انسان من ذكر أو أنثى ان يعرف التاريخ ليتسع وجوده بقدر استعداده لعله يربي من ينفع الأمة والناس . وعلم تقويم البلدان في معنى التاريخ بل هو منه في الاصل ثم صار أملاً مستقلاً تلك إشارة الى ما يطلب من كمال المرأة وتختار لأجله . وسنكتب كلمة في اختبار المرأة لرجل .

فتاوى الملبان

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمزاً قد مناهنا خيراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعاً حيناً غير مشترك لئلا يخلط هذا . ولن توفي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ أسئلة من السيد محمد بن يحيى الصقلي الحسيني من بلاد الجزائر ﴾

قال بعد رسوم الخطاب : لما نظرنا الى ارشاداتكم العديدة غير المتناهية وبمحكم وتعلمكم في العلوم الدينية الاسلامية ومحققنا بعلوم مكاتكم في ذلك جزئنا بأن فيكم الكفاية لمن يريد الحصول على استفادة بأكل بيان وأبلغ عبارة فطلعت آماننا بحضرتكم وكتبنا هذا لفضيلتكم والرجاء من الله ثم منكم أن تفيدونا ومن نفهمكم لا نحرموننا

﴿ تقيل أيدي العلماء ﴾

(س ٩) ما قولكم دام نفوسكم في تقيل العامة كبرهم وصغيرهم فنيهم وفقيرهم لأيدي العلماء وتذلهم لهم حتى جعلوا ذلك من أهم الواجبات الدينية أفيدونا هل ذلك من آداب ديننا الإسلامي الحنيف أم لا

(ج) إذا اعتقد العوام أن تقيل أيدي العلماء من الواجبات الدينية كان تقيلها مصية يجب نهيهم عنها ومحرم على العلماء تمكينهم منها لأنهم زادوا في الدين ما ليس منه وشرعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله ولقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحامي المواظبة على بعض العبادات المندوبة كصلاة التراويح لئلا تعتقد العامة أنها واجبة وفي حديث ابن عمر عند أبي داود : فدنونا من النبي فقبلنا يده ، ولكن لم نمض السنة عنه ولا عن أصحابه ولا عن التابعين بتقيل أيدي العلماء فهي عادة من العادات المباحة ما لم تعتقد مشروعيتها وكونها من الدين ولا حاجة لإطالة البحث في هذا فإنه مما لا يختلف فيه عالم بدين الإسلام . وانا نشكر للسائل حسن ظنه بنا على ضعفنا وعجزنا

﴿ نذر الذبائح على أضرحة الأولياء والتوسل بهم ﴾

(س ١٠) ومنه : وما قولكم في الذبائح على أضرحة الأولياء لسبب نذرا أو لرجاء دفع مضرة أو غيرها وكذلك التوسل بابيهم والرجاء منهم نحو قول أهل فارس عند معاناة مكروه نازل بهم ما دام ضريحه ، ولاي ادريس في وسط بلدنا فلا نخاف لأنه يزود عن بلدة فارس خصوصا : وعن قطر المغرب عموما وهو ورجال المغرب (صالحو الموتى) يحفظوننا من فائقة العدو ونفوذهم : واقوالهم من هذا القبيل كثيرة أفيدونا بما يشفي الغليل عن هذا القبيل ليم ارشادكم كافة الموحدين الحنيفيين ودمتم كعبة للقصاد ، مأجورين من رب العباد :

(ج) الذبح على القبور بدعة اخذها بعض المسلمين عن اهل الكتاب وهؤلاء اخذوها عن الوثنيين اذ كانت الذبائح لاوثانهم واصنامهم من اركان دينهم واعظم عباداتهم نعم كانت القرابين عبادة في شريعة موسى عليه السلام وما هي الا للتقرب الى الله وحده لا الى شيء والا الى شخص عظيم كما هي عند الوثنيين في الأصل وقد اجمع المسلمون على انه لا يجوز الذبح لغير الله تعالى تقرباً اليه او تعظيماً له او رجاء فيه لان هذا من الوثنية وقد صرح الفقهاء بأن من فعل ذلك على سبيل العبادة يكون مرتداً عن الاسلام

والعبادة هي الخضوع والتعظيم لمن تتقدم فيه السلطة الضمنية التي وراء الأسباب فإن وجد هذا المعنى كان الذبح لاولي أو عنده كفرأ وان لم يوجد كان معصية لأنه يدخل في قوله تعالى «أو فسقا أهل لغير الله به» ويستحق صاحبه الأمن من رسول الله في حديث علي كرم الله وجهه عند أحمد ومسلم والنسائي ولعن الله من ذبح لغير الله » وقال في الإقناع وشرحه ما نصه

«ويكره الذبح عند القبر والأكل منه» خبر الس : لا عقر في الإسلام : رواه أحمد بإسناد صحيح قال في الفروع رواه أحمد وأبو داود وقال شمس الرزاق وكانوا (أي في الجاهلية) يقرءون عند القبر بقرعة أو شاة » وقال أحمد في رواية المروزي كانوا إذا مات الميت نحروا جزورا فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك وفسره غير واحد بغير هذا وقال الشيخ : يحرم الذبح هو التضحية عند القبر ولو نذر ذلك ناذر لم يكن له أن يوفي به كما يأتي في نذر المكروه والمحرم » فلو شرطه واقف لكان شرطا فاسدا » اه نقول وأنت ترى من الأدلة أن القول بالتحريم هو الراجح وإن أريد بالكراهة ما كان للتحريم » ومما ورد في النذر حديث عائشة عن أحمد والبخاري وأصحاب السنن أن النبي (ص) قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه» وحديث ثابت بن الضحاك عند أبي داود والطبراني » وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده قال ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة (بضم الواو وحدة موضع) فقال «كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا لا قال «فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا لا قال «أوف بذكرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» وقد يتوهم بعض الجاهلين من العامة أن النبي عن الذبح لتعظيم معاهد الجاهلية لا يتخفى تحريم الذبح لتعظيم أولياء المسلمين » ونقول (أولا) أن الفقهاء اجمعوا على أنه لا يجوز الذبح لغير الله كالأنبياء والكمية و(ثانيا) أن حكمة ذلك تطهير القلوب من التوجه إلى غير الله تعالى في مثل هذا العمل الذي يراد به الخير والبر لأن ذلك من الأشراك ولا يغفل الله تعالى من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه » وما ورد في ذلك بخصوص النذر حديث عمر بن شبيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا نذر إلا فيما أبغى به وجه الله تعالى» رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وأورده الحافظ في التلخيص

وسكت عنه وفي مساء روايات أخرى و(ثالثاً) ان كثيراً من أئمة السلف والفقهاء صرحوا بأن ما يذبحه النصراني لكنيسة أو مكان أو رجل معظم عندهم محل لنا ولكن لم يقله أحد بأن ما يذبحه المسلم لمعظم عنده يؤكل بل اجمعوا على تحريمه وإثم قاعله وان قام في نفسه معنى العبادة كطاب مالا يطلب الا من الله تعالى كان مرتداً كما تقدم وأما ما يسمونه التوسل فقد بسطنا القول فيه مرات كثيرة في كل مجلد من مجلدات المنار فليراجع ذلك السائل في مواضعه من المجلد السابع وغيره مسترشداً في الفهرس بكلمة التوسل من حرف التاء وبكلمة قبور من حرف القاف ومجهد في العدد السابق كلاماً عن اعتقاد أهل فاس بمولاي إدريس وغرورهم في ذلك ولكن هذه الاعتقادات المبنيّة على وعت البدع والتقاليد لا تثبت أمام سيول الحقائق فهذا سلطان مرا كش قد اضطرب وخاف سقوط مذكركم يكتف بالهجا إلى إدريس بل أشرك معه ملكاً نصرانياً يستز به ويستعين به على فرنسا وهو عاهل ألمانيا وقد أرسل إليه عند زيارته طنبجة هدية تساوي مئتي ألف جنيه ولو كان موقفاً بحماية قبر إدريس للمملكة لكان غنياً عن ذلك، ولما ظالم يحكم إدريس البلاد من الفتن التي انبثكتها وكانت حجة فرنسا في التصدي لها؟؟؟

سجدة قصة المولد للشيخ إبراهيم الرياحي التونسي

(س ١١) أحد القراء (تونس) : اشتبه على بعض الناس طعنكم في بعض أعداد المنار بروايات قصص المولد النبوي وقد وجهت لكم في البريد نسخة من مولد الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي المتوفى سنة ١٢٦٦ وهي الرواية المقتمدة رسمياً في تونس فهل لكم أن تنظروا فيها وتنبهوا على ما فيها من الغلط (ج) ان هذه القصة كثيرها من حيث وجود الموضوعات والواحيات فيها ولكنها في اختصارها وعزو بعض الروايات فيها أمثل من غيرها وأملنا نذكر تخريج هذه الروايات في جزء آخر وهذا قوله في أول القصة (ص ٤) «ان أول ما خلق الله، نور هذا النبي الاواه» لم تصح به رواية وأقوى الروايات وأكثرها في بدء الخلق ان أول شيء خلقه الله القلم وكذلك ما ذكره في خلق آدم غير صحيح ومثله ما في (ص ٥) من نطق الدواب وبشارة أهل البحار وانقلاب الاصنام وما ذكره عن آمنة وغير ذلك وكان يجب الاستثناء عن هذه الروايات بالناقب والآثار التي هي أوضح من النهار

نبأ الحبيب الأكرم

هداية استاذ الاسلام

(نقلها عبد الرحمن أفندي شهنذر من مجلة الملل الصادرة في مارس (آذار)

سنة ١٩٠٥ إلى العربية)

لدينا الآن رسالتان بقلم الاستاذ نشكنتايا دهايا الرئيس الماضي لكلية حيدرآباد
(وأستاذ التاريخ في كلية مهر اجاني ميسوري)

والأولى منهما موضوعها « لماذا أتحت الاسلام » والثانية « محمد نبي الاسلام »
وقد أصبح اسم المؤلف بعد إسلامه محمد عزيز الدين وهو من العلماء الأفاضل
الذين ساحوا في البلاد زمناً طويلاً ودرسوا الأديان المختلفة وفي الرسالة الأولى ذكر
أسباب هدايته واتخاذ الاسلام ديناً لا يبارى في الصحة والسلامة .

كان المؤلف في أول أمره كثير الإعجاب بمذهب العقليين لكنه لم يلبث أن تمحون
لأن هذا المذهب لم يرو له غليلاً فأخذ في درس الدين البوذي وأعجب بظاهر رفعة
الاخلاقية لكنه وجدته أخيراً على عكس طبيعة البشر فله وكان ذلك أثناء وجوده
في البلاد الألمانية حيث أتى خطابين موضوعهما البوذية بلغة تلك البلاد . ومن ثم
ذهب الى باريس وبطرسبرج وبعدها تعلم الفرنسية أعجب (برنان) وكان من تأثير ذلك
انه أخذ في درس لغات الساميين وأديانهم وكرس قسماً عظيماً من حياته لدرس المقابلة
بين الأديان العظيمة يعني اليهودية والزرذشتية والبرهمية من الجهة الواحدة والبوذية
والنصرانية والاسلام من الجهة الأخرى . ووقف في سبيله الى التصبر مسألة الفداء
ومسألة الهلاك الأبدى وما يضاف اليهما في الكاثوليكية من اعتقاد العصمة البابوية
والتحول في الشاء الرباني ثم رجع الى البلاد الهندية على هذه الحال من تبلبل الفكر
وهناك فرغ نفسه مدة لدرس الرياضة (التصوف) لكنه عاد منها أيضاً غير مقتنع
ولم يعط البوذية والاسلام حقهما من الدرس حتى ذلك الحين فدرس الأولى منهما
ثم جاء الى الاسلام الذي استماله أخيراً وأثر في نفسه أثراً باقياً وكان قد شعر بصحته
منذ مدة طويلة لكن الظروف الخارجية منته من التصريح بذلك حتى الثامن والعشرين من

شهر آب (أغسطس) حين صرح في محفل بدخوانه في الاسلام برسائه "لماذا آتحت الاسلام" وفي رضاء بالاسلام على ثلاثة أسباب رئيسية (١) صحة أخبار الاسلام وأنه الدين التاريخي الوحيد (٢) موافقته للعقل (٣) أنه عملي (لا خيالي) . ويقول في رسالته "ان ميدانه التاريخي قد أثره حتى في أعداء محمد واتباعه واستشهد بكلام الاستاذ (بورت سمث) ذكر في خطابه وهو "إننا في الحقيقة نعرف بعض تنب من تاريخ المسيح ولكن أنى لنا من يكشف الحجاب عن السنين الثلاثين التي أعدت الطريق الى الثلاث وفي الاسلام كل شيء على خلاف ذلك . هنا يقوم التاريخ بدلاً من الغامض المظلم وهنا لا تفضل المرء نفسه او غيره من الناس لان نور النهار يسطع على كل ما يمكن أن يصل اليه ."

والنقطة الثانية في بحثه جري الاسلام على قواعد العقل وقد ذكر القاعدتين الأساسيتين في الدين - توحيد الله برسالة النبي محمد - وقال: يجب على كل صحيح عاقل أن يقاد لهذه الحقيقة البسيطة الجلية وهي توحيد الله الخالص (لا كنوحيد اليهود الذين جعلوا الهاً خاصاً بهم) ولا يوجد في الاسلام تعاليم مثل "ثلاثة في واحد" أو ثلاثين مليوناً من الآلهة

ولا يرد قاعدة الرسالة النبوية بحث لأنه متى نسبت الحقائق الأساسية التي تبني عليها الحياة الاخلاقية الدينية أو أيهوت ومتى أصبح الانسان مفرداً في حب دنياه طامعاً سيء الاخلاق مادياً بحثاً يظهر في تاريخ الاسم أناس اخلاقيون احبهم الروح الخالصة في مولدهم وبناتهم حتى يصبحوا أنبياء ورسالة ووظيفة تذكير الناس ما كانوا لسوء وإحياء ما كانوا فقدوه . ويضاف الى ذلك كانه ان الاسلام على طريق حياة الانسان العممية . وربما نوهم الناس في بعض الأحيان أن تعاليم بوذا والمسيح على أحسن الكمال لكن هذا خطأ وهذه التعاليم أتب بالكمالات الباردة الواردة في القصص والروايات وربما كان فيها (جمال شعري) إلا انه لا يمد طريقة الحكم الانسان المدني الصناعي على صحة التعاليم والمبادئ : فمن الواجب علينا ان نتطرق الى حاجات البشر أولاً ثم نحكم على كمال التعاليم بالنسبة لفائدتها . وعلى هذا المبدأ تماماً (بني النظر الى حاجات البشر) أباح الاسلام تعدد الزوجات . وسفن الزواج في

هذا الدين أقرب للعمل وأشدّ موافقة لحاجات الجمعية البشرية وأجلب لترقيتها من الجهة الأخلاقية الروحية (يمرض بانتشار الفحش في البلاد الغربية إلى حد لا يوصف) ولبادئ الإسلام الآخر هذا الحظ من الرفعة والمكانة .

وذكر في رسالته الثانية «محمد نبي الإسلام» مختصرات من حياة النبي (ص) ونبدأ من التحويل المدهش الذي أجراه في العالم وفي الحتام يجيب الكاتب عن اعتراضات المتقدين المتعصبين . (قالت المجلة) ونحن نلفت أنظار المسلمين إلى هاتين الرسالتين وكذلك كل طلاب الحقائق وتطلبان من محن لوزاك وشركاه في لندن أو من شوز وراث في حيدرآباد الذي كن

الدولة المليّة في نجد وخوف الفتنة

جاءنا من بلاد العرب رسالة كتبها رجل كبير من أهل نجد في غرة صفر بخبرنا فيها بمعنى ما وصل إلينا قبل من طرق ضعيفة ويزيدنا خبراً ورأياً قال حفظه الله ما ملخصه : أرسلت الدولة إلى الشيخ عبد الرحمن الفيصل بأن يواجه والي البصرة مع (الشيخ مبارك) فتوجه الشيخ عبد الرحمن من نجد إلى أطراف الزبير وطلع الشيخ مبارك والتقوا مع والي على مسافة ساعتين من بلد سيدنا الزبير وقدم الشيخ عبد الرحمن الطاعة لمولانا أمير المؤمنين وكذب جميع ما نسب إليه وأنه خاضع لأوامر مولانا أمير المؤمنين إلا أن ابن رشيد ليس له يد على أهل نجد وبعد ذلك توجه والي إلى البصرة وبلغ الاستانة ما كان ولية ٩ ذي الحجة وصل تلفزيون من أمير المؤمنين بتولية الشيخ عبد الرحمن على نجد ورفع يد ابن رشيد وبأن يكون في القصيم عسكر «رسم طاعة» وأمرهم راجع إلى الشيخ عبد الرحمن وأبته عبد العزيز آل سعود . وبلغ والي عبد الرحمن وبعد ذلك مشى العسكر الذي كان بأطراف النجف إلى نجد وهو ستة توابير، وفي نجد عند ابن رشيد ثلاثة توابير وبهذا السبب صار أهل نجد شك في عشي العسكر زيادة على ما في نجد «والجميع حذر نظار بن رشيد» والمشير بنفسه طلع ومعه ابن هذال شيخ عنزه وشوشوا أهل نجد واستعدوا للفتنة إن كان العسكر جاء محارباً وإن كان مصلحاً فلا حاجة إلى هذه الحكمة . والظاهر أن الفتنة لا تسكن على هذه الحال . وعبد الرحمن ما توجه إلى نجد بل تربص بالسكوت

ينتظر نتيجة وصول العسكر الى اهل القصيم وابنه عبدالعزيز الظاهر انه جهز غزوانه (أي غزاته) ونحر القصيم (قصيده) واهل القصيم مستعدون . نسأل الله ان يطفىء الفتن ويصلح احوال المسلمين وحسبنا الله على من ايقظ الفتن بينهم والافأني نبي الدولة من المصالح في نجد ولكن ينهرهم المفسدون بالفساد حتى يلجثوا اهل نجد اليها اذا لم يكن لها علاج ونتظر الحوادث ونرجو الله يصلح الاحوال ويصير الدولة بما فيه صلاح المسلمين .

(النار) لم يذكر الكاتب ماذا كان بين الوالي والشيخ مبارك صاحب الكويت وقد بلغنا من مصدر آخر دون هذا المصدر ان الشيخ قال للوالي انه خاضع للدولة ونادم على تورطه مع الانكليز ولكن الدولة قد اعوزتها السياسة الحكيمة في هذا الزمان ولذلك غلبتها سياسة الاجاب في البلاد التي لا يوجد فيها احد يميل اليهم اويضا بدينهم كالمين وحضر موت والكويت. واتنا كما بدأنا التصيحة لها نسيدها ونؤكد لها بأن تحامي مشار سوء ظن اهل نجد بها وان لا تحدث نفسها بمعاملتهم بالقوة وتحكم رجالاتها وقوانينها فيهم وان لا تخادعهم كما يخادع الاعداء بل يجب ان تقبل الطاعة من آل سعود وتصدق صدقهم وتعفي الامر بولاية الشيخ عبد الرحمن على نجد ظاهرا وباطنا وتتفق معه على عدد العسكر الذي يجب ان تجمله في القصيم والا كان عملها هو المنذر بالخطر الذي تريد تلافيه به وقد جاء امس في برقيات روتر ان الباب العالي سأل ناظر خارجية انكلترا عن البوارج الانكليزية الراسية في ميناء الكويت فاجاب بأنه لم يأت به نياها وان لا يقبل البعث معه فيها على ان البوارج انزلت العسكر فاحتلت الكويت . وتنصح للشيخ عبد الرحمن ان لا يني على سوء الظن وان يخبر الدولة في مسألة كثرة العسكر ويقنعها بعدم الحاجة اليه ويتوقى الفتنة فلا يؤل الامر الى ما يندم هو والدولة عليه ونلحق بنجد بغيرها ولا ت حين مندم

المسلمون في روسيا

نار الشعب الروسي القمح الارثوذكسي المريق على حكومة القيصر الذي يسمى في التقاليد الروسية الاب الصغير أي الرب صاحب السلطة الدينية الآلهية وثار أيضا أسائر الشعوب كالآرمن واليهود والفيلنديين وأما المسلمون فكانوا أشد العناصر الروسية مساملة للحكومة ولكنهم طالبوا بحقوقهم ومنحتهم الحكومة ما اختلفت فيه الروايات ففي جرائد أوروبا ان مفتي القزان الذي يدعى شيخ الاسلام (وهو محمد يار سلطانوف) دعي من أورتبورج الى

بطرسبرج وأمرته نظارة الداخلية بأن يرفع اليها تقريراً يبين فيه مطالب المسلمين فطلب ما يأتي ملخصاً بناء على منشور القيصر الصادر في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ الناطق بأنه عزم على منح الرعايا غير الارثوذكس جميع الحقوق التي يتمتع بها الروسيون وهو

(١) أن يعطى المسلمون الذين ينالون الشهادات من المدارس الروسية حق التدريس بالمدارس غير الاسلامية كمدارس الحكومة (٢) أن يعطى من يتم منهم الدراسة في المدارس الثانية حق التعلم في المدارس الروسية العالية (٣) تعيين أئمة لتواير العسكر المسلمين لاجل أن يؤدوا الفرائض الدينية في موتاهم وأحيائهم وقال ان القرعة العسكرية تناول في السنة نحو ٤٠ ألفاً من المسلمين وان القيصر كان أمر بتعيين أئمة لهم ولم ينفذ ذلك !! (٤) إلغاء ما توجه المادتان ١٥٤ و ١٥٧ من القانون المدني (المجلد الثاني) من عدم السماح للمسلمين بإنشاء مسجد الا بإذن الاسقف الارثوذكسي في الجهة التي يراد إنشاؤه بها (٥) منع اضطهاد الولاة والحكام لرجال الدين كهزل والي اوفلا لمامي مسجدين من مساجد المدينة في حادثة ١٦ أغسطس سنة ١٩٠٤ بدون ذنب ولا محاكمة بل افتتاً عليهم بما بأنهم ليسوا أهلاً لوظيفة مما على أنه أعادها بعد ثلاثة اشهر !! (٦) إعادة ادارة المدارس والمكاتب (الكتاتيب) الاسلامية الى رجال الدين المسلمين وكذلك ما جأ العسيان والبنات في اوفلا وقال ان هذا ما كان متبعاً الى سنة ١٨٧٠ وبعدها اخذت نظارة المعارف على نفسها حق مراقبة التعليم فتأخر التعليم الاسلامي وقل التبرع له بقله الثقة به (٧) جعل الاظامات والقوانين للموضوعة للمسلمين متعددة موافقة للزمان وقال ان النظام لمسلمي أورنبورغ باقى على ما وضع عليه في اوائل القرن الماضي مع ان الحكومة سنت أخيراً لمساحي القوقاس قانوناً مثل منه (٨) إعفاء رجال الدين من الخدمة العسكرية ماداموا يؤدون وظائفهم وفقاً للمادة ١٢٣١ من القانون العسكري الذي وضع سنة ١٨٥٧ التي استبدلت في القانون الجديد بعبادة خضعت فائدتها لرجال الدين المسيحي ومعلمي المدارس منهم وان كان لفظها ظاهراً ذلك أن هذا القانون يطلب الصبان للقرعة في الحادية والعشرين والقانون المدني لا يسمح بتعيين امام مسجد الا اذا كان بالغا الخامسة والعشرين ونتيجة ذلك الايعين الامام الابد الخدمة العسكرية وقال ان كثيرين من طلاب العلم يساقون الى العسكرية قسراً وانهم كتبوا الى الحكومة في ذلك صراخاً فلم تسمع له هذا ما نقله بريد أوروبا ولم يذكر ماذا أجيب منه ولكن كتب اليه أحد مسلمي روسيا ما يأتي وقد حذفنا منه رسم الخطاب والمقدمة قال:

ان المسلمين الروسين قد أرسلوا وفودا من الولايات المختلفة الى عاصمة الروسية « بترسبورغ » كما ان شيخ الاسلام القزائي « محمد يار سلطانوف » قد ذهب نفسه الى بترسبورغ وطلب من حكومتهم اعادة حقوقهم الدينية التي قد وهبت لهم أولا . ثم كادت ان تسلب سلبا كليا بل سلبت حقيقة فاقبى للمشيخة الاسلامية الا اسم يذكر في الاسن وهيكلم مخيل في الهواء .

والآن قد شاع الخبر وداع بأن الحكومة قد سمحت لهم ببعض ما طلبوه من حقوقهم المسلمة . وهي هذه : (١) ان النكاح والطلاق وتقسيم التركات ونصب الامام وعزله يكون تحت ادارة المشيخة الاسلامية كما كان (٢) رخص للذين أكرهوا من المسلمين على التنصر منذ سنة ١٨٤٢ فتصرفوا بعد ما أحرق اكثر اخوانهم بالثار ان يرجعوا الى دينهم الاسلام (واذا فصلت أحوالهم يرتش كل مسلم بوجوده وتكاد ان تخرج روحه) و (٣) رخص للوثنيين مثل « آره » و « چرمش » ان يسلموا او يقبلوا أي دين شاؤا ومعلوم ان أكثرهم كانوا يتدينون بدين الاسلام وكثيرا ما استرحوا من الحكومة ان تسمح لهم بأن يلحقوا بالمشيخة الاسلامية ولكن منهموا وبنيت الكنائس في قراهم والزمهم القسيسون بتعلم دين النصرانية الزاما وأكرهوهم عليه اكراها (٤) ان طائفة القزاق ستلحق بادارة المشيخة القزائية كما كانوا أولا ثم قد فصلوا بدسائس القسوس وسبهم حتى ان الحكومة سبهم أهل الظن ونزعت عنهم ثياب الاسلام (٥) ان إلزام الأتمة والمدرسين بتعلم اللغة الروسية قد رفع (ومع ذلك ترى المسلمين يتعلمون اللغة الروسية ويجعلون قانون المعارف الزمانية منطبقا على پروغرام أوربة والروسية) (٦) ان المشيخة الاسلامية ستدعو العلماء الاجلاء والمدرسين النبهاء لينظموا قانون (بروغرام) المكاتب والمدارس الدينية الاسلامية وسيرسلون وفدا الى بترسبورغ « هـ هذا ما كتبته لنا (ض . ك) وأتبعه باقتراح له ضاق عنه هذا الجزء » والناظر فيما طلبه شيخ الاسلام يرى أنه لو لم يكن مطلعا على قوانين الدولة وواقفا على أعمالها لما عرف ماذا يطلب ولكن من يطلب شيخ الأزهر او طائفة من علمائه هنا بمطالعة القوانين التي يأمرون او يحكمون بها ويحكم بها اخواتهم المسلمون في بلاد أخرى بعد عند الأزهريين وعند الذين يجاهدون لبقائهم في سياهم عدوا الاسلام والمسلمين « قليتا مل ويعتبر المعتبرون

﴿ ألمانيا في مستعمراتها الافريقية ﴾

نشرنا في العدد العشرين من المجلد السابع من هذه المجلة (الشار) أنه كتب إلينا بعض من حضر المعرض الذي أقامته الحكومة الألمانية في دار السلام قاعدة مستعمراتها في شرقي أفريقية أن الحكومة تمنع العرب من ركوب العربات وأنها هدمت المسجد الجامع وأعطت المسلمين جزاء حقيرا عنه ثم منعت الخ و كان ماساءنا من ذلك هو السبب في قولنا أن ألمانيا ليست أمثل من فرنسا في مستعمراتها وقد اطلعت الوكالة السياسية لدولة ألمانيا في مصر على ما كتبناه فاهتمت به و كتبت الى حكومة دولتها في دار السلام تسألها عن صحة ذلك فجاءها الجواب بأن مسألة منع العرب من ركوب العربات لا اصل لها وأما هدم المسجد فانما كان بطلب المسلمين أنفسهم لبعده عن ميوتهم وقد أبدلتهم الحكومة مكانا آخر قريبا وزادتهم على ذلك مالا وافراء وقد أبلغتنا الوكالة الألمانية ذلك فتحن ننشره شاكرين لها اعتنائها بالبحث وراء الحقيقة كما اتنا نؤمل ان نسمع دائما ما يبرنا عن حكومتها في مستعمراتها فما استعمرت البلاد بمثل العدل والانصاف

(نائبة الازهر والاستاذ الامام)

لقد كبر على نائبة الازهر ترك الاستاذ الامام له و ذكرت الجرائد اليومية أن نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ منهم كتبوا اليه عريضة يستعطفون بها ليعود الى التدريس فيه . ونقول ان منهم من كتب يسترشد في أمره وقد اطلعنا على صورة كتاب لبعضهم فرأينا أن نفشره على انتقادنا قوله كلهم شره ليري القراء حسن عبارة وافكار تلاميذه الذين يشكون الجبل قال بعد رسم الخطاب: انني نظرت في أمري بعد أن قضيت ما قضيت في الجامع الازهر وأضمت ما أضمت من محبي وشبابي في طلب العلم فلم أجدهم لنا لما بذلت الاجشدا من الصور والخيالات لا يضيء البصيرة ولا يبعث الغريزة ولا يعد للاستعادة في الحياة الدنيا ولا في الآخرة

ليت الحوادث باعني الذي أخذت مني بعلمي الذي أعطت ونجربني

طلبت السبيل الى السكال والعلم النافع فما وجدت الدليل ولا اهتديت الى السبيل وكيف اطلب الخير من بين معشر أعينك يا مولاي كلهم شر وقد هدتني اليك مظلمة اللطاف وقائمة اللطاف فجئتك أسألك أن تعلمني بماعلمك الله وأن لا تكلني الى رأيي وها أنا ذا أبسط يد الرجاء إليك ولم أبسط أفرك يداً وارفع اليك أمني في الحياة وقد وضعت أهلي يا بك ومثلك من لا يجيب بيا به الأمل اه



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هدانا لهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عايش الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر - الأسماء ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٣ - ٣١ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٤

اختيار المرأة للرجل

ان الشروط التي تعتبر ضرورية في اختيار المرأة زوجاً يجب أن تعتبر ضرورية أيضاً في اختيار الرجل زوجاً وهي صحة الجسم وصحة النفس أعني حسن الخلق والاستقامة وصحة العقل وهذه لازمة لا قبلها . ويزاد عليها القدرة على النفقة اللائقة كما يقول الفقهاء أو القدرة على الاستقلال بإنشاء عشيرة أو أسرة كما يقول الحكماء وهو ما يريدونه العوام بقولهم : فلان قادر على فتح بيت : والقدرة على النفقة اللائقة بحال المرأة تختلف بحسب طبقتها فزبد يستطيع كفاية من نشأت في بيت الذمعة والترف ، وعمرو يستطيع أن يكون من نبئت في أرض الفاقة والشفقة ، والناس أصناف وطبقات ، والله فضل بعضهم على بعض درجات ، وهذا الشرط هو ركن الكفاءة الركين في نظر أكثر النساء ، وعرف أكثر الأولياء ، وإن شئت قلت في عرف جميع الناس لان وضاء امرأة أو أولياء امرأة بزواج غير قادر على كفايتها مما تعودت من طعام وكسوة وخدمة نادر لا يعتمد به . والمرأة الغنية أحرص من الفقيرة على التزوج بالنفي لأنها وأهلها يحتقرون الفقير وما زال الأغنياء يتعابرون بمصاهرة من ينزل عن درجاتهم في الثروة إلا أن يعلموهم بمجد أثيل ، أو جاء عريض ، فيمت اليهم بشرف مساعده أو جد مساعد ، ومن رفعه المال ، لا يلبث أن يمد عنقه الى الجاه ، ويحاول أن يصيبه بشيء من أهل السؤدد (*) وتذري ذوي المجد المؤثر ، لاسيما من قل من هؤلاء ما لهم ، وساءت في الثروة حالهم ، فالمال والشرف اذا انفردا كان كل منهما شافيعاً للآخر ومن جمع بينهما لا يكاد يرضى بمصاهرة من قاته احدهما ، لا اذا لم يجد له صهر أمثله . وإنك لتجد من العوانس في بيوتات المجد والفنى ما لا تجد مثله في بيوت المتوسطين ، واكواخ الفقراء والمهوزين ، وذلك خطأ كبير . وعنو عظيم

(*) تنهى القوم تزوج في نواصبيهم أي اشرفهم ومثله تذراهم أي تزوج في ذروتهم

تعذر المرأة وبغدر وليها وذو قرابتها إذا لم يرضوا بصهر يعجز عن كفايتها لأن المرأة ضعيفة الاستقلال، قليلة الاحتمال، إذا مسها العوز والاقلال، لا تستقر من القلق على حال. ثم انها ولوع بالخلية، نخور بالزينة، هلوع عند الحاجة، ضجور من الشدة، فهي أحوج من الرجل الى الكفاية، وأشد تطلعا الى السعة والزيادة، وإن قومها يألون لاعوازها مالا يألون لعوز الرجل منهم وهو وارث مجدهم، وحافظ نسبهم، ونصيرهم عند الشدة، وغوثهم عند الحاجة، لما انطوت عليه نفوسهم من الثقة باستقلاله، وجدارته بإصابة الخرج من اقلاله، وما أودعته قلوبهم من الشهور برقة حاشيتها دون التحمل، وضيق مذاهبها عن التمحور، وإن حظ الولدان والاقربين وغيرهم من الرحمة والحنان والخوف والاشفاق والحزن والامتناع، وبغضاضة والنصرة وغير ذلك من ضروب الشهور والوجدان إنما يكون على مقدار الداعية الطبيعية لذلك فيهم. قيل بعضهم أي ولدك أحب اليك؟ فقال صغيرهم حتى يكبر، وقاتلهم حتى يحضر وسبقهم حتى يبرأ.

يشبه أن يكون الناس عندنا مدين قاتلهم يعنون بالبحث عن ثروة من يخطب اليهم طائين ان سمادة بنهم وهناء عيشها مقرونان بمال من يتزوج بها وقلما يبحثون عن دينه وأخلاقه وآدابه. ذلك بأنهم يجهلون ان السمادة في النفس لافي اليد او الجيب ويفعلون عن حال الجرم الغفير من أصحاب الجيوب الملاي والقلوب المراضى الذين شقيت بهم نساؤهم فهن يمتنين لو كانوا فقراء الجيوب أغنياء، القلوب بالعفة والوفاء والحب والاخلاص، اذا لسن "أتم بالا وأقر عينا وأهنا عيشا"، فان الانسان لطيف ان رآه استغنى، الا من هذب نفسه الايمان والتقوى، وان من طغيان الفنى، اذا لم يقترن بالادب والتقى، ان يغير صاحبه وزوجه وسكنه ويتغير عليها بغيرها بالتخاذل الاخذان، واتباع خطوات الشيطان، ويتغير عليها اذا زارت أو رارها الاهل والجيران، فيمذبها بالغيرة عذاب الضعف، أو يضارها ليضيق عليها من غير ذنب، وانما هو ملل الذواقين، وتقل المسرفين، ومن وراء ذلك ان ارشاده عسير، والاتصاف منه عزيز، لاسيما في بلاد فسدت حكوماتها، وأكل السحت قضاتها، فأين السمادة والهناء، في مصاهرة أمثال هؤلاء،

يسهل على الرجل المسلم أن يخبر من ربات الخدور من ترصيه فيعرف عنها من وراء الحجاب كل ما يجب أن يعرفه ويسر على الفتيات أن يعرفن ما يجب معرفته لصحة تخير الزوج وإن فارقن الجمال ، وعاشرن الرجال ، لأن المرأة سريعة التصور سريعة التأثر سريعة الحكم سريعة الانخداع فهي لهذا قليلة الروية وكثيرة الخطأ لأسبابها إذا كانت عذراء ، خاضعة لسلطان الحياء ، تخدعها النظرة ، وتجادبها الفترة ، ولذلك حظرت الشريعة الإسلامية على المرأة أن تزوج نفسها وجعلت أمرها في ذلك إلى وليها واليه لا بد من رضاها معاً على أنها منحتها من حقوق التصرف في أموالها ما لم تمنعه لها شريعة سواها بل تعبد معظم البشر من جميع الشعوب والقبائل المختلفة في المال والمحل متفقون على استباح استقلال المرأة بتزويج نفسها وعلى وجوب تفويض أمرها في ذلك إلى أوليائها وعصبتها ومنهم من لا يقيد باستئذانها واستئثارها كما أمر الإسلام بل حكمت هذه العادة في المسلمين على ما ورد عن الشارع من الأوامر باستئذان البنت في أمر زواجها واستئذان أمها أيضاً فليس للولي أن يستبد بذلك فيزوجها بمن تكره ولو كان أباً أو جنداً

بحسب أكثر الرجال أن للحسن والجمال سلطاناً على قلوب النساء لا يدع فيه لغيره أمراً ولا نهياً وأن شغف النساء بالحسن يملو شغف الرجال به فلو أطلقت هن الحرية في اختيار الأزواج لما اخترن إلا ذا الوجه الجميل والطرف الكحيل وإن كان خسيس الأبرص صغر الدين عادم الفضيلتين - فضيلة العلم والأدب - وهذا هو الوجه في الحجر عليهن أن يخترن لأنفسهن فانهن يتبعن الهوى دون المصلحة فيصبحن على ما فعلن ناديات بعد أن يقاسين من استبداد سلطان الجمال ، مالا طاقة لهن به ولا احتمال ، وهذا الحساب خطأ سببه قياس أحد الصنفين على الآخر ، وهو السبب في تصدي حسان الوجوه من الشبان لتصبي النساء واغوائهن وقد يعد نجاحهم في التصبي دليلاً على صحة القياس وما هو بدليل إلا عند من يجهل التعليل

إن الفتنة بالجمال أولع بالرجال منها بالنساء فيقل في النساء من قننت بجمال الرجل كأمراة عزيز مصر وسواحبه ولا يتناول الإحصاء عدد الرجال الذين فتوا بجمال النساء كفي عذرة وأمثال بني عذرة من جميع القبائل والشعوب وهذا هو السبب

عندي في شكوى الرجال من قلة انوفاء في النساء . انما يفتن المرأة من الرجل تحبها اليها فهي مخنونة في حب الحب أي حب أن يحبها الرجل كما قالت عليّة بنت المهدي حكاية عن مخبرة صنفها * تحب فان الحب داعية الحب * فهن يفتن بالرجال على قدر تصبهم لهم وتحبهم اليهن اذا هن صدقن وأمنن الخلاية والحيلة ، وما أسرع تصديق الفتاة للرجل لوحي العيون ، وانخداعها بقول الزور ، واستسلامها للود المذوق ، والحب المصنوع ، بل هي فتنة لا تكاد تسلم منها العوان ، التي مارست الرجال وعرفت الزمان ،

قرأت قصة (رواية) في امرأة كانت تدعى (فاتنة باريس) وكانت تهوي اليها افئدة الرجال ، وتمطرها سحاب الاموال ، وفوز لديها آمال وتخب آمان ، حتى اذا ما عرض لها مرض حال له لونها ، وحال بين طلاب التمتع وبينها ، انفض من حولها الناس الا رجلاً واحداً كان الحب قد أخذه عن نفسه ، وران على عقله وحسه ، ثم استطفه من طبيعة الرجال ، وطار به في فضاء الخيال ، ولم تلبث المرأة ان أفاق من غشبة المرض فلم تر من تلك الجموع الا ذلك الرجل فاعتقدت انه يحب لها مخلص في حبه فاصطغته لنفسها ، وثابت على يديه الى رشدها ، وهجرت الرجال وهاجرت معه من باريس الى أريافها وهناك تزوجت به ومكته من جميع ما تملك .

هذا الذي ذكرته من افتتان النساء بالتحبيب والتصبي هو العلة الأولى فيما هو معروف بين الناس من ميل نساء المدن الى المتورنين والمتطربين ، وزهدهن في أهل العلم والدين ، فهن يعتقدن ان هؤلاء في شغل عنهن ، وان اولئك لم يبالغن في التطيب والتزين الا لاجلهن ، ثم صار ذلك طامة موروثية فيهن ، وقد فشت هذه المادة السوءى في بيوت المترفين من أهل مصر وغيرها حتى ان العذاري ليقترحن أن يغير الخاطب لمن زيه العلمي ان كان طالما وقد يكون هذا التغيير وبالاعلمين بعد لزواج لانه سهل على صاحبه الدخول في بيوت الفسق التي تخرب بينهما وتوقع بينهما اما أهل البادية ومن في حكمهم فان نساءهم لا يملن الا لمن اشتهر بالشجاعة والشهامة والرجولية والكرم وبهذه الصفات يتقرب الرجال الى النساء عندهم ولو وجد في المدن شبان يعرفن بهذه الصفات لما فضل النساء عليهن أحدأ فان من صفات الفطرة ان تحب المرأة من الرجل ما هو من شأن الرجولية والعكس بالعكس وهذا الذي يحكى عن نساء الامصار من وامهن بالخجنتين ومن يقرب منهم هو

من فساد الفطرة ، وقد كان من حسن تربية النساء في بلاد الانكليز انهن قرين من الفطرة السليمة فقد اقترح عليهن في بعض الجرائد ان يذكرن أحب صفات الرجال اليهن فكان الجواب من أكثر من أجرين ناطقاً بحب صفات الرجولية من الشجاعة والاستقلال والسلطة عليهن

يقول اناس : ان الحب بين الزوجين هو الاساس الذي تقوم عليه جميع اركان سعادة الحياة الزوجية فاذا كان قويا راسخا فلا يضر هذه الحياة ضعف الاركان واذا كان غير قوي فان الاركان لا تثبت ان تسقط فيجب ان يؤخذ للعذارى والايامى بمباشرة العزاب على أعين اهلبيهن وعصاقتهم ليتخبرن منهم من يديههن قلبه ، ويصفين حبه ، وقد سبق القول في بحث نخير الرجل للمرأة بأن هذه المعاشرة ليست سبيلا موصلة الى الامنية التي يتمنون ، واذا كان يصبر على الرجل ان يعرف قلب المرأة بمنزله هذه المعاشرة التي يقصد بها الخطبة افلا يكون وصول المرأة الى قلب الرجل اعسر لاسيما اذا كانت فتاة غرا ؟ ونريد ههنا ان كثرة معاشرة افراد كل من الصنفين الآخر يجب اليهم التقل في هذه الرياض ويزينه في قلوبهم حتى اذا ما ازدوج اثنان منهم عن حب ثم فتر الحب للمال او لما عساه يبدو لاحدهما او كليهما لما لم يكن في الحساب نحن القلوب الى من كانت عرفت بالمعاشرة ونجح الى التقل ولا يصبر ذلك على من سبق له التحرن عليه والانس به

الحب هو الركن الاول او الاساس لسعادة الزوجية وهو السكون المذكور في الآية الحكيمه ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وهو علمه وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيد ولكننا نريد على ما قلنا هناك ان دوام الحب وسكون القلب انما يرجي بين زوجين لم يتعود الرجل منهما معاشرة النساء ولا المرأة معاشرة الرجال اذا كان اختيار كل منهما للآخر على الوجه الذي ينشأ فان علة سكون كل منهما الى الآخر ثابتة في اصل الفطرة وإنما يجب التخير لاحذر من الصفات العارضة التي تشارك الفطرة في الاستحسان والاستهجان ولا شيء اقطع لرابطة الزوجية وأذهب بسعادتهما من ميل احد الزوجين او كل منهما الى غير وزجه ميلا للهمني الخاص بالزوجية ان الحب الذي يكون للزوجين برباطة الزوجية نفسها هو الحب الذي يرجي

دوامه اذا روعي في عقد الرابطة صحة الجسم والنفس والتقارب في العادات والتأديب بأدب الدين وأهم هذه الآداب عفة الزوجين ورضى كل منهما بالآخر نصيباً له لا يفضي الى سواء . ذلك بأن النزعة الطبيعية في كل من الصنفين الى الآخر مبهمة مضطربة في أصل الفطرة فاذا تميت في اثرين فأفضى بهما الى بعض وقد وطنا أنفسهما على إقامة سنة الفطرة والدين باحصان كل منهما للآخر وعدم التطلع الى سواء فهناك السكون التام والحب الخالص . وليس وراء الفطرة والدين مطلع لهناء العيش وسعادة الحياة ولكن هذا الانسان يخرج عن سننهما ليتمتع بالهناء وسعادة الحياة يفضل ويشقى يقول غير المسلم: إن حب الزوجية لا يكاد يتذوق حلاوته الزوجان المسلمان لأن المرأة تكون مهددة دائماً بأحد الأمرين الطلاق أو الضرة : ونحيب عن هذا القول من وجهين أحدهما دفعه بقول مثله في الزوجين النصرانيين ومن في حكمهما وثانيهما البحث فيه وتعرف حقه من باطله . أما الاول فان الزوجين اللذين يرى أحدهما انه ملزم بالآخر إلزاماً إجبارياً جملة كالوهق في عنقه ، والوقر على كاهله ، فانه يمله ويستثقله فلا تسكن نفسه اليه ، ولا تهر عينه به ، ولا يخلص وده له ، وإن كان قد رضي به قبل العقد انخداعاً بما يتخدع به الشباب ، أو ذهاباً وراء الطمع في مال أو جاه ، فالمرأة تلج في الزهو والصلف ، وتتمادى في الخيلة والسرف ، والرجل يجرع صرارة الصبر ولا يكاد يسيغه ، وينشد استقلال الرجال فلا يجده ، وربما لجأ الى السلوة بانخاذ الاخدان ، أو الاختلاف الى ذلك المكان . . . ان كان ، وليس هذا القول من تخيل الثمر بل هو الحقيقة حكاية عن شعور أهلها فقد سمعت أحد فضلاء الانكليز وهم أحسن الاوربيين حالاً في الحياة الزوجية يقول ما مثاله : ان تحريم الطلاق ومنعه يشعرك الرجل بأنه ملزم بالمرأة مجبور على ودها والتعجب اليها لا فضل له في ذلك وما اعصى الحب والود على الإلزام كما يقول المثل «حبي غصباً» وإذا كان يعلم من نفسه القدرة على فراقها فانه يكون على فطرته وأدبه في معاملتها يشعر بالسرور والارتياح لا اختيار المعاملة الحسنة التي هي مناط السعادة الزوجية : فهذا هو شعور المذهبين المنوعين من الطلاق فما بالك بغير المذهبين الذين يعجزون عن مكابرة شعورهم ، وتكالف المحاسنة لمن يرتبط بهم ، والمرأة مع الفريقين شعوران مختلفان أحدهما الضعف والعجز وبهما

ترى نفسها أسيرة للرجل وثانيهما أنه لا بد للرجل منها ولا قدرة له على الانفصال عنها
والأثر الطبيعي هذين الشعورين هو الكيد من جهة والصلف والفساد من جهة أخرى.
ولا يقال إن هذه فلسفة لا يصدقها الواقع فانه إن كذبها في الزوجين المتشاكليين
في الطباع المتناسبين بالتهذيب فانه يصدقها في الأزواج الذين غلبت عليهم الحظ فلم يمنحهم
المشاكلة والتناسب لاسيما إذا كانت المرأة عاقرا أو ظهرت آيات الخيانة من أحد الزوجين
أو كل منهما للآخر. ناهيك بالمرأة العاقرة عند ملك أو أمير قد جعل الحكم إرثا في
فريته أو غني عظيم يمز عليه أن لا يكون له وارث يتمتع بماله

وأما الوجه الثاني وهو البحث في فرق المرأة وحذرها من الطلاق أو الضرر فقد
يقال فيه أنه يكون من أسباب تحببها إلى الرجل وعنايتها بمرضاته وإن هذا السبب للتألف
يقابل في الرجل حذره من خسارة المال إذا أراد استبدال زوج بزوج لأن الشرع
يوجب عليه أن يمتع المتروكة بما تنفق عليه نفسها مدة العدة التي لا يباح لها الزواج فيها
وهذه خسارة فوق خسارة المهر وما عساه يكون مع المرأة من متاع وأثاث وماعون
أو يكون لها من مال تسعفه به أو تدخره لولده، ثم إنه لا بد أن يبذل للزوج الجديدة المهر
اللائق بها. وهذان السببان في حرص كل من الزوجين على النطق بالآخر يدعمان
سكون النفس الفطري في كل منها إلى الآخر. على أن الطلاق والمضارة بزواج
أخرى هو خلاف الأصل الذي عليه الأكثر من المسلمين وأما المسلم أن
الأكثرين من المتزوجين في بلادنا لا يخطر في بال الرجل منهم ولا المرأة أمر الطلاق
أو المضارة أعني أن الرجل لا ينوي والمرأة لا تتوقعه منه وأن أكثر الذين يقع منهم
الطلاق من غوغاء المسلمين فانما يقع منهم على سبيل المنع من شيء كأن يقول واحد منهم
عليه الطلاق إن فعل كذا أو إن فعلت كذا ونحو ذلك. وما كان من ذلك تملقا حقيقيا
على فعل المرأة وهو إلا أكثر يجعل الطلاق في يدها كما هو في يده فيشتركان فيه. وقد
ذهب الكثير من الأوربيين إلى صحة الطلاق من كل من الزوجين وهذا شيء
منسبه. ومن أئمة السلف من يقول بعدم وقوع الطلاق بإيمان الإجماع وكل لفظ
لا يقصد به حل عقدة الزوجية قصدا صحيحا وعليه بعض علماء الحنابلة ولو حرر
المسلمون مسائل الطلاق من غير التزام مذهب بأن يأخذوا من مجموع كلام الأئمة

ما يوافق النصوص المنطبقة على المصلحة العامة لما كان يقع الملاق من المسلمين إلا مثل ما يقع من قلوبهم فيه من الأفرنج . ولعله يكون في بعض البلاد الإسلامية أقل منه في بعض بلاد الأفرنج بل هو الآن أقل في بعض البلاد .

نعم لا تنكر أن المسلمين في بلاد مصر قد أسرفوا في الطلاق وفي الزوج بأكثر من واحدة فسأت حالة الحياة الزوجية فهم وفي أمثالهم ممن على شاكلتهم وإن قلوا وأنهم في ذلك على غير ما يجب الآلام ويرضى كما يعلمون في الطلاق وكما بينا في حكم تعدد الزوجات وشرطه في المجلد الماضي ولكن سوء هذه الحال خاص بالمسرفين من أهلها وبمن يقربون منهم بما يروّعون نساءهم ويوفعون الريب في قلوبهم بكثرة الحديث في الزوج وإظهار الميل إلى بعض العذارى أو الأياشي بالقول أو الفعل . وقد مرضت الفطرة في هؤلاء واعتل مرشدها وهو الدين حتى كان انحلال الرابطة الزوجية بعض أعراض ذلك المرض الذي فقد علاجه فهم لا يدقون للحياة الزوجية طعماً ولو لم يروّعوا نساءهم بالطلاق والمضارة إلا أن يقيموا وجههم للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها فإن السعادة الزوجية كثيرها من ضروب السعادة لا تكاد تناول إلا بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب التي جاء بها الدين ولذلك قال المصالح الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه . الخ (رواه الترمذي والبيهقي بن سعد) ومن يطلب السعادة بغير ذلك فهو من الخاسرين

(الكلام بقية)

فتاوى المباني

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرز إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وأننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لهذا . ولئن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فن لم نذكره . كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ تز . مج الشريفة بغير كفو وسب العلماء واهانة كتب العلم ﴾

(س ١٤ و ١٥) : ض . ع أحد المشتركين بالمتار في (سنن فوره) : قاض زوج

شريف : علوية صحيحة النسب شهيرة برجل هندي مجهول النسب شهد له انسان

عند القاضي قالا . في بلدنا يعملون سيدي : وبعد الفحص عارض ذلك القاضي العلماء العارفون حتى اتضاح بطلان المقدم وفساده عند الجميع وعند القاضي أيضا قائل الرجوع الى اسبق الاعتراف بفساد المقدم ومساعدته رجل آخر جهلا وهوى وتفتنا حتى ان المساعد لما روجع بما يقوله الشرع والعلماء وأحضرت له الكتب طفق يسب العلماء وقال بان عارضه اطرح هذه الكتب في استك (قالها بالمبارة العامة المبتذلة) فلمؤمل من نخلكم الجواب مبسوطا على القاضي ومساعدته وماذا يترتب على سب العلماء وعلى قوله اطرح هذه الكتب في . . . فالمسألة واقعة حال والرجل والمرأة مقترنان حتى الآن سنحار وعندنا بسنخافوره اختلفت الاجوبة فمن قائل بكفر المساعد وشبهه ولا يرضي الجميع الا بجوابكم فانتمروا جواب سؤالنا على صفحات مجلتكم المناو لا زلتم ذخرا لخاص والعام وناصرين لشريعة افضل الانام عليه الصلاة والسلام (ج) نشرنا في الجزء العاشر من المجلد السابع مقالة في الكفاءة ينافيها أن الكفاءة في النسب من المسائل الاجتهادية وأن العبرة فيها بالتعير وعدمه ولذلك صرح بعض الفقهاء بأن الشريف غير المشهور بالشرف ليس كفوا للشهيرة بالشرف والظاهر من السؤال ان الواقعة لو ثبت فيها شرف الهندي لكنت من هذا القبيل ولا حاجة لبسط القول في هذا المقام بعدا لم بان العلماء العارفين حاجوا القاضي حتى حججوه واقنع ببطلان المقدم ولكنه لم يرجع اليه . ثم انكم لم تذكروا في السؤال هل كان لهذه الشريفة ولي ام لا فان لم يكن لها ولي وكانت هي راضية بهذا الزوج فالمقدم صحيح لانها اسقطت حق الكفاءة وليس لها اولياء يلحقهم العار بزواجها من غير الكفاءة فيعارضوا فيه . وان كان لها ولي فكيف زوجها القاضي بدون اذن وليها وهل عارض الولي أم لا ؟ كان ينبغي بيان ذلك

واما سب ذلك الجاهل للعلماء واهائه للكتب الدينية فهو من اكبر المعاصي لانه يسقط احترام العلم والدين وأهلها من نفوس الجاهلين ويجري السفهاء على الفضلاء حتى تكون الامة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله . ولا صغير يؤمن بجمله . ولا يتجه كون ذلك من الكفر الا اذا احتفت به القرآن والدلائل على انه قال ما قال في كتب الدين وحملتها هزوا بالدين نفسه لان غير معتقد به . وقد أفق بعض فقهاء الحنفية

بردة من يحقر علماء الدين أو كتبه ونصوصه حتى قالوا إن من يعطى الفتوى فيلقبها في الأرض أزدراء واحتقاراً يكفر . ولما ذكر ابن حجر من الشافعية قاعدة أن من الردة كل فعل أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر عد من ذلك قوله «أو يلقي ورقة فيها شيء من قرآن أو علم شرعي أو فيها اسم الله تعالى بل أو اسم نبي أو ملك في نجاسة قال بعضهم أو قدر طاهر» الخ ثم قال فيها سرده من أعمال الردة أو تشبه بالعلماء أو الوعاظ أو المعلمين على هيئة منزية بمحضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلعب استخفافاً أو قال قصمة تريد خير من العلم استخفافاً أيضاً ويشترطون في كون هذه الأعمال كفراً أن لا تدل قرينة على عذر صاحبها أو تأوله لاخلاف بينهم في هذا . والتحقيق أن الكفر هو انكار شيء مما علم من الدين بالضرورة وكان مجمعاً عليه ومثله تكذيب شيء من الدين بمقتد المكذب له أنه مما جاء به الشارع أو اعتقاد قبحه وبطلانه لأن كل ذلك نخصة للرسول فيما جاء به عن الله تعالى . وما ذكر الفقهاء من المكفرات غير ذلك فهو في رأيهم يرجع إليه لأنه دليل عليه أو لازم له أو ملزوم ولذلك رد بعضهم منه ما قاله بعض لاسيما ما كان كفراً بالآزوم وقد قالوا «إن لازم المذهب ليس بمذهب» وانفقوا على أن التأول يمنع التكفير فإذا أتى إنسان بشيء عدوه كفراً وردة فذكر أن له تأويلاً يتفق مع اعتقاده بأن جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الدين حتى امتنع الحكم برده وقالوا إذا وجد مئة دليل أو قول على كفر أحد وقام دليل أو قول واحد على عدم كفره يعمل بالواحد لأنه يجب درء الحدود بالشبهات والتباعد عن التكفير ما أمكن . ولكن هذا لا يمنع من تشديد التهزير على من كانت الشبهة على كفره أقوى لاسيما إذا كانت أقواله أو أفعاله المشتبه في كونها كفراً مما يفتن العامة ويضر بالناس والله أعلم

مصرف الهدايا والنذور لأخرجة الأولياء

(س ١٦) السيد عوض جمان سعيدان في (سناغوره) : أرجو من سيادتكم الإفادة عما يأتي واحكم من الله الفضل . سيدي من المشهور أن عند قبور بعض الأولياء صناديق حديد يوضع فيها من يريد قضاء حاجته شيئاً من الدراهم وعندنا كثير من هذه القبور خصوصاً في جهة (جانوا) وتوجد تلك الصناديق عند نهاية الشهر

ملائة بالدراهم ينفق منها القائمون بحراستها ما يقوم بنفقة النقام والباقي يصرف على وروثة الولي ان كان له قرابة وقد التمس مني أحد الأخوان بالخام أن أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجياً نشره في أحد أعداد المنار والجواب عليه بما يمكن العمل به وهو هل يجوز للورثة أخذ تلك الدراهم مع العلم بأن طالب الحاجة لا يقصد تقديم تلك الدراهم للورثة أو غيرهم بل يقصد بها ان تكون لذلك الولي فقط أفيدونا لازلتم مؤيدون وبين العناية ملحوظين :

(ج) الميت لا يملك فيكون ما له لورثته فإذا كانت الحال كما ذكرتم في السؤال فلا يجوز لقرابة صاحب المخرج أكل ما يلقى في الصندوق من المال لأبعد الاتفاق على القبر ولا قبله . وكذلك لا يجوز الاتفاق منه فيما جرت به العادة من إيقاد المخرج والشموع على قبر الولي والمسجد الذي يبنى عليه لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن ذلك ولعن فاعله وقد عده العلماء اللعنة علامة على أن الذنب من الكبائر ومنها حديث ابن عباس قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وفي إسناده أبو صالح بأوام أو بأذان تكلم فيه . وما قاله ابن عباس تشهد له الأحاديث الصحيحة سواء سمع منه أبو صالح أم لا ففي حديث الصحيحين : « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية لمن بدل قاتل وقد فسرت هذه بذلك وفي حديث مسلم أن النبي قال ذلك في مرض موته وزاد : « فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » وفي رواية في الصحيحين : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الخ ومنها حديث جابر عن أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وحسنه والنسائي قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يقدم عليه وإن يبنى عليه » وفي رواية أخرى : « وأن يكتب عليه » وقد ذكرنا من قبل هذه الأحاديث وغيرها فمن شاء فليراجع أولي راجع ما كتبه ابن حجر في بيان الكبيرة الثالثة وهو ٦ و ٧ و ٨ والتسمين من الزواجر فإنه بحث في كفر الذين يعظمون قبور الصالحين تعظيماً يشبه العبادة كما هو المعروف في زماننا

أما الأروال التي يلقبها الجاهلون في تلك الصناديق توهاً أنهم يستميلون بها أصحاب

القبور لتتضي حاجاتهم بواسطتهم فهي لا تخرج عن ملكهم وكان يجب على من حضرهم أن ينههم عن وضعها ويبين لهم حكم الله في ذلك ولكن من يجثرونها هم الذين يأكلونها بالباطل ويشركون فيها من يشركون . وقاعدة الفتفاء في الاموال التي لا يعرف لها مالك ان ترصد لمصالح المسلمين العامة ومن للمسلمين بمن يقوم بمصالحهم العامة وليس لهم حكومة اسلامية تلزم الشرع وتقيمه في كل أعمالها وأحكامها وليس لهم زعماء وسراة يرجعون الى رأيهم وارشادهم فحسبنا الله واية نسأل أن يهني لنا من يقوم بأمر ديننا قبل ان نكون من الهالكين الميؤس منهم

تلقين الميت وابن مجلس الملقن

(س ١٧) الحاج وان أحمد في (سنن فوره) : ما قول أئمتنا الشافعية فيما يأتي : هل يسن للملقن أن يجلس قدام وجه الميت أو فوق رأسه أو وراءه أو يفرق بين كون الميت رجلا أو امرأة

(ج) هذه المسألة مما يؤخذ فيه بالاتباع ويبعد فيها القياس والاختبار والآثار الواردة فيها ضعيفة ولكن قد استحب أصحاب الشافعي الأخذ بها ، والوارد أن يقف الملقن عند الرأس . أخرج الطبراني في الكبير وعبد العزيز الحنبلي في الشافعي وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي عن سعيد بن عبد الله الأزدي عن أبي أمامة قال (وفي رواية شهدت أبا أمامة وهو في الزرع فقال يا سعيد) : اذا أنامت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصنع بموتانا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اذا مات أحد من اخواتكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره فليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمعه ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثالثة فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تشمرون : فليقل اذا ذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما : فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حديثه » وفي لفظ ويكون الله حجيجه دونهما . فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال « فلينسبه الى حواء » قال الحافظ ابن

حجبر في التلخيص واسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه . ولكنهم تكلموا في سعيد وأبيه وفي أسناده عاصم بن عبد الله وهو ضعيف وقال الهيثمي في أسناده جماعة لم أعرفهم . وأخرج ابن منده بلفظ آخر ورووا آثاراً بمشاهير لأهل لذكراها هنا وإنما المقصود بيان أن الرواية صحيحة في أن الملقن يقوم عند رأس القبر . وقد ورد في أسانيد القيام عند القبر للدعاء بالثبوت أنه يستحب أن يقف مستقبلاً وجه الميت . ولا وجه تقياس الوقوف للتلقين أو الدعاء على الوقوف للصلاة قبل الدفن إذ مرفوا فيه بين الذكر والآتي لمكان النص ولو جود الفرق والله أعلم

رش القبر بالماء

(س ١٨) ومنه : رش القبر بالماء مستحب هل هو عام لكل وقت أم خاص بعد الدفن

(ج) ذكروا رش القبر بالماء في أحكام الدفن وعلاوه بما علاوا به وضع الحصباء عليه وهو أن لا تذهب الرياح بالتراب وهو دليل على أن المراد رشه بعد الدفن وعليه العمل والأصل فيه ما رواه الشافعي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رش على قبر ابنه إبراهيم ماء ووضع عليه حصباء وروى البيهقي أن بلال بن رباح رش قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالماء وفي أسناده إمامي أقوي تكلموا فيه

شعر الرأس - حلقه أو تركه

(س ١٩) ومنه : تنفية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه كما في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فهل لها كيفية مخصوصة أم لا

(ج) إن إرسال الشعر وحلقه من العادات لا من المبادات إلا ما يكون في النسك من الحلق أو التقصير نعم أنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق في غير النسك وكذلك الصعابة كانوا يرسلون شعورهم وكان ذلك من عاداتهم ولم يكونوا يعدونه ديناً ويعجني قول الغزالي في الأحياء ولا بأس بحلقه لمن أراد التطييف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزماً أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم فإنه إذا لم يكن شرفاً كان ذلك تلبساً أه وهو يريد أن المؤدب بآداب الدين لا ينبغي أن يتشبهه

بالسفهاء كأهل الشطارة ولا بمن ينزم من تشبه بهم تلبيس على الناس وغش لهم .
وانما صرح العلماء بكرامة خلق الرأس وكرمه مخالفاً لسنة لانه كان في الصدر الاول
شمار الخواارج فاذا أخذنا باطلاقهم كان الاوم في ترك هذه السنة موجهاً في هذا العصر
الى علماء الدين فاتهم بحلقة بل يشكرون على من لم يخلق وهم مخطئون
نعم ان من ارسل شعره بنية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في طوآته الشريفة
كان ذلك مزيد كمال في دينه اذا كان مقتدياً بسنة الدينية ومتحرياً التخلق بأخلاقه
الكريمة وقد ورد في أحاديث الشمايل ان شعره كان إلى أنصاف اذنيه وكان لا يجاوز
شحمة اذنيه غالباً وقد يصل الى منكبيه وقد يدل ثم فرق فأما السدل فهو أن يرسل
الشخص شعره من ورائه وعلى جبينه أي يتركه على طبيعته وأما الفرق فهو أن يجعله
الى جانبه وزعم بعض العلماء ان السدل ليس بالفرق ولا تقوم له حجة .
وقد جرى أكثر الاقرنج وبعض المتفرجين في هذا العصر على سنة ارسال الشعر
وفرقة أرأيت اذا فعل ذلك شيخ الازهر أو بعض شيوخه المشهورين . الا بعد هذا
عند العامة وبعض من يعدونهم من الخاصة خرقاً لسياج الدين ؟ بلى ان حكمكم
العادات نافذة في العلماء والجهلاء وهو كثيراً ما يزيد في الدين ما ليس منه في شيء
وينقص منه ما هو من سنته التي لا خلاف فيها ولا تبعد في طلب المثال فهو بين يديك
وفي استلتك وما قبلها . فشايخ الازهر يقرءون في كتب الحديث نهى الشارع عن
بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها اعياداً وتعظيمها ثم انهم يشاركون العامة في
هذه الاعياد التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم في الفقه .
ثم انهم يقرءون في شمايل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم يشكرون
على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد أمرني بذلك بعضهم وكان شيخاً للازهر
قائلاً انك من اهل العلم لا يليق بك ان ترسل شمرَكَ فاحلته فحججته بالسنة فاجني
بأن ذلك شمار العامة الآن

حجج صلاة الظهر بعد الجمعة والخلاف في الدين

(س ٥٤) ومنه : هل يجوز لاحد أن ينهى أهل بلدنا (سنغافورة) وأشباهها كما
حدث الآن عن إعادة الظهر بعد الجمعة ام لا يجوز لانهم يعتقدون أنها سنة متسكينة

يقول العلامة ابن حجر الهيتمي في الجمعة من الايعاب بعد كلام قرره فيه : وعلى كل
فلا احتياط لمن صلى جمعة ببلد تمتدت فيه الحاجة ولم يعلم سبق جمعة للكل ان يبيدوها
ظهورا خروجا من هذا الخلاف : الخ ولا نهائي انتهى يوقفهم في محظورات منها وقوعهم في
امراض اهل العلم الذين اسروهم باعادتها واعادوها بأنفسهم في تلك البلدة وغيبتهم
كبيرة بالاجماع ومنها مفسد آخر كالزراع والشقاق المتولد بين اهل تلك البلدة بسبب
الطعن في علمائهم المتقدمين وغير ذلك فيكون هذا الرجل سببا لذلك نعوذ بالله من غضبه

(ج) تعلمون ان الخلاف واقع بين علماء الشافعية بعضهم مع بعض وبين علماء
سائر المذاهب كما وقع بين الأئمة ومن فوق الأئمة من علماء الصحابة رضي الله عن
الجميع ولا شك ان كل من ذهب الى شيء فهو يرى مخالفه فيه خطأ ومن كان غير
معلوم فهو عرضة للخطأ وقد نقل عن الصحابة والأئمة انهم أخطأوا في مسائل ثم
ظهر لهم الصواب فرجوا اليه ومنها ما هو اهم في الدين من اعادة الظهر بعد الجمعة
احتياطاً او غير احتياط فاذا كان هذا سبباً للوقوع في امراضهم فمن يسلم لئلا قالوا ان
ابن عباس رجع في آخر حياته عن القول بجواز التمة فهل كان هذا سبباً للوقوع في
عرضه عن كانوا سمعوا منه الفتوى بالجواز او عملوا بها ؟ هل كان اهل العراق يقومون
في عرض الامام الشافعي لانه رجع عن مذهبه القديم بعدما عاداني مصر . كلا ان هذا من عمل
السفهاء وما كان لاهل العلم ان يحفلوا بقبح هؤلاء السفهاء ولا يجد حرجهم في تركوا بيان العلم
والدين لاجلهم وهذه سنة الله تعالى في اهل البغي والشقاق يظهر تفرقهم وخلافهم بعد
ظهور الحق وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بنيا بينهم « (س ٤٢) » وما تفرق
الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم اليقينة « (٩٨) » وما اختلف فيه الا الذين
أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بنيا بينهم فهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق
بإذنه « (٢١) » فلي المؤمن بل من خواص المؤمن أن يأخذ بالحق متى ظهر له ويرشد اليه
متى عرفه لا يخاف فيه لوم لائم ولا خوض آثم واذا كان قد سبق له عمل بخلافه عن خطأ
في الاجتهاد فهو مثاب على نيته وان كان قد أسره بذلك عالم فذلك العالم أيضاً مثاب ان
كان قد تحرى الحق بقدر طاقته وهو يستحق الدعاء واثناء لا السب والطعن
واذا حسب المسائل نفسه ورجع الى وجدانه يقين له ان الذي أكبر هذه المسألة

في نفسه وفي نفوس الكثيرين من أهل سنغافورة وجاوه هو تهودهم صلاة الظهر بعد الجمعة فالأمر من قبل حكم سلطان المادة الذي ذكرناه في جواب السؤال السابق والأفلو كان المسلمون يهتمون كل هذا الاهتمام بكل مسألة حتى ما قال بعض الفقهاء المتأخرين إنها من الاحتياط لكان اهتمامهم بما أجمعت عليه الأمة من المحرمات والمكروهات والواجبات والمندوبات أعظم وأشد وأين هم من ذلك ؟ فوالذي أحيا سلفهم باتباع الحق حيث كان ، والاعتصام به بقدر الامكان ، وأمانتهم بابتداع البدع ، والتفرق في الدين الى شيع ، لو أنهم كانوا يعملون بما أجمعت عليه الأمة لكانوا في هذا العالم هم السادة الأئمة ، ولكانت الامم التي أزالت ملكهم وورثت عزهم ، تابعة لهم خاضعة لأمرهم ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، ووعده الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، الآية

هذا هو رأينا في الخلاف في هذه المسألة الاحتياطية التي كبرت عند بعض أهل سنغافورة وجاوه حتى عدوها بعض أهل الهوى والجهل منهم فئة من فتن النار الذي بين حكم الله فيها اذ كتب واحد أو ثمان منهم لامثالهم من أصحاب الجرائد الذين لا يصلون ظهرا ولا عصرًا ولا يفهمون كتاباً ولا سنة يستفتحون بهم على النار ويطلبون منهم الرد عليه أو تحريض العلماء على ذلك والنار يطلب في كل عام غير مرة من كل عالم يرى فيه شيئاً يخالف الكتاب والسنة ان يكتب به اليه ، وقد زعم الكاتبان ان النار هو الذي فرق بين الناس في الدين وجراهم على سب الأئمة والسلف والنار هو الداعي لإزالة الخلاف بالاعتصام بالكتاب والسنة والافتداء بالسلف ولا نعرف داعياً الى ذلك بالقول والكتابة والتشريع غيره ففي اي جزء وفي اية محينة منه تكلم في السلف والأئمة ؟ ان هذا الاختلاف يعرف منه ان المشاعين في مسألة صلاة الظهر بعد الجمعة لا يتبعون الا الهوى فان الكذب والبهتان والفتنة لاسما لخدمة الدين وأهل البيت النبوي من أكبر المحرمات بإجماع المسلمين واما صلاة الظهر بعد الجمعة فهي مسألة خلافية بينا الحق فيها من قبل ، فهل من الاحتياط الذي قاله بن حنبل ان يكذبوا ويتأبوا ويخوضوا في اعراض العلماء ويلصقوا ذلك بغيرهم قد أطلت القول في هذه المسألة لان الناس قد اهتموا بها عندكم أكثر مما تستحق وهو لا أهل مصر أكثرهم شافعية ولم يهتموا لها بعض هذا الاهتمام وهذه سنة الله في الخلق يهتم الناس

على قدر جهلهم بالأمور التي لا يترتب عليها نفع ولا ضرر ويتركون عظام الأمور لا يبالون بها. وأرى أيتام الأخ السائل أيهم قومك بالانكار على تارك الصلاة أو مانع الزكاة كما يهتمون بمن يصلي الظهر بعد الجمعة احتياطاً ويتركها الاعتقاد أنه لم يكلف بها وفاقاً لأكثر المسلمين ؟ إذا كان هؤلاء قد تركوا كل ما حرّمه وكرهه الدين وقاموا بكل ما قدروا عليه من أحكام الدين فرائضه وسننه وآدابه لأنفسهم ولآلئهم فلهم الحق في الاهتمام بهذه المسئلة وإني اعتقد حينئذ أنهم يكونون سعداء مرضيين عند الله صلوا الظهر بعد الجمعة أم لم يصلوها وإن كانوا قد قصرُوا في شيء من الفرائض والسنن انتفى عليها أو يرتكبون شيئاً من المحرمات التي لا خلاف فيها فزعمهم الاهتمام والعناية بالدين لأجل مسألة خلافية لم يقل بها إلا الأقلون من المسلمين زعم باطل لا سبب له إلا التمسك بالعادة والتعصب على المخالف بغيا واتصارا للنفس. والخاصة أن من اعتقد أن شيئاً غير مشروع فعليّه أو فله أن يبيّنه للناس غير مبال بلفظ الاغطين ، واختلاف الجاهلين ، والله ولي المتقين .

أماؤ الحكم في سماع الدعوى في بيع الرهن فليس من موضوع المنار البحث في الأحكام القضائية غير الدينية وظاهر أن الدعوى لا تسمع ممن سكت عنها المدة التي حددها الإمام أو نائبه

أناستعليه السلام

حفظ التقرير

الشريعة الإسلامية - والقوانين الوضعية

رسالة لعل بك أبي الفتوح من علماء القوانين المأمنين بها في نيابة محكمة الاستئناف بمصر ابتداءً بقوله : لا يظن كثير من الناس حق من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الفراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الإنسان من التقدم والترقي درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الأصول الإسلامية وإنما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث في الفقه الإسلامي ولو قليلاً

لا يثبت أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا في الرفاهية وتقرير المبادئ،
الممرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قديما يجاريهم فيه أحد الآن صعوبة كتب المتأخرين
وكيفية تأليفها وما هي عليه من التعقيد قد أوصدت الباب في وجه من يريد الوقوف
على حقيقة الشريعة الفراء غير المنقطعين لدراستها ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا
الطريق أن يقصد التأليف القديمة لأنها أسهل موردا وأعزر مادة مع خلوها من
التعقيد وبعدها عن الاشغابات اللفظية وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها
بدون ملل ولا حساب للوقت

ه اذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢
هجرية وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من
القصائد والاحكام ما يجدر باصراء المسلمين اتباعه والعمل به . عثرت في هذا المؤلف
الصغير الحجم على درر كثيرة لا أبخل بنظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا
المشتغلون منهم بالقوانين الافرنجية ان التقدم لم يترك شيئا للتأخر ولعلهم ينكبون
على دراسة الشريعة والآداب الإسلامية لانهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة
إذا فهمنا حق الفهم ودرسنا بعقل وتعميز

ه وما أجدر الحكومات الإسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع
اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر
احتراما في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من وضعت لهم . اه
ثم ذكر مسائل من كتاب الخراج وذكر ما ورد بمعناها في القوانين الحديثة
واستخرج العبر منها وقال ان أهل القوانين يظنون ان هذه المسائل من اوضاع
علماء اوربا المتأخرين فهذه . الرسالة مفيدة للمتعلمين في المدارس النظامية بمصر وأوربا
الذين لم يلقوا شيئا من علوم الشريعة فهم يضطأونها للجهل وهذا الذي ذكره قليل
من كثير ، ونقطة من بحر كبير ، ومفيدة لعلماء الازهر وامثالهم من المتعلمين على
طريقتهم . ان كانوا يقرءون ويعتبرون . بما تبين لهم من سوء أثر هذه الكتب المتأخرة
التي اختاروها للتدريس وأثر طريقة التعليم المتمحجة التي يتعمقون فيها فان ذلك أقوى
اسباب بعد المسلمين عن دينهم وشريعتهم

أما تعجب الكاتب من جدارة الحكومات الإسلامية بأخذة قوانينها وأحكامها من الشريعة القراء فيقال فيه أنه لو كان في الدنيا حكومات إسلامية لما كان لهم معدل من الشريعة وهل من معنى لكون الحكومة إسلامية إلا كون تشكيلا وأحكامها على حسب الشريعة . وهل توصف بالإسلامية الحكومة الاستبدادية الشخصية التي يفشيها أو يرثها رجل يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد لا يتقيد من شريعة الإسلام بشيء إلا ما يرى بدا منه في إخضاع العامة لسلطته أو ما يراه موافقا لمصلحته ؟ هذه مجلة الأحكام العدلية التي ألفها لجنة من علماء المسلمين هي أحسن من القانون المدني الفرنسي وقدام السلطان العثماني بالعمل بها عند ما أسس نظام العدلية، وإبطال به الامتيازات الأجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الحذوية، بل استغارت على أحكام الشريعة الإسلامية قانون الحكومة الفرنسية . كنا نعرف السبب في ذلك وهو طمع أسباط على إبطال الاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوروبا التي يتزلف إليها باتباع خطوات مدينتها فانظر ماذا حل به وباستقلاله . والرسالة قد طبعت فتمت القراء على طلبها ومطالمتها

﴿ شرح التلخيص وطريق البلاغة وكتبتها ﴾

سألت طرق التعليم في المدارس الإسلامية بعد ضعف العلم بضعف الأمة وساء اختيار المعلمين للكتب فصارت العلوم في المسلمين رسوماً منها المدارس ومنها المائت . ثم تلاشى من العلوم ما لا يفوم بالرسم، لأنه أشبه بلروح منه بالجسم . كعلم البلاغة الذي هو فوق معنوي ، وشعور روحاني ، تطبيع بملاكته النفس ، ثم يظهر أثره في الحس ، وهذه الكتب التي اختارها المتأخرون هي شروح لتون جعلت مذكرة لاصول المسائل ومهمات القواعد فكانت مناقشات في الفاظها، واستنباطات من عباراتها، تقطع على من أتى بها طريق التحصيل ، وتضلعه عن سواء السبيل ، وأشهر هذه التون متن التلخيص للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب بدمشق الذي اختصر به كتاب المفتاح لأبي يعقوب يوسف السكاكي . وقد كان البقاء المتقدمون الذين انتهت إليهم البلاغة والقدرة على البيان يأتون البلاغة من بابها بما يراولون من قراءة الكلام البليغ وتفهم معانيه، والتفطن لأساليبه ومناحيه، حتى إذا ما أحس الإمام عبد القاهر بضعف رعاية الناس بفهم الكلام البليغ ورأى النفوس منصرفة إلى الغاية بخرق

اللفظ وإن عجز عن أداء المعنى المراد وفهر عن التأثير المطلوب فوضع كتابه (أسرار البلاغة) في البيان و (دلائل الإعجاز) في المعاني لصرف الناس عن المجاهل التي تعسفوا فيها، ويهديهم إلى الطريق التي ضلوا بها، ولكن جاء بهذه السكاكي فاقبس من كتابه القواعد والأحكام التي وضعها لأقناع الجاهلين، وتسهيل الفوص على الدرر للفواصين، فجعل الفن رسماً محدوداً وأصطلاحات نظرية حفظ الالهن منها بالتصور والتصوير، أكبر من حفظ النفس بالتأثر والتأثير، ثم اختصر الخطاب بملخصه ما كتبه السكاكي فكان كتابه أو غل في الرسم والأصطلاح، وأبعد عن النفوذ إلى مواقع التأثير والتأثير من الأرواح، وجاء بعد ذلك ساعد الدين الفتازاني الذي صرف كل ذكائه في ممارسة العلوم النظرية من المنطق والجدل والمنظرة والفلسفة والكلام فشرح (التلخيص) على طريقته في العلوم النظرية، فخرج بذلك علم البلاغة عن موضوعه بالسكاكية، وأبليت كتب السعد بآناس وضموا عليها حواشي للبحث في ألفاظها وأساليبها دون البحث في أساليب الكلام البليغ المأثور فصارت هذه الكتب عقبات أو عوائق في طريق البلاغة بل صرفت الناس عنها، وحالت بينهم وبينها

مرت قرون على المسامين وهم يتسككون في ليل من الجهل بهم حتى إذا الليل عسس، وكاد المصبح أن يتنفس، هدى الله أناساً إلى أن يقبسوا اللامعة من مقبسها، ويحجوا البلاغة من مفرسها، وما عثم أن استبان الأزهرين المقصود، وظهر فيهم الإمام المرشد، ثم طبع الكتابان الجليلان، (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) وقرأهما في الأزهر الأستاذ الإمام، فحاول تلامذته الجمع بين العلم والعمل، وظهر فيهم من فاتوا شيوخهم الآخرين في بلاغة اللسان والقلم، فكتبوا المقالات والرسائل الأدبية، وتعلقت آمال بعضهم بتأليف الكتب العلمية، وهذا كتاب شرح التلخيص لوأحد منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

جرى هذا الشارح في شرحه على أن يبين المراد من الجملة ويدعمها بشيء مما ينصر جند المعاني على جند المباحث النفعية التي اعتادها أهل الأزهر مستمداً ذلك من أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز اللذين هما عمدة وهتاده وفي هذا من جذب طلاب الأزهر الذين لم يحضروا الكتابين على الأستاذ الإمام إلى جانب البلاغة الحقيقية

ما يرجي معه أن يكون الشرح سلماً لهم يرتقون به إلى مطالعة الكتابين ، ويبتدون به إلى
خير أنجدين ، وهو ما يطبع البلاغة في النفس ، ويظهر أثرها في عالم الحسن ، على أنه
يكون عوناً لهم على فهم شرح السعد الذي قضى عليهم بآقيته ، وأداء الامتحان فيه ،
وما ينتقد على الماشرح أنه يأخذ الكلام من أحد الكتابين (أسرار البلاغة
ودلائل الإعجاز) فيسند إلى نفسه وإن كان طويلاً لا تصرف له فيه وتارة تصرف فيه
تصرفاً يسيراً لا يكون عذراً له أن يترك عزوه إلى أبي عذره كما فعل بالفصل الذي عقده
عبدالقاهر في أسرار البلاغة لبيان مواقع التثيل وتأثيره في النفوس فإنه أخذ صفحات
من صدر الفصل ووضعها في أول باب التشبيه متصرفاً في جعل من أولها نقلها من صيغة
الماضي إلى صيغة المضارع كأن حق المصنف فيها مضي وانقضى وصارت في مستقبلها
إلى مالك آخر قال في ص ٢٢٧

« اعلم أن التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وأن تعقيب المعاني به لأسباب
قسم التمثيل منه يكسبها (١) أبهة ويكسبها منقبة ويرفع من أقدارها ، ويشب من نازها ،
ويضعف قواها في تحريك النفوس لها ويدعو القلوب إليها ، ويستثير لها من أقاصي
الأفئدة صباية وكلفا . ويقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا ، فإن كان مدحاً كان
إبهى وأنخم ، الخ ما لا تصرف فيه وعبارة أسرار البلاغة هكذا (ص ٨٦)

« واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي
باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها
منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نازها ، وضعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا
القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفاء ، وقسر الطباع على أن تعطيها
محبة وشغفا ، فإن كان مدحاً كان إبهى وأنخم ، الخ وما لا تصرف فيه

وبعد أن نقل بالحرف مواقع التثيل وتأثيره في كل موقع وإنشأ ينقل الأمثلة
تصرف فيها وفي الكلام عليها بعض التصرف وكان غنياً عن ذلك كله

وقد وضع للشرح مقدمة تكلم فيها عن الفصاحة والبلاغة وعن المؤلفين في فن
البيان وألم بما يشترط له من علم العربية ولكن هذه المقدمة كلها أوجها مأخوذة من

(١) يقال كساه الثوب بكسره واو ي ويقال كسي زيد كرضي فهو كاس ولم ينقل كسبه

من كلام عبد القاهر وغيره وما كان ينبغي للمؤلف أن يتجاوز في مقدمة كتاب له أخذ الجلة والجللة على سبيل التضييق . وأكثراً أخذ قد سلخه بلفظه ومعناه فانك تجد قوله (في ص ٧) « أما النحو فهو مهيأ » إلى أجل بعده كله من (ص ٢٣ و ٢٤) من دلائل الإعجاز ولا نذكر ما قاله في ص ٨ من التسهيل بالآية وكونه من ص ٢٦ من دلائل الإعجاز أيضاً فإنه ليس من روائع الكلام التي تملك لفظها ولكن قوله في ص ١٣ في عبد القاهر « وأرهف عليهم لساناً آخر من الشفايق » راعى نطق الناطق . وأسأل الوادي عليهم عجزاً ، وأخذ من قولهم أخذاً ، مأخوذ من قول عبد القاهر في ص ٧ من المدخل الذي هو مقدمة دلائل الإعجاز فقد وصفه بكلامه فام تكن السركة لأجل أجنبي . وممظم ص ١٤ و ١٥ مأخوذ من ص ٦١ و ٦٢ من دلائل الإعجاز ولكن فيه شبهة عزو لأنه يحكي عن رأي عبد القاهر

وقوله في آخر ص ١٥ ونحو ثلثي ص ١٦ مأخوذ من ص ٦٦ من دلائل الإعجاز وقوله عقبها : وزبدة القول : إلى نحو ثلث ص ١٧ مأخوذ من ص ٣٤ و ٣٥ من دلائل الإعجاز وما بعدها مأخوذ من ص ٣٧ منه . والكلام على الآية في ص ١٨ مأخوذ من ص ٣٦ من دلائل الإعجاز . والكلام على بيت ابن المعتز في ص ١٩ مأخوذ من ص ٧٤ منه

وقوله في ص ٧ « لكن لا بد للمرء قبل ذلك أن يحفظي رس من اللغة ويصيب ذروا من النحو » فهو مأخوذ من فاتحة أساس البلاغة لأبي خشرى تصرف . وقوله في ص ٣ « لا يقوم بفصاحته لسان ولا يطام فجه إنسان » هو من كلام الشريف الرضي في وصف كلام أمير المؤمنين لما يبيع بالمدينة . ومثله قوله في هذه الصفحة أيضاً « وقع في كسر بيته لا يرى إلا نفسه » ولا يسمع إلا محسه ، « فهو من فاتحة نهج البلاغة للشريف وقوله فيها قبل المبارتين « كتب في هذا الفن قبل الإمام عبد القاهر » الخ مأخوذ من مقدمة أسرار البلاغة . وكذلك قوله في ص ٤ « وهو وإن فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب » الخ ما قاله في السكاكي فهو منها بالمعنى لا بالاص

هذا وأما نرى أن هذا الشرح مفيد لطلاب علم البلاغة لاسيما الأزهرين منهم فانهم لا يجدون ما يفهم عنه . ولا يحسن أحد أن ذلك الأخذ الذي نهى عليه يقال

من فائدته أو يدل على ضعف مؤلفه . كلا أن الشيخ عبد الرحمن من أحسن ثابتة الأزهر تحصيلاً وفهماً وصحابة يدل على ذلك حسن تأليفه لما أخذه ووربط به من بعض وحسبه أن يختار الجيد النافع وإنما كان من الكمال في العمل ومن الأمانة في العلم أن يأخذ المعاني ويستقل بالمباراة حتى إذا احتاج أخذ شيء بنصه عزاه إلى صاحبه . ولكن لو كانت المبارزة كلها له لكان الكتاب أقل فائدة إذ لم يصل إلى درجة عبد القاهر في التحرير والتجوير . ولعل الذي سهل عليه ترك المزود واعتقاده بأن أكثر المؤلفين المتأخرين ليس لهم إلا جمع الأقوال وتسيقها فإذا كان منهم من جمع المشاغبات الضارة فهو قد جمع الفرائد النافعة . والكتاب مطبوعاً طبعاً جميلاً وقد جعل منه أربعة قروش صحيحة وهي فليته جداً بالإضافة إلى ما اتفق عليه بصرف النظر عما يستفاد منه

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ رأي رجل عظيم في المسلمين والمنار وترك الاستاذ الامام للأزهر ﴾
كتب لنا الكتاب الآتي أحد أعلام الأمة الإسلامية . وأركان نهضتها المصرية .
ناظم مدرسة العلوم « الكلية » ومدير جريدتها (على كدها انسيوت) الشهيرة ، وصاحب
المصنفات الكثيرة . محسن الملك بهادر سيد مهدي علي خان . فنشرناه ووصلناه رأينا
فيه . قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

غيب الهداء سلاماً من تغاريد الحمام ، وأصفى من قطر الغمام ، وأحلى من صفو
المدام ، وأشهى من انقاس الرياض إذ هطل عليها الغمام ، وأعبق من رواج المسك
الحمام ، وأبرق من البسدر التمام ، وأشرق من الشمس إذ ينقشع عنها الظلام ، أخص به
حضرة المولى العلامة التحرير ، والعلامة القوم الكبير ، مولانا الشيخ رشيد رضا لم
تزل الأقدار تمسكه في كل حال ، وتصدده للظفر بالأمان والآمال ، مانع آل
وتكررت الصدور والآمال ،

(وبعد) فقد عرفت بإسدي ما قد أصاب المسلمين من الشرور والفتن ، والدواهي والمحن ، وأن الاسلام قد ادبر وأذن بوداع ، وأن الاتفاق قد أقبل وأشرف باطلاع ، وأن الدين قد استتر وتكر بوجهه ، وتولى بركنه ، ونأى بجانبه ، وتطرفت البدع المحدثه ، وتسربت الاحداث المستعده ، ورفعت الامانة من المسلمين ، وكنت الديانة عن المؤمنين ، وبدت الحياة في حزب سيد المرسلين ، قد أغم بنا عاتم الفتن ، وجللتا خنادس المحن . وغشيتا غياهب الاحن ، وتسربلتا بسر ايل السدم والاملاق ، وتقمصنا قمص الجهل والنفاق ، وطاحتا الجبال بكلكلة البلى ، وعركنا الجهل فسوانا بنجوم الزرى ، لا تنكر من الشر نكرأ ، ولا نعرف من الخير اصرا ، سلب منا الاخاء ، وبدت فينا السداوة والبنضاء ، وسرت فينا الجهالة العمياء ، فضربت بذلك علينا المترية ، وحاقت بنا المنفة ، وجللتا المعطية ، لا نذكرت بما صارت اليه حالنا ، ولا نحفل بما تحولت اليه احوالنا ، ولا نبالي بما خابت منه آمالنا ، فوضت عنا خيام الجهد والاعتلاء ، واسرجت لنا رواحل الذل والبلاء ، ونحولنا هيايد بمد الألفة ، وتباديد بمد اجتماع الكلمة ، وتركزت فينا أصول الفرقة ، ونشتت الهم وتفرق ، وتمزقنا كل ممزق ، يزري بنا العيون ، ويزدرينا ريب المتون ، رحل الاسلام عن عقر داره ، وتربيع اتفاق في محله وقراره ، ومن ثم ترى الاجتماع قد تهدمت مبانيه ، وتبصر الائتلاف قد خوت سراجه وهوائيه ، ونذكره كمت من الاتفاق القنان ، وانهدمت منه المصدان ، (١) ونهضت أيامه ولياليه ، واستبدلت بالانخفاض معاليه وعواليه ، وبالذل والصغار قصوره ومعاليه ، خدعت منه كل نار ، وانقل منه كل قراره وعفت منه كل دار ، وطمست منه الآثار ، وعطل كل فلكه عن المدار ، وكسوت شمس علاقه ، وخسفت منه بدر سائه ، وأرجفت منه أرضه المريضة ، وانعبرت صفحتها فأضحت مريضة ، ولم يبق من الاسلام إلا رسم خلق في المقام ، ضمنه كامن الرحي السلام . (٢)

(١) النار : القنار بالكسر جمع قن بالضم وهي الجبل الصغير والا كنه والمصدان بالضم جمع مصاد بالفتح وهو اعل الجبل والطفية العالية الحمراء
(٢) النار : قوله رسم خلق بالتحريك أي بال : وقوله ضمنه الخ السلام بالكسر فيه معنى الجبار ومن امتا لهم ها كنم للسر من السلام ومنها وهي في حجره يضرب

يسومنا الاقوام خسفاً من كل جانب ، ويستصغرنا الرجال عسفاً على ظهر كل لاجب ،
 لم يستبق الدهر لنا قوة ولا دولة ، ولم يرض لنا إمرة ولا صولة ،
 وقد كان يعجبني منكم بين تلك الاحوال المزعجة ، وروقي من جنابكم في تلك
 الحالات الموحجة المفجعة ، ما حباكم الله سبحانه بفضله ، واصطفاكم بمرء ، لاستفراغ
 الوسع في اصلاح المسلمين ، والاجتهاد الباغ التام في حفضهم على النهضة لامور الدنيا
 والدين ، وذلك بما صكنتم تنتشرون من امضات بلغة ، وتنشرون من رسالات بديعة
 أنيقة ، ومكانات بهيمة شهية رشيقة ، تحضون بها المسلمين على النهضة ، وتحضونهم على
 الأوبة ، إلى ما كانوا عليه من سائب المجتهد والاعتلاء ، وماضي الكرم والعلاء ،
 وسابق السبق في مضمار العز والعلاء ، والافتحام في مغاور الكرب والبلاء ، والاهتمام
 في استجلاب المجد من كبد السباء ، فيالحا ما قد تضمنت جريدتكم الباهرة الفراء ، من
 عبارات مهيبة ، واستدارات مستعذبة ، واساليب موشحة ، واسا جيع مستملحة ، فقد
 وشيم اذ أنشأتم ، وحبرتم حينما عبرتم ، واعجزتم حينما أوجزتم ، وأذهبتكم متى
 اسهبت ، وخبرتم متى اخترعتم ، وانتم بهون الله قارع هذه الصفاة ، وقريع تلك الصفات ،
 وقرن ذاك الحال ، وقرين هذا النضال ، وما برحنا نقل تلك الامضات الأنيقة
 من مجلتكم الرشيقة ، الى اللغة الهندو ستانية ، من العربية العقبانية ، وتنشرها في مجلتنا الشهيرة
 « بجلي كده انديوت » يستفيد منها اخواننا الجاهلون ، ويستضي بها المستضيئون ، ويستعين
 بها من أضر به ريب الدون ، لدفع كل ملمة مذكية ، وكشف كل مهمة سياسية ،
 رقد كان قبل ذلك بمدة تفيف على ثلاثين سنين ، قد نشأ في تلك الآفاق والارضين ،
 رجل هن أفاضم الاعيان ، اسمه السيد أحمد خان ، كان رجل همت في اصلاح المسلمين ،
 والنور التام في دفع الصفار والنكبة عن إخوانه في الدين ، وكان رجلاً متطناً منطقياً
 ذا لسان ، ومنطق وبيان ، يمد في مصاقع الخطباء ، ويخرط في سلك بها ليل الابداء ،
 يهر الساس بأساليب خطابه ، ويستجيب الخلق ببديع خطابه ، ونادر سمعه وتسكابه ،

لمن يكتم مره والمراد ان الرسم البالي الذي بقي من الاسلام هو سر مكتوم خفي
 غير ظاهر وقد يضرب المثل لكشي الظاهر لأن من معاني الوحي الكتابة والكتابة في الحجر
 تكون نقشاً ظاهراً وليس بمراد هنا

فبادره العلماء الاعلامه بانسب والشتام ، وشقه به بنيل المذل والملام ، ولفنوه على المنابر في جوامع الاسلام . على صر الدهور وكر الاعوام ، وأعلنوا بكفره ، واذنوا بالخروج عن ملته ، وأقروا بانه حقه ، وهو به كان لا يكثر بما كان يقع عليه ، وما يبالي بما كانوا يذنون له من سيوف المساواة معه . وكان لا يفر عن جده واجتهاده ، والضرب بمصا التسيار في ميادين بلاده ، ولما صبر على كل ذلك الاذى ، وتجاهد كالبطل الكمي في ميادين الوغى ، لم يبرح من وطنه ، أن تمثل له الظفر وخذا بين يديه وسار من مكان عظمه ،

ولكن قد قل منكم نشر تلك الامضات البديعة في اصلاح المسلمين ، واجتهادكم في تحسين أمورهم من الدنيا والدين ، منذ حين ، وأراكم قد اقتصرتم على اقتباس جزء يسير من تفسير النعم الهيلم الرزين ، حكيم الاسلام والمسلمين ، ونخار الملة والدين ، وسناد العلماء السادة الاساطين ، حضرة مولانا الفاضل العلامة الشيخ محمد بن عبده مفتي الديار المصرية متعنا الله ببقائه ولعمري هو اليوم فارس رجالنا ، ورأس أمانينا وآمالنا ، نأمل به الفوز في السعادة القصوى ، ونرجو منه الظفر بما هو غاية اربنا في الحياة الدنيا ، من حصول النهضة الاخرى غب النهضة الاولى ، ولا نجد لذلك مثله في جديد تلك الخلقاء الهابطة السفلى ، (١)

* * *

وقد أدهشنا خبر هائل وصل الينا من الجامع الازهر وأوحشنا وأقلق جل أصحابنا والامة وأراق الدماء من الجفون والقل ، وكادت القلوب لها أن تهبل ، (٢) وقد انصدعت له الصدور ، وتصعدت لها الهيج في شلو كل مصدور ، وذلك ما شاع من هذا الفيلسوف السرسوري (٣) والحلاجل الوقور ، والثبراس في ظلمات الديجور ، من رفض ما كان اليه من نظارة الجامع المذكور ، أسفاً على ما تجرب من جفاء أهل عصره ، ولا سيما علماء مصره ، ومساعدة الحضرة الخديوية للعلماء ، وقضاها

(١) لنار الخلقاء مؤثث الاخلاق ومن معناه الامس وتسمى السباء خلقاء وخلقاء الجبهة مستواها يريد في مستوى هذه الأرض (٢) يقاب تهبل لعياله واهتبل اذا اكتسب . ولعل الحكمة في الأصل تهبل من هبل ولده واهتبله اذا ثكله (٣) السرسور بالضم الفطن امام الدخال في الامور . والحلاجل السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه

بمخلاف ما كان يرجى من تلك الحضرة الفراء ، لما كان أيده الله تعالى يريد من اشاعة العلوم الحديثة ، واذااعة المعارف والحكم الجديدة ، زيادة على ما كان يجري فيه من دروس العلوم الشرعية ، والمسائل الفرعية ، ولما لم يصنع أحد الى وأيه ومقاتته ، ولم يكثر رجل الى ما كان فيه من محض نصاحته ، تمثل لنا عند ذاك الياس ، وتجدد لنا شبح القوط والابلاس ، (١) لحدود هذا التبراس ، فقد كنا نظن قبل ذلك ان سوف يحفل به عنا ليل الحزن ، ويقلم عنا دامن الفتن ، وتقوض عنا خيام البلاء ، وتطف عنا سهام الضراء ، ويتنفس علينا صبح الاقبال ، ويطلع على وجهنا فجر الآمال ، من أجل ذلك البارح الحكم المفضال ، وكنا نظن انه قد توفد في الاسلام مصباح يستوقد منه آلاف الوف من المصاييح ، ومفتاح يفتح به مغالق أبواب الفرج والتراويج ، ولكن قد تبين الآن أننا لم نبرح عرضة للبلاء ، ودورية لرماح الضراء ، وجزوا لسيوف البأساء . ما زالت هذه الحضراء تدور على الفراء ، وما أشبه حال هذا الحكيم الرزين في المصريين ، بحال السيد أحمد الذي اعثرناك على حاله في الهنديين ، فقد عظمت الرزية ، وجلت المصيبة ، فانا لله وانا اليه راجعون . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

علي كده (الهند) (محسن الملك)

جواب المنار

يريد السيد المحسن حفظه الله بالامضاء التي كانت تنشر في المنار ثم تركت تلك المقالات الخطائية التي تمثل للمسلمين ضعفهم الحاضر ، وتذكرهم بمجدهم الغابر ، وتحثهم على اصلاح شأنهم في الدنيا والدين ، والاعتبار بترقي المعاصرين ، وهذا ما كنا نكثر منه في اول نشأة المنار ليكون تمهيدا بعد النفوس لقبول ما نعرضه من الرأي في اصلاح الديني والاجتماعي ولاعمال الفكرة وتوجيه الهمة ، الى السعي والعمل لخدمة الامة ، ولكنا رأينا الناس قد استحسنوه ، وكثيرا من أصحاب الصحف قد احتذوه وتقليدوه ، حتى صار كأنه مقصود لذاته ، لا لاجل عمل من ورائه ، ولذلك صرت ترى في الصحف المصرية التي تسمى اسلامية كلاما كثيرا في حال المسلمين حتى من الذين لم يعرفوا من الاسلام ، الا ما يعرف اجهل السوقه والعوام ، وان ما غنينا به في المدة الاخيرة يشبه ان يكون مقصدا أو غرضاً لتلك المقدمات او المجهودات . ولا يحسن الاخ الكريم أننا تركناها يأسا من صلاح حال المسلمين . أو فرقا من

(١) الابلاس هو النعم من اليأس والحيرة

مناصبه المشافعين ، التي لا بد ان يكون عرفها من تصدي جريدة المؤبد للوقوع بنا ،
بعد ما كانت تشيد وقتوه بعملنا ، كذا ان هذا لا يزيدنا الا قوة في الامل ، وهمة في
العمل ، لان اللوم بطبعه اغراء ، والمقاومة من بواعث الاعتناء ، كما رأيت في فاتحة
المنار هذه السنة . على ان ما ننشره من الحكم والمواعظ في التفسير ، وما نودعه في مطاوي
سائر المباحث من التنبيه والتذكير ، هو في معنى تلك المقالات التي تنشدون ولا تخلو
من الخطايا التي تحطون ، وقد طابنا غير واحد صريحاً ، بمثل ما صراحت به تلويحاً ،
ولذلك وعدنا في خاتمة السنة السابقة ، بالموء الى تلك المقالات في سنتنا الحاضرة ،
وقد نشرنا في الجزء الثاني منها مقالة (حياة الامم وموتها) مقدمة لاكتابة في أنواع
الحياة وحالنا فيها ، وسيتلو الكتابة في الحياة الزوجية ، مقالات في الحياة المليية والوطنية
والسياسية . ونرجو من فضل الله وكرمه ان لا نزداد الا ثباتاً واعتناء مادامنا آمنين
في سربنا معافين في بدتنا قادرين على النفقة على نفسنا وصحيفتنا

واما ترك الاستاذ الامام للازهر فهو لم يكن من يأس الم بنفسه الكبيرة ، ولا عن
ضعف في همته العلمية ، ولا لمقاومة علماء الازهر لما يريد من اصلاح التعليم ، او
اضافة علوم جديدة على ما يقرأ في الازهر من العلوم ، وانما هو ما تنسبوه من
الجرائد المصرية ، ونزيدكم فيه بياناً بمكاتبة شخصية ، وقد ظلم العقلاء عندنا وعندكم
علماء الازهر فانزلوهم من درجاتهم في العلم والفهم ، كما أعطوهم اكثر من سعادتهم
من الشعور والاخلاق ،

أما ظلمهم إياهم فهو اعتقادهم وقولهم فيهم انهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية
تقوض بناء الدين ، وتفسد العقائد في قلوب المسلمين ، وإن إصلاح طريقة التعليم ،
خروج عن صراط السلف المستقيم ، وكل هذه الظنون فيهم باطلة فان من أصحاب
الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية في المدارس الاميرية
وغيرها فكيف لا يخافون الكفر والضلال على أولادهم مع عدم تمكنهم من
العلوم الدينية ويخافون ذلك على طلاب الازهر المتوغلين في علوم الدين ؟ ان هذا
شيء لا يعقل . ثم كيف يطعنون بأكابر علماء الاسلام الاعلام الذين تمكنوا من علوم
الدنيا وصاروا يمدون من الفلاسفة كالامام الغزالي والامام الرازي وفلان وفلان ؟
ثم كيف لا يطعنون بدين أكابر امراءهم وحكامهم في هذا العصر وهم قد تعلموا
هذه العلوم في مدارس مصر وأوروبا وقلمنا يوجد فيهم من تلقى عقيدة الاسلام

ببراهينها أو عرف مهمات أحكامها ولو غفلا من دلائلها وحكمها وإن منهم من يصف بعض هؤلاء الأصراء بالتقوى والصلاح . فظلم وألف ظلم لعلماء الأزهر أن يقال فيهم إنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقا عن علومه وأنهم يجهلون أن الإسلام جمع بين مصالح الدارين وأنه دين عام وأن لادين بعده أوفق لمصلحة جميع البشر منه مع استنزام هذا لكون الإسلام يتفق مع علوم البشر ومدينهم في كل زمان والا كان متضمنا لتكليفهم ما لا يطيقون . نعم إنه يوجد فيهم بعض الأعياء الذين يعيث بهم هذا الوهم ولكن الحكم على جميعهم أو أكثرهم بذلك ظلم وجور . وإني أقول إن الأستاذ الامام لم يقرر في إصلاح الأزهر شيئا إلا برأي جماعة من كبارهم واستحسناتهم وقد نفذ بعض ما طلبه وحاوله برضاهم وموافقتهم وأوقف بعض الإصلاح نلأ سباب التي لا أصرح بشرحها بعد رضاهم به واعترافهم بفائدته

وأما وصفهم بأكثر مما يستحقون من الشهور بالمصلحة وإرادة الخير فهو تابع لذلك الظلم وهو اعتقاد كثير من العقلاء في مصر وفي أقصار أخرى أن هؤلاء الناس أعداء الإصلاح الذي عرف سراة الأمة وعقلاؤها شدة الحاجة إليه لما في قلوبهم من الشهور بضرره ولما عندهم من الإرادة القوية والمزمنة الصادقة والغسيرة الملتزمة على الإسلام والمسلمين وأنهم لا يخافون في ذلك لومة لائم ولا سطوة حاكم ولا حرمانا من منفعة مالية ، أو كسوة تشرىف قصية ، والحق أن هذا المصنف الشريف الذي كان له من قوة العزيمة بالائحاد والاتفاق ما يقيم به محمدا عليا حاكما على البلاد المصرية قد استضعف فضعف حتى صار لا يجهر برأيه إلا إذا أيقن أن قويا يمدده أو حاكما يستنده ، وكثيرا ما يستحسن أمرا ثم يستهجنه ، أو يستحب شيئا ثم يستجده ، . وأفند كان أكبر علماء الأزهر موافقين للشيخ محمد عبده في كل شيء بفرحه لإصلاح الأزهر أيام كان مؤيدا بنفوذ الأمير وإنما كانوا يرغبون إليه في أن يكون ذلك بالتدريج البطيء لأنهم لم يعمودوه ويشغل على المرء لاسيما الكبير المضي فيما لم يعمود . ولما بدا للأمير في تأييده ومساعدته وقف كل اقتراح ، وعورض كل إصلاح ، حتى لم يبق للحكومة الحريوية ثقة بخريج القضاة في ذلك المكان فهي ستبني مدرسة جديدة لتخرجهم فيها ولم يبق لها من العناية بالأزهر إلا حفظ الأمن فيه كما هو حق كل صنف وقت شيء على الحكومة لأجل هذا ترك الأزهر ولكن آثاره الصالحة أن تتركه فهو قد وضع أساس النظام الذي قد يصف تارة ويقوى تارة وقد يزد فيه وينقص منه ولكنه لا يزول .

وهو قد تنفخ في نفوس كثير من الأذكيا فيه روح الشعور بالحاجة الى اصلاح التعليم وإصلاح الاخلاق وخدمة الاسلام والمسلمين والسمي في ازالة ما غشهم من البدع والفتن فاضدفعهم وأذلهم فلان يموت هذا الشعور ثم انه لم يزد الا رجاء بالله وهمة في خدمة ملته بالعمل والتدريس والتأليف لا يثنيه عن ذلك فان الاما يلزم به من المرض أحيانا شفاء الله ونفع به آمين

هذا وان العبرة الكبرى فيما كتب هذا السري الكبير هو احساس المسلمين المختصين الذين يعرفون الاسلام ويعارون عليه بأن الاصلاح اذا ظهر في أي قطر وفائدته لا بد أن تكون طامة لكل البلاد الاسلامية وان النور اذا ظهر في هذه الامة من اي مطلع فانه ينسبط على جميع البقاع لان هذه الامة أمة واحدة ربها واحد وكتابها واحد ونبيها واحد والهداة في دينه على ملة واحدة وهي ما جاء به نبيه عنه ومصلحتها لذلك واحدة فما يضرها يضر جميع المتبعين لها وما ينفعها ينفعهم أجمعين ولاجل هذا أحسن الاحياء من مسلمي الهند بأن ما دهي به الاصلاح في الازهر هو مصيبة على الاسلام والمسلمين في جميع الارض لانه كان يرجى أن يكون خيره متى ثبت ونجح عاماً للجميع مسلمي الارض ولو بعد حين . فاذا يقول أولئك الذين يريدون أن يقطعوا أوصال المسلمين بنزقات الوطنيه الفاسدة في هذا الاحساس الشريف من إخواننا في الهند وكذا في غيرها كما نشير اليه في النبذة الآتية ؟

تأثير ترك الاستاذ الامام الأزهري في المسلمين

لقد اضطربت قلوب عقلاء المسلمين ووجهت نفوسهم لهذا النبأ في كل قطر فقد جاءتنا الكتب والرسائل في ذلك من السودان وسوريا ومن بلاد المغرب والشرق ما بين شاكية وباكية منها ما يعرف مرسلوها عند الامام، ورون أن لا عتب عليه ولا ملام، لو قد فهم على حقيقة أحوال هذه البلاد فرأبهم في ذلك كراي أكثر العقلاء في مصر الذين استشار الامام بعضهم فأشاروا بوجوب تركه، ومنها ما يتضمن اللوم لاعتقاد أصحابها أن الاستاذ الامام قد ينس من إصلاح المسلمين وترك خدمة الملة مللاً من مقاومة الجامدين ، أو علما بأنهم غير مستعدين ، وقد آلمهم ذلك لانهم يعتقدون أنه أكبر زعيم للاسلام في هذا العصر وأقوى نصير له في علمائه ويشعرون بأنهم يستمدون مناهلهم والفيرة والرأي الصحيح على يده الديار وتثاني الافطار ولا أنكر انني أعرف من أذكيا المسلمين الاقربين دارا بل ومن المصريين أنفسهم من

سرى إليه شيء من هذا الوهم . وقد آلمني وسيؤلم كل ذي غيرة وشعور قول (محسن الملاك) : ان اليأس والقنوط قد تمثل لأهل النهضة الإسلامية في الهند وشعروا بأن قد طفي نور الإصلاح النقيض من هذا الامام فوقعوا في خنادق الظلام — يحزننا ويمضنا هذا القول من قوم نعتقد أن نهضتهم أعلى من نهضتنا، وهمتهم أعلى من هممتنا، والامل فيهم أقوى من الامل فينا ، ولا تفضلهم الا بهذا الرجل وباتقان اللغة العربية لاننا نراهم يرجوننا أكثر مما يرجون أنفسهم كأنه يسرنا شعورهم بارتباطهم بنا ولا يأس منا ولا منهم ان شاء الله

ان من أغرب ما كتب إلينا في هذه الحادثة نبذة لأحد الفضلاء في فارس وهي :
« قد ساء لنا وإيم الله ما بلغنا من استقالة حضرة جناب الأستاذ الامام ، وعالم علماء الاسلام ، فريد هذا العصر ، وغرة جبين الدهر ، ذروة جهاينة الآفاق ، ونخبة كبراء الصالحين بالاتفاق ، مولانا وسيدنا الشيخ محمد عبده أدام الله بقاءه مرشداً للعالين من عضوية إدارة مجلس الازهر الشريف الذي كان معنا الله بوجوده مجتهدنا في اصلاحه كما ساءتنا تلك الخطبة ولكن » ان تقصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقد كثر ورود هذا الخبر جميع محبيكم ومحبي الأستاذ الامام لاعتابانكم من المجدين في إصلاح الأمة الإسلامية الخ وإنما كان هذا غريباً لان تلك البلاد أبعد بلاد المسلمين عن التفكير في الإصلاح أو الشعور بالحاجة إليه ولكن هذه الأفكار قد سرت في كثير من أهلها من بعض المهاجرين اليهم من المسلمين ومن قراءة بعض الصحف كالنار . وقد ختم هذا الكاتب كلامه بقوله « وأدام الله بقاءكم رفهاً عن أتف الجاهلين والمستبدين والمفسدين والمقلدين » اه وبوشك ان تنشر آراء أخوي في جزء آخر

صدى الحادثة في أوروبا

(أومقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي للأستاذ الامام في الإصلاح)
اشرت جريدة اللواء في عيد يوم الخميس (١٣ ربيع الاول) خبرا قالت انه مترجم عن جريدة (الفلوب) الانكليزية بغير تصرف وهذا نصه بغير تصرف
فاختلف العلماء من عهد قريب بشأن التعليم في الازهر وسبب ذلك ان رئيسهم الشيخ محمد عبده حاول إدخال نظام للتعليم أوسع من النظام الحاضر — الذي وضع من قرون مضت والذي لا يتضمن غير بعض تعليم مواد الاجرومية وقليل من بعض

العلوم الأخرى ... بقصد تكوين قوة جديدة في الإسلام ويريده الشيخ محمد عبده السالف الذكر إدخال العلوم الحديثة في برنامجه الجديد ليستعين بها العلماء على اكتساب أوزانهم من طرق العمل والجدل الكسل والتواكل

« وقد قاومه العلماء في مشروعه هذا مقاومة شديدة واتصل بنا أنه قال في حديث له أن السبب في عدم نجاحه وفشله النهائي راجع إلى محاربة النفوذين الفرنسي والانكليزي السياسيين له واستشهد بمبارة نشرت في الكتب السياسية الفرنسية مؤداهما أن سواس فرنسا من الحزب الاستعماري لا يقلون بوجه من الوجوه تور المغاربة بنور العلم » اهـ

﴿ ملاحظة النار أو انتقاده على ذلك ﴾

يعجب المصريون أن يروا في الجرائد الانكليزية من يخط في السائل المصرية على غير هدى مع وقوف الانكليز هنا على حقائق الأمور وقد ذكرنا وذكر غيرنا من قرأ تلك النبعة في جريدة اللواء ما كان أشيع هنا بعد ترك الشيخ محمد عبده لمجلس إدارة الأزهر من أن بعض المصريين الذين لهم حظ فيما حدث في الأزهر كلفوا أحد مكاتبي الجرائد الانكليزية أن يكتب لجريدته التي يكتبها شيئاً يفيد معنى ما كتب في بعض الجرائد المصرية التي لها هوى في الحادثة من أن جميع علماء الأزهر معادون للشيخ محمد عبده فيما يريد من اصلاح التعليم و زيادة العلوم في الأزهر ويتضمن شيئاً آخر يفيد سخط الانكليز على الشيخ وأتذكر أن بعض الجرائد الأسبوعية في مصر كتبت شيئاً عن هذه الاشاعة وقالت ان ذلك سيكتب ثم ينقل في بعض الجرائد المصرية اليومية

مالنا ولما أشيع في سبب الكتابة ولما قيل في مصدرها اتفأ نحن أمام قول يتضمن خبرين أحدهما أن علماء الأزهر معكاهون ومقاومون لما يريد الشيخ محمد عبده من النظام وتوسيع دائرة العلم في الأزهر وقد بينا في كلامنا على رسالة « محسن الملك » أن هذا غير صحيح وأن علماء الأزهر برآء مما يرمون به من الغلو في بعض العلم والنظام ، والجهل بما يعني شأن الإسلام ، وثانيهما ان الشيخ يقول انه لم يتحقق فيما حاول من اصلاح الأزهر الا بمقاومة النفوذ الفرنسي والانكليزي له

لأن ترقية المسلمين تناقض مصلحةهما في استثمار بلادهم . ونقول إن هذا القل
 هن الشيخ غسبر صحيح وإن كان أكثر المسلمين يمتد بصحة علمه المذكور . ولا
 يعقل أن يقول الشيخ ذلك لأن فرنسا لا تفوذها في الأزهر ولا في مصر فتقاوم
 ولأن الإنكليز لم يقاوموه لما هم عليه من الحرية وعدم التعرض للمصالح الدينية
 على أن المصريين الذين لم يقدرُوا حرية الإنكليز حتى قدرها ، ولم يعلوا أنها تمثلت
 مع القضية في الثورة كروم في أوج صورها . يتعجبون من عدم مقاومة الإنكليز
 لأصلاح الأزهر في السنين الماضية ويظنون أن لهم بدا في المقاومة الآن

أما الشيخ محمد عبده فقد سمعناه غير مرة يقول أنه ما قصد إلى خدمة المسلمين
 في شيء ولقي مقاومة فيه من غيرهم لامن الإنكليزي ولا من الفرنسي ولا من قبلي
 ولا من شامي . ولا غرو فإن جهل المسلمين وتخاذلهم في هذا العصر كافيان لأحباط
 كل سعي لترقية شأنهم لا يحتاجون إلى مساعد في ذلك ومن يدعى بعقل لا يقاومه العقلاء

هذه فرنسا التي كان منهجها في مقاومة تعلم المسلمين في الجزائر أصراً معروفاً
 قد أنشأت ترجع إلى منهج الإنكليز في التساهل وقد تكلم الشيخ محمد عبده مع رجالها
 في تونس والجزائر في مساعدة المسلمين على التعليم فوجد منهم ارتياحاً إلى ذلك
 وقد نشرت جريدة الطان من عهد قريب مقالة في الاحتفال بمدرسة الجمعية الخلدونية
 ذكرت فيها أن مصدر هذه الحركة العلمية في تونس هو الشيخ محمد عبده وبعض
 المجلات العلمية المصرية التي تحت المسلمين على الجمع بين علوم الدنيا والدين وترد في رأي
 الذين يظنون أن تعليم المسلمين بصر بفرنسا لأن هؤلاء المتعلمين يكونون دعاة لاستقلال
 البلاد وقبائهم على المستعمرين لها وترجمت الأهرام مقالة الطان فسر بها المسلمون هنا
 (الاحتفال بالعيد المثنوي لمحمد علي والإيماء لانفصال مصر عن تركيا)

احتفل جماعة من المصريين بتذكار تولية محمد علي باشا على مصر منذ مئة سنة
 ميلادية . وقد اعتبروا ابتداء ولايته اختيار المصريين له دون فرمان السلطان بتوليته
 الذي كان بهد منل يوم الاحتفال بشهر وأيام كأنهم يريدون أن هذه الحكومة استقلت
 بذاتها من طريق الانتخاب لاتباعية للدولة ذات السيادة عليها وكأن عهداً بأمثال هؤلاء
 المحتفلين الحرص على إظهار ربط مصر بالاستانة فاعدا بما بدا ؟



بؤنة الحكمة من بناء ومن بؤنة الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدكر إلا أولو الألباب

المجلد
١٣١٥

بفسر جهادي الذين يستصون القول فينبغون أحت
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و« منارة » كسر الطريق)

(مصر — الأحد غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ — ٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

فتاوى المبتائين

فتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين لنا
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) أوله بسم ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء، وأننا نذكر الأسئلة
بالتدريج غالباً ورمزاً قد منامتاً خيراً السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ورؤى أجنبنا غير مشترك لمشمل هذا. ولئن
يعضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

﴿ ذبائح أهل الكتاب في عصر التنزيل ﴾

(س ٢٠) السيد محمد بن عقيل في سنقا فوره : اطلمت على جميع ما كتبتم في
ذبائح أهل الكتاب ثم وصل إلى من أحد أهل مصر كتاب يسمى التعاديل
الاسلامية في الرد على شيخ الاسلام (يعني الاستاذ الامام) وكنت قد رأيت منذ نحو
١٤ عاماً فتوى لشيخنا العلامة السيد سالم بن أحمد الفطاس العلوي الحضرمي مفتي
جهور تضارع فتوى شيخ الاسلام ولكن يختلف في صدي شيء لم يذكره شيخ
الاسلام ولا غيره فيما أعلم وهو هل لأهل الاسلام نقل صحيح في التاريخ يفيدنا بكيفية

ذبح أهل الكتاب أوقلتهم لما يريدون أكله في عصر المصطفى صلى الله عليه وعلى آله فان وجد فهل يجب قصر حكم الحل على ما كان لانه المفهوم ويكون ما توسموا به بعد ذلك من بدعهم فلا يفيد الحل ؟ فلو صرح النقل بأنهم كانوا يعصرون عبق نحو الدجاج ويوقدون نحو البقر لم يبق للمشايخ كلام . والمظنون ان لأهل الكتاب كيفيات في الذبح في ذلك العصر كما نقل أن لهم في التسمية عند الذبح عادات وما صرح به النقل لا نزاع فيه فهل ظفرت بنقل عن شيء من تلك الكيفيات التي أحل الله لنا طعامهم وهو يعلمها ينبغي به غبار كل إشكال أفيدونا بما تعاملون لازلتهم مرشدين

(ج) ينال فيما كتبناه في المجلد السادس في مسألة طعام أهل الكتاب ان المسألة ليست من المسائل التعبدية وأنه لا شيء من فروعها وجزئياتها يتعلق بروح الدين وجوهره الأنحرىم الأهل بالذبيحة لغير الله تعالى لان هذا من عبادات الوثنيين وشعائر المشركين فحرم علينا ان نشايهم عليه أو نشاركهم فيه ولما كان أهل الكتاب قد ابتدعوا وسرت اليهم عادات كثيرة من الوثنيين الذين دخلوا في دينهم لاسيما النصرانية وارااد تعالى ان نجاملهم ولا نعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباحه لنا الا شرط ولا قيد كما أباح لنا الزوج منهم مع علمه بما هم عليه من نزغات الشرك التي صرح فيها بقوله « سبحانه وتعالى عما يشركون » على أنه حرم علينا الزوج بالمشركات بالنص الصريح ولم يحرم علينا طعام المشركين بالنص الصريح بل حرم ما أهل به لغير الله . فأمر الزواج أهم من أمر الطعام في نفسه والنص فيه عام قطعي في المشركين وهو لم يمنع من الزواج بالكتانية ولا جل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل في سورة المائدة صرح بعض أئمة السلف بأن النصرائي اذا ذبح لكتنيسته فان ذبيحته تؤكل مع الاجماع على ان المسلم اذا ذبح وذكر اسم النبي أو الكلمة فان ذبيحته لا تؤكل وتري هذا في تفسير الامام ابن جرير الطبري وما نقلناه في المنار عنه وعن غيره

هكاف في هذا الباب . وقد رأيت في التفسير من هذا الجزء النسبة بيننا وبين أهل الكتاب وما ورد فيهم وما أرشدنا اليه سبحانه من محاماتهم ومحاسنهم فهذه هي الحكمة في حل طعامهم لا كونهم يذبحون على وجه مخصوص أو يطبخون بكيفية مخصوصة . ولو كان يجوز لنا أن نقيّد نصوص الكتاب المطلقة بمنزل هذا التقييد لكان

يجب علينا أن ننظر في كل حكم فتقول إن إحلاله أو تحريمه مقيد بما إذا كان على الكيفية التي كانت في ذلك العصر فتقيد بما كان عليه أهل العصر الأول في جميع عاداتهم وأحوالهم لأنهم سخطوا بالأحكام وهم على ذلك وهذا حرج عظيم وتحكم لم يقل به أحد بل قال أهل الأصول حصصكم المطلق أي يجري على إطلاقه ومن ثم نقول أنه لا وجه للبحث عن عدد الذين أقيمت بهم الجمعة أو صلاة العيد ولا عن كيفية المسجد أو المصلي الذي صليا فيه عند التشريع والحكم بأن ذلك شرط لصحة الصلاة ثم إن المشافعين الممارين لا يفتهم شيء فأنت ترى أن فتوى الاستاذ الامام لم تكن في حل الموقوفة من أهل الكتاب ولا كان السؤال عن ذلك وقد سموا الشيعة موقوفة وأكثروا من اللغو ولا غرض لهم من ذلك الا إيهام العامة بأن فلاناً قال قولاً مخافاً للشرع لطمهم أن العوام لا يفهمون الدلائل ولا يميزون بين الحق والباطل وإنما يفهمون بالاجمال ان فلاناً أخطأ فيخوضون في عرضه وهذه هي لغة الدين مجبون أن تشيع الفاحشة في الدين آمنوا . ولذلك لم يورد الذين كتبوا في هذه المسألة شيئاً من كلامنا المؤيد بالكتاب والسنة وفقه الشريعة وأسرارها والمأثور عن سلفها لا بالتسليم ولا بالانكار فنذرهم في خوضهم واشتغالهم بالسفاسف وصرفهم قلوب المسلمين عن كل نافع فيهم ساع في اقاتلهم من عشرتهم أو انجائهم من هلكتهم حتى يبلغ انتقام الله تعالى بهم منهم حده وخذ بما صفا ودع ما كدر وادع الى الحق من تراه مستعداً له والله الموفق

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٢١) الشيخ منصور نصار من مجاوري الازهر : قد سألتني بعض الناس ببلدتنا عما يحصل للميت في قبره من النعم أو العذاب هل الهم أو الممذب هو الروح فقط أم الروح مع الجسد فأجبت بما أعلم من نص أثر ابن عمر والفرازي الموصوف بحجة الاسلام من أن الممذب هو الروح فقط . وقد وقع اضطراب بين وبين أهل بلدي في هذه المسألة فأرجو من حضرتكم توضيح الحقيقة على صفحات مناركم الاخر حيث ان الله تعالى نصبكم لخدمة الدين والدفاع عن شبهات الفالين لازلهم هادين مهدين

(ج) قد سبق لنا الإجابة عن مثل هذا السؤال في المجلد الخامس وبيننا أصل الخلاف، في عذاب القبر وأن مذهب السلف عدم البحث في كيفية ما يرد في الكتاب والسنة من أحوال الآخرة لأنها مما يجب الإيمان به كما ورد من غير فلسفة فيه ولا تحكم على الغيب إذ لا يقاس عالم الغيب على عالم الشهادة ولو أنكم دعوتهم أهل البلد إلى هذا التسليم لأقلتم باب الجدل في وجوههم ولا أقبح من الجدل في أمر الآخرة الذي لا مجال للعقل ولا للحس فيه والذين فتحوا هذا الباب هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً فقامت الممثلة تقول إن من الناس من تأكلهم السباع والخيتان في البحر وتصير أجسامهم أجزاء من أجسام هذه الحيوانات ومنهم من يحرق ويندري رماده فكيف تقولون يأمسح الأشاعرة إن في القبر عذاباً على الروح والجسد والصواب أنه لا عذاب إلا عذاب الآخرة بعد البعث . وقامت طائفة أخرى تقول إن الجسم لا احساس فيه فالحديث الوارد في عذاب القبر يراد به تعذيب الروح مجردة . ويقول آخرون الروح لم تعمل السيئات إلا بواسطة الجسد فلا بد أن يكون العذاب مشتركاً ويصدق ذلك بأن تتصل الروح بجزء أو أجزاء من البدن ولو كان رمياً أو دخلاً في بنية حيوان وبتبع العذاب عليهما معاً وهو قول أكثر المسلمين . ثم إن الأشاعرة يقولون بأن الإعادة في الآخرة تكون عن عدم بأن يعدم الجسم من الوجود ثم يخلق الله تعالى بذاته ومع أعراضه في قول وهذا القول لا يتفق مع القول بأن عذاب القبر على الروح والجسد معاً إلا أن يقال أنهم استدلوا بحجب الذنب فقالوا إنه لا ينفى فلعلمهم يقولون إن عذاب القبر يكون على الروح مع اتصالها بحجب الذنب وليسكن قال المزني من الشافعية إن عجب الذنب ينفى أيضاً فأنت ترى أن الباحثين بقولهم فيما ورد من أحاديث عذاب القبر في خلاف لا يكاد يعلم واحد منهم إلا آخر ونحمد الله تعالى أنهم لم يجعلوا هذه المسئلة من أصول العقائد التي يكفر منكرها ولا شك أن مذهب السلف هو الحق الذي يجب الأخذ به وهو أن تقول إن كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر البرزخ والآخرة حق يؤمن به ونفوض الأمر في حقيقته وكيفية إلى الله تعالى مع العلم بأن الأرواح هي التي تشعر بالذة والالم وأن الأجساد لباس لها وآلات توصيل بعض اللذات والآلام وهي قول قلت في هذه المسئلة لا يخرجك من الدين، فعلام التنازع بين المسلمين،

الحكمة في انزال القرآن

(س ٢٢) عبد الحميد افندي السوسي في (الاسكندرية) : ماهي الحكمة في انزال القرآن الحكيم هل الحكمة بذلك التمد بتلاوته كما يقول العلماء - وهل من نص قطعي يؤيد قولهم - أو انجملة حائناً يبيع منه (عبية يس) ونقرأه على ابوتى ونكتب آياته في آنية ونحجوها بالماء ونساملها لنشفي من داء كذا أولنا قرأه للتبرك وما هو التبرك ؟ ألم يكن هو فهم آياته حتى الفهم والتأدب بادابه الكريمة واتباع أوامره واجتناب نواهيه وليتدبروا آياته كما قال جل ثناؤه : أرجو الجواب على صفحات مناركم . ولكم الاجر من ربي وربكم

(ج) الحكمة من انزال القرآن مينة في القرآن ليس فيها شبهة لمن جعلوه حرفة بل فيه الحجة واللغة على من يشتركون به ثمة قليلا وليس فيها نص قطعي يؤيد قولهم بالتعبد بتلاوته على اطلاقهم الذي يتناقلونه ولكنهم يستدلون عليه بأحاديثهم يتفقون على انها ليست نصراً قطعية كالأحاديث التي وردت في كون نالي القرآن يعطى بكل حرف عشر حسنات ونحو ذلك من الثواب وهناك أحاديث أخرى في وعيد من يتلو القرآن وهو غافل عن هدايته لا بد من الجمع بينها وبينها واتما نذكر المؤمنين بشي من الآيات والأحاديث في الحكمة والفائدة التي أنزل الله لها القرآن لأن أهل الأهواء السياسية والشخصية في مصر قد جعلوا القرآن في هذه الأيام موضعاً لأهوائهم فسكن يزعم نصره ونصر حفاظه والله أعلم بالصادقين . ولا تخفى على الناس آيات المنافقين ومهم ما تمكن عند امرئ من خائفة . وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهالك طائفة من الآيات الكريمة في حكمة تنزيل القرآن

(١) ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (البقرة ٢)

(٢) انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (يوسف ١٢)

(٣) الر . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم

الى صراط العزيز الحميد (ابراهيم ١٤)

(٤) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قباليندر بأساً شديداً من الله

ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثر في أبدأء (الكهف ١٨)

- (٥) طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (طه ٢٣)
- (٦) تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان ٢٤)
- (٧) طس — تلك آيات القرآن وكتاب مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • الذين يقيمون الصلاة الح (التمل ٢٧)
- (٨) الم — تلك آيات الكتاب الحكيم • هدى ورحمة للعالمين • الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون • أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون • ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير هلم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين (*) وإذا تلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كأن لم يسمعهما كأن في أعنقه وقراً يخبره بكتاب ألم (المان ٣٠)
- (٩) حم • تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآننا عريياً نقوم به المومنون • بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون • وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن يتنا ويترك حجاب قاعمل أننا عاملون (فصلت ٤٠)
- (١٠) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (النساء ٤)
- (١١) أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباهم الأولين (المؤمنون ٢٣)
- (١٢) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الح (محمد)
- (١٣) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب (ص ٣٨)
- (١٤) هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الح (الأعراف ٧)
- (١٥) يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم الح (يوس ١٠)
- (١٦) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (هود ١١)
- (١٧) لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب الح (يوسف ١٢)
- (١٨) وكذلك أنزلناه حكماً عربياً وئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من
- (*) اني لا أخشى أن تتكبروا الجرائد التي تتكلم في الدين بالهوى لا بالمعلم والاخلاص مما يدخل في لهو الحديث هنا

العلم مالك من الله من واق (الرعد ١٣)

(١٩) هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذکر أولو

الآل (إبراهيم ١٤)

(٢٠) وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (التحل ١٦)

(٢١) قل نزله روح القدس من ربك بالحق لينبت الذين آمنوا وهدى وبشرى

للمسلمين (التحل ١٦)

(٢٢) ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون

الصالحات أن لهم أجرا كبيرا (الاسراء ١٧) (وفي هذه السورة آيات أخرى فيها

عبر كبرى)

(٢٣) فاتما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (صريم ١٩)

(٢٤) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك

الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (الحشر ٩٥)

والآيات في هذه المعنى كثيرة وكلها ناطقة بأن القرآن أنزل هداية للناس وبشيرا

للمحسنين في أعمالهم ونذيرا للمسيئين وأنه عبرة وتذكرة وموعظة وشفاء لما في

الصدور أي القلوب من أمراض الجهل بالله وبما له على عباده من الحقوق ومالبعضهم

من ذلك على بعض وأمراض الأخلاق السيئة والعادات الضارة . وهناك آيات

كثيرة في وعيد المعرضين عن هدايته الغافلين عن تدبره والذين يشتركون بآيات الله

نمنا قليلا وكون هذه من صفات الكافرين ومن أشد ما نزل في المؤمنين الأولين

على علو كبرهم وقوة يقينهم من قوله تعالى في (سورة الحديد ٥٧) «ألم يأن للذين آمنوا

أن تخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من

قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» - ذكر الله وما نزل من

الحق هو القرآن . قال في الجلالين ان الآية نزلت في الصحابة لما أكثروا المزاح

وقال السيوطي في أسباب النزول انها نزلت فيهم بعد ان قدموا المدينة فأصابوا من

عيشها بعد ما كان بهم من الجهد وكانهم فتروا في العمل . فهذا هو القرآن وهذا وعظه

وتربيته للمؤمنين فانظر إلى حفاظه اليوم وإلى الذين يزعمون أن من تعظيمه وتكريمه

أن يكون حافظه أمياً لا يكلف قراءة ولا كتابة ولا فهماً ولا عقلاً ولا تدبراً ولا تذكراً ولا تفكيراً بل يكلف أن يتلوه ولو بغير تجويد وإن يأكل به أوقاف الاموات ومال الأحياء ، أين هم من هدايته وأين هم مما جاء به ؟ ؟

وأما الأحاديث الواردة في القرآن فمنها ما ورد في حفظه وتعلمه وتعليمه وهذا المطلوب لأمرين أحدهما فرض عيني وهو معرفة العقائد الصحيحة والآداب الكاملة وفقه الأعمال التبعية والدينية التي فصلت السنة كفيها ما بينت صورها ، والثاني فرض كفاية وهو تبليغه وحفظه لأجل تبليغه بلفظه على الوجه الذي أدى إليه وبمعناه في الدعوة إلى مآدعها من العقائد والأحكام والفضائل ليكون الدين بذلك محفوظاً ولا ينسى أن الترغيب في قراءته وحفظه يستلزم الترغيب في فهمه والاهتمام به لأنهم كانوا يفهمونه بل ذلك مما يتضمنه الترغيب بلفظه * ومنها ما ورد في وعد العاملين به ووعد الممرضين عنه والواجب فهم مراد الشارع من مجموع كلامه فلا تؤمن ببعض وتكفر ببعض * وهذه طائفة من الأحاديث في ذلك

(١) عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لا أحد إلا في اثنين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جاره فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما عمل * ورجل آناه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما عمل * رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وإيراد بالعمل مثل ما يعمل فلان في الأولى هو العمل بالقرآن كإتدب عليه المقابلة ورواية ابن عمر في الحديث نفسه «فقام به آناء الليل» الخ قالوا والمراد قام به تلاوة وطاعة * وفي الحديث رواية أخرى أبين في المراد وهي عند البخاري ومسلم وغيره وفيها بدل أوتي القرآن «ورجل آناه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس» والمراد بالحكمة القرآن جملاً بين الروايات

(٢) عن عثمان (رض) عن النبي (ص) قال «خبركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري وغيره وفي رواية عنه أن أفضلكم : الخ قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه وتفسيره جامع بين النفع القاصر والنفع الممدد ولهذا كان أفضل وهو بمن عني الله سبحانه وتعالى

بقوله « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »
والدعاء إلى الله يقع بأمور من جعلها تعلم القرآن وهو أشرف الجميع وعكسه الكافر
المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى « فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها »
فإن قيل فيلزم على هذا أن يكون المقرئ أفضل من الفقيه قلت لا لأن المخاطبين بذلك
كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر
مما يدريها من بعدهم بالأكتساب فكان الفقه لهم سجية فمن كان في مثل شأنهم شاركهم

في ذلك لا من كان قارئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يقرؤه أو يقرئه « فإن قيل
فلزم أن يكون المقرئ أفضل من هو أعظم عناء في الإسلام بالمجاهدة والرباط
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً : قلنا عرف المسئلة يدور على النفع المتعدي
فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل فلهل « من » مضمرة في الخبر بعد إن (١)
ولا بد مع ذلك من مراعاة الاخلاص في كل صنف منهم، ويحتمل أن تكون الخيرية
وإن اطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك وكان اللائق بمحافلهم ذلك،
أو المراد من المتعلمين من يعلم غيره لا من يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية (٢)
لأن القرآن خير الكلام فتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة إلى خيرية القرآن
وكيفما كان هو مخصوص بمن تعلم وعلم حيث يكون قد علم ما يجب عليه عينا أم

(المنار) هذا كلام الحافظ في معنى الحديث وفيه بيان مراد الثوري بتفضيل اقراء
القرآن على الجهاد اذ لا يمكن أن يكون من لا يفهم القرآن ولا يفيد الناس احكامه
كالمجاهد في سبيل الله فانظر اين هذا من زعم بعض الناس أن امثال الحفانط للالفاظ
في مصر أفضل من المجاهدين بالاجماع فما أجراً الناس على دعوى الاجماع بغير علم
اعتماداً على أن العامة تقبل منهم كل قول بغير دليل

(٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم
وعملكم مع عملهم ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم « أي لا تنفعهم قلوبهم ولا

(١) أي إن التقدير : أن من أفضلكم : وكثيراً ما يطلق اسم التفضيل على تقدير من
كحديث « خيركم خيركم لأهله » (٢) أي أنه أفضل من حيثية التعميم لأن كل جهة

يستمعون بما تلو منه » يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية الخ رواه البخاري
 (٤) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال
 » المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب والمؤمن
 الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي
 يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن
 كالخلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر رواه البخاري ومسلم وأنت ترى انه جعل
 المؤمنين قسمين قسم يقرأ ويعمل بما يقرأ وهو النافع لنفسه ولغيره أو الذي هو طيب
 في ظاهره وباطنه وقسم يعمل به ولكن لا يقرأ وهو الطيب في نفسه وباطنه وإن
 كان لا ينتفع بظاهره ولم يذكر ان من المؤمنين قسم آخر وهو الذي يقرأ فقط بل
 عد هذا من المنافقين » فانظر أين علم الرسول صلى الله عليه وسلم من علم هؤلاء الذين
 يقولون ان حفاظ اللفاظ الذين لا يصدقون بها الاهتداء ولا الارشاد بل الكسب
 والاستجداء أئمة في الدين وان من إهانة القرآن أن يقال انهم يحتاجون معه الى
 العلم بالقراءة والكتابة أو شيء آخر !!! أعوذ بالله من شر هذا الزمان ، الذي عبث
 فيه الجاهلون بالسنة والقرآن ،

(٥) عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والمجمعي فقال « إقرءوا فكل حسن وسيجيء
 أقوام يقيمونه كما يقام القدح يمعجلونه ولا يتأجلونه » رواه أبو داود والبيهقي في شعب
 الإيمان » والمعنى ان الذين يجيئون من بعده يقيمون ظاهر اللفظ من غير طلب لاقامة
 عقائد الدين وأحكامه وهدايتهم به فهم كلذي يقوم القدح وهو بالكسر السهم الذي
 لا ريش له ولا نصل فلا تمكن المناضلة به » ومعنى يمعجلونه ولا يتأجلونه يطلبون الارتفاع
 به والاجر عليه في الدنيا لا في الآخرة » وهذا الحديث يصدق على القراء لاجل
 الكسب في هذا الزمان وأوضح منه الطباق عليهم الحديث الآتي

(٦) عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا
 القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون اهل العشق ولحون اهل الكتابين
 وسيجيء بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والتوح لا يجاوز حناجرهم

مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» رواه البيهقي في شعب الإيمان وروين في كتابه» والذين يعجبهم شأنهم هم الذين يطربون بقراءتهم أو يستأجرونهم لها والذين يرون الفضيلة والخدمة للإسلام في تكثير سوادهم وشدة احترامهم

(٧) عن جابر (رض) مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم «اقرأوا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدرح يتعجلونه ولا يتأجلونه» رواه أحمد وأبو داود

(٩) عن عبد الله بن عمر (رض) قال قال رسول الله (ص) «اقرأ القرآن ما هناك فإن لم ينك فليست تقرأه» رواه الديلمي في مسند الفردوس

(٨) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله (ص) «اقرأوا القرآن واسئلوا به الله قبل أن يأتي قوم يقرءون القرآن فيسألون به الناس» رواه أحمد والطيبراني

(١٠) عن صهيب (ض) مرفوعاً ما آمن بالقرآن من استحل محارمه: رواه الترمذي

(١١) عن أبي هريرة (رض) مرفوعاً من أخذ على القرآن اجرا فذاك حفظه من القرآن» رواه أبو نعيم في الحلية

(١٢) عن بريدة (رض) مرفوعاً «من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم» رواه البيهقي

(١٣) عن أبي الدرداء (رض) مرفوعاً من أخذ على تعليم القرآن قوساً قلده الله مكانها قوساً من نار جهنم» رواه البيهقي وأبو نعيم في الحلية والطيبراني بلفظ آخر والروايات في القوس متعددة وكان أهدي مقرأ قوساً فأخذها

(١٤) عن ابن عباس (رض) مرفوعاً: من أخذ على تعليم القرآن اجرا فقد سجل حسنة في الدنيا والقرآن يحاجه يوم القيامة: رواه أبو نعيم

(١٥) حديث أبي هريرة المرفوع في الثلاثة الذين هم أول من تسجروهم النار وفيه أنه يقول الله تعالى يوم القيامة «تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن» وإن الله تعالى يقول له «كذبت إنما تعلمت ليقال إنك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ» ثم يسحب على وجهه ويبقى في النار» والاحاديث في العمل بالقرآن وابتغاء وجه الله تعالى به كثيرة ومنها ما فيه ترغيب في البكاء فنكتفي بهذا القدر ونذكر جملة في ذلك من سيرة السلف الصالح الذين كانوا مهتدين بالكتاب والسنة» جاء في كتاب إحياء علوم الدين الفصل الآتي

حجروا في ذم تلاوة النافلين

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلقنه وقال يسيرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الساراني الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولعلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهار القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسئلون عما يسئل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ونهاره إذا الناس يفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وبكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا عارياً ولا صياعاً ولا صخاباً ولا حديداً وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها» وقال صلى الله عليه وسلم «اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فليست تقرأه» وقال صلى الله عليه وسلم «ما أمس بالقرآن من استحل محارمه» وقال بعض السلف إن المبدلي فتحة سورة قصلي عابه الملائكة حتى يفرغ منها وإن العبد ليفتح سورة قلننه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك فقال إذا حل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والافتة وقال بعض العلماء إن العبد ليلو القرآن فيلسن نفسه وهو لا يعلم يقول «ألا لعنة الله على الظالمين» وهو ظالم لنفسه «ألا لعنة الله على الكاذبين» وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن سراحل وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبون فقرطعون به سراحل وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فأنخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقراء القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما لقد عشنا دهرنا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا

ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي
مني يأتبك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتسلك عن الطريق
وتقدم لاجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي
أنزله اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتأمل طوله
وعرضه ثم أنت ممرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي تقدم
اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصفي الى حديثه بكل قلبك فإن
تسلم منك أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات اليه ان كف وها أنا ذا مقبل عليك
ومحدث لك وأنت ممرض بقلبك عني أفجعلني أهون عندك من بعض اخوانك هـ
وأما علماء الخلف واثمتهم فهم متفقون مع السلف على ذلك • قال الامام محمد
الدين النووي في آداب حملة القرآن مانعه

(فصل) وينبغي ان لا يقصد به توصلا الى غرض من اغراض الدنيا من مال
أو رياسة أو وجادة أو ارتفاع على اقرانه أو تناء عند الناس أو صرف وجوه الناس
اليه أو نحو ذلك ولا يشوب المقرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من
يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وان قل ولو كان على صورة الهدية التي
لولا قراءته عليه لما اهداها اليه قال الله تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في
حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤنه منها وما له في الآخرة من نصيب» وقال
تعالى «من كان يريد الماجة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد» الآية • وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلم علماً مما يتقى به
وجه الله لا يعلمه لا يصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) رواه
ابوداود باسناد صحيح ومثله كثير • الخ

وقال (فصل) ولا تعلم الا ممن تكلمت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته
واشهرت صيافته الخ ونكتفي بهذا القليل من الكثير في هذا المقام

(النتيجة) علم مما تقدم من الآيات والاحاديث واثار السلف الصالح ان القرآن
هو الهداية العظمى وان حملته وحفاظه هم أئمة المسلمين ومرشدهم ولذلك أمر
عمر رضي الله عنه ان لا يقرئ الناس القرآن الا عالم بالعربية ليقيم اللفظ فلا يسري

إليه الخطأ والغلط ويفهم المعنى فيعمل به ويعلم الناس • وقد كان المشتهرون من الصحابة باقراء القرآن أكابر علمائهم كعلي وعثمان وأبي زيد بن ثابت وابن مسعود وأبي الدرداء وأبي موسى الأشعري • وعمن قرأ على أبي هريرة وابن عباس • فينبغي الاقتداء بالسلف بأن يكون حفاظ القرآن الذين يؤخذ عنهم هم الذين ينقطعون لائقان علوم القرآن اللغوية والمنوية فيتقنونها • ولا يجوز أخذ القرآن عن الجاهلين باللغة وبأحكام الدين والمرتكبين للمحرمات والدنات لأنهم ليسوا عدولا يوثق بروايتهم

استطرد في حفاظ القرآن بمصر • وحادثة جديدة

جرت الحكومة المصرية على إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية فكثروا حافظوه لذلك وهؤلاء الذين يحفظونه لهذا الغرض لا يريدون به وجه الله تعالى كما ورد ولا يلبث الكثيرون منهم بعد سن القرعة العسكرية أن ينسوه إلا من أخذته حرفة يكتسب به • ولما أنشأت نظارة المعارف تنظم المكاتب أو الكتاتيب التي يعلم فيها القرآن أو فدت إليها المفتشين من أهل العلم المتخرجين في الأزهر ثم في دار العلوم وقد تبين هؤلاء أن الكثيرين من الحفاظ الذين انقطعوا لأقراء القرآن لا يحسنون تلاوته بالتجويد المطلوب شرعاً وأنهم على جهل ومهانة لا تليق بعملهم • وقد اقترت الحكومة في مجلس النظار الذي اجتمع في هذا العام برئاسة الأمير أن لا يبقى حافظ القرآن من الخدمة العسكرية من بعد إلا من يتمكن فيظهر أنه حافظ للقرآن ومحسن لتلاوته بالتجويد الواجب شرعاً ومعلم مبادئ القراءة والكتابة التي يتعلمها الصبيان أي لا يشترط أن يكون الخط جميلاً والاملاء صحيحاً ولا أن تكون القراءة بدون لحن • وعارف بالقواعد الأربع الصحاح في الحساب • وغرض الحكومة من ذلك فيما يظهر أن تكثر عدد الحفاظ الذين يسلحون لإنشاء الكتاتيب وأن يكونوا محترمين في الجملة بالارتقاء عن الأمية المفضة فينتفع الناس بهم

ومن عجائب مصر أم العجائب أن قام بعض الناس يكتب المقالات الطويلة في جريدة المؤيد مزوَّدة إلى أزهرى مجهول يحاول اقناع الناس بأن هذا الذي قرره الحكومة إهانة للقرآن ولحمة القرآن وحبسه أن الذي يحفظ ألفاظ القرآن يجب أن يستغنى بها عن كل شيء حتى ما يهده لتجويد تلاوتها وفهم عبارتها وكتب مجهول

آخر في المؤيد في تقييح ما تريده الحكومة وجريدة المؤيد مؤيدة لهم وطلابهم حجة أخرى وهو أن من تكريم حفاظ القرآن أن يعاملوا كبعض خدمة الكنائس والاديار الذين يعفون من خدمة العسكرية وهم غير متعلمين! الوطنقوا يصورون للعامة ان هذا إهانة للقرآن وأن بعض العلماء في الامة يذرون الدموع أسفاً وحزناً على مصاب الاسلام باخراج حفاظ القرآن من الامية والجهل بالقراءة والكتابة الى أدنى مراقبة من سلم العلم والمعرفة . وقد نشرت في المقطم مقالة مهزوة الى أحد العلماء جاء فيها أن تعلم الفنون العسكرية من فروض الكفاية فلا ينبغي أن يسداهة لاهل القرآن وإذا كان الناس لا يستفنون عن الحفاظ في البلاد والفري يرجعوا اليهم في ضبط القرآن وأحكامه فالجنود يحتاجون أيضاً الى الحفاظ في سفرهم واقامتهم لئلا ما يحتاج اليهم غيرهم فقام الازهري المجهول يهزأ بهذا القول الحق . يزعم أن الفنون العسكرية ليست مفروضة في مثل هذه البلاد يشير الى أن هذا الفرض سقط عن المسلمين في مصر لاحتلال الانكليز فيها وقد نسي هذا الازهري — ان كان هنالك ازهري — حكم مذهب به الذي يتلقاه هو وامثاله في الازهر في دخول الاجانب في بلاد المسلمين فأنهجن ويعتقدون انه محكم يعمل به في كل زمان وهو أن الجهاد عنده يكون حينئذ من الفرائض الدينية التي يجب على كل مكلف حتى مشايخ الازهر ومجاوريه وكذا النساء في قول فان كان يعتقد أن الانكليز فتحوا هذه البلاد وملكوها وصارت في عهده دار حرب فكيف يكتب ما عراه المؤيد اليه وان كان يعتبر الظاهر الرسمي وهو ان هذه البلاد لا تزال إسلامية وان حاكمها هو الامير عباس باشا حامي الذي ولاء عليها السلطان عبد الحميد وان البلاد دار إسلام وان الانكليز فيها معلمون ومعلمون لفساد حكمها حباً في الانسانية فكيف يزعم أنه طراً عليها ما أسقط الفرض عن مجموع أهلها حتى لا يتعدا لادله ؟ اعلم عرض بذلك التعريض لا اعتقاده أن ذلك العالم الذي كتب في المقطم لا يقدر أن يبين رأي فقهاء الازهر في هذه المسألة وينشره في المقطم أو في غيره خوفاً من الانكليز وان كان لا ينكلز فوق ما يظن من احترام الحرية الدينية و رغبة الدينية لأن نفوذهم لم يكن يمنع الناس من اظهار ما يريدون اظهاره وانما هو بالسماح لهم بذلك لانهم لا يخافون بما فيه ذلك ماداموا واقفين بأن سببهم هي العون لهم على ارضاء الناس وتنصاتهم ما يهم

على الظالمين الذين غلوا أيديهم عن الظلم

مالنا ولا يبحث مع المجهورين في أمر الدين ونحن نعلم مبلغ علمهم وفاية مساهمهم في كتابهم وهذا مما نحب الاعراض عن الخوض فيه ولكن هناك أمراً آخر جديراً بالاعتبار وعرضه على ما تقدم من النصوص وهو أن الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر كتب إلى نائب أمير البلاد (قائم مقام خديوي) رئيس مجلس النظر كتاباً رسمياً عن قرار من مجلس إدارة الأزهر يطلب فيه أن تعدل الحكومة عن مشروع امتحان الحفاظ بما تقدم ذكره وهذه عبارة الكتاب : بعد حذف رسم الخطاب ، متقولة عن المؤيد

« قد علمنا أن نظارة الحربية وضعت مشروعاً جديداً لتعديل بعض مواد قانون القرعة العسكرية وأنه معروض الآن على مجلس شورى القوانين وأنه يقضي بأن من يحفظ القرآن الشريف ويحسن تلاوته وليس له حرفة سواه لا يعفى من القرعة العسكرية إلا إذا كانت له دراية بفن الحساب ونحوه

« وحيث أن كتاب الله تعالى (القرآن) هو أفضل الكتب السماوية وهو أساس دين الإسلام « وقد انعقد الإجماع على أن حفظه والتبسط بتلاوته هو من أهم أمور الدين وأن حملته من أشرف الناس وأولاهم بالاحترام والتكريم « وأن حفظه من فروض الكفاية « وأن القائمين به كالجهاديين في سبيل الله تعالى « وأنه أصل الأصول فكل شيء يرجع إليه ويتبعه « فهو بمفرده كاف لاحترام أهله وتوقيرهم بدون ضم شيء آخر إليه

« فلذلك وما رأينا من ميل علماء الأزهر وغيرهم من التحرير لجانب الحكومة المدنية بالناس المدول عن المشروع الجديد وإبقاء الحال على ما كان عليه قد جرت المذاكرة في هذا الشأن بمجلس إدارة الأزهر بجلسته المنعقدة يوم الأحد ٢٨ مايو الجاري فتقرر أن يرفع الأمر إلى عطفوتكم وإلى هيئة الحكومة رجاء المدول عن هذا المشروع وإبقاء الحال على ما كان احتراماً لكتاب الله تعالى وأجابة لتعلماء علماء الأمة « وأن لا يكون الامتحان في نظارة المعارف كما يقتضيه المشروع

فإن هذا يقتضي تحريره ومع الموافقة يرسل من هذا المحرر صورة إلى مجلس شورى

القوانين للعلم بما فيه أقدم اهـ

وهذا الكتاب منتقد من وجوه (منها) أن عبارته كعبارة بعض الجرائد فيها ما ينتقد لغة ولا نطيل في هذا . (ومنها) أن الحكومة لم تشترط في إعفاء الحفاظ من القرعة العسكرية الدراية بفن الحساب ونحوه . وإنما اشترطت معرفة ما يتقواعده الحساب الأربع في الصحاح دون الكسور وهو ما يمكن تحصيله في أسبوع واتقانه في شهر ومعرفة كمرقة الاسم والفعل والحرف في النحو بتمييز بعضها من بعض بالأجاء فإن كان العارف بهذه إذا دراية بفن النحو فالعارف بالقواعد الأربع الصحيحة يعد ذا دراية بفن الحساب . والدراية هي العلم وقيل هي أخص من العلم . ثم إن المفهوم من كلمة «نحوه» سائر الفنون الرياضية كالجر والمقابلة والهندسة وليس شيء من هذا مشروطاً (ومنها) قوله انتقد الأجماع على أن حفظه والتعبد بتلاوته من أهم أمور الدين وقد علم مما تقدم أن كلا من الحفظ والتعبد إنما يكونان من مهمات الدين بالشروط والآداب التي فهمت من الآيات والأحاديث السابقة وذلك لا يتحقق إلا في الحفاظ وأهل القرآن الذين ينطبق عليهم معاني الآيات والأحاديث وأقوال العلماء التي تقدمت وهي لا تنطبق على الحفاظ الأمين الذين لاحظ لهم من القرآن التحريك اللسان بها للكسب أو العبادة فأما تحريكها للكسب فقد علمت ما فيه على أن بعض العلماء أجاز أخذ الأجرة على تعليمه بعقد صحيح وقلما يصلح للتعليم الأمي المحض الذي لا يعرف ما اشترطته الحكومة في إعفاء الحفاظ . وأما المتعبد بالقراءة فلا منية له على القاري بالمصحف بل صرح العلماء بأن القراءة في المصحف أفضل وروي الحديث في ذلك، وهذا التعبد عندهم سنة لا فرض كفاية فهو من قبيل الذكر والتسبيح . فكان شيخ الأزهر لا يريد إلا إعفاء الحفاظ القائمين بحقوق القرآن وقليل ما هم وهو خلاف المتبادر من غرض كتابه (ومنها) قوله إن القائمين به أي بالحفظ كالمجاهدين في سبيل الله تعالى والظاهر أن هذا من الجمع عليه في رأي الشيخ وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر فيه وأنه لا ينطبق على هؤلاء الحفاظ الجاهلين بمعاني القرآن وإفادتها (ومنها) قوله وأنه أصل الأصول فكل شيء يرجع إليه ويتبعه : وليس حفظ القرآن من غير فهم أصلاً لأصول الدين يرجع إليه كل شيء

وأما ذلك القرآن نفسه من حيث فهمه واستنباط الأحكام منه والاهتداء والارشاد به وهؤلاء الحفظة المطلوب امتحانهم بالقراءة من غير اشتراط الصواب وعدم اللحن ليسوا على شيء من ذلك . فقام ان دعوى الاجماع على ما فهم من الكتاب غير صحيحة بل لم يقل احد من الأئمة بأن امثال حفاظ الالفاظ الذين يدعى واحد منهم في مصر بالفقي لهم تلك المزايا والحقوق والاحترام الديني فالنتيجة المرادة من كتاب الشيخ المبينة وهي العدول عن المشروع احتراماً لكتاب الله تعالى لا ترتب على تلك المقدمات بل تنفيذ المشروع أقرب الى احترام القرآن وأهله من العدول عنه لان اللائق بحملة القرآن أن يكونوا من أهل العلم باللغة والقراءة والكتابة بل ان يكونوا أعلى من ذلك كما علم مما تقدم ومما اتقد به الكتاب كونه بقرار من مجلس إدارة الأزهر الذي يعد من مجالس الحكومة وهو مقيد بقانون ليس له أن يتعداه رسمياً فكان اللائق ان يكون نصيحة دينية غير رسمية ان كان هناك وجه للنصيحة

ارسل الكتاب الى رئيس النظار وبعد ارساله يوم نشره المؤيد بتاريخه (وهو ٢٤ ربيع الأول) وعدده الرسمي (وهو نمرة ٦٦٧) وفي اليوم التالي لنشره اجتمع شيخ الأزهر وبعض اعضاء مجلس الشورى فسألوه هل في مشروع الحكومة شيء يخالف الدين فقال لا وتذاكروا في كتابه الى رئيس النظار فقال لهم على ما نقل اليانا ان الكتاب الذي نشر وكتب لم يكن مطابقاً لما أمر هو به وانه رأى فيه بعد النشر ما لم يكن يعلم واقنع بأن ارساله كان في غير محله وبادر الى ملاقة رئيس النظار واعتذره عن ارساله الكتاب ورغب اليه في (سحبه) وأهاله وحسابه كان لم يكن فقبل الرئيس منه ذلك . وكان هذا من دلائل سلامة قلب الاستاذ شيخ الجامع وحسن نيته على ان سحب الكتاب قد ساء الذين سعوا فيه وحملوا الشيخ عليه كما ساء ارساله جميع العقلاء الذين علموا ان عاقبه لا تكون حسنة وهو الآن حديث العامة والخاصة وجميع المسلمين محتضون لما صار الى مجلس إدارة الأزهر من التأثير بكلام أهل الأهواء الذين يندمون الحسرة ويدعون القبيح ومجاراتهم التي تفضي الى مالا تحمد عقباه

كتاب الشعر والشعراء

كتاب الشعر والشعراء

هذا الكتاب مشهور عند أهل الأدب المتقدمين والمتأخرين بفائدته وبشهرة مؤلفه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أحد أئمة اللغة والأدب وصاحب (أدب الكاتب) وغيره من المؤلفات المفيدة المتوفى سنة ٢٧٦ وموضوع الكتاب ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى بقوله في أوله

«هذا كتاب الفقه في الشعر أخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقمارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الفاظ والخطأ في ألفاظهم وما سبق إليه المتقدمون فأخذته عنهم المتأخرون» وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول . وكان قصدي للمشهور من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو في كتاب الله عز وجل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأما من خفي اسمه وقل ذكره وكسد شعره فأقل من هذه الطبقة (هذا) إذ كنت لأعرف منهم إلا القليل ولأعرف لذلك القليل أخبارا وإن كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمى لك أسماء الأدل عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجد أو يستغرب ، الخ ما قاله وهذا كاف في التعريف بفضل الكتاب فهو من الكتب التي تطبع ملاكة البلاغة في النفس وتمدها للاجادة في الشعر والكتابة . ومن مختار الشعر الذي أورده وهو يحكي عن أخلاق العرب وشهامتهم قول سعد بن ناسب

سأعمل عني العار بالسيف جالبا
عني قضاء الله ما كان جالبا
ويصغر في عيني تلاوي إذا اتنت
يعني يادر لك الذي كنت طالبا
فيالزام رشعوا بي مقدما
إلى الموت خواضاً إليه الكتابيا

إذا هم اتقى بن عفيفه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرخص الاقائم السيف صاحباً
وقول محمد بن عمير المروفي بالمقنع الكندي
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس وثيس القوم من يحمل الحقد
وليسوا إلى نصري سراغا وانهم دعوني إلى نهر أتيهم شدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا عجدي بيت لهم مجداً
يعبرني بالدين قومي وانما ديوني في أشياء تكسبهم حمداً
وقد طبع الكتاب على نفقة محمد أمين افندي الخانجي الكتبي الشهير وهو
يطلب منه من ادارة المنار وعن النسخة منه خمسة قروش صحيحة ماعداً أجره البريد
(ديوان الحماسة)

هو مجموع ما اختاره من شعر العرب أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر
الشهير وهو أشهر من نار على علم وكان الأدباء يتنافسون في استظهاره، واقتباس
جذى البلاغة من ناره، وقدمانغ شاعر أو أديب ولم يكن حفظ ديوان الحماسة أو كثرة
مطالعة من اسباب نبوغه . ولما فترت همم المتأخرين عن تآقي مثله من كلام العرب
فتر الشعر وبرد حتى صار يقف لسماعه شعر صاحب النوق وتفنى نفسه عند انشاده
وانا نرى في زماننا هذا نهضة في احياء اللغة لشكر لاوراقين اسعادها بما يطبعون
من الكتب النافمة كهذا الكتاب والكتاب الذي قبله وما سيذكر بعده . فقد طبع
الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية ديوان الحماسة طبعاً مضبوطاً
بالشكل وفسر في أدنى كل صفحة جميع الأبيات فيها مختصراً ذلك من شرح التبريزي
المشهور وجهته في جلد واحد بحجم أصغر من حجم المنار لسهولة تناوله على الطلاب
ويخفف حمله على المتأدبين وجعل ثمنه اثني عشر قرشاً فقط فقد اجتمع لريده المرغبان
في اقتنائه كثرة الفوائد وقلة الثمن وهو يطلب من طابعه بالسكة الجديدة بمصر

(ديوان أبي تمام)

أبو تمام من شعراء الطبقة الأولى من المولدين وجيده أعلى من جيد البحري
والمتنبي اللذين يقرنان به ولكن من رديته ما هو دون رديتهما ولعله لاحب الجناس

لما ارتكب التكلف ولما وقع في التمسف فأكثر رديته في ذلك وهو عند أكثر المتأخرين
لا يعد ردياً بل ربما فضله عشاق المحسنات اللفظية على سائر شعره وهو على كل حال
من أهل الرعي الأول، والذين على بلاغتهم الممول، وقد احتذاه وأخذ عنه من
بعده حتى المتبني، وكنت ترى من المعجب أن الشعر رتقي صناعته في هذه السنين
وديوان أبي تمام لا يطبع المرة بعد المرة وقد أحسن بهذه الحاجة محمد أفندي جمال
البيروتي فأتدب طلبه ورغب إلى الشيخ محي الدين الحياط أن يفسر غريبه ويضبطه
بالشكل ويصح طبعه فأجابه إلى ذلك ووضع لاديوان مقدمة تكلم فيها عن الشعر بكلام
شعري أي بالخيالات والتشبيهات وعلى البلاغة والشعر المصري وعلى وجوب التوسع
في اللغة وقبول الدخيل فيها وتعريبه وختمها بترجمة أبي تمام وقد بلغت صفحات الديوان
خمس مئة ونيّف ونمته في مصر اثني عشر قرشاً وأجرة البريد قرشان وفي سائر البلاد
٣٠ فرنكات ونصف ويطلب من طابعه بيروت ومن إدارة مجلة الأناضول بمصر

(ديوان ابن نباتة المصري)

جمال الدين محمد بن نباتة المصري من شعراء القرن الثامن د
والادب ومدح الملوك والكبراء والعلماء وهو مشهور بلرقة والسلا
ما يحب المتأخرون وخاصة المصريين فان كلامه أحلى في ذوقهم وأدنى من
ومن ذلك قوله في المقاطيع

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| يا مولاهم بلامى حسبك الله | كم ذاهب مع مفرى القلب مضناه |
| هذا الحبيب وذا فكري وذا جلدي | في راحتيه فقل لي كيف أنساه |
| إني لأعلم أن الرشيد أجفاه | في تركه غدير أن النفس تهواه |
| ساجي الاواظ خري مقباه | داجي الذوائب بدري محياه |
| ان كان لا يحب شخص فهو مهجه | أو كان لا يحسن لفظ فهو معناه |
| أفديه بدرا بقلب الصب غزونه | وفي السهام برغم الصب لقيناه |
| نولم يكن ريقه خمرًا ومرشده | ما عربت عينه واهتز عطفاه |

وله في شعره نكت وكنائيات مما يعرف الآن بالنكت البلدية، لا تسلم من الممجون

و ابن حجة بطرير في الشتاء

وقد طبعه في هذه الايام الشيخ محمد القليلي ومكتب له مقدمة ذكر فيها أن الذي أسعده على ما حدث به رغبته وقصرت دونه يده ابراهيم بك رمزي صاحب مطبعة ومسبك النمدن . وامري أنه قد طبع طبعاً جميلاً على ورق جيد يليق باتقان رمزي بك وبلغت صفحات الديوان ٥٩٦ صفحة وقد جعل منه ٢٠ قرشاً ولجنتاه كفلاً من الفائدة أحدهما الانس بالديوان والتمتع بمطالعة وثانيهما إمانة طابعه على أعماله الادبية التي انصرفت همته اليها . واراد رمزي بك إسعادها عليها ، وهو يطلب منه ومن مطبعة النمدن بحوار طابدين

(مجلة سر كيس)

سلم افعدي سر كيس نشأ في حجر الصحافة حتى ترعرع وشب واكتمل فذاق حلوها ومرها ، وعرف وصلها وشجرها ، وفارق فيها الدار والوطن ، وهاجر بالاهل والسكن ، فاشتغل بالكتابة في الجرائد بيروت ومصر وأمريكا ثم عاد الى مصر واختار ان ينشئ مجلة يقصر مباحثها على الافاكيه والملح الادبية ففعل فجاءت (مجلة سر كيس) وحيدة في موضوعها لا يستغنى عنها في هذه البلاد بصحيفة من نوعها . واذا كانت المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها من حاجات اصناف من الناس قالفكاهة من حاجات جميع الناس يرغب فيها العالم والفقير والفيلسوف والاديب والعامي والخاصي ومن ثم كان الرجاء بنجاح مجلة سر كيس قويا لاسيما اذا اصاب في ملحه ونوادره مواقع الاعجاب من نفوس أبناء هذه البلاد وهو جدير بذلك بسعة اختياره . والمجلة تصدر في الشهر مرتين وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ قرشاً في مصر و ٢٠ قرشاً في سائر البلاد

بأخبار حبيلا، الأكل

(حضر موت واليمن)

تلخص ما يأتي من رسالة صديق لنا في حضر موت قال
كان خروجي الى حضر موت من عدن برا لاني لم أجده مركباً بحرياً اذ ذاك

فازددت بذلك علماً عن تلك الفياضي والفقار والبدو والحضر والمرب بتلك الجهات
ووقفت على أحوالهم وعاداتهم وحالة الدين وأندراسه ودسائس الانكليز هناك وما
ينتظر للدولة العلية في اليمن قطعت في سيري أرض الفضلي وهي أول دولة من دولة
المرب هناك تلي انكلترا وتواليها ولها سواحل بالقرب من عدن أشهرها يسمى
(شقره) ودولتها بدوية استبدادية وعسكرها هم عصابة الملك وقيسته وهم بدو حريمونه
ولها سياسة وامم ملكها أحمد بن حسين الفضلي وهو باسط بساط المدول والامان
ومن عادته أن من سرق له شيء أوثب من بلده بجيشه فيعطيه من خزينته عوض
ما سرق أوثب منه ويذكره هو الميمون على الممتدي حتى يظفر به ويسترد منه ما أخذه
وله راتب سنوي من انكلترا نحو ١٢٠٠٠ روية ويسمونه (مشاهرة) وقد وقع

بينه وبين الانكليز تنافر من مدة لانه طلب سلاحاً مدافع فلم تسمح له بذلك
عليه (يافع) ويقدرون ما كنيه بنحو ٧٥٠٠٠ ألفاً ويجلب منه (يصدر) الجلود
والبن والورس والزعفران والذرة والقمح وغيرهما من الحبوب وهم بدو قبائل
متفرقة يتحاربون ويتصالحون ولهم من الانكليز مرتب وقد أريدوا على الدخول في
الحماية البريطانية فأبوا ولما قاتلوا الانكليز منذ عامين عاتبهم الباشا صاحب قحطبة
من ولاية الدولة العلية

يلبهم الجبال البيضاء وهي أرض ذات أنهار وخصب وأهلها بدو وهم موالون
لانكلترا ولهم راتب منها - والموالون وهم دولة وقصبتهم تسمى (دثينة) وهي خصبة
ذات تربة طيبة ولم يطاوعوا انكلترا ولذلك أجلت المهاجرين منهم من عدن بالسعة
لما طرأوا جنوده التي وجهها الانكليز الى بلاد الموالي

يلبهم بلاد الموالي وأهلها قبائل لهم دولة من غيرهم ولا نفوذ له (يريد) بالدولة
الحاكم وعاصمتهم (أنصاب) وهي ذات آثار وبقرها أحجار عليها كتابات حميرية
وللحكم ورؤساء القبائل مرتبات ولما لهم (عائق باكر) الذي له نفوذ هناك حتى أنه
ليجمع الزكاة من البادية راتب شهري من الانكليز قدره ٥٠٠ روية على أنه
يأخذ راتباً من الدولة العلية فهو منافق وميله القايي الى بريطانيا ولذلك يوسع نفوذها
هناك أما الموالي فيقدرون عسكرهم الذي يمكنه القتال بنحو ٤٠٠٠ الب (كذا

في الأصل فإن كان مراده أربعة آلاف كما هو الظاهر فلاحاجة الى كلمة الف بعد الرقم ويقرب أن يكون عددهم أربعون ألفاً ويبعد أن يكون أربع مئة ألف فها كتب خطأ نرجو من الكاتب إصلاحه بعد وصول النار اليه) حدثني بذلك رئيسهم أخذنا من عددهم في الوقائع (الفزوات) القومية التي حشدتهم فيها

يلي الموالي الى ناحية الشرق والبحر دولة الواحدي عاصمة حبان وهي بلدة قديمة أسس جامعها سنة ٢٦٦ للهجرة وكان بها من العلماء جهابذة فصحاء وقفت على بعض قصائدهم القصيدة التي تكاد تسيل انسجاماً وحالتها اليوم جاهلية وهي تحت حماية الانكليز وقد عقدوا عهداً على خروجه اليهم (كذا) وساحلهم بالحلف وقد أخذ نصفه أمير المكلا القميطي من أخيه ملكها شراء فقامت انكلترا تمارض فيه والله يعلم هل يسلم له أم تأخذه انكلترا

(وهنا رسم الكاتب صورة تلك البلاد من عدن الى الشحر وانصاب الموالي وكتب عند ذكر (الحج) ان ملكها أحمد فضل العبدي قد باع أرضه من انكلترا وله راتب منها وعند (قحطيه) أنها اول ولاية لدولة العثمانية وعند ذكر (الشحر) أنه عند أمير المكلا القميطي وهو داخل تحت حماية انكلترا وعند ذكر (سبأ) و(مأرب) ملكهما من الاشراف وهو مخالف لانكلترا وله راتب وبينهم عهد وقد أوفدت انكلترا الى تلك البلاد وفداً علمياً فقلوا رسوم الآثار والكتابات الحميرية التي على الصخور والاسطوانات لرعاية الحميرية الخ وقال ان من يشاهد نفوذ الانكليز هناك يعتقد أن الدولة العلية سيتقلص ملكها عن قريب بسبي أولئك الرجال) ونز بدقوله تعالى «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين» فان عادوا للعدل عاد الله عليهم بالفضل، ثم قال على اني لم أخبركم ببعض الحيات والمراكز والقبائل فانظروا تروا انه اذا نشبت الحرب بين انكلترا والدولة فان انكلترا تأتيها من فوقها ومن أسفل منها وهذه المراكز الداخلة تحت حماية انكلترا أوفى مخالفتها تسمى باليمن الأسفل الا الضالع فانها من اليمن الأعلى ونفوذ انكلترا في اليمن الأسفل يمتد مسافة شهر تقريباً ويستمد سكة حديدية تقطع هذا البر الى (انصاب) عاصمة الموالي ثم تمر بعد ذلك في البوادي التي تحملها كنده ونهد والكرب الى الكويت ولم يدع انكلترا رأساً من رؤوس

القبايل الا واعطته مرتباً جارياً وكان تداخلها في هذه البلاد بواسطة واحد من أبنائها دخل البادية ونشأ فيها فهو يتكلم بلغتها وإذا دخل فيها يلبس لها لباسها الذي هو من السن الى الركبة (كذا) ورداء وعمامة وتسميه البادية (عبدالله بن منصور)

وأهل البادية يتحدثون بعدل انكثرا وبدياتها التي تعلمها عليهم القسوس بعدن ولقد حرت من تقريرهم لها اذ لا يعرفون معنى الدين الاسلامي ماهو وسيكون لذلك الاثر السي في تلك الاقطار اذا خالط أهلها الانكليز فالعارف الدينية معدومة بالسكية حتى ان هناك الموالق السفلى والمناقلة منهم يقدرون بنحو ٢٠٠ لا يعرفون شيئاً من الدين ونكاحهم إنما هو نهب ينهب الواحد بنت الآخر ويتزوج بها فاذا ولدت ذهب أولادها يأتون بالمقد عند أبيها وانما تفتخر على من تزوجت بالتراضي وينكح أحدهم أخته وخاله وزوجه أبيه معدومة ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم والبادية كلها متساحرة بالسلاح الحديث المكتوب عليه (كاردنف) و(مارتين) و(سن ايتنس) وانكثرا مشددة على الخراطوش فلا يصل اليهم الا بعد الجهد وهم يشترونه بأثمان باهظة وانك لتري اهل البوادي يتسابقون الى عدن تسابق الجياع الى القصاع والمال ينهال عليهم حتى ان البدوي الذي يقنع بأروبية يعطى من المئة الى المئين بلصة أو بخشيش ويسمونه فشع وسأخبركم بأخبار تلك الجهة على التحقيق وبما للسادة (الشرفاء) من النفوذ هنا ككون كل قبيلة لها (منصب) منهم أي رئيس روعي يعقد الصايح ويأخذ النذور ويستغاث بمجده المعروف بالولاية مكنت في تلك الجهات شهرين في حل وترحال الى أن وافيت حضرموت وأهلها في الجملة (قبورية) وسأخبركم بحالها وبسياسة أمير المكلا فيما يأتي أما واردات المكلا خاصة فهي ٣٥٠٠٠٠ جنيه يأخذ عليها الأمير مكلا باهظاً وأما الصادر وهو التبنك والسك وغيره فتعده ١٠٠٠٠٠ جنيه ولا تزال أساطيل انكثرا ومدرعاتها تطوف بهذه السواحل تنضم الاخبار وعسى أن نوفق هنا للدعوة فانا وجدنا حزباً يوافق ما نحن عليه واناساً يعرفون النار أكثرهم ممن يتاجرون الى جاوه ودولة المكلا (اي اميرها) غائب بالهند وسأوافيكم بما يتجدد اه المراد منه

(تنازع الدول في جزيرة العرب)

كثرت أقوال أجرائد المصرية وغيرها في غلبة الانكليز بتقوية نفوذها في بلاد

العرب وقد علمنا أنه جاء مصر في هذه الأيام وفد من فرنسا وآخر من ألمانيا وكل منهما يريد الذهاب من هنا إلى بلاد العرب مستعيناً بالمصريين فأما الوفد الفرنسي فاني من أعضائه علي أفندي زكي المصري وكيل المؤيد في باريس وصاحب المقالات الكثيرة التي تؤيد نفوذ فرنسا في بلاد العرب وقد سمى صاحب المؤيد نفسه هنا في مساعدة هذا الوفد الذي سيذهب إلى الخليج العربي ويكون وكيل المؤيد في البصرة بمساعدة له. وأما البحث الألماني فقد استأجر من العربان هنا خمسين ذلراً واتخذ له مترجماً من شبان المصريين بأجرة كبيرة واشترى كثيراً من المصاحف المذهبة والكتب الدينية ووجهته الأمير ابن الرشيد في نجد والمبرة في هذا ظاهرة لكل عاقل وسيرة الدولة العلية في بلاد العرب معروفة لأحاجة إلى شرحها والأمر لله العلي الكبير.

باب الانتقاد على المنار

وعدنا في آخر المجلد السابع بأن نجيب عن بعض الانتقادات التي وردت علينا في العام الماضي ولم تمكن من ذكرها والحواب عنها الآن كثرة المسائل العارضة اضطررنا إلى الإرجاء ولكننا نعجل الآن بذكر انتقاد جديد جاءنا من أحد القراء الفضلاء الواقفين على كنه الحال في الجزائر وغيرها من مستعمرات فرنسا قال بعد الثناء والتحية

«قد اطلعت في العدد الرابع من المجلد الثامن من مجلة المنار الإسلامية القراء ما يأتي : وليت المرء كشيبين يعلمون أن ألمانيا ليست خيراً من فرنسا في مستعمراتها بل هي شر منها وانهم إذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالعدل والحكمة دون الاتكال على الكرامات فلا يكون دخول الألمان في بلادهم الأوبالاً عليهم : وبعد أن نظرت في هذا المقال أنا وأصحابي وتأملنا فيه من جميع أركانه لم نجد إلا غلطا عظيما ولم نظن قبل اليوم أن أهل الفضل مثل سيادتكم يقولون كلاما مساعدا لأهل الكفرة عشر مليوناً من المسلمين وماؤنا لسياسة انهم تسويين التمساء»

ثم مطلق يمد سيئات فرنسا في الجزائر كهدم المساجد وغصب الارزاق ومناهضة العرب ونصر اليهود عليهم ويبري ألمانيا من مثل ذلك ويذكرها بالتناء وقال لا تنفر بكلام الموسيولوجياني وغيرهم الاستاذ الامام ولا بتجديد مدرسة لاربييه ملايين، عدد تلامذتها عشرون ، فانه في عهد الحاكم الجديد جنار كثر الكذب والتعريض واشتريت

بعض الجرائد المصرية... بمائتي ألف فرنك لتكون عوناً له في سياسته ضد الإسلام
حول المغرب وتوليته عليه - إلى آخر ما قال

ونحن نخشى أن يكون فهمه سياسة فرنسا كفهمه لمباراة النار التي اتفقتا فانه ليس
الفرض منها الا نصيحة المراكشيين بترك القروور بالقبور وتوجيه الضاية الى الاستفادة
من تنازع المانيا وفرنسا على البلاد على حد قول الشاعر العربي

تفرقت غنمي يوماً فقات لها يارب ما ملأ عليها الذئب والضبع

فان كان يرى الفائدة في استيلاء المانيا على مراكش بغضاً بفرنسا فانه يريد بثفي
غيظه بما يضر المسلمين ويذهب باستقلالهم كما كان بعض المصريين يفعلون بالسمي
لدى فرنسا لاخراج انكلترا من مصر ولو أخرجتها لحلت محلها - فالذي نوده نحن
أن تبقى البلاد مستقلة ولكن مع سمي حكومتها وزعمائها في عمراتها والاكتنا طالين
للخراب والجهل الدائمين وهو طلب لا قيمة له عند الله ولا عند الناس فالارض يرثها
من هو أصاح اعمارها شئنا أم أبينا ، سخطنا أم رضينا ، وأما قولي ان المانيا شر من
فرنسا فهو مبني على ما كان كتب الي من مستعمراتها في شرقي افريقية كما بينت ذلك في
الجزء الخامس (ص ٢٠٠) فكيف غفل عنه

أما رأينا في سياسة فرنسا مع المسلمين في مستعمراتها فقد بيناه غير مرة وقلنا أنه
يستحيل أن يطعن المسلمون على كمالها ما لم تمنحهم الحرية التامة في الدين والمسلم
وساعدتهم على التعليم وال عمران بالفعل لا بالقول ولا بإهمام الجرائد وان سميت
اسلامية وقد سمعنا وقرأنا ما دلنا على انها قد اهتمت الى هذا الرأي فان كان ذلك
حقاً فترى حسن عاقبته وان كان تمويهاً كما يقول المنتقد فلا يثبت ان ينكشف ولكن
من يغلو في الانتقاد قلما يؤخذ كلامه بالقبول فليفهم هذا

(استدراك)

نقلنا في الجزء الماضي مترجمته جريدة اللواء عن جريدة الغلوب الانكليزية في
حادثة ترك الشيخ محمد عبد الازهر وقد سقط مما حكته الجريدة من كلام الشيخ لمحذره
هذه الجملة: «ثم قال - أي الشيخ - فهل يسر الانكليز تخريبجي لهم رجالاً مستعدين يفهمون
حقوقهم ويسرفون كيف يدافعون عنها بقوة مستمدة من العلم والمعرفة ؟ » اهـ

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: أن لا سلام صوي و«مناراً» كنار الطريق)

(مهر - ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ - ١٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

فَتَكُنْ مِنَ الْمُنْذِرِينَ

فتعنا من هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين له اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور بما قد منامتنا من السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لكمل هذا، ولين بمضي على. مؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم يذكره كان عندنا سبب صحيح لا غفاله

الاتصال بين الآيات والسور وجمع القرآن ﴿

(س ٢٣) اهت بهزان (روسيا) : أعرض عليكم أيها الاستاذ ما اعترض به علي أحد الروسيين بعد ما ترجمت له تفسير القرآن من مجلتكم المنار الاخر على قول الاستاذ بالاتصال بين الآيات والسور قال: ان المتفق عليه عند علماء المسلمين أن القرآن نزل الى الرسول عليه السلام مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة وأول سورة أنزلت «اقرأ باسم» على قول الاكثرين ، وهذا المصحف الذي أوله سورة الفاتحة ليس على ترتيب النزول بل جمع ورتب بهذا الترتيب في عهد أبي بكر رضي الله عنه فكيف تكون الآيات والسور متصلة مع ما يليها — على أن بعض الآيات من السورة الواحدة أنزلت بمكة وما يليها بالمدينة وبين نزولهما عدة سنين ؟ وأيضاً كيف جمعوا السور والآيات على هذا الترتيب هل كان بتعيين من النبي عليه السلام أم لا؟ وهل في هذا خبر متواتر أو مشهور ؟ وأنا لحقير أجبت الروسي بقدر وسعي والآن أرفع المسألة الى حضرتكم راجياً منكم الجواب ولكم من الله الاجر والثواب

(ج) لا خلاف بين المسلمين في أن بعض السور نزل جملة واحدة وبعضها نزل متفرقاً على حسب الوقائع والأحوال وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يجمع كل سورة عند كتابها ويملأها على كتبه الوحي ويقرئها القارئين ولكن جمع السور كلها في مصحف واحد هو الذي كان على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكتبت النسخ ووزعت على الأمصار في خلافة عثمان فصولهم هذا كان عملاً إجماعياً وإتقلا متواتراً لم يختلفوا في ترتيب السور فصلاح ترتيب الآيات وانما تردد أمر أولاً في جمع القرآن في مصحف واحد لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ثم وافق منشرح

الصدر وكأنه تذكر أن زمنه عليه السلام كان كله ظرفاً للوحي وانما يكون الجمع بعد التمام وقد روى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال آخر ما نزل من القرآن كله واقفوا يوماً ترجعون فيه إلى الله الآية وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات فأنت ترى أن تسع ليال في المرض لا تسع لجمع القرآن في مصحف واحد وأنه لم يكن ذلك ضرورياً فإنه عليه الصلاة والسلام كان يأمر عند نزول كل آية بأن تلحق بسورة كذا ويعلن موضعها ويقرئهم السورة بعد تمامها وكان عالماً بأن كل ذلك محفوظ في الصدور وفي الطروس ونحوها مما يكتب عليه ولو لم يكن هذا الترتيب متفقاً عليه لأنه مأخوذ عنه صلى الله عليه وسلم بالتواتر لاختلفوا فيه اختلافات عظيمة فلا حاجة إلى الاطالة بذكر الروايات مع هذه الحجة

وأما الاتصال بين الآيات وبين السور وما فيه من التناسب والتناسق ونكت البلاغة فهو تابع للترتيب وقد علمت أن الترتيب كان مقصوداً بتوقيف من الشارع وما كان بالقصد يراعى فيه مثل ذلك ولورثت الآيات كلها على حسب النزول لكان اتصال بعضها ببعض والتناسب بين المتقدم منها والمتأخر من مميزات العجب التي يسئل فيها عن السبب إما وقد رتب بالقصد وبالتوقيف من الوحي فهي كأنها نزلت مرة واحدة بهذا الترتيب فاعتراض الرومي على ما ذكره من وجوه الاتصال والتناسب بين الآيات مبني على الجهل بأن ترتيب الآيات كان توقيفياً على أنه لو كان من عمل الصعابة لما كان ذلك فيه غريباً إلا إذا ثبت أن هذا التناسب قد انتهى في البلاغة إلى حد الإعجاز فكان بنفسه معجزاً وليس هذا بعيد فوجوه الإعجاز في القرآن كثيرة ومنها هذا الوجه الوحيه وهذا وإن تناسب في اتصال الآيات بعضها ببعض بين ظاهر لا تكلف فيه ولا تصنف وليس هو من قيل الدعاوي النظرية فيورد عليه ما أورد بل هو من الأمور الوجودية الحقيقية فليفرض ما شاء في جمع القرآن وترتيبه فهو شيء قدمضي وهذا شيء حاضر لا يمارين فيه الأمكار ، وإنا إن شاء الله تعالى من مجرد تفسير التنازل ونطبعه على حديثه ونضع له مقدمة تشرح فيها هذه المسائل وأمثالها شرحاً كافياً والله الموفق والمعين

*** (بلاد روسيا دار حرب أو اسلام والروسيون كتايون أم وثنيون) ***

(س ٢٤) ومنه: قد اختلف علماءنا في روسيا في دارنا هل هي دار حرب أم دار اسلام وهل الروسيون كتايون أم وثنيون؟ نرجو من جنابكم الافادة بلسان مجتكم المنار. عز الله بها المسلمين وأنار.

(ج) قد اختلفت عبارات الفقهاء والمحدثين في تعريف دار الحرب ودار الاسلام فلا جزم أن الذين يأخذون العلم من الالفاظ يختلفون في تطبيق تلك الاقوال على كل دار وكل مملكة فيمكن أن يقال أن بعض البلاد التي لا يوجد فيها مسلم أهلي ولا حكم فيها للاسلام اما دار اسلام بناء على قول بعضهم أن دار الاسلام هي ما يمكن المسلم اظهار دينه فيها ولا يخاف فتنة في دينه فأكثر بلاد أوروبا وأصريكا كذلك ولكنها ليست دار اسلام. وإن كثيرا من البلاد التي يحكمها مسلمون يفتن المرء فيها عن دينه فلا يقدر على اظهار جميع ما يعتقد ولأن يعمل بكل ما يجب عليه لأسباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتخاذ الاحكام المخالفة للشرع فهي على قول بعضهم دار حرب. والذي يؤخذ من مجموع الاقوال التي يعتد بها أن العبارة هنا بظهور الكلمة ونقود الحكم فإذا كانت الاحكام لأهل الاسلام لا معارض لهم في تنفيذ شريعتهم وإظهار دينهم وكان غيرهم آمناً في سرب بتأمينهم حراً في دينه بسلطتهم وحمايتهم فالدار التي هذا شأنها دار اسلام والافهي دار كفر وحرب. ولعلنا نشرح هذه المسألة وما يتعلق بها من حكم الهجرة وغيره في مقالة مستقلة. وأما الروسيون فهم أهل كتاب وإن شابت عقائدهم الوثنية وأعمال الشرك لأنهم يؤمنون بالله وبالوحي والأنبياء واليوم الآخر وتجد تفصيل هذا البحث في التفسير من الجزء السابع (الماضي).

﴿ عمل الفقهاء بأقوال مذاهبهم وإن خالفت الحديث الصحيح ﴾

(س ٢٥) الشيخ صحيح أحمد المصري إمام المسجد الكبير بكلكته (الهند) :

قد وقف بعض من ينتمي لطبقة العلم الشريف بالهند على قول الأستاذ الامام في صفحة ٣٣٦ الجزء (٩) من المجلد السابع من مجتكم النراء في خلال بيانه ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما: ولكتنا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتشعبها وخلافاتهم وعالها فانتا نحار في ترجيح بعضها على بعض إذ نجد بعضها

يخرج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير مقصد عندهم بل يقولون فيه المدرك قوي واستكناه لا يفتى به ولماذا لأن فلاناً قال : الخ فأنكر ذلك واستكبره وقال لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول مثل ذلك نعم قد يترك الفقهاء العمل بظاهر الحديث لسبب من الأسباب لكن من بعد تبين السبب الموجب للعدول عن ظاهره أو عنه بالحكمة كما رخصه بحديث آخر مثله في الصحة أو أصبح أو أقل منه في الصحة ولكنه مؤيد بأدلة أخرى أو بأن الاجماع أو عمل الصحابة على خلافه ونحو ذلك كما أن مالكاً روى أحاديث القبض ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه في موطئه وترك العمل بها لأنه أدرك عمل أهل المدينة على خلافها وأما ترك الحديث الصحيح بطله أن فلاناً قال فما وقفنا عليه في شيء من الكتب التي بأيدينا وتبعه على ذلك جميع المقلدين بكلكتته فلما رأيت القوم في شك من صحة قول الاستاذ الإمام وكانت غيرة الحنفية والوطنية باعناً قوياً على الانتصار لفضيلته ولم يكن لدي ما أتصربه لجهلي وعدم وجود الكتب اللازمة بطرفنا فلم أجدي مايجب إلا ارشادكم لازام مايجب للسائلين فحررت اليكم هذا السؤال والغرض من سعادتكم أن تبينوا لنا من القائلون في مثل هذا المدرك قوي ولكنه لا يفتى به لأن فلاناً قال : من غير بيان وجه العدول عن الحديث وفي أي كتاب ذكرت هذه المسئلة واشباهها أدركونا سيدي بالجواب والآن أصبح علماء الهند في شك مما ينقل عن الاستاذ الإمام

(ج) ان ما قاله في تعارض الحديثين هو المذكور في كتب الأصول التي يرون العمل بأحكامها خاصاً بالمتجهدين وقد صرحوا بأنه يجب على المقلد ان يعمل بقول علماء مذهبه وإن خالفت الأحاديث الصحيحة التي لا يشك في صحتها ولا يعرف لها معارضاً ثم حكموا بأن الاجتهاد ممنوع فيجب على جميع المسلمين ان يكونوا عالة على مادونه الفقهاء وان رأوا فيه ما يخالف السنة الصحيحة فإن كان المعترض ينكر هذا جتاه بنصوصهم التي لا يجهلها الا اذا كان لم يقرأ الفقه لاسيما فقه الحنفية . بل الأصرا أعظم من ذلك فانهم قبل منع الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة قد أخذوا لهم أحكاماً عامة جعلوها أصولاً للشريعة وقالوا ان ما يخالفها من الكتاب والسنة يحمل على النسخ أو على الترجيع أو التأويل فهم قد جعلوا الكتاب والسنة فرعاً يحمل على

غيره لا أصلاً يحمل غيره عليه كما ترى في أصول السكرخي المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وقد ذكرنا قوله وبيننا وأينا فيه في المجلد الخامس وإذا ذكر بعض ما قاله ويراجعه هناك من يريد التفصيل قال:

(الأصل) «أن كل آية تخالف قول أصحابنا فانهما يحمل على النسخ أو على الترجيح والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق» : وذكر مسائل يمكن أن تحمل الآيات فيها أصلاً ويستثنى عن قاعدته مع بقا الحكم كما قال أصحابهم ثم قال :

(الأصل) «أن كل خبر يجي بخلاف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على أنه مارض بمثله ثم صار إلى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتاج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فان قامت دلالة النسخ بحمل عليه وإن قامت الدلالة على غيره صرنا إليه» : ثم ذكر أمثلة تحكم فيها بالنسخ مع عدم العلم بالتاريخ وبالمطابقة والترجيح . وكان يجب أن يجعل الكتاب والسنة هما الأصل ويعرض قول الأصحاب وأدلتهم عليهما فان وافقت وإلا تركت وعمل بالكتاب والسنة

ومن فروع هذا الأصل عند المتقدمين أنهم يحتجون ببعض الحديث على ما يوافق قول أصحابهم ويتركون الاحتجاج ببعضه الآخر إذا خالف قولهم وفي المجلد السادس من المنار ٦٦ شاهداً على ذلك فلتراجع في الأجزاء ١٤ و ١٥ و ١٦ منه ومن راجع كتب الحديث يجد كثيراً من ذلك . وقد استقر رأي أهل التقليد المتأخرين على أن العلماء طبقات أعلاها المجتهد المطلق وهو الذي يأخذ الأحكام من الكتاب والسنة والاجماع والقياس زاد الحنفية والاستحسان وأدناها طبقة الثاقبين عن أهل التصحيح والترجيح في الأحكام المروية في المذهب وهؤلاء يجب عليهم الأخذ بأقوال من فوقهم من غير تقييد بعرفه دليلهم ومحرم عليهم ترك رواية المذهب لما يفهمونه من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة وقد صرح بذلك ابن عابدين وغيره من المؤلفين فان كان المعترض ينكر ذلك ذكرنا له المبررات بنصها وإن كان يعترف به فليخبرنا هل دلت عبارة التفسير على ما هو أكبر منه؟

ثم بعد هذا كله إن كان يتمسك هؤلاء القوم عذراً في هذا فلماذا لا يتمسك المذر

لمن يجعل الكتاب والسنة هما الأصل وهو الموافق لما كان عليه السلف الصالح والائمة المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعين فقد نقل عن الأربعة وعن غيرهم التصريح بحريم تقليدهم وتقليد غيرهم

« إيراد على ترك التقليد »

(س ٢٦) (ومنه): قال ذلك البعض عند قول الأستاذ في الصفحة المذكورة في السؤال الاول: بل نحن نقول أنه يجب على ذي الدين أن ينظر دائماً الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشبه عليه شيء من أحكامه ولا يجوز لأحد الخ يفتر من هذا الصنيع أن مراده ترك التقليد بالكلية والرجوع الى الكتاب والسنة وعدم التعويل على قول أحد من الفقهاء والائمة المجتهدين ونحن نقول الداعي الى ذلك لا يخلو عن مقصد حسن يعود نفعه على الامة أولاً فان كان الاول بأن كان مراده ترك المشاغبات بين المسلمين المؤدية الى تأخيرهم في أمر دينهم ودنياهم فنقول له هل أنت بعد هذا تطلق الحرية للأفكار والآراء في الأخذ من الكتاب والسنة أم تحمل جميع الآراء على اتباع رأي نراه مطابقاً للكتاب والسنة فان قلت بالاول وهو الظاهر من صنيعك فأتانا نخشى أن تعدد المذاهب بتعدد الآراء فان اتفاق جميع الآراء على قول واحد غير معقول وان قلت بالثاني فقد دعوت الى ما اتدبت لأبطاله وان كان الثاني فقد دعا الى ذلك محمد ابن عبد الوهاب النجدي من نحو مائة وخمسين سنة ولم يفسد ذلك شيئاً في عقائدنا مع أننا نعلم قطعاً أن اتباع الائمة الأربعة كانوا على هدى من ربهم متبعين لكتاب الله وسنة رسوله الاما شذ عنهما فطريقه اما القياس واما الاجماع قبل ظهور هذه الدعوة وقبلها دعوة الوهابي والحاصل ياسيدي انه لا يخفى على فضيلتكم بما ذكرنا ان الناس بطرفنا قد اتهموا الأستاذ ومن نقل عنه بأنهم داعون الى اتباع مذهب النجدي وترك المذاهب الأربعة فالمرجو من سيادتكم أن تبينوا لنا مراد الأستاذ بان تحيوا عن الاعتراضات المتقدمة في قول ذلك البعض لينكشف لنا النطأ عن خرافات هؤلاء الاعاجم جزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً

(ج) اما زعم المعارض انه يلزم من تلك العبارة الرجوع الى الكتاب والسنة فهو صحيح وأما قوله « وعدم التعويل على قول أحد من الفقهاء والائمة » فهو

غير صحيح على إطلاقه وإنما المراد عدم تقديم قول فقيه علي قول الله ورسوله ويمكن الجمع بين الاهتمام بالكتاب والسنة والاتقاع في ذلك بكلام الأئمة بأن تظفر في أقوالهم ونعرضها على الكتاب والسنة كما أمرنا ولنستعين بها على فهمهما فما وافق أخذنا به وما خالف ضربنا به عرض الحائط كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه ولا نجعل كلامهم أصلاً نعرض عليه الكتاب والسنة فإن وافقاه والاولئها أوتركتاها ثملاً باحتيال النسخ والأصل عدمه باتفاقهم .

وأما سؤال المترض هل نطلق الحرية للأرأ والأفكار في الأخذ من الكتاب والسنة أم نحملهم على رأي واحد وإيراده على كل واحد من طرفي الترديد ما أورده فائقا نحج عنه بما ليس في حسباننا فنقول : لا شك أن الكلام في المسائل الخلافية وقد كان السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين يطلقون الحرية في المسائل الاجتهادية لكل أحد في المسائل العملية المتعلقة بالشخص لا بالحكومة وكانوا لا يرون ذلك موجبا للخلاف والتفريق ولا للتنازع والتقاطع كما حدث بعد التزام المذاهب والتعصب لها بل كان كل يعذرا الآخر فيما خالفه فيه .

وأما المسائل المتعلقة بالسياسة والقضاء بالأعمال الشخصية كالمباداة فكانوا يدعونها إلى الأحكام الفقهاء القادرين على استباط الأحكام وكان هؤلاء يتشاورون في الأمر ويردون ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله بمرضه على الكتاب والسنة ثم تطبيقه على مصلحة الأمة حتى صار أئمة الجور ثم سلاطين الجهل والبيهي هم الحاكمين . والواجب الآن أن نجتمع كلمة المسلمين على المسائل الاجتماعية ونحيي روح الدين فيهم بهدي الكتاب والسنة ونطلق الحرية لكل مسلم أن يهتدي بالكتاب والسنة بحسب فهمه إن كان من أهل الفهم الذين أعدوا له عدته وأولها معرفة العربية وأساليبها وما قاله علماء السلف وأئمة الخلف ممحماً تمحيصاً وكل ذلك مدون في كتب التفسير والحديث وإن لم يكن من أهل الفهم وعرض له أمر كان عليه أن يسأل من يثق بدينه وعلمه عن قول الله ورسوله في ذلك فيرويه له ويبين له معناه كما يسأل الجاهلون الآن عن فهم علماء عصرهم في كتب مذاهبهم . وأما الأحكام المتعلقة بالسياسة والقضاء ومائر الأمور العامة فالواجب على الأمة أن تعرف الحق الواجب اتباعه فيها لتلزم به

الحكام عند القدرة على ذلك وإنما القدرة بالعلم والاعتقاد . وليس الحق الذي نهض به الأمة أن تفوض به أمرها لرجل واحد ظالماً كان أو جاهلاً يدعي أنه ينتمي إلى مذهب عالم معين يحكمكم به أن شاء فيسمى عادلاً أو يتركه فيعد ظالماً بل الحق أن يكون إمام المسلمين ظالماً بالكتاب والسنة مقيداً باستشارة أولي الأمر وهم أهل الحل والعقد الذين كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستشيرهم ويعمل برأيهم ولو فيها خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد وكما كان الخلفاء الراشدون يستشيرون . ولا محل للتوسع في هذا المقام وقد فصلنا هذه المسائل من قبل تفصيلاً ولعل الماترئ لو اطلع على ما كتبناه من قبل في هذه المسائل لما ضاق صدره بتلك الجملة الوجيزة وطقق يستنيط منها ويسترض على ما يستنيط وسنطالعك على مقالات (محاورات المصلح والمقلد) فقد طبعت على حديثها وهي من التفصيل الذي نثرناه في النار وصادف استحسان العلماء والفضلاء

وأما قوله أنه يعلم قطعاً أن أتباع الأئمة الأربعة كانوا كذا وكذا فنقول فيه أن المتقول عن الأئمة وأصحابهم تحريم التقليد ومنعه ووجوب الأخذ بالكتاب والسنة وتستجد طائفة من هذه النقول عنهم في كتاب محاورات المصلح والمقلد ولكن لم يتبعهم في هذا كل من اتقى إليهم لاسيما في هذه الأزمنة المتأخرة فإن كلام الأئمة الأولين صار مجهولاً حتى للمتقدمين إلى السلم والاستاذ الإمام يسمى في أحياء كتبهم وهو رئيس جمية ألفت لهذا الغرض وأما العوام فأكثرهم لا يعرف الآن من الدين إلا بعض مسائل الخلاف بين المذهب الذي يدعيه والمذهب المنتشر في بلده كالتشريع مذهب المدعى ثم أن أكثرهم لا يعملون إلا بقليل مما يعلمون من مسائل الوفاق والخلاف والماترئ وامثاله لا يخافون من هذا الضياع للدين ولكنهم يخافون من الدعوة إلى الكتاب والسنة والاهتداء بهما بحجة الخوف على المذاهب التي لم يبق منها إلا الجدل فيما بقي من دروس المقلدين الدارسة

وأما اتهام الاستاذ الإمام وغيره بالدعوة إلى مذهب الوهابي فهو من ضيق الباطن وقلة العلم فقد أخذوا المذهبون اسم الوهابي سبحة وصاروا يهدون به الناس والاستاذ الإمام لا يدعو إلا إلى الكتاب والسنة فمن اتبعهما فهو المهتدي عنده وعندنا وإن سمي وهابياً ومن اعرض عنهما

فهم الضال وان سمي سنياً او اشعرياً او حنفياً او شافعياً واما بخلاف من التبد باللقاب من
لا يعرف الله ولا يرجوه بعمله وانما يرجوه من ضاقت له ايام الذين يشتمون كل مخالف لتعاليدهم
التي ليس لهم بها من علم ان هم الا يخرسون

وجملة القول ان من يرغب عن الكتاب والسنة فقد سفه نفسه وكان يرثا من الائمة واد
ادعى اتباعهم فاتهم بحرمة التقليد الاعمى كما ستعرفه تفصيلا من الرسالة التي ترسلها اليك
وارجو ان تكتب اليه اذانية بما يشبهه على المعترض او عليك

(خرافة في سبب تحريم الخمر)

(ص ٢٧) سعيد أفندي قاسم حمود في كتون أوهاو (أمريكا): دار بيني وبين
جامعة من النصارى حديث أنفي ان تحريم الخمر هناك أحدهم لماذا حرمت الخمر
عليكم طائفة الحمدية؟ فأجبه على حسب معرفتي وما كنت أسمع شائعا على السنة الطاء
في سورية قبل هجرتي الى الولايات المتحدة : حرم نجل ذبح الراهب بحيرا : قال و
ذبحه؟ قلت أحد الصحابة الكرام قال واهل تعرف اسمه؟ قلت كلا قال لم يعرف الت
من نحره؟ قلت نعم (امه يريد لا) فقال الملعون في الدين لماذا لم يقتله وكيف يسكر الت
ويؤخذ سيفه من جنبه ولا ينبأ بذلك؟ فضاقت ذريعي ولما كان للاسلام في مشارق الارض
ومغاربها صوي ومنار كنار الطريق أتيتكم في عريضي هذه كي تفيدونا ما سبب تحريم
الخمر ومن قتل الراهب بحيرا ولكم الاجر والثواب من العزيز الوهاب

(ج) بعد ان أرسلتم هذا السؤال وصل اليكم الجزء الخامس من المنار الذي فيه
تفسير يسألونك عن الخمر والميسر فعلمتم سبب تحريم الخمر وانه كان بالتدريج فله
يكن تأخير الجواب عن هذه الخرافة النصرانية ضائرا بعد ما علمتم الحق ومن لوازمه
زهوق الباطل واما حكاية قتل الراهب بحيرا فهي من أكاذيب الرهبان وقد سمعنا
لاول مرة من أحد رهبان دير قزحيا في لبنان طرقتا في ليلة شامية وكناني سامرنا
(حجرة السهر) بالقلمون فأكرمنا مشوا واجتمع عليه الصبية وكنت منهم فقص علينا قصة
الراهب بحيرا ووصف من حب النبي صلى الله عليه وسلم له واصطحابه اياه وتحريمه الخمر
لأجله والقصة في ذلك ان بعض الصحابة اشعروا بالراهب وخافوا غضب النبي صلى
قاتله اذا هو عرفه فكادوا له حتى سكروا مع النبي (حاشاء من ذلك فانه لم يشرب الخمر قط)

ذات ليلة فأخذ أحد المؤمنين سيف النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو نائم مستغرق وقتل به الراهب وأعادته إلى غمده فلما استيقظوا غضب النبي غضباً شديداً أن رأى حبيه الراهب مقتولا وسأل من قتله؟ قالوا من كان سيفه ملطخاً بالدم فهو قاتله فاستلوا سيوفهم فاعتقد النبي (ص) أنه هو القاتل في حال السكر (حاشا لله) فحرم الحرم لأجل ذلك وكان غرض الراهب من ذلك أن يبين لنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يحب الرهبان ويحفظهم وقد كان من آمن أجاب الراهب بأن القصة كاذبة لأصل لها وما كنا نظن أنها شائعة وإن من عامة المسلمين من يصدقها. ولهم أكاذيب أخرى في هذا الراهب المغمول لا يعرف لها أصل غير اختراع تخيلاتهم حتى زعم بعضهم أنه هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم الدين والتشريعة. والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الراهب بحيرا غير مرة واحدة في الشام وكان عليه السلام ابن تسع سنين وبيان ذلك مفصل في المجلد السادس من المنار (راجع ص ٣٩٤ منه) وحكى بعض المؤرخين من النصارى أن بحيرا قتله اليهود والصحيح أنه لا يعرف له تاريخ ولم يكن له شأن وإنما اهتم النصارى بالكلام عنه بعد أن رأوا في كتب المسلمين أنه بشر بنبوة محمد عليه السلام عند ما رآه مع عمه بالشام فحولوا الأمر إلى ما علمت

(ترجمة النبي (ص) في أوراق البردي)

(س ٢٨) محمد أفندي كامل الكاتب بمحكمة (أسيوط) الأهلية: اطلعت بجريدة مصر في العدد ٣٨٠٤ الصادر يوم الأربعاء ٧ يونيو سنة ١٩٠٥ ضمن الحوادث المحلية على الفقرة الآتية نصها بالحرف الواحد

«تقديماً بناء ألمانيا الأخيرة أن رئيس غرفة التجارة في مدينة هيلبرج أعطى مكتبة المدرسة الجامعة هناك مجموعة من أوراق البردي مكتوبة باللغة العربية وتحتوي هذه المجموعة على ألف ورقة خطيرة جداً يرجع بعضها إلى السنين الأولى من الهجرة وكثير من هذه الأوراق يسفر عن أمور جديدة في تاريخ سيادة الإسلام على مصر ولكن الأهم من كل ذلك هو العثور على ترجمة حياة النبي (ص) ويقال أنها ترجمة غريبة جداً وأن فيها سرا جديداً يجلو شيئاً من أسرار التاريخ الغامضة» اهـ

ولما كان ذلك يهم العالم الإسلامي معرفته والمطلع على هذه الفقرة يستتج أمرين

الحنفي كالألفية في النحو فوجدت منظومات كثيرة منها ما هو أربعة آلاف بيت ومنها ما هو سبعة آلاف بيت وما بين ذلك فاستغنت الله ولخصت المذهب في ألفي بيت وسميتها كذا وقد طبعها بهدآن قرظها الشيخ محمد راضي والشيخ محمد نجيت والشيخ محمد عمري وتباع النسخة بقرشين في مصر بمكتبة الشيخ أحمد المليجي قرياً من الأزهر وبمكتبة درويش سليمان بالسيدة زينب الخ وهالك فوجدت من الأرجوزة من أول كتاب الصلاة

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| فرض على مكلف وتطلب | من ابن سبع وابن عشر يضرب |
| تاركها تكاسلا يندر | بجيبه وجهدا مكفر |
| والصلوات فرضت في خمس | فصل ركعتين قبل الشمس |
| وأربع العشا وظهر عصر | ثم ثلاثاً مغرباً كالوتر |
| فالظهر من زوالها حتى تری | ظلك مثليتك بمثل قدرها |
| والتي لا يحسب عند القيس | ظل يرى عند وقوف الشمس |
| والعصر منه للغروب في الأفق | ومغرب منه إلى غيب الشفق |
| ثم العشا فالوتر لانفلاق | والصبح بين الفجر والاشراق |
| ولم تجز صلاة فرض أو وجوب | عند شروق واستواء وغروب |

وقد وصف الشيخ محمداً رضي نظامها بالسهولة في المباشرة والبرقة في الإشارة:
ووصفه الشيخ نجيت برقة المباشرة ودقة الإشارة

العقل والدين

ه قصة أدبية تاريخية موضوعها حياة موسى المشرع الأسرائيلي العظيم وتحرير
البرانيين من عبودية المصريين وتأسيس المملكة الأسرائيلية والشريعة الموسوية
ومصادرها مؤلفها رفول أفندي سعادة صاحب مقالات سوريا والإسلام التي لم يفس
القرأ ودنا عليها في السنة الماضية . حاول المؤلف في هذه القصة إقناع القارئ بأن
موسى عليه السلام قد اخترع الشريعة التي جاء بها اختراعاً اعتمد فيه على ما اقتبسه من
الشريعة والديانة المصرية التي تلقاها من أعظم الكهنة المصريين وأعلمهم . وأنا نقول
إذا جاز للإنسان أن يبتدع قصة يمزج فيها أقوالاً وأعمالاً إلى أناس مجهولين لأجل العبرة

والموعظة أو الفكاهة والتسلية فلا يجوز أن يمزو مثل هذا إلى الأنبياء وأهل الشرائع والأديان لأجل زلزلة الاعتقاد بهم أو إزالته . وقد كنا ننسنا مما كتبه واضح القصة في الإسلام أنه لا يؤمن بدين من الأديان فحققت لنا هذه القصة ما كنا قد استبطنناه من كلامه المخترع في الإسلام . ولست أعرف ما يقصد إليه المؤلف بكلامه في إبطال الأديان ومحاولة إقناع الناس بأنها وضعية مختلفة ، أيظن أن ترك الدين يرقى البشر في آدابهم وأخلاقهم التي هي منبع سعادتهم وهناك معيشتهم أم يتبغي بما يكتب الشهرة والانتظام في سلك ملاحدة الفلاسفة ؟

أكثر البشر يؤمنون بالدين ومنهم العلماء والفلاسفة وقدارتاب كثيرون في دينهم لأنهم وجدوا فيه ما لا يمكن التصديق به سواء كان منه أو مما ألحق به الرؤساء المتبعون حق تسدو الفصل بين الأصل والدخيل ولكن أغلب هؤلاء المرتابين لم ينكروا فائدة الدين الذي أنكروه ولم يستحلوا تشكيك العامة فيه . وقد قال أحد الفلاسفة الأوربيين المتأخرين قبل موته إن هذا الشيء الذي يسمونه ديناً نافع للبشر وليس غدي من الدلائل العلمية ما يثبت ولا ما ينفي والأولى للناس أن يثبتوا عليه

إذا أمكن أن يتربى أفراد من الأمة على الفضائل بالعمل وحسن القدوة من غير تلقين للدين بحيث ينشؤون على حب الخير واجتناب الشر فلا يمكن أن تتربى الأمة كلها أو أكثرها على ذلك وأما الدين فيصح أن يكون وازعاً عن الشر وباعثاً على الخير لجميع الناس إذا عرفوه بروحه وجوهره وأزاحوا عنه غوائلي التقاليد التي غشيت وعلموا أنه سار على سنة الارتقاء كسائر الشؤون البشرية فاتبعوا فيه الهداية الأخيرة التي جاء بها خاتم النبيين والأول كان نافعاً للعامة دون الخاصة فهو على كل حال نافع للناس فالجهاد لإبطاله بالمرّة جناية عظيمة لا تأتي إلا عن هوى ضار

يقول رفول أفندي سعادة وأمثاله ممن صرّقوا من الدين ثم انبروا لتماصكه أن للدين مضرّات مشهورة في إفساد عقول الناس بالخرافات وحملهم على عداوة العقل والعلم النافع : ويقول عليكم بمحاربة الخرافات والأوهام ومناهضة أهلها من الأخبار والقسيسين وتربية الأولاد على الاستقلال ودعوا الأنبياء وأصول تعاليمهم النافعة أن كنتم تحبون أن تهيدوا الناس والأفانم للشهرة الضارة تطلبون

(كلم القرآن)

وضع العلماء كتباً كثيرة في تفسير الفاظ القرآن العربية منها المطول والمختصر ومنها المنظوم وغير المنظوم وقد انبرى في هذه الايام محمود أفندي شكري كاتب الدر في مديرية المنيا لوضع كتاب في ذلك امتاز على غيره بوضع كلم القرآن على حديثها مفصلاً بينها وبين تفسيرها بخط عمودي ورتبه على ترتيب السور واعتمد في تفسير الالفاظ على كتب اللغة غالباً وقد طبع الكتاب في مطبعة المنار طبعاً جميلاً بلغت صفحاته ١٩٢ وهو يطلب من مؤلفه في المنيا

(الفصول البديعة في أصول الشريعة)

كتاب جديد وضعه محمود أفندي عمر الباجوري لخص فيه كتاب جمع الجوامع المشهور وضم الى ذلك فوائد أخرى فالفصل الأول في المقيدة وهي جمل وجبيرة على الطريقة النظرية التي جرى عليها المتكلمون والفصل الثاني في مقدمات أصول الفقه وسائر الفصول الى التاسع في مباحث الأصول والفصل العاشر في اصول ومسائل ادوية وفلسفية وصفحات الكتاب تاهز المئة وثمة اربعة قروش وامله يكون مرغياً للتخرجين بالمدارس المصرية في النظر في علوم الاصول الاسلامية لاجل الوقوف على تفصيل ما اجمله هذا المتن الوجيز.

(الدروس الابتدائية في المبادئ الجغرافية)

كتاب يذل اسمه على مسماه اودعه مؤلفه سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ما يتعلمه تلاميذ المدارس الابتدائية في السنة الاولى حسب قانون المعارف وقد راج هذا الكتاب في المدارس الاهلية لسهولة وحسن وضعه فأطاد المؤلف طبعه في هذا العام وزينه بالرسوم التي تشوق التلميذ وتمين الاستاذ على التعليم

(هداية الطلاب إلى حل مسائل الحساب)

عن بوضع هذا الكتاب عبد المزين افندي وعلي افندي صبيحي المستخدم في دار الكتب المصرية (الكتبخانه الخديوية) وقد طبع الجزء التحضيري منه وهو يشتمل على مسائل محلولة وغيرها وقوانين عمومية لتلاميذ السنة الاولى والثانية من المدارس الابتدائية حسب آخر بر وجرام قررته نظارة المعارف العمومية وسيتلوه الجزء الثاني لتلاميذ السنتين الثالثة والرابعة ولا شك ان هذا الكتاب يبين التلاميذ على اتقان الحساب بالسهولة فتحتم على مطالعته وهو يطلب من مؤلفه وثمن النسخة منه ١٥ ملماً

بازاء الحكيم الملك

سبحان انطفاء فتنة نجد واستقرار الامر في آل سعود رحمه

قد علم القراء عما قصصنا عليهم من قبل أن ابن رشيد الذي كان متغلباً على بلاد نجد جار وظلم معتمداً على أن الدولة تؤيده وتصره بما كان يوجهها من أن آل سعود الوهابية يريدون محو سلطتها من بلاد العرب وهو الذي يؤيد نفوذها وكان هو وانصاره يستمنون على ذلك بعض رجال الحكومة في البصرة والشام والحجاز وبعض الجرائد المصرية التي توصفه بإسلامية فقد حاول هؤلاء الانصار إقناع الاستانة أو يلهز بأن آل سعود متفقون مع الأجانب على عليكم بلاد نجد وما كانوا ينطقون ولا يكتبون إلا بأجرة عظيمة يأخذونها من بعض كبار التجار الأغنياء المشايخين لا بن رشيد فكانوا يوقعون الفتنة بين المسلمين ويقتسمون دولتهم وسلطانهم حباً في منفعة أنفسهم . ولما تمكن أهل البصرة والنجدة من امراء العرب وغيرهم من إقناع الدولة العلية بخضوع آل سعود لها وبعدهم عن الفتن والاستظهار بالأجانب لشدة تمسكهم بدينهم عمدت الدولة الى التحقيق فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا الى نجد ليدعوا أهل البلاد النجدية ورؤساء القبائل الى الطاعة ويتبين هل هناك جنود اجنبية كما زعم الواشون فأجيبته دعوته وعلم ان آل سعود هم المخلصون الصادقون وان ابن الرشيد وانصاره هم الفاشون المخادعون

فخصر سلطة ابن رشيد في بلده وعشيرته وجعل عبد الرحمن الفيصل أمير سائر بلاد نجد وقاتلها فاستراحت الدولة بذلك من الدسائس والمفاسد التي كانت تسري الى بلاد نجد من مصر وغيرها فالشيخ عبد الرحمن الفيصل وولده عبد العزيز آل سعود لا يعرفان غير بلادهم وسلطانهم ولا علاقة لهم بمصر ولا غيرها ولا يبالون بعث العابثين ولا بدسائس المفسدين . ولما نشر هنا ما جاءنا من بلاد العرب من صور الرسائل التي أرسلها المشير أحمد فيضي باشا الى أهل نجد المهجين والى الاستانة وولاية البصرة لان هذه رسائل رسمية قاطعة لاسنة الفسدة من أصحاب الجرائد الكاذبة في مصر وغيرهم

كتاب المشير أحمد فيضي باشا الى عنيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الواحد مستوجب الشكر والحمد ، مالك الامر من قبل ومن بعد ،
والصلاة والسلام على نبينا الذي أرسله بالهدى ودين الحق ، وعلى آله وأصحابه وأولياء
الخلق ، وبعد فان خليفة الله في الآفاق ، الثابت البية في الاعناق ، مصباح مشكاة
الخلافة ، مفتاح باب الرحمة والرأفة ، ولي الامر بالنصوص على طاعته بلسان الذكر
الحكم ، سلطان البرين والبحرين عنوان الشرف والاقدام ، أمير المؤمنين ، حامي حوزة
الدين ، إمام الاسلام والمسلمين ، مظهر العدل والإحسان ، مصدر اللطف والامتنان ،
حضرة السلطان بن السلطان ، والحقاق بن الحقاق ، مولانا الغازي عبد الحميد خان ،
قوى الله شوكته ، وفسح كما تهوى الشريعة مملكته ، أمرنا بالسير اليكم مع جنوده
الشاهانية المنصورة لاصلاح أحوالكم وبلادكم فامتثلنا أمره ، وعملنا ارادته العالمة
(كذا) فارتحلنا وجئناكم كما أمر دامت ذاته المقدسة سعيًا نسير فيكم بسيرة الحسنه
صونًا لكم ورعيًا ونبت الانصاف حسبما يريد فيكم ، ونفسي عما تعلق من وقائعكم
ومنازلكم ، ونعفو كما من شأنه العفو عن الكثير ورفع اعلام الاصلاح بين شمو بكم
وقبائلكم ، ونوصل وسائلكم لباب النجاح على حسب منازلكم ، ولا تحسبوا عدتنا
لاراقة دم ، ومؤاخذه بما مضى وتقدم ، فارقدوا أمنا ، وأطيعوا أولي الامر منا ،
وتدبروا « إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها » وسابقوا لمرضاة ، وتقربوا
من الطافه ، أيها المسلمون ، « السابقون السابقون أولئك المقربون » انا لا نقضي فيكم
بسوى الكتاب والسنة ، ولا نولي أعمالكم من تشب به نار الفتنة ، بل نولي عليكم
من تحمدون ولايته ، وتقبلون بأحكام روايته ، فادخلوا تحت رواق صفح الملك فصفوه
ممدود السراشق ، وولوا ركنه الشديد واستظلوا بطود حلمه الشاهق ، واستقبلوا الإنعامه
والمنى ، واعتصموا بعروته الوثقى « وذرُوا ظاهِر الأثم وباطنه ان الدين يكسبون الأثم
سيجزون بما كانوا يفترون » ولا تتبعوا المجرمين لمكروا فيكم « وما يمكرون الا
بأنفسهم وما يشعرون » عجّلوا بالجواب الصواب ، وأرسلوا من تعتمدون عليهم لاجل
المواجهه والاستقبال ، ولهم منا الرأي وأمان الله فلا يحصل عليهم سوء ولا مكروه ،
فاضمدوا وبالله الاعتماد ، والسلام على من سبح في كفه الجواد ، والسلام

(الامضاء)

في ٣٠ المحرم سنة ١٣٧٣

وكتب المشير مثل هذا الكتاب لبريدة وذلك بعد أن فتح المعاهد التي زعم ابن رشيد أن فيها عسكرياً من الأجناب وكان مقامه حينئذ في (القواره) على مسافة يوم ونصف من عنزة ويوم بل بعض يوم من بريدة وكتب امضاءه مأموراً بصلاحات القصيم مشيراً وقد جاءه الجواب ناطقاً بأنهم لم يكونوا طاهرين للدولة فيطيعوا الآن بل هم طائعون من قبل ومن بعد ولكن الدولة إليستهم ثوب العصيان بزور ابن رشيد وأرسل كل أمير معتمداً من قبله لمواجهة الوالي وكشف الحقائق فأكرمهم وخلع عليهم ولما رأى ما يحلون من خطوط الأصرار شد رحله ونزل بريدة فواجهه أمير البلد صالح بن حسن المهناء فكساه وطاعده وأقره على بلاده وترك عنده خمسين جندياً ولوا عنياً ثم رحل إلى عنزة فواجهه الأمير عبدالعزيز العبدالله السليم فلقى منه ما لقي ابن مهنا من اللطف والاکرام وكان كتب إلى عنزة الكتاب الآتي جواباً عن كتابهم إليه

(الكتاب الثاني من المشير إلى أهل عنزة)

إلى كافة أكابر وأصاغر أهل عنزة : الحمد لله ولي الأحرار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعث الله رحمة للأكرام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد وصل إلينا معتمدكم عبدالله بن محمد القاضي وصحبه المضبطة المحررة من طرفكم وعرض طاعتكم وانقيادكم لأوامر حضرة أمير المؤمنين فصرنا نحن ندين لذلك ، وحدثنا الله على ما هنالك ، ثم نحن يناله مقصودنا ، وعرفناه كما كتبنا لكم سابقاً مطلوبنا ، وهو سيصل إليكم ، ويكشف الحال لديكم ، وطالبنا معتمدكم المشار إليه لكم الأمان والمقور عما سلف وعدم تولية ابن رشيد عليكم فلكم أمان الله وقد عفونا عما سلف ولا نولي ابن رشيد عليكم ولا نحكم بغير أحكام الشريعة ليصير معلومكم والسلام ،

٤ صفر سنة ١٣٢٣ (الامضاء)

وقد أطاع المشير أمراء نجد على ترجمة ما أرسله إلى الأستانة وإلى ولاية البصرة في ذلك وهو كما جاءنا من البلاد العربية

(ترجمة رسالة البرقية التي أرسلها المشير إلى باشكاتب الماين الهمايوني)

بمقتضى تعليمات حضرة خليفة رسول من خصوص أهالي القصيم قد عفا الله عما سلف منهم أو قد أطاعوا واقادوا لأوامر الدولة العلية والجميع لازموا الدعوات

بزيادة ودوام عروشوك سلطانتا المظلم فبناء على هذا فالذين كانوا بالبصرة وأعزموأ
الى استانبول محمد الشيلي ومحمد وعبدالله الشيلي قد استرحم أقرباؤهم الذين ساكنين
في غيرة المستظهرين للعفو العمومي ان يشملهم هذا العفو فاعفوا عن الموصي اليهم
واعيدوهم الى البصرة وبشروهم بالعفو كي يوجب المسرووية وهذا المسترحم منكم،
(الامضاء)

وقد كتب رسائل أخرى الى والي البصرة وقومندان موقها العسكري بالعفو
عن أهالي القصيم والامر باطلاق المحبوسين ومساعدة المتجبرين وهذه ترجمتهم لها
- ترجمة الرسالة الاولى -

الى قومندان البصرة صاحب السعادة حضرة الافندي
من جملة أهالي القصيم آل الشيلي وسائرهم حيث استفادوا من العفو العمومي
فلبداوموا على أمور تجارتهم وقضاء مصالحهم ومن سكنة ولاية البصرة سليمان الشيلي
وأولاده وأعوانه فلا يتعرض لهم أحد بسوء ومن طرئكم أيضاً ابذلوا لهم التأمين
ولا تخلون أحدا (اي لاتدعوا احدا) من أتباع ووكلاء ابن رشيد يتعرضهم بسوء من
سبب المادة السابقة ولاجل البيان حرر هذا الامر
(التوقيع)

(ترجمة الرسالة الثانية)

الشيلي محمد سليمان بحسب وصول الصاكر الشاهانية الى القصيم ابرز من حسن
الخدمة في طرفنا والده الذي في البصرة ووكلاؤه في دائرة الاصول أجروا في حقهم
رعاية مخصوصة وأشغالهم الذي تقع في الحكومة تأمرون بنائيتكم بترويجها (التوقيع)
(المنار) هذا ما كتب الينا من البلاد العربية بنصه وقد سرتنا أن الدولة وفقها الله
أرسلت الى نجد هذا الرجل الذي سلك مسلك الحكمة وحفظ كرامة الدولة وحقن
دماء المسلمين وأنام الفتنة التي كان أيقظها ابن رشيد وهذا ما كنا أشربنا به وتمنيناه
وليتها وفقت لمثل ذلك في اليمن قبل استفحال الفتنة واشتعال نيران الثورة ، ولكنها
لم ترسل الى اليمن الا أهل السلب والنهب المخرورين بقوة الدولة على رعيها وان
الولد الذي يربي بالقسوة والظلم لا ينشأ الا طاقا ينتظر الفرصة للانتقام من حريته
فليت عمال الدولة القساة في شوريا وغيرهم يفهمون هذه القاعدة الطبيعية

مسحور لائحة المساجد وما انتقد منها

واضع هذه اللائحة ومقترح إصلاح المساجد معروف وهو الاستاذ الامام فانه بعد ان صار عضواً في مجلس الاوقاف الاعلى واشرف على احوال هذه المصلحة الاسلامية العظيمة رأى ان غلات الاوقاف تزيد عاماً بعد عام وان مرتبات المستخدمين في هذه المصلحة عظيمة تضاهي نفقات مصالح الحكومة ورأى من ناحية ثانية ان المساجد التي أوقفت عليها الاوقاف العظيمة مهجلة والمستخدمين فيها من الائمة والخطباء ممن دونهم لا يرضخ لهم الا باقليل جزاء على خدمتهم فمنهم من راتبه خمسون قرشاً في الشهر ومنهم من يهبط اقل من ذلك والامام أو الخطيب الذي يرتقي راتبه إلى مئة قرش أو يزيد قليلاً بعد من ذوى الطبقة العليا . ورأى هذا المصالح ابداءه بروح منه ان أكثر المستخدمين في المساجد لا يتقربون على أداء وظائفهم على وجهها وان استبدال القاديين بالمحجرين متفرد مع قلة الرواتب اذ ينبغي أن يكون الامام والخطيب من أهل العلم والخدم منقطاً للخدمة قادراً عليها ولا يكون هذا مع قلة المرتبات أحوال هذا المصلح الفير قداح الفكر في هذه المسألة فرأى ان السعي في إصلاح حال المساجد يستتبع إصلاحاً آخر وهو خدمة العلم والاعانة عليه بإيجاد مورد جديد لرزق أهل الأزهر يرغب الناس في طلب العلم ذلك ان أول ما يهم الانسان في هذه الحياة الدنيا أمر رزقه ويرى الناظر في تقلب الزمان أن الاقوات تغلو في هذا البلد حتى ان عن أكثر الاشياء قد تضاعف في زمن قليل فاذا استمرت هذه الحال في مصر كان للمقام فيها عسيراً على غير المومنين وقلت الرغبة في طلب العلم بالأزهر . هذا ما بحث المصالح على البحث عن احوال المساجد والمستخدمين فيها ووضع تلك اللائحة التي اشتهر أمرها . وإني أثبت هنا نص لائحتي التي وافق المجلس الاعلى على تنفيذها بعد البحث والتعديل ثم أوقفت بأمر الامير في العام الماضي وتبناها بما أخدمنا وصدر الأمر في هذا العام بتنفيذه وهو

مسحور اللائحة الاولى

(المادة الاولى) ان هذا الترتيب لا يترتب عليه رتبة احد من وظائفه الا بوفائه او وقوع امر يستوجب رفته حسب الجاري كانه لا يقتضي الاخلال بشي من اختصاصاته المالية

باب الأول في ترتيب الخدمة

(المادة الثانية) توحد الإمامة في جميع المساجد ماعدا الجامع الأزهر والمساجد التي فيها عدة أماكن يمكن اعتبار كل منها مسجداً مستقلاً ويجب في هذه الحالة أن يؤدي الصلاة أحد الأئمة بعد الآخر ولا يجتمع إمامان للصلاة في آن واحد إلا إذا اختلفت الأماكن بحيث لا يشوش أحدهما على الآخر ومع ذلك تعدد الأئمة لا يستلزم تعدد الأئمة بل لا يكون ذلك إلا للضرورة

الإمام هو رئيس المسجد في جميع شؤون ماعدا المساجد التي فيها دروس منتظمة مثل الأزهر وما يلحق به مما يكون له شيخ خاص يديره من حيث هو مدرسة

(المادة الثالثة) يقوم الإمام بوظيفة الخطبة والمساجد التي تعدد فيها الأئمة وهي المذكورة في المادة الثانية يقوم بالخطبة أوفر الأئمة راتباً فإن تساوا في الراتب قدم أقدمهم في وظيفة الإمامة

(المادة الرابعة) توحد وظيفة المؤذنين في كل مسجد إلا عند تعدد المآذن فيكون لكل مأذنة مؤذن واحد لجميع الأوقات

(المادة الخامسة) يبين ملاحظ في المساجد التي يري لزوم وجود ملاحظ فيها وهذا الملاحظ يكون رئيس الخدمة وعليه القيام بمراقبتهم في جميع أعمالهم تحت رئاسة إمام المسجد

(المادة السادسة) أعمال الميقاتية تضاف إلى المؤذنين

(المادة السابعة) يضاف عمل المبلغين إلى المؤذنين وفي مساجد القسم الرابع التي لا منارة فيها تكون قراءة السورة على المؤذن

(المادة الثامنة) العمل الذي يؤديه الآن المرقى والمستقبل بموضع بما يعبر عنه

شروعاً بالأذان الثاني ويحول على المؤذنين

(المادة التاسعة) تالي القرآن في المسجد يعطى ما يرتب له على سبيل الصلة

(المادة العاشرة) ملاحظو المساجد هم عهدتها ويستثنى من ذلك بعض المساجد

التي لها خزنة مخصوصون في جدول الترتيب ويدخل في وظائف الملاحظين ما كان للتقريب

(المادة الحادية عشرة) يدخل تحت لفظ الخدمة أرباب الوظائف الآتية ولا يقيدون

بتسمية - الفراضون والوقادون والملاؤون والسقاؤون والبوابون والسعاة
وخدمة الأسبلة في المساجد وما أشبه ذلك

(المادة الثانية عشرة) الوظائف الآتية لأعلاقة لها بترتيب الخدمة وليس النظر
فيها من عمل المجلس الآن - خدمة الأسبلة المستقلة عن المساجد والفقهاء والدلايلية
والساعاتية ومعهده والسواقى وخفراء القبور والقرية والخدمة المختصون
بالأضرحة من جهة كونها أضرحة بأنواعهم وشيوخ البيعة وقراء الرجة وكتبه الذبور
(المادة الثالثة عشرة) وظيفة المبخر والبخورجي تكون من أعمال أحد الخدمة
والمبالغ المرتبة لها تكون من ضمن مرتبه

(المادة الرابعة عشرة) وظيفة الداعي «الدعجي» لا تكون مستقلة وإنما تضاف الى
عمل أحد موظفي المسجد ومرتبتها بحسب في مرتبه

﴿ الباب الثاني في المرتبات ﴾

(المادة الخامسة عشرة) أئمة الجوامع بجميع أنحاء القطر يحملون أربع درجات
الاولى بشمالية جنبيات والثانية بخمسة والثالثة بأربعة والرابعة بثلاثة
الملاحظون يكونون بجنبيين

الخزنة يكونون كذلك بجنبيين

المؤذنون ينقسمون الى أربع درجات الاولى ١٥٠ قرشاً لمصر والاسكندرية
والثانية ١٢٥ قرشاً لعواصم المديرية ومحافظات بور سعيد ودمياط والسويس
والثالثة ١٠٠ قرش لعواصم المراكز والبلاد التي عدد سكانها عشرة آلاف نسمة فما
فوق وان لم تكن عواصم مراكز والرابعة ٧٥ قرشاً لبقية القرى

سائر الخدمة يكونون كالمؤذنين ما عدا المستثنى مثل خدمة الجامع الأزهر ونحوه

قراء القرآن في الجوامع يكونون أربع درجات الاولى ٥٠ قرشاً والثالثة ٤٠

قرشاً والثالثة ٣٠ قرشاً والرابعة ٢٠ قرشاً على حسب درجات الجوامع

﴿ الباب الثالث في شروط التوظيف ﴾

(المادة السادسة عشرة) الإمام يشترط فيه أن يكون عالماً حائزاً لشهادة العالمية

فإن لم يوجد مرشح حائز لشهادة العالمية يكتب بشهادة الاهلية فإن لم يوجد أيضاً

مرشح حائز لشهادة الأهلية ينتخب اللائق بالامتحان على حسب القواعد المتبعة الآن
(المادة السابعة عشرة) الملاحظون يشترط فيهم أن يكونوا أقوياء البنية ويفضل

أولاً من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن ثم من يقرأ ويكتب فقط

(المادة الثامنة عشرة) الحازن يشترط فيه أن يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

(المادة التاسعة عشرة) المؤذنون يشترط فيهم مثل الملاحظين ولا يمنع فقد البصر

من التوظيف بوظيفة المؤذنين

(المادة العشرون) يشترط في الخدمة أن يكونوا مسلمي البنية وأوجه التفضل

تسري عليهم وهي المذكورة في الملاحظين

﴿ أحكام عمومية ﴾

(المادة الحادية والعشرون) عدد الموظفين ومرتباتهم في كل مسجد يكون على

حسب الجدول الذي قرره المجلس وأرنق بهذا

(المادة الثانية والعشرون) إذا وجد في شروط الواقفين زيادة في عدد الموظفين

عما هو وارد في الجدول فيعطى للزائد ما هو مقرره بشرط الواقف فقط كذلك إذا

وجد في شروط الواقفين زيادة في مرتبة اية وظيفة عما هو وارد في الجدول فيعطى

الزيادة بحسب شرط الواقف

﴿ باب توزيع الملاوات ﴾

(المادة الثالثة والعشرون) يلاحظ في اعطاء الملاوات على حسب الترتيب الجديد

في كل مسجد أن لا يتجاوز مجموعها مع ما هو جار صرفه الآن مجموع ما يخصه على

حسب هذا الترتيب

يبدأ في التوزيع لكل وظيفة على الوجه الآتي

أولاً الأئمة الحائزون لدرجة العالمية أو الشهادة الأهلية أو الذين يحصلون على

أحدى هاتين الشهادتين بعد الآن

ثانياً من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن من الملاحظين والمؤذنين والخدمة ثم من

يقرأ ويكتب فقط منهم

ثالثاً الحازن الذي يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

وحيث أن مبلغ الاحد عشر ألف جنيه لم يكن مقروا فقط لمساجد القاهرة بل
 لمساجد عموم القطر فيشترط أن لا يزيد مجموع هذه الملاوات هذه السنة في مدينة
 القاهرة عن سبعة آلاف جنيه فازداد يقطع من كل وظيفة بنسبة الناقص
 اذا بقي شيء من مبلغ سبعة الاف جنيه بعد التوزيع على الوجه المشروح فيما
 سبق فهذا الباقي يوزع على من يتلوهم عن هم عائلون لشروط هذا الترتيب
 ومع ذلك اذا خلت في مسجد وظيفة زائدة عن المقر في هذا الترتيب يوزع
 مرتبها لتكملة مرتبات موظفي ذلك المسجد الذين تنطبق عليهم قواعد هذا الترتيب
 من جهة المرد المرتب وشروط التوظيف

(المنار) قد تركنا الجدول الملحق بهذه اللائحة لبيان المستخدمين والمرتبات لهم على
 حسب الترتيب الجديد لانه لم يعمل به وانما العمل بالجدول الملحق بالمذكرة الآتية المبينة على
 اللائحة الاولى ولكنها دونها في الفائدة والاصلاح وهي

مذكرة

(صرفوعة الى مجلس الاوقاف الاعلى)

يعلم حضرات اعضاء المجلس حالة خدمة المساجد وفقرهم وقلة المرتبات المقررة
 لهم مقابل خدمة هذه المحلات الطاهرة وقد ترتب على اهتمام الديوان بشدة المراقبة في
 نظافة المساجد وترتيب اثارها وأدواتها ان صار أولئك الخدمة مسؤولين عن أعمال
 كثيرة وبما كانت سبباً للتضييق عليهم عن السعي في الكسب والارتزاق من الخارج
 وقد كثرت شكاويهم لجانب الجهة السنية والديوان وعلى لسان الجرائد الأهلية من عدم
 كفاية مرتباتهم خصوصاً مع غلاء الاسعار في الوقت الحاضر والتمسوا بزيادة مساعدتهم
 في معاشهم وبالبحت في مرتبات هؤلاء الخدمة تبين انه عددهم في مساجد مصر
 وبولاق بلغ ١٦٢٧ منهم ١٣٦٠ رواتبهم تخفض بين الحسين والحمة وسبعين قرناً
 فأقل وهذه ماهية لا تنفع فرداً واحداً في أمور معيشته فكيف بهم وهم ذوو عائلات

وحيث ان ميزانية الديوان وارد فيها مبلغ احدى عشر ألف جنيه لزيادة ماهايات خدمة
 المساجد ومخصص منه مبلغ سبعة آلاف جنيه لتوزيعه على مساجد مصر على الطريقة
 المذكورة في قرار المجلس الصادر بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ عن ترتيب المساجد

وحيث أن هذا الترتيب صدر لنا أمر عال بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٥٤ بإيقاف تنفيذ الحينما ينظر فيه بطرف جناب ولي النعم الأنعم

وحيث أن ترك هؤلاء الخدمة بتلك المرتبات القليلة وهم يصيرون ويستقشون مما لا يليق بمصلحة خيرية تجود بالكثير من أموالها في وجوه البر والخير وعلى الفقراء والمساكين وأجدر بها أن تفيض بشيء على من يقومون شعائر الدين ويقومون بخدمة تلك الحال الطاهرة

فبناء على كل ذلك رأينا أن نضع مشروعا لعللوة تلك المرتبات حتى إذا وافق عليه المجلس انفذ وارتفع الضرر نوعا عن أولئك المساكين وهامهم

﴿ الأئمة والخطباء ﴾

حيث أن الأئمة والخطباء بالمساجد تختلف حالتهم بعضهم عن بعض فقد رؤي تقسيم مرتباتهم إلى ثلاث درجات

الأولى الأئمة والخطباء الحائزون لدرجة العالمية وماهية كل منهم أقل من جنيدين ونصف شهرياً تكمل إلى هذا القدر بشرط أن الموجود منهم ولم يكن مكلماً بأعطاء دروس لتسليم الموام يكاف به مثل غيره لا تتفاد العامة بالأدور الدينية الثانية الأئمة والخطباء الحائزون لشهادة الأهلية وماهية كل منهم أقل من جنية وخمسة مليم شهرياً تكمل إلى هذا القدر بالشروط المتقدم ذكره

الثالثة الأئمة والخطباء الغير الحائزين لدرجة العالمية ولا لشهادة الأهلية وماهية كل منهم أقل من جنية واحد شهرياً تكمل إلى هذا القدر

(المدرسون) المدرسون الموجودون في بعض المساجد من كان منهم ماهية أقل من جنيدين اثنين ونصف شهرياً تكمل إلى هذا القدر

(مشايخ الخدمة) هؤلاء من كان منهم مرتبة أقل من جنية ونصف يكمل إلى هذا القدر (المؤذنون) من كان منهم ماهية أقل من سبعمائة وخمسين مليماً شهرياً تكمل إلى هذا القدر ماعدا المؤذنين في المساجد الشهيرة وهي الجامع الأزهر ومسجد سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة فاطمة النبوية والسيدة سكينة والامام الشافعي والصابطان أبو العلا فتكون ماهية الواحد منهم جنيهاً شهرياً

(قراء السورة) هؤلاء من كان منهم ماهية أقل من مائتين وخمسين مليماً شهرياً تكمل إلى هذا القدر

فبلغ الستة آلاف وستمائة وثلاثة وثمانين جنباً هو اللازم زيادته على ماهيات خدمة المساجد بمصر على الكيفية التي توضحته ونؤمل التصريح لنا ببلغ ٣١٧ جنباً لتوزيعه بمعرفة على بعض الوظائف التي لم يثقلها شيء من هذه القاعدة بحسب ما نراه من الضرورة والاهمية فيكون المقتضي التصريح به من المجلس مبلغ سبعة آلاف جنباً وهو المخصص لمساجد مصر في القرار السابق

بناء عليه قد تخرجت هذه المذكرة للنظر وتقرير ما يترأى
(المنار) قد نشرنا هذه المذكرة كما وصلت إلينا لم نصلح من لحنها شيئاً وهي مصرحة بأن الترتيب الأول أوقف بأمر الأمير وقد كنا ذكرنا هذا وذكرته ببعض الجرائد في وقته وبأن ما عرض في هذه المذكرة على المجلس الأعلى إنما يرفع الضرر عن المستخدمين في المساجد وما فهو جزء من الإصلاح المطلوب في تلك الأئمة . ويضم منها أن الرجاء غير مقطوع من تنفيذ الترتيب الأول الذي وضعه الأستاذ الإمام وما هي الأكلة من الأمير وفقه الله وقد نفذ . ولو كان في مسلمي مصر طائفة وعلماء الأزهر خاصة أمة تهتم بمصالح المسلمين العمومية وتسمى لها سمياً لا كبروا أمر هذا الإصلاح الذي اقترحه المفتي وأجمعت كلمتهم على استعطاف الأمير والشفاعة عنده والالحاح على جنابه في تنفيذ هذا الإصلاح الذي يحيي ميوت الله تعالى ويعين على إقامة شعائر الدين على وجهها كما يرغب الناس في طلب العلوم الدينية ويكون سبباً لارتفاع بها

وقد ذكرت جريدة المؤيد أن جماعة من المستخدمين في المساجد شكروا للجناب العالي إيقاف تنفيذ الترتيب الجديد لما فيه من الرحمة بهم ورعاية مصالحهم وهذا جهل منهم لأنهم ظنوا أن الترتيب يقتضي باستبدال العلماء بالجاهلين في الإمامة والخطابة حالاً فلا بد من عزلهم ووضع بعض علماء الأزهر في مواضع الخطباء والأئمة الجاهلين منهم وليس الأمر كذلك كما رأيت . واثنا نسأل الله تعالى أن يلهم قلب الأمير تنفيذ الأصل كما ألهه الرضى بهذا الفرع الذي لا يرفع الضرر عنه

وجهة القول أن ما عرضه ديوان الأوقاف على مجلسه الأعلى في هذه المذكرة قد أقره المجلس بعد تنقيح قليل كاشتراط بعض الشروط في وظائف الخدمة وصدر الأمر العالي بتنفيذه وسيكون مقدمة لتنفيذ الترتيب الأول إن شاء الله تعالى

مخاربة الوهم للعلم

﴿ أو تأثير السعاية في الدولة العثمانية ﴾

زار القطر المصري في ربيع هذا العام الحاج محي الدين بك حماده فنزل ضيفاً عند
صهره الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ثم عند ابن أخيه خليل باشا حماده في
الاسكندرية وكان الغرض من هذه الزيارة صلة الرحم والاستراحة من عناء العمل
ولما علم بقرب عودته إلى بيروت السعاة المحالون الذين يطبق عليهم لفظ الجواسيس
في عرف هذا العصر كتبوا إلى المايين الهمايوني يشرون به وقد شاع أن مما كتبوه
أن هذا الرجل الخبير البعيد عن السياسة بجميع معانيها يحمل فتوى من صهره
بوجوب خلع السلطان ويحمل كتباً سارية يريد توزيعها في سوريا وقد بلغنا أنه كتب
من المسابن إلى أمير مصر سؤالا عن الحاج محي الدين وابن نزل وماذا يفعل . وإن
الأمير ذكر ذلك لخليل باشا حماده وأخبره بأنه أجاب المسابن أحسن جواب وأثنى
على الحاج محي الدين ولكن ذلك لم يفن شيئاً
ولما عاد الحاج محي الدين إلى بيروت وكان ذلك بعد سفر الأمير إلى الاسكندرية
قبض عليه عند نزوله إلى البلد وأخذ إلى دار الحكومة وقتشت أمتعته وجميع
ما يحمله فلم يروا فيها شيئاً يثير عليه شبه السياسة إلا تفسير جزء «عميقاء لون» وأسماء
جماعة من فقراء بيروت بأزائها أرقام . فأما التفسير فقد أرسلوا إلى لجنة التحقيق
بديوان المعارف فقرأه فقليل أن فيه عبارة ضارة وهي تفسير لفظ الزبانية في سورة
العلق بالشرط وأعوان الولاية على أن هذا التفسير يوجد في جميع كتب اللغة وكتب
التفسير فلا يبعد أن يمنع دخولها إلى الممالك المحروسة إذا دامت الحال على ما هي عليه
الآن . وأما أسماء الفقراء وما جمع باسمهم من الصدقات فلمل الحكومة المظفرة
للمنصورة ظننت أن الغرض منها تأليف حزب للقيام بعمل سياسي ثم علمت أن الحاج
محي الدين رجل معروف بالبر وعمل الخير يصعد إليه الفقراء والمعوزون المتعففون وأن
ثروته لا تنفي باسماف كل من يقصد إليه فأغتم فرسة وجوده في قطر إسلامي غني
للاستعانة بكرام أهله على ما يطلب منه لاسيما لعمال بعض الصاكر الذين يخشى أن
يلجئهم العوز إلى الثورة فعمله هذا خدمة جليلة لبلاده وأوطانه . على أنه لو لا تدخل

سفارة انكلترا في الاستانة في أمر هذا الرجل لظال ضيف الحكومة العادلة ولكنه
افرج عنه بأمر السلطان

الحاج محي الدين حماده رجل وحيه عند جميع طبقات الناس من جميع الملل
في بيروت وغيرها ومحترم عند الحكومة ومشهور بالاستقامة والتقوى والأخلاص
للدولة وقد ناهز النهابين أو زاد عليها ولم يزن بريبة سياسية ولا غير سياسية فسماع
حكومة الاستانة لقول مقصد ذي فيه ومعاملتها إياه بمثل تلك المعاملة قد نفخ الرعب
في قلوب أهل ولاية بيروت من الرجا الى الرجا لأن سماع الوشاية في مثل هذا
الرجل بمن لا قيمة لهم يقتضي أن يسمع مثلهما في كل أحد وما من أحد الا وله عدو
او أعداء لا يأمن أن ينتقموا منه بورقة يكتبونها وإذا كان القبض على الحاج محي
الدين حماده قد أظهر فضله وشرفه باهتمام الناس بأمره وإقبال وجهاء جميع الطوائف
على زيارته وتداخل سفارة انكلترا بطلب الافراج عنه فغيره لا يرجو مثل هذه العناية
والحفاوة وما كل الناس كأهل بيروت في الجرأة والإقدام

هل هذا الرعب بعض أهل الحذر في بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها من
البلاد على إخفاء كتبهم أو على إحراقها بالنار وما عثم أن ظهر أن الحذر كان غيداراً
(الغيدار هو من يظن سوءاً فيصيب) فإن الوشائات كثرت والنشأت الحكومة تدمر
على بيوت الناس (دمر دخل بدون استئذان) وتأخذ جميع ما فيها من الكتب
والأوراق الى دار العدل والانصاف وتقبض على من وقعت عليه الشبهة من أهلها
وتحبسه لترى ما يستحق من العقوبة على اقتناء الكتب التي تسميها ضارة أو ممنوعة ومن يصف
ما يسمونه ضاراً أو ممنوعاً ومصرفه متوفقه على تعريفهم به وإعلانه للناس وهم يسرونه
ويكتتمونه إلا عند العقوبة

بدءوا في طرابلس الشام بيت الشيخ عبد الرحمن الكمال في دمره وأعليه في داره
واخذوا كتبه وأوراقه وقبضوا على ولده من طلاب العلم وحبسوه في دار الحكومة
وفعلوا هذا بأخربين . وكان من مثار الرب بل دلائل سوء القصد عند هذه الحكومة
أن وجدت في الكتب نسختين من صحيح البخاري فاستنبطت من ذلك أن صاحب
الكتب قد أخذ على نفسه أن يوزع نسخ البخاري على الناس وذلك لا يكون إلا

بقصد سيء يضر بالسياسة ويخترق منه الخطر على حكومة العدل والسلام والدين .
ووجدوا قصيدة في مدح رجل يسمى منصوراً فسأل من عنده القصيدة عن منصور
المدح ابن هرقل في جبل لبنان قيل كذبت بل أنت تعني أميراً في مصر

وقد أرسلت حكومة طرابلس وكيل المدعي العمومي (رئيس النيابة) والمستعلق وبعض
شرطتها إلى القلمون قدخلوا دارنا واخذوا ما فيها من الكتب والأوراق وقبضوا على
شقيقنا السيد إبراهيم ادهم فأودعوه مع الكتب في دار الحكومة مهد العدل والأمن
وأنما نتظر ما يكون بعد ذلك من حسن معاملتها لآل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم . ودخلوا دار علي كسن من القلمون لأن له ولداً مجاوراً في الأزهر ولا أدري
ماذا وجدوا فيها ولعلمهم لم يجدوا شيئاً وقد وقع مثل ذلك في بيروت حتى أن حكومتها
فتشت مطبعة الأقبال ومكتبة الأنسي وأخذت ما فيها من الكتب للبحث فيها

أهل من يستعد أن آفة السلطة المطلقة العلم يظن أن خوف الناس ورعبهم من
الكتب وتوقعهم العقاب الشديد على اقتنائها آية نجاح هذه السلطة وقد يكون هذا
الظن ضد الحقيقة فإن مقاومة العلم وإمالة أهله ربما كانت سبباً في إيقاظ الأذهان النائمة وإشهاد
الابصار المفضية بالعمى تكن تشاهده من مضرات هذه الحكومة بل قد تكون سبباً
لإحفاظ قلوب جميع طبقات الأمة على هذه الحكومة وهي حقدت الأمة فلا
يلبث من رجل حقدتها أن يتمجر بحوادث الزمان مهما كانت صاغرة مستسامة وجاهلة
بطرق تغيير الحكومات وقلب الدول . فإن لم تكن لدى حكومتنا عبرة بالأمة الروسية
التي يكاد تعظيمها للتقوى يكون عبادة حقيقية فلتعتبر بالأمة المصرية التي هي أشد
الأمم استسلاماً للحكام كيف نارت في وجهه توفيق باشا الذي كان ألين أمراء هذا
البيت عربكة وأبعدهم عن القسوة والظلمانيان

إننا نعلم علم اليقين أن أهل سوريا لا يتفكرون في مسألة الجنسية المشؤومة ولا
يخطر على بالهم أن يسموا بالاستقلال ويجهلوا حكمهم منهم وأبعد من هذا عن أذهانهم
التفكير في الانصاف بمسائر البلاد العربية على أن يكونوا جزءاً من مملكة عربية مستقلة
وأنما أقصى أمانهم أن تكون حكمهم العثمانية عادلة معينة لهم على العلم والترقي ولكن
لا يوجد أحد من البشر يضطهد على فكره واعتقاده ويسلب الأمن فلا يدري متى

يرجم عليه في بيته ويرفع به أهله وعياله ثم يهكون راضياً من المظالمدين لا يحب
زلزالهم ولا يتنى زوالهم ولا يسي في ذلك متى وجد طريقاً للسمي
إن هذا الهجوم على البيوت وهواخذة الناس على ذنوب لم تكن ذنوباً إلا باختراع
خيالات الظالمين ككون الرجل يملك من الكتاب الفلاني نسختين وأنه يقتني السكتاب
الفلاني وإن سماع الحكام لأقوال الجواسيس والسعاة في مثل ذلك - كل ذلك يهدم
سوالب الأمن فكل أحد يتوقع في كل ساعة من ليل أو نهار أن يفاجأ بما فرجى به سواء
أوقفوا أيها الحكام المسلطون بهؤلاء الضعفاء الذين مكنتكم من ظلمهم تفرقهم
وما فرقهم إلا عدم وجود ألم شديد تام يجمعهم قريباً كان ظلمكم إياهم هو الجامع
لكلهم عليهم. أرحموا فإن الرحمة خير لكم على كل حال وقد تكون الفسوة نافعة لهم
ضارة بكم ولو بعد حين. لا تعلموا الناس ما لم يكونوا يعلمون ولا تذكروهم بما لم يكونوا
يذكرون واتقوا الله إن كنتم به تؤمنون

حذر حكومة مدينة حلب من الثورة

من أخبار حلب أن الحكومة السنية أرسلت شردمة من زبانيها ليلاً إلى سوق
الباذستان وهي التي تباع فيها العاديات والأمتعة المستعملة وفيه كثير من الأسلحة القتيقة
فأحاط الزبانية بمئة دكان وأرسلوا إلى أصحابها فحضر بعضهم وفتحوا لهم دكاكينهم
فأخذوا ما فيها من السلاح ومن لم يحضر كسروا دكانه وأخذوا ما فيها فاعتقد الناس أن
الحكومة خائفة وجلة من رعيها تحذر أن يقتدوا بالروسين فيقوموا عليها طالعين نصير
شكل الحكومة المطلقة وإقامة العدل وإباحة العلم وإطلاق الحرية للناس ولولا هذا
العمل لم يكن يخطر ببال أحدشئ من ذلك،
ونحن نعتقد أن هذه الأعمال سيندم عليها فاعلوها إذا تأتي بضد ما أرادوا منها
وسيفطر لهم ذلك إذا استمروا عليها واتناود من صميم قلوبنا أن تترك دولتنا محاربة
وعيتها وتزع من ذهنها وساوس الجرائد الأفرنجية التي تخدعها ما يمامها أن البلاد مستعدة
للخروج عليها لتصرفها بذلك عن اعتنام فرصة انكسار روسيا واشتغال أوروبا بالمنازعات
لإصلاح بلادها. وقد نصحتنا الدولة مثل هذه النصيحة في فتنة نجد فظاهر صدق قولنا وتبين
بمد الحرب والحصام أن الدين في المعاملة هو الذي يأتي بالخير ويجمع الكلمة والله الموفق

الوفدان الفرنسي والاماني في بلاد العرب

ذكرنا في الجزء الماضي خبر هذين الوفدين كما أخبرنا بعض العربان النجديين في مصر ثم أن الخبر حفي وأتقضى فعلم انه لا وفد الا الوفد الفرنسي وأن أعوانه كانوا يشتركون المصاحف والكتب باسم وفد ألماني تورية أو تسمية وان وجهة الوفد نجد من طريق العقبة وانه قد سمع أن الحكومة المصرية قد علمت بالوفد فانتظرت وبنها دخل في حدود بلادها فردته على أعقابها وانتانتظار التفصيل في ذلك ولما تقف عليه بعد أيام

الجمعية الخيرية الاسلامية

تنشر هذه الجمعية في كل عام تقريراً تلخص فيه أعمال مجلس إدارتها في السنة الماضية ونذكر فيه ميزانيتها ومصرفاتها للسنة القابلة بعد أن تعرض ذلك على الجمعية العمومية التي تجتمع في شهر المحرم وقد حضر الاجتماع في هذا العام ثم أرسل إلينا التقرير بعد طبعه فأرجأنا الكلام فيه إلى الآن

علم من التقرير أن عدد تلامذة مدارس الجمعية في مصر والاسكندرية وطنطا وبني مزار وأسبوط والحبش بور سعيد ٧٦٦ تلميذا منهم ٤٦٩ يتعلمون على نفقة الجمعية و٢٩٧ تلميذا يتعلمون على نفقة أنفسهم وقد بلغ ما أنفقته الجمعية على مدارسها في السنة الماضية ٤٦٣٩ جنيهًا وكسور الجنيه وبلغ ما أخذته من الأجرة على التعليم فيها ٨٤٢ جنيهًا ونصف تقريباً

وقد بلغ ما حصلتته الجمعية من الاشتراكات السنوية في السنة الماضية ١٣٥٣ جنيهًا لأن المشتركين قد زادوا ٨٠ عضواً والمساعدين زادوا ٢٠ عضواً فصار عدد الأعضاء ٥١٨ مخصصاً ومساعدين ١٠٠ وقيمة اشتراكهم السنوي يبلغ ١٨٣٦ ولكن منهم من يشترك وليس في دفع ماله من لا يدفع ما يفرضه على نفسه حتى تأسس الجمعية منه ويأسس الرئيس بمحو اسمه!!! ونواتكت هذه الجمعية على كرم أغنياء البلاد ومروءتهم لسقطات منذ سنين كما سقط غيرها من الجمعيات الأدبية والخيرية التي أسست في هذه البلاد قبلها وبعد تأسيسها ولكن مؤسسيها الحكماء قد عرفوا أخلاق أهل بلادهم ودرجة سيخاء أغنيائهم ونبات أهل بلادهم فوضعوا في قانون الجمعية مادة لولاها لم تقم الجمعية قائمة وهي أن نصف الأيراد يحصل للاستقلال والنصف الآخر

يصرف على التعليم وإعانة الفقراء فانظار كيف صارت على قلة المشتركين فيها تنفق على التعليم وحده أضعاف ما يأتي من الاشتراك ببركة تلك المادة. وقد يتعجب الغريب اذا علم ان الجمعية الخيرية الاسلامية الوحيدة في أثني الافطار لاسلامية لم يشترك فيها من نحو عشرة آلاف ألف مسلم الا ٥١٨ وان أعظم مبلغ دخل في خزينتها من هؤلاء المشتركين في السنة الماضية لم يزد عن ربع نفقات الجمعية على التعليم الا قليلا ولكن المصريين الفضلاء يرون ان هذه خطوة كبيرة بالنسبة لضعف الاخلاق في بلادهم وانه اولا غاية الشيخ محمد عبده ونفوذه الديني والادبي ومساعدة أعضاء الجمعية الوجهاء له لما وصلت الجمعية الى عشر هذا القدر بأريحية أغنياء القطر وشعورهم بالنيل والاجتماعي فاهل مصر لا يوزهم الا الاخلاق كالكرم الحقبتي والثبات والمزينة فاذا اكثر فهم أصحاب هذه الاخلاق فانهم ينهضون بذكاთهم وثروتهم في زمن قريب

أما ما أنفقت الجمعية في سنة ١٣٢٢ على الفقراء فنحو ٤٣٠ جنيهاً والنتج لقيم إعانة الفقراء من صافي الإيرادات العمومية بلغ خمس مئة جنيه وثلاثة جنيهات تقريباً. ومعظم إيراد الجمعية من أطيانها ومن الاحتفال السنوي في حديقة الازكية وقد بلغ ما وصل الى الصندوق من هذا الاحتفال في العام الماضي ١٥٥٧ جنيهاً ولو كان أصحاب الجرائد وأهل الفيرة على الأمة والبلاد يقومون بالدعوة الى هذه الجمعية على وجهها لكثير المشتركين والمساعدون والمتبرعون ولقدبرت الجمعية بذلك على ان تخدم البلاد خدمة لا ترجى من سواها بمال أكثر من مالها لان رئيسها ووكيلها والعاملين من أعضاء ادارتها هم خيرة من انبت ارض مصر في هذا العصر وهم يخدمون الجمعية بقدره وهمة واخلاص بأموالهم وانفسهم فمسي ان يوفق الله من اراد به الخير الى هذه الدعوة الصالحة

جمعية العروة الوثقى الخيرية

استت هذه الجمعية لاجل نشر التعليم في الاسكندرية فتعجبت بهمة اعضائها الكرام من وجهاء الثغر الاسكندري حتى صار لها خمس عشرة مدرسة تسع منها تذكور عدد تلاميذها ١٥٧٨ وست للبنات عدد تلميذاتها ٥٤٩ وكان عدد المجموع في السنة الدراسية الماضية ١٥٧٥ منهم ٩١١ يتعلمون بأجرة و٦٦٤ بغير اجرة والمجموع في هذه السنة ٢١٢٧ منهم ١١٢٦ بأجرة و١٠٠١ بلا اجرة فنرجو لهذه الجمعية مزيد النجاح ولطنا نعود الى ذكرها في فرصة اخرى

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً ومفيداً كالأول والألأالباب

المجلد
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هم أهم القادة وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام موعوداً ومنازلاً كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ — ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

مسجد المسلمون والقبط (*)

أو آية الموت وآية الحياة

قرأنا في جريدة الوطن القبطية مقالة عنوانها (التعليم الديني والحكومة) بحث فيها

(*) أشرت في مقالة (حياة الأمم وموتها) التي نشرت في الجزء الثاني من هذه

السنة إلى الفرق بين المسلمين والقبط في العناية بالمعارف . وطللاً هزمت على كتابة

كاتبها في مشروع الحكومة الجديد من إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية بحثاً قال فيه ان الحكومة المصرية رأت ان هؤلاء الحفاظ كثروا في هذه الديار كما كثروا الرهبان والشمامسة والقسيسون في كل بلاد مصرانية تعامل خدمة الدين معاملة الحكومة المصرية لهم فأرادت حكومة مصر أن تخص هذا الإعفاء بمن يستحقه أي وهو من يتعلم من مبادئ القراءة والكتابة ما يمكنه من خدمة الدين بتعليم القرآن الكريم وغيره مما يتعلمه الأولاد في المكاتب لا من يدعون انهم يخدعون الدين والعلم وهم أبعد الناس عن ذلك . قال الكاتب

«وظاهر من هذا ان الحكومة المصرية أرادت أن تبلي قدر الدين الاسلامي بما نوت من الإصلاح لانها رأت ان الإعفاء بلا تدقيق ولا حساب يجعل الدين سلاحاً يتسلح به كل طالب للتخلص من الخدمة المفروضة على كل وطني فالذين يتذرعون بهذه الذريعة ويحملون أنفسهم من الفقهاء حجاباً الخداع والتخلص من خدمة الوطن وليس حجاباً بالعلم والدين إنما يؤدي فعلهم الى إسقاط حرمة الدين بين الناس ، - الى أن قال «فحكومتنا مصر قصدت خدمة الدين بتقوية صفوفه من الذين لا يصالحون لخدمته والاشتهار بين الناس باسمه وبإعادته الى مجده الأول حين كان العلماء والفقهاء (هم) الذين توفرت فيهم شروط العلم والفقهاء وليس الذين هربوا من واجب وطني وجعلوا الدين حيلة وواسطة للفرار منه»

جعل الكاتب القبطي النور على منته وقومه هذا الكلام مقدمة وتمهيداً لمطالبته الحكومة بأن تعامل خدمة الدين من القبط كما تريد أن تعامل خدمة الدين من المسلمين بأن تشرط في إعفاء الشمامسة والرفقاء وغيرهم من خدمة الكنيسة أو الدين من الفرقة العسكرية أن يكونوا متعلمين من مبادئ القراءة والكتابة ما يجعلهم محترمين في أعين المتعلمين ويمكنهم من إحسان خدمة الدين . وقال اذا كانت الحكومة تشرط عليهم مثل الذي تريد أن تشرطه على الفقهاء (أي الحفاظ) فأنها تحسن الى الأمة

مقالات في المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة ثم أرجأتها . وقد نشرت من عهد قريب مقالة في المظهر تتناول بالموضوع خاصة بمسألة إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية بأمر من (مسلم غير) فأحييت نشرها لما فيها من الذكرى والاعتبار

القبطية أكبر احسان وترقي درجة الذين يخدمون دين النصرانية بين رعاياها وهي
تخطو خطوة كبرى في سبيل الإصلاح المطلوب للبطريركخانات ثم أطل في بيان أعمال هؤلاء
في خدمة ملتهم وقال ان الامة القبطية كلها السنة صارخة بمطالبة الحكومة بهذا الإصلاح
قرأت هذه المقالة فكان يتمثل لي عند كل جملة منها ما كتب في المؤيد من المقالات
الطويلة العريضة والنبذ الموحزة في أخبار المحمية الصارخة بالتألم والشكوى من مشروع
الحكومة انه اهانة للدين والقرآن وتحقير لخدمة الاسلام وانزالهم عن مرتبة خدمة
النصرانية في الاحترام اذ لا تشترط الحكومة في اعطاء القسوس والرهبان والشمامسة
ونحوهم معرفة بالقراءة والكتابة ولا بمبادئ الحساب ولا بانقان ما يقرأون من كتب
الدين : وتمثل لي بالمقابلة بين ما تشكو منه الجريدتان الفرق بين آيات الموت وآيات
الحياة - الجريدة الاسلامية تشكو من العلم وتهمة اهانة لدينها وعضما لحقوق حملة
كتابها وذلك أظهر آيات موت الامم ان كانت الامة على رأي المؤيد او واضحة بقوله
وقول من شايهوه على ذلك . والجريدة القبطية تشكو من الجهل وتعد اقرار خدمة
دينها عليه اهانة لهم وتقصيرا من الحكومة في مساواتهم بالمسلمين في الضاية بدينهم
واما تشكو على اصلاح قومهم وذلك أظهر آيات الحياة والطائفة القبطية على رأيها لاجالة
عجبا للمؤيد يذكر كل سنة في الكلام على نتيجة الامتحان في المدارس سبق القبط
للمسلمين في التعلم اذ المشتغلون والتاجيحون من الاولين أكثر منهم في الآخرين ويظهر
التبرم والشكوى من ذلك فما باله قام محارب العلم والتعليم في مشروع حفظ القرآن
ومشروع الكتائب ؟ ان كان لا يعرف فضيلة العلم لذاته قل أو أكثر بل يعرفه بميل
القائمين بأمر البلاد أو عدمه فيذم ما رغبوا فيه ويمدح ما رغبوا عنه فليست غن
الشكوى من قلة المتعلمين من المسلمين لان جناب اللورد كرومر الذي يدها زمة البلاد
يشكو من ذلك في تقاريره كل عام
ان رغبة القبط فيما يزعم المؤيد ان المسلمين يرغبون عنه وبكاء الجريدة القبطية
على ما تبكي منه الجريدة الاسلامية هو ادل على الفرق البعيد بين الفريقين من كثرة
عدد المتعلمين في احدهما وقلته في الآخر لان الرغبة عن العلم والبكاء منه ادل على
موت الامة من ترك الكثيرين له اذ يجوز ان يكون الترك لعذر غير الكراهة والتور (١)

(١) التور هنا لا معنى له فهو تحريف حيا

كذلك الرغبة في العلم وطلبه والبكاء من فقدته أدل على الحياة من مجرد القيام به من أفراد كثيرة الخ (مسلم غيور)

(النار) اتنا لم نقرأ كل ما نشره المؤيد في هذه المسألة ولكننا قرأنا بعضه فلم نره سوا باء في هذه المقالة حدة في الأبحاث عليه قد استنتجناها فحذفناها ومقصودنا بالذات المقابلة بين المسلمين والقبط في هذا الأمر لاسيما بعد أن مضى زمن على ما نشرته جريدة الوطن القبطية فلم نر من القبط من انتقده وما حذفناه لبس منه وقد بينا رأينا في المسألة معززا بالدلائل والبراهين

باب العقائد

نشر المقالة الآتية لصاحب التوقيع الذي رأينا منذ عرفناه يشغل علوم الفلسفة والكلام مع رفيق له من المشتغلين بالطب حتى أنهما سارا يطالعان الكتب العالية كالواقف وقد منج مقالاته الآتية بنظريات المتقدمين وطريقة التأخيرين الذين درس علومهم في المدارس النظامية وهذه هي المقالة

الدين في نظر العقل الصحيح

قرأت في إحدى الجلات المرية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئاً من المذهب المادي في مصير الانسان وأصله وتبجح بأن هذا هو معتقده وأن لاحق بعد ذلك ولما كانت هذه الافكار وأمثالها بما يحتاج قلوب شبابنا اليوم حتى صار جمهورهم لا يعبأ بعقائد الدين ويظن أنها ضرب من أساطير الاولين لا حاجة لمصرنا الحاضر بها تحركت نفسي لكتابة شيء في هذا الموضوع بعد عمل الفكر واجالة النظر في أطرافه وجعلت اعتمادي فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التي تنهي الى البديهييات بحيث لا تجد فرقاً بينها وبين البراهين الرياضية لتكون أعظم مؤثر في قلوبهم وليعلموا أن الدين في حقيقته يفوق المادية في نظرياتها وأوهامها ولا يفاء المقام حقه رأيت أن أبدأ بذكر حكم العقل في المادة من جهة تركيبها وتحليلها وأصلها من حيث الحدوث والقدم ثم انتقل الى براهين وجود الخالق وما يليق به من الصفات ثم أتكلم عن الروح والبث وأختم كلامي بأدلة النبوة عموماً والمحمدية خصوصاً وبذلك يتم الاعتقاد الاسلامي ويكون الانسان مؤمناً بالله واليوم الآخر والنبوة وما أتت به

المادة وتركيبها

الاجسام التي تراها شاغلة حيزاً من الفراغ تقبل القسمة الى أجزاء أصغر منها وكل جزء يقبل القسمة الى ما هو أصغر منه وهكذا فإذا استرسل العقل في القسمة فلما أن يقف عند حد أو لا يقف فإن لم يقف كان ذلك قولاً بأن كل جسم أخذناه بيدنا وحصرناه بين أصابنا مركب من أجزاء لانهاية لها وهذه الأجزاء مهما صغرت فلا يمكن أن تحصر لعدم تنهايتها . لكن هي محصورة بالحس إذا هذا الفرض باطل . بقي القول بأن العقل لا بد أن يقف عند حد في القسمة فهذا الحد إما أن يكون له امتداد أو ليس له امتداد فإن كان له امتداد فالعقل يتصور قبله للقسمة ويرجع الى ما قبلناه في الشق الاول إذا لم يبق الا القول بأنه لا امتداد له . وإذا ثبت هذا علمت أن جميع الاجسام مركبة من أجزاء لا امتداد لها مطلقاً ولكن لها وضع معين فهي مثل النقطة الهندسية وإنما تمتاز عنها في أنها أشياء وجودية لا وهمية . هذه الأجزاء هي ما نسميه بالجواهر الفردة ويسمي جهتها الماديون (بالمادة) أو (الأمير) وقالوا إن اجتماع بعضها ببعض على أوضاع مختلفة وبأعداد مختلفة قد نشأت عنه العناصر الأصلية فيجوز أن تكون كل ذرة من الأوكسجين مركبة من جوهرين مثلاً والذرة من عنصر آخر مركبة من ثلاثة أو أربعة وباتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض تكونت المركبات وسواء سميت هذه النظريات أو لم تصح فالشيء الذي لا شك فيه هو وجود الجوهر الفرد وأنه الجزء الذي لا يتجزأ ومنه تركبت الموجودات

حدوث المادة

قلنا ان الجوهر الفرد هو ما ليس له امتداد وله وضع معين وهو شيء وجودي . كل ما كان له وضع معين فالعقل يتصور جواز انتقاله من موضع الى آخر وهذا الانتقال هو الحركة فلو فرضنا أن الجوهر الفرد قديم لتصور العقل إمكان تحركه من مكان الى آخر ولو أمكن ذلك لا يمكن وجود حركات في الأزل لأول لها وهذا محال لانه يستلزم جواز تحرك الجوهر حركات لا عدد لها قبل كل حركة . وكونها لا عدد لها يستلزم أنها لا تحصر ولا تدخل تحت عدد وإتيان الجوهر الفرديها يدل على أنه يمكن عددها وعد ما لا يعد تناقض بدیهي البطلان إذا ثبت ان الجوهر لا يجوز أن يتحرك

في الازل لكن جواز تحركه من لوازم ذاته بحيث لا يتصور وجوده بدون ذلك الجواز
وحيث ان فرض وجوده في الازل يؤدىنا الى المحال وما يؤدى الى المحال محال ثبت
انه لا يمكن أن يكون موجوداً في الازل أي انه حدث بعد أن لم يكن

﴿ وجوب الواجب ﴾

يقسمون المسلمون إلى قسمين واجب لذاته وغير واجب لها فالواجب لذاته هو
ما كان وجوده من لوازم ذاته بحيث لا يمكن أن ينفك عنها وغير الواجب قسماً هو وجود
بالفعل وغير موجود وغير الموجود قسماً جائز وجوده ومستحيل والمستحيل هو
ما لا يمكن وجوده فكل موجود إما أن يكون واجباً أو جائزاً ولا ثالث لهما أما
الواجب فسبق تعريفه وأما الجائز فهو ما جاز عليه الوجود والعدم ولا يرجع أحدهما
إلى الآخر إذا عرفت هذا فنقول

الجوهر الفرد موجود فإما أن يكون واجباً أو جائزاً لا يمكن أن يكون واجباً
لأنه قد ثبت أنه كان معدوماً في الازل والواجب لا يمكن أن ينفك عنه الوجود لأزلاً ولا
أبداً إذاً هو جائز والجائز لا يمكن أن يرجع وجوده على عدمه إلا يرجع والمرجع لا يمكن
أن يكون سوى الواجب إذ لم يبق سواه غير المستحيل إذاً الواجب موجود قطعاً

﴿ أحكام الواجب ﴾

قد سبق أن الوجود لا ينفك عنه أي انه قديم باق فلا أول لوجوده ولا آخر له
وهذا يقتضى التعريف السابق ومن أحكامه أنه ليس له وضع معين ولا جهة إشار
إليه فيها ولا لتصور العقل جواز تحركه ولو جازت عليه الحركة لكان حادثاً ولو كان
حادثاً لما كان واجباً وحيث ثبت انه لا وضع ولا جهة له ثبت أنه لا امتداد له ولا
لشغل حيناً من الفراغ وتبين له الموضع والجهة

إذا عرفت هذا علمت أنه لا يجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا التجسد لأنه لو حل
أو اتحد بجسم المسيح على مذهب أو تجسد وظهر بصورة المسيح على المذهب الآخر
كما يقول النصارى لوجب له الحركة والامساك كان له الحلول والاتحاد والتجسد معنى
حقيقياً تعالى الله عن أن يظهر في مخلوق أو يتصور بصورة

ومن أحكامه التفرد بالوجود لأنه لو كان هناك واجباً فأكثروا خلق أحدها جائزاً ما من

الجائزات فإما أن يبقى الآخر قادراً على خلق هذا الشيء بعينه أو غير قادر فإن بقي قادراً أمكنه
تحصيل الحاصل وهو محال لأنه يستلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة وإن لم يبقى
قادراً زالت قدرته القديمة عن بعض الأشياء القديمة لا يزول لأن قدمه إما أن يكون لذاته
أو شيء آخر فقد اقتضى وجوده فإن كان قدمه لذاته فلا يمكن أن يزول من الذات
ما هو لها وإن كان لغير ذاته فإدام المقتضى موجوداً فلا يمكن أن يزول المقتضى
هذا واعلم أن قول التصاري إنه واحد في الذات ثلاثة في الأقسام محال لأنهم
يفتقدون أن كل أقنوم يمتاز عن الآخر بخواص كثيرة فالأول يمتاز بخاصية الأبوة
والثاني بالبنوة وبالحلول أو التجسد والثالث بالانثاق وإن الامتياز بينهم حقيقي بحيث
أن ما يثبتونه لأحدهم لا يمكن أن يثبتوه للآخر إذا عرفت هذا أقول الشيء الذي
به الامتياز إذا ثبت لأحد الأقسام فهو ثابت لذاته وإذا ثبت لذاته فهو ثابت لذات
الله تعالى وبما أنه علة الامتياز فلا يمكن أن يثبت للأقنوم الآخر وإذا لم يثبت له لم يثبت
لذاته وإذا لم يثبت لذاته لم يثبت لذات الله عليه يكون الشيء الواحد ثابتاً للذات وغير
ثابت لها فمثلاً إذا قلنا إن الابن حل أو تجسد أي إن ذاته حلت أو تجسدت كانت ذات
الله حالة أو متجسدة ولكن الآب لم يحل ولم يتجسد فذات الله لم تحل ولم تتجسد
وعليه تكون ذات الله حالة أو متجسدة وغير حالة ولا متجسدة وهذا تناقض
ظاهر البطلان

بقي عليّ أن أذكر كلمة صغيرة في القدرة قبل ترك هذا الموضوع وهي أنها لا تتعلق
بالاستحيل ، وخلق حوادث في الأزل مستحيل لأنه يستلزم وجود حوادث لا أول لها
وهو باطل وعليه فالقدرة الأزلية لا توجد الحوادث الأفي غير الأزل والأزل لا يمكن
المستقل تصوره فهو ليس مركباً من لحظات لا أول لها لذلك أيضاً باطل فلم يكن ثم
دهر ولا زمان بخلاف ما إذا فرضنا أن الجوهر الفرد قديم فإنه يستلزم جواز
وجود الحركات في الأزل وذلك يستلزم تعاقبها وتعاقبها يستلزم وجود الزمان أما خلق
الحوادث في غير الأزل فلا يستلزم وجود لحظات متعاقبة ولا وجود متجددات في الأزل
والخلاصة أن الواجب قديم بقى قدير متفرد بالوجود ليس كذلك شيء وهو

الصحيح البصير

مبحث الروح والبعث

عناصر الجسم الكيماوية معروفة ومشهورة وعناصره (الهستولوجية) هي ما يسمونه بالخلايا وكل خلية حية بذاتها بحيث يمكن بقاؤها حية بعد انفصالها عن الجسم مدة من الزمن وتأتي من الأعمال مثل ما تأتي في الجسم فمثلا كرات الدم البيضاء إذا فصلت عن الجسم ووضع في وسط مناسب لحياتها تبقى حية مدة فتتحرك وتتغذى وتقسم وليس الأمر قاصرا على الخلايا بل ما تتركب منها من الأعضاء والعضلات وغيرها وإذا فصل من الجسم يبقى حيامة فمثلا قلب الضفدعة يستمر على ضرباته بعض دقائق وكذا العضلات الأخرى من الجسم تنقبض وتنشط إذا نبهت ثم إن جميع وظائف الجسم وحواسه ومدركاته لها مراكز مخصوصة في المخ والنخاع الشوكي بحيث إذا أتلف هذا المركز بطلت الوظيفة وبين المراكز والأعضاء اتصال بالأعصاب الحسية والحركة وهذه الحقائق المحسوسة ظن الماديون أن لا معنى للقول بالروح إذ لا أثر لها في الحياة ولا في غيرها ولو كان هناك شيء يليق أن يسمى روحا فليخ أولى الأشياء بهذه التسمية ثم إنهم شاهدوا أن الجسم دائما في التغير والانحلال والتركيب بحيث أن جسم الإنسان في جنح سنين يكون قد تغير كله وأتى بدله جسم آخر وفسروا شعور الإنسان بشخصه أنه لم يتغير طول حياته بأن الانطباعات والتأثرات المخصوصة في جوهر المخ تتجدد في كل مادة وبعد أن أنكروا ما يسميه علماء الأديان روحا وأنه شيء يقوم بذاته ولا يتغير وأنه ليس من مادة عالمنا هذا إلى آخره بعد أن أنكروا ذلك ووجدوا أن جسم الإنسان بعد الموت يخل ويدخل في تركيب النباتات والحيوانات الأخرى ومن بينها الإنسان قالوا إذا البعث مستحيل لأن الإنسان ليس له روح مخصوصة تمتاز عن جسده وليس جسمه ثابتا له بل ربما دخل في جسم إنسان آخر وعليه فالحشر روحيا كان أو جسديا ضرب من الخيال

هذا هو ملخص مذهبهم والناقد البصير يرى أنه مبني على المحسوس والمعقول إلا في نقطة واحدة هي محور غلطه ومن كثر شططه وهي قولهم إن شعور الإنسان بشخصه من أول العمر إلى آخره ناشئ من الانطباعات المخصوصة وتجدها في كل مادة تدخل في تركيبه لالتي ثابت من أول الحياة إلى آخرها إذا لا علاقة بيني

الآن وبين شخصي بعد بضع سنين سوى الانطباعات المخصوصة المتماثلة في المادتين .
أقول المتماثلة لانها لا يمكن ان تكون هي بعينها لانها اعراض لاقيام لها بذاتها ولا تنقل
من مادة الى أخرى فكانه بعد مرور بضع سنين على الانسان يعدم من الوجود ويوجد
شخص آخر غيره ومع ذلك يشعر كل بأنه هو الآخر بعينه لتماثل الانطباعات فیهما
ولو سلمنا ذلك فلماذا لا يكون البعث من هذا القبيل وإذا وجد شخص آخر فيه مثل
ما في من الانطباعات فهل أشعر بأني أنا هو وهو يشعر بأنه أنا وما الفرق بين هذه وتلك
وهل إذا عدم أحدنا يشعر الآخر بأنه هو الاول بعينه كلا ثم كلا إذا لا بد ان يكون
هناك شيء ثابت في الانسان من أول الحياة الى آخرها وبه تحقق شخصيته ويمتاز وجوده
وسواء كان هذا الشيء من عالمنا هذا أو من عالم آخر فلا يهمنا وهذا الشيء هو روح
الانسان وجوهره وحقيقته وحيث أننا لا ندري مكانه ولا كنهه فلا يمكننا الحكم بأنه
يدخل في تركيب انسان آخر ولم لا يجوز أن يبقى محفوظا الى يوم القيامة ثم يعاد في
جسم جديد ولا عبرة بالجسم الاول المتبدل المتغير الداخل في تركيب غيرنا بعد
انحلاله فان شخصية الانسان لا تحقق به ولا تتوقف عليه اذا علمت هذا أيقنت ان
الانسان روحاً بالمعنى المتقدم وكذا لكل حيوان له شعور بشخصه وان ليس البعث
ضرباً من الخيال بل هو من الجائزات وسأني في مقال آخر بأدلة النبوة وصدق ما أتت
به وبمد ذلك ثبت بالبرهان الثقل وجوب البعث يوم القيامة الامضاء
محمد توفيق صدقي الطيب بسجن خري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ شذرات من يومية الدكتور أراسم ﴾

يوم ١٥ يولي - سنة ١٨٦٤

فوائد الشدائد - بذل النفس للمحبوب أول الحب

كان منا خرق وطيش كادت عواقبه تكون علينا خساراً مبیناً ذلك اني و «أمير»

(*) مصر من: باب تربية اليافع من كتاب أمين القرن التاسع عشر تابع في ص ١٢ ٧٤ م ٨

وهلولا ه خرجنا عشية أمس نتره والساحل ممتطين أفراساً فأوغلنا في مهب نامتسفين
ولا يلبث الانسان بأدنى بحث في شكل هذه السواحل الظاهري ان يدرك ان البلاد
نشأت من الزلازل الارضية

من أسمى الأفهام التي انتهت اليها حكمة العلوم الحديثة على ما أرى (١) ادراك
ان للناس فوائد فيما يتلون به من المصائب فان لها دخلا عظيما في تكون العالم المادي
وما أدراك ما هذه المصائب ؟ إذا رجحت الارض رجاً وتولاها الاضطراب عم
الفرع كل من على ظهورها من يشهدون زلزالها ورأيت الحيوانات جافلة حيرى
لا تدري ماذا يراد بها .

وان لمن شهد الزلازل من سكان هذه البلاد قصصاً عنها يروونها للاجانب كما
قصص التوراة فكأنهم من قرية سككت بالامس عامرة سميدة أصبحت خاوية على
عرشها فلا يجد الباحث عنها في عرصات الا اطلالا بالية ورسوماً دارسة واذا تقننت
الزلازل لم يكن للناس حديث مدة الشهر التالي لوقوعها الا قصصها الحزنة فمن رجال
ذهبت عقولهم من الفرع وأموال لعبت بها أيدي الضياع ونساء وأطفال وشيوخ
خربت عليهم بيوتهم تخفقهم ردمها

لا يسلم تاريخ هذه الزايات من اختلاط القصص به فمما يحكيه الناس هنا أنهم
شاهدوا في زلزلة ليلية على وميض البروق المشؤم ان الارض قد انشقت وبرزت
هياكل قدماء الاقبن (٢) من قبورها ثم مادت فقيبت في هذه المهاوي التي مالبت
ان التأمّت عليها

سكان شواطئ المحيط في هذه البلاد أشدّ مرضاً لأم ما طب فان البحر في بدء الزلزال
يتقهقر عن الارض كأن قد ملكه الذعر ثم يعاود الكرة وقد هاج غضبه واشتد صخبه
ولجبه وهناك تتكسر أناجر السفن وتقطع سلاسلها وتأخذها أعاصير الماء فتدور
بها دورانا وأما جسور المياه فانها تتسام لضغط الأمواج فتفتح أبوابها للخراب والهلاك

(١) لقد طائس وأيه فان القرآن القديم نطق بهذه الحكمة التي رآها حديثة
في آيات كثيرة جدا ولكنه لا يعلم ذلك (٢) الاقبن جمع انقي وهو أحد اشراف
قدماء الخنود بأمريكا

والبيرويين من المعرفة الصحيحة بما لا أرضهم التي استودعوها حياتهم وعيالهم
وآمالهم من ضروب الختل ما يجعلهم في عامة أوقاتهم على حذر منها فتراهم لا يذوقون
النوم الاغرازا مستعدين على الدوام للهبوب من بيوتهم لا قن لفظ أو أدنى رجعة
سائلين ما الخطب فإذا قيل زلزلة برزوا جيباً
على أن لهم بهذا القطر الذي تيمد بهم أرضه كنف العاشقين لجمالته وخصبه فانك
تجد في البقاع المزروعة منه حقول الذرة وقصب السكر والقطن والفواكه الاسبانيولية
كالبرتقال والليمون والرمان والتين والزيتون قد ازدوجت بجميع فواكه المنطقة
الحارة كالوز والاناناس فلك الأرض المنزللة حبل الحياة فهي تنمو وتتلو وتنفس
ولا ينبغي ان ينقم منها انها في عملها هذا تشوش نظام عمل الانسان احياناً بما لها من
صنوف التدمير وضروب التخريب

﴿ الآثار والمدن المجهولة في البيرو ﴾

والموازنة بين القوى والأعمال

يوم ٢٨ يولييه سنة ١٨٦٦

كثيراً ما نلاقي هنا هنوداً أصليين يشتغل بعضهم بالتساع للتلج من رؤس الجبال
ونقله على ظهور البغال الى (ليا) حيث يهبط من أوائل مشهيات المائدة وبعضهم ينقل
الملح اليها من سواحل البحر على قطعان الالاما (١)
ياله من بون بريد بين ماعليه هؤلاء الهنود الآن من الذل والشقاء وما كانوا فيه
من العظمة والرخاء

معابد الالاميين التي يرشد أهلها السائح الى زيارتها وطريقهم الحربي المشهور
الذي اختطوه لمقاتلتهم ونظام ربيهم المعجب الذي كانوا يبالغون به مياه الجداول
الصغيرة الى الحقول بما كانوا يحتفرونه من الخنادق ليخسبوا به من الارضين ما صار
بعضهم محلاً لك مما يحمل على الاعتقاد بأن الاجيال الاصلية التي كانت متوطنة
وسط أمريكا أوقفت في سبيل تقدمها بحلول الجيل الابيض الذي اقتضى عليها في بلادها
انقضاء العقاب فعاثها عن رقبها فانها كانت تسقى اليه ومن ذا الذي في استطاعته أن

(١) الالاما حيوان من حيوانات البيرو باصريكا يشبه الجمل

يخبرنا بما كان يحصل لو انهم أمهلوا حتى بلغوا مثال تمبهم الصحيح ربما كان العكس
الامر فذهب مثل خربستوف كلومب من بحر الجلود فاكتشف الدنيا القديمة
قبائل الهند التي لم تخضع الى اليوم للحكومة الامريكية تحذر ما يقدم لها من
الهدايا وما تدعو به من المزاي على حد قول القائل «الروم أخشى» (١)
ولم تفاج الحكومة في ارسال الدعاة اليهم لدعوتهم الى التصراية فانهم يعلمون
ان لفظ انجيل في قم الابيض معناه الاستعباد لحيلهم ومصادرتهم في ارضهم
لم يدلم الساحل الذي كنا نتره عليه من فعل الزلازل الارضية التي لاشك في
انها تبديء من سلسلة جبال الاندز (٢) فان الانسان فيها يلاقه هناك من الشقوق
والانحدار والافوار التي لا تلبث بعد ان تحسافها ان ترتفع لا يزال يعرف ميدان تكافح
الفواعل النارية

كانت «لولاء» تسير على الساحل وكلها زهو وعجب باستقبالها «إميل» في بلادها
ومرحبتها اياه غير مفكرة في شيء عسى أن يكون من الجبال تحت هذا الساحل
المتباين الذي دعت به المواصف والأطاسير فهزرت جوادها بحدة مفرطة وأخذت به
شط البحر وكنا نحن تبعها ولكن من بعد لبادة فرسينا على ان «إميل» لم يلبث ان
خفف اليها خفة المستبش لما نهته هيعاتي الى الخطر الذي كانت ملاقيه له فلما بلغ تلك
الفارسة المرحمة لم تكن الا على نحوثة مترو من هوة بين صخرتين كان لا يحصى لها من
التردي فيها بجوادها مرساة الشمر في الهواء مشرعة السوط فأخذ بضان فرسها وقسره
على التحول بسرة فرفع يديه قائماً على رجليه وحرن ثم مالبت أن وقف كأنه ألهم
الوقوف فجاءة

فأما «لولاء» فقد امتنعت (تغير لون وجهها) وارتعدت فرائصها لانها كانت أبصرت
الهوة وشكرت «إميل» همته بأن قبلته تقيلاً يشف عن الوداعة وسلامة القلب كالذي
يهم من أخت لآخيا

(١) الروم أخشى جزء من بيت شعر لشاعر لاتيني • اذكر منه شطره الاول
ومثاله «الروم أخشى وأن هم قدموا نحفا»
(٢) سلسلة جبال الاندز هي سلسلة عظيمة من الجبال في امريكا الجنوبية

وفي يقيني ان هذه الحادثة لم تزد شيئاً على ما يضره كل منهما للآخر من المحبة والوداد ولكني أحسب أنني لاحظت من عهد حصولها فرقاً دقيقاً في رعايات «أميل» لها بزيادة تحننه عليها فكان بذل النفس للمحبوب أول الحب ذلك أمر لا بد أن تكشفه لنا الأيام لاني وهيلانة قد عودنا هذين الغلامين على أن

نصدقهما بمجرد قولهما فلا اخاطهما بجسر ان على غشناه اه
يصدق بعض اهل لنا ان من المدن البيروية او المكسيكية القديمة مالا تزال موجودة لم يبلغها الفاتحون من اسبانيا واذا سألتهم اين هذه القرى لا تجد منهم احداً يستطيع ان يجيبك عن هذا السؤال ثم اذا قلت كيف ان احداً من سائحي اليوم لم يثر عليها اجابوك ان هؤلاء الاقوام القدماء سكان تلك المدن مكنوفون من كل ناحية بالصحاري والآجام والمستنقعات وسلاسل الجبال وغيرها من العقبات الكثيرة وبذلك حفظوا استقلالهم على ان الوصول اليهم يقتضي وطء قبائل متوحشة تمنع الاجانب من دخول أرضها ونجزي عليه بالقتل واسمهم الهنود البلاء (انديوس براقوس) هم جيل حربي يسكن الهضاب الواقعة شرقي البيرو وانقوشوس ويقال انهم من أكلة لحوم البشر ولقد ذهب فريق آخر من البيرويين في دعاويهم الى ما هو أبعد من ذلك فلم يقتصر على القول بوجود المدن المذكورة بل قالوا ان بعض ركاب التماسيف الحاملي الذكر والمترفين من التجار وطلاب المهن زاروها المرة بعد المرة ومن هؤلاء الزوار من انقطع ذكرهم فلم يسمع عنهم شيء ومنهم من حكوا ما طعنوا منها فهم مصدر ما عرف عنها غير انهم لبعدهم عن الحضارة بل وعن العلم لم يخبروا بما اكتشفوا الا بعض التجار الرحل أو الصيادين ولم يستطع هؤلاء عند حكايتهم لما وعوه أن يؤدوا لمن سمعوا منهم الا اخباراً مبهمه جداً

والذي ينبغي أن يعتقد في مثل هذه الاحاديث هو انه يحسن قبل نبذها واعتبارها من الاساطير أن يفكر فيها مرتين لأنها على كل حال ليست بعيدة عن الحقيقة بعد ان اكتشف استفس (١) وغيره من السائحين الذين جابوا وسط أمريكا ما اكتشفوا من الآثار الحقيقية وبعد الابحاث التي حصلت وسط الغابات الكثيفة ولم يشهدوا الا البغآت والقرود

وخصوصاً بعد أن ثبتت للعالم صحة بعض الآثار المروية عن الخلود ثبوتاً واضحاً من اطلال
القرى المكتشفة مثل قوبان وقيشي واولقوزينجو وبالاتا وغيرها من القرى الكثيرة
المدفونة تحت جذور الأشجار من قرون طويلة

نعم أن موضوع البحث والنظر هاهنا ليس مدناً بائدة بل هو مدن حية قد يعيش
فيها أن وجدت على تاريخ جيل من أجيال البشر برمتهم ومعابدهم وآلهتهم وقديسهم
وشرائعهم وعوائدهم

ويعمال «إميل» و«لولا» إذا سمعنا مثل هذه الحكايات فاتفقت بها مخيلتنا إلى أن
يأمر البحث عن تلك المدن المجهولة فإن من هو مثلها في سن المراهقة لا يفكر في
المقبات ولا يحسب لها حساباً فهم من هذه الجهة شبيهان بعامة الناس ولواني ثبتت عن
هذين القرنين الصغيرين وأخذت توقد ذهنيهما للفت نفسي على ذلك ولكنني انتهزت
هذه الفرصة فقلت لهما أنه لا يزال في بلاد البيرو كما في غيرها كثير من الأشياء التي يلزم
اكتشافها غير أنه يجب على الإنسان قبل كل شيء أن يعرف كيف يزن قواه بطبيعة ما يريد
مباشرة من الأعمال . اهـ

آثار علي بن أبي طالب عليه السلام

مجلس أعمال مجلس إدارة الأزهر

يرى كثير من الناس أن الجرائد في هذا العصر هي بمثابة كتب التاريخ لأنها
تتصدى لكل جميع الحوادث وتبحث في عللها وأسبابها ونتائجها ومسبباتها فإذا أراد
مؤرخ تأليف تاريخ لأمة أو بلاد تنشر فيها الجرائد فاعليه إلا أن يراجعها ويستمد
منها إذا كانت حرة لم يستعبد بها الحكم المستعبدون وعلى هذا الرأي يمكن لمن يريد كتابة
تاريخ حديث للأزهر أن يراجع الجرائد المصرية في دار الكتب المصرية ويأخذ عنها
ما كتبه عن هذا المكان . ولعله لا يوجد عاقل عارف بحال هذا القطر يثق بحرية
جرائده في نفسها ونحرها الصواب والحقيقة في الحوادث المهمة التي لها شأن في تاريخها
ومسرها بأسبابها ونتائجها الحقيقية خدمة للتاريخ فإن هؤلاء العقلاء يعلمون أن هذه

الجرائد مذاهب شتى وأهواء مختلفة ولا يبنى أصحابها بيان كل شيء له شأن في التاريخ وقلمها يوجد فيها من يتعمرى الحق في أكثر ما يكتب بل يكتبون ما يباينهم على غير ما إذا لم يكن مخالفاً لمذاهبهم والاتصافوا فيه أو سكتوا عنه هذه مسألة الأزهر قد خاضت فيها الجرائد واختلفت فيها أقوالها بعضها مع بعض بل اختلفت فيها أقوال الجريدة الواحدة هذه تستحسن مرة ما كانت تستبجح وتلك تدم اليوم ما كانت تمدح بالأمس ولو قرأ قارئ جميع ما كتب عن الأزهر منذ عشر سنين أي منذ تأسيس مجلس الإدارة له ودخوله في طور النظام وان لم يعمل بذلك النظام كله رأى أقوالاً مضطربة لا تجلي منها حقيقة والسبب في ذلك أن العامل الحقيقي في هذا النظام هو الشيخ محمد عبده وله حزب على رأيه يضاده حزب آخر يود أن يبقى كل خال على ما كان وقد اختلفت الأهواء لذلك فاختلقت الأقوال وضاعت الحقيقة حتى أن أكثر المصريين القارئين الكاتبين لا يعرفون حقيقة ما كان عليه الأزهر ولا حقيقة الإصلاح والنظام الذي سمي إليه الشيخ محمد عبده فتم له شيء منه باسمه الأمير المباش وفقه الله تعالى لمرضاته بل هم يهيمون في أودية الظنون في هذه المسألة ككثير من أمثالها ومنهم الذين يصدقون بعض الجرائد في قولها أن هذا الإصلاح كان افساداً لعقائد أهل الأزهر

ظهر في هذه الأيام كتاب جديد اسمه «أعمال مجلس إدارة الأزهر بمصر من ابتداء تأسيسه سنة ١٣١٢ إلى غاية ١٣٢٢» أي إلى أن استقال من إدارته ذلك المصالح العظيم والعامل الذي كان ينسب إليه كل عمل في هذا الجامع مدعوا وجوده فيه

إن مؤلف الكتاب لم يذكر اسمه عليه ولكن كل قارئ له يثق بكل ما كتب فيه وإن لم يعرف كاتبه لأنه يرى أنه تاريخ رسمي أو شبه رسمي فهو قد جرى على طريقة الجبرتي في البحث عن كل شيء في وقته وقدم له ما لم يتم للجبرتي من التدقيق فهو يذكر كل مسألة مبنياً تاريخياً ومادار بين الأزهر ومعية الأمير والحكومة فيها وما وضعه أو قرره مجلس الإدارة إماماً بالنص وإماماً بالمعنى الذي لا يخرج عن مفهوم النص في البيان والتاريخ وعدد الخطاب (التمره) وغير ذلك ومن احتياطه وتحرره أن سكت عن بيان ما لم يقف عليه باليقين وهو قليل كعدد الطلاب الذين امتحنوا في سنة ١٣١٤ فإنه لم يبينه بالجدول الذي وضعه لذلك

ومن انصاف المؤلف ان نسب الأعمال المتفق عليها الى مجلس الادارة لا الى شيخ
الأزهر الذي هو رئيسه ولا الى بعض الاعضاء بالتميين وما كان فيه خلاف ذكره
وما انفرد به بعض شيوخ الأزهر من سمي أو عمله ذكره كما هو وقد خص الأمير بالتناء
وبين انه كان المؤيد والمضد لكل ما جرى في الأزهر في هذه المدة ولولا لم يمكن
شيء مما كان

وانما نذكر عناوين فصول الكتاب ليكون قارئ هذا التقریظ على بينة منه
وهي (١) تشكيل مجلس إدارة الأزهر وأسبابه (٢) قانون المرتبات (٣) حال الأزهر
ومرتبات الشيوخ قبل النظام الجديد (٤) إلحاق التعليم في الجامع الاحمدي بالأزهر
(٥) إلحاق التعليم في المسجد السوقي ودمياط بالأزهر (٦) كساوي التشریف (٧)
نظام التدريس والامتحان (٨) المساحة أو عطلة الدراسة (٩) مساعدة الخياط المالي
على تنفيذ القارن بالمال من الاوقاف (١٠) نظام التدريس والامتحان (١١) مكافأة
امتحان الطلبة (١٢) مشايخ الأروقة والحارات والملاحظون (١٣) فائدة الامتحان
والعلوم الحديثة (١٤) دار الكتب و المكتبات في الأزهر (١٥) اصلاح
التعليم (١٦) نظام الجرايات (١٧) امتحان التدريس وشهادة المالية (١٨) العلوم
والكتب ونظام التدريس (١٩) مسألة راوية الميمان (٢٠) الشيخ حسونة التواوي
(٢١) الشيخ عبد الرحمن القطب (٢٢) الشيخ سليم مطر البشري (٢٣) جدول
مواد التعليم في الأزهر (٢٤) احصاء اصحاب الكساوي المنهجية في عشر سنين (٢٥)
السيد علي البيلاوي (٢٦) تأخر العلوم الشرعية بالأزهر (٢٧) تأخر اللغة العربية
بالأزهر (٢٨) إلحاق الاسكندرية في النظام والتعليم بالأزهر (٢٩) الشيخ محمود
باشا والشيخ أحمد باشا (٣٠) الشيخ محمد شاكر (٣١) مرتبات أولاد العلماء وما
تمتعه الحكومة على الأزهر (٣٢) حالة الأزهر الصحية وتميين طيب له (٣٣)
اعانة ديوان الاوقاف لمجاهد العلم بالمال (٣٤) محافظة المجلس على حقوق الأزهر
وشرفه (٣٥) الشغب الذي انتهى باستقالة البيلاوي والمضوين العاملين بالمجلس
وقد فسر طابع الكتاب عبارات مجعلة أو مبهمه منه لمن المؤلف ما كان يجب أن تفسر
بدل اسم الكتاب وعناوين فصوله على أنه تاريخ لهذا الطور الذي دخل فيه

الازهر منذ عشرين وفيه ما هو أهم من ذلك وأكثر فائدة للمسلمين وهو بيان أخلاق علماء الازهر وأفكارهم وشؤونهم في هذا العصر فإن حال هذا الصنف من الناس شأننا عظيم في حال الاسلام والمسلمين فهم منها بمنزلة القلب من الجسد إذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت وهذا هو السبب في شدة غناية الشيخ محمد عبده بأمر الازهر وسببه في اصلاحه واحتمال الشدائد في هذه السبيل على أنه في بلاد لا تعرف قيمة سببه حق المعرفة وإن كان لا يفوق احترامه فيها احترام أحد الكتاب مطبوع طبعا نظيفا وعن النسخة منه أربعة قروش وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من ادارة مجلة المنار ومن مكتبة هندية والمعارف والملاح و غيرها وقد أيسر لادارة المنار أن تبعه من الازهرين خاصة بثلاثة قروش صحيحة ولا شك في أنه سيصادف رواجاً عظيماً لما فيه من الفوائد العظيمة

كتاب زهر الريح * في المعاني والبيان والبدیع

كان الشيخ أحمد الحللاوي مدرساً في مدرسة دار العلوم فطلب منه ناظرها أن يؤلف كتاباً في البلاغة خالياً من الحشو والتعقيد جامعاً للقواعد والمسائل المهمة في الفنون الثلاثة فبدأ بوضع هذا الكتاب وحال دون اتمامه نقله الى مدرسة النصورة ثم أتم تأليفه في سنة ١٣٢٠ وكان عين ناظر المدرسة عثمان باشا ماهر وقد طبعه في هذا العام بالمطبعة الاميرية فكانت صفحاته ٢٣٧ واثنا لكثرة الشواغل في هذا الصيف لا أرجو أن نجد وقتاً لطالع فيه بعض أبواب الكتاب لبين مكاتبه من سائر كتب البلاغة التي هي على نسقه في سرد المسائل مع أمثلتها ولكن منازلة المؤلف للتعليم في المدارس الاميرية بعد تعلمه فيها وفي الازهر مما يرجح كون الكتاب مختصراً مفيداً سهلاً نافعا ان شاء الله تعالى

تاريخ دول العرب والاسلام

• سبني لنا تقریظ الجزء الاول من هذا الكتاب في المجلد الاول من المنار ويسرنا أن مؤلفه محمد طلعت بك بحرب قدأعاد طبعه في هذا العام لان نسخته الاولى قد نفذت وانه قد شمر عن ساعد الهممة لاتمام تأليف الكتاب وطبعه • ونريد التذكير بمباحث الجزء الاول وهو مؤلف من تمهيد وثلاثة أبواب في كل باب منها فصول • قائم بهيد

في حدود بلاد العرب ومواطنها وحاصلاتها ومناخها ومناخها الجزيرة وتشوق الأفرنج اليها، والباب الأول فيما كانت عليه العرب قبل الإسلام وفيه مباحث في طبائع العرب وأحوالها وصفاتها وأقضيتها وحكوماتها وأحكامها وحروبها وفي الزواج والطلاق والاعتقادات والخرافات واللغة والشعر والشعراء والأسواق والمعارف والكتابة والصناعة والتجارة والنقود والمسكوكات والموازين . والفصل الثاني في العرب البائدة والثالث والرابع في العرب الباقية . والباب الثاني في العرب بعد الإسلام وفيه فصلان الأول في الوحي والدعوة والهجرة وملخص السيرة النبوية والثاني في القرآن والإسلام وهو مختتم بفصل نفيس من رسالة التوجيه للأستاذ الإمام . والكتاب يطالب من مؤلفه ومن إدارة مجلة المنار وثمنه ثمانية قروش صاغ

﴿الروزنامة التونسية﴾

محمد ابن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بوزارة تونس من مروات التونسيين وفضلائهم وهو يضع تقويماً سنوياً يسميه الـروزنامة التونسية وسنة ١٣٢٣ هي السنة الخامسة لهذا التقويم وقد زادت صفحاته فيها على خمس مئة صفحة من القطع المتوسط والكلام فيه على خمسة أقسام فلكي وأدبي وسياسي وإداري وتجاري . وقد ذكر في القسم الأدبي من هذه السنة زيارة رئيس جمهورية فرنسا لتونس سنة ١٣٢١ وزيارة باي تونس لباريس ١٣٢٢ وما لقيه كل واحد من الاحتفال والحفاوة، وتاريخ نشأة اللاتق بين فرنسا وتونس . وذكر من القسم السياسي نظام الحماية في تونس والقواعد النظامية فيها ودوائر الحكومة وكبار عمالها ورجالها . وتكلم في القسم الإداري على الوزارة والكتابة العامة والإدارة والمجالس التشريعية وجامع الزيتونة الأعظم والجمعية الخلدونية وغيرها من الجمعيات وعلى المدارس والمستشفيات والمجالس والمصالح الكثيرة والمعارف وجيش الاحتلال والبحرية الفرنسية والمذاهب والملل وغير ذلك . فهذه الـروزنامة تاريخ رسمي أو شبه رسمي لتلك المملكة لا يستغني عنه حب التاريخ وثمنها في تونس خمسة فرنكات وأجرة البريد فرنك واحد

﴿تذكّار المهاجر﴾

ديوان عمر لقصر اقدي ابراهيم معلوف اللبناني نظمه في مهاجرة بالبرازيل

أبام كان مشتغلاً بجريدة (البرازيل) العربية كتابة وإدارة وكان ينشر ما ينظمه في جريدته
وبعد أن ترك الجريدة وانصرف إلى الاشتغال بالتجارة جمع تلك القصائد والمقاطع
وطبها في ديوان سماه تذكار المهاجر وقد تقدم علينا بأهداء نسخة منه كتب عليها
بخطه هذين البيتين بعد ذكر الأهداء إلى المجلة

لما رأيتك للمعارف ناشراً وبكرمة الآداب أفضل عامل

أهديت ديواني فضلك واحياً منك التشرف بانتقاد عادل

وقد كان هذان البيتان سبباً في إرجاء تقرير الديوان إلى هذا اليوم لأننا كنا ننتظر
فرصة نقرأ فيها بامعان وننظر فيه نظر الناقد حتى سنحت لنا الفرصة في الأسبوع الماضي
إنسافرنا إلى الإسكندرية فجمعنا الديوان وبقى الطريق فقرأنا مقدمته وكثيراً من
قصائده ومقاطعها فوجدنا عليها روح الناظم في جلاب من الظرف والالطف والأخلاص
يزل على من تجلت عليه في أن ينظر إلى أثرها بعين الانتقاد دون عيني الحب والوداد
فأنا أخطب وداده على البعد وأرغب إليه أن يعفني من نظرة النقد، وإن كان
لا يقبل من المجلة التي وصفها بالحرة هذا العذر، فليأذن لي بأن أفرغ لها النقد وأعرض
على نفسي العذر، تقول المجلة إن هذا الشعر لم يجر على أساليب فحول شعراء العرب
الجاهليين أو الخضر من أولاد بني وأقول لو عني الناظم باحتذاء مثال أولئك الفحول
لمأقوله على أفهام أكثر قراء جريدته لأنهم من المهاجرين إلى أمريكا لأجل التجارة
والكسب وأكثر القارئ منهم لم يتعلموا غير مبادئ القراءة والكتابة فهم لا يفهمون
شعر بشار بن برد وأبي نواس ولا شعر البحري وأبي تمام وإنما عني الناظم بما نظم لأجلهم
لأجل أولئك المعاصرين المثل من ذكرنا من القرمين، وتقول المجلة إن في الديوان
كثيراً من الانحطاط والأساليب العامة كان للناظم مندوحة عنها وأقول إن أكثر الكتاب
والشعراء المعاصرين يستعمل مثل ذلك لأسيا كتاب الجرائد وأكثرهم يخطئ، وهو
يظن أنه مصيب وصاحبنا يتأثر بأنه عالم أن شعره لم يسلم من ذلك الخطأ وقد اعتذروا عنه في الصفحة
الثالثة عشرة من المقدمة بأنه نظم ما نظم بعيداً في بلاد بعيدة عن بلاغة اللغة العربية
وأساليب الشعرية وكتبها الانوية الخ، نقوله ثم إن هذا الديوان يتنازع على الدواوين التي
وضعت لجمهور أهل هذا العصر بأنه لا يختص بالمدح والنسب والرياء والهجو بل جال

فيه النظم في المسائل الاجتماعية والموضوعات الأدبية وهو بداية نظمه فسي أن نرى في الجزء الثاني من ديوانه ما هو أرقى معنى وأسلوباً

(نظرة في المبارزة)

رسالة وجيزة في المبارزة التي اعتادها الأفرج ومن يقتدي بهم من الشرقين كتبها سالم أفندي عواد بين فيها أنواع المبارزة وتاريخها وحكمها في قوانين الدول الأوروبية واليابان والولايات المتحدة وهي تطلب من مكاتب الاسكندرية وثمنها قرش صحيح

نبأ الحبيب الأنا

حجج أنباء سوريا المزعجة - الدولة والرمية

قد تبين أن حكومة (المابين الهمايوني) في خوف ووجل من سوريا أن تخرج عليها كالمين أو مع الهم، وسوريا أبعد بلادها عن هذا العمل وعن التفكير فيه ولكن المابين قد صدق فيها تقارير الجواسيس والمفسدين وأقوال المشائين الخنائين الذين يخوفون المابين بما يكتبون من الرسائل والكتب في الدعوة إلى الاستقلال وزاد الطين بلة ما تكتبه الجرائد الأوربية في هذه الأيام عن ثورة الهم مدعية أنها ثورة مدبرة لها انصار ودعاة في الحجاز وسوريا وسائر البلاد العربية وكل ذلك أكاذيب يبعثون بها الفتنة وإغراء الحكومة العثمانية برعيها ليفي المسلمون أنفسهم بأيديهم

صدق المابين كل ذلك فأمر الولاة والمتصرفين بالإغارة على بيوت من يظن أن عندهم كتباً أو جرائد أو وسائل من مصر وأخذ كل ما يوجد في تلك البيوت وقراءته كلمة كلمة ومحاسبة أصحابه على كل ما يشتم منه رائحة الشبهة وقد ذكرنا في الجزء الماضي بعض هذه الحوادث ثم جاءت الجرائد بمسألة بأنه قد جاء إلى بيروت لجنة عسكرية ملكية أرسلها السلطان من الأستانة لتتولى التحقيق في هذه الأمور المهمة ولا تدع بيتاً من بيوت الكبراء إلا وتفتشه وقد كان من أوائل عملها الاطاحة بدار عباس أفندي رئيس ملة البابية في عكا ودار الفريق رحزي باشا وغيرها وأخذ ما فيها من

الأوراق والكتب المشتبه فيها . وقد فعل متصرف طرابلس مثل ذلك بيت عبد
اللطيف افندي الغلاييني وبيوت أخرى . وقتلوا في حمص بيتاً قائماً (نقيب الاشراف
ولا يزال المهجوم على البيوت مستمر أي كل مكان

وقد بلغنا ان الكتب التي أخذت في بيروت من المكتبة الانسية ومن مطبعة
الأقبال قد اعتبرت من النوع الذي يسمى غير لائق وانها حوت الى المدلية وانه
ورد بنا برقي من الاساتذة الى بيروت بوجوب العناية والتشديد في شأن ضبط كتب
ابي الهدي افندي التي وجدت في مطبعة الأقبال

وان للحكومة في الكتب والأوراق والجرائد تقسيماً غريباً فانه ما يسمونه الأوراق
المضرة والمقربة عليه شديدة جداً ومنه ما يسمونه الأوراق المتنوعة وهو أعم من
المضرة اذا أطلق يراد بالعام ما وراء الحجاز والمقربة عليه أخف ومنه ما يسمونه غير
لائق وهو أهون عندهم . ومن البلاء أن الرعية لا تعرف شيئاً من حدود هذه
الاقسام ورسومها فقد صار ما لم يكن ممنوعاً من قبل من الممنوع أو الضار والناس
لا يشعرون . نوقش عبد اللطيف افندي الغلاييني الحساب أن وجد عنده نسخ من
مجلة نور الاسلام الدينية التي كانت تنشر في الزقازيق وكان عبد اللطيف افندي وكلاء
لها في طرابلس لم يخرج من ذلك لانها كانت ترد اليه في البريد العثماني وعمال البريد
هم المبالون بالممنوع من الكتب لانهم يؤسرون بما ساء كعدم إيصاله الى أبوابه

ولو كانت سوريا مستعدة للخروج على الدولة لا ينقصها الا الحوادث التي تؤلم
الجمهور وتجمع الكلمة لشيء أن تكون هذه الاعمال هي السبب في الثورة والخروج
ولكننا نعلم علم اليقين ان سوريا غير مستعدة لذلك ونستعلم ذلك الدولة بعد هذا
التحقيق والتدقيق فتقدم أنها آلت الناس وظلمتهم وذكركم بما لم يمكن يخطر على
بال أحد منهم

وأما الذين يكتبون في ذلك ما يكتبون من المنشورات والمقالات في جرائد البلاد
الحرة فلا غرض لهم الا ابتزاز المال أو الرتب والاوزمة من الدولة كما ينأ ذلك مراراً
وانه ليؤلم العثماني النذور ان يرى الانكليز آمنين على سلطتهم في مصر لا يبالون
بما يقال ولا بما يكتب حتى انهم يعتقدون انه لم يبق لهم حاجة بمحيط الاحلال القليل

الباقى فى البلاد ويرى دولته فى وجل شديد من رعبها فداوى هذا الرجل بالشديد والقوة وهو دواء غريب فى بابة فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن أعجب ما تناقله الناس ، مما يوسوس به فى هذا الباب الخناس ، خوف الماين من مصر والمصريين عامة ، والأستاذ الامام خاصة ، والمصريون أشد من الترك حباً فيه الا افراد علماء السماية وانتجس من الاسنانة وكل المصريين بمقتونهم والاستاذ الامام مشغول عن هذه السخافات بخدمة مصر والاسلام ، وهو يعتقد ان السعي من جهة السياسة ، لا يأتي الا بالخيبة والتماسة ، فهو يرى الكلام فى السلطة والخلافة ، من قبيل اللغو والسخافة ، ومن المضحكات المبكيات ان حكومة بيروت ظلت ثمانية أيام تقتش فى الساحل وتجلس فى البيوت لعلها تثر على الشيخ محمد عبده لأعتقادها انه جاء بيروت مستخفياً وأنزلته الباخرة الحديدية فى جهة رأس بيروت وانه سيتولى زعامة قلب السلطة فى سوريا بنفسه والرجل مريض لا يقدر على مفارقة سريره الذي ترفرف عليه قلوب العقلاء والفضلاء مشفقة أن يخترمه حكم القضاء ، فتعبط أعماله ، وتقطع آماله ، ويخشى من سوء المآل ، هذه حال الرجل هنا وتلك حال الحكومة المثانية هناك ولم يتفق عليها رئيس الجواسيس الذين شنلوا فيها فكأنها بالحقيقة التي تسكن روعها وترأب صدعها

قلنا ان ذلك الخوف من اعجب ما ينقل وما هو بالعجيب ولا بالعاجب فان الدول فى مثل هذا الطور الذي وصلت اليه دولتنا أصلحها الله تعالى تبني أكبر من هذا البناء على أساس أوهن من هذا الأساس ، بل يفعل الحكم المطلق فى طور الحياة والقوة مثل هذه الفعال ، ويفتك بحكم الوشاية بأعظم الرجال ، ألم يأتك نبأ موسى بن نصير فى الاندلس وكيف فتح البلاد وكيف ساسه ابنه عبدالعزیز أحسن سياسة ثم كيف كافأ سليمان بن عبدالملك بآثراءه وولده عبدالله من السلطة ، وقتل ولده عبدالعزیز غيلة ، سمع وشاية المفسدين فيه فأوعز الى من قتله وهو يصلي بالناس صلاة الفجر كما قتل الامام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانا نقص على القراء ما دار بين سليمان وموسى ليلاموا كيف ظهر لسليمان خطاه ويصبروا بذلك . قال ابن قتيبة فى كتاب الإمامة والسياسة :

قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان

وذكروا أن سليمان لما ظن أن القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به إليهم عزّل عبد الله بن موسى عن أفريقية وطنجة والسوس في آخر سنة ثمان وثمانين في ذي الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعرون بشئ من عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بمث إلى موسى فأثابه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان: أنسرف هذا الرأس يا موسى؟ قال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى: فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به ثم إن موسى قام فحمد الله ثم قال وهذا رأس عبد العزيز بن يديك يا أمير المؤمنين فرحة الله عليه فلهذا الله ما علمته نهاره الأصوام، وليله الأقوام، شديد الحب لله ورسوله، بميسد الأثر في سبيله، حسن الطاعة لأمير المؤمنين، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين، فإن يك عبد العزيز قضى نحبه، وفنصر الله له ذنبه، فوالله ما كان بالحياة شحيحاً، ولا من الموت هائباً، وليكن على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصراع، ويفعلوا به ما أراك تفعل، وهو كان أعظم رغبة فيه، وأعلم بنصيحة أبيه، أن يسموا فيه، كاذبات الأقاويل، ويفعلوا به هذه الأفاعيل،: فرد سليمان عليه قال بل إنك المارق من الدين، والشاق عصا المسلمين، المناهض لأمير المؤمنين، فمهلاً أيها الشيخ الخرف: فقال موسى: والله ما بي من خرف، ولا أنا عن الحق بذي خنف، ولن ترد محاوراة الكلام، مواضع الجرام، أنا أقول كما قال العبد الصالح: نصير جميل، والله المستعان على ما تصفونه فتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين: واغرو رقت عيناه فقال له سليمان نعم فخذ فقام موسى فأخذه وجهه في طرف فيه الذي كان عليه ثم أدير في السباطين فوقع الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجره لا يحذل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان أرفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذلك يا خالد: قال سليمان دعه حبه ما فعلنا به، فلما توارى موسى قال سليمان إن في الشيخ لبقية بعد، ثم إن موسى التفت إلى حبيب بن أبي عبيدة (قاتل ابنه) فكلّمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراً خفياً من نسيه فأفجعه

ثم أن سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فأبى ذلك باطلاً وأن عبد العزيز لم ينزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع إليه عن عبد

العزيز ندم وأمر بالوفاء فخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم وأهدر موسى بقية القضية التي كان قاضاه عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته أن يظفر بالحجاج ابن يوسف وموسى بن نصير ليمزاتهما ثم لا يلبان معه من أمور الناس شيئاً فلما رضي عن موسى جعل يقول: ما ندمت على شيء ندامي أن لا كنت خلوا من اليمين على موسى في أن لأوليّه شيئاً، ما مثل موسى استغنى عنه. اهـ ثم ذكر شيئاً من خبر موسى مع سليمان وانظر الفرق العظيم بين عصرنا وعصر بني أمية الذي مازلتا نشكو منه اذ هم الذين حولوا الحكومة الإسلامية الى ما يسمى في عرف السياسيين اليوم بالسلطة المطلقة فقدم موسى للملك خطأ ولما ظهر ذلك لسليمان بن عبد الملك ندم على ما فعل بالرجل وولديه ولم يكافي الذين امتلوا أمره بالظلم الا بالأعراض عنهم فبليت حكامنا في هذا العصر يرجعون عن خطأهم اذا ظهر لهم ويعرضون عن شأبهم على الظلم ولا يشركونه معهم في رأي ولا حكم وفي القصة عبرة بصبر موسى بن نصير عند ما قوجى برأس ولده بين يديه وولده من يحزن على مثله الغريب انضاه وشجاعته وحسن ادارته وسياسة واثنا في هذا المقام نذكر شيئاً من خبر موسى إتماماً للعبرة وليتذكر نابتة عصرنا شيئاً من تاريخ سلفهم الذين فتحوا البلادواحسنوا فيها السياسة وأقاموا العدل على أنهم لم يعرفوا من علوم السياسة والقضاء والادارة بعض ما يعرف اليوم بعض المحامين المحتالين على سلب الاموال واضاعة الحقوق ونصر الا باطيل أو الموظفين الذين تشكو منهم السماء والارض أو بعض الذين يسمونهم (مترين) لأنهم تعلموا في أوروبا وهم الذين أفسدوا أخلاق أمتهم وأغروها بالجهور والفجور والقمار وغير ذلك من أسباب الدمار حتى فسد بأسها وذهبت سيادتها وانما الفرق يتناوب بين أولئك السلف الطيبة الملية والاعتقاد الصحيح والاخلاق العالية

خطبة موسى بن نصير في ذات الجماجم

لما ولي عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير أفريقية وعزل حسان بن النعمان الذي ولاه عليها عبد الملك رحل اليها ورائه الجيوش في ذات الجماجم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن أمير المؤمنين أصلحه الله رأي رأيتني حسان بن النعمان فولاه ثم كره وجهه أميراً عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر

والرأي فيها أقبل وليس فيما أدير ، فلما قدم حسان بن النعمان على عبدالعزیزاً كرمه
الله كفر الذمة وضيع الشكر ونازع الأمر أهله فقير الله ما به . وإنما الأمير أصلحه
الله صنعوا أمير المؤمنين وشريكه ومن لا ينهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم
وولاني مكانه عليكم ولم يأل أن أجهد نفسه في اختياركم وإنما أنا رجل كأحدكم فمن
رأى في حسنة فليحمد الله وليحضر على منالها ومن رأى في سيئة فليذكرها فاني
أخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الأمير أكرم الله لكم بمطاييم
وتضييفها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كان له حاجة فليرفقها بالناولة عندنا فضاؤها
على ما عز وهان من المواساة ان شاء الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ،

خطبة موسى بأفريقية

وذكروا ان موسى لما قدم افريقية وانظر الى جبالها والى ما حولها جمع الناس
ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انما كان قبلي على أفريقية أحد
رجلين مسلم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب أن يسلم
أو رجل ضعيف القيدة قليل المعرفة راض بالهوان . وليس اخو الحرب الا من
اكتحل السهر ، وأحسن النظر ، وخاض الفمر ، وسمت به همته ولم يرض بالدون من
الغنم لينجو ويسلم ، دون ان يكلم أو يكلم ، ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريد
ولا غف يقاسيه بتوكلا في حزمه حازماً في عزمه ، مستزيداً في علمه ، مستمراً لأهل
الرأي في احكام رأيه ، مستحكما بجاربه ، ليس بالمتجانب اقحاما ، ولا بالمتخاذل احجاما ،
ان ظفر لم يزد الظفر الا حذراً ، وان نكب اظهر جلادة وصبراً ، راجياً من الله
حسن العاقبة فنذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها اقول الله تعالى «ان العاقبة للمتقين»
أي الحذر ين . وبعد فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الاقصى ، ويترك عدواً منه
أدنى ، ينتهر منه الفرصة ، ويدل منه على المورة ، ويكون عوناً عليه عند النكبة . وإيم الله
لا اريم هذه القلاع والجبال الممتعة حتى يضع الله ارفمها ، ويدل امنعها ، ويفتحها على
المسلمين بعضها او اجمعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

(المنار) لا يضمن ظان أن هذا الكلام صادر عن تصورات وخیالات لا أثر
لها في النفس ولا يشهد لها من قائلها العمل كما يعلمون عن بعض خطباء هذا العصر وكتابه

الذين يقتبسون اقوال الناس ويخيلون عبارات ثم يؤلفون ذلك على الصورة التي يظنون انها تسر الناس وتطابق السنتهم بالتاء عليهم ويسمون ذلك خطبة او مقالة . كلا ان موسى هو فاتح بلاد المغرب وبلاد الاندلس و مؤسس الحكومة الاسلامية فيها فعلمه خير من قوله واخلاقه وآدابه مصدر اعماله ولا مرشده في ذلك الا الدين المبين وقد سأل سايان بن عبد الملك اسئلة عن سيرته في حربه فأجاب بما يدل على فراسته وبمد نظره وسعة اختياره وقوة دينه

قال له سايان ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من امور عدوك؟ قال التوكل والدعاء الى الله يا امير المؤمنين : قال سايان هل كنت تمتنع في الحصون والحدائق او كنت تخدق حولك؟ قال كل هذا لم افعله؟ قال فما كنت تفعل؟ قال كنت اتزل السهل، واستشعر الخوف والصبر، وأحصن بالسيف والمفر، واستعين بالله وارغب اليه في النصر؟ قال سايان فمن كان من العرب فرسانك؟ قال حمير: قال فأبي الخليل رايت في تلك البلاد أصبر؟ قال شقراها: قال فأبي الامم كانوا أشد قتالا؟ قال انهم يا امير المؤمنين اكثر مما اصقهم : قال له اخبرني عن الروم قال اسود في حصونهم عقبان على خيولهم نساء في مواكهم ان رأوا فرصة افترصوها وان خافوا غلبة فأرعال ترقل في اجبال لا يزون طارفي هزيمة تكون لهم منجاة: قال فأخبرني عن البربر قال هم يا امير المؤمنين اشبه الهجم بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسباحة وبادية غير انهم يا امير المؤمنين غدروا قال فأخبرني عن الاشبان (اهل اسبانيا) قال ملوك مترفون، وفرسان لا يجنون، قال فأخبرني عن الافرنج قال هناك يا امير المؤمنين العدد والمدة والجلد والشدة وبين ذلك امم كثيرة منهم العزيز ومنهم الذليل، وكلا قد لقيت بشكلك ففهم المصالح ومنهم المحارب المقهور، والعزيز البذوخ . قال فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم؟ كانت عقبا؟ قال لا يا امير المؤمنين ما هزمت لي راية قط ولا نص لي جمع ولا نكب المسلمون . هي نكبة مذ اقمحت الاربيين الى ان شارفت الثمانين : قال فضحك سايان وقال نأين لراية التي حانتها يوم مرج راهط مع الضحاك؟ قال تلك يا امير المؤمنين زيرية وانما غيت المروانية : قال صدقت وأعجب به كلامه فلينأمل قومنا اليوم بسيرة سلفهم ولينظر المتارنجون في آثرهم وليتيسرو انفسهم

بهم ليعلموا هل صاروا بعدهم الى تدل وسقوط، ام الى رفعة وصعود، اللهم انهم قد ارتقوا في فنون الزينة والتفنن في اللذات الجسدية، غير انهم تدلوا في الاخلاق والمزايا الانسانية، فليحاسبوا أنفسهم ان كانوا يعقلون

اصلاح الطرق الصوفية

(مقالة ارسلها شيخ مشايخ الطرق الى جريدة المؤيد وقلناها عنها)
 من أهم الاشياء التي كان العقلاء يطلبون المبادرة باصلاحها في الطرق الصوفية الامور التي لها مظاهر عمومية والتي لا تحصل بين طائفة من الصوفية او بين الرجل منهم ونفسه بل يشترك في رؤيتها والتأثر منها الصوفي وغيره والوطني والاجنبي معاً وهذه الامور أهمها

- ١ - المواكب التي كان يراها الناس كل يوم في أزقة المدن وطرق القرى وبلدان الارياض وما يتخلل الكثير منها من المنكرات كالموكب الاحدي وغيره.. وكانت في الاصل موعداً سنوياً لاجتماع رجال الطريقة أو الطرق ثم صارت الى هذه الحالة السيئة
- ٢ - اجتراء البعض على تقليد احتفالات دينية في مكان عمومي أو مجتمع عمومي بقصد أن يفرج عليه الحضور كواقع كثير امام السباح وفي بعض منازل الافرنج في مصر
- ٣ - الموالد التي تقام وما يصاحبها ويغفلها من الامور التي تخالف الآداب الشرعية وينعكس به الفرض الخيري الموضوع له الموالد بالمره
- ٤ - والثالث الاذكار التي يقيمها الصوفية في كل محل وناد وكثير منها مبين بالمره للذكر الشرعي المندوب اليه في الكتاب والسنة وهو توجه المرء الى الله تعالى سواء نطق باسمه الكريم أو لم ينطق قائماً كان او قاعداً قال تعالى (واذكرك ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالنمدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)

فمن الامر الاول كتبت لطيفة رئيس الداخلية وقد تفضل بها منه بالنافع من الامر وعمل منشوراً هذا نصه

انظاره الداخلية منشور نمرة (٨٠) بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٠٥ بدم عمل مواكب

صوفية الاباذن من مشيخة الطرق

طالب سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية بكتوبه لمارقم ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٥
 عمرة ٩٩ انفذ ماقرره المجلس الصوفي من منع حمل المواكب باسم الصوفية في القاهرة
 والاقليم الاباذن من المشيخة لاجل مراقبة ومنع مايتخللها من الامور المقابرة والآداب
 وحيث اتنازى موافقة ذلك فأكدوا باجراءه ايجابه بانحاء جهنكم ومرسل بهذا عدد
 () من نسخ هذا المنشور لنوزيها على الفروع التابعة اليكم

سماحتلو حضرة شيخ مشايخ الطرق الصوفية
 هذا صورة ما كتب للمدبريات والمحافظة بناء على طلب سماحتكم بشأن المواكب
 التي باسم الصوفية ونأمل أن لا يخطى الاذن بعملها الا لمن يتحقق أنه ممن يحافظون
 على الآداب تمام المحافظة ولا يقدم على شيء يخالف بها أقدم
 تظنر الداخلية
 تخريرا في ١١ مايو سنة ١٩٠٥
 مصداق قهني

وهي نقتضيه هذا عما ما استمع كل هذه الموقوفات المرفوعة وأبطلت المواكب الا
 ما كان ضرورة كالمواكب التي تحمل في المولد النبوي وغيره مع مراعاة الآداب التامة
 وعن الامر الثاني عند تعديل قانون العقوبات المصري في سنة ١٩٠٤ تكلمت
 مع اللجنة المكلفة بدرسه في مجلس الشورى في وضع مادة لمنع ذلك فوضعتها في ضمن
 المادة ١٣٩ وجعلت العقوبة المجهولة عليها هي الحبس مدة لا تزيد عن سنة أو غرامة
 لا تتجاوز الخمسين جنيا مصريا

والسبب في وضع ذلك في قانون العقوبات أن من يفعل ذلك قد لا يكون من رجال
 الصوفية فلا يمكن اجراء العقوبات الصوفية عليه
 فاذا أنفذ رجال البوليس هذه المادة والمنشور السابق ذكره حق تنفيذها اتم
 حصول هذه التكرات من الآن تمام

وعن الامر الثالث وجد أن لا قيد عدم عمل أي مولد لا برخصة من المشيخة
 العمومية كافي ذلك فسيق وصوفية على انفسه . ولكن وضعت مادة خصوصية
 لذلك في لائحة الصوفية له خاتمة وهي المادة السادسة من الباب الخامس قبل فيها
 (ويشترط أن لا يجاور مولد نبي عينا في الآداب الشرعية كالاماب والسخريات
 ونحوها) وكان المولد النبوي في مصر في هذا العام الماضي مثلا لذلك

وتفقد هذا الامر منوط بوكلاء الشريعة في الجهات وبالرأي العام فحسبنا وجهد
شيء مغاير لذلك فله أن يحيط الشريعة العمومية علماً به وهي تجري ما يلزم حالاً
وعن الامر الرابع اشترط في المادة الثانية من الباب الخامس من اللائحة الداخلية
الصوتية أن يبعد عن الطرق كل من أقام لذكر هيئة مخالفة للآداب الشرعية كالتمايل
المشبه للرقص والتخبط ونحوه وتنفيد ذلك يكون بمثل تنفيذ الامر المتقدم تماماً أه
(المنار) يعلم القراء أننا أنشأنا لطالب باصلاح أهل الطرق منذ أنشأنا المنار وقبل
إنشائه كنا لطالب شيخ مشايخ الطرق في مصر بذات رقة ذكرنا في المنار منذ سنين أنه وعدنا
بذلك صراره وهذا الاصلاح الذي كتب عنه الآن لا يعني شيئاً فأمّا جعل الاحتفالات
بأذن شيخ المشايخ في القاهرة وكلايته في سائر بلاد القطر فليس بالامر المهم بل خاص
الناس وبعض الجرائد في ذلك وقالوا ان الاذن لا يعطى الاذن بدفع مبلغاً من المال
وأما وضع القانون العقوبة على الامر الثاني فهو مجمله كسائر ما يناقش عليه لا يأتيه الا من
أمن العقوبة وما هو من جوهر الطريق وانما هو من اهائمه والامر المهم ما قال شيخ
المشايخ انه منته في اللائحة التي وضعها لمشيخات الطرق ويقهر من عبارته انه في ريب
من تنفيذها بل هو معتقد أنها لا تنفذ لانه ناطق برأي وكلايته والجاهل على أن الجاهل كوكلائه
جاهلون برغبون في هذه البدع نعم ان مرادق الرقص وأكواخ الزنا قد منعت من
المولد البدوي كما منعت قبله من مولد المرادق لكن لا يزال الذكري المولد على ما ينكر
شيخ المشايخ وهو بين يديه وخلفه وعن عيونه وشماله وفي داره أيضاً وقد كان
التمسك والزنا وغيرهما من المنكرات في مولد السيد البدوي أعم وأكثراً في هذا
العام منها في الاعوام السابقة وكتب في ذلك كثير من الجرائد فلم تبال مشيخة
الطرق بذلك ولم تعتمد الى منعه ولا الى الهي عنه فلعلنا نجد من شيوخ المشايخ همة
عملية في ازالة هذه البدع من مدنهم بداياها بطل لاغني الغرامية والرقص والتمايل
بأنه ذكر من داره في رمضان ويأتيه بين لنا وجه الضرورة في الواجب التي تعرض أمامه في
المولد البدوي تندر على إقامتها

مرض الاستاذ الامام

لقد مرض استاذنا منذ أشهر مرضاً شديداً نكنا نعلم أنه من الامراض الحديثة التي

كانت ثماده ولكن طال الزمان ورأينا كل من عرض عليه من الأطباء إنهاء عن الأعمال العقلية واجهاد الفكر وبأمره بالحجة والراحة التامة وهو لا يزداد الاجتهاد لنفسه وجهادا لأمته وكان موضع المرض المعدة والأمعاء فالتقل إلى الكبد فاختلف الأطباء حينئذ بين قائل أن المعدة هي الأصل والكبد تأثرت منها وقائل أن الكبد بتعدد ما تضاف على المعدة فتتعبها من وظيفتها واجفوا على اختلافهم في أي العضوين هو الأصل على وجوب ترك العمل بتاتا والتعجيل بالسفر إلى أوروبا وكل منهم أشار بتجميع بلاد واختيار أطباؤها فرضى الاستاذ بالسفر ولكن لم يرض القدر إذ كانت السفن الدورية التي تقل الناس إلى أوروبا لا تقبل زيادة على من سبق إلى أخذ جوازاتها من السائحين والمصطافين إلى ١٤ من الشهر الا فرنجي الماضي (يونيو) فأخذ جوازا وصبر عن السفر ولكنه لم يصبر عن العمل كدأ به وطده فكان بيت على فراش الآلام ويندو إلى محل عمله فينظر في الفتاوى وفي أعمال مجلس الشورى ومجلس الأوقاف الأعلى وأعمال الجمعية الخيرية الإسلامية وأوقاف الحنفية ويشغل مع اللجنة التي يرأسها الوضع نظام لمدرسة القضاء الشرعي ويحضر امتحان مدرسة دار العلوم وينظر في حاجات العفاة وطلاب المساعدة والشفاعة عند الحكام فيقضي حاجاتهم حتى تقلت عليه وطأة المرض وعجز عن الخروج واشتدت عليه الآلام حتى كان - والذي خلقه حجة على هذه الأمة التي زرعت بالكسل والخلول - يشغل على فراشه عند سكون نوبة الألم ولم يكن شيء من ذلك الشغل نفسه ولا لاهله وولده ولكنه للناس، وهل كان الناس يشفقون عليه ادخارا له أو تأديبا معه أو عملا بالذوق الذي يفخر به أهل هذا البلد ؟ كلا أنهم كانوا يكفونهم النهوض بأثقالهم وقوفا على سريره وهو مضطجع أو مستلق عليه وكان يعمل ما قدر ويستدر عما يعجز طالب الأناظر والمهال إلى أن تحسن الحال جرى على هذه الحال يعمل للناس والمرضى يعمل فيه عملا، وينهك قواه ويحلى جسده، حتى إذا ما داموا عدسفره رآه بعض الأطباء فقال أن المرض يندب بالخطر، ولا يجيزه الاقدام على السفر، فجئ، بطبيب آخر فقال قولة الأولى فكتم هذا القول من عرفه من الأصدقاء وذي القربى وساروا به في اليوم التالي إلى الاسكندرية (١٠ ربيع الآخر) ورآه من ليلته بعض أطباؤها فقالوا مثل ما قال الأولان وهو لم يعلم بهذا القول بل قيل

له ان الأطباء قالوا ان جسمك لا يقوى على مشقة سفر البحر فيجب ان ترتب في الاسكندرية لملك بتغيير الهواء تجد قوة تمكنك من السفر وعند ذلك هيأه الصديق الوفي محمد بك واسم دار أخيه في رمل الاسكندرية ونقله اليها كانت الجرائد اليومية أذاعت خبر سفر الاستاذ الى أوروبا ثم ذكرت أنه أرجأ السفر بأمر الأطباء فعلم القاصي والداني من اهل هذا القطر بمرضه وظهر من آيات مكاته في نفوس الناس ما لم يكن يعلم كله فكان شغلا شاغلا للعقلاء والفضلاء من جميع الاصناف والطبقات فكان اصراء البيت الحديوي ومن حضر من اطار الحكومة لاسباب رئيسهم القائم مقام الحديوي وغيرهم من كبراء الامة يترددون على الدار التي يقيم فيها المرة بعد المرة وكان بعض الأصراء يرسلون اليه اطباءهم وكانت الرسائل ترد كل يوم في البرق والبريد من جميع أنحاء القطرين - مصر والسودان - تسأل عن صحته وكما وجد يوماً راحة تبشر الجرائد بها الامة فيصبح الناس مطمئنين فاذا سكنت الجرائد يوماً عن البشارة لجوا في السؤال مستخبرين

أما نحن - معشر اهليه واقرب اصدقائه وصريديه - فانا نتراوح بين اليأس والرجاء اذا راينا في راحة من الالم يرجح املنا حتى اذا ماتنا لم نعظم خوفنا ووجلنا فنلتنا في ذلك مثل مقياس الحرارة كل يوم في صعود وهبوط بحسب ما نرى من حاله ولا غرو فهو كالهواء حياة بالمنوية كالشمس لامتنا المسكنة ونسأل الله تعالى دفع البلاء والمطاف في القضاء وتمجيل الشفاء انه سميع الدعاء.

اعتذار للقراء الكرام

لا يجهل احد من قراء النار صلتنا بالاستاذ الامام ولا حاجة لان نقول ان مرضه قد شغلنا عن كل شيء فقد كنا نزوره في مصر كل يوم ونمكث عنده ماشاء الله ان نمكث ولما سافر الى الاسكندرية سافرنا معه واقفنا اياماً رايانا فيها حاله حسنت بعض الحسن فعدنا الى القاهرة وكتبنا بعض الجزء الثامن ثم جئنا الاسكندرية فأقفنا عنده اياماً كان آخرها خيراً من أولها فعدنا الى القاهرة واتممتنا الثامن وكتبنا بعض التاسع ثم جئنا الاسكندرية وعدنا مرة بعد مرة ولم نصدر الجزء الثامن لانه لم يتم الا وقد جاء موعد التاسع فمزمنا على إصدارها معاً وقد مر على الموعد ايام والمذر ظاهر ولا شك ان تأخير هذين الجزئين يستتبع تأخير ما بهما ايضاً وهو تأخير لا يضر لان ما يكتب في

النار لا تخلقه تأخر الزمان لأنه ليس من الأخبار الطارئة التي تسبقنا الجرائد اليها
فتفني القراء عما نكتبه وبهذا قد ظهر عندنا للذين كتبوا إلينا من بلاد كثيرة فلم نجيبهم
ولله لا يضيع عندنا شيء إن شاء الله تعالى

اعذار بعد اعتذار

أخبرنا محمد النازقي القاهرة بأن كثيراً من المشتركين يقولون له أنهم يريدون
زيارتنا ودفع قيمة الاشتراك في الإدارة . فنحن نشكر هؤلاء المحبين وغبتهم في زيارتنا
ونحن أشد رغبة في التشرّف بزيارتهم ونرجوهم مع ذلك أن يدفعوا الاشتراك لأنهم يحصل
لتكون الزيارة بيتنا ودية دية فقط ولكي لا يحرم المحصل من أجرة التحصيل منهم
إذا ليس له شيء إلا على ما يحصله يده فالدفع إليه أحب إلينا وأنفع له فلهذا أخواننا
الكرام يرضوننا جميعاً . ثم إننا نذكر السادة المشتركين في النظم المصري والسودان
بأن يفضل أهل الفضل منهم بارسال قيمة الاشتراك إلينا بالتحويل على البريد ولا
يلجئونا إلى الكتابة إليهم أو التحويل عليهم ولا شك أن من يرجع إلى وجدانه
ويفكر فيما نحن فيه من الشواغل يأتي مسرعاً ويحملنا من الشاكرين

رأي غريب في عاقبة السكر

جاء في بعض الجرائد أن بعض حكماء أمريكا يرى أن الناس بعد كذا الفأ من السنين
يصيرون كلهم مجانين بتوارث تأثير السكر في دمائهم وأعضائهم فأولاد السكرى دائماً
مستعدون للجنون فإذا هم اعتسداوا مثله على السكر جاء أولادهم أشد استعداداً له
منهم وهكذا يتسلسل نحو الاستعداد للجنون حتى يصير جنوناً في بعض طبقات النسل
ولذلك يكثر الجنون في الناس عاماً عام وأكثر ما يصيب السكرين فإذا دام انتشار
السكر واقبال الناس على هذه الخمر الكثيرة الأنواع فإنها يوشك أن تعم البشر بعد
ألف من السنين فيكون كل واحد منهم مستعداً للجنون فيظهر فيهم بالتدريج حتى يفتأهم
قول السكر أجمعين

يبدأ أكثر الناس هذا القول علواً في المبالغة ولكن لا يوجد عاقل عالم ينكر أن السكر
بعد الفصل للجنون فهل تعظ بذلك الفساق وعبيد الله ويخافون على نسلهم إذا لم
يخافوا على أنفسهم من سائر عواقب السكر في الدنيا والآخرة ؟ كلا إن الإنسان خلق
ضعيفاً لا يقوى على مقاومة الشهوة إلا إذا أدب تأديباً دينياً من الصغر فإنه حينئذ

يرجى له أن يقوى على جند الشهوة المحرمة في الغالب فان غلبته نفسه على الاسم بشيء
تذكر الله فلا ذنب لثوبه والآنابة

لقد ران حب الله على العقول فاضف السكر وختم على القلوب فأما شعور
الحق والخير وصرف الخواس عن الاعتبار بما توي وتسمع فكان هؤلاء المدينين
لا يفتنون ان في السكر شيئاً من الضرر ولذلك يوجد فيهم من يلزم به أهله وولده ويجمعهم
عنه. رأيت في بعض الجرائد أن رجلاً من الأغنياء أخذ ولده ليلاً الى بعض ملاهي
الازبكية حيث المقامرة والسكر فطفق الوالد يقاسر حتى رأى ولده يهوى شربة بالتدريج
له كاساً من الحمة (البيرة) فأنكره الولد وعانه فألح عليه والده ومريه حتى شربه بالتدريج
وكان ذلك مفتاح الشرور فلم يلبث الولد ان عاد الى ذلك حتى اعتاد وانغمس في الفساد
وانقطع عن الدرس والمدرسة فيالله وهذه الترية

آفة هؤلاء الجاهل الذين سفهوا أنفسهم فساد الدين ومن العجائب أن منهم
من يتوهم أن علمه وفكره أرقى من ان يقبل الدين وان المدينين لا يكونون الا
منحطين في مراتب البشرية كأن أعلا مراتب البشرية عندهؤلاء السفهاء ان ينصرف
الانسان الى اللذات البهيمية فلا يكون بينه وبين الثور والخنزير والقرد فرق في غيب
الصورة الجسدية لا بخروجه هو في طاعة شهواته عن مقتضى الفطرة والاسراف
في كل شيء حتى يكون حراً أو يكون من المالكين ولوسع هذا الرأي لسكان البهايم افضل
من الناس كما هو ظاهر

هو انتغار جريدتي اللواء والعالم الاسلامي بالكذب

من القواعد المعروفة أن الانسان يتكبر اذا كان يشعر في نفسه بأنه وضع بين
كبراء لا يجاريهم الا اذا تكلف الظهور بمظهرهم لان صفة التكبر تدل على
التكلف . ومن لوازم التكبر الكذب في القول يتم به التكبر بالفعل . وكان صاحب
جريدتي اللواء والعالم الاسلامي على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو
يخزع الرسائل ويدهي أنها جاءت من الهند وجاره والامانة وغيرها من البلاد ثم
يقبض ويقتخر بذلك ويدهي ان جريدته موضع ثقة الامم والشعوب الاسلامية في
العالم الاسلامي ولعلك لا تجد شيئاً من هذا التبعج والتفج في جريدة يومية أخرى

ولا في جريدة أسبوعية الا أن يكون بعض ما يسمونه في مصر بالجرائد الساقطة فالتيمس
والثان ونيويورك هرايك وأمثالها تستحي ان تفخروا بكلمة حق لأنها ترى الكمال في
ان ينخربها الناس لا في أن تنخرها بنفسها

وإذا أحببت أن ترى شاهدا من شواهد رسائل اللواء المكذوبة فراجع العدد ١٧٥٤ و
العدد ١٧٦٢ نجد في الأول منهما مقالة وفي الآخر مقالة أخرى زعم أنها جاءت من
جناحه تؤيد ما كتبه في العدد ١٧٥٤ من جهة وتستدرك عليه من جهة أخرى وأنت
تري أن مدة ما بين العديدين سبعة أيام في هذا الأسبوع طار عفريت من الجن بعد اللواء
من القاهرة فقطع البحر الأحمر والمحيط الهندي الى جناه ثم حمل رسالة من أحد
المسلمين هناك وعاد بها الى ادارة اللواء الأغر ولولا هذا العفريت لما وصل اللواء الى
جناحه وكتب ذلك الكاتب ووصلت رسالته الى مصر الا في زهاء شهرين من الزمان

يقول الناس في أمثالهم اذا كنت كذوبا فكن ذكورا أي لئلا تفتضح عند
الناس فتحتقر ولكن صاحب الجريدتين قدأمن من أهل وطنه المحبوب أن يحتقروه
وهما قال وفعل فهو مستغن عن تكلف عشاء التذكري والتوفيق بين الكذب السابق واللاحق
يسهل على اللواء الأغر أن يكذب في يومه على أمسه فكيف يطالب بأن لا يكذب

في أسبوع على ما قبله رأيت بالمصادفة ما نقله عن جريدة الاهرام في استرجاع شيخ
الجامع الارهر لكتابه الذي أرسله الى رئيس النظار والقائم مقام الخديوي في مسألة
اعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية - جريدة الاهرام قالت يوم الجمعة ان
شيخ الجامع اقتنع بأن ارسال ذلك الكتاب لم يكن من الضواب فاسترجعه رسميا وأطلق
عدده (نمرة) الرسمي وجريدة اللواء زعمت في يوم السبت التالي ان تلك الجمعة ان
جريدة الاهرام قالت ان الحكومة كلفت شيخ الجامع بسحب كتابه ولم يكن أحد
من الناس نسي ما في جريدة الاهرام لأنه لم يمر عليه سوى ليلة واحدة

وكأننا بهض الذين يعرفون كنه اللواء وصاحبه يخذلوننا على اضاءة نحو صفحتين من
المنار في بيان كذبه واطلمهم يرجعون عن غلظهم اذا علموا اننا لا نقصد بهذا الرد على
الذين أخبرونا بأن اللواء نشر مقالة من جناه وأخرى من كذمته في ذم المنار وطلبوا
من الرد عليهما ليعلموا اننا لا نثق بما يكتب في هذه الجريدة ولا نقرأه على انه لم يكن
في تلك المقالتين الا السب والشتم فلواتهما تضمنتا نقل شيء من المنار والرد عليه ليسا
لناس الحق في ذلك



فبشر عبادي الذين يستعبرون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المعجزة
١٣١٥

يعتني الحكمة من يشاء ومن يعتني بالحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوي و« مناراً » كنار الطريق

(١٠٠٠ - ١٦ جادى الأولى سنة ١٣٢٣ - ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

مصاب الإسلام • يموت الأستاذ الامام

مات الأستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الارواح وعلمو
الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبدا ولكن كل حي يموت إلا الحي القيوم
«إنا لله وإنا إليه راجعون»

مات الأستاذ الامام فمات ذلك العلم الواسع، والحكمة البالغة، والحجة
الناطقة، والمعارف الكونية والالهية، والعلوم الكسبية والدنية، مع البيان
الساحر، والأدب الباهر، والبلاغة التي تمتلك العقول والقلوب، والفصاحة
التي تستهوي الاسماع والنفوس،

مات الأستاذ الامام فمات تلك الاخلاق القدسية، والشجائل الحميدة،
والصدق في القول والفعل، والاخلاص في السر والجمهور، والوفاء في القرب
والبعد، والسخاء في السر واليسر، والعفة في الشباب والكهولة، والحلم عند
الغيظ والمغاضبة، والمنو مع القدرة على المواقفة، والتواضع وخفض
الجناح للمخلصين، والشهامة والترفع على المنافقين والمستكبرين، واللين للحق
وأهله، والشدة على الباطل وجنده، والشجاعة التي تنهاها الأشرار والمظالم،
والقناعة التي رفعت رأسه فوق الرؤساء

مات الأستاذ الامام فمات تلك الاعمال النافعة، والمشروعات الرافعة،
والمساعي الجديدة، والوسائل المفيدة، والاجتهاد في رفعة الأمة، والدفاع
عن الملة، والدعوة إلى التوحيد والتأليف، والاشتغال بأفضل التليم والتأديب،
والترية الصحيحة للمريدين، والجمع بين علوم الدنيا والدين، ومواساة البائسين
والمموزين، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين،

مات الأستاذ الامام فمات تلك الآمال البعيدة، والمقاصد الحميدة،

التي كانت مطوية في ذلك الجرم الصغير ، الذي انطوى فيه العالم الكبير ،
 تلك الآمال التي تضاهل دونهاهم الملوك والأصراء . وتتصاغر أمامها
 نفوس الزعماء والأغنياء ، الذين هم عن استعمال واهبيهم مصر وفون ، وعن
 الثقة برهم محجوبون ، وعن سنته في خلقه غافلون ،

مات الاستاذ الامام فراع موته الناس ، من جميع الطوائف والأجناس ،
 فعلم علماء الدين ، أنهم فقدوا ركنهم الركين ، الذي يحمل عنهم رد الشبهات ،
 وغير ذلك من فروض الكفايات ، وعلماء الدنيا ، أنهم خسروا ركنهم
 الاقوى ، الذي يدفع عنهم مطاعن المتعصبين ، وتكفير الجامدين ، وثبت
 ان الاسلام جمع بين المصلحتين ، ولا يتم ذلك الا بالجمع بين العلمين ،
 وشعر طلاب الإصلاح بأنهم فقدوا إمامهم العظيم ، الذي كانت فيه
 صفات الزعيم ، وأحسن الفقراء والمساكين ، بأنهم رزءوا بكافل اليتامى
 وغوث العاجزين ، ولم يجهل القائلون بالثورن العامة ، شدة وقع هذه
 الطامة ، وأنهم نكبوا بصاحب الرأي الناقد ، والعمل النافع ، مربى
 الرأي العام في الشورى والجمعية العمومية ، صاحب اليد البيضاء في الأوقاف
 الاسلامية ، المضطلع بإصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ، الناهض بأعباء
 الجمعية الخيرية ، الموفق بين الحكومة والرعية ، واعترف أهل الملل بأن
 مصابه مصاب الانسانية ، والخسارة الكبرى على العلم والمدينة ،

مرض هذا البر الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض
 الضملاء ، ويبعث عن مساكن القواعد من النساء ، ليواسيهم بالبر ، من
 وراء الستر ، وقال لي ان فلانا القريب قد انقطع عن السفر بدين عليه ،
 وانني مستغن الآن عن مئة جنيه فان كانت كافية أرسلتها اليه ، ولكنه غاب

من الوجود ، قبل ان يقضي لباته من البر والجلود ،
 مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الامة المصرية لمرضه فكانت
 الدار التي يمرّض فيها كعبة المائدين من العلماء والاصراء والوزراء والادباء
 والفضلاء والفقراء والأغنياء وكان البرق يناجيه كل يوم مع البريد ،
 بالنيابة عن الماجز والبيد ، سائلين عن صحته ، أو مهشين بما يقال عن
 راحته ، فكان يحمد الله ان جعل الدهماء من أمته يعرفون لخادمها
 خدمته ، ويشكرون للعامل لها عمله ، ويقول ثن شئت لاجهدن النفس
 في خدمتهم اجمعين ، حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين ،
 مرض الاستاذ الامام ، فلم يعقه المرض عن خدمة المسلمين والاسلام ،
 واحتضر الاستاذ الامام ، وهو يفكر في مصلحة المسلمين والاسلام ،
 ومات الاستاذ الامام ، وهو يلهم غيره على المسلمين والاسلام ،
 نقول مات الاستاذ الامام فنبدي القول ونعيده فنصر الحس ،
 ونكار النفس ، فقد كادت تحسب ان موته رؤيا منام ، وأضغاث أحلام ،
 وما هو الا الحق اليقين ، ومصير الاولين والآخريين ، وما جعلنا لبشر من
 قبلك الخلد أغانٍ مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت وتبلوكم بالشـر
 والخير فتنه والينا ترجعون * ، مات استاذنا وإمامنا ولك اللهم البقاء فلا
 تقتنا بعده ، ولا تحرمنا أجره ، واغفر اللهم لنا وله ،
 نعم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه ، وما آثره وعوارفه ،
 فلقد ربي أرواحا ، واصلاح إصلاحا ، وألف كتابا ، وترك علماء وأدباء ،
 وأمانات سناسبة له أجر إمامته وأحيا سننا حسنة له أجرها وآجر من يعمل
 بها ، وعلمنا كيف تفهم القرآن ، وقيم شرائع الاسلام ، مع توخي قمع

الناس أجمعين ، والاخلاص لله رب العالمين ،
 مات أستاذنا وإمامنا فكبر علينا موته ولكنه ربانا على الصبر وعلينا
 كيف تعزى عنه حتى في مرض موته ، فقد كان هجيراً في تلك الكربات
 والسكرات ، كلمة الله التي أمرنا بتكرارها في الصلوات • (الله أكبر) فلئن
 كان بفضل الله كبيراً فبالله أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيراً علينا
 فبالله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومن يقتسم بالله فقد
 مدي إلى صراط مستقيم

لبي دعوة ربه برمل الاسكندرية في الساعة الخامسة بعد الزوال من
 يوم الثلاثاء ثامن جمادى الاولى فنماء البرق بآلاته الناطقة والكاتبة الى
 العاصمة وغيرها من مدن القطر فاضطربت لنبيه القلوب وذرفت العيون
 واسترجعت الألسنة وحوتلت وطفق الناس يعزى بعضهم بعضاً متفقين
 على ان المصاب به عام ، وأشد وقعته على المسلمين والاسلام ، وما كنت
 تسمع من القريب والغريب ، والبنيفض والحبيب ، والوطني والاجنبي ،
 والرشيد والفوي ، والعالم والجاهل ، والمفضول والفاضل ، إلا كلمة « خسارة
 لانعوض » أو كلمة « عوض الله الأمة به خيراً » أو قول الشاعر

وما كان فيسا رزءه رزء واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
 أو قول الآخر

ولكن الرزية فقد حر بموت لموته خلق كثير
 وقد اجتمع مجلس النظار فقرر ان تحتفل الحكومة رسمياً بتشيع
 جنازته في الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص الى العاصمة
 قصبت وشاركتها الأمة ونزلاءها والمحتلون بهذا التشيع الذي لم يسبق

مثله لغيره حتى كان يخيل للمشيّع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة الا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الاخير وقد صلي عليه في الجامع الأزهر ودفن في قرافة المجاورين لفضله الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته

ولما كان المنار هو الداعي الى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدير به ان يرشد الى الاستفادة بسيرته بعد مماته ، فلا تطيل في الرثاء والتأين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربي حتى صار إماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصاحفا عظيما ، ومنضم له تاريخا معلولا تفصل فيه ما أجهلنا ، ونشرح فيه ما خفينا ، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتباته ، وخطبه ومقالاته ، وما كتب به اليه بعض العلماء والمطباء ، وماقاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابتته به الجرائد ، وما رثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاء الامة فيه ، ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه ،

ملخص سيرة الاستاذ الامام

(اسمه ونسبه ومولده)

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من مديرية البحيرة في القطر المصري . ويبت خير الله تركاني الأصل كما اخبرنا الفقيد رحمه الله تعالى ولا أذكر عنه شيئا من تاريخ قدوم عشيرتهم الى القطر المصري الا أنهم كانوا يقيمون في الخيام وان علي باشا مبارك أخبره ان عبد اللطيف البغدادي المؤرخ الشهير ذكر في الرحلة الكبرى انه جاء (محنة نصر) ونزل ضيفا في بيت التركاني . وأمه من عشيرة كبيرة في مديرية الغربية تعرف بمائلة عيان وتنسب

إلى بني عدي قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب ويقال إنها من ذريته . وكان والده
شهما شجاعا وقورا سخي النفس وكانت والدته برة رحيمة بالمساكين ذكية
النور شديدة الحياء ولا أبعد إذا قلت أن والديه كانا من أسلم الناس فطرة
وأحسنهم خلقا . وكانت هذه الاخلاق فيهما موروثا ومكتسبة بالمعايشة
والقدوة لا يتعلم المدارس ولا بتأديب المعلمين . وهذا أصل عظيم في استعداد
الرجل لما وصل اليه من الكمال الذي لم نر ولم نسمع بمثله وقد قال صلى الله عليه
وسلم « الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا »
رواه البخاري ومسلم

ولد قدس الله تعالى روحه في أواخر سنة خمس وستين أو ست وستين
ومئتين وألف من الهجرة الشريفة (روايتان من كتابته) في قرية من قرى
مديرية القروية كان والده هاجر إليها هو وأخوه بهنس فراوا من ظلم حكام
مديرية البحيرة في أواخر حكم محمد علي باشا الكبير وكان له قرابة في تلك
القرية وفي أثناء إقامته فيها كان يتردد إلى بعض القرى القريبة فيها ويتعارف
هو وأهلها فأدى ذلك التعارف إلى المصاهرة إذ تزوج بوالدة الفقيد وهي
من قرية تسمى (حصه شبشير) قرية من مدينة طنطا وإقام معها في قرية
تسمى (شتر) إلى أواخر مدة عباس باشا الأول وإلى مصر ثم ألبانته
الحوادث بعد ذلك إلى الرجوع إلى بلده وهي قرية تسمى (محلة نصر) في
البحيرة وفيها نشأ وترعرع

تعليمه وتربيته

نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء البيوت المروفة في القرى ولم يدخل
المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من سنه وفيه

كتب هو عن مبادئ تعلمه وتأدبه ما نصه : « تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه وحدي جميع القرآن أول مرة ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظه جميعه في مدة سنتين ادركني في ثابتهما صبيان من أهل القرية جاءوا من مكتب آخر يقرؤا القرآن عند هذا الحافظ ظنا منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من أثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك جاني والدي الى طنطا حيث كان أخي لأبي الشيخ مجاهد رحمه الله لأجود القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

و ثم في سنة احدى وعشرين جاست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الأجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفا لأنهم شيئا لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاخثونا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا تفهمها ولا عناية لهم بفهم معانيها لمن لم يعرفها فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخواني مدة ثلاثة أشهر ثم علي أخي فأخذني الى المسجد الاحمدي وأراد اكرامي على طلب العلم فأبيت وقلت له : قد أيقنت ان لا نجاح لي في طلب العلم ولم يبق علي الا أن اعود الى بلادي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي : وانتهى الجدال بتغلي عليه فأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا أعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

« فهذا أول أثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي يمينها طريقته في الازهر وهو الاثر الذي يجده خمسة وتسعون في المئة ممن

لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السبيل في التعليم - سبيل
إتقاء العلم ما يعرفه أو مالا يعرفه بدون ان يراعي المتعلم ودرجة استعداده
لفهم غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون أنفسهم اتقدهم فيظنون
أنهم فهموا شيئا فيسترون على الطلب الى أن يلفوا سن الرجال، وهم في
أحلام الاطفال، ثم يتلى بهم الناس وتصاب بهم المامة فتعظم بهم الرزية
لأنهم يزيدون الجاهل جهالة ويضلون من توجد عنده داعية الاسترشاد
ويؤفون بدعائهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين
تعم الناس بطله

وبعد ان تزوجت باربعين يوما جاءني والدي ضعوة نهار وألزمي
بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع وإياه لم أجده مندوحة
من إطاعة الأمر ووجدت فرسا أحضر فركته وأصحبني والدي بأحد
أقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليصحبني الى محطة (إيتاي البارود)
التي أركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر
والريح عاصفة مائبة سافياء ، تمصب الوجه بشبه الرمضاء ، فلم أستطع
الاستمرار في السير فقلت لصاحبي أما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع
هذه الحرارة ولا بد من التمرج على قرية أنتظر فيها ان يخف الحر، فأبى علي
ذلك فتركته واجريت القوس هاربا من مشادته وقلت اني ذاهب الى
(كنيئة ادرين) - بلدة غالب سكانها من غزولة ابي - وقد فرح بي
شبان القرية (*) لانني كنت معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح وأملوا

(*) في العبارة ايجاز بديع بالحذف اذ لم يذكر انه وصل الى القرية ولقي شبانا بل
غوى ذلك لدلالة ما بعده عليه . وقد اقتدى رحمه الله في هذا بأسلوب الكتاب العزيز

أن أقيم معهم مدة يلبو فيها كل منا صاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وأرادني على السفر فقلت له خذ القوس وارجع وسأذهب صباح الفد وان شئت قلت لو الذي انني سافرت الى طنطا فأنصرف وأخبر بما أخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي، وبدلت فيها رغبة غير رجعتي ،

« ذلك ان أحد اخوال أبي واسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء ليبيا ووصل في أسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئا من العلم واخذ عنه الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه ثم رجع من أسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلاح الأرض وكسب الرزق بالزراعة » وإن هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بها في الكنية ويده كتاب يحتوي على رسائل كتبتها السيد محمد المدني الى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفعت طلبة بشدة ولمنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منه أشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميته إلى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في اللطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر فاندفع يفسر لي معاني ماقرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضي فتذله وتسبق إلى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل والامب بالسلاح وانسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وأنصرفتم اليهم . بعد العصر جاءني الشيخ بكتابه وألح علي في قراءة شيء منه

فترأت وفسرتم تركته إلى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الأول
أما اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له فيه وهو يشرح لي معاني ما أقرأ نحو
ثلاث ساعات لم أمل فيها فقال لي إني في حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة
ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منه إبقاء الكتاب معي فتركه ومضيت
أقرأه وكلما مررت بمباراة لم أفهمها وضمت عليها علامة لأسأله عنها إلى
أن جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب وهوى
ينازعني إلى البطالة، وعصر ذلك اليوم سأته عما لم أفهمه فأبان معناه على
عادته وظهر عليه القرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل
إلى التعمق

« كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير
من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من
دنس الرذائل وتزويدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا
« لم يأت عليّ اليوم الخلاء إلا وقد صار ابنض شيء إليّ ما كنت
أحبه من لب ولهو، وفخنة وزهو، وعاد أحب شيء إليّ ما كنت أبغضه
من مطالعة وفهم وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعوني إلى
ما كنت أحب ويترددوني في عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لا احتل
أن أرى واحدا منهم بل أفر من لقاءهم جميعا كما يفر السليم من الأجرأب
في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقته فقال طريقتنا الإسلام
فقلت أو ليس كل هؤلاء الناس مسلمين ؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم
يتنازعون على الشافعية من الأضرولما سمعتهم يخلفون بالله كافرين بسبب
وبغير سبب . هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي

من المتاع القديم - متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون، وإن كنا في غمرة ساهين، سألت ما وردكم الذي ينال في الخلوات أو عقب الصلوات، فقال لا ورود لنا سوى القرآن تقرأ بعد كل صلاة أربعة ارباع مع الفهم والتدبر: قلت أني لي أنت أفهم القرآن ولم أنسلم شيئاً قل أفراً معك ويكفيك ان تفهم الجملة وبيركتها يفيض الله عليك التفصيل وإذا خلوت فاذكر الله: على طريقة يدها. وأخذت أعمل على ما قال من اليوم الثامن فلم تمض نلني بضعة أيام إلا وقد رأيتني أطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت أعهد، (١) واتسع لي ما كان ضيقاً، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً، وعظم عندي من أمر المرفان والتزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيراً، وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبق لي الا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس ولم أجد إماماً يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد، الى إطلاق التوحيد، - هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من محبة أحد أقاربي وهو الشيخ درويش خضر من أهالي (كنيسة ادرين) من مديرية البعيرة. وهو مفتاح سعادتني ان كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا، وهو الذي رد لي ما كان غاب من غيوتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع في فطرتي،

وفي اليوم الخامس عشر من بي أحد سكان بلدتنا (محلة نصر) فأخبرني

(١) سندكر هنا ثم في تاريخه الطول معنى ما قاله في تأثير التصوف في نفسه وما لم يقله وبين ما كان له من المنفعة والضرر الذي تلافاه السيد جمال الدين في رؤية عقيدته الثانية

ان والدي ذهبت الى طنطا لتراني فعلمت ان سيقول لوالدي اني لا ازال في الكتبة فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لاني لو كنت اقت له ألف دليل على اني وجدت في مهربي مطلبه ومطاي لما اقتنع

«ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان يمض الشايخ كانت مات بنته فمافه الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض له عارض منه عن اتمام شرح الشيوخ خالد على الأجرومية فأدركت كلا منها في أوائل الكتاب الذي كان يدرسه وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ما أقرأ وما أسمع والحمد لله وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لأطالع معهم قبل الدرس ما استلقاه وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطلع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه ان يكون من أولئك الذين يسمونهم بالهجايب فلما رفعت رأسي اليه قال مامناه : ما أحلى حلوى مصر البيضاء : فقلت له وأين الحلوى التي منك ؟ فقال سبحانه الله من جد وجد ثم انصرف فعددت ذلك القول منه إلهاما مسافه الله الي ليعماني على طلب العلم في مصر دون طنطا

وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الأزهر وداومت

على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استنفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة وفي آخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى (بحلة نصر) لأقيم بها شهرين من منتصف شعبان الى منتصف شوال وكنت عند وصولي الى البلد أجد خالي والدي

الشيخ درويشاً قد سبقني اليه فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سنري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له ما درست فيقول : ما درست المنطق ما درست الحساب ما درست شيئاً من مبادئ الهندسة : وهكذا وكنت أقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الأزهر فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في أي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة ألتبس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطئ في الطلب واخرى أصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦

«وقد صاحبت من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية وأدعو الناس الى التلقي عنه كذلك وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلمنا الاقاويل ونزعمون أن تأتي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس في ضلالات تخرمها خيري الدنيا والآخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العلم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وإن أعدى أعداء العلم هو الجاهل وأعدى أعداء الحكيم هو السفه وما تقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بمقتوى عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه الا ما يسميه بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بهلم كالمسحور والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس : »

هذا ما كتبه الفقيد من مبادئ تربيته وتعلمه في ترجمته التي كتبها لي قبل اشتداد مرضه الأخير وكان حديثي قبل بشيء من ذلك ومنه أنه لم يكن

يرأى طلب على حضور دروس من لا يفهم أو لا يستفيد منهم وأنه ربما كان يحضر
درس أحدهم وفي يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس وان من شيوخه
الذين فهم منهم واستفاد في أول تحصيله الشيخ محمد البسيوني وأنه بعد الحضور
في الأزهر ثلاث سنين مل الدروس المتأداة كأنه أخذ حظه منها وصارت
نفسه تطلب شيئاً جديداً وتميل الى العلوم العقلية ولكنه حضر جميع
الكتب وفهمها ولم يكن يرناح الى إعادة شيء منها وكان الشيخ حسن الطويل
ممتازاً في الأزهر بعلم المنطق فحضره عليه ولم يكن يشفي ما في نفسه بل كانت
تشوف دائماً الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الأزهرية
من طلبته المجهولة فيظفر ببعض الشيء ومما ظهر به القطب على الشمسية
نافصاً . وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئاً من الفلسفة ولكن لم يكن
يجزم بأن المبنى كذا بل كان الدرس احتمالات أو أشبه بالحزر فيما بينهم
حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده
جميع طلبتها ، وألقى أمنيته ، وأخبرني رحمه الله تعالى ان الذي أخبره
بقدم السيد جمال الدين هو أحد المجاورين في رواق الشوام قال له انه
جاء مصر عالم افتاني عظيم وهو يقيم في خان الخليلي فسر بذلك وأخبر
الشيخ حسنا ودعاه الى زيارته معه فأتيا يتمشى فدعاهما الى الأكل معه
فاعتذرا فطلق يسألهم عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها
ثم بصرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب فتينا به عجباً وشغفه جداً لان التصوف
والتفسير هما قرّة عينه أو كما قال مفتاح سعادته . وأخبرني رحمه الله تعالى انه قرأ
على السيد كتاب الزوراء للدواني في التصوف ، وشرح القطب على الشمسية
والمطالع وسلم العلوم من كتب المنطق ، والهداية والاشارات وحكمة العين

وحكمة الاشراف من الفلسفة ، وعقائد الجلال الدواني والتوضيح مع
التلويح في الاصول ، والجفميين في الهيئة القديمة وكتابا آخر في الهيئة
الجديدة نسبت اسمه .

ثم ان السيد ارشده كثيره من تلامذته الى الانشاء وكتابة المقالات
الايدية والاجتماعية والسياسية وصرهم على الخطابة فبرع فقيدنا في ذلك حتى
صار ابرع من استفادته نفسه لان عبارة السيد رحمه الله تعالى كانت على مثالها
وبلاغتها لم تصف من كدورة المعجمة الى صفاء الانسجام المربي الخالص
كمبارة الشيخ ثم ان مجالس السيد في نادية وسامر كانت كلها مجالس علم وحكمة
واطب وسياسة وقلم كان يفوت فقيدنا شيء منها اذ كان يلزمه ملازمة
ظله وما يستفيد المرء بالذاكرة في ساعة لا يستفيد بالدرس في ساعات
لان المدرس يكافك كل ما يلقيه اليك سواء كنت تشعر بالحاجة اليه وتعتقد
الاستفادة منه أم لا وسواء كنت مستعدا لفهمه أم لا ، وأما المذاكرة
فهي مشاركة اختيارية في البحث والانسان لا يختار الا ما يرى نفسه
بحاجة اليه ومستعدة لفهمه فمثل الدرس يلقي اليك كمثل من يكافك أن
تأكل مقداراً معيناً من الاطعمة التي قد تماف بعضها ولا تستطيع تناولها
الا بكثرة وغثاء فأنت لا تغذي الا ببعضها والباقى إما أن يضر وإما أن
لا ينفع ومثل المذاكرة كالطعام الذي تشهيه وتناول منه ما يكفيك فيكون
كله غذاء نافعا . وقد قل بعض علماء التربية من الافرنج انه كلما يطلع من
يقم في مدارس العلم زمنا طويلا . ولقد كانت مجالس استاذنا المقيد
كجالس استاذ (رحمهما الله) تفيض علما وحكمة وأدبا ولكن الفصل
بينهما في هذا هو ان السيد كان يلقي الحكمة لكل أحد وأما الشيخ فكان

مخاطب كل أحد أو كل فريق بما يرى انه مستعد له ومتوجه اليه وقد قال لي رحمه الله تعالى ان السيد جمال الدين كان يلقى الحكمة لمريدوها وغير مريدوها ومن خواصه انه يجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من أهله وكنت أحسده على ذلك لانني تؤثر في حالة المجلس والوقت فلا تتوجه نفسي للكلام الا اذا رأيت له محلاً وهكذا الكتابة الخ ما قاله وسند كره في محله من تاريخه ان شاء الله تعالى

تدريسه ودعوته الى اصلاح التعليم في الازهر

كان مفا الله عنه قبل اخذ شهادة التدريس بطالع مع بعض الطلاب الدروس التي يحضرونها في الازهر ثم اتفقت الرغبة على أن يقرأ لطائفة منهم بعض الكتب فقرأ لهم إيساغوجي في المنطق ثم شرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني مع حواشيه ثم مقولات السجاعي بحاشية المطار وغير ذلك من الكتب التي لم تكن تقرأ في الازهر فكثر سواد المجتهدين عليه وكان يدعوهم الى مطالعة ما لم يتعودوا من الفنون والكتب ويفتح لهم أبواب المذاكرة والمناقشة ليلا فكانوا يقاتلون الليل ولا يثمرون بطوله وفتن الازكياء بحسن بيانه ودقه فبهه وحسده أناس منهم فأحفظوا عليه قلب الشيخ عيش فكان ما كان من حادثته معه اذ ذهب ابن الشيخ عيش مع طالب آخر فقالوا ان فلانا يقرأ شرح العقائد النسفية وقد رجح في درسه أمس مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية وكان الشيخ عيش رحمه الله أذنا يصدق بكل ما سمع وكان شديد الفيرة في الدين حديد المزاج سريع الغضب فكبر عليه أن يقرأ أحد الطلاب مثل ذلك الكتاب الذي لم يكن الشيوخ الكبار يتسامون لقراءته فأرسل الى الفقيه فجاءه وهو

يقرأ الدرس في المسجد الحسيني فقال الشيخ عيش بلغني انك تقرأ شرح العقائد النسفية درساً قال نعم : قال الشيخ عيش وبلغني انك رجعت مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية قال اذا كنت اترك تقليد الاشعري فلماذا اقلد المعتزلي اذا اترك تقليد الجميع واخذت بالدليل قال الشيخ عيش اخبرني الثقة بذلك قال هلم الثقة الذي يشهد بذلك فليميز امامنا هنا بين المذهبين وليخبرنا أيهما رجحت : قال الشيخ عيش أو مثلك يفهم شرح العقائد قال الكتاب حاضر وأنا حاضر فسلي ان شئت : فكبر على الطلبة الحاضرين مثل هذه المراجعة من طالب للشيخ عيش المهيب وقال بعضهم ان هذا يرمل شعره ويجمعه تحت عمامته وأخذ عمامته عن رأسه ولقط الحاضرون فتركهم الفقيده رحمه الله تعالى وذهب حاسراً عن رأسه فقال أناس ان الشيخ عيشاً ضربه وقال آخرون انه منعه من الدرس وكثرت الاشاعات والافوال والرؤى والاحلام فيه وفي السيد جمال الدين والصواب ان هذا كل ما حصل وان الفقيه لم يتمتع من قراءة الدرس ولكنه كان يضع بجانبه عصا وقال اذا جاء الشيخ بمكازه فله هذه العصا وكان من الشجاعة على ما يمد عارفوه كما سنيين ذلك في الكلام على أخلاقه . أما تأثير هذه الحادثة فقد كان أكبر منها بل كان هو مبدءاً خوض بعض الجاهدين في دين كل من السيد الحكيم والاستاذ الامام ورحمهما الله تعالى وسنة لذلك فصلاً خاصاً في تاريخ الفقيه نين فيه انه لم يسلم أحد من أئمة الدين ولا من كبار الحكماء والصوفية من مثل هذا الطعن وأنه من مناقب حكيمينا قدس الله روحهما وان الذين يتشفون بمثل هذا الخوض من الاعداء والحاسدين ومن يقاتلهم من المساكين والمجانين لو عتقوا لكتفوه

وسموا في ازالته

نعم ان ذلك الخوض والتقول مما نرين به تاريخ هذين الحكيمين ولكن لا ننكر ان تأثيره السيء وقع على الامة الاسلامية عامة وعلى الازهر خاصة دون الرجاين اللذين لم يحترم الناس لاسيما عقلاء الامة الاسلامية في هذا المصير أحداً من أهل المشرق كاحترامهم لهما فذاك انه كان عقبة في سبيل إصلاحهما واستفادة الامة منهما وهما مأجوران عند الله تعالى بحسن نيتهما وبذلعهما جهد المستطاع في خدمة امتهم وملكهم وقد كاد يترتب على ذلك حرمان فقيدنا من شهادة العالمية ومرتبة التدريس في الازهر لولا عدل الشيخ العباي وإضافته كتب الاستاذ الامام رحمه الله عن امتحانه ما نصه :

« عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هجرية وابتليت في الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأئمة من أعضائه مع المرحوم الشيخ عايش وكان يعاديني على النيب اتباعاً لآراءه من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ان لا يمنحوني درجة ما في العلم وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ولكن كان أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا من مدرسي الجامع الازهر وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية الخ وقد أخبرني رحمه الله ان بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان بيننا مؤكدة لا يأخذن فلان درجة ما ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون ، طفقوا يناقشون ويراجعون ، وينقلون به ويستطردون ، حتى صار الامتحان مناظرة ، تتولاها المناجبة

والمكابرة ، فعند ذلك حلف الشيخ العباسي انه لم يرا احدا امتحن في عصره مثله وأنه لو كان فوق الدرجة الاولى درجة ممتازة لاستحقها فأراد أحد الشيوخ واظنه الشيخ الرافعي ان يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية وطلق يرضيها على اخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوقعوا عليها فوقعوا ثم أعطوها للشيخ العباسي فأمضاها لهم ولم بحجاب ان يراجعهم بعد أن رأى منهم مارأى فظفروا ببعض المطلوب وهو حرمانه من الدرجة الاولى وما كانوا ضائرين .

حجج طلبه العلم بعد التدريس والدخول في الاعمال

هذا مجمل سيرة الرجل في تاتي العلم عن الشيوخ منذ بدأ الى أن صار مدرسا وانك لتجد أكثر طلاب العلوم عندنا يمدون أخذ شهادة العالمية غاية التحصيل والتعلم فلا توجه همهم بعده الا الى استغلال العلم وطلب المال به واحراز الجاه والمكانة عند الناس بما ينالون به من وظيفة وعمل . وان صاحبنا لم يسلك مسلكهم بل سار على سبيل سلفنا الصالح الذين يؤثر عنهم : اطلب العلم من المهد الى اللحد : فكان يقول الى آخر حياته انني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه في كل يوم . فكان له في طلب العلم ثلاثة أدوار أولها الطلب على طريقة الازهر المعروفة من المناقشة في عبارات مكتب المؤلفين وقراءة المتن مع الشروح والحواشي والتقارير . سلكها زمنا حتى ملها وتوجهت نفسه الى علم أعلى وفهم أجلى فقبض الله تعالى له ذلك الملامة الحكيم السيد جمال الدين فقرأ له علوم أخرى على طريقة أسهل ملسا وأقرب غاية ، فانتاشه من الاخلاص الى أرض العبارات الركيكة والاساليب الضعيفة ، والاحتمالات البعيدة ، ورفعه الى سماء هي فان الحقيقة ،

والافصح عنها بالمباراة الرشيدة ، بعد إطلاعه من قيود تقليد المؤلفين ،
وتمويده على الحكم باليقين ، فهذا هو الدور الثاني وهو خاص كسابقه
بالمعلوم الاسلامي ، التي صكبت باللغة العربية ، مع شيء قليل من المعلوم
الحديثة ، وتطبيق العلم على حال المسلمين الاخيرة ، وأما الدور الثالث فهو
النظر في علوم الافرنج قرأ رحمه الله كثيرا مما ترجم من الكتب ثم تعلم اللغة
الفرنسية فصار يقرأ الكتب فيها لا يكاد يتركها يوما من الايام . وكانت
عنايته بعلوم الاخلاق والنفس وأصول الاجتماع الانساني والتاريخ وفلسفته
وفن التربية أشد من عنايته بآثار العلوم وقلماء علم بكتاب لافرنجي يتكلم فيه
عن الاسلام والمسلمين الا واستحضره وقراءه وقد قرأ عدة كتب في تربية
الارادة خاصة ، وفي سفره الاخير إلى سويسره تعلم هناك القلم المسند لانه علم
ان في بعض المكاتب الاوربية كتبافيه وان الانكابر نقلوا من حضر موت بعض
ما هنالك من الآثار الحميرية ولذلك دخل شأن في تاريخ العرب والاسلام .
وهذه العلوم الافرنجية هي التي أعطته القوة المظيمة في المدافعة عن الاسلام
وفي زيادة البصيرة بخدمة لانه عرف من أين يهاجمه أعدؤه وكيف ترد
هجماتهم . وكان يقول من لم يعرف لغة من لغات العلم الاوربية لا يعد عالما
في هذا العصر وقد كتب لي في ترجمته عن تعلمه اللغة الفرنسية مانصه :
« بدأت بتعلم اللغة الفرنسية عند ما كانت سني أربما وأربصين
سنة ولكن ميلتي الى تعلم لغة أجنبية ابتداء في اثناء الحوادث المرابية فتعلمت
الهجاء ثم تركته ونسيتة تقريبا وعند ما سافرت الى فرنسا أول مرة أقمت
هناك عشرة أشهر كنت أحرر فيها جريدة العروة الوثقى ولم أتعلم شيئا من
الفرنساوية لان اجتماعي كان بالسيد جمال الدين وبرفاق من العرب واشتغالي

بتحرير تلك الجريدة كان لا يسع لي وقت كاف للتعلم بدراسة منتظمة فذهب علي ذلك الزمن بدون فائدة في اللغة لا كثيرة ولا قليلة . أما بعد عودتي من النسي الى مصر واشتغالي بالقضاء في المحاكم الاهلية والحكم بها خصوصاً في الجنايات على اصول القوانين الفرنسية وجعلوني بين قضاة يطلب عليهم العلم بتلك القوانين في لغتها فقد قوي عندي الميل الى تعلم اللغة الفرنسية حتى لا أكون في معرفة القوانين أضف من أجلس معهم مجلس القضاء وبعد مجيئي الى القاهرة واشتغالي بالقضاء في إحدى محاكمها وجدت الوقت والحال مناسبين للبدء في العمل فبحثت عن معلم فوجدت أستاذاً لا بأس به فدعوته فجاءني حاملاً كتاباً نحوي يده (كرامير) فسألته ما هذا فقال كتاب نحوي فقلت له لا وقت عندي لأن ابتدي ، وإنما عندي زمن لأن أنهي ثم تولته قصة من تأليف الكسندر دوماس وقلت له أنا أقرأ وانت تصطح لي النطق وتفسر لي الكلم وما عدا ذلك فهو علي والنحو يأتي في أثناء العمل ، وهكذا أتممت الكتاب وكتاباً بعده وثالثاً عقبه وكنت أطالع وحدي بصوت مرتفع كلما وجدت نفسي في يتي خالياً فتملمت مبادئ اللغة الفرنسية وحصلت منها ما كان يمكنني من القراءة والفهم لكن ما كنت أستطيع الكلام .

سافرت بعد ذلك الى فرنسا وإلى سويسرا عدة مرات في أيام المطلة الصيفية وكنت أحضر دروس المطلة في كلية جنيف وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنسية في أوقات الفراغ مع اشتغالي بالقضاء في المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف . ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة أوروبية هو أنني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه علي شيء من العلم . يمكن

به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي إلا إذا كان يعرف لغة أوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الأوربيين في جميع أقطار الأرض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم» اهـ

حجج الكلام في تربيته خاصة

هذا ما يقال في طلبه للعلم وأما تربيته فقد علم مما مر شيء منها وهو أنه نشأ في بيت يوصف أهله بالأخلاق الفطرية الحميدة التي لا ينقصها إلا نور العلم وقد كان له ولم يمن في صباه إلا بالفروسية وأعمال الرجولية فكان يلعب بالسلاح ويسابق الناشئين معه على ظهور الجياد ويكثر من السباحة وهذه الآداب مما يحسن أن يربي عليها الولدان بالقصد كما قال الحكماء وعلماء التربية وهي مما يربي عليه أولاد الملوك والأمراء في أوروبا. بعد أن أخذ حظه من هذه التربية الفطرية أخذ الشيوخ درويش خضر بالتربية الدينية فالزومه العزلة ومجاهدة النفس . وكان من جبلته أن يأخذ كل شيء بقوة فكان في مدة طلبه للعلم يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر ويعشي مطرقا لا ينظر إلا حيث يضع قدميه ولا يكلم أحدا إلا لضرورة وقد ظل عدة سنين لا يلتقي نظره على امرأة أجنبية حتى في الطريق . وقد كان لكثرة الانهماك في الذكر والفكر والنظر في كتب التصوف والتنقل في أحوال القوم ومقاماتهم يخرج عن حسه ويزج في عالم الخيال أو عالم المثال كما يقولون فيناجي أرواح السابقين . ولو كان يجيز شرح ذلك لشرحناه ولكنه كان يقول إن ما يحصل للصوفية من الأحوال غير الطبيعية لا يجوز ذكره لغير العارف به ولا يجوز كتابته بحال ولو

كنت ما كالحكمت بقتل الذين يكتسبون ذلك لانهم يفتنون كثير امن الناس ولا
 يبيدون به احدا. وقال ما معناه ما زج احد نفسه في عالم الخيال ثم قدر على
 الخروج منه الا ان يجذب به جاذب آخر ويخرجه منه وذلك قابل. واقول ان السيد
 جمال الدين هو الذي اخرج منه ، وزقى به الى ما هو خير منه ، ولم يتمكن من
 ذلك الا بعد ان جازاه عليه زمنا عرفه به انه اعرف بتلك المعاهد ، واسبق الى
 تلك المشاهد ، بما كان يحل له من عقد كلام الصوفية التي يمجز عن حلالها ، حتى
 اقدمه بأنه من افراد اهلها ، وسند كرمي التاريخ الكبير الذي نضمه لفقيدنا شيئا
 مما كتبه على طريقة الصوفية ، وكونه قد كان الجماهير من الناس يعرفون
 في أيام حادثة الشيخ عايش شيئا من أمر الرجل في تصوفه وتنسكه اهاجوا على
 الشيخ عايش وان كانت شهرته بالصلاح عظيمة وعلى من وثق اليه من فساد
 المجاورين ولما خاضوا في فقيدنا بالذي خاضوا ولكنه كان يبالغ في كتمان ذلك
 خوفا من الرياء وحب السمعة والامة مستعدة للشر والشبهة عليه حضور
 كتب الفلسفة والكلام على عالم غريب وهو السيد رحمهم الله اجمعين
 قلنا ان السيد جمال الدين هو الذي نقل فقيدنا من حال الى حال في التربية كما نقله
 في العلم وكان الشيخ درويش هو الذي مهد له السبيل للأمرين. وقبل ان ننقل
 من الكلام في تربته وتمايمه الى الكلام في عمله وإصلاحه نذكر ان الشيخ درويشا
 هو الذي رباه أيضا عن التعرض للإرشاد الديني والتصدي لتبصير الناس فيهد
 السبيل التي سلكها به السيد جمال - سبيل الإصلاح العلمي والسياسي -
 ذاك ان الشيخ درويشا رأى ان صريده قد كملت نفسه بعد المدة الطويلة
 وكل سلوكه فصار يأمن من المباشرين الذين يقطعون الطريق على المرادين
 فأمره بمخالطة الناس والتعرض للإرشادهم وقد كتب رحمه الله في ذلك ما نصه :

قلت انني كنت في أوائل مدة طلب العلم بعد مجيئي الى الازهر في عزلة عن الناس الا من استفيد منه علما أو نصيحة لكن بعد مضي سبع سنين على ذلك - والشيخ يقودني في سبيل الرياضة وقهر النفس على المكروه بالصوم تارة وبلبس الخشن والتعرض لانتقاد الناس تارة أخرى - قال لي عند ما رجعت الى محلة نصر في سنة ١٢٨٨ : الى متى هذه العزلة وما الفائدة في العلم وتحصيله اذا لم يكن لك وراثة تهدي به ويهتدي به الناس ؟ ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة فملكك ان تخاطب الناس وتمظهرهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة : فذكرت له اسم نرازي من الناس وزهادتي في معاشرتهم وثقلهم على نفسي اذ القيتهم وبعدهم عن الحق وتفرتهم منه اذ عرض عليهم فقال لي : هذا من أقوى الدواعي الى ما حشنتك عليه فلو كانوا جميعهم هداة مهدين لما كانوا في حاجة اليك : ثم أخذ يستصحبني في مجالس العامة وينتج الكلام في الشؤون المختلفة ويوجه الى الخطاب لا تكلم فيتكلم الحاضرون فأجيبهم وانطلق في القول على وجل في أول الامر وما زال بي حتى وجد عندي شيء من اللفة مع الناس والاستئناس بمكالمتهم وفي شوال من تلك السنة ودعني وبكى بكاء شديدا ومات في السنة الثانية رحمه الله تعالى ، اه أقول يظهر انه أحس بأن عمله قد تم بتكميل تربية مریده وأنه ألهم بأنه قد دنا أجله إذ تم عمله فبكى بكاء مودع وللصوفية من هذا الإلهام والشعور ، ماهو معروف مشهور ،

حقيق طور العمل والاصلاح

(نعيه) لو سأل سائل أي الرجال أعظم في الأمة وأفضل لاختلف

الجواب باختصار: فإن لم الأفرد وصدقهم فيها يقول أعظمهم العلم وذلك
يقول بل الثاني: فيقول ثالث: هو الرجل الصالح فينبغي رابع فائلا
بل الثاني: انهم ويخالفهم رابع: فيريد من أن أفضل الناس السياسي الحاذق
ويقول آخرون: قولنا أخرى. وإذا ذهبنا للجميع إلى البرهان رأيتهم يتفقون
على أن أعظم الرجال وأفضلهم لمساعدون للدين بوجه من عزائمهم إلى رفع
الأمة من الدرجة الدنيا إلى الدرجة العليا، وهو لا قلما تجود الأجيال
بواحدة منهم على كثرة العلماء والصلحاء والتواضع السياسيين في كل زمان
ثمنا بكون الرجل عظيمًا بأمرين أحدهما فطري لا يأتي بالكسب
وهو الاستعداد الذي يكون له بكمال الخلقة واعتدال المزاج، وحسن
الوراثة الوالدين والأجداد، وثانيهما كسبي وهو التربية القويمة والتعليم
لنافع، وقد كان الاستعداد الاستاذ الإمام لكل أمر عظيم حتى يمكن
استعداده هو الأصل في حسن تربيته وتمايجه. فقد علمت مما أمر أن فطرته
الباينة لم تقبل الاستمرار على حضور دروس لا تفهمها ولم يعرف هذا من
غيره من المبتدئين بطلب العلم حتى أذكياهم الذين استفادوا بعد المناء فقد كانوا
يصبرون على ما لا يفهمون زمانا طويلا وإذا حفظ أحدهم شيئا بالتكرار ظن
أنه هذا فهم وعلم لا سيما إذا حفظ تفسير اثنين من شرحه وحاشيته. ولكن
صاحبنا لم يكن يترك المسألة حتى يفهمها ويوقن أو يرجع إلى الحكم فيها كذا
ولذلك أسرع إليه المال من دروس مشايخ الاحتمالات. وكان يقول إن حضور
كتب العربية على طريقة تفهم فداضر بذهنه وعقله وأنه ظل يكس ذهنه وينظفه
منها بضع سنين فلم ينظف تمام النظافة. وأما السيد جمال الدين فإنه كثيرا
ما كان يشرح معنى المسألة حتى تتجلى للأفهام ثم يقرأ عبارة الكتاب ويطبّقها

عليها فان انطبقت والا بان ما فيها من التفسير أو يقرأ العبارة ويبحث في دلالتها
 فيقره أو يفنده ويحزم بغيره وبهذه الطريقة ارتقى الى أن يحكم بنفسه في المسائل
 ولا يرضى بالنهم مع التسليم أو لف الكتاب فالذي امتاز به صاحب الترجمة على
 اخوانه الازهرين هو أنه في بدايته لم يرض أن يحضر شيئاً لا يفهمه، وفي نهايته لم
 يرض بما يفهمه الا بعد أن يستشير فيه الدليل غير ضاه له، وأنه لم يقنع بالعلوم المتداولة
 في الازهر بل كان من أوائل عهده بالعلم الى يوم وفاته يطلب العلوم ويتقدم عنها ما
 يزيد كماله في نفسه ويعينه على رفع شأن ملته وأمته، ولوانه تعلم في حياته على
 طريقة قوية كما تعلم النابليون من حكماء أوروبا وعلمائهم في المدارس النظامية ولم
 يضع ذلك الوقت الطويل في البطالة وفي الطريقة الا زهرية المتويزة لراينا من آياته
 العلمية أضاع ما راينا على أن ما راينا يكاد يكون من الخوارق فانه لم يكن يتكلم
 في علم الا وراه صاحب القدر الممل في حق كانه هو الواضع له، فمن شاء أن
 يتتبع طريقة المتتبعين من الازهرين وغيرهم فليعمل على أن يكون من الفلاحين
 وأما تربيته فقد علمت مما تقدم آفاقه تربي على طريقة الصوفية القوية الخالية
 من البدع والخرافات حتى ملك نفسه وكلت أخلاقه وصار الدين وجدانا له ثم
 انتقل من ذلك الى أخذه بالبرهان وأهم ما اتفق له تربية الازهرية الازهرية ملكة
 العزيمة والإقدام فقد كان فيها نسيج وحده في أمته
 تقدم ان الرجل توجهت نفسه الى العمل والإصلاح قبل ان يصير
 مدرسا رسميا فبدأ بإحياء اللغة ونفع روح العلم والدين في الازهر ثم ان
 السيد جمال الدين وجه وجهه الى الإصلاح الاجتماعي والسياسي فجعله ساعده
 وعضده في ذلك فاشتغل بها مدته ثم استقر رأيه على ان الإصلاح محصور في
 إحياء لغة الامة وإصلاح نفوسها بالتربية الصحيحة والتعليم النافع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبداً الذي يستمعون القول فيقيمون أحسنه أو لك الدين هدى الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مصر - غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ - ٢ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمت ملخص سيرة الأستاذ الإمام

دخوله في الماسونية - من التهديد

كان السيد جمال الدين قد أخذ على نفسه المهود والمواثيق أن يعمل عملاً عظيماً ينهض بدولة إسلامية نهوضاً يعيد للاسلام مجده وكان مضطراً بذلك، لأنه كان مستعجلاً يريد أن يعمل هذا العمل العظيم ويرى أثر نجاحه وعمرة غراسه في حياته لذلك جاءه من طريق الحكومة والسلطة وتوسل إليه بالملم فأتخذله في مصر تلاميذ بدأ يقرأ لهم كتب أصول الدين والفلسفة حتى إذا ما وثق بهم مزج لهم السياسة بالملم وخاف استبداد اسماعيل باشا أن يحول بينهم وبين ما يشتهون فانتظم مع مريديه في سمط الجمعية الماسونية وكان بآمجادهم رئيس حفل مرن فيه تلامذته على الخطابة والبعث في حياة الأمم وموتها ونهوض الدول وسقوطها وقد دخل في هذا الحفل شريف باشا وبطرس باشا غالي وكثيرون من الكبراء والأفكاء، وكان توفيق باشا

ولي عهد الخديوية مشايخا للسيد ومحمد له وكان صاحب الترجمة من السيد مكانه المعلوم فكان دخوله في الماسونية متما لتربيته وأملية ومصلحة بينه وبين توفيق باشا وكثير من رجال مصر وسببا لبحثه في أحوال الحكومة المصرية ووقوفه على نقائصها ومساوئها وتوجيهه إلى السعي في إصلاحها ومجملها له الطريق للعمل الذي قام به قبل الثورة ولعلها على ما تقدمه هنا بالاجاز وفي التاريخ الذي سنؤلفه للنقيد بالتفصيل . وقبل أن ننتقل من هذا السيد نقول ان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد أكثر أبناءها من دعوته إلى محافظتها بسد رجوعه من النفي إلى مصر فلم يجب وأهدوا إليه وساما فلم يقبله . وقد سأله عن حقيقته مرة فقال ان عليها في البلاد التي وجدت فيها للعمل قد انتهى وهو مقاومة سلطة الملوك والباباوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وهو عمل عظيم كان ركناً من أركان ارتقاء أوربا وانما يحافظون عليها الآن كما يحافظون على الآثار القديمة وپرونها جميعاً أدوية تفيد المعارف بين الناس . وأخبرني بأن دخوله مع السيد فيها كان لغرض سياسي اجتماعي وأنه قد تركها من سنين ولان يعود إليها وانها ابتدأت في مصر ابتداء لم يكن من قبل . وأخبرني أنه أُرشد مرة أحد ولاة بيروت إلى إبطال محفل ماسوني علم انه يكيد للدولة الملكية بإيمان بعض الدول الأوروبية فهاب ذلك الوالي وظن أنه فوق قدرته ولكن النقيد رحمه الله تعالى هداه السبيل إلى ذلك وشد من عزيمته ففعل ، بل كان مبدأ انسحابه مع السيد جمال الدين من الماسونية عند ما جاء إلى مصر ورئيس الشرق الأعظم الانكليزي وهو يومئذ ولي العهد للدولة الانكليزية فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة به وذكر أحد رؤسائها ولي العهد هذا اللقب فاعترض

السيد جمال الدين وقال انه لا يسمع بأن يحتفل بأحد على أنه ولي العهد للدولة من الدول لاسيما الدولة الانكليزية التي من وصفها كيت وكيت وليس لها فضل على الجمية الخ ما قاله ولا أذكر منه الا مثل هذا الاجمال فرد عليه بعض رؤساء المحافظ وبعد مناقشة انسحب من المناقشة هو وخواص مرديه . ولما رأى بعض علماء الأزهر بذلك ترقى الاستاذ الامام وتنوذه في الحكومة توهموا ان ذلك بمساعدة الجمية له فدخل كثيرون منهم فيها ومنهم من دخل بدعوة بعض اصحابه من أهلها ولم يدخل أحد منهم لأجل عمل يفيد الأمة والبلاد الا جماعة السيد جمال الدين

تحسين إصلاح في مدارس الحكومة والأزهر

اذا تم هذا فنقول : قد عين الفقيه في أواخر سنة ١٢٩٥ مدرسا للتاريخ في مدرسة دارالعلوم وللعلوم العربية في مدرسة الأئمة الخديوية فكان يدرس فيها مع الاستمرار على التدريس في الجامع الأزهر فبدأ في دارالعلوم بقراءة مقدمة ابن خلدون لانها مقدمة للتاريخ وإنما غرضه بث أفكاره السياسية والاجتماعية في أذهان التلاميذ فكان يطبق ما فيها من الكلام عن نهوض الدول وسقوطها وشؤون الممران وأصوله على أئمة ويبين أسباب ضعفها والوسائل التي تذهب به وتمسك اليها ما فقدت من عزها ومجدها . وكان يكلف التلاميذ كتابة المقالات والمصول في ذلك فكان كل واحد يشمر بروح جديد يدب في هيكله ويرى نفسه مخلوقا لخدمة بلاده وإعلاء شأن أمته . وقد كتب رحمه تعالى في ذلك العهد كتابا حائلا في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ انتقد فيه بعض ما قاله ابن خلدون واستدرك عليه وبين ما فسخته طبيعة الاجتماع في هذا العصر

من أحكام الممران في المصور الفائرة . وكان في مدرسة الألسن آية
البيان في إحياء اللغة العربية وإشراع الطريق اللاحب في التعليم ، والخروج
بالطلاب من مأزق المهمل القديم ، ثم ان دروسه في الازهر كانت بناء جديدا
للمقائيد على أسس اليراهيم القطامية ، وتجديدا لما يلي من سائر العلوم العقلية ،
وكانت حلقة درسه في الأزهر واسمة جدا تحيط بأعمدة كثيرة وكان يقرأ في
بيته درسا في الاخلاق أو السياسة لطائفة من المجاورين قرأ في ذلك كتاب
تمذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي فكان ذلك سبب طبعه المرة الأولى
وقرأ كتاب (كنز) في السياسة ولا أفري أنه أم لا

كان القصد من هذه الدروس تكوين نابة جديدة من السكان في
مصر تحمي اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وتقوم هوج الحكومة المصرية ،
فقد كانت هذه الحكومة لذلك المهمل قد رثت ووهت ، ووقعت في التزع
أو اوشكت ، عظم فيها سلطان الاجانب ، وأحاطت بها سيول الفتن من
كل جانب ، ومنيت الامة التي تعدها بالترية والمسغبة ، وضربت عليها الذلة
والمسكنة ، ذلك بما سرف اسماعيل باشا في الضرائب والمكوس ، وتمذيب
الاجساد والنفوس ، فاما آثار اسماعيل باشا في البلاد فلا يزال الكهول
والاشياخ يحدثون بها الشبان والقلمان ، واماماهم السيد جمال الدين ومريداه
الشيخ محمد عبده من السعي في إصلاح الحكومة في الحال ، وتربية الرجال
لأجل الاستقبال ، فلا يعرفه الا من كان يعمل مههما ، ويتلقى عنهما ،
ومن شاء من أهل هذه الديار ، أن يروي شيئا من تلك الأخبار ، فليراجع
من بقي من تلامذتهما الاخير ، كالشيخ عبد الكريم سلمان وسعد بك
زغلول وابراهيم بك اللقاني وحفني بك ناصف ومحمد بك صالح وسلطان

افندي محمد وغيرهم. ولو طال العهد على عملهما أتم لهما المراد ولما حدثت الثورة الميرانية، ولكن غفاهما الزمان، وما قدر كان،

كان من عمل السيد جمال الدين ومريد به أن اتصلوا بولي العهد توفيق باشا الخديو السابق واتفقوا معه على تغيير شكل الحكومة واصلاح شؤونها فكان يمد السيد والشيخ من أقوى أنصاره وأوليائه ولما انتهى الحيف والجور والخلل بخلع اسماعيل باشا ونصب توفيق باشا أميراً على مصر في رجب سنة ١٢٩٦ طفق السيد جمال الدين بطالبه بأنجاز وعوده وأولها إنشاء مجلس نواب للحكومة وجعل الوزارة مسئولة وظهرت طلائع الاصلاح على يده ولكن وجد من الواشين من غير قلبه على السيد والشيخ وأوهمه انهما يسعيان في تقييد سلطته أو إزالتها فأمر بئني السيد فأخذ من داره ليلاً في عربة مقفلة وليس عليه غير قميص واحد وأرسل في قطار خاص الى السويس ومن هناك ذهب الى الهند وأمر بعزل الشيخ من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن وبأن يقيم في قريته (محلة نصر) لا يفارقها الى بلدة أخرى وخاصة عاصمة البلاد والمدن الكبيرة كالاسكندرية وغيرها. وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦

عمله في المطبوعات والحكومة

وفي أواسط سنة ١٢٩٧ توجهت عناية رياض باشا الى تحسين كتابة الجريدة الرسمية وجعلها مفيدة مرغوبة فيها من الناس فاستشار الشيخ حسين المرصفي ومحمود باشا سامي البارودي كلا علي حدة فآشارا برأي واحد كأنهما توأما به وهو جعل الشيخ محمد عبده محرراً فيها ففعل بهد ان استرضى توفيق باشا فصدر الامر التالي بتعيينه محرراً ثالثاً وانتظر رياض باشا

مدة من الزمن فلم ير تغييراً يحمده . ثم إنه كتب من الاسكندرية بأمر قلم المطبوعات في مصر بأن تكتب مقالة في مالية مصر تلم بشي من تاريخها الماضي وحالتها الحاضر الذي وضع له قانون التصفية وان تنشر هذه المقالة في أول عدد يصدر من الجريدة الرسمية وكان قد بقي له يوم واحد فقام بكتاب الجريدة وحاروا وأرسلوا الى صاحب الترجمة من أحضره من الازهر وكانوه مكتابة المقالة فكتبها في مجلسه ونشرت فلما قرأها رياض باشا أعجب بها أشد الإعجاب وسأل عن كاتبها فقبل له هو فلان فزاد عجبه أن وجد في الازهر شاب واقف على تاريخ المالية في مصر عارف بجميع شؤونها قادر على بيان ذلك والافصاح عنه . وفي أواخر هذه السنة طلبه رياض باشا وسأله عن رأيه في اصلاح الجريدة فبين له رأيه في تقرير عن فأسر بأن تؤلف لجنة للنظر في التقرير من وكيل الداخلية ومدير المطبوعات وكاتب التقرير وان توضع لائحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة فكان ذلك وعين الفقيه رئيساً لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية فاختر لها من المحررين المهرة الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ محمد زغلول (هو سيدك زغلول المستشار بحكمة الاستئناف لهذا العهد) والشيخ سيد وفا (رحمه الله) وهم ممن كانوا يحضرون دروسه ودروس السيد جمال الدين وبرعوا في الكتابة معه على يد السيد . ثم ماذا كان من شأنه ؟ كان مالم يكن يخطر على قلب بشر وهو أن رئيس التحرير للجريدة الرسمية صار مهمنا على الحكومة والامة ينتقد الاعمال والاقوال ، وينتقل بالناس من حال الى حال ،

وضع لائحة أوفانونا لقلم المطبوعات أجازوه وأنفذه رياض باشا فكان

من أحكامه ان جميع ادارات الحكومة ومصالحها ومجالسها في العاصمة وغيرها ملزمة بأن تكتب الى ادارة المطبوعات نخبة بما عمت فأتمت وما شرعت فيه وكذلك المحاكم ورسائل اليها نتائج أحكامها ، وان لادارة المطبوعات الحق في انتقاد كل ما رآه مستقدا من الاعمال ، وأن لها حق المراقبة على الجرائد الوطنية والاجنبية التي تصدر في القطر المصري وان تبحث عن حقيقة ما نقوله في رجال الحكومة وأعمالها وعلى الحكومة مساعدتها على ذلك بمعنى أنه اذا نشر في بعض الجرائد ما يوجب ادارة المطبوعات فيه فإن لها ان تسأل المصلحة أو الادارة التي يسند اليها ذلك عن الحقيقة بواسطة نظارة الداخلية ان لم يكن ما نشر مسندا الى النظارة والاسم النهائي مباشرة فان كان حقا ما نشر في الجريدة وجب على الحكومة مؤاخذه من نسب اليه الذنب وذكر ذلك في الجريدة الرسمية وان كان كذبا فنواب مدير الجريدة بإثباته والا اندر واذا تكرروا إنذار جريدة ثلاث مرات يمنع إصدارها ألبتة أو الى الأجل الذي تراه الادارة . وان من حق رئيس تحرير الجريدة الرسمية أن يجعل فيها قسما غير رسمي ينشر فيه لنفسه ولغيره ما يراه نافعا من المقالات الادبية (ويدخل في الادبية الاجتماعية والاقتصادية وما أشبه ذلك) وقد أجاز هذا القانون واقضه رياض باشا لئلا من العناية بالاصلاح ولتقته بكفاءة صاحب الترجمة وغيرته وإخلاصه في الخدمة العامة وإن في هذا لمبة لأولي الالباب . صاحب همامة ازهرية يدخل في حكومة مطلقة بميدة في أعمالها عن رجال العلم والدين فيشرف من نافذة غرفة تحرير الجريدة على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها فيصلح لهم ما يكتبون ، ويرشدهم الى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة اخرى على الامة فيقوم من اخلاقيها ،

ويصلح ما فسد من عاداتها، بالوعظ الصحيح، والاوشاد الحقيقى، ويطلع من نافذة نائنة على الجرائد العربية فيعلمها حسن التحرير ويربها على الصدق فى القول ويجعل للصادق منها سلطانا نصيرا، وتأثيرا، أثورا، ياله من عمامة شرفت برأس صاحبها حتى حسدتها الطرايش، وهابها التيجان والبرانيط، ونذكر هنا على سبيل الفكاهة ان بعض الكبراء رغبوا الى الاستاذ الامام فى ذلك الدهد أن يستبدل الطربوش بالعمامة لان صاحب العمامة لا يرتقى الى مراتب الرؤساء والنظار كصاحب الطربوش فأبى عليهم ذلك فأرادوا الاستعانة عليه برياض باشا فأوهوه انه يميل الى لبس الطربوش ولكنه لا يلبسه الا بأمره فسأله فظهر له انه لا يرغب فى ترك زيّه وأنه اذا أُلزمه بذلك إلزاما فانه يمثل مادام فى عمل الحكومة فاذا خرج من عمله عاد الى عمامته فقال رياض باشا كلا اني لا أرضى لك الطربوش لاني أحب أن يعلم الناس انه يوجد تحت العمام من المقول والافهام مثل ما يوجد تحت الطرايش وغيرها . فلهذا درّ رياض باشا وجزاه الله خير فانه هو الذي أحضر السيد جمال الدين ومكن له فى أرض مصر وهو الذي كان السبب فى ظهور مواهب الشيخ محمد عبده فى أول نشأته حتى انه حكمه فى انتقاد نظارة الداخلية وهو أحد العمال المتوسطين فيها

كان من أثر مراقبة ادارة المطبوعات للجرائد ان اجتهد أصحابها فى اتقاء المحررين وقد أُنذر عامله الله تعالى باحسانه مدير جريدة شهيرة بمنع جريدته اذا لم يختار لها محررا صحيح العبارة فى مدة عينها ففعل ذلك ذلك المدير . ولم يكن بأذن بطبع كتاب من الكتب الضارة . وكان من أثر انتقاد كتاب الحكومة أن نهشأن المجيدين عنهم وفتحت مدارس ليلية

لتعليم المقصرين وتبرع بعمده الله برحمته بقراءة درس في بعضها . فهذا هو مبدأ النهضة القلبية الحقيقية في مصر فالفضل فيها للسيد جمال الدين والشيخ محمد عبده ورحمهما الله تعالى

وأما انتقاد أعمال الحكومة فكان من أسباب تحريك الحق والمدل والاجتهاد في إصلاح كل نظارة وقد عني الفقيد يومئذ بنفسه في انتقاد نظارة المعارف ومثل مساوي التعليم والترية في مدارسها شر تمثيل فضاخ فرع ناظر المعارف لذلك العهد فلاذ رياض باشا كيامن الجريدة الرسمية فقال له رياض باشا ان كان ما كتب حقا فلا وجه للشكوى منه وان كان باطلا فملك أن تبين ذلك بالدليل والبرهان وقلان ينشره في الجريدة الرسمية نفسها فانه لا يقصد بما يكتب فيها الا المصلحة فسكت الناظر واجما

حجج عمله في مجلس المعارف الاعلى

اقتنع رياض باشا بما في نظارة المعارف من الخلل وعلم ان ما يكتب في الجريدة الرسمية حق فذاكر الفقيد في ذاك وفي وسائل تلافيه فعرض عليه ان يكون للمعارف مجلس أعلى يكون له الحكم الفصل في ادارة المعارف العمومية ويكون الناظر منفذا لما يقرره فانفذ ذلك رياض باشا وجعل صاحب الترجمة عضوا في هذا المجلس فكان له فيه الاقتراحات النافذة ولولا كثرة ما جعل فيه من الاعضاء الاجانب الذين كانوا يعارضون المشروعات النافذة للبلاد ثم حدوث الثورة لارتقت معارف البلاد في ذلك العهد ارتقاء عظيما . صدر الامر العالي بتشكيل هذا المجلس في ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ وقد تألفت منه لجنة للنظر في إصلاح طرق التعليم والترية في جميع المدارس وكان الفقيد الكاتب العربي لجلساتها وكان

له فيها الآراء الصحيحة والحجج القوية على ما يطلب من الإصلاح
 إذ كرم من اقتراحه شيئا سمعته ولا ادعي اني احطت به كل الاحاطة
 وهو انه اقترح صرة على المجلس ان يطلب من الحكومة مبالغنا عظيمة من
 المال يوزع على المدارس الاجنبية مكافأة لها على خدمة العلم ونشره في
 البلاد فحس الأعضاء الاوربيون لهذا الاقتراح وعارض فيه بعض الأعضاء
 الوطنيين ووافق الآخرون الذين عرفوا ما يرمي اليه المقترح فتقرر بأكثر
 الآراء . ثم انه اقترح في جلسة أخرى أن يقرر المجلس وجوب جعل
 المدارس الاجنبية تحت مراقبة نقابة المعارف لينظر مفتشو النظارة في نظام
 التعليم فيها فحس الأعضاء الوطنيين لهذا الاقتراح وعارض فيه الجانب
 فقام عليهم الحجة بأن جميع الدول الأوربية تراقب جميع المدارس التي
 تأخذ منها إعانة وتفتش مدارسها إذ يجب على الحكومة أن تعلم أنها
 لا تضع دراهمها بل تنفقها فيما ينفع بلادها . فقال بعضهم ان هذا قول
 حق وانما نعارض الآن في هذا الاقتراح لاننا نعلم أن المعارف في مصر منسطة
 وانما اجتمعنا لترقيتها وارباب المدارس الاجنبية مرتقون في العلوم والمعارف
 ولا يصلح الحافل للإشراف على من هو أعلى منه ولا المنحط للمحكم على
 المرتقى . فقال الفقيه رحمه الله تعالى كان يصح هذا الدفاع لو لم تكن أنت
 ورفاقك من أعضاء مجلس المعارف المصري فاذا كان الطلب في نفسه حقا
 وعدلا فلا يصح أن يرفض لأن المعارف المدوية لم ترتق في البلاد المصرية
 لأن عدم ارتقاء المعارف وانتظام المدارس لا ينافي وجود أفراد من
 الموقنين في النظارة من الأوربيين أو المصريين المتعلمين في مدارس أوروبا
 المالية يصلحون لتفتيش المدارس الأجنبية : فهضت حجته وتقرر اقتراحه .

وانها الأمانة يتاحز على ذكرها السلطان والامير ، ويسيل لتوهمها العاب
 الناظر والوزير ، ولكن نقف دونها الآمال حيرى ، وتنحني أمامها العقول
 حيرى ، وتكبو في غاياتها جياذ السياسة ، ويصفر عن الطمع فيها أهل
 الرياسة ، ثم تسود اليها تلك الهمة ، وتمنزلها من أعلى القمة ، ولولا الفتنة
 المراية لجل لنا ذاك المصو أو الكاتب ، سيطرة على مدارس الاجانب ،
 على ما كان لهم في ذلك الزمان ، من النفوذ والسلطان ، فكيف لو كان
 ذا منصب أعلى ، ونفوذ أقوى ،

(دعوته نظارة الاوقاف الى الإصلاح)

كان لنظارة الأوقاف من حظ إرشاده تقمنا الله بعلومه وآثاره نحو
 ما كان لسائر النظارات ومصالح الحكومة وكان من تأثير إخلاصه أن
 عزمت هذه النظارة يومئذ على عمل جليل وهو أن تصل دار الكتب المصرية
 (الكتبخانه) ومدرسة دار العلوم بالأزهر وتوسع دائرة المدرسة بحيث
 تدرس فيها جميع العلوم وبلغ عدد طلابها ٥٠٠ طالب ويكون المخرجون
 فيها هم المتقدمين في أعمال الحكومة ولو تم هذا لكانت الاوقاف بدويع
 الحياة لهذه البلاد ، ولكن حال دون هذا ودون ما كانت الحكومة
 شرعت فيه من الإصلاح الاداري والقضائي والعسكري تلك الفتنة المشؤمة

حقيقة اثورة العرابية

علم مما تقدم ان البلاد المصرية كانت في أواخر إمارة إسماعيل باشا
 في ظلمات بحر من الظلم لجي يفتشاه موج من فوئه موج من فوئه سحاب
 ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الجور والظلم وظلمة الفقر والفاقة وظلمة
 الشرور وفساد الاخلاق والآداب وظلمة محكم الأجنب وسيطرهم

على الحكومة بحجة المراقبة المالية لمالهم من الديون على اسماعيل باشا و ساطعهم على الرعية التي أغرقها في الاستدانة منهم كثرة الضرائب والجزى، وكثرة الضرب وسوء الجزاء، . وكان يظهر من غمرات هذه الظلمات بصيص من النور في مواضع مختلفة لمت جذوة منه في الازهر ففتح الشيخ عيش نقشة أخذتها ولكنها ما أطفأتها ثم كان هذا النور يظهر في معاهد خاصة فتشوا اليه الابصار، ويسير في ضوءه من سائر، حتى أشرق وتلاّلاً في ادارة المطبوعات، وانتشر نوره في سائر الجهات، وكان ما كان من أخذ الحكومة والناس بوسائل الاصلاح ومقاصده فرحين مستبشرين بأمرهم الجديد (توفيق باشا) لعفته عن أموالهم، ورغبته في إصلاح حالهم، وبوزيرهم العامل المخلص (رياض باشا) واذا بناجم الفتنة قد نجم، وطائر الشر قد وقع، إذ هب ضباط الجيش من المصريين يطالبون بحقوقهم، وأيديهم على مقابض سيوفهم، وتلك هي مايسمونه بالثورة العرابية

لا يمنينا في هذا المقام خبر هذه الثورة ولا تاريخها وانما يمنينا أن نبين في تاريخ أستاذنا انه كان كارها لها منذ بدأ بزعمائها وهو يدعي انه كان يعلم انها تحبط عمله الذي مضى فيه، وكل إصلاح عمله الحكومة أو تنويه، وانها تمهد للأجانب سبيل الاستيلاء على البلاد بل كان هو واستاذاه يتوقنان ذلك من سيرة اسماعيل باشا وقد صرح السيد بذلك في خطبه وفي بعض ما كتب وطبع لذلك المهد وحاول أن يحول دون ما يخشى ويتوقع بالسمي في الاصلاح فليس ما نقوله عن أستاذنا من أنه كان لا يجهل خطر الثورة بالذات والرجم بالغيب، بل هو قول مؤيد بالدلائل وثابت بالرواية الصحيحة عنه وعن الصادقين من العارفين بما كان .

كان ينتقد على زعماء الثورة بالقول خطابة وجدالا في اندتيمهم وسجارهم
وبالكتابة في الجريدة الرسمية حتى أرسل اليه عرابي مرة من يهدده ويقول
انك أهنت الشرف العسكري بما كتبت عن الجيش ورؤسائه . أرسل
اليه ضابطين الى قلم المطبوعات من الداخلية فطردهما وهددهما بالضرب
اذا هما لم يخرججا . وكان عرابي وأعوانه ينعضون من المجلس يدخل فيه
زار مرة طلبه باشا في أيام عيد الفطر فاذا بمرابي وأعوانه جلوس
يتكلمون في الاستبداد والحرية والحكومة المطلقة والحكومة النيابية
الدستورية واتفقوا على أن الأمن على الارواح والاموال ، وصعود الامة
في مراقبي الكمال ، من آثار الحكومة المقيدة بلا جدال ، وان هذا
التحويل قد آن في مصرأوانه ، وأدركها إبانها ، فعارض الاستاذ في ذلك
وقال ان أول ما يجب ان يبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون
بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالمزينة ، وهل الحكومة على العدل
والاصلاح ومنه تمويدها الاهالي على البحث في المصالح العامة واستشارتها
إياهم في الامر بمجالس خاصة تنشأ في المديریات والمحافظات ، وليس من
الحكمة أن تعطى الرعية ما لم تستعد له فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف
بما له قبل بلوغ سن الرشد وكما التربية المؤهلة والمعدة لتصرف المفيد.
فطنق عرابي بمجادله هو وأحد أساتذة المدرسة الحربية وكان مما احتج به
الفتيد عليهما أن الامة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة في ادارة شؤونها لما
كان لطلب ذلك بالقوة العسكرية معني فإطالب به رؤساء العسكرية الآن غير
مشروع لانه ليس تصوير الاستعداد الامة ومطلبها ويخشى ان يجر هذا
الشغب على البلاد احتلالاً أجنبياً يسجل على مسيبيه اللعنة الى يوم القيامة ،

عند ذلك أبدى المجادل نواجذه لغير تبسم وقال أرجو أن لا استحق هذه اللقطة وابس الجند هو يطالب مجلس النواب ولكنه مؤبد لطلاب أعيان البلاد ووجهائها ثم أسر إلى الاستاذان سلطان باشا جمع الأعيان لهذا الطالب . وقد كتبنا في ص ٥١٢ من مجلد المزار الرابع ردا على صديقي عرض بأن الاستاذ الامام كان من أركان الثورة المرافية نذكره هنا وهو « عرض هذا الانفجاني المتدفع بذكر الفتنة المرافية وباليته كان يعرف حقيقة الفتنة المرافية ويعرف المهورين فيها والناصريين اهم بالاعتدال فهو لا يعرف ولا يحب أن يعرف وإذا أحب فليسأل المارفين ، وليراجع كتابة الكاتبين ، وعند ذلك تظهر له مزية من عرض به ان كان من المنهين ، يظهر له أن هذا الرجل الكبير العقل البعيد الرأي كان ينتقد أعمال عرابي وتهوره في جريدة الوقائع الرسمية في القسم الادبي منها نلى حين ترتد فرائض تصر الخديوية من عرابي وحين يرى هذا المنتقد الشجاع ان رئيس النظار ينزل من ديوانه بأمر عرابي . مكرها ويسمع من أتباعه ما يكره . وتظهر له تلك الخطبة التي خطبها هذا الرجل العظيم في زعماء الثورة المرافية عند ما ألزموه بحضور مجتمهم وان يقوم فيهم خطيبا . ماذا كان موضوع خطبته ؟

« كان موضوعها بيان تاريخي بأن المهور في سيرة الامم وسنن الاجتماع أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد ساطتها وإلزامها بالشورى وبالمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا نشأ فيهم التعليم الصحيح والتربية النافذة وصار لهم رأي عام ، وانهم يهدفون في أمة من أهم الارض ان الخواص والافياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم

بساير الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف ومشاركة الطبقات الدنيا لهم في ذلك فكيف حصل في هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع؟ (قل) فهل تغيرت سنة الله في الخلق وانقلب سير العالم الانساني أم بلغت الفضيلة فيكم حدًا لم يبلغ اليه أحد من العالمين حتى رضيتم واخترتكم عن روية وبصيرة أن تشاركوا ساير أمتكم في جاهكم ومجدكم وتساووا الصمالك حبا بالمعالة والانسانية؟ أم تسировون الى حيث لا تدرون، وتعملون مالا تعلمون؟ : وأمثال هذا الكلام الذي فهمه بعضهم نطقوا ينفضون رؤوسهم وعلا على أفهام الآخرين

«هذا ما قاله الشيخ محمد عبده في أعظم مجتمعات رؤساء العرايين ولو كانوا يفتلون أرجعوا به الى رشدهم ولكن الامة لم تكن استعدت لفهم ارشاد هذا الحكيم ولما تسند الى الآن، ولهذا الاستاذ ان يشمل بقول ابن الفارض رحمه الله تعالى

ونرج سبيلي واضح لمن امتدى ولكنها الاهواء صمت فأصمت
هذا ما كتبناه منذ أربع سنوات كاملة . ولا حاجة الى كثرة الشواهد والوقائع في هذه السيرة المختصرة

ولا يلتبس على القارىء ممارضة الاستاذ الامام للعرايين في مشروع مجلس النواب وتقييد السلطة مع أنه كان الداعي الثاني الى ذلك بمسئد استاذه وأول من تلقى ذلك عنه فانه كان يحاول أن يكون ذلك برضى الامبر وحكومته لا بالخروج عليه وأن يكون في البداية من قبيل التعرير والتعويد مقرونا بالتربية والتعليم الى أن تبلغ النابتة الجديدة أشدها وتصل من طريق الحكمة الى رشدها وقد رأيت كيف كان التوصل منه ، فيها

روينا ذلك عنه، وهو لم يفارق القوم المطالبين بالصلاح عند مهب الفتنة، وبلغنا إلى قصر الامارة أو تنقياً ظلال الزلزلة، لانه في فكره وسط بين الطرفين، وفي عمله بين المصلحتين، وقد قال امرأني سراراً كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنا اضمن لك أكثر مما تطلب في بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانكاري.

انتهت الثورة بالاحتلال الانكاري وقبض على زعمائها وألقوا في سجون السجن ليحاكموا فيقبلوا تقبلاً . وجعل القيد منهم لاصراً ما صدر الاصر بأن تكون محاكمهم بالقانون الانكاري وعين لهم محام انكاري جاءهم فسمع منهم وكلفهم ان يكتبوا دفاعهم بأيديهم كل يكتب عن نفسه، ولا يطمئن في غيره، فلم يرفى كتابة أحداً ما تقوم به الحجة، وتقدم به التهمة، ويدل على الفوص في أحماق الحوادث، والاحاطة بما لها من الأسباب والنتائج.

الا ما كتبه وما قاله فقيسنا بالامس، وقد زاد المحامي على بيان ذلك ان اشتهر بالخنايا، وأطلمه على ما في زوايا القصر من الخبايا، كقوله ان الحاشية خاطبت محافظ الاسكندرية بلسان البرق بكذا في يوم كذا وعدد كذا بأن يفعل كيت وكيت . وأعطاه من المستندات ما يتلب وجه المسألة، ولا ترضى إظهار السياسة، وسنشرح ذلك في تاريخ الفريد بالتفصيل . حكم على عرابي ورفاقه المروفين بالنفي الابدي وعلى صاحب الترجمة بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر، وقد كان النفي بلاء وشقاء على كل المنفيين حاشا الامام فانه كان رحمة له ونعمة عليه ومزيداً في كمال علمه وتربيته وسبباً لنشر علمه في بلاد كثيرة ذلك انه كان من أهل الاخلاص والتقوى فجعل الله تعالى له من كل ضيق فرجاً ومخرجاً بل بدل له النعمة نعمة والسيدة حسنة فكان مبدأ حياة جديدة له نبينها فيما يلي هذا

الدين في نظر العقل الصحيح

في المقالة الثانية - اصحاب الامضاء

النبوة

النبوة إصلاح في الأرض من قبل الله تعالى على يد شخص مصطفيه من بين خلقه .
 معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستمدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين
 الاخيار من الأقوام . بل هي أرقى بكثير مما عليه الناس وما وصلوا إليه . وفائدتها تقدم
 العالم بسرعة إلى الامام وإصلاح ضماير الخلق وممكنه صدورهم بسبب ما توجبه من
 الايمان باليوم الآخر وما فيه من عقاب أو ثواب وبذلك تستقيم أمورهم في السر والعلن
 فذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم يذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبطان أتم
 ارتباط لأن الاول لا سبيل للعقل أن يحزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده
 كاف لمعرفة ومعرفة صفاته كما بيناه آنفاً إذا افترضنا الأكبر من النبوة حمل الناس
 على الايمان بذلك اليوم وإصلاح حاظم الدينية والدينية إصلاحاً لا يصلون إليه بأنفسهم
 ولو بعد مئات من السنين إن لم نقل آلاف منها وهذا لما كان محمد عليه السلام المثال
 الأكبر للأنبياء وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً وأيت أن أتكلم على حياته بما يقتضيه
 المقام ، أيضاً لما أجمعت فيما صرح من الكلام ، وهذا يستلزم ذكر أحوال العالم في ذلك
 الوقت ثم أحواله عليه السلام وما أتى به من الإصلاح في الأرض ولذا بدأ الآن بوصف
 حالة العالم في عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ،
 وتعددت الأهواء ، وعبد كل ما شاء الشيطان ، بن الأباطيل ، عم السجود للأوثان ، وعبدت
 الصور والصليبان ، واعتقد الناس الألوهية في التماثيل ، خاطب الخلق في شأن اللاهوت ،
 وتوهموا ظهوره في الناسوت ، فخذ البشر آلهة من دون واجب لوجوده ، سهل على الناس
 اعتقاد الساطنة في بعض الافراد ، وظنوا ان يدهم الاشقاء والاسعاد ، فبابوا مقلهم ،
 واعملوا شأنهم ، فطغى اوثانك وبشوا ، وانفروا ماشاءوا من الاحكام ، وقالوا لما تصف
 السنم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، اصبح الناس عبيداً أذلاء ، في جهالة عمياء ،

اشتغل الرؤساء بالمطامع الشخصية، وتنافسوا في الحصول على ثقاتهم البيعية، واخذوا
الحويص من المسائل الدينية ذريعة للمشاجرات والمباحثات - فتعددت البدع وكثرت
الفرق وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين ، اثار كل رئيس من تحت يده من
المرءيين ، واشهروا الحرب على الآخرين فأريقت دماء المسلمين ،

هكذا كان حال الامم في كل بقعة من الارض وفي بلاد العرب ادهى وامرهم
الفساد وزاد الفساد وزال العلم وحل الجهل وفسد الاخلاق في سائر الآفاق
ليس ما ذكره تخيلات شمسية ، ولا افكار وهمية ، بل هي حقائق تاريخية ، اتفق عليها
اهل العلم ، ولم يشذ عنهم ذوقهم ،

ظهر في هذا الوسط الجاهل والظلام الخالك ، الذي يضل فيه كل سالك ، محمد العربي
والنبي الامي . ولما يتما فقيرا لأب له يذبه ويريه ولا معلم يرشده ويهديه
تدبرهم بعض المجادلين انه تعلم القراءة والكتابة ليدفع بذلك ما سبى على سمعه
من قوة البرهان ولكنه وهم زيله بما يأتي من الدلائل الواضحة :

(١) إن الجمهور الاعظم من امته كان اميا لا يقرأ قليلا فاذا اضيق الى ذلك يمتنه
ونقره واميته فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ اولى له أن يسمي على
عينه من أن يصرف وقته في الحصول على شيء لا يبرفه الا القليل من جواره

(٢) تعلم القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصاً في بلاد ليس
فيها دور للمعلم ولا كتب ولا مدرسون فلو سعى في تعلمها لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه
إخفاء أمره إذ لا بد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة . مع أنه كان يجاهر بأميته
على رؤوس الاشهاد ولم يوجد من يمارضه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك إذ لا أرتاب الميطلون)

(٣) لم يهد عنه أنه كان يماشي أسياداً عن اشهر بمرنة اقراءة والكتابة قبل نبوته

(٤) لو كان أحد من الناس يعلمه لاضطر النبي الى تقديمه على أصحابه ولا تظهر له

احتراماً زائداً ولقاء للمعلم بذلك لبعض الناس مع أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً

(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة أو بعدها كان يستعمل قرطاساً

أو قلماً في تأليف شيء ما أو تدوينه فلو فرضنا أنه لم يشاهده وهو يتعلم فيجد جداً أن

لا يشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شؤونه الخاصة.

(٦) لو كان ابتداء تعلم القراءة والكتابة لأقصد دعوى النبوة لأظهر افتخاره بذلك وجاهريه ولو كان لأقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه وخصوصاً إذا أضفناها إلى غيرها مما يسميه أعدؤه حيلاً فإنها تقيب عن أذهان الفلاسفة والسياسيين لأنهم إذا دبروا عدة حيل يظهر أسرارهم ولو في إحداها على عمر الزمان فكيف يتأتى لواحد مثل محمد في أول نشأته أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتسه حتى يصير كهلاً ولا يقتضح أسره مرة واحدة إن ذلك ليهتان عظيم

والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان اليم والفقر والجهل والامية، والاهمال والاضلال والوثنية، وقد احتاط به فساد الاخلاق من جميع الجهات، والتفت حوله عشيرة الفارقة في بحر من الخرافات والترهات، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه ؟؟ لم يكن له ذلك التأثير المهود بل نشأ متخاف ما عليه أهله وقومه، بنضت اليه الوثنية في مبدأ عمره فلم يعرف عنه أنه سجد لهم قط أو احتفل بمعبود مع أهله، كانوا يشربون حوله الخمر، وينغمسون في الشهوات والفجور، وهو بمسند عنهم منكرا عليهم، كانوا يشغلون بالثافة من الامور ويثيرون الحروب لمسائل واهية ولم يكن هو منهم، كانوا يقومون ويقعدون، ويتفانون ويقتلون، لقصيدة أو بيت شعر وهو لا يحفل بذلك ولا يجاريهم عليه. ماذا كانت حاله اذا ؟؟ لجرو الاستقامة دأبه، والمصدق بالامانة طبعه، حتى عرف بين أهل مكة بالامين وهو في ريعان شبابه، يهتمك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا معلمين مهذبين ولكنه هو يتزوج العوان ويبقى معها الى ما بعد الاربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر الى سواها ويعيش معها بكل طهارة وعفة فلم يسمح عنه أنه ارتكب منكرا في زمن شبابه أو خلق محب فتاة أو مال الى عشتها مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائد هم تشبه بذلك. ماذا كان شأنه اذا ؟؟ كان شأنه زعي الاغنام ثم التجارة ثم التمسيد في الحلاء

والتحدث بمناجاة الله تعالى

قام عند بلوغه الاربعين بدعوى الخلق الى عبادة الخلق وقرآن للعالم إلهاً واحداً وثأمن كل ما ينسبونه اليه مما لا يليق به ونبذ ذلك الحجاج اليذاب امر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ونهى عن التقليد وجلس على النظر في الموجودات، أطلق للناس الحرية الصحيحة

وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين أو لأي أحد سوى رب العالمين ومنعهم من الالتجاء إلا إليه مباشرة وأصرهم بالاستعانة به وحده اعطى الروح والبدن ما يطلبانه بتمطد أن لا يضرهم ما ولم يحث على المداينة في الزهد ولا الرهبانية بل أصر بالسمي وأنهم مل وتصرىف الأعضاء فيما خفقت لأجله مع مراعاة أن لا يضر ذلك بالمرء أو غيره أباح الطيبات وحرم الخبائث وأصر بالعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين ومعاملتهم بالقي هي أحسن والتوفيق يتناوب بينهم ونهى عن الأكراد في الدين وأوجب تأمين الراغبين في النظر فيه وأووقت الحرب (وإن أحد من المشركين استجار لك فآجروه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) إلى غير ذلك لم تهتد إليه الناس في الغرب إلا بعد أن وصل إليهم شمع من نور الإسلام في الشرق فارجع البصر إلى تاريخ أوروبا قبل الإصلاح الديني بلوتر وقبل الإصلاح السياسي بالثورة الفرنسية تعرف ما كانوا عليه أتى مع ذلك بجميع الأخلاق الفاضلة المعتدلة والمبادئ الصالحة والمعاملات الكاملة والمبادئ السليمة والسياسات القوية وغيرها مما كان السبب في إصلاح أمر الإنسان وتحريره من العبودية وأثقال العقل من الأسر وردة إلى ملكته ليحكم فيها بالقسط فنقض الشرق نهضة سرية عالمية لم يهد لها مثيل في التاريخ ثم امتدت إلى الغرب

فهذه هي آثار ذلك الأمل وهذه هي أعماله فماذا يجب الضالون ؟
زعم بعضهم بعد أن سلم بآيته أنه لا بد أن يكون تناقض ما أتى به من أحد الناس بالمصادفة فتعجب بأن ذلك التناقض الموهوم إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها
فإن كان قبل النبوة فإما أن يكون حصل ذلك في بلاده أو في غيرها أما في غيرها فهو لم يسافر إلا إلى بلاد الشام وذلك مرتين الأولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه وشده والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة وفي كليهما لم يكن منفرداً ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين من يتناقض العلم عن أحد ولم يجب عن قوما إلا مدة التجارة والاول غاب عنهم بضع سنين فلما رأوا له الملك تملكت هذا مدة غيابك هنا وهم لم يفوهوا بمثل هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلصقوا به هذه الشبهة وهي التلمس من الناس وأيضا فأي حامل يحمل هذا الفقير الذي نشأ هنا للنشأ الذي ينشأ ولم يوجد من يقبه ويرشده فكم لفضيلة العلم حتى يترك ما يقتات به وهو في تلك البلاد

الاجنبية وما به إرضاء خديجة التي بعت لإبراهيم ويجهد نفسه في البحث عن عالم ليس من أمته وام يكن على عقائدهم ويرضخ له حتى يبعث في قلبه كل هذه التعليمات ويعلم له فيما يخالف معتد آباءه وأجداده . وان زعم انه حصل ذلك في بلاده فهو غير ممكن لاسباب :

(١) انه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له إما انه كان من الوثنيين وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما انه كان من اليهود وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والأقارب لهما بالفضل والنزاهة واما انه كان من النصارى وهذا لا يعلمه أن ينكر لاهوت المسيح ولا التثليث ولا الصلب ولأن يرمى النصارى بالتحريف في كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الإنكار عليهم واما انه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشهر بين الناس بنفسه أو تعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على أجهاد نفسه وحسب وقته في تعليم هذا الغريب الأمي ولم لم يدع الناس الى هذه الأشياء بنفسه أو يخبر أحداً ممن اشهر بشعر أو بخطابة أو شيء من العلم أو كان له جاه أو أعوان أو مال أو غير ذلك مما يكسب الشهادة في قلوب الناس

(٤) انه من الصعب جداً ان يقدر احد من الناس ان يهذب هذا الأمي كل هذا المذهب وان يخرج من عقائد آباءه وأجداده ويدخل في هذه مسائل النبوة والوحي والتنزيه والنوحيد ويجعله يعتقد ذلك اعتقاداً يقينياً الا اذا كان هذا المعلم مقسماً طاماً حكماً ومثل هذا لم يعرف له ذكر في بلاد العرب ولا فيما جاورها فكيف لم يشهر بالعلم والفضل وأي مؤرخ لذلك العهد ذكر كلمة عن أحد مثل هذا متسكاً بما يوجد في القرآن من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والمبادئ وغيرها

(٥) لم لم يسر هذا المعلم الى أحداً بأنه يعلم محمداً ويهذبه وما الذي حمله على إخفاء هذه المسألة وكتبها هذا الكتاب المطلق

(٦) لم لم يشاهد محمداً يحترم أحداً قبل نبوته أكثر من غيره أو يلوذ به

ويلازمه كما هو شأن التلميذ مع معلمه

(٧) أي شيء أنزله الصبر أربعين سنة ولم يجبه يسارع اليه دعوى النبوة ولم لم يبادر اليه مرد الفحص التي تعلمها مرة واحدة . وكذلك الاحكام والعقائد وغيرها خوفاً من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الأمر الذي لا يمكنه ان يستعمل مذكرة شيء مطلقاً خوفاً من ان يطالع عليها احد وهي معه . شأن الذي يريد ان يدعي شيئاً مثل هذا ان يظهر عليه عدة محاولات تدل على ما تطويه سريرة ثم تجرأ فيزداد شيئاً فشيئاً لا ان يسكت أربعين سنة ثم يندفع بدعواه مرة واحدة بزرعة واحدة قوتها في الاول كقوتها في الآخر

(٨) كيف ان هذه المذكرة لم تأخذ بلبه ونشاعره فتجلبه مشتتاً بها طول السنة وكيف يتناساها إحدى عشر شهراً ويشغل بها شهر رمضان فقط من كل سنة فيستمد فيه لما سيدعيه كما يزعمه اولو الاهواء في عزلة الشبهة . عادة المفكرين ان تأخذ مثل هذه التيات بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس انهم دائماً في الشغال بال ولكن النبي ما كان يشغله شيء عن شيء والا لانك الفكر بذهن و صار سقيماً وكنت قواء المقلية من كثرة الحيل وتعدد الصعوبات التي كان يلاقها فتضعف عن ان تدبر كل ما كان يدبره لولا الارشادات الالهية والالهامات الربانية . وكيف علم انه لن ينقضي اجله حتى يتم القرآن في آخر سنة من حياته وبأن على نفسه فإني به نجوماً نجوماً

وان كان المعلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(٩) فكيف ابتداء دعواه على جهله وأي منه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف

ضمن انه مجده من معلمه

(١٠) لم يشاهد مرة ياجأ اليه أحد الناس ليعتصم منه

(١١) لم لم يقدم هذا الملام وبفضله على أصحابه أو يوصي له بالخلافة وام بقي معلمه

صروسا له ولم يكن رئيساً عليه (راجع أيضاً لوجه السابقة)

(١٢) لم ام يوجده بين أصحابه من كان يأتى من أن يتلقى العلم عنده ويخضع لامره وينتهي

بنيته فإني كان هذا المعلم حتى ساوى نفسه بأصحابه هذا ولم يعرف أحد منهم ممتازاً بغير

سوى ما أخذوا بقراؤهم جميعاً عن كتاب الله وحديث رسوله فإن كان هذا المعام موجوداً في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمد بأدب والفلسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظهر بين العرب حتى تجلبه وتحتمه احترامها لمحمد وأي شيء استماده حتى يكتم كل هذا في الله من التمسب الذي يهمل ويهم

علمت ما تقدم أنه كل أمياً وأنه لم يتاق العلم عن أحد شفاهاً فكيف أتى بمأني وكيف هل ما حمل ؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجاز العرب في الاشتغال بالشعر أو الشعر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تنفني فيه العرب ولم يشتهر بينهم شيء من ذلك مطلقاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في منتهى البلاغة قبل نبوته وكان قليل العناية بمجتهماتهم واقتضارهم فيهم وانظمهم فكيف أتى بهذه البلاغة الخارقة للعادة ؟ وكيف أتى بهذا الأسلوب المميز واختراعه ؟ وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما زل من القرآن وآخره مع أن العادة أن الإنسان يتدرج في الشيء فيكون آخر ما أتى به أحسن مما ابتدأ بإنشائه وكيف يكون الكل معجزاً مع أن المتبادر من البقاء أن يكون بعض كلامهم في منتهى البلاغة والبعض الآخر ليس كذلك ؟ كيف لم تجد العرب إجماعاً رأيت كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عناية بإنشاء أحدهما دون الآخر بل كثيراً ما كان يقول أحدهما في عشرين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يلقبه من أول وهلة ؟ كيف أمكنه الجزم بأن جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتهدين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيرها فهاهذه المايجع الملهجات وهاهذه البراهين المفحومات ؟

قام بالدعوة إلى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حواله أحباء ما ألفوا أعداء لما دعوا إليه فنفه آراءهم ونكس أصنامهم ولاقى بسبب ذلك منهم ما لاقي مما يشبه الحمم ويذهب بالزائم لولا تثبه في امره وجزمه بالظفر والنجاح نجاة من جميع الشرك التي كانت تنصب له في الحروب وغيرها وسام من الدسائس التي كانت تسدل له والتربصات لفته غيلة التي كانت تمقد عليه ووعد المحاربة بالنصر والفتح والتمكن في الأرض والخلافة فوقع كل ذلك لهم وصدق في جميع ما أخبر به من الغيبات وتحققت نبوته وصدق أخباره بانتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع أنهم كانوا في حالة

لا يرجي معها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم وهو لم يكن من السياسيين ولا اللطافيين على مواقع البلاد واحوال الامم وتاريخها فكيف تأتى له الحكم بشي مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست مما لهم تشبها حتى يبت الحكم فيها فلا ثقة بالوحي لما تجرأ على القول بأنهم سيفلبون في بضع سنين وعرض نفسه للسخرية والتكذيب وهو احرص الناس على عدم اقتضاح امره كما يقول اعداؤه (وإذا سمعت قراءة من قرأ سيفلبون بالبناء للهجهول أي إن المسلمين تغلبهم فيها أيضاً الاخبار غيب لو لم يقع لظهور كذبه) اجمعت عليه العرب صرة لحزباً واحداً على محو ذكره من الوجود انتقاماً فارسل الله عليهم ريحاً وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب فقروا أنهم زاموا وكفى الله المؤمنين القتال . فما كل هذه المصادقات ان صح ما يقول الواهمون الذين يتمسكون بهذه التاويلات الفارغة ويتمسكون بالندائات الباردة . سمعت من بعضهم بعد ان ادهشه الدليل بان النبي لم يعلم من واحد مخصوص قولاً يريد به تسكين نفسه وتهدئة خاطره وهو ان ما كان يسمعه النبي من حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما أتى به وانه كان يصيد معلوماته ممن جاوره من نصاري واليهود باستراق السمع منهم فاقول له مهلا ايها المسجب بتفسيراته الغرور بتعليلاته واستمع اساساً تلوعايتك وانت شهيد، ولا تكن ممن عن الحق يجحد؟

انه لم يكن في مكة من أهل الكتاب الا أشخاص يمدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجول الناس وأحطهم مقاماً في الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترفون بدني الحرف تخدمه بعض العرب او الانحجار في بعض اشياء حذيرة . وقد نزل في مكة من القرآن ما كان محمد في أشد الحاجة الى من يلقنه إياه قول يسلم العقل ان هام محمد مستند من هؤلاء الأشخاص

هب انه كان يصيد المسائل من نصاري العرب ويهودها فكيف أمن من الوقوع في خرافاتهم التي يجزم العقل بطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصاري واليهود الى اليوم . لم تنزه كلامه عن اضلاله في المسألة اللاهوتية كمقائدهم في المسيح والصاب والتاب ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يترو فيها فعله فندم بعد ذلك

على ما وقع منه كأنه لم يكن يعرف مواقف الأمور . اليس من اليهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجمل كلامهم معتد بها يتقده انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطاهم

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كاعتقادهم ان الشمس وقعت لفلان او رجعت بعض درجات وان الحية لا تأكل إلا التراب مع انها لا تأكل التراب وكالاتهم في شأن جنة عدن وما ذكر معها من الانهار مما لا يصدق به الا الجاهل من اهل التخریف الى غير ذلك مما كان ذاتاً بينهم ولا يزال الى الآن . هل يعرف الامي الذي نشأ في وسط الجهل وفي زمن الجهل ما صح من المسائل وما فسد منها حتى انه لا يقع في كلامه الا الصحيح مع ان انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كتب فيلسوف بانتقاده واختيار صحيحها لوقع في الوهم والحكم على بعض الصحيح بأنه باطل وعلى كثير من الباطل بأنه صحيح وخصوصاً في ذلك الزمن وفي تلك البلاد العربية التي كان فيها السلام عبارة عن مجموع خرافات للمجائز اختلطت بغيره لا تخلو من الصحة من بعض الوجوه فبالك محمد الامي والرجل العامي .

ايتصور ان هذا الرجل الذي كان يعتقد في اهل الكتاب انهم غاشون ما كرون بحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ايتصور منه وهو يعرف كل هذا غفم ان يثق بأقوال بسمه هاهنا اقوال الجاهل منهم وينزعهم بذلك ارباباً من عند الله مع انه ما كان يثق بقول اعظام عالم من علماءهم بل كان يرميهم بأنهم لا يفهمون حديثاً في ما عندهم من الكتاب وأنهم يخلقون اشياء كثيرة لتضليل طاعتهم وغشهم . فكيف يقول النبي الذي لا يذكر أحداً رجحان عقله على قلوبهم مع انه شرح للناس مكرهم وكذبهم ، وكيف لا يخاف ان يكذبوا عليه ويقرؤوه ويقرؤوه في الخطأ الذي لا يمكنه التخلص منه . وكيف يسلم لاحد منهم ما يقوله في دينه مع انه يجوز ان يكون مخطئاً ولا أثر لما يقول في الدين لما نشاهد ذلك كثيراً في المسلمين وغيرهم فكيف من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون أثناء كلامهم عن الاسلام وعن عقائدهم بسبب ما يسمعون من حملة المسلمين .

هل يمكن للعالمى الأسمى إذا سمع خليطاً من قصص بني إسرائيل من أفواه آحاد الناس في مجالسهم مشوهة ممزوجة بكثير من الخرافات كما هو شأن العامة في أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلاً يزيل ما اشتبه على الأفهام بحيث لا يدري صحيحها من مكذبها أن يفهم منها حقيقة تاريخهم ومعتقدهم ودعوى أنبيائهم ويأتي بعد ذلك بتفاصيل أهم حوادثهم وذكر أعظم رجالاتهم وما حدث لهم ويشير إلى ترتيب أزماتها وإلى بعض البلاد التي وقعت فيها وإلى موقعها الجغرافى كأن يوصي إلى موقع البحر الأحمر بالنسبة إلى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتي على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وإبراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم إلى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعي من غير تقديم أو تأخير في حوادثها أو يخلط فيها مع أن هذا التاريخ اجنبى عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من أن يكتب إحدى حوادثه الكبيرة تصور حالة عالمي من عامة المصريين إذا سمع أقوالاً متفرقة متشعبة من أفواه بعض جهلة الأوروبيين عن تاريخهم فهل يمكن هذا العالمى أن يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما أتى به القرآن ويسرد علينا آرائهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالاتهم ونسبتهم وتاريخ حياتهم وما أتوا به من الإصلاح في بلادهم ونبه على وجوه العبرة في كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر إلا الصحيح منها ويترك الباطل التي ألحقها الأوهام بها قل لي بأبيك هل هذا ممكن ؟ يزعم البعض أن في القرآن خطأ في هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تهد على أصابع اليد الواحدة ويؤمنون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يعتمد به . فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه القاطعات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل صحيفة بمنزلة بالأوهام والخرافات والخلط في المسائل والخلط من غير اهتمام إلى صحيحها وذلك من غير كبير عناء ونصب بل مجرد مطالعها كان يضحكنا ويجعلنا نهرأ بها وتوجب من زعماتها وخصوصاً في زماننا هذا الذي صار فيه تلامذة مكاتبنا يضحكون من أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويفكحون بذكرها ولا يحتاج إلى البحث والتقيب وصرف الوقت في الحصول على هفوة قل أن نجد ما في القرآن وإذا وجدناها قاتماً لا تلبث أن تزول بعد التروي والتأمل والتعمق في البحث . فهل

هذا هو ما نتظره في قول العاصي المصري الذي ضربنا ذلك مثلاً لكنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرائية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والعبادات الدينية إذا حاول أن يولي علينا شيئاً من ذلك. استحضرن الآن في فكرك ما أتى به القرآن. أليست الشريعة الإسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها. أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضغف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الإفراط. أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفساف الأمور واللغو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلاً ككفري الملوك واخبار الأيام) أليس من المبادئ الإسلامية ما لم تهتد الناس إليه الا في العصر الحاضر

(الها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب في تأثيرات الطبيعة

مذكرات من يومية الدكتور أراسم (*)

(التربية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ١٨٩٦

صادفنا غداً اليوم على مقربة من ليانجيا آتيا اليها ليمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو الممثل للأسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حياً وكان ربه وهو شبه مشهود يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار كان هذا الرجل على شدة فاقته وعجزه عن القيام بذقنة نفسه مصحوباً بصديقه زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها قولاً فسألته بالاسبانيولية التي لا أحسنها عما أصابها فعملها تخرج كما رأيت فكان جوابها أن ارتني إحدى ساقيها فاذا فيها جرح دام ورأيت قدمها قد دورمتا وربما مفرطاً ولما أمعت النظر في ساقها الجروحة عثرت على طرف شوكة

(*) مررب من باب رية اليافع من كتاب اصيل القرن التاسع عشر

فليطه في سمك لحمها وهي التي تسبب عنها الجرح قطعاً ثم خبث بما اعتوره من المشي والوصب
ولم يغ الحشرات فان هذين المسافرين كانا آيبين من مسافة بعيدة جداً

مازلت بهذه الشوكة حتى نجحت في ملها ثم ضمت أجزاء الجرح بعضها الى بعض
ولم أجد خرقه أعصبه بها اولتي «لولا» منديلها ولم تقتصر على ذلك بل دعها راحتها
بهذه الفتاة الى خلع ثيابها ووضع قدميها الموضنتين فيهما فلا تلتها أشد الملاعة كأنما
صنعتا لهذه المسكنة فأعربت «لولا» عن شكرها ثم غادرناهما وهنيتنا في سيدنا

انصبت «لولا» الى عماها هذا باعثة من بواعث الحيرة القلبية الا انها ما لبثت ان أدركت
معوقة الاحتفاء في أرض صلبة خشنة كارض اليروقان طرقها لا مشابة بينها وبين مخاريف
البياتين الكبرى في انكسارها

انشأ «إميل» أولاً يسخر من حيرة صديقه في مسيرها حافية ولكنه لتأثره من صديقه
دبت فيه النخوة فاحتلمها على ظهره فقبلت ذلك مبتسمة

ان الباقي من طريقنا لم يكن طويلاً جداً ومع ذلك وقف «إميل» في أثناء الاستراحة
صريعاً أو ثلاثاً متبهاً في ذلك نصيحتي وفي آخر وقفة منها بهرنا من بعيد بالشمس وقد يهود
اليوما وعرفت «لولا» الصبية الزنحية وقد خلعت التملين وحملتهما في يدها كما كان أشد
غمها لهذا المرأى انظر كيف نجحتنا منحتها وكيف استعملتها

فسررت عنها ما خاض قلبها من الكدر بأن قالت لها ان المادة طبع ثاب وان هذه
الصبية لا بد أن تكون تعبت من الاتمال لاعتيادها الاحتفاء على ان نية اسداء المعروف
محمودة على كل حال ولو أخطأ صاحبها فيما يتخذ من الوسائل لا يصل النفع

والذي رأيته خير من هذه المظلة كلها هو ان ما وجدته قلبها الظاهر من السرور
ياحتمال «إميل» ايها قدر لها فيها أرى على ان الانسان لا ينحصر شيئاً مما يسديه من
المعروف. اهـ

يوم ٢٨ أغسطس سنة ١٨٦٠

زرنا بعض أجزاء من جبال التورديير ولم يكن سبق ولا ميل «ن شاهد مثل هذه
الجبال التي يصح أن تسمى بالالب (١) الأمريكية فراءه كل الرعع ما لهذا الخلق الهائل

(١) جبال الالب هي سلسة جبال عظيمة في أوروبا

من مظاهر الفعامة والمعظم مع اتالم نبلغ منها إلا أدنى شئ منها
لا بد لي أن ألاحظ هنا أن القدماء كانوا أقل بي التأثير بجبال الشاعخة من المحاسن
الرائمة فانهم تراشعوا اللاتين من الكلام فيها إلا النذر اليسير ومعظم ما قالوه استهجان
واحتقاج وقد يحدو بي ذلك الى القول بأنه كان يلزم ان يدهمهم من الكوارث المحزنة
ما تهتز له نفوسهم وأن تستضيء بصائرهم بنور العلم ويتمكن منها الاستعداد للبحث
والنقيب الذي هو من منى العصور الحديثة ولو تم لهم هذا لادركوا أن في سيارنا الذي
نمش على ظهره من المقامر الطائلة البديمة ما يدعو الى الاعجاب الحقيقي اهـ

يوم ٧ سبتمبر سنة ١٨٦٦

كبت هـ لولاه دعواها وان شئت قلت خسرتها فكلما القولين صحيح باعتبار جهة النظر
اضطربنا لامصاله في هذه القضية الكثيرة الارتباك لما يقتضيه الفصل فيها من
الاتظار أشهراً بل سنين فمرض على الخصم أن يعطوا لبنت السفان مقداراً زهيداً
من النقود وبعض ما كان لوأدها من الارضين والارض هاهنا لا قيمة لها اليوم أصلاً
مالم يستفادها صاحبها بنفسه أو بواسطة وكيل له يقيم في هذه البلاد
فأما أنا وهيلانة فاجئنا لقيم في ليا هـ بل قد انتهت مهمتنا ولم يبق إلا السفر لاسياني
تلقيت مكتوباً من الدكتور وارنجتون يدعوني الى لوندرة لأمور نافعة لي بينها فيه
وأما قوبيدون وجورجيا فانهما خيران بفن الزراعة خصوصاً زراعة الاقطار
الحارة وليس من ذوي العقول الضعيفة وأماتهما تقوم بكل ما في بلاد البيرو من الذهب
ولا أرى ما يمنع من الهدد اليهما زراعة أطميان هـ لولاه
وانه ليشق علي مفارقة هذين الشهمين غيراني أرى أن أقوم انكلترا لم يخفق لثلهما
من الزوج وأما اقام جنوب امريكا فانه يؤذن بأن سيكون لهما فيه بتوالي الايام مناخ
جميل ووطن سعيد اهـ

رجعت السفينة التي كانت حملتنا من لوندرة الى قلاو منذ ثلاثة أسابيع ويعلم الله
مق يكون مجيئها ولهذا رأينا بدلاً من اجتياز رأس القرن أن نركب هذه المرة في سفينة
تجارية على نهر الامازون (١) تسير بنا والشاطئ حق ذائع سواحل البرازيل حيث نجد

(١) المعروف ان الامازون أكبر انهار الدنيا وأفضل المؤلفين يرد بقوله نهر أحده

فروع القربية من ليا

مفيدة تكون مسافرة الى انكلترا فان هذه الطريق أقصر من الأولى بمسير عشرين يوماً
توي «لولا» أن تعود معنا لأن بلادها لقلقة ما عرفته منها لم تبث في نفسها شيئاً

من الرغبة في توطئها ولأنها تعلم فوق ذلك أننا نحيا
ما ندمت على هذا السفر بحال «قاييل» قد مضى وقته هنا في الالتفات الى العلم
والامان في مسائله فهو يعود الى بلاده الآن نأقلا اليها مجاميع في علم التاريخ الطبيعي
بل حاملها هو خير له منها - ضروب الاتعمال الكثيرة بما رأي وصنوف الذكراوعى
وقد تربى طبعه في مدرسة الاختبار والحياة التي لا يربي الرجل غيرها
نعم اني لأعني بهذا القول أن أزم جميع من هم في سنه من المراهقين أن يقتعدوا
عن أوطانهم بقدر ابتعاده ولكن رأي الذي لا أحول عنه هو أنهم لو خرجوا قليلاً من
أصدانهم ورأوا الكون في الكون قبل أن يروا في الكتب لقموا من ذلك أكثر
ما يتوهم . اه

الكتاب الرابع في تربية الشاب

المكتوب الاول من «إميل» الى والده

وصف مبيشة - نادي الطلبة الالمانيين ومحاوراتهم - تهاقهم على خدمة الحكومة
تفكر «إميل» في أمره - تأله من عدم فهمه اللغة الالمانية - ذكره «لولا» -
استيحاثة من غربته

برلين في ٨ يناير سنة ١٨٦٠

انتظمت في سلك المدرسة الجامعة بعد امتحان كان لابد من تأديته وصرت ادعى
منذ أسبوع بالسيد الشاب

من المفروض على أن أكتشفك بشيء من تفاصيل مبيشة وأنا طالب :أما نهارى
فأصرفه في تلقي دروس الحكمة والتاريخ والقوانين وعلم تركيب الحيوان والنبات
ومنافع أعضائها والمقارنة بين اللغات وغير ذلك وأما ليلى فأقضيها في مسكن استأجرة
سنة أشهر نحو مائة وخمسين فرنكاً وأما طعامي فأتناوله في مطعم على مائدة جامعة
في مقابل أربعة وعشرين صولدياً (١) وبعد العشاء تارة آوى الى حجرتي وطوراً

(١) الصولدي جزء من عشرين جزءاً من الفرنك فقيمة طعامي هي فرنك وربع

أشبه في المدينة ولكنني أجنبياً لما أطلع على أسرار طائفة الشبان كلها على أن أحدهم قد أخذني معه ذات ليلة إلى مدخن (مكان لتدخين التبغ) يجتمع فيه بعض الطلبة الألمانين فما فتح بابي حتى رأيته قائماً مغموراً بحجاب مر كوم من الدخان حال بيني وبين رؤية جدران المكان وسقفه بل رؤية السكان برمتهم وكان يخيل إليّ أنه يمد إليّ غير نهاية وكنت أسمع أصواتاً وأغاني وفقههات ولا أبصر شيئاً من الصور الحية وأرى أضواء حمراء تبدو في بعض جهات هذا المكان يشاعها ذلك السحاب كأنما تسبح منه في بحر لحي وكنت أمشي كخابط ليل وراء الدليل وعلى مقربة منه بين صفين من الموائد خيل إليّ أنها تعوم في الضباب ورأيت عليها رؤية غير مستينة آنية من القصدير كان لألمانيا لألماني يجهد في صدع حجاب الظلام الدخاني للفصل على القاعة كلها ثم لحت من خلال هذه الآنية وجوها آدمية لأن بصري كان يتدرج في اعتياد هذا الجو الغريب والانس به ولم يكشف عني الحجاب كشفاً تاماً إلا عندما بلغت نهاية القاعة حيث أقيم مصطلى عظيم فرأيتني في جمع حافل من الشبان على رؤسهم القلنسوات وفي أيديهم أكواب الجمرة وبين هذا التشويش واللفظ عثرت على حلاق من الطلبة قامت بينهم مناظرات في مسائل مهمة ولم تقمهم عن مداومة الشرب والتدخين

إن أذني لم تعد سماع الأصوات الألمانية اعتياداً يكفي لتأجئة مجرى الحديث وفهمه ومع ذلك قد فهمت من فحوى ما سمعته أنهم يتناظرون في مقاصد ووسائل بعضها اسمي من بعض تتعاقب بإصلاح أحوال البشر وكانت البراهين والتكث والماني تثبت من أفواههم كأنها سهام نارية تهذف بين أنفاس الدخان ولما أنصف الليل فادر القاعة جميع الطلبة ورأيت بعض من لاحظت فيهم الحجة والغيرة على مصالح الإنسان منصرفين إلى بيوتهم وقد جعلوا يقنون جهازاً في وسط الشارع أغاني مبتذلة ولم يسه عليهم حينئذ ما يدل على أنهم ذاكرون لما تعلموا عليه من اصطلاح شؤون الكون أخص غاية الطلبة من اختلافهم إلى المدارس الجامعة هنا بحسب ما سمعت هي أن يلوا أعمالاً من أعمال الحكومة فكلهم يؤمن أن يكون خادماً لها على تفاوت بينهم في ذلك فإذا حصل أحدهم على لقب دكتور مثلاً رأته بتقديم الباحاملا شهادة واحياً أن توليه أحد الأعمال الخفية في ادارتها ومعظم هذا الأعمال لا يولى إلا بالامتحان ولا ياله إلا من

يظهر أنهم أعلم من غيرهم وحينئذ يقول الذين يجيبون فيه على الاشتغال بالأعمال المستقلة ولا أدري أهذه الحالة وهي فرط الرغبة في تقلد المناصب العامة هي التي ينبغي أن ينسب إليها التغير الذي يحصل في عقول شبان الدكارة عند خروجهم من الجامعة أم له سبب آخر

قالوا قع هو أنه ليس بين أخلاق الطلبة وأخلاق غيرهم من الألمانين أدنى مشابهة: الطلبة يتظاهرون بالتفجع (١) والشذوذ والعريضة ويخجل إلى من يرى غيرهم من الألمانين أنهم غنائون مكينة بل جهوداً وبلادة والأولون مشهورون بالميل إلى الثورة ويحب الحكومة الجمهورية وبعدم الميل إلى الخوض في أي بحث نظري وبالهجوم على جميع المسائل السياسية كانت أو دينية أو قومية بما يدهش من جرأة الجنان وبقية الأمة يظهر عليها التشدد في الاستمساك بالمواثيق القديمة وبالحكومة الملكية وترى الطلبة يتباهون باحتقارهم جميع المميزات التي لا منشأ لها لا اتفاق النسب على حين أن أواسط الناس يحملون ألقاب الشرف اجلالاً لأحدله فتري القرية بين كاهنين متبايزين وليس للطلبة في الحقيقة ارتباط بباقي الأمة إلا رغبتهم العظمى في أن يوالهم بعد مبارحة الجامعة أعمالاً رسمية على أن هذا الارتباط كاف في عدم كثرات الحكومة كثيراً بما يدونه من حدة أفكارهم الحرة.

دعني سيرة هؤلاء الشبان إلى التفكير في سيرتي فاني قد بلغت التاسعة عشرة من عمري ولا مقام لي بين الناس بل لم يقف بي الاختيار حتى الآن على صناعة نافعة اشتغل بها وإذا أردتني على الإقرار لك بما أجده قلت اني أحياناً آنس من نفسي قدوراً في الهدى وضعفاً في العزيمة وأسائلها عما أصاح له من الأعمال وأنا ضائق بذلك صدراً نعم انك قد رأيت في تقديماً سريعاً طاملي في العلوم ودروس كتب المتقدمين في أربع سنين أو خمس مضت وما ذلك ولا شك إلا من الطريقة التي أهلكني بها أنت ووالدي للعمل الدني وهو مراقبة الأمور والأسفار وما تقتضيه منكم من الدروس النافعة ولا شك ان لي طمعا في العلم ولكني أجهل فكري في استقصاء ما يجوزني من الخصائص فأؤله آتوهم اني احس في نفسي بروح إلهي يقودني على كل شيء

(١) التفجع افتخار الانسان بأكثر مما عنده

وساعات يجلس إلي أني قد فقت في عجزى وتجردت من حولي وقوتي وتارة تملكني الأفكار وطوراً يستحوذ علي جدران الحاجة إلى العمل والذي أراه يقيناً في أمجد إلى الآن استقامة واستقراراً فيما لنفسى من القوى أن صح أن يسمى بها الشاب مثلي من الشهوات القوية التي تدعوه إلى السعي لأدراك مقامه في هذه الدنيا لما بلغت لها منذ شهرين كنت اعتقد أني على علم باللغة الألمانية لما قرأته منها في الكتب فما لبثت أن تبين لي خطأي في ذلك ومنشأ هذا الخطأ أني كنت أحسن قراءة الصحف وعناوين الحوائث وأسماء الشوارع وما على الجدران من الإعلانات فإن الجدران هنا كما تعلم بالألمانية فإذا جبرت حولي المحاورات أصبحت إليها وما كنت أسمع إلا أصواتاً لأفقه شيئاً من معانيها فكنت مطاق البصر أسير السمع لأن من الأمر المنطوي الحقيقي أن يعيش الإنسان بين قوم لا يفهم لغتهم كان الفلام الذي في الثالثة من عمره وهو في هذه السن لا يعرف من هذه اللغة إلا التاميم ببعض ألفاظها يعرف منها أكثر مما يعرف حتى أني لا كنت أحاول مخاطبته كان ينفض إلي رأسه استهزاء كأنه يقول عليك عني أني لا أفقه لك قولاً

كنت بين أولئك القوم كالأصم إلا بكم الذي فقد كل وسيلة التفاهم حتى لغة الإشارات فهل يمكن أن ينشأ عن الأمواج الصوتية إذا اختلف انتقالها إلى الأذن اختلافاً كبيراً باختلاف كيفية تحريك الشفتين مثل هذه الحوائث والحجب التي تبعد الناس بعضهم عن بعض

استأثرت جداً من هذه العزلة فجاهدت جهاداً عظيماً في التجرد من الانكسار الذي أجده من حياتي الطبيعية وانشأت اليوم انطق بالألمانية نطقاً مفهوماً وأني لأعلم أنه لا يزال يوزني تحصيل الكثير منها ولكن من هو في مثل سني قديمه دان لا يحصل في قليل من الزمن لغة هو لا ينفك يسمع أصواتها من أفواه جميع الناس في هذه البلاد وليس أصعب ما في هذه اللغة التكلم بها فيما أرى بل هو فهم ما يسمع من التحوار بها بين اثنين من أهلها فقد كنت ذات مرة في الملب وكان اثنان من الممثلين يحاوران فما استطعت في سرعة تحاورهما أن أفهم كلمة منه اللهم إلا ما كان من جملة الملبه وهي: هيلتك سعيدة

مثل اللغات الاجنبية ان لم اكن واحدا كمن دخل البعج بالنادي الذي حدثت
عنه في كونه كان يحجبني في بدىء بدء رؤية ما كان فيه من الاشياء والاشخاص فهي
حجاب مبزول على التماقب وآمل ان يظهر لي النور عما قليل

ارجو ان تنوبني في تقبيل لولاء واود لو ادري هل هي مواظبة على سقي
الازهار وتعام العناية بالطيور وتديق مجاميع الاعشاب والدقائق وآمل منك لبهاءها
بأن تذكرني كما اذكركها

إذا أنا كتبت إليك فقد كتبت إلى والدتي فأنما في قلبي لا تفترقان ولهذا لا ازبد لها
شيئا الا اسقي على حرمتي من حجرتي الصغيرة التي كنت أسمع منها حركة غدوكم
ورواحكم في البيت وعلى أنسي بقرجكم عند اصطلاء النار ليلا فاني هنا في وحشة أي
وحشة . اختم لك هذا للكتاب في الساعة الحادية عشرة من الليل على ضوء
مصباح يملؤه طاكس ضوئي يستطمنه نور ضارب إلى الخضرة وفي إحدى زوايا حجرتي
ساعة دقاقة من الصنف الذي يصوت كطائر الكوكو عند انقضاء كل ساعة تحسب
تكنكها التي لا تتعب واسمع حبيب احترق الخطب في التور وصرير الباب من
صفق الريح اياه وارى البدر من خارج الحجرة صاحب الوجه يرنو الي من خلال
ستارتين كبيرتين موشاتين بلاشجار والازهار ما بين بيضاء وحمراء وقد أحسست
بقريراق عيني مع ان هذه الاشياء في ذاتها لا تدعو الى الحزن ولكن لانما في قلبي
مازالت طفلا ولست آسى على بلادي وانما آسى على مفارقة مهدي قلبي احبكم وأرجو
من هذه الجهة على الاقل ان اعيش طويلا عمري طويلا

أشاك على الشريف

تاريخ الاستاذ الامام

ان التربية بناء بوضع على اساس القدوة ، ويرفع على قواعد الاسوة ، فخير عظماء
الرجال ، أنهم مبدؤوا الاحياء ، وان الاميرة بدير المصيرين ، أقوى من البقرة بدير
انصارين ، لان طامة الناس عندما تعتقد ان الاولين من عصر ازكي ، واستمداد أقوى ،

فلا يضرب معهم المتأخر بسهم ، ولا يدانهم في فضل أو علم . - لذلك رأينا ان من انفع ما نخدم به الامة وضع تاريخ مطول للاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد نوهنا بذلك فيما نشرناه من سيرته . و نريد ان نقول هنا ان وريثة الفقيه واصدقائه وصريديه الذين نعرفهم هنا عون لنا على هذه الخدمة ونرجو من اخوانهم في الصداقة والوفاء من سائر الاقطار ان يتفضلوا علينا بما يرون من النماذج ، وما يعرفون عن الفقيه من الاعمال والمآثر ، مما يخفى عنه علينا . ويطلب ان لا يكون وصل البناء كقبض الكتب والرسائل ، وما رأوا من الاعمال او سمعوا من المسائل ، ومن ارسل الينا شيئا من خط الفقيه فانتا نعيده اليه على عهد الله ورسوله

ثم ان ما يرسل اليه ان كان اثاره من علم او ادب فانتا ننشرها حتما ونكافيها مرسلها بنسخة من التاريخ نهديها اليه وان كان كتابا خاصا بمن كان ارسل اليه فانتا لا تنشره الا اذا كان فيه فائدة عامة من حكمة تؤثر او بلاغة تؤثر على انقلما يخلو كلامه من كلاما لثريتين مهما كان الموضوع الذي كتب فيه . ولا شك ان الذين توجد عندهم هذه الآثار والاخبار يحرصون مثانا على تدوينها واستفادة الناس منها في الاغلب فلا يدخلون علينا بما ينفع الامة ويحفظ اثر الامام فهذا الاستجداء سيصادف بذلك ما شاء الله تعالى واتما نقدر ان التاريخ لا يقل عن الف صفحة وقد يزيد عليها وان تجزئته الى جزئين او ثلاثة اولى وربما نجعل له اشرا كتابا

وليعلم الشعراء الذين نظموا المراثي ونشروها في بعض الجرائد اتنا لا ننشر منها الا ما نختار مما ارسلوه الينا او الى الشيخ عبد الكريم سلمان او حموده بك عبده لاتا لم تسبق الجرائد ونحفظ ما فيها من القصائد وايس المانع من اثبات المراثية في التاريخ هو سبق نشرها في بعض الجرائد وإنما هو ما ذكرنا من عدم التبع والحفظ فمن شاء ان يرسل الينا شيئا ننشر فليقل

وكما نود لو بين لنا كل من ارسل او يرسل الينا شيئا من كاتب وشاعر اقبه الذي يخاطب به ووطنيته التي يذكر بها لذكرا بما هو معروف به ان لم يكن متكررا فذلك خير من نشر القصيدة او المقالة بالتوقيع الذي يذكر فيه الاسم غفلا لا يعرف به ما الا المتصلون به وقد يشبه بغيره لكثرة المشاركة في الاسماء والالقاب هنا (اي في البلاد المصرية)

مختصر كتاب الهدية المصرية الى الجامعة الوطنية

صكّب ساليان أفندي مصوبع الخامي السوري مقالات في الاجتماع البشري وال عمران وانشرها في جريدة ثمرات الفنون وغيرها من جرائد بيروت ثم اقترح عليه أن يجمع شملها في كتاب فجاء الكتاب بناهز في صفحة في عشرة أبواب (١) في العمران أساسه وتحديثه وسره ٢ في الحاجة تأثيرها والوقاية منها ٣ في الخيانة ٤ في التقاد ٥ في مسئولية الانسان ٦ في أدوار الحياة ونحو ذلك وفي هذه المباحث آراء صحيحة وفيها مسائل غامضة ولعل أكثر القموض من ضعف التأليف وإعواز البيان حتى كان الكلام كترجة باصطلاحات جديدة وأسلوب لم يخص دأماً الى الأسلوب العربي الصحيح من حيث تعدية الأفعال وربط الكلام ببعضه ببعض ووضع الحكم موضعها على أن فيه جملاً رائعة وتجاوزاً حسناً في بعض المواضع وقد كان أعجب الكتاب الي وأحسنه عندي كلامه في الدين والشرائع الثلاث الموسوية والمسيحية والاسلامية قائم قد بناء على قاعدة التثنية والارتقاء وبذلك تبين ان دين الانبياء واحد وان الأخير مكمل لما قبله وعليه الممول في الخلاف ولولا انطوائى لنقلت كلامه هذا على انه قد سبق لنا اقتباس ما كتبه الأستاذ الامام (رحمه الله تعالى) في ذلك من رسالة التوحيد وهو الكلام الذي ليس فوقه مطامع ولا ورائه غاية واتسا تني على سليلان أفندي لثباته بما نقل الغاية به في تلك البلاد ونرجوه زيادة التحرير والاجتهاد

مختصر كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

لهذا الكتاب ذكر في دواوين المتقدمين لشهرة مؤلفه أبي نصر التماراني فياصوف الساميين في القرن الرابع وقد كان من كنوز الكتب الخفية فظهر في هذه الايام وطبعه الشيخ فرج الكندي والشيباني في قهاني دمشق بطاب من المكتبة الموكية بمصر مسائل من كتاب تدور على أوطاب المصنف اليوناني في وجود الاول وما يجب له من الصفات وفي أقسام الموحودات الاخرى ومنها النفس ومن هنا ينتقل الى الكلام في الوحي والثبوت ثم الى حاجة الانسان الى الاجتماع والتعاون وانما يكملان بالمدينة لذلك بين معنى المدينة وقسمها الى اقسام المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة

لفلسفة والمدينة المتبدلة والمدينة الفاضلة . ثم ذكر في التفصيل أقساماً أخرى منها مدينة
الحسنة والثقوة فإن دوهي التي قد بدأها المتمتع بالإنسانية من الأكل والشرب والنكاح
وبالجملة اللذة من المحسوس والتخييل وإثارة الحزن والادب بكل وجهه ومن كل نحوه
بهذه المدينة قسم من أقسام المدينة الجاهلية . أما المدينة العاشقة فهي أرقى من المدينة
الجاهلية وقد عرفها بقوله دوهي التي آراؤها الآراء الفاضلة وهي التي تعلم السعادة
والله عز وجل وإثواني والعقل الفعّال وكل شيء سبيله أن يعرفه أهل المدينة الفاضلة
بمقتدونه ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلية . وجميع مباحث الكتاب
يجري على طريق الفلسفة اليونانية

ولعل من اطلع أو بطالع على هذا الكتاب يتذكر أننا كنا عبرتنا عن هذه المدينة
بالعاشقة فقام بعض الذين لم يرتقوا عن أهل المدينة الجاهلية يسألوننا بالسنة حدود
زاعمين أن ذلك يتضمن الطمن بعرض كل من يقيم في هذه المدينة ويقولون بأنفسهم
ما ليس في قلوبهم . على أنهم هم الطاعنون ولكن لا يخجلون
(سرور في أرض الهناء . ونبأ من عالم البقاء)

كتاب جديد الوضع والاسلوب والتخييل أنه شكري أفندي الخوري اللبناني
المقيم في البرازيل . فلما أرض الهناء فهي المدينة الفاضلة أو الكاملة في رأي فلاسفة
هذا العصر وعلمائه وهي سعادة الحياة التي يتخيلون أن يصل إليها البشر بالعلم والعمل
والإتقان والنواد بين جميع الناس وبلوغهم العمر الطبيعي (مئة سنة أو أكثر) مع
التمتع بالصحة والعافية لم يتربون عليه من الرياضة البدنية والعقلية وتجنب الإفراط
والتفريط في الأمور كلها لاسيما السرف في الطعام والشراب . صر بهذه الأرض
روح بشري فارق جسده وذهب إلى الدار الآخرة فكانت في طريقه إليها وقد
كتب إلى صديق له في الدنيا ينبئه بوصفها على ما خياله . وثائب الكتاب

وأما عالم البقاء فهو معروف والمؤلف يصور فيه موقف الحساب والحزن المحض
ملك شرقي ظالم وأحد المتصرفين في جبل لبنان وراهب وشيخ مسلم وتخييل واهي
وقاهن (قديس) ومهاني وطبيب وسكيب ومحام . يحاسب كل منهم ويهاقب على ما
أفند في الأرض . تذكر ذنوبه ، وتشرح عيوبه ، ويقتدرون ويتصل ، فلا يهذرو ولا يقل .

وأما أسلوب الكتاب فهو فكاهة سلسة يقرب من أسلوب العوام ويختار كثير من عباراتهم وأمثالهم وتشبيهاتهم ومن قرأ طائفة منه يندفع إلى إعطائه بسائق الرغبة وحادي اللذة وقلما ترى بين الكتب التي تؤلف وتنتشر ويتناجح بين اللذة والفائدة لاسيما في شؤون المعبشة والاجتماع والسياسة . نعم ان الفكاهة لا تنبثق في مقام الرهبة والجبروت وفي مواقف الحساب والجزاء ، ولكن غرض المؤلف من ذلك تشييل سيئات هذه الاصناف من الناس التي تشغل بالمصالح العامة تفقدوها وهم الملوك المستبدون وأعيانهم والأطباء والصحافيون والمحامون والقصوص وغيرهم من رجال الدين وقرتهم بالخصوص والبخلاء . وليس الغرض الاول تمثيل أهوال الحساب والجزاء وارهاب الناس منه بل هذا وسيلة وذلك هو المقصد .

ومما يفتقد عليه أن ما ذكره من حال الملائكة التي تذهب بالارواح والتي تتولى الحساب والجزاء لا يتفق مع عقائد الناس أو تخيلاتهم فيهم ولا هو في نفسه مؤثر بصادف من النفس موقفاً يليق به . وأكثره لافكاهة في الاما ذكره من فتنة المحامي . ثم يبيح التعصب في ذلك العالم لاجل ان يحجروا من العقاب فلا يستطيع احد ان يملك ضحكك عند قراءة هذا وقد انتقد عليه زميلنا انوم افندي لكي صاحب جريدة المناظر الحرة في مقدمة وضربها له اكتفاء بذكر الراهبات من الاجواق التي رأها صاعدة الى السماء ، حيث تأتي أحسن الجزاء ، ففي الناس من يستحق ذلك غيرهم . وانتقد عليه انا بقوة زعمه ان النصاري تقرب من المسلمين في جرائمهم ومدارسهم والمسلمون لا يزدادون الا تباعداً والصواب ان في هؤلاء الفريقين من يسعى للتساهل والتقرب سعيهما وان جرائم المسلمين أبعد عن اثاره العادية من جرائم النصاري فانا لا نرى فيها جريدة منتشرة تعرض للنصاري فيما يختص بدنيهم ورؤسائه كما نرى في جرائم النصاري بمصر من ذلك حتى ان بعض الجرائد اليومية كانت من عهد قريب تطعن وتحمي عن المقتلة الاسلامية في الازهر وتعرض ببعض كبار العلماء والأئمة وتحاول اشراك لانهم انهم يدينون في الازهر الاتحاد ويفسدون الدين ومثل هذا كدبر في الجرائد كالمناظر وأما المدارس النصرانية فأكثرها أو جميعها تلزم التلاميذ المسلمين بالابادات المصرية ولا تعرف مدرسة اسلامية في الدنيا تحامل التلاميذ النصاري بمثل هذه المعاملة .

ثم انه ليس لشايخ المسلمين من النارية بامتهم وتلقينهم التعاليم والتقاليد الدينية مثل مالا يقصوس وأكثر من حديث الشايخ مع غيرهم في الامور المادية واليهيم كانوا يعنون بنشر مسائل الدين اذ اقل التافه فان رأي الاسلام في النصرانية ليس كراي النصرانية في الاسلام. الاسلام ثبت ان كتاب النصرانية حق ويوجب الايمان بمن جاء به وانما ثبت ان اهلها حر فوا وانحر فوا عن صراطها وان ابداهم حرام والبر اليهم مشروع. والنصرانية تمد الاسلام كفراً في اصوله ونزوعه وقد ألف القسوس في ذمه كتاباً حشوهاً بالكاذب لم تحظر على قلوب مسلم في الارض ثم انه لم يقصد احسدهن الشايخ مجالس وسماراً لاجل الطعن في النصرانية ولم يمتوا احداً منهم لغوة النصارى الى الاسلام كما يفعل القسوس بالمسلمين، فأي الفرقين هو المفرق بين العالمين ؟

لهذا ارى ان اقرب طريق الى التأليف بين الفرقين نشر تعاليم الاسلام الصحيحة في المسلمين واقتلاع قسوس النصارى الذين هم السلطان الاعلى على قلوب غائتهم عن تغييرها من المسلمين وكفهم عن الطعن في الاسلام ولا أبرئ بعض الشايخ من كلام ضار بقولونه في المجالس عند ما يذكر نصب النصارى ولكن مثل هذا الكلام لا يكافئ محبي ديني ولا كتاب تعاليمي وقد اذقت من لأحصى من المسلمين بأرأساهل والاتقى على الصالح الديوية خبرياً أمر به الدين فها جده مقاومة تذكر، ولارداً يؤثر، وقد ثبت من قبل ان الصواب في التأليف ان يجعل الاحرار من كل طائفة على المتحمسين المفرقين منها واما حمل كل طائفة على الاخرى فهو الداء الذي لا يرجى منه شفاء.

تهذيب الاخلاق

يولد في كل أمة ألوف من الاولاد على استعداد فطيم للعلوم والفنائل فيضيع استعدادهم باغفال تربيتهم وتعليمهم وفيهم من لو علم وربى لخدم بالامة اولئك كان ركناً من أركان ارتقاها. على أن اغفال تربية الاولاد وتعليمهم لا يكون من والديهم بالصد والاختيار وانما هو الجهل والعجز. وقد تحمل التربية الصحيحة والتعليم النافع في الامة حتى لا يوجد أحد يقوم بهداويقيهما على قواعدهما وأمة مثل هذه يلوح لناظر انها قد تودع منها حتى لا رجاء فيها. ولكن هذا انظر غير صحيح فثمة يقين الله لهدم فيه الجول والفساد من يربي فيه بعض الافراد، فيكون منهم النور المستطير.

والخير الكثير، كما علمت من سيرة الأستاذ الامام رحمه الله تعالى، وقد ينهض الاستعداد ببعض الناس الى ان يرثي واحدهم نفسه بعد الرشد واستقلال الفكر ثم ينهري لتربية غيره ولا بد انى هذا من الاسترشاد بالكتب النافعة، ومن هذا الصنف العالم الفيلسوف أحمد بن محمد بن مكويه صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق) الذي هو أحسن المختصرات في هذا العلم الجليل.

ولست بهذا الكتاب منذ رأيت فطالعت ثم قرأته درساً ثم علمت بعد المنجزة الى مصر ان الأستاذ الامام قرأه درساً كذلك ذكرت ذلك في ترجمته وكان الكتاب يومئذ مجهولاً عند المشتغين بالعلم فصرف وميناً فاستحي ويسرنا ان الناس أقبلوا عليه في هذه السنين فقد كان طبعاً قبيحاً وفقدت نسخته فأعاد طبعه عبد العليم اندي صالح منذ سنين بالحرف الاسلامي الجليل على ورق جيد فأقبل الناس بسميه عليه حتى فقدت نسخته ورأى من الاعانة على التربية أن يطبعه ثانية ففعل ولله من الفضل في اتخاذ الوسائل لنشره ما يراهي قيامه باجادة طبعه فمضى أن يكون في هذه الكرة لسرع انتشاراً لتبشر بأن أمناً زداد حباً في العلم النافع وميلاً الى التربية الصحيحة علماً بعد عام، وثمن النسخة من الكتاب خمسة عشر قرشاً وأجرة البريد قرش ميسر ويطلب من طابعه ومن إدارة المنار بمصر

شكر واعتذار

نشكر الذين عثرونا برفقائهم وكتبهم عن مصائبنا ولا نالنا الأستاذ الامام عاين أن مكاتباته كان الولد الباقى الوالد الرحيم، والاريد المصدق من المرشد الحكيم، على انه تقدمه الله برحمته كان أبا الامة ومربيها وهرشدها وهاديها، فامرنا الا وكان ينزي نفسه ثم يذكر الامة والامام، ويعترف بأن لصاب هام، وكذلك رأينا التمازي التي خوطب بها اخوانا حموده بك عبده والشبح عبد الكريم سلمان بل رأينا مثل هذه التمازي في أيدي بعض المريدن ومنشورة في ذلك في كتاب التاريخ ان شاء الله تعالى، وأما الاعتذار فهو من عدم مجاوبة الذين ويدخل في الاعتذار ان كاتبونا منذ أشهر في مسائل اخرى ونخص بالذكر البحر بن وزنجبار والخرب الآتي، ولعلنا نكتب اليهم عن قريب

(تنبيه) لاننا نرجع ترجمة الأستاذ الامام عن انوار ولا يضر اقتباس

قليل من المارة مع الذرو وكثير من الذين ولو بدونه والى أمانة بين أهل



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام مروي و«مناراه» كنار الطريق.)

(مصر - ١٦ جادى الثانية سنة ١٣٢٣ - ١٧ أوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتممة سيرة الاستاذ الامام

حياته في الدنيا

لا تكمل تربية الرجال ، الا بكافة الاله وال، فمادن النفوس لا تصفو
من شوائب الخلف في الحق ، وتمكن من مقعد الصدق ، الا بعد ان
تعرض على نيران القن ، وتذاب في بواقي المعن ، « فاما الزبد فيذهب
جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » ، وذلك يتلى الله سبحانه وتعالى
عباده المصلحين بفتح المفسدين ، ليعلم الصابرين والصادقين ، وليحص الله
الذين آمنوا ويعتق الكافرين ، فالتقن والكبرياء ثم حص نفوس المؤمنين
بالله السارين على سنه فتركها وتعليها ، وتعتق الكافرين بعمه والمنعرفين
عن سنه فتدسيها وتقنيها ، وقد اتهم فقيدنا في الثورة بما هو بريء منه ،
وتتقن المنافقون يومئذ بأخبار سوء منه ، حتى أُنذر بالاعدام ، ثم استبدل
ذلك بالنفي ثلاثة أعوام ، فما حقد علي واش ولا محال ، بل كتب من السجن
الي صاحب له يعجب من كيدهم ثم قال ،

« واثني عشت لأفعلن المرووف ، ولأغثن الماهوف ، ولا نقذن
الهاوي في حفرة القدر ، ولا آخذن بيد المتضرع من ضنط الظالم ،
ولا تجاوزن عن السيئات ، ولا تناسين جميع المضرات ، ولا بينن لقومي أنهم
كافوا في ظلمات يمهون » ، ولا تظهرن الصديق في أجل صورته ، ولا جلونه
للناس في أجمع حلاله ، ولا تبين لهم بمرهان العمل انه فكرك الثاني في روحك
الواحدة ، وجسمك الآخر في حياتك المتحدة ، وأنه صاحبك اذا طال ليل
الكدر ، ومصباحك اذا غسق دجى الهموم ، تستضيء به في حل ما تمقده ،
وتستعين بقوته في تدبير ما عسر ، وتذهب به إلى أوج المالي والناس من

معجزات الصديق يمتعجون * - الى ان قال - لكنني أقول لكم ان هذه الحوادث المريبة سوف تنسى ، وان هذا الشرف سوف يرد ، واثنأبت طيبة هذه الأرض بخسها ان يكون لها من مودعه نصيب فليمودن في بلاد خير منها ، ولا تجذبني الى المجد احبتي ومن الى المجد ينجذبون * كل ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ولا أطلب شيئاً فوق هذين سوى معونة الله الذي عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون *» والكتاب طويل ومختصره برمته في تاريخ التقييد

وله قصيدة في الثورة نظامه في ظلمة السجن أيضا تزيد على مئة بيت وقد مرض في آخرها بما أبانه في آخر كتابه هذا من صدق العزيمة والثقة بنفسه والاعتماد عليها في مغالبة الزمان بعد الانكسار على الله تعالى وكونه لا يخاف شيئاً يقطع عليه طريقه في عمله لوطنه وأتمته الا الموت قال

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| وأحفظ الدهر أني لا أشا كله | فما تبطن من شس وعمويه |
| أحارب الدهر وحدي ليس ينفعني | الا الثبات وحسي من أضافه |
| تسلم الدهر مني كيف يطمعني | فغاب ظنا وخاتته مزاكبه |
| وليس يمجزي عن كسر فيلته | الا المنايا تناجيني فتحميه |
| ان المنايا سهام الله سدها | وليس بخطي سهم الله مرصيه |

أرأيت من كانت له هذه النفس العالية ، والعزيمة الماضية ، المحيط من قدره ان يتهم بالسياسة فباقي في غيابة السجن ، أم يطافى نور استعداد ،
الاخراج والنفي ، ؟ كلا

(عمله في اوربا بمصر والاسلام)

سافر رحمه الله تعالى الى سوريا فأقام فيها نحو سنة ثم سافر الى اوربا

على اتفاق بينه وبين استاذ وصديقه السيد جمال الدين لأجل الاشتغال بما كان يسمى « المسألة المصرية » فأقام فيها عشرة أشهر معظمها في باريس حيث أصدر جريدة العروة الوثقى وكان أسسها جمعية من مسلمي الهند ومصر والعرب وسوريا غرضها التمسك في جمع كلمة المسلمين وإيقاظهم من رقودهم وإعلامهم بالآخطار المحدقة بهم وإرشادهم إلى طريق مقاومتها.

كان السيد جمال الدين مدير سياسة الجريدة والشيخ محمد عبده المحرر الأول لها، على أنه لم يكن لها محرر سواه إلا من كان يترجم بعض الأخبار من الجرائد الأوروبية ويلقيها إلى الشيخ بصححها وينسخ فيها من روح العبارة ما ينفخ . كان السيد منبع الأفكار والآراء السياسية التي تنشر في الجريدة لاسيما ما هو من سيئات الإنكار في الهند وغيرها وكان الشيخ يبرز هذه المسائل في صورة ترويح الأبصار وتحريك الأفكار ويتصرف فيها ماشاء أما المقالات التي كان يكتبها في الاجتماع والوعظ والأخلاق والسياسة الإسلامية فقد كانت من الآيات البينات التي لا يكاد يوجد في كلام البشر ما يساهمها في البلاغة والتأثير حتى كان علماء المسلمين وعقلاؤهم في كل قطر يتوقعون أن يحدث تلك الجريدة انقلابا عاما في المسلمين : حدثني الثقة عن السيد سلمان أفندي الكيلاني نقيب بنياد أنه كان يقول كلما قرأ هذا من جريدة العروة الوثقى : يوشك أن يحدث انقلاب في بعض بلاد الإسلام قبل أن يصدر العدد الذي بعده هذا . والسيد سلمان هذا كان من بقايا زعماء المسلمين يخضع له مئات الألوف من العرب والمسلمين وسكنت شيخنا الشيخ حينئذ الجسر العام الطرابلسي الشهير يقول : لو طال الزمان على جريدة العروة الوثقى لأحدث نهضة جديدة للمسلمين وانقلابا عظيما.

أقول وهي هي التي نقلتني من طور الى طور وحببت الي صاحبها حتى جذبني الحب الى مصر ووصل حبلى وودي بالاستاذ الامام وحملي على نشر حكمته ، وإعلان دعوته ، فقد كنت مرة أبحث في أوراق والدي المنيقة وأتصفح ما فيها من الجرائد المطوية فعثرت على أعداد من المروة الوثقى فطقت أقرأها المرة بعد المرة وهي تعمل في نفسي فطالما تهدم وتبنى ، وتمد وتغني ، وما كان وعدا الا حقا ، ولا تمنيا الا رجاء وأملا ، أحدث إصلاحا وعملا ، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي ، وأقيم عليه بناء عملي وأملي ، وأما الاستاذ الأول فهو كتاب إحياء العلوم للامام الفزالي الذي كان أول كتاب ملك عتلي وقلي . أنشأت بعد ان ظفرت بتلك الأعداد أبحث عن اخواتها في طرابلس فكنت أجد عند الرجل المدد وعند الآخر المددين فأنازع ما أجد ثم علمت ان الشيخ حينما الجسراحتواها كلها ومن عنده أتممت استنساخها . وأكبر أثرها عندي أنها هي التي وجهت نفسي للسمي في الإصلاح الاسلامي امام بعد ان كنت لا أذكر الا فيمن بين يدي وأرى كل الواجب علي أن أظهر في دروسي المقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأنفر عن المعاصي وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي فعل في العقائد والأخلاق ما فعل ، ودفع المسلمين الى مزلق الزلل ، حتى هدتني المروة الوثقى الى المنامي ، والمال ، لم تكن خدمة الشيعين للإسلام في أوروبا قاصرة على الوعظ والإرشاد بل كان لها سعي لدى فرنسا وانكارتا نفسها في المسألة المصرية ومسألة السودان وكان سعيها لو ظهر غريبا . وكان منه إقناع ناظر خارجية انكارتا بعد فصل السودان عن مصر وسفر الاستاذ الامام الى بلاد كثيرة لتوثيق

المروءة والتهديد للعمل أن يترك السودان لأهلهم وليمدلوا عن محاولة نفعه،
وكان لهما في ذلك آمال، ومقاصد ذات بال، وقد كان تقرر هذا وما حال
دون إرضائه رسمياً إلا موت محمد أحمد مهدي السودان، ولو شرحنا
الوسائل التي اتخذها الشيخان لذلك لحار في براعتيهما لثلاثين، لا أنكر أن
هذه الأعمال السياسية كان السيد جمال الدين هو المفترع لها ولكن كان
فقيدنا عضده وساعده ولسانه وقلبه ولولاه لما استطاع المضي فيها على أن
فقيدنا كان بما جرى له ولشيخه مع توفيق باشا في مصر قد ضمن آماله في
الإصلاح السياسي ووجه همه إلى الإصلاح القومي في التربية والتعليم.
حدثني أنه قل للسيد في أوروبا إن هذه السياسة لا يأتي منها خير لأن تأسيس
حكومة إسلامية عادلة مصلحة لا يتوقف على إزالة الموانع الأجنبية فقط
فخير لنا أن نذهب معاً إلى مجهول من مجاهيل الأرض لسلطان لسياسة فيه
ونحاول تربية أفراد على ما نحب فإذا تبسر لنا تربية عشرة رجال يذلون
انفسهم لخدمة الأمة لا يصددهم عن ذلك الجثوم في وطن، ولا الاخلاص
إلى الأهل والسكن، بل يكون همهم الأكبر الضرب في الأرض لتربية مثاهم
على ما ربوا عليه فلا يبعد أن يرثي الواحد منهم عشرة فيكون لنا في زمن قريب
مئة رجل يعملون للإسلام والرجال هم الذين يعملون كل شيء، فقال له السيد
أما أنت مشيط قد شرعنا في عمل فلا بد من المضي فيه حتى يتم أو نعجز

كان لذلك السعي في انقاذ مصر والسودان أو السودان فقط طريق في
ذلك الوقت لأن الاحتلال الإنكليزي كان في نظر أوروبا كلها موقفاً ولم تكن
قدم الإنكليز واسعة في مصر، وبعد أن رست القدم وتمكنت الساطة من
البلاد قام بعض الأحداث يكتبون ويخطبون ويقولون ما بعد أمام ما تاله وكتبه

الشيخ في وقته اتوا وكانوا يعدون أنفسهم بذلك خدمة مصر ومنتقذها
 ويردون مثل الفقيه بالقيمة في خدمة الامة ولوطن على انه هو المصري
 الوحيد الذي قدر على استخدام السلطة الانكليزية في مصر لخدمة مصر
 والاسلام، بعد ان صارت الخدمة بمقاومتها من المحال، ولو كانت الخدمة النافعة
 هي مقاومة القوة بالكلام والكتابة لكانت العروة الوثقى اخرجت الانكليز
 من مصر قبل ان يتمكنوا منها

(مناظرة الفقيه لوزراء الانكليز في المسألة المصرية)

ذهب الفقيه الى لندن في تلك الاثناء وتكلم مع وزراء الانكليز
 في المسألة المصرية ومسألة السودان وفي المالية المصرية وغير ذلك ونشرت
 الجرائد الاوربية بعض محادثاته معهم. نذكر هنا محادثة نشرت في العدد
 الرابع عشر من العروة الوثقى الذي صدر في ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ - ١٤
 اغسطس سنة ١٨٨١ تحت عنوان (هؤلاء رجال الانكليز وهذه افكارهم)
 والكلام بلسان السيد قل:

« تأخر صدور الجريدة أياما لضرورة ما مننا من ضعف في المزاج
 مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد الفرنسية هذه الايام والحمد لله على
 زوال المانع. الا اننا مع ذلك لم نتعصر في أداء الواجب من العمل الذي قننا
 به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبقنا
 عليه ونرجو ديان السماوات والارض ان نموت في هذه السبيل وان نبعث
 في ذمرة السالكين فيها.

وأنا ان يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة)
 الى لوندرا إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير للثنا ومن يؤمل فيهم صدق

النية في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية ، وليست تكشف
 مناصب الفخاخ السياسية التي ما صرت عليها قدم شرقي الاستقطت منها فيما
 يسر الخلاص منه ، وليست براغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منهاها .
 تلك المطامع التي بعد ما انتهت ثلث المسكونة وطوقت كرة الارض بالفتح
 والاستيلاء لم تزل في مد لا جزر معه ولا يزال رجال حكومة بريطانيا
 في فرم شديد لا يتلوع بمالك العالم وكلما أساغوا فطرا طلبوا اليه آخر ،
 وليست تطلع خفايا المقاصد من أثناء الافكار وغضون الاقوال ، وليست على
 الطرق المألوفة بين أولئك السياسيين في التلويح ويتبين كيف يتمكنون
 من ابراز محاسن الاعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار
 السيئات في ألوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان
 فسط يتز به الزيف من النصار الخالص كي لا يفتقر الجاهل ولا يزل
 العالم . لاني (محرر الجريدة) كثيرا من رجال السياسة الانكليزية وأنفذ
 الناس رأيا فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية
 ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة «البال
 مال كازيت» وجريدة «التروت» التي محررها النائب الشهير مستر لا بوشير
 وجريدة «التيمس» وسيد كرشي ، مما جرى بينه وبين بعض الاكابر من رجال
 الحكومة الانكليزية مما يثبت منه الشرقيون عموما والمصريون خصوصا
 وسنأتي جريدتنا على بعض ما استنبطه من خفي أقوالهم وأدركه من
 صرامي أفكارهم . أما الآن فنأتي على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت
 بينه وبين اللورد (مرتكنون) وزير الحرية الانكليزية لياخذ كل مصري
 منها حظه ويصيب كل شرقي سهمه ويقف جميعهم على مواقع الشرفيين من

أُتْظَارُ رِجَالِ الْحُكُومَةِ الْإِنْكَاذِيَّةِ .

سَأَلَ الْوَرْدُ هَرْتَنكَتُونَ وَزِيرَ الْحَرْبَةِ الْإِنْكَاذِيَّةِ: أَلَا يَرْضَى الْمَصْرِيُّونَ أَنْ يَكُونُوا فِي أَمْنٍ وَرَاحَةٍ تَحْتَ سُلْطَةِ الْحُكُومَةِ الْإِنْكَاذِيَّةِ أَوْ لَا يَرُونَ حُكُومَتَنَا خَيْرًا لَّهُمْ مِنْ حُكُومَةِ الْإِتْرَاكِ وَفُلَانٍ بِإِشَاوِ فُلَانٍ بِإِشَاءٍ؟ فَأَجَابَ الشَّيْخُ (مَحْرُورٌ جَرِيدَتًا) كَلَّا إِنَّ الْمَصْرِيِّينَ قَوْمٌ عَرَبٌ وَكُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَفِيهِمْ مَنْ مَحْبِي أَوْطَانَهُمْ مِثْلَ مَا فِي الشَّيْبِ الْإِنْكَاذِيِّ فَلَا يَخْطُرُ بِأَلِ أَحَدٍ مِنْهُمْ الْمِيلُ إِلَى الْخُضُوعِ لِسُلْطَةٍ مِنْ يَخَالِفُهُ فِي الدِّينِ وَالْجَنْسِ وَلَا يَصِحُّ لِحُضْرَةِ الْوَرْدِ وَهُوَ عَلَى عِلْمٍ بِطِبَائِعِ الْأُمَمِ أَنْ يَتَصَوَّرَ هَذَا الْمِيلَ فِي الْمَصْرِيِّينَ : فَقَالَ الْوَزِيرُ هَلْ تَنْكَرُ أَنْ الْجِهَالَةَ عَامَةً فِي أَقْطَارِ مِصْرٍ وَأَنْ الْكَافَّةَ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَاكِمِ الْإِجْنَبِيِّ وَالْحَاكِمِ الْوِطْنِيِّ وَأَنْ مَا ذَكَرْتَهُ مِنَ الْفَرَقَةِ مِنْ سُلْطَةِ الْإِجْنَابِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأُمَمِ الْمُهَنْدِيَّةِ؟ فَأَخَذَتِ الشَّيْخُ حَدَّةَ تَلِيْقٍ بِعِصْمٍ لَا يَتَهَاوَنُ فِي أَتْدَاءِ مَا فَرَضَ الدِّينَ وَأَوْجَبَتْهُ حَقُوقُ الْمِلَّةِ وَقَالَ: أَوَّلًا إِنَّ الْفَرَقَةَ مِنْ وِلَايَةِ الْإِنْجَنْبِيِّ وَتَبْدِئِ الطَّبْعِ لِسُلْطَتِهِ مِمَّا أَوْدَعَ فِي فِطْرَةِ الْبَشَرِ وَابْسَ بِحِجَاجٍ لِلدَّرْسِ وَالْمُطَالَعَةِ وَهُوَ شَعُورُ الْإِنْسَانِيِّ ظَاهِرَتْ قُوَّتُهُ فِي أَشَدِّ الْأُمَمِ تَوْحِيْدًا كَالزُّوْلُوسِ الدِّينِيِّ لَمْ تَنْسُوا مَا كَابَدْتُمُوهُ مِنْهُمْ فِي الدِّفَاعِ عَنْ أَوْطَانِهِمْ . وَثَانِيًا إِنَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمَا كَانُوا وَعَلَى أَيْ دَرَجَةٍ وَجَدُوا لَا يَصْلَوْنَ مِنَ الْجَهْلِ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا لَوْزِيرٌ فَإِنَّ الْآمِينَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا يَقْرَأُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ لَا يَفْقَهُونَ الْعِلْمَ بِضُرُورِيَّاتِ الدِّينِ وَمِنْ أَجْلَاهَا وَأَظْهَرُهَا عِنْدَهُمْ أَنْ لَا يَدِينُوا الْخَالِفِيَّةَ فِيهِ وَأَنْ لَهُمْ فِي الْخُطْبِ الْجَمْعِيَّةِ وَمَوَاعِظِ الْوَعَاظِ فِي مَسَاجِدِهِمْ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْعُلُومِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ وَأَنْ جَمِيعَ مَا يَتَلَتُونَهُ مِنَ النِّصَائِحِ الدِّينِيَّةِ يَحْذَرُهُمْ مِنَ الْخُضُوعِ لِمَنْ لَا يُوَافِقُهُمْ، وَيُحَدِّثُ فِيهِمْ مِنَ الْإِحْسَاسَاتِ

الشرقة الانسانية مالا يمحطون منه عن سائر الأمم خصوصاً المصريين الذين ينطقون باللسان العربي ويفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان وهو لسان دينهم . وثالثاً إن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ما هو موجود في بلاد أوروبا وأخذ كل مصري نصيباً منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها فارون كاتبون والاخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية ومن لم يقرأ يستضيء بالاخبار من القارئين فهذا أضافوا إلى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشأها التهذيب العمومي قوي بها المبالان الاولان ولا أظنهم يخالفون في ذلك سائر الأمم : اهـ

«أين العلماء الاذكاء، أين الجلمة الاغنياء، أين الأباة الاعلياء، أين السفلة الأدياء، ابرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل إنساني وصورة بشرية يدرك ما وراء هذه الاشنة وما تشفر منه هذه الظنون المجيبة»

«هذا اللورد هرتفوتون وزير الحربية الانكليزية يظن ان الجمل يبلغ من المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً الى حد ملأ عنهم كل إحساس إنساني وانهم في حضن من الجهل لا يميزون فيه بين الغريب والقريب ولا بين العدو والحبيب

هذا دليل على ان الانكليز (لا من أنار الله بصيرته ووفقه لفهم الصواب) يعتقدون ان الأمم الشرقية والأمة المصرية في درجة الحيوانات السائبة والدواب الراحية لا تنال الامن الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس إلا نوع من الاتصالات البدنية ولا تعرف من شؤونها

الإمامه تقوم حياتها الحيوانية فتألف راكبها والعامل عليها ومستخدمها في أي عمل من الأعمال الشاقة مادام يقدم لها طعاما وشرابا وإنها تهرش وتبش لرؤية من يقدم لها غذاءها وعشاءها وإن كان من أشد البلاء عليها بما يسوؤها من مشاق الأعمال فإذا عجزت عن العمل فبحها وتغذى بلعومها: ألخ ألخ ضاقت الحرية الانكليزية الواسعة أن تسع جريدة العروقة الوثنية فمنعتها من الهند ومصر واشتدت الحكومة الانكليزية في إعانات من تصل اليهم وفرضت الحكومة المصرية غرامة وعقوبة على من ترى عنده فكان ذلك مانعا من الاستمرار في إصدارها وقد كان صدور آخر عدد منها (وهو الثامن عشر) في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ - ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٤ ثم سافر الفقيه إلى تونس فأقام فيها أياما ثم سافر إلى بلاد أخرى متتكررا فوثق حقوق العروة السرية التي كان من أغراضها ما أشرنا إليه ولو ذكرناه مرتبا مفصلا لكان مثارا للمعجب من ركوب هذا الرجل مع استاذ الصعاب واقتحامهما الأخطار في خدمة هذه الأئمة التي كانت ولا تزال كالمرضى المحتقن بأبي السلاج لأنه علاج وإن كان سهلا سائغا، ويمقت حكمه وطيبه وإن كان برا وحبا، فليحفظ القارئون هذا الإيجاز ليذكروه عندما يصلون في تاريخه إلى سلوكه الأخير في مصر إعلان رأيه بتجسيم مسألة المحتالين والاستفادة من حريتهم وحجهم للممران ليطموا أنه هو عين الحكمة التي اختبرت بعد مساع جلية، وتجارب طويلة،

عمله في البلاد السورية

وبعد الاختراق في ذلك العمل السري، دون ذلك الهدي النبوي، ألقى مصاليه في بيروت أعظم تنور سوريا وأقربها من الممران فأقبل عليه

أهل العقل والفضل ، وأرباب الذكاء والنبيل ، يستفيدون منه سماء الحكمة ، ويتلقون هدي الحكماء والأئمة ، فكانت داره مدرسة عامة يؤمها الأذكاء وعشاق المعارف ، من جميع الملل والطوائف ، ومما كان يقرأ عليه فيها السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، وكان يقرأ التفسير في الجامع الكبير وفي جامع الباشورة لا يلتزم فيه كتابا وإنما يقرأ في المصحف ويلي ما يفيض الله على قلبه وكان الناس يقبلون على درسه إقبالا لم يعرف في تلك البلاد لأحد من قبله حتى حصد الأنصارى عليه المسلمين فكانوا ينسلون إليه زرافات ووحدانا ويقفون بباب المسجد يعدون أعناقهم ويشخصون بأبصارهم ويصيخون بأذانهم لهم ياتقنون شيئا من تلك الدروس . ثم إنهم استأذنوه في دخول المسجد والجلوس في ناحية من حاشية الدرس فأذن لهم « فأجره حتى يسمع كلام الله »

وفي أول سنة ١٣٠٣ دعي إلى التدريس في المدرسة السلطانية لإحياء اللغة والدين فيها فلبى ولم يكن في المدرسة من العلوم العربية الا مبادئ النحو والصرف وما تسميه الترك « علم حال » وهو ما يلحق بالولدان من أحكام المباديات . فلما دخل المدرسة أدخلها في طور جديد كما كان شأنه في عامة أعماله يدخل في العمل صرءوسا فيكون في الواقع رئيسا . ذلك انه أصلح إدارتها بالاتفاق مع مديرها ووضع قانونا جديدا (بروجرام) للدروس وزاد في العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ الاسلامي والمنطق والمعاني والانشاء زادها لنفسه فكان هو الذي يدرسها حتى كانت دروسه تستغرق عامة النهار . وكانت دروسه كلها للتلاميذ على نحو ما ذكر في رسالة التوحيد وأمالي مختلفة تتغير بتغير طبقاتهم . . . في أسلوب لا يصعب تناوله ، وإن

لم يهد تداوله، إلا معاملات الفقه فكان يقرأ فيه بحجة الاحكام المدنية التي يحكم بها في المحاكم الثمانية . وكان يكتب تلاميذ الانشاء حفظ شيء من نهج البلاغة وديوان الحماسة والالفاظ الكتابية ويشرحه لهم . وكان له هم عظيم وعناية تامة بملاحظة آداب التلاميذ في المدرسة حتى إنه كان يرومها لئلا لأجل ذلك . وقد تخرج على يديه نابة هي الآن تخدم البلاد بغيرتها واستقامتها، وعرفاتها ونباهتها،

ثم إنه في سيرته كان صريحا للجماهير الذين يترددون عليه فقد كان يجلس اليه النبي والشيعي والدرزي والنصراني واليهودي فيوسع صدره للجميع ويميل كل واحد بالأدب الذي يليق به لا يؤذي جليسا ولا يعمد فضل مذاكر ولا مناظر على أنه لم يكن يقول غير ما يعتقده سواء كان القول في الدين أو في العلم أو في الماديات والأحوال الاجتماعية فكان رضي الله عنه نسخة كاملة من رجال الدنيا في التسامح والتساهل وجمع الكلمة واحترام العلم وأهله كما وصف في كتاب (الاسلام والنصرانية) وقد أدهش أهل الفضل بعلمه وأدبه وبلاغته لاسيما في الخطابة والارتمالية التي لم يكونوا يعهدونها وكان هنالك يشغل بالتأليف فقد نقل إلى العربية رسالة الرد على الدهريين أو المقابلة بين الايمان والكفر في الممران التي كتبها السيد جمال الدين باللغة الفارسية . وشرح كتاب نهج البلاغة ومقامات بدیع الزمان الهمداني . وقد أقبل الناس على هذه الكتب واثقوا بها حتى انها طبعت مرارا . وكان يكتب المقالات النافذة في الجرائد وسنشر ما نشرنا عليه منها في تاريخه . ولم يكتب بهذا الاصلاح المعنوي بل كان يسعى لدى الحكومة في اصلاح البلاد الاداري فوضع في ذلك لائحة قدمها للوالي

وسنشرها في تاريخه أيضا وكتب لائحة أخرى في الإصلاح الديني وقع عليها بعض الوجهاء وقدمت بواسطة والي إلى السلطان . وكان قد جال في أرجاء الولاية واختبرها أتم الاختبار

✽ عودته إلى هذه الديار ✽ وما استفاده من الاسفار ✽

وفي سنة ١٣٠٦ عاد إلى القطر المصري وقد كلل تهذيبه بالاسفار ، وركوب الاخطار، ولذلك كان يسافر بعد ذلك في أكثر السنين مختارا كما كان يكره المطالعة والمداينة من رغبة، بعد أن ألزم بالدرس أولا بالقوة، وقد كتب عن تأثير الاسفار في نفسه ما نصه :

«أما الاسفار إلى البلاد المثالية ومباشرة كثير من المسلمين غير مسلمي مصر فقد كان من نتائجها عندي أنني عرفت حق المعرفة أن مرض المسلمين نشأ من أميين الأول الجهل بدينهم، إبداع ما لا يمكن منه، إلصاقه به واختلاط ما هو من الدين بما ليس منه حتى صار ما هم عليه دينا أجنبيا من أصل الدين الاسلامي الطاهر الرفيع . والامر الثاني استبداد الحكام الظالمين من المسلمين في جميع أقطار الارض

ووقد سافرت بعد ذلك صرعات إلى أوروبا وأفريقيا فكان أثر الاسفار في بلاد المسلمين زيادة البصيرة في ذلك الذي عرفت لأول الامر، وأثر الاسفار في أوروبا قوة الامل في إصلاح أحوال المسلمين فلما من مرة اذهب إلى أوروبا لا ويتجهده عندي الامل في تغيير حال المسلمين إلى خير منها وذلك بإصلاح ما أفسدوا من دينهم، وتشجيع عزائمهم إلى معرفة شؤونهم، وامتلاك ناصيتهم بأيديهم دون افراد ظلمتهم. وهذه لا آمل وإن كانت تضاف في نفسي عند ما أعود إلى ديارى لكثرة ما ألقى من الفتن

وشدة ما صادف من المصائب وسوء ما أرى من انصراف المسلمين عن
النظر في منافعهم وشدة عداوتهم لا تقسم وقوة رغبتهم في تمكين ظالمهم
من رقابهم وحبهم في الاستعباد لهم لغير سبب معتول ، لكنني متى عدت
الى أوروبا ومكنت فيها شهرا أو شهرين تعودتني تلك الآمال ، ويسهل عليّ
تناول ما كنت أعدّه من المحال ، ولا تسألني عن السبب في ذلك فاني
لا أستطيع تفصيله ولكن هذا ما تحذره الأتباع في نفسي » اهـ

أقول والمتبادر الى الذهن ان السبب في ذلك هو ما يسمى في المصنف الآن
بناثير الوسط أي البيئة من المكان والمكين لأن كل انسان يحل في مكان
ويشاهد حال قوم لا بد ان يتأثر بشيء مما هم عليه بحسب استعدادهم وما
وجهت اليه نفسه . وبلاد أوروبا قد ارتقت ارتقاء عظيم في العلوم والصناعات
والكسب والسياسة وغير ذلك فمن سافر اليها وكان من هذه التجارة يزود
معرفة بطرقها ونشاطها في عملها ومن كان همه غير ذلك يتأثر بارتقاء القوم فيه
فتعرض همه اليه وتأهيك بملوك كسب القوم في خدمة أممتهم ، وإعلاء شأن
ملتهم ، وما يذلون في هذه السبيل من الأموال ، وما يركبون لها من الأهوال ،
فمن ير ما هم عليه من العزة والسيادة ، وهو يعلم ما كانوا فيه من الضمة
والهانة ، فهو جدير بأن يكبر أهله في قومه ، ولا ييأس من غده في يومه ،
وكان تتمده الله برحمته يقول لي عندما يريد السفر الى أوروبا : اني أذهب لأجدد
نفسى : أي فقد أخلاقتها معاشر الكسالى واليائسين . وقد توجهت همه في
هذه السنين الأخيرة لزيارة الشعوب المسلمة فبدأ بزيارة تونس والجزائر
وكان عازما على زيارة الهند وإيران وقزاق والقوقاس في هذه السنة وما يبدوا
فصرفه المرض عن عزمه في هذا العام ، ثم قطع آماله كلها الحمام ،

سيرة في القضاء الأهلي

لما عاد من سوريا إلى مصر تسألت العظماء إلى توفيق باشا في طلب
 العفو عنه فكان من الشانين بعض الأسرة الخديوية ومختار باشا الفازي
 والورد كرومر ولم يكن أحد منهم يعرفه من قبل معرفة شخصية ولكنهم
 سمعوا بفضله فحفظوا لكل منهم جملة وعفا عنه الأمير وهو يعلم أنه كان خصما
 للثورة العسكرية وإن كان روحا مدبرة لتلك الحركة الفكرية، وأن الحكم
 عليه لم يكن عادلا ولذلك قال كبار روى الثقة للفقيد: ما عرفت عن أحد عنوا
 كان أشبه بالاعتذار من هذا العفو: ولكنه كان يخاف أفكاره السياسية
 وميله إلى تربية ملكة الاستقلال في الأمة ولذلك أمر بأن يمين قاضيا في
 المحاكم الأهلية فلما نمي الخبر إلى الفقيد امتعض وقال إنني لم أخلق لأكون
 قاضيا أقول حكمت على فلان بكذا وعلى فلان بكذا وإنما خلقت لأكون
 ضلما وقد جربت نفسي في التلميم فنجحت ثم طلب من ناظر الداخلية أن
 يشفع له عند الأمير باستبدال التدريس في مدرسة دار العلوم بالقضاء وقال
 إنني أعلم أنه لا ارتقاء في التدريس وإنني ارتقي في القضاء ولكنني لأحبه
 فلم يرض توفيق باشا وقال إنني لأحب أن يربي لي التلاميذ على أفكاره
 السياسية فرضي الفقيد بالقضاء وما زال يرقى فيه إلى أن بلغ أعلى درجة منه

وقد كان قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم وإن
 شئت قلت القاضي المجتهد لا المقام ذلك أنه لم يكن يحكم بظاهر عبارة القانون
 وتطبيق الودع عليها بأدي الرأي بل كان يتحرى اظهار الحق واصابة العدل
 في القضايا فان انطبقت على القانون والاعتماد إلى الصلح وكأين من قضية
 خالف فيها القانون عمدا حتى وثى به بعض حساده الواقفين على ذلك

وذكر شيئا من مخالفاته هذه فسأله المستشار القضائي السابق (مستر سكوت) عن حقيقة ذلك فقال هل المدل وضع لأجل القانون أم القانون وضع لأجل المدل ؟ قال المستشار بل القانون وضع لأجل المدل والمدل هو المقصود بالذات : فأنشأ حينئذ يشرح له النضاييا وبين أنهما يحكم فيها إلا بالمدل فقتنع المستر سكوت ومصر منه سرورا عظيما لأنه كان منصفنا عارفا بقيمة الرجال على أن هؤلاء الاسكان أهد الشمو ب الأوربية عن الرسوم في القضاء وأقربهم الى اعتبار الانصاف ووجداني القاضي ولو كانت هذه البلاد محنة من دولة أوربية أخرى لنمذرت ارتقاء العقيد فيها

ومما كان يحكم فيه باجتهاده واعتقاده مسائل الربا فإنه كان إذا تمذرع عليه الصلح يحكم برأس المال دون الربا فيا جأرب المال الى الاستئناف ليحكم له بالربا. ومما كان يخالف القانون فيه حبس الشهود الذي يظهر له تزويرهم فإنه كان يخرجهم من الجلسة الى الحبس. ثم إن الحكومة أقرت عمله هذا وأدخلته في القانون بالتعديل الأخير . وقد أساء الادب بعض الاجانب مرة في الجلسة نأمر بحبسه فحبسه ثم جاء قنصله البئرالى الى نظارة الختانية شاكيا من ذلك . وكلام المستشار القضائي العقيد في ذلك قائلا ان هؤلاء القناصل ليس لهم عمل يشغلهم في مصر فهم يفترضون شيئا بما يحكون به الحكومة ونحن نحب ان لا نجعل لهم سبيلا إلى التميل والقال : فذكر له العقيد ما كان من ذلك الاجنبى في الجلسة من رفع الصوت وعدم التزام الادب المعروف وقال إنني ما دمت جالسا على هذا الكرسي لتقرب المدل فأنا لا أقصر في احترامه إذ لا يمكن احترام القضاء الا بذلك ألخ ما قال وكان مستخسنا عند المستشار

وقد كان يحكم على الاجانب وينفذ أحكامه من ذلك أن كثيرا من

الفلاحين كانوا اذا حكم على أحدهم بنزع أرض من يده يلجأ الى رجل أجنبي أو رجل داخل في حمايتهم فيعطيه الأرض بعقد كاذب نكاي في خصمه فيمنع الأجنبي الحكومة من تنفيذ الحكم أو ترفع الدعوى إلى المحكمة المختلطة فتحكم فيها وكان من المحكوم لهم من يترك الأرض للأجنبي لا يعتاده به جزء من انزعائها منه في المحاكم المختلطة ومنهم من كان ياتي بنفسه في مهاوي لدعوى ويخسر فيها ماشاء الجبل ان يخسر. فعلى أمثال هؤلاء الجانب كان ينفذ أحكامه بالقوة متحملاً تبعاً لتنفيذ لعله بأن ذلك لأجنبي المختال لا يتجراً على مقاضاة الحكومة في دعوى هو فيها مبطل يستجيز عن إثبات دعواه

ذلك شأنه في القضاء وقد كان فيه تسبج وحده ولم يكن مشغولاً فيه عما خلق لأجله من تربية الأمة فقد كان يماقب الزوردين وشهداء الزور حتى طهر كثيراً من البلاد من شرهم بعد ان استفحل وطنى سيئه وكان يجتهد في الإصلاح بين أهل البيوت وذوي القرى ويبالغ في حفظ حقوق التامى. وكان بطارد الفحش والفجور حتى كادت الزفة زيف تآهر من رجس لبدى أيام كان قاضياً فيها كما طهرت من الزور. ذلك أنه كان يحكم بأشد العقوبة التي يسمح له القانون بها على كل بغي تبرجت في الشوارع وعلى أعين الناس حتى كاد يجماهن من ذوات الحجاب وقد نقل إلينا عن بعض الفساق هناك انه قال مرة لبني برفها: كيف الحال؟ قالت: زى الزيت وإذا بقى القاضي أبو عمة (ذوالعمامة) هنا فإنه يقطع رزقنا من هذه البلد. عاين يرجع الدنيا لزمان سيدنا النبي: أو قالت ما معناها ان النبي ظهر ثانية وأما براعته في تحقيق القضايا وفراسته في تمييز البري من ذي الريبة فحدث عنهما ولا حرج وقد كان مؤيداً بالوجدان الصحيح

والإلهام الصادق فإن كان كغيره من البشر عرضة للخطأ في رأيه فقد
كاد لا يخطئ في وجدانه أو إلهامه . وسعته يقول في بحث الكسب
والاختيار أنني كثيراً ما أنظر في قضية فاستخرج من التحقيق الطويل
وجوها كثيرة للحكم بالادانة مثلاً حتى إذا ماتت المحاكمة وأردت النطق
بالحكم تقوض كل ذلك البناء الذي كنت بنيت من وجوه الادانة وظهر
لي بنية أن المتهم بريء . حتماً فأحكم بالبراءة فسيبعثان مقابل القلوب .

حججه عمله في الأزهر

كان أول حديث دار بيني وبين الاستاذ الامام (قدس الله روحه) في
مصر الحديث في إصلاح الأزهر . زرتة في اليوم الثاني من وصولي إلى القاهرة
بداره (في أواخر رجب سنة ١٣١٥) وبعد التحية والسلام وما يتصل بذلك
من كلام كاشفته باعتقادي واعتقاده من أعرف من العقلاء فيه وأنه بقية رجاء
المسلمين في السعي للإصلاح وأنه يلقي أنه يعمل لذلك في الأزهر فأفاض
في كلام خلصته بعد مفادرة المجلس في عشر مسائل . قال (١) إن إصلاح
الأزهر أعظم خدمة للإسلام فإن إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين وفساده
فساد لهم و (٢) إن أمامه عقبات وصعوبات من غفلة المشايخ ورسوخ العادات
القديمة عندهم . و (٣) أن هذا الإصلاح لا يتم إلا في زمن طويل وأنه إذا رأى
حال الأزهر قد صالحت قبل موته فإنه يموت قريب الدين ويرى نفسه سعيداً
بل يرى نفسه ملكاً . و (٤) أنه لا يرى له خوله في الحكومة فائدة إلا الاستعانة
على إصلاح الأزهر فإنه لولا مكانته عند الخديو والحكومة لما كان يسمع
له في الأزهر كلام ولا يقبل له رأي . و (٥) أنه لم يحصل شيء من الإصلاح
تذكر حتى الآن و (٦) أنه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة في الإصلاح اختتاماً

للفترة فأشير عليه بوجوب التدريب ولكن لا بد له من المسيرة وإن كان
يخشى أن تضيق الفرصة بما يسونه التدريب

هذه ست مسائل في موضوع الازهر أطال القول فيها وانتقل منها
الى المسائل الاخرى وأهمها تخطئه أذكاء المسلمين الذين يريدون خدمة
الاسلام من طريق السياسة والى يأس من يعرفه من كبراء المسلمين من
يهوضهم وتخطئهم في ذلك . وقال لي في حديث آخر ان نفسي توجهت
لاصلاح الازهر منذ كنت مجاورا فيه بعد اتفاقي عن السيد جمال الدين وقد
شرعت في ذلك قبل بيني وبينه ثم كنت اترقب الفرص فما صنعت الا
واستشرت اليها وأقبلت عليها حتى اذا ما صدف الموانع لويت وصبرت
مترقبا فرصة أخرى . وبعد ان عدت من التي حاولت اقناع الشيخ محمد
الانباي بشي فلم يصادف قبولا . قلت له مرة هل لك أيها الاستاذ ان
تأمر بتدريس مقدمة ابن خلدون في الازهر ووصفت له من فوائد ما
ماشاء الله ان أصف فقال ان العادة لم تجر بذلك . فانتقلت به في شجون
الحديث الى ذكر الشيوخ وسأته منذ كم مات الاشعري والصبان ؟ قال
منذ كذا قلت انهما حديثا عهد بوفاة وهذه كتبهما تقرأ بعد ان لم تجر العادة
بذلك . فسكت ولم يدخل في الحديث

وقال لي مرة أخرى ان جاء الازهر متداعيا على حاله في هذا العصر حال
فهو إيمانهم وإيمانهم ان يتم خرابه وانني أبذل جهدي المستطيع في عمراته فان
دفعتني الصوافة الى اليأس من اصلاحه فاني لا أياأس من الاصلاح
الاسلامي بل أترك الحكومة وأختار افراداً من المستعدين فأريهم على
طريقة التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفائي في خدمة الاسلام ثم

أُرف كتابا في بيان حقيقة الازهر أمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ومبلغ
علمهم وتأثيرهم في الوجود وأشره باللغة العربية ولغة أجنبية حتى يعرف
المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجلبها الناس حتى من أمته
لما جالس عباس باشا حلي على كرسي الخديوية مجددت للبلاد المصرية
آماله وتوجهت الى أعماله كان الفرض منها إزالة الاحتلال، ولو كان هذا
الفرض مما ترجى إصابته بسهام المصريين، لكان التقيد يكون في طليعة
العاملين، لأنه كما نعلم أنفذهم رأياه وأقواهم عزما وأخلصهم قلبا، ولكنه كان
يمتد بعد ذلك السمي الذي أشرنا إليه أن المآله لا يمكن أن تحمل إلا باتفاق
الدول العظام وأن الرجاء في اتفاقهم بعيد كاتين . فأراد أن يكون حظه
من حب الأمير الجديد للعمل السمي في اصلاح الأزهر بنفسه واقناع
الأمير بالسمي في اصلاح المحاكم الشرعية والاقواق لأن هذه المصالح
الثلاث إسلامية محضة لا مقاومة في اصلاحها للقوة المحتلة ولا منها فتصل
بالامير وحظي عنده وكثفه برأيه كما كاثف الحكومة بأمله في الأزهر وجاء
بما جاء من آيات الاقناع به حتى توصل الى إنشاء قانون تمهيدى للإصلاح
يديره مجلس مؤلف من أكابر علماء المذاهب في الأزهر ينتخبون انتخابا
وقد جمل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سليمان من أعضائه على أنهما من قبل
الحكومة لا رأي لشيخ الأزهر ولا للمجلس في انتخابهما ولا في استبدالهما
وكان الشيخ محمد لانباني الذي هو شيخ الأزهر لذلك العهد صريضا
وقد كثرت شكوى الشيوخ من إدارته فبين الشيخ حسونة وكيله
بعد أن أخذ عليه العهد باقامة النظام والاتفاق مع التقيد على لا اصلاح
عين الشيخ حسونة وكيله لشيخه الأزهر مأفونا بإدارة شؤونه لسبع

خلوف من جمادى الثانية سنة ١٣١٢ وصادر الأمر العالي بتشكيل مجلس إدارة الأزهر ليست خلوف من رجب من تلك السنة أي في الشهر الثاني ثم كان سعي في إقناع الشيخ الأنباري بالاستقالة يكاد يكون أمراً حتمياً فاستقال وصادر الأمر العالي بتولية الشيخ حسونة شيخاً للأزهر في ٢ المحرم سنة ١٣١٣

كان الأستاذ الإمام، روح الله وروحه في دار السلام، يجب أن يجري الإصلاح في الأزهر بإقناع كبار مشايخه ورضى أهلهم فبدأ باستئذانهم بتكبير رواتبهم فسمى لدى المستشار المالي الأسبق وطلب تعيين مبلغ من خزينة المالية لمساعدة الأزهر الذي يخرج للحكومة كذا رجلاً من القضاة الشرعيين والمفتين والمأذونين فأجيب الطلاب وعين في ميزانية سنة ١٨٩٥ م مبلغ ألفاً جنيه للأزهر على أن تصرف بنظام معلوم لا يرى شيخ الأزهر وميله على ما كان يعهد في الأزهر مع الوعد بالزيادة على هذا المبلغ في فرصة أخرى إذا جاء بفائدة فكان هذا حجة لا تقيد على وجوب وضع قانون للمرتبات في الأزهر ليكون لكل عالم حق معلوم يتناوله في وقته من غير نزاف إلى شيخ الجامع أو غيره وتلا هذا القانون قانون كساوي التشریف ومربياتها وكان الرأي فيها من قبل شيخ الجامع يعطى من يشاء ويمنع من يشاء فصارت تعطى لمستحقها من غير سعي ولا نزاف فسر الشيوخ بذلك سروراً عظيماً

بعد هذا وجه انقياد عنايته في المجلس إلى نظام التدريس والامتحان وبيان وسائل العارم ومقاصدها وجعل التدريس فيها على طريق توصل إلى الغاية منها وبعد اجتماع ومذاكرات طويلة وضع القانون لذلك واحتجج في تنفيذه إلى المال فلباً انقياداً إلى ارجحية الأمير فصادر الأمر له بيان

الأوقاف بصرف ٣٣٧ جنيهًا للأزهر. بقيت مصارفها ومنها ٤٦٤ جنيهًا لإنشاء دار الكتب الأزهرية. ثم وضع نظام آخر لتوزيع الجرايات بالعدل. أما نظام التدريس واختيار كتب العلوم فهو الذي أحب لاسناده الإمام رحمه الله تعالى أن يجعله برأي كبار الشيوخ ليسهل تنفيذه بالرغبة، ولا يثقل عليهم إلزامهم به من جانب القوة، وليتعود أهل هذا المكان على البحث في الأمور المهمة، والتعاون على ما ينفع الأمة، فوضع مشروع نظام التدريس واختيار الكتب واقترح أن تتواف لجنة من كبار الشيوخ للبحث فيها وإقرار ما يرونه نافعا فألفت اللجنة من أكثر من ثلاثين عالما وجعل الشيخ سليم البشري أحد أعضاء مجلس الإدارة رئيسا لها. ثم انتخب منها لجنة للبحث في كل فرع من المشروع وإبداء رأيها فيه للجنة الكبرى وكانت هذه اللجنة «وُفدت» من بضعة نفرهم أكابر شيوخ الأزهر وضم إليهم الأستاذ الإمام من قبل مجلس الإدارة وبعد أن أتمت هذه اللجنة عملها قدمته إلى اللجنة الكبرى فأقرته هذه بعد تحوير قليل لا يذكر. وكانت مشيخة الأزهر قد أسندت يومئذ إلى الشيخ سليم البشري الذي أوتف كل ما كان المجلس شرع فيه فأوتف أيضا مشروع إصلاح التدريس بل كان المجلس يقرر الذي بالاتفاق مع رئيسه الشيخ سليم ثم إنه لا ينفذه ولم يكن القصد من ذلك إلا إحياء سمي الأستاذ الإمام وإبقاء القديم على حاله ولقد كان قادرا على الإلزام بالتنفيذ بطائفة وسميا من الحكومة ولكنه لم يكن يجب أن يكون تلك حكومة تصرف في الأزهر بل أن يبقى مستتلا بصاح أهله برضى وانتفاع وحل. بقي كذلك بمدة : الله أعلم والأيام تظهر ما يعمل وكان من الإصلاح الذي تم في الأزهر بسميه ورحمة الله تعيين طيب الأزهر

وصيدلية (أجزاءه) خاصة به في نفس الجامع و انارة المسجد بالغاز البخاري
وانشاء الميضاة على الاصول الصحية وتجديد مباني صحبة في الاروقة وغير ذلك
مما انفصله في التاريخ ومن شاء ان يطالع على ذلك بالتفصيل التام ، فليرجع الى
كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر) الذي طبع في هذا العام (١)

وقد انتقل الازهر بهذا الاصلاح من خلل عام الى شيء من النظام، ومن
حالك الذيجور، الى بصيص من النور، ولم يتم عمل من الاعمال على ما كان يجب
رحمه الله تعالى، ولكن الاصلاح الحقيقي الذي كان روحا محيا ونورا مبصرا
فهو ما كان يلقبه من دروس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق فهذه الدروس
هي التي حولت نفوسا كثيرة عن السبيل المتفرقة الى سبيل الله وصراطه وهي
محفل الرجاء في هذا المكان،
(للأسيرة بقية)

مرثية محمد حافظ افندي ابراهيم في الاستاذ الامام رضي الله عنه

| | |
|------------------------------------|------------------------------|
| سلام على الاسلام بعدد محمد | سلام على ايامه النضرات |
| على الدين والدينا على العلم والحجى | على البر والتقوى على الحسنات |
| لقد كنت اخشى عادي للوت قباه | فأصبحت أخشى ان تطول حياتي |
| فواللهي والقبر بيني وبينه | على نظرة من تلكم النظرات |
| وقفت عليه حاصر الرأس خاشعا | كأنني حيال القبر في عرفات |
| لقد جهلوا قدر الامام فانزلوا | تجاليده في موحش بفلاة (٢) |
| ولو أضرحوا بالمسجدين لانزلوا | بخير بقاع الارض خير رفات |

(١) هو تاريخ بين ما كان عليه الازهر قبل الاصلاح وما صار اليه بعده
صورة ومعنى وصفحاته ١٢٤ وثمن النسخة منه ٤ قروش واجرة البريد قرش واحد
ويطلب من اداة النظار ومن بعض المكاتب بمصر (٢) تجاليد الانسان جنسه

تباركت هذا الدين دين محمد أبترك في الدنيا بغير حمة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضي ولانت قناة الدين للغمرات

زرعت لنا زرعاً فأخرج شطأه وبنيت ولما نجحت الثمرات
فواهاً له ألا يصيب موقفاً يشارفه والأرض غير موات
مددنا إلى (الأعلام) بمدك راحنا فردت إلى اعطافنا صفرات
وجالت بنا تبني سواك عيوننا فسدن وآثرن العبي شرفات
وآذوك في ذات الاله وأنكروا مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى في جانب الله لذة ورحت ولم تهتم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا في غياهب ومعرفة في أنف نكرات
ابنت لنا التريل حكما وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى فاطمت نورا من ثلاث جهات
وقفت لها توتو ورينان وقفة امدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله في كل موقف فخافك أهل الشك والنزاعات
وكم لك في إغفاءة الفجر نقطة نقضت عليها لذة الهجمات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا تناجي اله البيت في الظلمات
وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى ونبت فيها صادق المزمات
وارصدت للباغي على دين أحمد شاة يراع ساهر النشبات
إذا مس حد الطرس فاض جبينه بإسطار نور باهر الامعات
كأن قرار الكهرواء بشقه يرك سناه أيسر اللسات

فياسنة مرّت بأعواد نعمة
 حطمت لنا سيفاً وعطلت منبراً
 واطفأت نبراساً واشعلت انفساً
 رأى في لياليك المنجم ما رأى
 ونبأه علم النجوم بمحادث
 رمى السرطان الليث والليث خادراً
 فأودى به خلا فمال الى الثرى
 وشاعت تعاويذ الشرب باللمح بينها
 مشى نعمة يختال عجباً بربه
 تكاد الدموع الجارية تقاله
 بكي الشرق فارتجت له الارض رجّة
 ففي الهند محزون وفي الصين جازع
 وفي الشام مفجوع وفي القرم نادب
 بكى عالم الاسلام عالم عصره
 ملاذ عيايل ثمال أرامل
 فلا تنصبوا للناس تمثال عبده
 فاني لا خشي ان يضلوا فيوشوا
 فياويح للشورى اذا جد جدها
 وياويح للفتيا اذا قيل من لها
 بكينا على فرد وان بكاءنا
 نهدّها فضل الامام وحاطبها
 لانت علينا أشأم السنوات
 واذويت روضانا ضر الزهرات
 على جبرات الحزن منطويات
 فأنذرونا بالويل والمثرات
 تبت له الابراج مضطربات
 وربّ ضئيف نافذ الرميات
 ومالت له الاجرام منحرفات
 عن النير الهاوي الى الفوات
 ويخطر بين اللبس والقبيلات
 وتدفعه الانفاس مستهترات
 وضائق عيون الكون بالعبرات
 وفي مصر باك دائم الحسرات
 وفي تونس ماشئت من زفرات
 سراج الدياجي هادم الشبهات
 غيات ذوي عدم إمام هداة
 وان كان ذكرى حكمة وثبات
 الى نور هذا الوجه بالسجادات
 وطاشت بها الآراء مشتجرات
 وياويح للخيرات والصدقات
 على أنفس الله منقطعات
 باحسانه والدهر خير موات

فيا منزلا في عين شمس أظلني وأرغم حسادي وغم عدائي
دعائه التقوى وآسسه الهدى وفيه الأيدي موضع اللبانت
عليك سلام الله مالك موحشا عبوس المناني مقتر العرصات
لقد كنت مقصود الجوانب أهلا تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة أرزاق ومهبط حكمة ومطلع أنوار وكثر عظات

المنار الاسلامي واللواء الوطني

بين المنار الاسلامي وجريدة اللواء الوطنية تضاد فيما يسمونه للبدا فالمنار يدعو الى اصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لا يرتقون الا بترك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية في أمر الدنيا ويدخل في الاول ان كل مسلم أخ لكل مسلم وفي الثاني ان أهل كل قطر من الاقطار ينبغي لهم التعاون على صمرانه لا يفرق بينهم في ذلك دين ولا مذهب وجريدة اللواء لا رأي لها في الدين والاصلاح بسقطتها ولكن لها وطنية عمياء من مناهها انه يجب على كل مصري ان يتصحب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها الاقدمين وان كان مسلما وعلى كل مصري مسلم ان يتصحب على كل مصري ليس بمسلم وهذا مما ينقضه المنار ولذلك ترى جريدة اللواء تقترح في المنار وقلما تطامع على شيء من طينها وقد صارت في هذه السنة تسند الطمن الى بعض الاقطار إما اختلافا وإما لأن مثل أحمد الخوفي كتب اليها بذلك (هذا الرجل من باعة الكتب كاذب يطوفون بالازبكية وسافر الى كراكته فصار امام مسجد بها) فتسمى ذلك صوت اللواء في الهند!! وقد يجيبها ما يقند مطاعها فلا تنشر كما ترى في الرسالة الآتية التي كتب اليها من سنغافورة صورتها وكلقنا نشرها ان لم تنشر في اللواء وهي

عن سنغافورة في ٢٧ جماد أول سنة ١٣٢٣ الى مصر القاهرة.

حضرة الفاضل سعادتلو أقدم صاحب اللواء دام علاه

بعد السلام قد اطلمت على ما كتبه في جريدتكم القراء في العدد ١٧٥١١ حضرة

الفاضل الهندي المولوي عبد المجيد المراد آبادي أحد مدرسي العلم الشريف بكمكنا قنست كتبنا لانني لم أكن طالمت شيئا من أفكار علماء الهند قبل في هذا الموضوع

وظننت حينئذ أنهم في جود و خور لا كما كنت أظن وأسمع حتى رأيت ما كتبتموه
من كلام حضرة الفضال الثواب محسن الملك كثر الله أمثاله وحفظه فسرني تقي ذلك
الأسف وحل محله الرجاء وقد أعجبتني كثيراً مما كتبتم على كتابه الأخير فجزى الله
أحسن الجزاء كل داع إلى الهدى نابذاً له صب الأعمى

اللهم إلا أنه وقع عندي موقع الاستغراب جهول المولوي بالتشارلنار بالهندو خصوصاً
في كلكتة إذ حضر لدي وقت قراءتي تلك الرسالة أحد أهل كلكتة ممن يجر المنار منذ سنين
من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويسرفون الرجال بالحق لا بالمكس وقد أفادني
أن المنار هناك سمعة حسنة وليس كثير من الجرائد والمجلات العربية والمصرية.

أما حصر المولوي ما وجد في المنار في نبذ المذاهب الأربعة فشيء اختص هو به
فليعد النظر أن لم يسمه تعصبه ليعلم أن المنار يدعو إلى نبذ حقوقهم (إذا زنى الرجل بأمة
أو بخته بعد أن ينفق عليها صارت له قراناً ولا حد عليهما) وأمثال ذلك وصاحب المنار
ومن على شاكلة هم المتبعون للأئمة عليهم الرضوان لأن الأئمة لم يكونوا مقلدين جامدين
بل أفقوا أعمارهم في اقتباس العلم من الكتاب والسنة

وتنظيره بالحوارج مما دلنا على كمال عنائه وعلمه بالدين والتاريخ فلا يطيل الكلام
مع من كان اعشى أو يتعاضى لكنائته مع لذوي الشأن في المدارس بأن لا يشقوا من هذا
علمه وعنايه وغالب الظن أن ذلك الكاتب لا عالم ولا متعلم بل متعصب متعيط أواد
التضليل فنسب نفسه إلى العام والتدريس والأفليكيب لنا المباراة المتقدمة بنصها ثم ليرد
عليها بالدليل لا بقال ونيل. وإنى له ولا مثاله ذلك فيقال له (أييس بعنك فادر جي) ولنا
ممن يمتد العصمة للمنار ولكننا ننام أن المنصيين لا ينكرون الأمر الحق. وأما تربيته
الدواثر لمن ينفي تحريف المبطلين واتصال الغالين عن هذا الدين فقول له وأشيعة تربعوا
فانامكم متربعون والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين أقدم
شيخ بن أحمد الهادي

﴿ مشروع بناء مسجد في باريس ﴾

خطر هذا المشروع للخواجه (ليور لا مير) المقاول في مصر من عدة شهور وكاشف
ببعض وجهاء مصر فلم منهم أنه لا يرجي نجاحه إلا إذا كان تحت رئاسة فقيهد الإسلام
والشرق الأستاذ الامام رحمه الله تعالى فأرسل أحد أولاده (فنيكي لا مير) بكتاب منه
إلى الامام عند ما ذهب إلى رمل الأ. كندوية مريضاً ففضاه من مقابلته لأن صحته لا تسمح

له بالكلام ولا الفكر في الأعمال فنادى الى مصر وأرسل الى بعض ذلك كتاباً في ٢١ يوليو
 يرجوني فيه رجاء مؤكداً أن أعرض المشروع على الإمام في الوقت المناسب وأرسل معه قائمة
 كتب في أعلاها (أسما) للتحدين على مشروع بناء جامع في مدينة باريس تحت رعاية
 فلان الخ) ورغب الي أن أكلف الإمام باعضاء القائمة ثم أعرضتها على بعض وجهاء
 الاسكندرية ثم أرسلها اليه لكي ييسر له امضاؤها من وجهاء مصر. وانني لم أر فرصة
 مناسبة لمذاكرة فقيدنا في هذا المشروع لأعرف رأي فيه وبعد أن توفاه الله تعالى بانني
 ان الرجل ورغب الى شيخ الأزهر ان يجعل المشروع تحت رياسته فقبل فمضى ان ينجح
 المشروع ويبنى المسجد في مكان يسهل على المسلمين في باريس التمسك اليه والصلاة فيه ولا
 يكون تجماع لوندن (لوندرو) الذي حدثنا عنه الأستاذ الامام ورضي الله عنه بما يأتي قال

خطر لرجل يهودي مستخدماً في لندن ان يجمع من المسلمين مالا يبني به مسجداً
 في لوندرو فجمع خمسين الف جنيه ثم جاء لوندرو فبنى مسجداً في خارجها على مسافة
 مائة في السكة الحديدية وهو مكان لا يصل اليه احد من المسلمين في لوندرو فهو منطلق
 انما لا يصل اليه احد وقد اشترى الرجل ارضا لنفسه عند الجامع وبنى فيها بيتاً انزهته
 اذا علم بأن بعض اصراء المسلمين او اغنيائهم زار لوندرو يبحث عنه ويدعوه الى داره
 الى رؤية المسجد ولما زار امير الافغان هذا المهد لوندرو - وكان يومئذ ولي العهد
 الامارة - اجاب دعوة هذا اليهودي وبعد الطعام اعطاه خمس مئة جنيه ولا يخال ان احد
 ن الامير كان مبسوط الدف لكل احد يتصل به او يخدما فقد كان خالد افندي استاذ
 للغة التركية في مدرسة كبر دج (هه منداراً) للامير في لوندن لزم خدمته واعد له كل وسائل
 الراحة وهو لم ينعم علي الا بجنيه واحد لم يقبله

والعبرة في هذا المقام ان المسلمين قد قتلوا بهؤلاء الاجانب قوتاً فالخواججه
 يجهول منهم يحظى عند كبيرهم وصغيرهم ويسهل عليه أن يبالغ منهم بالايابة او سمعهم
 اما وابعدهم فهما واشدهم خيرة واطهرهم سريرة فلوان مسلماً حاول جمع المال من
 طند او مصر لبناء مسجد في لندن او باريس لمعجز ولكن الاجنبي لا يعجز عن استخدام
 تونذ في كبير فيهم حتى رجال الدين وما احوجنا الى رجال يسهرون غور الاجانب
 يستفيدون من خيارهم باينفع الاممة ويتوقون شر شرارهم ويدفعونه عنها كما كان
 فعل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وجزاه عن هذه الامة افضل الجزاء



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتيها
غيراً كثيراً وما يذكر إلا أولها لا ياب

الله
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه
أولئك الذين هم أئمة أولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام مروي و«مناراه كئنا والطريق»)

(مصر - غرة رجب سنة ١٣٢٣ - ٢٩ أوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمة سيرة الأستاذ الإمام

(إلقاء الديار المصرية وخدمة الأوقاف والمحاكم الشرعية)

في ست بقين من المحرم سنة ١٣١٧ (٣ يونيو سنة ١٨٩٩) صدر الأمر العالي بناء على قرار مجلس النظار بتعيين المفتي مفتيا للديار المصرية وكان الأمير أيده الله بتوفيقه هو الذي اختاره لذلك أولا . وقد رأته في أول الأمر غير مرتاح إلى هذا المنصب وإن كان شريفا لأنه ليس فيه أعمال عمومية ولكن الرجل الذي قدر على أن يحمل التحرير في الجريدة الرسمية وسيلة للإصلاح في الحكومة والارشاد للأمة لا يعجز عن التوصل بأكبر منصب شرعي إلى الخدمة المالية العامة وكذلك كان فإنه به خدم القضاء الشرعي والأوقاف الإسلامية أجل خدمة وزادت في أيام هذا المنصب شهرته وكثر عدد المعارفين بفضلته حتى كاد يكون المرجع في الفتوى لجميع مسلمي الأرض وناهيك باستفتاء مثل مفتي بنجاب آياه

كان أول عمل جليل له بعد أن صار مفتيا تفتيش المحاكم الشرعية في القطر كله وإظهار جميع ما فيها من الخلل وبيان مناشئه فمنها ما كان من تقصير الحكومة ومنها ما هو من تقصير القضاء والكتاب وقد كتب في ذلك تقريره المشهور فكان مدهشا للأفكار في دقة بحثه وتشخيصه داء هذه المحاكم ، ووصفه للملاج الذي لا شفاء بدونه وقد عجب الجبناء من شجاعته إذ خاطب الحكومة رسميا ببيان تقصيرها وطلبها بإزالته ، وقد أحلت الحكومة هذا التقرير على الاعتبار وألفت لجنة في نظارة الحفانية للبحث في تنفيذ ما يتيسر تنفيذه منه بالتدرج

وكان رحمه الله صاحب الرأي المنير في مجلس الأوقاف الأعلى بما كان

يطبق الأعمال على الشرع والمصلحة وأهم خدمة له فيه مشروع المساجد الذي وضعه لعمارة بيوت الله تعالى وإحياء الدين وعلومه وترقية الخطابة وبث الإرشاد في الأمة وقد نوهنا به في المنار من قبل ونشرنا في الجزء الثامن من هذا المجلد ما أقره المجلس من ذلك المشروع ثم صدر الأمر العالي بتوقيف تنفيذه ثم صدر أمر آخر بتنفيذ شيء منه . ومن هذا المشروع تعلم انه رحمه الله تعالى كان يتوصل بكل عمل يدخل فيه الى إحياء العلم وهداية الدين وتربية المسلمين

عمله في مجلس الشورى

في سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩ عين عضوا دائما في مجلس الشورى فانتقل المجلس به من حال إلى حال . وكانت الحكومة قلما تحفل برأي المجلس وكان المجلس في نظر الأمة وفي نظر أعضائه الوكلاء عنها غير مضطاع بما أوجد لأجله حتى ان جلساته كانت قلما تلتئم على أصول نظامه بحضور جميع أعضائه أو معظمهم . فلما دخله نفخت فيه روح جديدة زال بها سوء التفاهم بينه وبين الحكومة فصارت تحفل برأيه وتحله من الاعتبار ما لم تكن تحله فتأخذ برأيه فيما يمكن الأخذ به وتبين له سبب ما لم تأخذ به وتقوي رجاء أعضائه في خدمتهم وانتظام عقد اجتماعهم وعظمت ثقة الأمة بهم وكان أكثر ما ترسله الحكومة الى المجلس لينظر فيه يؤلف له لجنة تحت رئاسة الفقيه لتدقق النظم فيه وتعرض رأيها على المجلس . وكان له رحمه الله الرأي المالي والصوت المشروع في كل مسألة وكل مشروع فكنت تراه في المسائل المالية حاسبا اقتصاديا ، وفي المسائل الادارية اداريا ماهرا ، وفي اللوائح والقوانين قانونيا خبيرا ، وفي الامور الشرعية

إماماً فقيهاً ، وكان المجلس يهده إليه مذاكرة الحكومة في الشؤون
العظيمة ليكون الحد الأوسط في شكل القياس لتخرج النتيجة في خدمة
البلاد صحيحة

وقد كانت أعمال المجلس تقتال معظم وقته فكنت أنام من ذلك
لاعتقادي أن وقته أثمن من أن ينفق في خدمة المجلس فلا أكاد أجده فرصة
إلا وأرغب إليه فيها بالتخفيف والافلال من الاشتغال بعمل المجلس حتى
قلت له مرة أن الحكومة المصرية يشبه أن تكون أعمالها وقوانينها مؤتلة
فهي عرضة للتغيير قريب محل تنفق فيه أياماً طويلة لتقره الحكومة على ما
تري أنها أتم للبلاد ولا تلبث هي بعد أن تقره أن ترجع عنه بعد زمن قصير أو
طويل ويوشك أن تنفق في تحقيق بعض الأمور إما كثيرة ثم لا يتيسر اقتناع
الحكومة به أو تقتنع بأنه نافع ويمنعها مانع من العمل به ولو صرفت مثل
هذه الأوقات في الكتابة والتأليف لكان ما تكتب هداية لهذه الأمة باقية
مابقت الأمة : فقال إن الغرض الأول من العمل في المجلس هو التعاون
مع الأعضاء على الجهد والاهتمام بالبحث في الأمور العامة ومصالح البلاد
وتربية الرأي العام في الأمة ليكون ذلك إعداداً لنفوس طائفة منا لتفصل
الاحتكام بالشورى فإذا ارتقت هذه الملكة في الهيئة الحاضرة للمجلس فإنها
تنتقل منها إلى الهيئة التي تخلفها ويكون ذلك جرؤمة من جرائم الإصلاح
في البلاد فقامت من هذا الجواب أنه لا يترك مذهبه في الإصلاح من
طريقة التربية العملية في عمل من أعماله وسيأتي ذكر مذهبه هذا في عمله

حفظ عمله في الجمعية الخيرية الإسلامية

يرجع في كل قطر من بلاد المسلمين أفراد تفرقت فيهم الفضائل

الكثيرة التي هي مناط حياة الأئمة ولكن يوزنهم شيء، الحياة الاجتماعية في هذا العصر هو أهم شيء وعليه يتوقف كل شيء، وهو التعاون على الخدمة العامة والأعمال المشتركة وانك لا تكاد ترى في قطر إسلامي جميات ولا شركات ناجحة يرجى خيرها للأمة إلا ما بدأ به مسلمو الهند ومصر في ظل الحرية الانكليزية، ولا يزال كثيره في مهده الطفولية، ولم تنجح في مصر جمعية من الجمعيات الكثيرة التي ألفت فيها بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة مثل نجاح الجمعية الخيرية الإسلامية ولم تصادف جمعية منها ما صادفته هذه الجمعية من الصدمات، التي يعز فيها الصبر والثبات، وكان الفضل الأول في ثباتها ونجاحها للأستاذ الامام أحسن الله جزاءه

أنشئت الجمعية للتعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإعانة العاجزين منهم عن الكسب على شقاء الحياة فاتهمها أعداء البشر بالسياسة وسموا بها إلى ذوي النفوذ والسلطة ولولا سعيه في الدفاع عنها وإقناع أهل الحل والعقد بأنها خيرية محضة ليس من موضوعها ولا مما تقصد إليه شيء سياسي أو سري لعنت رسومها، ثم إنه خدعها بنفسه وبالتعاون مع أصفياه المؤسسين لها معه كوكيلها وأعضاء إدارتها لهذا العهد خدمة جليلة حتى ارتقت عن طور الطفولة وصار ثباتها مضمونا بحول الله وقوته، ومما انفرد به في خدمتها دعوة الأمراء والوجهاء والأغنياء إلى الاشتراك فيها ومساعدتها وتحصيله منهم قيم الاشتراك إذا قضت الحال بذلك أنشئت الجمعية سنة ١٣١٠ وفي سنة ١٣١٨ انتخب رئيساً لها فزاد اجتهاده في خدمتها وكان من ارتقائها في زمن رياسته أن صار إيرادها في السنة الماضية ١٠٣٩٥ جنيهاً وكان في سنة (١٣١٧) ٤٤٣٠ جنيهاً وصارت

أطيانها ٣٣٣ فدانا وكانت قبيل ذلك ٢٨٠ فدانا وصارت مدارسها سبعا
وكانت أربعا . على أنه كان يرى أن الفائدة الأولى المقصودة بالذات من
الجمعية هي تمويد المسلمين الاجتماع للخير والتعاون على البر والخدمة العامة
وإشمار قلوب الاغنياء عاطفة الرحمة والإحسان بالنفراء كما كان يصرح
بذلك في الاجتماع العام السنوي كل عام فهو فيها عامل بمذهبه في تربية
الأمة كما كان شأنه في غيرها جزاء الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء

طبع الكتب النافذة وجمعية إحياء العلوم العربية

كان رضي الله عنه يرى أن حياة الأمة بدون حياة لنتها من اطلال
وان حياة العلوم العربية يمثل هذه الكتب الازهرية محال وان لا بد الاصلاح
من إحياء كتب أمتنا وكبار علمائنا التي ألت أيام كان العلم حيا في الأمة
فكان يسمى لذلك سميه وبهديه وإسماعده طبعنا فبذلك الكتابين الجليلين
الذين هما روح علم البلاغة - أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز - للشيخ
عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة ولولا تصحيح الفقيه لهما
واستحضاره لنسخهما من الاقطار النائية لما تيسر طبعهما وفي سنة ١٣١٨
أسست في مصر جمعية خاصة لهذه الخدمة تحت رئاسته سميت (جمعية
إحياء العلوم العربية) كانت فائحة أعمالها طبع كتاب (المختصر) لابن سيده
في اللغة وهو كتاب لا نظير له في باب ولا غناء عنه في إحياء اللغة في هذا
العصر . وقد شرعت بمسده في إحياء مدونة الامام مالك وعني الفقيه
رحمه الله تعالى باستحضار نسخها من تونس وفاس وغيرها من البلاد
ولولاه لما تيسر جمعها كلها ولنا رجاء عظيم في بقائها وحسن خدمتها بهمة
من كان وكلها وليس لرئاستها بهد الفقيه سواه الا وهو حسن باشا عاصم

مؤلفاته - بحسب تاريخ تأليفها بالتقريب

(١ - الواردات) رسالة في الكلام أو التوحيد على طريقة الصوفية

وأسلوبهم وهي أول تأليفه ولعلنا نشرها برمتها في سيرته المطولة فقد كان أعطانا نسخة منها

(٢ - رسالة في وحدة الوجود) وهي رسالة نفيسة لم أطلع عليها

ولكنه هو الذي أخبرني بها وقال انها ليست بمعنى ما كتب عبد الكريم الجيلي وأمثاله مما هو أقرب الى مذاهب الحلول كالنصرانية منه إلى توحيد الاسلام ولكنها بأسلوب آخر وأراه يبين فيها مراتب الوجود وتعددتها من وجه ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر ولعلنا نظمر بها ونطبعها

(٣ - تاريخ إسماعيل باشا) أخبرني بهذا الكتاب أحد تلامذته الأولين

وقال اني عبد الله النديم كان أخذ من الفقيه نسخته في أثناء الثورة العراقية ونشر منه فصولا في جريدة الطائف بتصرف أو بغير تصرف ولم أسمع منه رحمه الله تعالى ذكره هذا الكتاب وكنت أظن أنه لم يصنف شيئا الا وقد أخبرني به لأنه قص علي تاريخه بالتفصيل وكتب إلي شيئا مجملا منه كما علم القراء

(٤ - فلسفة الاجتماع والتاريخ) هو الكتاب الذي ألفه أيام كان يدرس

مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم كما ذكرنا في هذه السيرة وقد فقد هذا الكتاب عند ماعزلة توفيق باشا من المدرسة ونفي السيد جمال وأخذت أوراقه وكان طيب الله ثراه يقول أتمنى لو يحفظ هذا الكتاب

من وقع في يده وبدعيه لنفسه ولو بعد موتي لينفع به الناس

(٥ - حاشية عقائد الجلال الدواني) وهي غاية الغايات في علم الكلام

وتحقيق مسائله ونحري الخلاف بين المتكلمين وبيان ماهو لفظي منه وماهو حقيقي وقد كان السيد عمر الخشاب شرع في طبعاها ولطفاها تم عن قريب (٦ - شرح نهج البلاغة) وهو شهر جديا وقد طبع في بيروت مرتين وفي طرابلس مرة وفي مصر مرة

(٧ - شرح مقامات بديع الزمان الهمداني) وهو مطبوع في بيروت ولم يعرف لغيره شرح لهذه المقامات وقد فرغ منه في ١٦ رمضان سنة ١٣٠٦ (٨ - شرح البصائر النصيرية) في المنطق وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات والكتاب عالي الاسلوب وهو من أحسن ما كتب المسلمون في المنطق ولم يسبق لاحد قبله كتابة عليه فيما نعلم وقد قرأه درسا في الجامع الأزهر وحضرناه عليه ولعله لا يتسامى أحد الى تدريسه بعده وإن كان من الكتب التي قرر مجلس ادارة الأزهر تدريسها فيه رسميا إلا ان يكون بعض من تلقاه عنه

(٩ - نظام التربية بمصر) رسالة في الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم وهي على إيجازها من أحسن ما كتب وأتقنه وستنشر في تاريخه (١٠ - رسالة التوحيد) وما أدراك ما رسالة التوحيد هي التي يصدق عليها القول المشهور «لم ينجح ناسج على منوالها ولم تسمع قرحة بمثالها» هي التي يصح أن تعد معجزة من معجزات النبي عليه السلام، وآية من آيات الاسلام، هي التي ينبغي ان تجعل أصل الدعوة الى هذا الدين، ويم تلقيها جميع المسلمين، وقد قلت للاستاذ الامام رضي الله عنه إنه لولا اسم هذه الرسالة وما في أولها من الاصطلاحات الكلامية الوجيزة لكان انتشارها أضعاف ما هو الآن، واعم الانتفاع بها كل مكان، ولكن

البيد ، اذا سمع باسم رسالة التوحيد ، يتوهم انها عقيدة كالتنوسية ، أو كالمقائد النسفية ، والقريب قد يأخذ نسخة منها ، فيصرفه ذكر الواجب والممكن والمستحيل منها ، توهمها انها في علم الكلام ، الذي لا يتناوله الا العلماء الاعلام ، وقد كان رحمه الله تعالى عازما على بسط الكلام في هذه المقدمات ، وسائر مسائل الآليات ، وجعل الكلام فيها كالكلام في النبوة ومزايا الاسلام ، موجها الى العقل والى الوجدان ، لا مجرد تقرير وجيز للبرهان ، وقد قرأها درسا في الأثر و تلقيناها عنه

(١١ - تقرير المحاكم الشرعية) هو على خصوصية موضوعه مفيد حتى لغير القضاة ومستخدمي هذه المحاكم من جميع أهل العلم والادب لاسباب طلاب علم الفقه فانه يعطيهم من البصيرة في طريقة التحصيل على الوجه الذي ينتفعون به وينفعون مالا يجردونه في سواء وفيه كثير من الفوائد الادارية والاجتماعية والادبية . وأحوج الناس اليه بعد القضاة وكتاب المحاكم المرشعون للقضاء وللكتابة في هذه المحاكم

(١٢ - الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدينة) وهو مقالات كتبها لجنة النار ثم جردناها منه وطبعناها على حديثها وسميناها بهذا الاسم باذنه فباعت كتابا مستقلا بناهز مئتي صفحة وقد قدمت نسخ الطبعة الأولى فأعدنا طبعه

(١٣ - تفسير سورة العصر) كتبه لينشر في المنار اجابة لرغبنا ورغبة بعض أهل العلم في مدينة الجزائر الذين حضروا هناك درسه في تفسير السورة وقد كتب في هامش تفسير جزء عم عند تفسير هذه السورة ما نصه : « وقد كتبنا تفسير هذه السورة الشريفة نشر وحده بمكان طبع في

نطبعة جريدة المنار وهو ما كنا ألقيناه درساً في مدينة الجزائر في شهر
جمادى الاولى سنة ١٣٧١ وفيه تفصيل طويل لما أجمعناه في هذا التفسير
المختصر فمن أراد يائماً أوسع ، وتقصيلاً أبعد ، فليطلب ذلك التفسير ،
فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظيره « اها أقول اننا طبعناه بالقطع الصغير ليوضع
في الجيب وطبعنا منه ما نخص درس الاساتذة الامام في تونس وموضوعه
المعلوم الاسلامي وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ - تفسير جزء هم) هو على قرب العهد بطبعه أشهر من نار على
علم وقد كان رواجها أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها
حتى انه قد وزع منه عدة ألوف في عدة شعور وهذا شيء لم يمهده له نظيره
في المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته التامة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأما مقالاته
التي نشرت قديماً وحديثاً في الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جداً وكلها
آيات بينات في العلم والدين والادب تقع الله بها وأعاننا على احيائها (السيرة بقية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية - لصاحب الامضاء

بقية الكلام في النبوة

ألمست العقائد الاسلامية أنزماً للعقائد وأبجدها عن مخالفة المقول والوحيد في قوة
الحجة ومناة البرهان (أنظر ما تقدم في المقالة الاولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل
المقنية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها أجلى بيان . أليس في العبادات
والاوامر والنواهي القرآنية ما يطهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأنحوال الدين

والدنيا . أليس في القرآن من المسائل العلمية الطبيعية ما لم يخطر على قلب بشر في ذلك الزمن وفي تلك البلاد . ماذا يكون قول العامي إذا ذكر شيئاً عن البرق والرعد والصواعق وماذا يقع في كلامه من الأوهام ونحن في القرن العشرين للمسيح فما بالك إذا كان في القرن السادس فكيف لم يدخل ما يذكره العامة من الخرافات في القرآن ولم يذكرها محمد فيه اعتقاداً منه لها وجرياً على ما كان عليه معاصروه . فكم ذكرت هذه الأشياء في القرآن وغيرها من عجائب الكون ومع ذلك لم يرد عنها إلا كل قول صحيح سالم من طعن الطاعنين فكيف نحاشي محمد الوقوع فيما يقع فيه مثله من العامة عند ذكر هذه المسائل . هل يعرف العامي الأمي من العرب في ذلك الزمن أن كل الثمرات لها حياة كحياة الحيوان وأنها جميعها لها ذكراً وأنثى وهو الأمر الذي لم يقل به العلماء إلا في الزمن الأخير (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) مع أن العرب لم تكن تعرف ذلك إلا في التخيل . هل يعرف العامي أن القمر ليس مضيئاً بذاته ويدرك أن الشمس وحدها هي مصباح عالمنا هذا فيقول (فبحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولا يصف القمر بما يستفاد منه أنه مصدر للثور ويصف الشمس وحدها دائماً بذلك كقوله أنها سراج ونحو ذلك . هل كان أحد في ذلك الزمن يعتقد دوران الأرض حتى يرد في القرآن (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر صر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) . وأيس ذلك في يوم القيامة هل الأصح إذقوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله «صنع الله الذي أتقن كل شيء» لا يناسب مقام الإهلاك والابادة هل كان أحد يدرك الفرق بين جعل النهار الذي هو من حركة الأرض مجلياً للشمس والليل غاشياً لها وبين العكس حتى يأتي بهذا التعبير (والنهار إذا جلاها والليل إذا غشاها) والذي اتعب المفسرين زماناً ولا يقول إن الشمس هي المجلية للنهار بتحركاتها كما كان يتظر من مثل هذا العربي الأمي .

من من العامة يدرك أن صغر القمر وكبره حسب ما نشاهده ليس إلا لاختلاف منازلهم بالنسبة إلى الشمس لا لأن حجمه الحقيقي يصغر ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يقول (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) . يظن العامة أن المطرات من الجنة أو من الملكوت الأعلى أو من عالم غير عالمنا هذا ولا يتصورون أن أصله من ماء بحار أرضنا هذه ولكن القرآن يقول (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي إن المياه بأنواعها التي تستعملها

خارجة من الارض ولم يستثن منها ماء المطر كما يتوهمون . فهل يكون في كلام الامي العامي في ذلك الزمن هذه الدقة في التعبير والصدق في العبارة والأشارة الواضحة الى مسائل علمية لم تكن معروفة من قبل أو ممولاً علمياً في زمنه

هل تدرك العامة بل وكثير من الخاصة أن التغيرات في العالم أعظم برهان على وجود الخالق تعالى حتى يستشهد القرآن على ذلك باختلاف الليل والنهار وحركات الكواكب وشروقها وأفولها . أليس ذلك مما تته اليه عظماء الفلاسفة الأبعد الجهد والغناء الكبير هذا وإن القرآن قد أتى بالحكم الكثيرة والأمثال الصحيحة على وجهه وتعبير ينهك الفيلسوف الحكيم بدنه دون أن يأتي على تعبير مثله فما بالك بهذا الامي . فهل تقول بعد ذلك كله إن سماع النبي لحطاط من جاوره من الناس الجهلاء وهو منهم هو المصدر لهذا الكتاب الحكيم

فوالله لو كلف أحد الفلاسفة أن يحص المسائل كما محمد بها القرآن وان يأتي بأصح الآراء وأقومها في المقدمات وغيرها ويؤسس مثل هذا الدين الكامل بجميع ما فيه ويتبع السياسة الرشيدة والحكمة البالغة في ارشاد الناس اليه كما فعل محمد عليه السلام وأن يحترز من الوقوع في زلة واحدة وان ينجز عن بعض اشياء في المستقبل بفكره وقرينته بحيث لا يخطيء فيها وان يأتي ببعض مسائل علمية لا يعرفها معاصروه وكلف بأن يجعل كل كلامه هذا بأسلوب غريب لم تعهده الناس من قبل ويكون في درجة من البلاغة لا يحاكيها أحد وأن يقلب كيان أمة عظيمة كالامة العربية فبعد ان كانوا أعداء صاروا اخواناً وبعد ان كانوا عابسين للاوهام صاروا علماء وبعد ان كانوا اضعف الامم صاروا اقواها وسادتها في مدة قليلة . لو كلف بهذا كله لاقر في الحال بالعجز واعترف بالضعف فما بالك اذاً بالنبي العربي الذي نشأ يتيماً فقيراً امياً في وسط الجهل والوثنية في زمن العمى والظلام محتاط به الخرافات من كل جانب والباطيل من كل مكان امتزج حوله الحق بالباطل واختلط الصدق بالكذب بسمع قولاً حقيقاً مرة واكاذيباً بجانبه مرات فلا يمكنه ان يميز احدهما عن الآخر لعدم علمه . تشبعت في فكره الآراء وتضاربت في نفسه الأقوال فوقف وقفة الحائر ينتظر الارشاد الا الهى حتى جاءه الوحي الرباني فحصى الحق ورفض الباطل وقرر الصدق وازهى الاكاذيب .

واعتمد في دعواه على الحجج البينات لا على الالاعيب فأعظم به من نبي ختم الله به
الانبياء واكرم به من رسول طارذ كرمه في السماء صلى الله عليه وسلم
بقي عليّ أن اذكر شيئاً عن اخلاقه بعد ان خضعت له الملوك وهابته الجبابرة وانتشر اسمه
في سائر الافاق . هل ظننى وبغى واتهمك في الملاذ ؟ كلامك كلام ملك ما كما واسما ولكنك
ما فارقه الزهد والتشغف طول حياته مات ولم يترك الا شيئاً زهيداً وأوصى أن يكون صدقة
لامته لم يتغير حماءه وعفوه وورأفته ورحمته بالناس بل زادت . اقتصر على زوجته المعجوز الى ما
بعد الاربعين كما قلنا سابقاً حتى توفيت ومن تزوجهن بعد ذلك لم يكن فيهن بكر سوى عائشة
وتزوجها وهي في سن تكاد أن لا تشبه فيه لتوثيق ما بينه وبين والدها من المحبة والمودة
وكان غرضه من تعددهن القيام بكفالتهم لفقرهن أو عدم وجود من يقوم بشؤونهن
كممن فقدت بعلها في حرب أو غضب عليها أهلها لاسلامها أو لم يرغب فيها أحد من
أصحابه لكبر سنها وليس للنبي أن يشير على أحد بتزوج بهن لئلا يأخذها مضطراً في
زواجها فلا يحصل بينهما وفاق . وكان الغرض في زواج بهن ايجاد الرابطة بينه وبين أهلبن
أو تنزيه بهن عن فقد زوج كانت تتفانى في حبه أو ابطال عادة من عادات الجاهلية
الى غير ذلك من الاغراض الشريفة كما يتضح للمدقق في أخبارهن فشفقة بهن ورحمة لهن
كان تزوجهن ولا يمكنه أن يبقين في منزله من غير زواج لئلا يرميه الناس باستخدامهن
من غير حق أو بارادة الفحشاء بهن (تنزه عن ذلك وجل مقامه عنه) ولو كان غرضه
الشهوة لكن من حسان الابكار لا الثيبات المسنات فمن كان هذا شأنه لا يتصور أنه كان
يطلب بدعواه النبوة الحصول على شيء من لذات هذه الدنيا والالوحدة بعد نجاحه
متكبراً جباراً منتقماً فظاً غليظ القلب متعاليّاً في نفسه محترماً لغيره فأين هذا كله ممن كان
متواضِعاً متعشفاً يخضع له يديه ويرقع ثوبه ويطوي على الجوع ليالي راضياً بالقليل
رحيماً بالناس لطيفاً يحترم كل أحد حسب منزلته حليماً لا يفضيه جهل الجاهل ولا قلة
أدب الوقبح . ينفو ويمنع عن أساء اليه . اذا احتاج بقرض المال حتى من اليهود وكثيراً
ما أودى بسبب ذلك قاله أكبر ما جل شأن النبوة وأرفقها بما يرميه به الحيلة من الناس
هداهم الله

هذا الذي ذكرناه من الدلائل هو المعمول عليه في هذا الباب والسند الأقوى للنبي

في دعواه وأما ما ظهر على يديه من خوارق الماديات فلم يكن عليه السلام يعتمد عليها كثيراً فلذا ضربنا صفحاً عن أطالة البحث فيها وغاية ما نقول أن هذه المعجزات ليست من المستحيلات بل هي مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وقد تقاها القات تقالاً متصلاً صحيحاً وتواتر بعضها بحيث أن الإنسان أن شك في بعض أفرادها لا يمكنه أن يشك في مجموعها. وأمثال هذه المعجزات كانت الحجة الكبرى والدليل الوحيد للأنبياء السابقين مع أنهم . ذلك لأن الإنسان في تلك العصور ما كان يدرك قوة الدليل العقلي فكان كالطفل لا تفعل نفسه إلا بما وقع تحت حسه ولا يتأثر إلا بما كان تحت حسه ولما باخ رشده وارتقى ارتقت أدلة النبوة كذلك واتاه الله من الدلائل بما يناسب حالة رقيه العقلي وجعل المعجزة الكبرى في إتيان الأمي بمأتى به مما فصلناه وعجز البشر جميعاً عن الإتيان بمثله وأما المعجزات الأخرى فلم يكن يراد بها الإثبات الذي آمنوا بالحس بعد أن اقتنعوا بالعقل وإلزام الماندين الذي علقوا إيمانهم على رؤية هذه الخوارق ولما لم يؤمنوا عند ظهورها ما كان يجبهم إلى طلب غيرها لأن من لم يقتنع بهذه لا يقتنع بتلك إذ الدلالة على الصدق في جميعها واحدة . وهذا الذي قلناه هو ما يستمد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن فليراجعها من شاء . والخلاصة أن الدليل قسبان حسي وعقلي أما الحسي فإنه أشد تأثيراً على النفس وأقل في القلب وأما العقلي فإنه أضع وأعم فائدة وذلك لأنه متى أحكمت مقدماته ونتائج فلا سبيل لتطرق الشك إليه وكل من تصوره صدق به بخلاف الحسي فلا يؤثر الأعلى من نظره بعينه ويتطرق إليه شبهات كثيرة كاشعة وذة والتدليس والحيل وكلما كان الإنسان بسيطاً كان فعله في نفسه أشد .

ولما كان محمد عليه السلام خاتم الأنبياء ومرسلاً إلى الإنسان بعد بلوغه رشده ودعوته ليست قاصرة على زمن أو مكان كان الأنسب أن تكون حجته عقلية من أن تكون حسية . وقد كان ذلك وظهرت حكمة الله جل شأنه في هذا النوع فأتاه في زمن طفولته بما يناسب بساطته وفي زمن كهولته بما يوافق رقيه ودرجة عقله كالأب الحكيم يحمل ابنه في صغره على الدرس بأعظائهم المكافآت كالإوى والنصور وفي كبرهم يبين فوائد الدراسة ومنافعها وتأثيرها في مستقبلهم فالإنسان بالبيئة الحمدية أدرك قيمة عقله وذاخر من سائر القبول وأما متى لمعه ذممه سلماً أن له الخيال علمه حنة

وقام بنقض ما على جسمه من غبار التقاليد ونظر بعقله الى ما حوله من الموجودات واستخدمها
وهكذا سار في طريق الإصلاح الى ان يباخ الكمال ان شاء الله تعالى
ولتختم هذه المقالة باختصارها في كلمات معدودة فنقول:

كل من اتى باصلاح في الارض من قبل الله تعالى فهو نبي ومحمد قد اتى بالاصلاح من
قوله تعالى فهو نبي والدليل على ان اصلاحه من عند الله انه ليس مستمداً من معلومات
من جاوره من الناس كما بيناه آنفاً وان ما اتى به لا يقدر البشر على الاتيان بمثله جزء
منه اذ لو كان مقتبساً من علمهم لكانوا اقدر على الاتيان بذلك قال تعالى (فان لم يستجيبوا
لكم فاعلموا انما نزل بعلم الله)

اذن القرآن كتاب الله وكل ما فيه حق من عنده تعالى فيجب الايمان به والعمل بما فيه
لنحوز سعادة الدنيا والآخرة، (محمد توفيق صدقي طبيب بسجن طره)

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

المكتوب الثاني

من إراسم الى «أميل»

فراق الولد لو ائده سنة فطرية - العلم في ألمانيا - تقدنا لتلميذ ما يقرؤه من أفكار
غيره - القصد في علوم العقولات نفع الأمة بالقيام بالواجب على قدر الطاقة - اختيار
الولد للعمل الذي يشغل به - بيان انه لا حرية لامة يتكالب شبابها على تولى أعمال
الحكومة - التحذير من الملاحدين - بيان ان الرأي العام لا قيمة له الا اذا كانت الحكومة
شورى - خدمة الأمة لذاتها لا للجزاء

لوندرو في ١٣ فبراير سنة ١٨٦٦

اذا كنت يا عزيزي «أميل» تألم من استيحاك فنحن نألم من فراقك ولكن يجب
هنا التسليم والرضا بما لا بد منه واعلم انه لو كان في وسعي أن أبرح لوندرو وأخلف من أقوم

عليهم من المرضي لمراقبتك الى حيث أنت الآن لكنت فيه متردداً فقد آن لك أن تتعلم كيف تدير سيرة الرجال ان الطيور لتحب افراخها ولكنها متى آنت فيها من القوة ما يكفي لاستقلالها بنفسها في الطيران شجعها على تجريب أجنحتها فيه سنة الله الذي أراد أن يهب الحرية لجميع البرايا

أنت تعلم حق العلم اني لم أرسلك الى «بُن» الا لاسهل عليك درس لغة الالمانيين وأخلاقهم وأفكارهم وأنا أعلم انك الى الآن قد استقلت بنفسك في تعلمك فكنت في باطن الامر وحقائقه استاذاً لنفسك ومرشداً وليس ما أخذته عني من الدروس شيئاً يذكر ولكن قد اقتضت أحوال هذا العالم أن توجد مذاهب وطرق لا بدني تعلمها أن تلمس من ينابيعها والمانيا في يومنا هذا هي مقبسة نور العرفان وهي البلاد التي يجب أن يعرف لها الفضل في الحكمة والعلم والنقد وآداب اللغة ومدارسها الجامعة محط رحال الكثيرين من أفاضل الاساتذة وجوذاة العلماء ولست مع ذلك أدعوك الى قبول تعليمهم على غير بصيرة وتلقي أقوالهم وآرائهم قضايا مسامة اذن أكون قد تخلت عن جميع الاصول التي أسبر عليها ان للانسان شيئاً لا ينبغي أن يسمح به لاحد الا وهو حرية الفكر فالعلوم التي تتلقاها في الجامعة لا يمكن أن يتسع بها نطاق عقلك ويقوي بها ادراكك ما لم تراقب ما فيها من أفكار غيبيك مراقبة ذاتية وإياك ثم إياك أن تهلك قواك التي أنت محتاج اليها في العمل بفراط الانكباب على دراسة العقوليات باللغة ما بلغت من الطلاوة وبمد الفور فالبحث في العقوليات لا قيمة له الا اذا أدى الباحث الى وسيلة ينفع بها نظراءه والمحب لنفسه من يقصر ثمره فكره ودرسه عليها لاصراء في ان الاتصاف بالعلم من الامور الحسنة ولكن أجل منه وأحسن أن يكون الانسان محباً لوطنه نافعا لأهله ولا يعزب عن ذهنك ان المانيا ليست بلادك وان آثار سلفك هي حكمة القرن الثامن عشر وان أمك هي الثورة الفرنسية.

آلتي عبارة من مكتوبك وهي قوالك «اني أحيانا آنس من نفسي فتورا في الهممة وضعفاً في المزينة وأسائلها عما أصلح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صديراً فأعلم انه ليس من الضروري لتحقيق النفع في الانسان أن يكون من كبار الرجال فأيمس رجل صدقت نيته في فعل الخير وصبح قصده للنفع فانه يفر من جملة القوم الذين يعيش

فيهم بقدر ما من التغيير وعلى كل حال ليست الحياة الا نتيجة القيام بفروض صغيرة فمن أداها كلها بما في وسعه من الوسائل كان في الغالب أفضل ممن يسعى في الاشتهار بعمل خطير وليس شيء من أفكارنا ولا من أعمالنا بضائع علينا فان آثارها تظهر فيمن حولنا من الناس أو فيمن يخافوننا ومن ذا الذي يستطيع أن يقول ان الحركات الكبرى التي غيرت أحوال العالم من جهة السياسة والعمارة لم يكن فيها المستضعفين الحاملين من الخدمة والعمل ما لا رؤساء الميطرين كلابل ربالم يكن ظهور هؤلاء واشتهارهم الامورة منسكة افضائل أولئك ومساعدتهم المحمودة

اقنع بأن تكون كما أنت مع مواصلة السعي في تنمية غراثك وتوسيع نطاق مواهبك بالأدب في العمل والمدارسه وإذا احتجت في بعض أوقاتك الى تكبير دائرة وجودك فصفح دواوين الشعراء الحقيقيين وكتب أئمة النظار المشهورين وتتمع بما تجده في نفسك عند مطالعها من عظم القدر وسمو المكانة الذي يسري اليك منهم فان في ذلك غبطة لا يحيط بها الوصف فإذا هبطت من هذه المقامات العلى لم تصدم حولك من النفوس الصغيرة المحتاجة للاستضاءة بنور العلم من يقينك الاشتغال بهم عن الاهتمام بهم وهم ومن صنائع البرما فيه تسلية لك عما يعوزك من الخصائص واعلم انه لا يتألم بما في عقله من مواضع الضعف والقصور المحب لنفسه أو خيث وامان يستسلم ويرضى بقدرته ويتعلم ليعمل فانه لا يطلب فوق ما قسم له من النبل شيئاً بل يكون مقتبلاً به غير حاسد لغيره

أراك أيضاً تغلو في الاهتمام باختيار ما تمارسه من الاعمال فانه وان كان مما لا مزية فيه ان كل فرد من الناس يجب عليه أن يعيش من كسبه وكده واني أغتم لورأيتك مفرطاً في هذا الامر الذي هو أول فرض على الانسان ينبغي أن تعلم ان جملة الدروس التي تلقاها الآن مع كونها تؤدي الى جميع الحرف لا تتفتح لك باب واحدة منها ولا أرى في ذلك ما يدعو الى كدرك لان كل عام تحصله هو ذخيرة لعقلك فان لم يفدك في نفسك فقد تجدد فيه وسيلة لنفع غيرك على ان ما في الكون من طوائف الامور المختلفة وطبقات الحوادث المتباينة مرتبط ببعضه بعض فلا بد في معرفة أحدها منها معرفة صحيحة من معرفة أمور كثيرة لها هذا الامر تعلق بعيد ولست بهذا القول ألزمك السعي في تحصيل ما يسمي

بالعلم العام الذي هو ضرب من الخيالات والأوهام وإنما أريد به تفهيمك أن للعلوم قضايا عامة لا بد لك من تصور حدودها الأصلية قبل تفرغك لتحصيل علم منها على حiale

أنت ولي أمرك في الحكم على ما يلائمك من الاعمال وليس عليّ إلا أن أسألك عدم التأني في ذلك باخوانك من الطلبة فكن كما يرشدك اليه خلتك وميلك أما طبيباً أو محامياً أو مهندساً أو صانعاً أو آلياً أو غير ذلك ولكني أسألك بالله أن لا تكون تاملًا للحكومة

أي حرية ترجي تقوم يتطلع المتعلمون من شبانهم الى النظام في سلك عمال حكومتهم قد كان فن ظلم الحكام للناس في الايام الحالية من الفنون الصعبة الكثيرة المشكلات التي يلزم لتعلمها استعداد خاص ونفس كنفس مكافيل (١) وأما الآن فيظهر من أحوال الرعية انهم يضنون أشد الضاية بكفاية حاكمهم مؤنة استعبادهم بالحيلة أو القهر لأنهم يتهاقنون على احتمال نير عبوديته فأني ملك أو عاهل يجحد حول أريكته رؤوساً خاضعة والطامعاً سافلة نهمة طامع الكلاب التي لاهم لها الا قضم المظام مادام بين يديه من الاموال الوفرة ما ينفقه كيف يشاء ومن المناصب وألقاب الشرف والرتب الكثيرة ما يوزعه على من يريد

ليس الاتحاد والوقاحة مقصودين على أحداث ألمانيا فانك حينما حالت تجد من الشبان من لا يمتدنون بشيء ولا يوقرون شيئاً فكن منهم على حذر لان هذا القسوق العقلي يساعد قطعاً على تثبيت الاوضاع القديمة ذلك ان هؤلاء الذين يدعون لانفسهم حرية الفكر لم يخلصوا من قيد الآثرة ومن هذه الجهة تأخذ الحكومة منهم بالتواصي والاقدام أعني ان عبادتهم لنجج مساعيمهم وطمعهم في الوصول الى ما يبتغون وظلمهم الى المناصب والتمتع بمرتباتها الجسيمة لاتثبت أن تدعوهم الى توقيف النظام الذي سقته الحكومة واجلاله واني لأعتقد بجرأة العقل ما لم تهجها بسالة النفس وتزهاها عن الاغراض ثم انه مهما كان بلوغ كل أمنية في الدنيا ممكناً بمحض هوى القبر ورضاء لم

(١) مكافيل هو أحد رجال الحكومة الإيطالية ومن كتابها المشهورين ومن

كتبه كتاب الأمير وهو مختصر في السياسة المفسدة للاخلاق

يخدم المستبدون عبيداً منحوسين في خدمتهم يعملون لهم ما يشاؤون وتجد من كانوا من الشبان بالأسس منطقيين متعادلين يصبحون وهم أكثر الناس سجوداً للقوة واستكانة للسلطان .

ولاية أعمال الحكومة هي بلاء الأمم في هذه الأيام فالبلاد التي رئيس حكومتها هو الذي يوزع مناصبها لا يمكن أن تكون آراء الناس فيها النتيجة عمل حسابي يسارع منها فإذا وقع خطأ سياسي أو ديني من الحاكم وكان ينتج للموافقين عليه بعد الحساب عشرة آلاف فرنك مثلاً فإنه يصير حينئذ صواباً وإذا أتى أمراً خبيثاً ودفع ضعف هذا المقدار قيل أنه قام هذه المرة بما تدعو إليه الطمة والبسالة فيجب الإخلاص له يلهج الناس كثيراً بذكر الرأي العام ويقولون أنه أقوى كفالة للحق والحرية وهو صحيح إذا كان أمر الأمة يدها وكانت هي التي تلي شؤون إدارتها وأما إذا كان حالها غير هذا فالرأي العام نفسه قد يكون فيها آلة للاستبداد فإن أكفل وسيلة لظلم الأمة هي اعدام شرف النفس من أفرادها وإزهاق روح الاستقلال بينهم تجيب الحكومة القائمة اليهم وجمالهم على رجاء بقائها . ورب قائل يقول إن عدد العمال في الحكومة لا يذكر في جانب السواد الأعظم من الأمة فأجيبه إن هذا الاعتراض عبث لانه قد نسي أن يزاء كل عامل نال منصباً ألفاً من الناس يطلبونه ويرجون رجاء قوياً أن ينالوه يوماً من الأيام فعمال العمال يكافئه عالم آخر من السائلين ومن ورائهم جميع طلاب الاموال وإذا كان تحرير الناس من الاستعباد لا يتأتى إلا متى أعانوا عليه بإرادتهم فأى وسيلة تبينهم على إرادة التنصيص من ربقته إذا كان فريق منهم وهم الذين تقوم لهم الحكومة بنفقات مطعمهم وملبسهم ومسكنهم قد بلغت بهم الحال إلى أن يكون استعبادهم قوام معيشتهم والفريق الآخر يخطونهم على هذه النعمة ولا يأسفون إلا على عجزهم عن مشاركتهم فيها

ولست أقصد بهذا القول أن من لوازم المناصب العامة تصفير نفوس القائمين بها أو الساعين في تقلدها حاش لله فإنها في الحكومات الحرة كحكومة أمريكا مثلاً من شأنها أن تنمي فيهم قوة العزيمة ومكارم الاخلاق لأن الحكم في اختيارهم راجع إلى انتخاب الأمة ولأنهم إنما يملكون بالأعمال مروراً ولأن جميع الولايات لا تثبت

أن يهودا أمرها إلى الأمة فتقلدها من تشاء ومن هنا يهائم أني لا أتكلم عن الأمم التي حكومتها مؤسسة على الشورى وإنما أتكلم عن الحكومة التي تولى العمل فيها بالحجابة والهورى فشأنها يتبدلون ويصغرون بسعيهم في تقلد تلك الأعمال لأن حكومتها لا تبني في الحقيقة الأنفوساً سلسلة القيادة تلصق بما جرى عليه العمل من التقاليد الإدارية وطباعاً لينة عطفت على كل ناحية فلم تبق لها وجهة ذاتية وعقولا متفتحة ولولم تسم عن عقول العامة تستعمل زخرف القول في تصوير ما وضع من النظام بصورة مقبولة، واني لتمر بي سمات أحدث فيها نفسي بأن من ظلم الشعوب أن يلوموا حكامهم على استبدادهم فأني معنى للوهم إذا كانوا قد جعلوا مقاديرهم بأيديهم وكان الآله لا يتمنون لابنائهم الانتقال المناصب ذات الرواتب العظيمة التي لا عمل فيها بدلا من صرفهم إلى وجوه الكتب الأخرى بل إذا كان كل الناس يؤمنون أن يكونوا عالة على المصلحة العامة ويودون لو أن للحكومة من العقل والوداعة ما يكفي لحماها من الاتفاخ بما يقدمونه لها من الفوائد فما استغف عقولهم إذ جعلوا أنفسهم تراباً لهم يدهشون من وطء الحكام إياهم أنا لا أنكر أن نيل الشاب منصباً من المناصب الكثيرة المقررة في الحكومة أسهل عليه كثيراً من أن يشبع نفسه بالكتب في قومه بمجدارته وأهليته الذاتية ولهذا لا يلبث الإنسان أن يعرف الأمم التي اعتاد الارتزاق من حكوماتها لما يكون فيها من فقد الاستعداد لإنشاء الأعمال وابتكارها فترى الصناعة والزراعة والتجارة تنساق في مجرى العادة بتكلف وجهه والاموال تمحذر الخروج من جيوب المتولين والتدابير التجارية التي تأتي الحكومة حمايتها يشق عليها كما يقال ان تطير بأجنحتها والصناعات الحرة تحوم حول السلطان لنيل الأعمال والحجابة وترقب فرصة التطفل على مائدة المصلحة العامة وآداب الآفة والنون تأثر بقوة السلطان وتبدل بتدلي الحياة العامة التي يحطها سلطان رجل واحد وحاجة التنفيذي من يد الحكومة تزيد على الدوام عدد طائفة التمدن والمملكين

كأن بك قول لي إن ذلك الذي وصفت عيب في شكل من أشكال الحكومة وذهب لجموع الأمة التي ترتفع هذا الشكل وأنه ليس مما يمتد به كثيراً أن يزيد عدد عمال الحكومة واحداً أو ينقص واحداً لأنهم جيش لا يبعد فأجيبك على هذا بأنني لست أعجل

ان واحدًا من الناس ليس في قدرته أن يهرباً حوالاً أمة بأسرها ولكن اذا ارتكن كل فرد من افرادها على هذه الغفلة فاستسلم للتيار المحتوم الذي يسوق غيره فلا ينبغي أن يرجى شرف للأوضاع القومية ولا حرية للناس . إن الأمم اذا تدلت وفشت فيها عدوى التآمر وجب على كل انسان حقيق بأن يسمى انساناً أن يرفع لها من نفسه لواء المجدي يدعوها الى النهوض فانها لا تنهض من انحطاطها الا بالمجاهدة وبذلك القوة الذاتية وكم من رجل يشكو من خسة السر اثر في قومه ويتألم من دناءة نفوسهم وهو شريك لهم بالواسطة في فعل ما دأبهم الى هذه الحالة بكثرة خشيتهم وخروجهم في سيرة فاه اذا تعففت هو عن تولي المناصب الرسمية قد يدير بها لابن أخيه أو لاحد اللاتدين بيته ويهدأ بصير شريكاً في الضرر الذي يندب سوء مغاير

هذه ياتي أفكاره قد انضيت بها اليك صراحة فان كنت لا بد راغباً في بلوغ منصب رسمي فوسيلتك اليه ميسرة جداً وهي أن تذل وتستكين وأما اذا فضلت كرامة نفسك واستقلالك وشركك على المزية التي تجدها في سهولة فتح باب الكسب وسرعته فاني أعتك عليه من صميم قوايدي ولكن لا بد لك حينئذ أن تعرف ما أنت داخل فيه فانك بتنازلك عن رماية الحكومة تضطر الى كسب قوتك بالعمل والجهاد ولا تجد من أحد جدياً على كدك ولصبك وترى كثيراً من الناس يسخرون من بسالتك واقدامك

فعلام محبوبك اذا كنت تسفههم وزري عليهم بالهرج الذي تسير عليه في عملك وفكرك أخدم الامة ولا ترج منها جزاء ولا شكوراً فانها لا تملك ما يجزيك به لانه ليس يدها شيء من أموال البلاد ولا من ألقاب الشرف ولا من وسائل التوبة واعلاء الذكر وعلى انها قد تنكر ما لك من حسن النية في خدمتها فليس عليك حينئذ الا الاعتماد على قواك الجسدية والعقلية . . . وانه ليس في هذا الانكار للتوقع ما ينبغي أن يريك فانيست أهم مسألة للانسان في حياته أن يبالغ مقاماً سامياً بل المسألة الكبرى هي أن يكون قومه أعلى من المقام الذي يشغله

وأما أخبار البيت فنهان دولاء عهدت الى إعلامك بأن طيورك وزهورك في حالة راضية وان دنائتك بعد أن حفظت في بطن الارض مليونين أو ثلاثة من السنين سالمة من التغير قد تغيرت قليلاً من غبار لندرة ودخانها وبأنها قد تربت مجموع حشائشك ولها أشدك ذكراً منك لها

وفي الختام أقبلك أنا وأهلك قبلة الوداع ونرجو أن نكون دائماً على علم بدروسك ومقاصدك وحالة مصيبتك فكل ما يتعلق بك يعنينا . اهـ

أشهر مشاهير الاسلام

المجلد الاول من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

قد صدر الجزء الرابع من هذا المجلد وهو في سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومن أشهر من رجال دولته وصفحاته ٢٢٠ وقد كان مصنفه (رفيق بك المنظم) وعديان سيوحز القول في خلافة عثمان وعلي (رض) تحامياً للخوض في مسألة الخلافة وبتأثر الفتن في الأمة فإزاله به محبو التاريخ وطلاب الحقائق من قراء كتابه حتى أرجعوه عن رأيه وأقنعوه بوجوب بيان تلك الحوادث بطلانها وأسبابها ونتائجها ومداوالاتها فأقسم على البحث بما عهد فيه من الأدب والأخلاص، والبعد عن التشيع والأعصاف، فنبأ بمصاص الأخبار، واستخرج منها آيات العظة والاعتبار، ولم يأل جهداً في حسن الاختيار، واستنباط الحكم والأعذار ولطفاً بالصحابة الأخيار.

تصفحت جل ما كتبه في القصة التي أدت إلى قتل عثمان (رض) فقرأت فيه قد حصر ما قومه الناس من عثمان بحق في غلبة بني أمية على أمره حتى استبدوا بالامر دولة وأفتاتوا عليه وحلوه على الرجوع بما عهد عليه المسلمين وتاب عنه في محفل كبراء المهاجرين وبين أن أهل الرأي ورجال الشورى من الصحابة خافوا أن يحملوا الخلافة أموية تقوم بالهسية لأقرشية تقوم بالآفة ذهاب والشورى الشرعية، وكشف الحجاب عما كان هناك من الجمليات السرية التي تخرض الناس على التآلب على الخليفة وإزائه بإبعاد دهاة بني أمية عنه أو اعتزاله وخلع نفسه، وبين أنهم لم يكن أحدهم من كبراء الصحابة وزعمائهم يعتقد أن الأمر يصل إلى ما وصل إليه وأنهم يتلون الخليفة ظلماً ولم يفعل فعلا يبيح دمه، واتحل لثمان أحد عذرين في الاعتصام بقومه أحدهما أنه علم أن رجال الشورى الستة كل منهم يريد الخلافة لنفسه وله أنصار فخاف أن يترك أنصاره الأقربين من بني أمية فيختلف القوم دونه ويتوئب عمال الأمصار عليه فلا يجد له عاصماً لذلك ولا هم الأمصار وزاد استعصاماً به حين سئل التخلي عنهم، وثانيهما أن قومه استلوا جانباً واستغفوه فطلبوا على رأيه فيهم. أقول إن الثاني هو الصواب وبدل عليه تعويله على تحية مروان

وذويه وتصريحه بذلك في خطبته التي بكى فيها وأبكى الناس (وهي في ص ٧٩٧ من الكتاب)
وفيها إن بني أمية قد استحوذوا على عثمان بذلك وملكوا جثته لكبريته وضعفه فمذّوه
واستذّوه واقفات عليه مروان بما افقت.

يعلم كل من قرأ تاريخ المسلمين أن تأليب الناس على عثمان لم يكن يرجى له صمد
الاباء من له الخلافة وخلف نفسه منها أو بهزل مروان وغيره من دهاة بني أمية الذين غلبوا
على أمراء وتلدوا معظم أعماله وقد علمت رأي المصنف في الأمر الثاني وأما الأمر
الاول فقد ذكر أن لامتناع عثمان عنه أحد أسباب ثلاثة ١- ضعف الإرادة الذي هو أثر
كبر السن، ٢- الخوف أن يسجلوا عليه ما تهموه به من الأحداث وهو يستقد أنه لم يستعمل
فيها محرراً ٣- العمل برأي مروان وأضرابه الذين كانوا يعلمون أن أمر الملك لا يتم لهم
الإبارة الدم والثالث هو الصواب وربما كان غيره دأماً له ولولا له لكان يمكن أن يقال
إن امتناعه من اعتزال الخلافة مع تأليب الناس عليه وحصرهم إياه هو من قوة الإرادة
لأن ضعفها ومن فصول الكتاب الذي تستحق أن ينبه عليها ويلفت إليها فصل عقده
لأبائت عدم تحمل رجال الشورى على علي كرم الله وجهه ويان أن خلافة كل واحد من
الراشدين جاءت في وقتها اللائق بها

ورأيت صديقي المؤلف قدأكثر القول بهذا الجزء في تقرير رأيه في الخلافة
والحكومة الإسلامية ويان ضررها ينكره منها ويهدأ أصل البلاء وعلة الضعف والشقاء
وهو أمران عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث كان شكل الخلافة
وسطاً بين الشورى والاستبداد أو بين الحكم المطلق والحكم المقيد إذ أنطوا بالخليفة جميع
الأعمال، وثانيهما اصطباغ المسلمين في حياتهم السياسية بصبغة الدين وعدم الخليفة
رئيساً دينياً

قراء التاريخ يعرفون رأيه في هذه المسألة ولم يشعروا المناظرة التي كانت بينه وبين أحد
علماء الهند في هذه المسألة. وأقول إن هذه المسألة الكبيرة لم تحل فيما كتبه فلا تزال في حاجة
إلى التحرير وكننا وعدنا بكتابة رأينا فيها تفصيل ولما تسعجنا الفرس بذلك وتقول
هنا إن ما جاء به الإسلام في ذلك وما كان من انتخاب الخلفاء الراشدين وسيرتهم يصدق
عليه قول الإمام الغزالي في نظام الوجود العام وليس في الامكان أبدع مما كانه إلا ما كان

من إصرار عثمان على إمساك مروان وغيره من ذوي قرابته الذين تقم منهم المسلمون ولقد يظهر للأورخ الذي وقف على نظام الحكومات النيابية في هذا المصراع أنه كان ينبغي للراشدين أن يعضوا نظاماً مثله واذا لم يفعلوا فلنا أن نحكم بأن عملهم كان ناقصاً. ومثال هذا مثال من يشكر بعض مظاهر الوجود التي رأى من جنسها ما هو أحسن منها غافلاً عن إمكان ذلك وعدم إمكانه بحسب سنن الكون العامة

الحكومة النيابية المنتظمة القائمة على أساس الشورى والاختيار لاتصل اليها الأمم الا بعد أن تتربى وتعلم في مدرسة الحكومة الاستبدادية زماناً طويلاً فلم توضع حكومة نيابية منتظمة على وجه الأرض بمجرد الرأي والاستعسان من أفراد أسسوها وأقنعوا الأمة بأن فيها مصلحتها فقامت بها وثبتت عليها اقتناعاً بقولهم وعملها برأيهم. وإنما كان تأسيس الحكومات النيابية والجمهورية بما نعلم ويعلم صديقنا مؤلف أشهر مشاهير الاسلام ثم كان تقدمها وثباتها بالتدرج بمدار تقاء الأمم في العلوم والأعمال الاجتماعية بالتدرج أيضاً كان يقول كما يقول بعض الناس أنه كان ينبغي للمسلمين أن تعلموا كيفية تأسيس الحكومة النيابية من جيرانهم الرومانيين ثم هو يتنذر الآن عن الخلقاء الراشدين بأن الحكومات النيابية كانت بعيدة العهد يومئذ من مجاورهم الرومانيين فاجأوا الى إناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة (ص ٦٧٩) فيالله وللرومانيين هل كانت قوانينهم ومجالس شيوخهم ونوابهم عاصمة لهم من السقوط في هوة الاستبداد ثم من تحويل الجمهورية الى امبراطورية. ألم يكن الاشراف هم أصحاب المجالس والحقوق والموام لاحقوق لهم؟ ألم يكن الدافع للملك سرفيوس المصالح الى منح الموام جميع الحقوق الرومانية هو التخليص من أثره الاشراف وظلمهم وشدة فرقة منهم؟ ألم بات بعده الملك الطاغية تار كان بأشد ضرر الاستبداد تشويهاً فأفاد كل ما كان أصابعه سرفيوس. وكان يقتل كل من يتوسم فيه عدم الاخلاص له من أعضاء مجلس الشيوخ والاعيان ويسخر الاهل الى أعماله الخاصة حتى كانت مظالمه العامة هي السبب في تأسيس الجمهورية سنة ٥١٠ ق م لم يحول أغسطس قيصر الجمهورية بعد استقرارها الى امبراطورية سنة ٢٨ ق م أولم يحول نابليون الجمهورية الفرنسية الى ملكية ويفعل فعله بمجلس النواب على ان شعب فرنسا كان ارقى من شعب رومية يومئذ؟

هل تأسست الجمهورية الرومانية كاملة؟ ألم يكن ضباط الجيش هم الذين يتخبون النواب في الحكومة الجمهورية؟ ألم يكن هؤلاء الضباط وعسكرهم آله في أيدي الاشراف المستبدين؟ ألم يقاوم الاشراف اقتراح دقوا ليروء أن يكون الشعب هو الذي ينتخب نوابه حتى تار الشعب ونال هذا الحق بالثورة سنة ٤٧١ هـ؟ هل نال الشعب بعد هذا حقوق المساواة الا بالتدريج إذ نال المساواة في الحقوق المدنية سنة ٤٥٠ ق م والمساواة في الحقوق السياسية سنة ٣٩٧ والمساواة في الحقوق القضائية سنة ٣٢٩ ثم لم يتم له حق المساواة في الاعمال القضائية الا بعد سنين، والمساواة في الدين سنة ٣٠٢ ق م؟

أولم تكن المساواة في جميع هذه الحقوق عامة في الحكومة الاسلامية من أول يوم لاسطباغها بصفتها الدين الذي يخضع المتدين لاحكامه عند ما يسمها؟

نعم كل هذا مما لا ينكره طرف ولولا ان كانت أركان الحكومة الاسلامية قائمة على أساس الدين لما استقام للمسلمين حكمهم ولما وجد ذلك المدل العام الذي لم تكتحل عين الزمان بمثله حتى اليوم فان الدولة الانكليزية التي هي أرقى الامم الاوربية في حكومتها وأقربها من المدل في مستمراتها لاتساوي بين أبناء جلدتها في الحقوق وبين الهنود بحيث تقص من مثل اللود كتشتر لرجل هندي كما أراد همر أن يفعل بجيلة بن الايهم ملك غسان وكما ساوى بين عربي ورجل من آحاد يهود وكما عد الصحابة من أحداث عثمان التي توجب خلعهم عدم قتل عبيد الله بن عمر أمير المؤمنين بالهرمز ان الفارسي الذي قتله لقيام القرينة عنده على إغرائه بقتل أبيه أمير المؤمنين وان استرضى عثمان ولي الله بماله الخ الخ

وسندين في مقال خاص بهذه المسألة كيف كان ماعمله الراشدون هو المتدين الذي لا يمكن أن يكون خير منه يومئذ وكيف كان الفساد الذي طرأ على الحكومة الاسلامية فأضمت الامة وزعزع الملة محصوراً في هدم بني أمية للقواعد التي وضعها القرآن للحكومة الاسلامية وأيدتها السنة وهي ابطال العvisية الجنسية وجعل أمر المسلمين شوري بينهم والاذن لاولي الأمر وهم أهل الحل والعقد باستباط الاحكام مجتهدين وإيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول والفعل

وجلة القول في هذا الجزء من كتاب أشهر مشاهير الإسلام انه من أنفع الاجزاء

وأشدها عظمة وتذكيراً بحال سلفنا «وما يتذكر الأولو الالباب» وهو مطبوع طباعاً حسناً على ورق أجود من ورق الاجزاء الاولى وثمن النسخة منه ثمانية قروش صحبحة واحجرة البريد قروش ونصف ويطلب من مكتبة المنار وغيرها

تاريخ تمدن الاسلامي

قد صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب مؤلفه جرجي أفتدي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بالبحث في سياسة الدول العربية في الشرق والغرب وقد جعل الكتاب أبواباً غير عنها بالصورة فأولها العصر العربي الاول وفيه الكلام عن حال العرب وعصبيتها قبل الاسلام وعن الارقاء والموالي والاجاب والسياسة في الجاهلية ثم عن سياسة الخلفاء الراشدين وسياسة الامويين واحداثهم في الدولة والاسلام . وثانيها العصر الفارسي الاول ويعني به زمن نفوذ الفرس واستبدادهم في الدولة العباسية من خلافة السفاح سنة ١٣٢ إلى خلافة المتوكل ٢٣٣ وفيه الكلام عن سياسة العباسيين وحريةهم والعصبة العربية في زمنهم . وثالثها العصر التركي الاول وفيه الكلام عن الجند التركي في الدولة العباسية وعن الخدم ونفوذهم وتأثير النساء في سياسة الدولة وفي هذا العصر كان مبدأ فسادها وسقوطها ثم الكلام في تشعب المملكة العباسية وانقسامها إلى دول فارسية وتركية وكردية . ورابعها العصر العربي الثاني في الاندلس ومصر وخامسها العصر المغولي أو التركي وفيه الكلام عن انحلال المملكة الاسلامية بقيامه الترك وتكليفهم بالمسلمين إلى أن نهض الممانيون بتكوين دولة جديدة قوية . هذا موضوع الكتاب وهو من الفائدة بالمكان الذي يستقي فيه عن التثريب به والحث على مطالعته . وانا نرجو ان يأذن لنا الزمان بفرصة نطالع فيها هذا الجزء وما سبقه بالتدقيق لنعطيا حقهما من النقد والتعريف فنكون من الشاكرين لمؤلفه على اجتهاده العظيم في هذه الخدمة لتاريخنا المبعثر في كتب الاخبار والآثار

مرشد الهدايات . إلى واجبات الحلاقين والدايات

كتاب جديد للدكتور أحمد أفتدي الدرندي مفتش صحة الفيوم . ويهني بالحلاقين الاطباء الذين خصتهم الحكومة بالكشف على الموتى لتحقيق موتهم ولمعرفة

سببه وبالتبليغ عن الامراض الروائية والتلخيص لمنع الجدوي . ويعني بالدايات القوابل .
والكتاب يشرح الامراض التي يتساق بها عمل الفريضة وبين ما يحجب عليها فله
ومباحته نافعة ينبغي اطلاع كل قارى . وقارئة علم ليكون الناس على بصيرة من الامراض
التي تعرف لهم ولهم يعيشوا منهم فله وثب الكتاب الشكر أن طبع هذا الكتاب
ومن الشكر الاقبال عليه

(ديوان الرافعي)

قد طبع مصطفي صادق أفندي الرافعي الجزء الثاني من ديوانه وشعره فيه يدخل
في ستة أبواب أولها باب التهذيب والحكمة وثانيها باب النسائيات وثالثها باب الوصف
ورابعها المدح وخامسها الفزل والتسبيح وسادسها الاغراض والمقاطيع وصفحات هذا
الجزء ثمان ١٢٠

ومما يذكر له أنه أكرم ديوانه عن مدح زيد وعمر وخالد وبكر فلم يمدح من عظماء
الدنيا غير السلطان وأهـر مصر ومن عظماء الدين ورجال العلم غير الأستاذ الامام
(رحمه الله تعالى) ومن الاغنياء غير أحمد باشا النشاي أيام وفق للاحسان بماله ولهج
الناس بوقفيته . ومن باب النسائيات قوله في المرأة المصرية :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| أني عليك وان لم تشمري الامد | وأنت أنت مضي أمس وحل غد |
| فهبك عبداً فما من الناس ذو نظر | الا ويؤلمه في عينه الرمـد |
| وهبك قلباً فما في الخلق من رجل | الا ويوجعه في قلبه الكـد |
| وهبك من كبد في جنب صاحبها | أليس يحمل ما تنلي به الكـد |
| محيت لامرأة هانت وما اعتبرت | ومن زجال أهانوها وما رشدوا |
| كلامها وجل في الناس وامرأة | ولا تميز الا ذلك الجسد |
| وكل ما حولهم في الذل مثاهم | يستبد الجمل حق النهر والبلد |
| يا بنت مصر ولا قوم تزيهم | ولا بلاد ولا أهل ولا ولد |
| زأغت عيون بني مصر وضل بها | غى النفوس وهذا الجهل والتد |
| فأنت في نظر الراقي سائمة | وفي نواظر فلاحهم وتد |
| وأنت ينهم في كل منزلة | صفر اليسار به يتكلم المدد |

أقام في رأسك الجهل الذي سلفت به الليالي وفي أضلاعك الحسد
وما يحلان بيتا مكان في رغد الاوهاجر منه ذلك الرغد
(فالسحر والزار والاسياد) جعلتها لاهلها نكد ما مثله نكد
مائت في الصين والاوثنان قائمة ولا شياطين في كل الامور يد
تالله لو كان من علم وتربية شيء يمازجه ذا الصبر والجلد
اذا لما سخرت من بنت جمعتها من يومها السبت أو من يومها الاحد
فمن أرى وجلا فينا أو ابصراة بعد الحمود وطول الذل يتقد
ياقوم لو نام ليث الغاب نومكم لاستكشف الفار ان قالوا له أسد

فهذه القصيدة تشهر بأن الشاعر يرى وجوب تعليم النساء ليسلمن من الاوهام
والخرافات ولكن له ما يدل على خلاف ذلك كقوله في المقاطيع :

ياقوم لم تخلق بنات الوري للدرس والطرس وقال قيل
لنا علوم ولها غيرها فعلموها كيف نشر النسيل
والثوب والأبرة في كفها طرس عليه كل شيء جميل
وأحسن ما قرأت في هذا الديوان قوله في قنون من الوصف وذكر الليل
تقاصر عمر الزمان الطويل ولا بد من أجل للميل
وضاق به الأفق ضيق القبور فزم الكواكب يفي الرحيل
وراح تخفت هموم القلوب كما سار بعد المقام النقييل
لقد كدت أبغض لون الظلام لولا شفاعته طرف كحيل
طوى الشمس فاختبأت أختها غور الخزاة من وجهه قيل
وصككت إذا احتجبت قبله نجاذبها نسبات الأصيل
تري البدر غار فأغرى بها وكل جميل يماذي الجميل
أم الحظ أرسل لي ذا الدجى فكان الرسالة وجه الرسول
أم الليل قد قام في مأثم فنه الحداد ومني العويل
ولم أنس ساعة أبصرتها وجسم النهار كجسمي نحيل
وقد خرجت تمزي السماء عن بثها إذ طواها الأفول

على مركب اشبهته البروج تمر به كالبروق الخيول
 اذا قابله لحاظ البيون سمعت لاسياقهن سليل
 وان قاربته ظنون النفوس رأيت النفوس عليه تسيل
 وقد اخرجت فحات لرياض زكاة الرياحين لابن السيل
 وقد عبت الدل بالفانيات فذي تهادي وهذي تميل
 تأن الحواجب قوس فسا تحرك الاجلت عن قبيل
 كأن القلوب أضلت قلوبا فكانت لحاظ البيون الدليل
 حاتم في حرم آمن بهذا الضلوع بناء الخليل
 وما راعها غير لون الدجى يصدىء لوح السماء الصقيل
 فيا قبح الليل من قادم بوجه الكذوب ومرأى العذول
 بفيض النا على ذله وشر من الذل بفض الذليل
 وكم عزني بالاماني القى ارتني ان زمني بمجمل
 ومن امل الناس مالا ينال كما ان في الناس مالا ينيل

و عن النسخة خمسة قروش واجرة البريد قرش ويطلب من المكتبة الا زهرية بمصر

حقوق المرأة في الاسلام

أُنظمت المدنية الاوربية العالم كله ووجهته الى حياة جديدة من العزة والقوة
 فن الشعوب الشرقية من سار الى هذه الحياة من طريقها فأدركها وكل من سار
 على الدرب وصله وكل قاريء يعلم ان هذا هو الشعب الياباني وهناك قوم آخرون
 من الوثنيين في الهند يسرون على هذه الطريق ولو كان لهم استقلال في الحكم
 لصاروا دولة عظيمة . وأما الشعوب الاسلامية فقد وقفت أمام هذه المدنية موقف
 الحائر لا تدري كيف تستفيد منه وأول شعب اسلامي ولي شطرها هو الشعب المصري
 فان حكمه حاولوا اقتباس هذه المدنية منذ مئة سنة ولكنهم لم يسروا اليها من طريقها
 فكانت العاقبة ان احتلت بلادهم دولة اوربية في الربع الاخير من القرن
 لم يوجد للمسلمين حكومة تقودهم في الطريق الموصلة الى النافع من هذه

المدنية مع التوقي من مضارها ولم يكن لهم زعماء في الدين والعلم اذا قالوا يسمعون،
واذا هدوا يتبعون ، بل ظهر في شعوبهم للتمتع بشيء من وشل الحرية او عمرها
(كسلي روسيا والهند ومصر) كتاب ومؤلفون يدعون الى شيء من الاصلاح
الاجتماعي الذي حولت العالم اليه مدينة اوربا ولكن صوت العارف الناصح من
هؤلاء الكتاب يكاد يخفى بين ضوضاء الدوغم من المتطفلين والمقلدين والمتعجبين
بالكتابة والصحافة ولا غرض لهم منها الا ارضاء عامة الدهماء ، او التزلف الى بعض
الحكومات او الرؤساء ، ولو من الاجانب والفرقاء ، والدهماء في جهل معين ، لا يميز
بين الفث والسمين .

لا يكاد يوجد اصل من اصول الاصلاح الذي يحتاج اليه المسلمون الا وله في
ديهم دليل يرشد اليه ، او سبق عمل يعول عليه ، وقد حكموا التقاليد والمادات في
اعمالهم فلا الى هدي الدين يرجعون ، ولا بما تقضي به حال العصر يستبرون ، وانما
تدافعهم التقاليد القديمة والحديثة فيندفعون ، ولا يدرون في اي طريق يسرون ،
ولا الى اي غاية يصرون ،

امامك مسألة تربية النساء وتعليمهن وهي من اعظم مسائل الاجتماع في هذا
العصر والمسلمون في حيرة لا يدرون الصواب فيها وقد كثرا اختلاف الكتاب والمصنفين
فيها حتى كأنهم في مجموعهم خيال ذلك الشاعر الذي اوردنا كلامه المتناقض في النساء
آثاء صاح بعض الكتاب في الهند ومصر ان علموا النساء وربوهن ، فلا ارقاء
لكن مع جهلهن ، فصاح بهم آخرون انكم مخطئون ، تفسدون في الارض ولا تصلحون ،
وقد سمعنا في هذه الايام صيحة جديدة من مسلمي روسيا فان احديك آجاف احد
كتابهم المشهورين ألف كتاباً باللغة الروسية سماه حقوق المرأة في الاسلام ونقله الى
اللغة العربية سليم أفندي قيعين وطبعه وقدمه الى قاسم بك أمين الذي فتح بمصر باب
البحث في «مسألة النساء» بكتابه (تحرير المرأة) ثم كتابه (المرأة الجديدة)

ليني كنت أدري ماذا كان لكتابه من التأثير في بلاده واسله كان أقرب الى قلوب
الجمهور هناك من كتاب تحرير المرأة الى قلوب الجمهور هنا لان الناس هناك أكثر
اعتدالاً وأشد استعداداً فيما أظن ولان اسلوب الكتاب يوافق هوى المسلمين عامة

اذبرز في صورة الدفاع عن الاسلام والرد على الاجانب الذين يسيئون به الظن، ويكثرون فيه الطعن، فقد ذكر الكاتب شيئاً من إنك الأفرنج واختلافهم في الاسلام، وطعنهم في النبي عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر انصاف افرادهم عرفوا شيئاً من الحق فطلقوا ببعض ما عرفوا، ومن هنا انتقل الى الكلام في حقوق النساء في الاسلام لان الأفرنج يبالغون في الطعن بأحكام الاسلام في النساء، ويمدون بها من اكبر علال الشقاء، ذكر ما كان عليه النساء في الامة العربية وغيرها قبل الإصلاح الاسلامي ثم انه ذكر الأحكام التي انقر بها الاسلام في ذلك مستشهداً بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأحكام الفقهية على بعض المذاهب وقد انتقل بعد ذلك الى التاريخ فتناول منه شيئاً من سيرة المسلمات اللواتي اشتهرن بالعلم والأدب، ويقول المؤلف في الحجاب انه ليس من الاسلام في شيء، وجملة القول ان الكتاب نافع ولا يخلو من افكار جديدة ويقبل فيه ما يتناوله النقد فشره مما يزيد المسلمين بصيرة في هذه المسألة ان كانوا يطلبون البصيرة ليعملوا بها وأنى لنا العمل ومن ذا الذي يعمل وهذه مصر التي يذكرها المؤلف ويظن انها طاعة قد كثرت فيها الكتب المؤلفة في تربية المرأة وتعالجها لم تتغير الحال بها بل لا تزال الامة تدعرج في التيار الذي قد قذفها فيه الحرية الشخصية والتقليد الصوري فزاد النساء تبرجاً وتفتكا وزعماء تعاليم البنات في ايدي الاوربيين والاورد كرومر ينادي في تقريره الاخير بما علمه القراء في مقالات (الحياة الزوجية) فذعن في حاجة شديدة الى مدرسة اسلامية للبنات كالمدرسة التي كان الاستاذ الامام طارماً على انشائها للجمعية الخيرية وسرى ذكرها في ترجمته رحمه الله تعالى

كتاب الرسائل الزينية

زينب فواز أشهر النساء المتعلقات بالكاتبات العربيات لما لها من الرسائل في الصحف المنشورة، والكتب والقصص المنتشرة، وقد جمعت رسائلها المتفرقة في الجرائد، وطبعها في ديوان واحد، فإذا هي سبعون أو تزيد، وكم فيها من بحث طريف وموضوع جديد، كالكلام في بدعة الزار، وما فيها من الاوزار، وكوصف حفلات الاعراس، في بيوت كبراء الناس، وما للنساء من التقاليد والمادات، وفي تلك البيوتات، ومن هذه الرسائل مناظرات بينها وبين بعض الكاتبات والكاتبات، ومنها ما هو في وجوب تعليم البنات، وضمن الكتاب خمسة قروش صحيحة يضاف اليها قرش أجر تلايد وهو يطلب من مؤلفه المقبلة في سوق السلاخ بمصر

السبع والانحرافات

وَالْبَقَالِيَّةُ وَالْحِجَابُ

- تبرج النساء بمصر -

للكلام في مصر دولة ذات صولة بل له دول متعددة يصول بعضها على بعض والحرب بينها سجالات وأكثرها يقع في عالم من الوهم والخيال، هو بمنزل عن عالم الحقيقة والأعمال،

قال قوم ان النساء أسيرات الحجاب في سجون الخيال، قد استضعفن فاستبعدن منهن الرجال، فيجب تحريرهن من هذا الرق، والآن عليهن بعملة المنق، فقام آخرون يقولون ان هذا الحجاب، حكم أنزله الله في الكتاب، قالهاون فيه إهمال للديانة، وجناية على العفة والصيانة، وقد أذكروا هؤلاء القول وسودوا صفحات الصحف في التلم والشكوى من الدعوة الى تخفيف الحجاب، ونيز من يراه بالانقلاب

ليس من غرضنا أن نقول ان هؤلاء أو أولئك مخطئون وإنما الغرض أن نبين ان مسألة الحجاب مسألة كلام ومراء، لا مسألة إرشاد وإصلاح، وان الفيرة فيها ليست غيرة على الصيانة وآداب الاسلام، وإنما هي تقاير في ذرابة اللسان وخلافة الأقلام،

نحن نعلم ان نساء المدن الذين يطلق عليهن لفظ الخدرات والمتحجبات، لا يلبسن عشر النساء المسلمات، ثم ان مظهر هذا الحجاب وعنوانه هو البرقع والملحفة التي تعرف بالملاءة أو الحسيرة وأن خلت صاحبتها بالرجال، وشاركتهم في بعض المعاملات والأعمال، وكان الأصل في هذا البرقع أن يستر الوجه حتى لا يظهر منه الا العينان والأصل في هذه الملاءة أن تستر الرأس وجميع البدن فلا يبدو منها شيء،

فما زال هذا البرقع يرق حتى صار يشف عما وراءه فيبدو مستوراً أجمل منه مكشوفاً وما زال يدق من جانيه ويتدلى من اعلاه والملاءة تتحسر من حوله فتظهر الجبهة وقصبة الأنف والأذنان والأيتمان (صفحتا المنق) والوجتان ثم خرجت الملحفة التي تعرف بالملاءة وبالخبرة عن كونها ملحفة تستر البدن والياب والزينة فصار نساء الأغنياء

والتوسط ومن قلن من دونهن يستبدان بالملاحة الساترة عمارة قصيرة تتدلى
من الرأس إلى الرقبتين وكساء من نسيج العمارة يشدونه على صدورهن ويوزون
بساترة من أقماعين ويخرجن وهن كذلك إلى الأسواق والشوارع طسرات
من معاصهن الحيلة بالأسورة وسواعدهن إلى المرافق وإذا رقت إحداهن
بما ظهر من وراء الرقبة من العنق لأن أردان جليابها واسعة جداً تشبه أردان
الزجاجة، شوح الأزهر.

هذا ما تراه من صيانة مخدراتنا المسجونات وراء الحجاب، في زعم أنصاره
بلسان الكتاب، يخرجن في الأسواق والشوارع تبرج الجاهلية الأولى مظهرات
جميع رباهن جميع الناظرين فلا قرط ولا خاتم ولا سوار ولا خنخال، إلا وهو
مردص في الطريق لا نظار الرجال، والرأس نصفه مكشوف وكذلك الوجه إلا
ما على الفم وأربعة الألف من تلك الحريرة البيضاء التي تسمى البرقع وما هو إلا من
نوع الشفوف المعروف بالساري (الذي يكون المكتسي به كالعريان) أو الهنه الذي
هو أرق من الساري.

أن أصحاب الفرة الإسلامية الذين حملوا على قاسم بك أمين تلك الحملة أن قال
أنهم على المراتب تستر جميع بدنهم إلا وجهها وكفيها وأن لا تخلوا بأجنبي ولا تزيد لأن
هذا هو الطبع المشروع، ألا يحملون على اللواتي أظهرن الثمور والنحور والمعاصم
والسواعد والمرافق والأعضاء وطفقن يتبرجن بزيتهن هذه في كل مكان؟ ألا
يحملون على أزواجهن وآبائهن وأخواتهن وسائر أهلهن فيسفهون أحلامهم،
ويحركون غيرهم، ويأمرونهم بامساك أموالهم أن تنفق في إعانة نسائهم على هذا
النكر العظيم، لماذا تارت حميتهم على القائل ولم تثر على القاعلين والقاعلات؟ فإن
دعوا أن القول لا يفيد فلماذا خافوا من ذلك القائل ولماذا قالوا في حقه ما قالوا

النساء في مدن مصر لسن مسرقات فيدعي إلى تحريرهن، ولسن مظلومات فيدعي إلى
الرفق بهن، وإنما هن مسرقات للرجال، ظلمات لهم في الأنفس والأموال، والسبب الغالب
في هذا هو جهل الرجال وضعف إرادتهم وسوء إدارتهم فهم غبر رؤساء في بيوتهم، فإذا كان
تعليم البنات وتربيتهم على ما يجب وغاة المدنية سبباً لهموض الأمة من كبوتها وارتفاع

شأنها لأنهم يربون الرجال فيكونون أصحاب عزائم، ويمسهم فيعرفون حقائق المصالح، كما أنهم يربون صنفين على التوفيق والاقتصاد، والعمل الموافق لمصلحة البيوت ومصلحة البلاد، فمن المطالب الآن بتربية النساء؟ لا جرم أنهن هن المطالبات بتربية أنفسهن، لأنهن متصرفات بأرادتهن لإبرادة أوليائهن، ولكن هل يسمعن النساء، ويميزن بين ما يدعو إليه الجهلاء والمقلد؟

الحق أنه لا يرجى أن تقوم بتربية حسنة للبنات يرجى منها مقاومة تيار الفساد الجارف الابخثيق أمنية الأستاذ الإمام رحمه الله وهي إنشاء الجمعية الخيرية مدرسة لمن على الوضع الذي كان عازماً على تنفيذه في العام القابل بعد القيام بمجمع الامانة له في هذا الشتاء كما نذكر ذلك في موضعه فإذا كان عند أهل الفيرة على الدين والشرف وعلى الآداب والمدنية كثيراً فليذلوا للمال للجمعية وهي زعيمة بهذه الخدمة كما كان يريد ويحاول رحمه الله تعالى

حقوة الرجال وفسوقهم

ينما في النبذة الماضية أن النساء قد استضعفن الرجال فاتبعن الهوى، وضلن طريق الهدى، وصار التبرج في الأسواق، وابدأ الزينة للصالحين والفساق، سنة في العمل متبعة، وإن كان في الشرع بدعة محرمة، ولذلك يوشك أن تم جميع النساء، لأنهن خلقن موامات بالتقليد في الأزياء، والذنب في ذلك كله على الرجال، فهم الرعاة وعاليم تبعه الاختلال،

برخي الرجل لامرأته الطول، بعد أن يذل لها ثمن ما تشتهي من الحلبي والحلل، ويخرج إلى الطرق والمتزهات، يستشرف للظباء السامحات، فلا تمر به عذراء الاويلقي إليها قولاً، ولا تلمحه عوان الا يطلب منها نيلاً، وقد حماني على هذا الذي كتبت الآن اني رأيت رجلين في سن الكهولة عليهما أثر النعمة يمشيان في شارع من اعظم شوارع القاهرة فر بهما فتان صبيحتا الوجه فكرياً على عتيهما يقتفیان أثر البتين وينبذان بكلمات التصبي التي تغش لساعها نفس الحر حتى تكاد تقى صادف هذا المنظر من نفسي أشد الاستهجان على اني لا اكاد اصر في شارع ولا

أطل من كورّ الا وأرى ما يحاك به او يزيد قبحاً وشناعة وكأن السبب في ذلك انني
توهمت الادب والكمال في الكتابين

رأيت منذ ايام شابا يثار فتاة في حادة واسعة في احد جانبيها قامة واقذار
فكان كلما دنا منها بدت منه حتى اضطرها الى المشي في ذلك الجانب القذر فرأوا
من قذارة نفسه وتبن أخلاقه وما كان امتعاض من هذا المنظر الا دون امتعاض من
منظر ذنوب الكتابين الذين كانا يتكلمان بما يعد في العرف اليدي ظرفاً وذوقاً

ما كل مترجة بني او ملتصقة خدن بل فهن المقلدة في الزي كسلا تعاب بين
النساء بالهجز عن مجازاة صنفها او بالتأخر فيما يسمونه «المودة» ولكن هذا التبرج
مطعم للفساق - وما اكثروهم الاكثر الله من أمثالهم - ولهم العذر فقد ورد
في الحديث «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» رواه
ابن خزيمة وحبان في صحيحهما * ودخلت امرأة من مريضة المسجد توفل في زينة
لها فقال النبي (ص) «يا أيها الناس انموا نساءكم عن لبس الزينة والتبخر في المسجد
فان بني إسرائيل لم يلبثوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد» رواه ابن
ماجه والتبخر في الشوارع والمنازل ادعى إلى الفتنة منه في المساجد فهل من ذي
نفس آية، وغيره اسلامية، يسمى في ابطال هذه الازياء الفاضحة، والمعامي القاذرة
وهل للكتاب أن يحملوا على هذه العادات الشائنة حجة منكورة في الجرائد لهم يفيدون
حجج الحداد والمآثم

وقفت على عادة من عادات البيوت في الحداد لم اكن أعلم بها من قبل وهي
ان النساء يفرشن البسط والطنافس في البيوت متلوحة ويحلمن على الارائك والحمايا
التي يجلس عليها نسيجاً أسود ويفرن سائر ما في البيت من الاثاث والمتاع بعضه بالقلب
وبعضه بالترع وبعضه بتفشيته بالسواد ليكون كل شيء مذكراً بالمصاب باعناً على
تجديد الحزن واثارة الشجن * وهذه العادات عامة لا يكاد تخلو منها بيت عالم ولا
بجاهل ولا رفيع ولا ضيع اذا مات احد من اهله لاسيما كبير البيت * واتنا محمد
الله ان لم يتل من ربنا ينوم من الامل والمعاشرين بهذا البعد الشديد عن هدي
الدين والسخط لقضاء الله تعالى * ونسأله تعالى أن يوفق علماء هذه البلاد وكتابتها
الى الاجتهاد في تغيير منكرات الحداد والمآثم، وازالة ما اعتيد فيها من البدع والمآثم



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يدركه إلا أولو الألباب

المعراج

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيبينون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«منارا» كنار الطريق)

(مصر - ١٦ رجب سنة ١٣٢٣ - ١٥ ستمبر (أيلول) سنة ١٩٠٥)

تمت سيرة الاستاذ الامام

حجى نموذج من كتبه وترسله

كتب من بيروت سنة ١٣٠٢ الى صديقي عالم في بعض البلاد وفيه
من الحث على احياء دين الله ، والاهتداء بكتاب الله ، مالا تجد مثله في
كلام ، الا ان يكون مثل علي عليه السلام ، قال رضي الله عنه
السلام عليكم ، نحية أخ يهزه التشوق اليكم ، وبعد فقد تلقيت اليوم
كتابك وتشمت منه ربح الحجة ، والتمرة الدينية ، وأرجو ان تصل بك
بدايتك الى ما يختار الله لك من حسن النهاية ولم يكن ظني في همتك ،
دون ما تبينت في عبارتك ، فليكن سرورك بنفسك ، على قدر شفقتك
على دينك ، وحركة ميلك للاخذ بيده ، وتقويم أوده ، فاما هو الدين
المتين الذي أطلق العقل من قيده ، وأخذ على الوهم في كيده ، وهز النفوس
الى نيل الفضائل ، ونكب بها عن مشايعة الرذائل ، حتى ساد به الضمءاء ،
وذلت لسلطانه الاقوياء ، وسبق وعد الله بأن يظهره على الدين كله ، والله

منجز وعده لأهله ، وإنما خلقنا الله وكفنا صرف همومنا إليه ، وتمويلنا في شؤوننا عليه ، وليس لنا من الحق في أنفسنا وأموالنا ، إلا ما نبذله في تأييد ديننا ، ولا حاجة لله فيمن لم يكن له من نفسه وماله نصيب

داوم قراءة القرآن وتفهيم أوامره ونواهيه ، ومواعظه وعبره ، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي وحاذر النظر إلى وجوه التناسير إلا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه ، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصلاً ، ثم اذهب إلى ما يشخصك القرآن إليه ، وأحل بنفسك على ما يحمل عليه ، وضم إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفاً عند الصحيح المقول ، حاجزاً عينيك عن الضعيف والمبذول ، (*) واعتبر بما قامى النبي وأصحابه من الجهد والعناء لنصر دين الله ، وما ركبوا من المتاعب ، وما احتملوا من المصائب ، على ما تعلم من درجة قربهم إلى الله وغفراته لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، واجعل عيشك الآخرة واستعد لما وعد فإن سعادة أبدية ، لا تنال إلا بسيرة محمدية ، ولن تنال بنوم موسد ، على فراش ممهد ، واعلم أنك محاسب على الدقيقة من أوقاتك ، لا عزاء ذنبك كانت لك ولا كانت عليك ، وأرجو أن يكون كل سميك خيراً يحمله الله نوراً يسمي بين يديك أن شاء الله

أما ما ذكرت من مسألة الشيخ . . . فيودي لو توجه إلى الله كل مسلم ، واعتصم بحبله كل مؤمن ، فما بالك بشيخ من جمال الوصف على ما ذكرت ، ومن علو المنزلة على ما بينت ، فإن تبسر لك السبيل فتقدم

(*) يريد بالمبذول تلك الموضوعات التي يفبذها روح الدين وتأباها قواعده

العامّة ونصوصه القطعية

لدعوته (أي إلى الاعتصام) وادخل اليه ابتداء من طريق لا يعرفه وتلطف له في القول وإن شئت أطلعتني على شيء من مقالات العروة الوثقى فإذا انتهيت به إلى ما يعرف وأنت منه الميل والرضاء فأما أن يكتب إلي وإما أن يستعد لتأتي كتاب مني ثم سراع إلي بالخبر الخ

وكتب منها إلى طلم كير في بعض البلاد في ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٠٢
أشد ما أجد من فراقك ، حرمانني من محاضرة آدابك ، والانتباس من نوادر فضلك ، وأمرّف الصواب من صائب رأيك ، وإنا نحقق ألم البعد منك أن أكون بمكان من فكرك ، وأصيب حظاً من مراسلتك ، وجدير بكرمك أن تصل وأصلاً ، ومجيب سائلاً ، وسلامي عليك وعلى أئمتك الصالحين ، والله ينفع المسلمين بسميك وخالص نيتك والسلام اه فانظر كيف كان إحياء الدين وهم المسلمين والسمي في إصلاحهم مما يدخل في كل أقواله ، كما كان مسيرته في جميع أحواله ، فهل تزن مثله من ليس لهم حظ من الدين ، إلا الأكل به من السوءة والفلاحين ، لا يهمهم إلا التحلق حول الموائد ، والتطواف لجمع النذور «والموايد»
سبحي قوة عتله وسعة علمه

يصف الناس كل نابغ بالذكاء الفطري ويعنون به سرعة الذهن وسهولة الحفظ ولذلك كنت تجد الناس مجمعين على وصف الاستاذ الامام بالذكاء النادر ، لا يختلف في هذا منصف ولا مكابر ، أما هو فكان يقول عن نفسه إنه متوسط في الذكاء وأنه يوجد في كل مئة رجل ٧٥ رجلاً مثله في فهمه . وعلى هذا كان يجب أن يكون ثلاثة أرباع الناس أو طلاب العلم منهم خاصة مثله ولكن الناس لم يروا في الملايين الكثيرة مثله وانك لتسمع

كثيراً من أهل الفضل يقولون ان الدنيا انما تلد مثل هذا الرجل في كل
عدة قرون مرة وقالوا بعد موته ان الفراغ الذي حدث بفقدانه لا يملأه
أحد في هذا العصر . وقد واجهناه في قوله ان ثلاثة أرباع الناس يسارونه
في ذهنه وقلنا له كيف تحصل في الزمن القصير من العلم مالا يحصلونه في
الزمن الطويل فقال ان الفرق بين الناس في هذا لا يأتي من الاختلاف
في الذهن فقط وانما يأتي معظمه من الاختلاف في توجيه الارادة الى الشيء
ومعرفة طريقه وغايته قبل طلبه . وهذه حقيقة لا مرية فيها ولكنها ام
تذهب بامراتنا في ان قوله ذلك من المبالغة بمكان وان كان قاله اعتقادا
لا تواضعا وعضيا لنفسه . على اننا نعرف من أصحاب الذكاء المدعش من
كان ذكاؤهم وبالا عليهم خاصة أو عليهم وعلى كثير من الناس الذين يعرفون :
فالمعبرة بما قال وهو ان ادراك المقاصد انما يكون بصحة توجيه الارادة
اليها وطلبها من طرقها الطبيعية

بلغ هذا الرجل من قوة العقل ان عجزت الأمراض الشديدة عن
منعه المطالعة فكان يقرأ في أيام مرضه أكثر مما يقرأ في صحته التي تشغل
فيها الأعمال . أنظن انه كان يقرأ كتب القصص والفكاهات ؛ كلا انما
كان يقرأ العلوم العقلية والفلسفة وكتب التريية والتاريخ . وقد رآه من
مرضه الاخير مله فيه من المطالعة وقال انه لم يعهد ذلك في مرض قط
فقلت له هكذا شأن أمراض المدة على ان كثرة الاعمال العقلية هي
السبب الفعال في مرضك هذا كما يقول الأطباء . ولم يكن المرض يومئذ
قد اشتدت وطأته

وقد أصيب بحمى التيفوس مرة في بيروت فبلغت نهاية شدتها وأعلى

حراوتها ولم يغب عقله ولم يهذ لسانه حتى قال الطبيب الذي كان يعالجه اني لم
 أر مثل دماغ هذا الرجل ولو حدثت عن مثل ما رأيت منه لما صدقت .
 وكذلك قل بعض الأطباء الذين زاروه قبل موته بأيام قليلة فقد دب
 التسم في جسمه وعقله حاضر وذاكرته تلي على لسانه الأجوبة السديدة
 في وصف مرضه لمن يسأل عنه . وقد اتفقنا نحن الذين كنا نلازمه على
 ان لا نحدثه في الجدة ولا مسائل المسلم والاجتماع وان نمنع عائديه من
 الحديث في ذلك لاسيما بعد اشتداد المرض عليه ولكنه كان ينتقل بنامن
 الفكاهة الى الجدة فإذا ساق شجون الحديث مسألة عويصة أو عبارة
 اجتنب معناها ، أسرع ذهنه الى كشف الحجاب عن الخفايا فجلاها ،
 وتفت في عمدة المويص من عراها ،

أذن لنا بذكر الشعر والادب في يوم تواترت فيه ثوبات الألفكان
 مما أنشده حافظ ابراهيم من مختار محفوظه قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
 وقال انني أنشد هذا البيت منذ سنين وأنا لم أفهمه وسألت عنه غير واحد
 من الادباء فلم يأت أحد بتفسير تراح اليه النفس فلم يلبث الامام ان قال ،
 والالم ينال من كبده ما ينال ، ان معناه ظاهر فانه يريد انهم اذا غضبوا سلوا
 سيوفهم وأشرعوا رماحهم فكان يريقها وامانها هتك الحجاب الشمس الى
 أن يكتنوها من طلي أعدائهم وصدورهم فتخرج وهي قطار دماء وتسيل
 مهجبا ، هنا لك يخفى ذلك البريق والالمان يستر الدم له وورينه عليه .
 فالضمير في قوله قطرت دما عائدا الى السيوف أو الرماح وان لم تذكر
 بالقول فهي معلومة بالقرينة أي على حد قوله تعالى « إني أحببت حب

الخبر عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » على التفسير المشهور
 ناهيك عن كان يقتل عامة نهاره وزلفا من ليله محل المشكلات وإمضاء
 الأعمال في مهاد كثيرة ولا يشكو تعباً ولا يخاف مللاً ، كان يصبح
 فيندو الى مجلس الشورى مثلاً فيجلب المسائل الموضوعة للبحث سواء
 كانت قضائية أو إدارية أو مالية ويؤلف بينها وبين مصلحة البلاد ويؤيدها
 بالحجج القانونية والمقالية التي تصنع الحكومة بمداققتناع الأعضاء ثم يخرج من
 هذا المجلس فياً كل طعام النداء ويذهب الى الازهر فان كان اليوم يوم جلسة
 الادارة جلس بها وعمل فيها عمله ثم ينتقل الى مكتب الافاء حيث كان ينتظره
 أصحاب الحاجات المختلفة في جميع مصالح الحكومة وغيرها والمستفتون
 والزائرون وكتاب الجمعية الخيرية والازهريون من علماء ومجاورين فينظر
 في هذه الأمور الى ما يمد العصر ثم يخرج الى ديوان الاوقاف ان كان
 اليوم يوم جلسة المجلس الاعلى أو الى مجلس ادارة الجمعية الخيرية ان كان
 اليوم يوم جلسته ثم يعود عند الغروب الى الازهر فيقرأ الدرس فيخرج بعد
 المشاء قاصداً داره فيجد الفاء وأصحاب الحاجات ينتظرونه في المحطة وفي
 البيت يمرضون عليه حاجاتهم وبعد هذا كله لم تكن تخلو داره ليلة من
 السامرين يتكلمون في العلم والادب والمصالح العامة والخاصة ، ولا تنس ان
 الايام التي لم تكن موعد الجلسة في تلك المجالس الرسمية هي التي تقرأ فيها
 أوراق تلك المجالس ، ولكنه كان على ذلك العقل الكبير والعرفان النزيه
 كثير النسيان للأموال الجزئية لاسيما أسماء الاعلام حتى انه نسي اسم نفسه
 مرة ذهب لزيارة صديق له فلم يجده فسأله البواب عن اسمه لينذر مخدومه
 به فتوقف الأستاذ في الجواب ذهولاً عن اسمه فقال الخادم أقول الشيخ

محمد عبده ؛ قال نعم فأنت اعرف باسمي مني
أتقن جميع العلوم الاسلامية وضرب بسهم في العلوم والفنون
المصرية قبل تعلم اللغة الفرنسية وقد أتقن هذه اللغة في سن الكهولة
وتوسع بها في العلوم على طريقة الافرنج وكان يعني بالمعلم على قدر الحاجة
اليه في العمل والإصلاح . فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق
الناس فهما للقرآن ، ولغيره من نصيح الكلام ، وأبلغ الكتاب بلا
منازع ، وأخطب الخطباء بلا مدافع ، وأما العلوم العقلية فقد ارتقى فيها
الى أن كان فيلسوفا حكيما اعترف له بذلك من يمتد بعرفتهم . ونذكر هنا
تفسيره لكلمة فيلسوف . حدثنا في طرابلس الشام قال كنا في مجلس بعض
الوجهاء بمصر وكان في المجلس بعض أهل العلم وحلة التلامذ من السوريين .
فقال مامعناه ان الناس قد ابتدأوا لقب فيلسوف فصاروا يطلقونه على غير
أهله وكان أطلق هذا اللقب في جريدة على بعض الحاضرين فجرى ههنا
مكلام في معنى كلمة فيلسوف قيل الفيلسوف هو الذي يتقن جميع
العلوم قال الاستاذ اذا لم يوجد فيلسوف في الارض قيل «و الذي اتقن
بعض الفنون وله إلمام بسائرهما قل ان جميع الذين يتعلمون على الطريقة
الحديثة يخرجون على إلمام بجميع العلوم المصرية ويتقنون بعضها فما أكثر
الفلاسفة في المهندسين والأطباء وفي التلامذة أيضا . ثم قال بعد كل
مقال : الفيلسوف هو الذي له رأي ومذهب في العقليات يمكنه الاستدلال
عليه والمدافعة عنه

وأما العلوم الشرعية فقد كان فيها إماما مجتهدا وان كبرت هذه
الكلمة عند الذين سجلوا على أنفسهم الحرمان من فضل الله على المتأخرين ،

وإبناؤهم من العلم والفهم ما آتاه المتقدمين ، وناهيك بهم في القرآن ووقوفه على أصول الشريعة وحكمها وأسرارها وقوة حجته في إثبات مقائدها ودفع الشبهات عنها وتطبيق أحكامها على مصالح البشر . ولست أعني بكونه إماماً مجتهداً في الشريعة أنه صاحب مذهب دونه أو كان يريد أن يدونه وإنما أعني ما ذكرت آنفاً من فهمه الدين أصوله وفروعه بالدلائل والبراهين والفقهاء والوقوف على حكمه والقدره على بيانه بدون تقليد عالم . دين من العلماء السابقين والأئمة المهديين الذين اتبع آثارهم واهتدى بهديهم . وكان يرى أن من يضع للناس مذهباً جديداً فإما يزيدهم عمى وجهلاً وتفرقاً واختلافاً

﴿ أخلاقه وشأنه ﴾

الأعمال ثمرات الأخلاق فإذا كثر ناه من أعمال الرجل تمثل بعض أخلاقه لأنها بعض آثارها وإن وراء ذلك من أحسن الخلال ، وآيات الكمال ، ما تقصر عن تشيئه جلائل تلك الأعمال ، ولقد كملت للاستاذ الإمام أصول الفضائل الأربع ، وما نشأ عنها وتفرع ، وانا نشرح بعض أخلاقه لتكون قدوة للمقتدين ،

طبع الله هذا الرجل على عزة النفس وعلو الرتبة من أول نشأته وقد أدركه السيد جمال الدين الذي درج في حبر السيادة وترعرع في بيت الأمانة وهو مجاور في الأزهر ومنقطع إلى التصوف يلبس قميصاً يبدو من أعلى جيبه صدره الأشهر وقد أرسل جمة كعجة الدراويش فراحه من صاحب هذا القشف ما عند من العزة والاباء وحفظ الكرامة ورقة شهور الشرف وأكبر أن يكون هذا أثر التربية والتخاطب في بلاد ساسها الظلم وتحكم فيها الجور المذلل للنفوس وكأنه سبق إلى نفسه أن هذا أثر وراثة

لا أحد آباءه الاولين ، وانهم لا بد ان يكونوا من الملوك والحاكين ، فقال له مرة : « قل لي بالله أي أبناء الملوك أنت » : وهذا الخلق هو ركن الفضائل الركين ، وناهيك بقول الله تعالى « ولكن المزة لله وارسوله والذومنين » ، وهو الباعث على تلك الأعمال ، والحامل على الاستبانة بما بين يديها من الاهوال ، وقد يشبهه على كثير من الناس هذا الخلق الكريم ، بخلق الكبير الذمير ، ولذلك كان بعض الحاسدين والجاهلين ينز الاسناد الامام بهذا القرب لاسيما عندما كانوا يرونه مترفعا عن الدهان والتعلق للكبراء ، معرضا عن يمارضه في مقاصده وان كان من المظماء ، ولو عاشروه ناظرين بعين الانصاف لرأوا حقيقة التواضع مع الرفعة كيف تكون . لرأوا كيف كان ذلك الرجل العظيم يخدم الفقير والمسكين ، ويتجافى جنبه عن مضجعه لاجل العفة والمستفيدين ، ومن دقائق ملاحظته في التواضع انه كان يتحاشى صيغة الطلب الجازم في مخاطبة أصدقائه ومحبيه ، بل وتلامذته وصريديه ، فيستبدل بالأمر الاستفهام والتخير ويوسع للمخاطب المدر قبل أن يحتاج الى الاعتذار ثم اذا أخلف معه يتناسى فلا يقابله بلوم ولا متب . أذكر من لطائفه في هذا الباب قوله لي مرة : اني أكون غدا في مكان كذا بعد الظهر فان ذكرت ذلك ووجدت فراغا وأحببت أن تجي ، فطت : ذكر كل هذه القيود وأنا أعلم انه يريد ان أوافيه حتما ولولا ذلك لذكر لي أنه يكون في ذلك المكان ولم يزد كمادته معي إذ كان يخبرني بمواقفه

وقد عرف رحمه الله تعالى بسلامة الصدر وصفاء القلب والحلم والصنع فما انتقم من شيء ولا سمي في ضرر أحد قط بل كان يحسن

الى من أساء اليه إذا استنجد به أنجده ، وإذا استرفده أرفده ، وإن عاد الى
الاساءة سبعين مرة . وكان أهل الخبث والمنكر من حاسديه يظنون
أنهم يخذلونه بدهانهم ودهانهم ولكن فراسته كانت تخترق صدورهم ،
وتنفذ الى سواد قلوبهم ، ويقرأ في صحائف وجوههم الاولى ، ما رسم على
صحائف وجوههم الاخرى ، وإنما يقبل منهم ما أظهروا ، ويتغابي عما أضروا ،
عملا بما ورد في الخبر « إصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله فان أصبت
أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » وكان يعجبه قول
أفلاطون : استصلاح العدو أحزم من استهلاكه :

نعم كان يغاب عليه حسن الظن وبذلك رفع أناسا الى مراتب لم
يكونوا أهلا لها والناس يمدون ذلك عليه ويتقلون عن عذره فيه وهو
إن من رفعتهم ورفعتهم كان لا بد للأعمال التي رفاهم اليها من عاملين فحسن
الظن ببعض من يمكن أن يعهد اليهم العمل وناطه بهم قنهم من ظهريالا اختبار
إن ظن الخير فيه صادق فكان صالحا للخدمة شاكرا للصنيعة ومنهم من
ظهر بعد التجربة لؤمه ، وتبين فساد وشؤمه ، فلم يصلح عمالا ، ولم يشكر
محبتاء ومن هذا الفريق من أساء الى من أحسن اليه ، وكفر حقوق المنعم
عليه ، ومنهم من أظهر الوفاء ، في وقت الرخاء ، وأظهر حقده وضغنه ،
عند الضراء والمحنة ، وليت شعري ما حيلة الرجل الذي جبلت طبيئته على
الاحسان وتوجهت همته الى الخدمة العامة ، وقد نشأ في قوم فشافهم فساد
الاخلاق ، وقل فيهم الوفاء والاخلاص ، أيمكن ان يقال له لا تسد الى أحد
معروفا ، ولا تسع الى أحد بخير ، إلا بعد ان تجربه عدة سنين ، فتعلم انه
من المصلحين والشاكرين ، كيف وإنما يجرب الرجل بما يهد اليه من الأعمال ،

وما يعامل به من البر والاحسان ،

على أنني لا أنكر أنه كان لسلامة قلبه يفيض أمام بعض من يمتد
إخلاصهم بما لا تسع عقولهم ، وينضي إلى بعضهم بما تضيق عنه صدورهم ،
وأنه كان لمباذنه في الحلم يغفو عن لا تغفو المصلحة العامة عنه ، ويصفح
عن يتضي الإصلاح بالانتقام منه ، وقد كان يكون هذا الغفو والصفح
مما يخفى على من عفا وصفح عنهم ، كما كان يخفى الانتقام لو أنه انتقم منهم ،
ولعله لو لا هذا الخلق لكان نجاحه أسرع وأتم ، وإصلاحه أشمل وأعم ،
وكان من الكمال في الوفاء لأصدقائه ، والغيرة على أحبائه ، بحيث
يهم بشأنهم في السر والجهر والبعد والقرب والغيب والشهود بمثل ما يهم
آباؤهم وأبناؤهم أو أشد وكثيرا ما نراه يسعى في دفع الشر عنهم وفي سوق
الخير اليهم بأشد مما كانوا يسهون لأنفسهم . وما من صديق ولا محب
له وإلا وكان آمنا من انحرافه عنه ، بل من توانيه في الانتصار له ، تأثرا
بقول واش محال ، أو رهبة من كيد قوي ذي محال ، أو طمعا في جاه أو
مال ، وقد كان في وفائه هذا خير قدوة لما شربه والمتصلين به يربي نفوسهم
بأخلاقه وسيرته ، كما يربي عقولهم بعلمه وحكمته ، فريده ومحبوه أشد
الناس وفاء لمن يحبون ، وأعظمهم إخلاصا لمن يصطفون ،

وقد كان على ما علمت من صفحه عن الأعداء ، وكال الوفاء للأحباء ،
والاحسان لأولئك وهؤلاء ، لا يخاف في طريقه إلى الإصلاح عدوا
مينا ، ولا يتمد فيه على الصديق وإن كان ناصحا أميناً ، وإنما كان
مستقلا برأيه مع الاستشارة ، مستقلا بإرادته مع الاستئذان ، واثقا بأن الله
يؤيده ويسخر له الناس لإخلاصه لله وللناس ، يستخدم في سعيه كل من

استطاع استخدامه من موافق ومخالف ووطني وأجنبي ولكنه لا يعتمد في قلبه على أحد من الناس ولا يفتر بأحد منهم . كان في الناس من يظن بأن السبب في شجاعته وقوة عزيمته في عمله وتقوفه عند الحكومة وإدلاله عليها هو اعتياده على حربه الكبير الذي يضم جماهير المقلد والمفضلاء والكتاب والأدباء ، وفيهم من يظن أن جرأته ومضاءه وإقدامه من ثقته بتأييد الحكومة له والقوة المحتلة من وراء الحكومة . أما هو فكان يعتقد أنه لا حول له ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما وهبه من العزيمة والاخلاص . وقد كلمته مرة في هذا فأقسم بالله أنه يشعر بأنه في هذا الوجود كالعريان الذي ليس له فيه شيء وأنه لا يعتمد على شيء الا على الله وهو المسخر لمن يشاء

وكان رضي الله عنه مقتصا بحبل الصدق ، متحررا ما يعتقد أنه حق ، وإذا تكلمت أن علة المال لنشر الكذب في الناس هي شدة ظلم الحكم ، واستبداد ذوي السلطان ، وأن أكذب الناس أكثرهم قربا من الظالمين ، ومعاملة للحكام المستبدين ، علمت أن ملكة صدق اللسان لا تربي الا في حجر شجاعة القلب وجرأة الجنان ، ولولا شجاعته لما نادى بمقاومة الاستبداد والاستبداد . كما قال - في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ولما حافظ على رأيه واعتقاده وإن خالف العلماء والحكام ، وخالف الجماهير المعبر رأيهم بالرأي العام ،

هذان الخلقان - الصدق والشجاعة - هما شرطان للتقدم على الإصلاح فالكذب والجبان عدوان لله لا يصلحان لشيء من الخير ولا يصلح بهما شيء . وإن التزام الصدق في أمة فشا فيها الكذب ، واعتادت على الدهان والمناق ، من أشق الأمور على النفوس ، وأبعداها عن طاعة التهذيب ، لما له من

الآثر في إحياء القلوب، والتأثير في إثارة البنضاء، وتكثير سواد الأعداء، وتنفير المحبين والأصدقاء، فكيف يتكافأ التكلف مع هذه المنفريات عنه، والمرغبات في ضده، ثم كيف يكون ملكة نفسية، لا تكافئ فيه ولا روية، لا تحبب الأمر سهلاً فإن الظهور بخالفه أهواء العامة مما يحبب إمامه الملوك القاهرون، وينكمش دونه العلماء العاملون، ولهذا يدهن الرؤساء للرؤس، ويدهن الرؤسون للأمراء والسلاطين، فالصدق فيما لا يرضى العامة، أشد من الصدق فيما لا يرضى الخاصة، فما بالك بالصادق فيما قد يغضب الثريين، والصابر على الطعن من الجائنين، أليس هو في مرتبة الصديقين، التي تلي مرتبة النبيين والمرسلين؟

رأيت الاستاذ الامام في النوم بعد موته بأيام فقال لي ان الله تعالى أعطاني مقام الصدق أو قال اني في مقام الصدق فتذكرت كلام الشيخ محي الدين بن عربي في مقام الصدق وحال الصدق ومنه ان صاحب حال الصدق يكون كثير الظهور بالولاية والكرامة كثير الدعوى بحق وصاحب مقام الصدق أعلى وأكمل ويكون في الولاية مجهولاً لا يعرف، ونكرة لا تعرف، وتذكرت جهل الناس بمقام الاستاذ الامام، في لولاية والعرفان، احتجاباً بظهوره الديني ومعارفه الكونية، عن مرتبته الروحية ومعارفه الدنية، واستيقظت وعلى لساني قوله تعالى « ان المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر »

ان ما ذكرناه من الشجاعة في التزام الصدق، والمجاهرة بنصرة الحق، هو ما يبر عنه كتاب المصير بالشجاعة الأدبية وانت لا تجهل ان من لا يهاب في الحق وثبات الحكم، ولا يخاف طعن الخواص والموام، فهو

جدير بأن لا يخيفه الحسام ، ولا ترهبه السهام ، كاشفني رحمه الله مرة بكتاب جاءه بغير توقيع يهدده مرسله فيه بالقتل اذا هو ظل مسترسلا في عمل نسب اليه ورأيت غير مبال به ولا مكترث فقلت له ان لك أعداء لا يخافون الله وانك تجي ودارك في الليل وهي في الخلاء بسيدة عن الممران فلو نظرت في ذلك : فقال أو تخاف علي من مثل هذا الكاتب المهدد ، اني لم أهني نفسي الى الآن بأنه وجد في وطني من تجرأ علي الكلمة «أخطأت» ، وسألته مرة ماذا تصنع اذا هجم عليك لص في الليل أنطلق عليه الرصاص من هذا المسدس - وأشارت الى مسدس معلق بسريز نومه - فقال لا يجوز اطلاق الرصاص في البيت فانه يزجج النساء والعيال وليس عندي للص الا القبض عليه والاخذ بوقوف رقبته : وكذلك يفعل

ومن خلائقه الانصاف في الرأي والعلم ، كالا نصاب في الحكم ، والبعد عن المكابرة ، في المذاكرة والمناظرة ، فلم يكن يزدهيه الغرور والاعجاب ، بسعة العلم وكثرة الصواب ، ولا كان يصده الارتقاء عن مرتبة المقلدين ، عن الرجوع الى رأي أحد التلاميذ والمريدين ، بل كان رجوعا للحق اذا ظهر له ، محترم فهم غيره ورأيه ، وهذا الخلق عزيز في العلماء ، لاسباب قوي الشهرة والجاه ، ومن طلب آية على هذا فليرجع الى ما كتبه الامام الغزالي عنهم في بيان آفات المناظرة من كتاب العلم في الاحياء . فاذا علم بما كان يجري والعلم حي والامة عزيزة - ومن لوازم ذلك الانصاف - فما ظنه بهذا الخلق في خلف لم يبق لهم من عزة سلفهم الا الفخر بها ، ولا من علمهم الا الحكاية ممن تقدمهم فيه ،

من آيات انصاف استاذنا ورجوعه الى الحق ما هو مهدون في المنار .

لم ينس القراء ما نشرناه له في تفسير «وأما السائل فلا تنهر» اذ اختار قول بعض المفسرين ان المراد بالسائل من يسأل عن العلم ويطلب التفقه في الدين وذكر فيما كتبه في تفسير جزء عم ان لفظ السائل لم يرد في كتاب الله عزوانا للفقير والمسكين فظن بعض من قرأ ذلك ان قوله يفيد ان لفظ السائل لم يرد في القرآن بمعنى طالب المال . فذكره رجل من عمدة البلاد بقوله تعالى «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» فحسب انها خطأ فيما كتب فأرسل اليّ ورقة صغيرة يصرح فيها بتخطئة نفسه وكافني طبع عشرة آلاف نسخة منها بعدد ما طبع من كتاب تفسير «جزء عم» لتلصق بنسخ التفسير وأمر الجمعية الخيرية بأن تمسك عن بيع الكتاب حتى تطبع الاوراق وتلصق فرجعت الى الجزء فرأيت عبارته صحيحة الا انها مبهمه ليست كالمهود في بيانه فراجعته في ذلك ولم أطلع الورقة فعاد الى التأمل في العبارة ورجع الى مسودات تفسير الجزء فتذكر انه ما كتب تلك العبارة في السائل الا وهو ذا كر لما توهّموا انه ينافيها من قوله تعالى «وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» وقوله تعالى «والسائلين وفي الرقاب» ثم كتب ما كتب في إيضاح العبارة واعترف بما فيها من الاجام واستغفر الله من العود الى مثله وقد نشرنا ذلك في ص ٨١٥ من المجلد السابع من المنار فليرجع اليه من شاء

وكان هذا الاواب الرجاء الى الحق جبلا راسخا في الثبات والاستقامة لا يرجع عما شرع فيه، فكيف يطمع في رجوعه عما طبع عليه، لانه كان لا يقدم على العمل إلا بعد الرؤية والتدبر، والبصيرة والتثبت، وقد كان السيد جمال الدين يقول فيه هو كائنك لا يتغير قال هذا بعد ما غاب غيبته في بلاد

المشرق ثم عاد إلى أوروبا ورأى فيها جماعة ممن كان يعرف قده تغيروا عما كان
يهدأ الا الشيخ محمد عبده فانه لقيه كما تركه

ولا حاجة الى الكلام في جوده وسخائه فانه صار فيه على اكتماله الصدقة
واخفائه البذل أشهر من علم وعرف الناس كثيرا من البائسين والعجزاء الذين
كان يمولهم ويوصيهم بالكتمان . ولم يكن في أيام السراء ، أبسط يدا منه
في أيام الضراء ، لقيه صاحب في بيروت فقال له ان والدي قد توفي وليس
لدي ما أنفقه في تشييعه فأعطاه كل ما كان يملكه من النقد وهو راتبه
الشهري من المدرسة السلطانية كان قد قبضه ولم ينفق منه شيئا ولكن
الله أخلف عليه بنام يكن يحتسب فقد كان له دين عند رجل في مصر
يلويه ويطله به أيام كان يتقاضاه ، وهو يراه فيستحي منه ويخشاه ، فما
مر يوم على بذل جميع ما في يده واثار صدقته على عياله حتى آذنه مصرف
(بنك) بيروت بأن حوالة برقية جاءت باسمه من مصر واذا هي دينه
على ذلك الرجل « ومن يتوكل على الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب » وكان اذا وفر شيئا من النفقة صرفه في سبل البر . كان يدخل
بالفائف المروقة بالزبوية وبالنارجيلة (الشيشة) ثم ترك التدخين بالمرّة
وجعل ما كان ينفقه فيه صدقة ولولا بعض أصدقائه لما امتلاك من طين
هذه الارض شيئا ولا حاجة الى بيان ذلك هنا

لبي لا احتاج إلى التنويه بغيرته على ملته وأمتة فان بذل حياته كلها
في السعي بتربية الأمة على آداب الملة لم يكن الا أثر من آثار هذه الغيرة
فالدليل وجودي عملي عرفه القريب والبعيد واعترف به المدعو والصديق
ولكنني أذكر في هذا الباب شيئا لا يعرف نظيره إلا بعض أصفياه الذين

لم يغب عنهم شيء من أحواله

جثته مرة في رمضان (سنة ١٣١٥) بعد الظهر على موعد فقيل أنه نائم ولم يكن ينام في مثل هذا الوقت بل كان ينام طائفة من الليل ثم يقوم في السحر وليث بعد السحور إلى أن يصلي الصبح ثم ينام حتى ترتفع الشمس فكثرت ريتا استيقظ فسأته ما أنامه قال مامناه أرقتني الليلة أفكر في حال المسلمين وما ينزل بهم من البلاء يمدهم من دينهم واتباع أهوائهم وشهواتهم وقوي سلطان الفكر فهاج المجمع المصري ونبهه تنبها شديدا حتى حدثتني نفسي بأن أنزل إلى حيث يكثر اجتماع الناس كالوسكي والازبكية فأنت في الطريق وأناادي أيها الناس ماذا رأيتم في دينكم من التبيح حتى تركتموه ، وماذا رأيتم فيما اخترتم بديلا منه حتى تقلدتموه ، ثم أخطبهم في حقيقة مام فيه ، وأنذرهم عاقبة مام عليه ، وأبين لهم طريق النجاة منه ، وقد عالجت النوم فلم أملك منه شيئا فلجأت إلى الكتابة وما مكنت لأكتب في الليل فجري القلم بفصل جملة آخر فصول رسالة التوحيد فتابت التي بعد ذلك تسمى وراثة النوم على عيني ولكن الليل قد آذن بالرحيل فلم أنل منه نيلا فكانت هذه النومة في النهار عوضا مما فاتني في الليل

أقول قد عرف من سبق له قراءة رسالة التوحيد أن الفصل الذي كتبه في تلك الحالة هو الفصل الذي عنوانه (انتشار الإسلام بسرعة لم يمهدها نظير في التاريخ) ولمسوي أن ذلك الفصل لقول فصل ، وما هو بالهزل ، أملاء على كاتبه الإلهام ، حتى كاد يكون معجزة من معجزات الإسلام ، وقد قال في أوائله

« ابتدأ هذا الدين بالدعوة كغيره من الأديان ولقي من أعداء أنفسهم أشد ما يليق حق من باطل ، أوذي الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب الأذى ، وأقيم في وجهه ما كان يصيب تذليله من المقاب لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له وحرروا الرزق ، وطرّدوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير أن تلك الدماء كانت عيون المزام تنفجر من صخور الصبر ثبت الله بمنظرها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب في أنفس المرتابين ، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب وهي ذوب ما فسد من طباعهم فتجري من مناخرهم تجري الدم الفاسد من المقصود على أيدي الأطباء الحاذقين » ليميز الله الخبيث من الطيب ويحمل الخبيث بعضه على بعض فيركه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون » تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الإسلام ليصدوا نبتة ، ويخفوا دعوتها ، فإزال يدافع عن نفسه دفاع الضيف للأقوياء ، والفقير للأغنياء ، ولا ناصر له إلا أنه الحق بين الأباطيل ، والرشد في ظلمات الضالين ، حتى ظفر بالمرّة ، وتمزق بالمنة ، وقد وطىء أرض الجزيرة أقوام من أديان آخر كانت تدعو إليها وكانت لهم ملوك وعزة وسلطان وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع المكار ، ومع ذلك لم يبلغ بهم السمي فلاحا ، ولا انالهم القصد نجاحا ، الخ

وجئت مرة في داره بعين شمس (سنة ١٣٧١) وكان قد وعك غداة يومه فرأيت ينظر في ثلاثة كتب عربية يقرأ المسألة في كل منها فسألته ما بك وما هذا الذي تنظر فيه فقال هو التهج المصبي الذي يلم بي أحيانا من الفكر في الأمور العامة وهذه كتب في أصول الفقه ألهو بمباحثها عن

القرآن فاني اذا فكرت فيه رأيت بهذا المسلمين عنه فيقوى التمسك بالعصبي
واما عاداته فقد كان يخالف فيها علماء هذه الديار يخالفونهم فيما يكره
شراً أو عقلاً كتطويل الأردان وتوسيمها وجر الأذيال فكان زيه أقرب
إلى زي علماء سوريا منه إلى زي علماء مصر . وكان يكره أن تقبل يده
بل يصافح الناس مصافحة وقد منع الأزهريين عن تقبيلها بعد الدرس كما فعلهم .
وكان يكره أن ينشد أمامه شعر أو يقرأ شيء في مدحه يكره ذلك رأياً
وشعوراً فيتألم لسماعه وينفر منه . ولما كتب ما كتب في الرد على مقالات
هانوتوفى الاسلام ونشر ذلك في المؤيد معزواً الى أحد أئمة الاسلام لم
يخف على الناس أنه هذا الكاتب لا اعتقادهم انه لا يوجد في مصر من يقدر
على مثل ذلك غيره وقد ذكر هذا أمامه فظهر التغير على وجهه وقال إنه
لا يؤله شيء مثل هذا لانه إقرار بأن أمته بائت من الجهل ان انفرد فيها
واحد بالقدرة على أداء بعض الواجبات التي كان من الضروري أن يضطلع بها
كثير من أفرادها في كل بلد وأي ألم أشد من ألم من يجب ارتقاء أمته
ورفعة شأنها وهو يراها بهذه الحال من العجز (قال) ومن البلاء ان يعجز
الإنسان في هذه البلاد عن التنكر في بعض الخدم التي تقضي المصلحة بتذكر من
يخدم الأمة بها . وقد ذكرني قوله هذا قولا آخره قريبا منه وهو اني أحب
لو يكون في قومي كثير من الناس الذين يفضلونني في كل علم لأن ذلك
يميني على تكميل نفسي بالرجوع إليهم فيما أجعل والاستمانة بهم على ما أعجز
ومن أكبر المصائب على محب العلم ان لا يجد من يستند منه فيقف عليه عند
حد بحثه لا سبيل إلى ضم بحث غيره إليه .

(لها بقية)



المصاب العظيم * بوالدنا (البر الرحيم

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

في يوم الاحد رابع رجب الحرام فجعنا بوفاة والدنا وصربينا وصربي اليتامى وكافل الارامل الشيخ الجليل ، السيد النبيل ، علي رضا الحسيني الحسيني أحد سادات الديار الشامية المشهورين ، وأجواد الأمة المحسنين ، وله من السن ستون سنة أو ثلاث وستون سنة في الاكثر (وليس عندي هنا قيد لسنة ولادته) فصرنا واحتبنا رجاء صلوات ربنا ورحمته وهدايته ومثوبته فلم نقل ولم نقول ما لا يرضي ربنا جل جلاله فله ما أعطي وله ما أخذ واليه المصير

ولد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه في قرية القلمون بسفح لبنان من الجهة الشمالية بجوار طرابلس الشام وفيها تعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم اشتغل بطلب العلم في طرابلس على المرحوم الشيخ محمود نشابة أشهر علماء الديار السورية وشيخ الشيوخ في طرابلس عدة سنين وأدى امتحان العسكرية فيها غير مرة ثم انقطع عن الطب قبل أن يتم حضور الكتب ويصل إلى مقام التدريس لشدة حاجة والده إليه في إدارة أملاكه والنظر في أعماله مع الحكومة والناس فلم يكن يومئذ له ولد رشيد سواء ولكنه لم ينقطع عن الطالعة في كتب الدين والادب والتاريخ بل كان يتراوح بين هذه الكتب ما سمح له الوقت وكان قوي الذاكرة طاق اللسان جريء اللسان يذكر ما يحفظ من الاثمار وأخبار الاوائل ووقائع الاواخر كلما عرض ما يذكر بشيء منها ولكنه كان يبدل الشيء المحفوظ كما قرأه أول مرة فان اتفق ان كان محرفاً أو ملحوناً أعاده كذلك عند الاستشهاد به غالباً وان حرف بعد حفظه بما فيه من خطأ أو تحريف كان ما ينطبع في ذهنه لا يقبل المحو وكان ما يعرض به ذلك من التصحيح ينطبع في مركز آخر من مسالك الدماغ فلا يلقيه إلى اللسان إلا اذا اورد المحفوظ لأجل بيان محته ومن قوة ذاكرته انه كان يحفظ كل ما مر به في سفره وحضره وكل ماله عند الناس أو لهم عنده من الحقوق المالية وان طال عليها الزمان

وكان مهيباً وقوراً حقيقياً في طور الشباب يحبه كل من جالسه وان كان أكبر منه

سناً أو فضلاً وجهاً كشأنه و كبار الحكام. وأعرف ما عرف به وغلب على سائر أخلاقه الجود
والسخاء فقد كان مضافاً متلاًفاً مبذول القربى لكل طارق من غني وفقير وقريب
وغريب ومسلم وغير مسلم كل من نزل به يلقى ما يليق به من الأكرام والرفادة وكان
في أول العهد يتكلف لأهل الوجاهة والثروة إذا استضافوه زيادة مما جرت به العادة
في المنزل ويقدم لهم ما راجح حتى كنا نذكر عليه ثم رجع عن هذا إلى قاعدة الصوفية
« لا نبخل بموجود ، ولا نتكلف لمفقود ، » حتى ربما أنكرنا ذلك أحياناً ، ولا حاجة
لإستثناء ما لأهل الخصوصية الذين يدعوهم إليه من الاختصاص وإنما الكلام في العادة
اليومية مع الضيوف وقد بلغت عنايته بأبناء السبيل أنه كان يحمل الطعام إليهم بنفسه
أحياناً ، وقد جاع الناس في سنة من السنوات فكان يرسل الدقيق والأرز إلى بيوت
القائمين الذين يفضلون الموت على السؤال في حنادس الظلام والناس ينام وله في إخفاء
الصدقة حذق مخرب

أثم السلاطين المظام على جدينا الثالث بسبع قراريط من مال عشر القمامون
وما يتبعها من المزارع لينفق منها على مسجده الذي جده في القرية وعلى نفسه فلما
وصل هذا إلى والدنا رحمه الله تعالى سكا في الغالب يأخذ من الحكومة حصتها
بما يسمونه الالتزام ثم يسمح لأكثر الأهالي بشرك كثير مما يزعمون من البقول
وغيرها وما يجنون من اثمار لا ينفق إلا بمشور حب الحصيد والزيتون وكان كثيراً
ما يفوض إليهم أمر ما يجب عليهم من غير أن يحرص ويقدروا يجيئه الرجل بشيء من
الزيتون مثلاً ويقول هذا عشر ما جئت فيرضى ويعطيه الآخر شيئاً من النقد يزعم
أنه عشر ما استفاد من أرضه فيقبله وكنا نقول له يجب أن تضبط جميع مالك عند
الناس ثم تأخذ ما شئت وتسمح بما شئت فلا يعجبه وكان كريماً بجاهه أيضاً أفاقه
بحاجة أو قدر على دفع مكروه أو جب منفعة للناس فإنه يبذل جهده

وكان حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الفيرة الشديدة
على الاسلام والمناضة عنه بما يحج الناظر ولا يؤذيه وإنني منذ دخلت في سن التمييز
أرى في دارنا وجهاء النصاري من طرابلس ولبنان بل وأرى فيها القسوس والرهبان
لا سيما في أيام الأعياد وأرى الوالد رحمه الله تعالى يعاملهم كما يعامل من يزوره من

الحكام ووجهاء المسلمين ويندكر ما يعرف من محاسنهم في غيرهم بكل إنصاف وقد كان هذا من أسباب دعوتي إلى التساهل والوفاق وتعاون جميع أهالي البلاد على ما يرقى البلاد مع القسط والبر المشروعين فإن الإنسان إذا تربى على شيء ورأى ثمرة في نفسه وفيمن يعاشر كان أعرف به ثدته لا تقبلى فكره ووجدانه فيه

وكان شديد الفيرة على الدولة المليّة وقد عرف كثيرين من وزرائها وعظمائها كالمرحومين شرواني باشا وحدي باشا اللذين وليا الصدارة وولاية سورية وكامل باشا والي أزمير اليوم والصدر الأعظم من قبل وجميع متصرفي لبنان السابقين وغيرهم فكان لأجله طوّلا واعتقاده بحسن سياسة أكثرهم كبير الأمل في الدولة ولا أعلم أنه صدر منه قول ولا فعل ينافي الإخلاص للدولة والسلطان العظيم وكان يميز على الجواسيس المفسدين أن يأخذوا من أقواله ما يشون به عليه إلا أن يكون حسن ذكره وثنائه على أميرها الماضي وأميرها الحاضر وقد زارها في أيامها على أنني عرضت عليه عندما زار مصر في سنة ١٣١٧ أن أستاذن له في زيارة الأمير فلم يرض ومع هذا كان يعلل الاندية قناه على سموه وعلى الأستاذ الامام وكذا على صاحب المؤيد الذي عرفه هنا وأما اتهمه بالسياسة في هذا العام ، وجعله تحت المراقبة الى أن وافاه الحمام ، فسببه وشاية من مصر فيه الى السلطان بأنه من أعوان مردي إقامة الخلافة العربية (الموهومة) على أنه منذ سنين لم يفارق القرية فهل تقلب الدول وتؤسس الممالك من شيخ صريض في قرية لأزعماء فيها ولا ثروة ولا سياسة ولا حكومة ولا مدارس ؟ ؟

وأن تعجب فمعجب عجب ان تهتم الدولة بأمر الشيخين - الشيخ محمد عبده والسيد علي رضا - وتأخذ الحذر منهما بعد ان نزل بهما مرض الموت وأعجب من هذا ان يبقى هذا الحذر على أشده بعد موتهما فان كانا قضيا عمرهما ولم يحفظ عنهما قول ولم يعرف لهما فعل يؤذي الدولة فهل يخشى من رفاتهما في القبر أن يقلب دولة وتؤسس دولة ؟ يا الشيخين ، من تلاعب سفهاء الجواسيس بالدول ، الحق أقول اني كنت شديد الميل الى البحث في خلال الدولة وبيان طرق إصلاحها وما معنى من الأسترسال في ذلك الا الشيخان اعلم ان والدي يستاء ان كتبت ما لا يرضي الدولة وأستاذي كان ينهاني عن الكتابة في السياسة مطلقاً وكان الوالد نفسه الله برحمته مضطجاً بكمال الصبر في المصائب ابتلي بمرض الصدر

المعروف بالربو وهو في شبابه فكانت النوبة تشتد عليه أحياناً حتى يغمسه الزفير من النوم والكلام المتسلسل فلا تراه إلا حامداً شاكراً وكان فخوراً بنسبه إلى البيت النبوي خلافاً لما عليه أسرته من البعد عن الفخر . وكان سنيا شافعي المذهب ويميل إلى الشيعة إلا أنه بعظم الشيخين والسيدة عائشة ويقول في معاوية « لا نسب ولا محبة » وينحي على غير الصحابة وعمر بن عبد العزيز من بني أمية إنحاء شديداً . وقد كان يقرأ في كتاب أمام استاذة الشيخ محمود نسابه فجاء ذكر معاوية فقال له الشيخ لم لم تقل « سيدنا معاوية » قال الوالد « سيدكم معاوية » قال الشيخ ألا تعترف بالسيادة لصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وكتاب الوحي ؟ قال اني لم أنكر صحبته ولا كتابته لاوحي ولكن أقول انه لاسيادة لاموي على هاشمي : فسكت الشيخ رحمه الله تعالى وكان الشيخ يحترمه حتى كان يخاطب جميع تلامذته ويذكرهم بأسمائهم ولا يذكرهم إلا بلقب السيد

وكان طيب الله رآه سليم القلب بريثاً من الحقد والحسد بعيداً من الأيذاء والانتقام إلا أنه كان يحقر من طامه ، بقدر ما يتودد لمن والآء ، فلا يعرف الدهان والتماني وكان باطنه خيراً من ظاهره لأعدائه وأحبابه فهما أعرض عن عدوه وازدري به في الظاهر لا يستحل أن يؤذيه في الباطن واني لا أستحي أن أصنف ما امتاز به في معاملة الأصدقاء ولا يشتم منها رائحة المنة على أحد منهم مع أنه كان يرى لهم المنة إذا حكموا في ملكه حكمه فيه

وجبة القول ان مزاياه كثيرة وفضائله عظيمة ولا بدع فان البيت الذي نشأ فيه يندر ان يوجد مثله في هذه الأمة الآن في سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق وحسن الفعال واني والله لم أحكم هذا الحكم إلا بعد الاسفار وطول الاختبار . بل أقول ان قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالخبر والخبر بالمنة والشجاعة والتقوى والاخذ بالسنن والبعد عن البدع وانما كانت كذلك بوجود بيتنا فيها اذ لا يخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهذيب للإمامة واستعداد أهلها للعلم عظيم وكلهم في الأصل شرفاء القصب مشهورون بالسيادة وقد كتب في سجل الاحصاء العام للدولة المودع في الباب المالي المعبر عنه بالدر كنار القامون بيمة القرى والمزارع . نعم صار فيها

دخلاء كثيرون أكثرهم من مسلمي لبنان وأكثر ما يقع فيها من المخالفات الضرب
وسرقة الثمار وفق الله أهلها وتاب عليهم أنه هو التواب الرحيم
ومما كنت أنكره على الوالد عفا الله عنه بعدما عرفت طرق التربية الحديثة وقرأت
علم الاخلاق اختيار الشدة والترهيب في التربية فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب
مؤاكلته ومكالمته والاتكاه أمامه . وكان يماقنا على الذنب بالاعراض والهجران حتى
توسل اليه بأن يرضى . وقد صار في أخريات سنه يمازح أولاده الصغار ويحبههم
على الطعام ذكرانا وانا إذا اتفق خلق البيت من الضيوف وكان يوصينا دائماً بالخوف
من الله تعالى دون سواه . عفا الله عنه وأحسن اليه ورحمه رحمة واسعة بمنه وكرمه
وأحسن عزاءنا عنه وثوابنا فيه

عن نبيه النبي الينا وتغزيتنا عنه

توفاه الله عن ستة ذكور أكبرهم صاحب هذه المجلة (المنار) ومنهم ثلاثة يشتغلون
بالعلم في الأزهر وواحد في السجن منهم بالسياسة وهو منها بريء وبها جاهل ولها
غير مستند وواحد في القرية لا غناء به . وقد كتب الينا أحد علماء سوريا الاعلام في
التغزية مانعه :

«إنا لله، ولا حول ولا قوة الا بالله، مصاب بعد مصاب، وخطوب تذهل الالباب،
لقد جلت الرزية، وفدحت المصيبة، وتضاعف الاسف، وتجددت الاحزان، بوفاة
السيد السيد الكريم، الوالد البر الرحيم، الذي فجع به الفضل والكرم، ورزى به الحمد
والشرف، وإنما غار الله له، فاختار له ما عنده، فقله من دار المحن والشجن، الى دار
الكرامة والمنن، وأنقذه ممن أرادوا به كيداً، وأمهلهم رويداً، واسوف يأخذهم عذاب يوم
شديد، ان ربك فعال لما يريد، وان من أنجب مثلك أيها السيد الكريم فهو حي باقى أمد
الدهر، لا يموت له ذكر ولا ينقطع له أجر، بل طوبى له وقررة عين، لاسيما بجوار سيد
الكونين، تفهمه الله برضوانه وعظيم رحمته، وأسكنه بحبوة جنته، وأحسن عزاءكم عنه
جيماً، وأنزل عليكم السكينة والرحمة، وأسبغ عليكم النعمة والمنة، وضاعف لكم الاجر،
وأفرغ عليكم جيل الصبر، إنا الى الله راغبون، ومثل هذا المصير صائرون، أسأله
تعالى أن يوضحك وأشقائك عنه خيراً ويهوضنا بطول حياتكم الخ

وكتب آخر من أهل العلم والأدب هناك معزياً عن الأستاذ الإمام والسيد الوالد
«أعزى السيد أطال الله حياته عن رزأيه بأبويه، ومصيبته في والده، وما أجابهما
من رزئين عظيمين، وخطبين جسيمين، فأما رزؤه فقد أصيب به الإسلام كله، وبكى له
العالم بأسره، وانطامس لأجله نور المرفان، وغبضت ينابيع الفضل، وهبطت أجنحة
النهضة، وانقطع به ما اتصل من الآمال، واختل ما انتظم من الأعمال، وأما رزؤه فقد
ذبل له روض الكرم، وهوى نجم الشرف، وسقط عمود المجد القديم، والحبيب الصميم،
فأحسن الله عزاء السيد عنهما، بمسيرته منهما، من المجد الذي لا يباهى، والعلم الذي
لا ينهى، إن شاء الله تعالى، الخ

وكتب غيرها من أهل الفضل والوجاهة في تلك البلاد والكلام كله في سياق
واحد فنشكر لكل واحد فضله، ونكتم خوف الظلم اسمه وبهده، أما الجرائد
السورية فلم تكتب شيئاً عن وفاة الشيخين لأنها لا حرية لها فهي تخاف أن تكتب ثم
أن هي سلمت من الضر، فلا يؤذن لها في النشر

ولما باع نفيه هذه البلاد كتبت الجرائد اليومية الشهيرة ما كتبت، وألقى
إليها البرق والبريد من رسائل المحبين في التعزية ما ألقى، قالت جريدة الأهرام
في العدد ٨٣٥٢

ورد من طرابلس الشام نعي الشيخ الجليل السيد علي رضا والد حضرة العلامة
الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الإسلامية

توفي إلى رحمة ربه في يوم الأحد الماضي وهو في نحو الستين من عمره تاركاً
في دنياه أحسن ذمكر مقدماً للآخرة أعمالاً طيبات فعز المصاب به على آله وطار في
فضله ونبله إذ كان الرجل وجيهاً في قومه رحب الصدر طيب الخلق مضافاً كريماً
مازار القلمون زائر الأوكاف في منزل الفقيد كانه في منزله ولا يذكر لهذا البيت
الكريم من قديم الزمان حتى اليوم إلا كل مائة طية وفضل ونبل

وقد شيمت جنازته في بلدته القلمون بشهد كبير يليق بمقام هذه الأسرة المحسنة
الشريفة فنحن أعزى حضرات أنجاله الكرام وآله الأفاضل على فقده سائلين له
الرحمة والرضوان ولهم العزاء والصبر الجميل

وقالت جريدة الظاهر في العدد ٥٤٨

بلغنا بمزيد الأسف انتقال فضيلة الحبيب النسيب والمعلم الفاضل السيد علي رضا الحسيني من أعيان طرابلس الشام وأشرافها إلى رحمة الله تعالى ورضوانه نهار الأحد ٤ رجب من عمر ناهز الستين قضاء في البر والأقادة وعمل الخير أثره في حارت فيه الأطباء في بلدته القادمون فكان لحيه ونة أسف عظيمة في البلاد السورية لما له من سمو المنكأة وعلو القدر وشرف الأصل وعميم الاحسان تقوده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

وقالت جريدة المقطم في العدد ٥٠٠٢

ورد على حضرة العالم الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار نعي المرحوم والده الجليل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها توفاه الله يوم الأحد الماضي (٤ رجب) في القلمون عن سنين طاماً قضاها في عمل الخير والصالحات وهو من بيت محمد موصوف بالكرم وحسن الضيافة وممروف في لبنان وولاية بيروت وقد خلف ستة أولاد وكلهم من النجباء وأكبرهم حضرة الشيخ رشيد المشار إليه آنفاً وقد لقي الفقيد رحمه الله من اضطهاد الحكومة الحميدية وظلم عمالها وقسوتهم ما اضناه وعجل عليه بالوفاة فقد كان يحتضر والمساكر العثمانية ملازمة باب داره ليلاً ونهاراً خوفاً من ان ينهض عن فراش الموت ويخلع السلطان أو يثل عرش آل عثمان في حكم عقلاء هذا الزمان وابنه المدير أمور بيته في غياب اخوته مطروح في سجن طرابلس الشام حيث يتقلب على جمر المذاب ريثما تتمثل المحكمة أمر الظالمين وتحكم عليه بالعقاب وكل هذا الجور والظلم بناء على وشايات قوم يفضون صاحب المنار ويحقدون على فقيد الوطن المرحوم الشيخ محمد عبده فاجتمع الشيخان الجليلان الآن امام عرش العادل الديان يدعوان الى قاهر المتاة ومؤدب البغاة ان يجبر الضعفاء المظلومين ويكشف شر الطغاة الظالمين

وقالت جريدة الاخلاص في العدد ١١٠٥

﴿انا لله وانا اليه راجعون﴾

نعي الى حضرة وصيفنا المحبوب العالم الكامل المذهب الشيخ رشيد رضا أفندي

صاحب مجلة المنار الغراء والدعاء الجليل سليم بيت الحمد الاثيل الشيخ علي رضا امام
العلمون وشيخ جامها في طرابلس الشام فكان لتعبه ونة أسف وحزن لا مزيد عليهما
لدى كل من عرفه لانه فضلا عن حسبه ونسبه كان رحمه الله من ذوي القسرة على
الفقر والبائسين مشهوراً بالجود والكرم ومحباً للخير والاعمال الصالحة قضي ستين
عاماً من عمره وهو في مقدمة الغيورين على دولته ووطنه ولكن في المدة الأخيرة
وشى الواشون بحقه على أثر وفاة المغفور له فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار
المصرية فأهين من رجال حكومة الدولة على ما بلغنا فكانت هذه الاهانة سبباً كبيراً
أفقد حياته المزيّنة

واقدماءنا ويسوءنا وأبم الله كلما سمعنا خيراً كهذا عن رجال دولتنا العلية ومعاملتهم
هذه المماثلة لرجال اشتهروا بالقسرة والاخلال نحو سلطانهم ودولتهم هكذا
الفقيد الجليل . وهذه هي الفرص التي يتهزها الاغيار منا فيحفظونها لنا في سجلاتهم
الى أن يجي اليوم الذي يحاسبوننا فيه عليها .

فيأبى الرجال الامناء والمخلصون للدولة وللجالس على كرسي الخلافة العظمى
اتقوا الله وفكروا في ما هو أهم لصالح الدولة والامة . اخذوا اجلالة السلطان باخلاص
اللسان والفؤاد وابذوا الوشايات واركوا هذه الخطة الذميمة لانها لا تفيدكم المرام
وهب انكم نلتموه فسوف تجازون عن عملكم هذا لانه قليل . بالكيل الذي تكيلون
به يكال لكم وازود) تقربوا الى جلالة المتبوع بطريقة غير هذه الطريقة حتى ان الله تعالى
يبارك لكم في أموالكم وعيالكم وينقذكم وينقذهم من شرور الزمان وغدراته وقد
كفى ما حل بنا وبدولتنا العلية والامة والوطن من سوء أعمال بعض رجال الدولة
الحاشين الذين يتظاهرون بصدق الخدمة نحو المتبوع الاعظم ولكمهم أولى المناققين .
والآن بما ان المجال ليس مجال وعظ وارشاد بل نهي قعيد تأثر لموته الكثيرون فوعدنا
بنشر شيء من هذا القيل في أعداد قادمة ان شاء الله

هذا وفي الختام تقدم واجبات العزية لجناب زميلنا الفاضل المذهب الغيور الشيخ
رشيد رضا أفندي وجميع اخوته انجال الفقيد والله نسأل أن يفرغ في قلوبهم جميل
الصبر والسلوان ويتعمد فقيدهم الجليل بواسع الرحمة والرضوان اه



بوق الحكة من رشاء من بوق الحكة فقد وقي
خبراً كثيراً وما يذكرك إلا أولاً بالباب

الله
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الألاء صوي ووه منارات كمار الطرق)

﴿مصر - غرة شعبان سنة ١٣٢٣ - ٣ مستدير (الرجل) سنة ١٩٠٥﴾

الحياة الزوجية

(٥)

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ» (سورة الروم ٣٥-٢٠)

«الركن الثاني من أركان هذه الحياة - المودة»

تكلمنا في المقالات الأربع السابقة من هذا البحث عن الركن الأول من
أركان الحياة الزوجية وهو سكون كل من الزوجين الى الآخر وبيننا انه يتوقف
على حسن اختيار كل منهما للآخر وهذا الركن خاص بالزوجين عليه تبنى
سعادتهما وهناء معيشتهما وتحقيقه شرط لتحقيق الركنين الآخرين أو كمالهما وهما
المودة والرحمة ويتحقق الأركان الثلاثة تكمل فائدة هذه الحياة الفائدة التي أرشدنا
الله تعالى الى طلبها منه بقوله في صفات المؤمنين «والذين يقولون ربنا هب لنا
من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً» (الفرقان ٢٥-٧٤)

أما الركن الثاني وهو المودة فليس خاصاً بالزوجين لأن المودة تصل بين
عشيرتهما بما تصل به بينهما ولذلك لم يقل «لتسكنوا اليها وتودوها» بل قال
«وجعل بينكم مودة» والخطاب للناس لا للأزواج خاصة أي انه جعل من مقتضى
الفطرة البشرية التواد بينكم بسبب الزوجية بين الزوجين ومن يتصل بهما بلحمة
القرابة والنسب كما هو معروف بالاختبار فيمن سلمت فطرته من الفساد وعرفوا
قيمة الحياة الاجتماعية فعاشوا عيشة الأجماع لا عيشة الأفراد ، وما زال البشر يعدون
المصاهرة من أسباب العصبية بين البيوت والعشائر والقبائل بل نرى الامراء
والملوك يحاولون بمصاهرة بعضهم بعضاً التواد والتناصر بين دولهم ، أو تخفيف
العداء والتنافر بين أممهم ، حتى أنهم يبنون لذلك مذاهبهم الدينية كما فعلت
الاميرة الجرمانية التي تزوج بها قيصر روسيا - فهذه سنة من سنن الفطرة عرفها
البدو والحضر وجرى عليها أدنى القبائل همجية وأعلى الشعوب مدنية ، وتنكبها
أناس مذنبون كاد يخرج بهم فساد الفطرة عن البشرية ،

نرى ونسمع في هؤلاء الذين خلقوا على صورة الانسان من التخاصم والتنازع مع أصهارهم واختاتهم ما لا يرى نظيره ولا نسمع بمثله في أهل الاضغان الموروثة والاحقاد المتسلسلة، يرى أحدهم نعمة الآخر قذى في عينه وحر جأفي صدره، ويعد شرفه اذا ارتفع خافضاً لقدره، فهو أنكى حاسديه، وأنكى جارحيه، وأول المتر بصين لوثبة عليه،

لم يقف تأثير اعتلال الفطرة في نفوس هؤلاء عند تكثير المفتول، ونشيت الملموم ونقطيع الموصول، بل أوغل في النفس الى مواضع الشعور بالحاجة الى الاعتصام، والاحساس برزايا الانفصام، فتخدرت الاعصاب، وانطمست البصائر والالباب، وانعكس الطبع، وانعكس الوضع، فصارت أسباب المودة والالتئام، عللاً للتباغض والانقسام، وانقلبت معارج الشرف والرفعة، مدارج للتسفل والضعف، وأمسى ما يكتسب لاجله يكتسب به، وما يتهزز به يتهزز عليه. ولا يعتد بشيء من هذا خروجاً عن سنن الفطرة، ولا اعتداءً لحدود الشريعة، وإنما يحسب من أمور الحزم، وطرق القيام بالمصالح،

لأحب الأزواج أنفسهم حباً صادقاً وسكن بعضهم الى بعض ذلك السكون الطبيعي لوادّ كل منهما الآخر ووادّ لأجله أهله وعشيرته بلا تكلف ولا تعمل وأحسن بأن قوتهم قوته وشرفهم مزيد في شرفه وكثرة ما لهم زيادة في نعم الله تعالى عليه لو عرف الأزواج معنى الحياة الزوجية وقيمتها وانفق ان كان كل منهما على غير ما يحب الآخر ويهوى فلم تسكن اليه نفسه ذلك السكون المطلوب لتودّد كل منهما للآخر تودّداً لعله يصيب بالتكلف والصنعة بعض ما فاته بالسجية والفطرة فان التودّد مودة متكلفة أو صورة للود الحقيقي فله جميع فوائد المودة الصورية وإنما ينقصه روحها وهو ما فيها أريحية النفس وأنسها بالفضيلة ولذتها واغتها بها وقد ينتهي التودّد بشيء من هذا ومن فاته كمال المنفعة بشيء فليس من الرأي ولا الكياسة أن يفوته كل جزء من أجزائه وكل أثر من آثاره وهو قادر على ادراكه فان بلغ النفور في قلبي الزوجين مبلغاً يمز معه التودّد ويتعذر التجميل فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والاحسان كما اجتماعاً بهذا القصد لأنهما تحقّقاً حينئذٍ أنهما لا

يقين حدود الله تعالى « وإن يتفرقا يُغن الله كلا من سعة »
 من المودة أن يحب كل من الزوجين من يحب الآخر من أهله وعشيرته
 وأصدقائه فيسر لسرورهم ويستاء لاستيائهم ويتمنى لهم الخير والنعمة ويقوم بأداء
 حقوقهم بما جرى به العرف بين أمثالهم في ذلك والتودد هو عبارة عن هذا
 الأمر الأخير الذي هو عمل اختياري دون ما قبله لأنه من عمل القلب وهو
 شعور اضطراري يملك النفوس المستعدة له إذا هي آتست من هو أهله

النفوس المستعدة للود الصحيح والحب الخالص هي النفوس الزكية التي
 آوى حسن التربية منها إلى سلامة الفطرة والنفوس المسأهلة لذلك هي النفوس
 المستعدة له فالهبة والمودة من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات النفسية الفاضلة
 وأما المشاكلة في الصفات الرديئة والسجايا الخسيسة فهي لا تثمر حباً خالصاً
 ووداداً صادقاً ولكنها تثمر تودداً يقصد به كل من المتشاكليين الاستفادة من
 الآخر والتعاون معه على المقصد الذي وجههما إليه فساد الطبع فإذا أحسن بالاستقاء
 عنه أو ظفر بمن يقوم مقامه فيما تواداً لأجله ويكون الربح منه أكثر أو المكافأة
 له أقل فلا يلبث أن يتبدله به جذلاً مسروراً . فأصحاب الأخلاق الفاسدة
 مهرومون من ملكة المودة الصحيحة وهم في توددهم تجار مما كسبون حتى إن
 فساد الفطرة يبلغ منهم أن تجروا بعقد الزوجية ويعتدوا بأزواجهم من سلع التجارة
 كما قدمنا في مبحث اختيار الأزواج

من التودد ما هو رذيلة وهو تودد الشطار العيارين الذي كشفنا عن حقيقة
 أمرهم آنفاً ومنه ما هو فضيلة وهو ما يقصد به أداء الحقوق المعروفة للخطاء والعشراء
 ونكف القيام بآثار المودة كراهة الحرمان من خيرها الظاهر والباطن معاً ورجاء
 أن يصير التودد وداً والتعجب حباً فقد علم بالتجربة أن تكرار العمل بأثر خلق
 من الأخلاق تكلفاً قد ينتهي بأن يصير ملكة كما ورد في الحديث « والحلم بالتعلم »
 وقالت عليّة بنت المهدي

تعجب فإن الحب داعية الحب وكمن بعيد الدار مستوجب القرب
 وهذا النوع من التودد وهو الذي نأمر به من تزوجا فلم يجدا في أنفسهما سكناً

يبحث كلا منهما على مودة الآخر ظاهراً و باطناً وهو ضرب من ضرور التربية القويمة
 التربية في الكبر بعيدة المنال لا يقصد اليها الا اهل العلم ، ولا يصل منهم
 الا اولو العزم ، لأن الجاهل بعلم النفس وأخلاقها ، والشريعة وآدابها ، يقوده شعوره
 على غير هدى ، حتى يهوي به في مهاوي الردى ، فان كان زكي الطبع ، سليم
 القلب ، صبر على تجمّع النقص ، وتحمل المضض ، من معاشرة زوج لا يأنس
 به ، وقرين لا تسكن نفسه اليه ، حتى يقتله الصبر ، أو يخرج به الى الفساد والنكر ،
 وان كان شرساً شكساً كانت حياته مع الزوج الآخر في تشاكس وتعامر ،
 وتنافس وتنافر ، وأما العالم فاذا ابتلى بزواج لا تسكن اليه النفس ولا يخلص له
 الود ، فكان العدو الذي مامن صداقته بد ، فانه يتكلف اظهار صداقته ، وإخفاء
 مقتنه وكرهته ، ليسلم من سوء المباشرة ، ويستظهر على آفات المنافرة ، وإذا
 كان واسع العلم بتربية النفوس ، وأثر المعاملة في قلب القلوب ، صادق الإرادة
 في تربية نفسه ، قوي العزيمة في تأديب وحدانه وحسه ، فانه يطمع في أن يكون
 التودد ودا ، والتطبع طبعاً ، ويعطى ما يطمع ، وينال ما يريد ، ومصدق هذا
 واضح في أهل العلم ، ومصدق ما قبله ظاهر في أهل الجهل ،

لك أن تقول اننا رأينا من المتعلمين والمتعلمات في هذه البلاد أزواجاً كان
 يرجى أن يكونوا حجة للعلم على الجهل بالعيشة الراضية ، وقصر كل من الزوجين
 طرفه على الآخر وقناعاته بالاختصاص به اكمال سكون نفسه اليه وإخلاصه في
 مودته ومحبه ، والتودد اليه ومجاملته ، فبدا للناس منهم مالم يكونوا يحتسبون فلم تكذب
 تنتهي أيام أعراسهم وليالي أفراحهم الا وقد نجمت بينهم قرون الفتنة ووقع عليهم
 طائر الشقاق ، وصاح بهم غراب الافتراق ، وياليتهم كان شقاقاً بكميان ،
 وتسريماً بحسان ، وانما هدام العلم الى أن يكيد أحدهم للآخر في المحاكم الشرعية ،
 ومنهم من قذف بهم الخصام الى المحاكم الاهلية ،

ولي أن أجيب بأنك قد نسيت أنني أعني بالعلم علم النفس وأخلاقها ، وعلم
 الشريعة وآدابها ، ومن تحدث عنهم لا يعرفون من ذلك شيئاً الا قليلاً من
 الألفاظ المحفوظة ، والكلمات المتداولة ، التي يملؤها الخيال ويلوكها اللسان ، وليس

لهافي النفس منشأ يعرف ، ولا في الاعمال أثر يوصف ، كما هو شأن الأمة في إبان موتها توجد عندها صور من العاوم لا تطلب بها غايتها ، وبقايا من الرسوم لا تنجي منها فائدها ، سكون الزوج الى الزوج سبب من أسباب سعادة الزوجين وهناك معيشتهما خاص بهما لا يشاركهما فيه أحد من الأقربين والمحبين وأما المودة بينهما فهي من أسباب سعادة عشتريتهما أيضاً لأنها متعددة فهي مبعث التناصر والتوازر والتعاقد والتساند وبهذا تكون سبباً من أسباب سعادة الأمة المؤلفة من العشائر المؤلفة من الأزواج فهذا التأليف هو الذي يتكون منه مزاج الأمة فما يكون عليه من اعتدال وكال يكون كمالاً في بنية الأمة وقرّة عين لمجموعها وما يطرأ عليه من فساد واعتلال يكون مرضاً للأمة يوردها موارد الهلكة

ان الانسان يشعر بحاجته في كماله الى الامة وبحاجتها اليه في ذلك على قدر قوة معنى الانسانية فيه فأدنى أفراد الانسان خطأ من الانسانية لا يشعر بحاجته الى أحد ولا بحاجة أحد اليه الا من تقوم بهم شؤون حياته الشخصية فهو ينظر الى زوجه في البيت بالعين التي ينظر بها الى شريكه في السوق أو معاملته في الحقل وهي عين المبادلة في المنفعة وطلب الربح فاذا قدر على استبدال زوج مكان زوج يكون به حظه من التمتع أوفر ، أو مكافاته له بالنفقة وغيرها أقل ، فهو يقدم على ذلك فرحاً راضياً كما يستبدل عاملاً بعامل وشريكاً بشريك وأجيراً بأجير اذا رأى ان الجديد أنفع له من القديم . فمثل هذا لا يمتد وجوده الى ما وراء محيط جسده فلا يتحقق فيه معنى الزوجية الذي هو عبارة عن حقيقة مؤلفة من فردين يعيشان بروح واحدة واذا لم يصل في سعة الوجود الى أن يكون زوجاً فلا شك انه لا يصل الى أن يكون عضواً من عشيرة يشعر بأن له بها حياة أعلى من حياته الفردية ووجوداً أوسع من وجوده الشخصي واذا صغر عن هذا فإنه يكون أصغر وأحققر من أن يشعر بمعنى الوجود القومي والحياة المليّة التي ترفع صاحبها الى الشعور بأن كل عمل من أعماله يجب أن يكون نافعاً لأمة عظيمة وان مجموع أعمال العاملين في هذه الأمة يلحقه شرفه اذا كان شريفاً وتصيبه خسته اذا كان خسيساً وهذا هو شأن الانسان الكامل فودة الأهل هي أول مجالي الانسانية الكاملة ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» رواه الترمذي من حديث عائشة وصححه ورواه أيضاً مصححاً من حديث أبي هريرة بلفظ «خيركم خياركم لنسائهم» وروى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً «أكل المؤمنین إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»

ومن المودة بين الزوجين الممازحة والملاعبة ومن الرجال من يرى أن مفاخرة المرأة ومداعبتها مما يذهب بمهابتها إياه واحتشامها له وينسى أن ترك ذلك يذهب بأنسها به وسكونها إليه وحبها إياه وإن الحب ليفني عن المهابة والاحتشام أن صح أن الممازحة والملاعبة والمفاخرة والمداعبة لا تتفق معهما وما ذلك بصحيح فإن أعظم الرجال قدراً من الأنبياء والحكماء والملوك المهديين كانوا يرضون نساءهم في البيوت ولا يتخوّن ذلك من مهابتهم واجلالهم شيئاً كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمازح نساءه ويداعبهن وقال جابر رضي الله عنه حين استأذنه في نكاح الثيب «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» والحديث في الصحيحين وكذلك كان يفعل (ص) حتى روي أنه كان يسابق عائشة في العدو (الجري الشديد) سابقاً فسبقته ثم سابقها فسبقتها فقال «هذه بتاك» والحديث عند أبي داود والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح . ويؤثر عن عمرانه كان يقول «كل امرئ في بيته عسي» وفي الأحياء : وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته «ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً» : والدعابة في البيت حد من تجاوزته ذهبت حشمته ، ومن قصر فيه ثقلت عشرته ، واستثقال المرأة للرجل مدرجة البلاء ، ومدعاة الشقاء ،

ومن المودة بين الزوجين الاعتدال في الغيرة ، بحيث تتحامي فيها الظنة والريبة . فينبغي للرجل أن يؤذن امرأته بأوقاته خارج البيت أين يصرفها فإن ذلك يعلي مكانه من قلبها ، ويمكن الثقة به من نفسها ، وبحول بينها وبين وسوسة الشيطان ، فلا تهمه باتخاذ الأعداء ، ويكون أعون له على إلزامها القرار في البيت ومحوري رضاه في الخروج عند الحاجة إليه . وإن كثيراً من الرجال يشاقون النساء

بالمشادة في الخروج حتى ينتفوا بهن الرية فيوقعوهن فيها ومنهم الذين يسلون
لهن أو يلقون حباهن على غواربهن فيسرحن ويمرحن ويتبرجن تبرج الجاهلية
الاولى حتى يكون البيت في نظرهن كالسجن وان ملل المرأة من البيت وكراهتها
له كلال التاجر من محل تجارته والقاضي من محكمته والأمر من امارته، وكراهة كل
عامل من عمله سبب للضياع وممول للخراب

ومن المودة بين الزوجين أن لا تخرج المرأة من دارها الا باذن الرجل ورضاه
وأن لا تكلفه من النفقة والزينة فوق ما يليق بحاله في الثروة وقد مضت التجارب
بأن العهد الى النساء بالنفقة يبعثهن على الاقتصاد ويفريهن بالتوفير . وارجع في
سائر ما يطالب من المرأة لزوجها وولدها في المقالات السابقة فالنهوض بهامع النبطة
والسرور هو أثر المودة المطلوبة

لو لم تكن المودة بين عشيرتي الزوجين مما يقصد بالزواج قصداً مستقلاً لكانت
مما يقصد بالتبع لتوثيق الرابطة الزوجية بين الزوجين فان احترام كل منهما القرابة
الآخر مزبد في احترامه له ولعل الذين يختارون الأزواج لمسكان البيوت والمساكن
أكثر من الذين يختارون لمجرد الاستحسان الذاتي ولا تكاد تجد في العناصر
الكريمة من لا يبالي بالمنبت وإنما أولئك تحوت الناس وعبيد الشهوات

ان المشاكلة بين الزوجين في السجايا والعادات كافية مع سكون الزوجية
لتحقق المودة بينهما ولكن مكان عشيرتهما قد يفسد مودة بينهما اذا كانت غير
مرضية لهم وقد يشفع لما ينقصهما من سكون النفس ومودة القلب لحلول عاطفة الاحترام
القومي محل عاطفة المشاكلة في بعض الطباع فان لم يأت احترام العشيرة بالمودة
فهو لا يقصر عن الاتيان بالتودد وحسن المعاشرة

سل قضاة المحاكم الشرعية ووكلاء الدعاوي فيها مخبروك عن أرباب التخاصم
من الأزواج ان أكثرهم من الشذاذ الذين ليس لهم عشائر معروفة أو من البيوت
التي أفسدها الترف والتربية السوءى حتى كان أهل الزوجين هم الذين يحلون
ميثاق الزوجية بينهما ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً بمضارة الرجل بامرأته والمرأة بعلها باسم المحافظة على الحقوق ورعاية الشرف

وما الشرف الا في الوفاق الوثام ، والوداد والالتزام ،
 يقع مثل هذا مع فساد الفطرة من الذين عزموا عقدة المصاهرة على رغبة
 وتخير فها بال أولئك الذين يمتنون الى هذا المقعد بوسائل الرهبة أو الحيلة أو يهجمون
 على البيوت فيأتونها من ظهورها لا من أبوابها ، ويمزقون ستارها ويهتكون حجابها ،
 وينزعون الخرائد من أكنافها ، والفرائد من أصدافها ، ويفرقون بين الأولاد
 والوالدين ، ويوقعون العداوة والبغضاء بين الأقربين ، ماذا يكون أثرهم في البيوت
 التي تتكون منها الأمة وفي الأمة التي تتكون من البيوت ؟ لا يغيب عن عاقل ان
 شرهم مستطير ، وان ما يفعلونه فتنة في الأرض وفساد كبير . (الكلام بقية)

فَتَاوِي الْمُبَانِي

فتعنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركة خاصة ، إذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا
 اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
 بالتدريج غالباً ورمقاً بما تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولن
 نقضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ تزويج الشريفة بغير شريف وفضل أهل البيت ﴾

(س ٢٩) مستفيد في (سنا فور) سيدي هل هذه الفتوى (المذكورة أدناه)
 صحيحة ويجوز العمل بما فيها أم الاصح خلافها أفيدونا لازلتم خير خلف لخير سلف
 عن جوهر الاسلامية وأرجو من حضرتكم الكلام عنها في المنار وهي :

ما قولكم في من يستحل تزويج الشرائف بمن ليسوا بأشراف بل لو كان بعضهم
 يزعم أنه هاشمي أو مطلبى أو من بقية قریش فهل يصح تزويجهم بالشرائف أولاً
 ﴿ الجواب والله أعلم بالصواب ﴾

اعلم أن مراعاة الكفاءة في النكاح واجبة وهي في النسب على أربعة درجات (كذا)
 الأولى العرب لا يكافئهم غيرهم من العجم الثانية قریش لا يكافئهم غيرهم من بقية
 العرب الثالثة بنو هاشم و بنو المطلب لا يكافئهم غيرهم من بقية قریش الرابعة
 أولاد فاطمة الزهراء بنو الحسن والحسين رضي الله عنهم لا يكافئهم غيرهم من بني

هاشم والدليل عليه كما في التحفة والنهاية وغيرهما خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال «ان الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم» والاحاديث الواردة في فضل العرب وفي فضل قريش وفي فضل بني هاشم كثيرة جداً وقال ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية اولاد فاطمة لا يكافئهم غيرهم من بقية بني هاشم لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته ينتسبون اليه في الكفاة وغيرها كالوقف والوصية كما صرحوا به (انتهى) لأنهم أبناؤه كما ثبتت في قصة المباهلة في قوله تعالى «ندع أبناءنا وأبناءكم» فانه ورد انه خرج ومعه الحسن والحسين وعلي وفاطمة وروى الحاكم قال صلى الله عليه وسلم لكل بني أم عصة الأبناء فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وأخرج الترمذي عن أسامة انه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوماً على فخذه وقال هذان ابناي وابنا بني اللهم اني أحبهما فأحبهما وأخرج الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بني أم ينتمون الى عصة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم (انتهى)

فقول الشارع نص ويترتب عليه أحكام النبوة في الاشباح والارواح كالحسن والحسين وأولادهما والتشريف ببعض خصائصه صلى الله عليه وسلم كوجوب الصلاة عليهم ودخولهم في آية التطهير وتحريم الزكاة عليهم وافترض محبتهم على الأمة وغير ذلك ثم اعلم ان الشرف قسمان ذاتي وصفاتي وقد اصطلح العلماء على ان الشرف الذاتي للنبي صلى الله عليه وسلم ومنه بالنسبة لذريته فكما كانت ذات النبوة مختارة الله من الوجود جعلها الله معدناً لكل نعت محمود ولم يزل يسري منها في شعبها مظهرها في المعدن ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير في كمال التطهير لها كما قال «ويطهركم تطهيراً» لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم فتأثير البضعة النبوية لا يدركه أكابر الاولياء من غيرهم ولو جاهدوا أبداً لا يباد ولهذا السرق قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى» اذا عرفت ذلك واتضح لك ان مقام ذات النبوة وقدرها لا يدرك وعرفت ان الكفاة عند العرب بل وغيرهم أمر مرعي وقد جاء الشرع في ذلك على موافقة عادتهم وعرفت ان نزوح

الاذني بمن ليس كفواً لها ملحق عاراً على عصبتها كما صرح به الفقهاء الواصل
ذلك العار عند تزويج الشرائف بغير الاشراف الى مقامه صلى الله عليه وسلم
تحقق لديك ان الجراءة على ذلك ايذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ولذريته وأي ايذاء
أعظم من إلحاق العار فقد قال صلى الله عليه وسلم: من آذى أهل بيتي فقد آذى
ومن آذاني فقد آذى الله: وقال عليه الصلاة والسلام: لا تؤذوني في أهل بيتي الخ
وقال عليه الصلاة والسلام: احفظوني في أهل بيتي: فأيدواؤهم من أكبر الكبائر
ومن استحله كفر فلا يجوز تزويج غير السيد بالسيدة ولورضيت وأسقطت الكفاءة
أورضي وليها لان الحق ليس لها لأنه شرف ذاتي ليس من كسبها حتى يسقطاه
بل له صلى الله عليه وسلم وكافة أبناء الحسين ولا يتصور رضاهم وقد ثبت أنهم
موال على ما سواهم من كافة الخلق بنص حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»
وهل يجوز تزويج العبد مولاته لا قائل به بل قد منع خليفة الزمان السلطان عبد
الحميد خان أيده الله تبعاً لسلفه تزويج السيدات بغير السادة وأمر الخليفة يجب
العمل به في المباحات فضلاً عن الموافق للحكم الشرعي . وأما ما نسب الى الامام
مالك عالم دار الهجرة رضي الله عنه من أن المسلمين أكفاء فلا يبعد انه مقول
عليه لانه ثبت عنه انه امتنع من ابس انحال في المدينة وقل أستحي أن أطأ
بنعلي أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فمن استعظم واستشرف
أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه يبيح ويستحل افتراش ووطأ
بضعته صلى الله عليه وسلم يحل قدره عن ما نسب اليه رضي الله عنه وفي هذا القدر
كفاية لمن من الله عليه بالهداية ومن قال بخلاف ما ذكر فإما عدم اطلاع واما
جهل بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر أهل بيته بل من تجراً وارتكب ذلك بعد
اطلاعه على ما ذكر فهو ضعيف ايمان بل مسنوبه لمراغمته ومهاندته للشرع يخشى
عليه من سوء الماقبة «ومن يضلل الله فلا هادي له» حفظنا الله من ارتكاب الموبقات
وعصمنا من الهجوم على الخطيئات وعرفنا قدر نبيه وأهل بيته السادات انه ولي
التوفيق غير انه معاوم لذي كل ذي عقل أنه للضرورات تباح المحظورات وارتكاب
أخف الضررين لدفع الأشد متعين فلا يلزمك العذر ارتكاب الفساد والهدول

عن سبيل الرشاد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : قاله بضمه وكتبه بقلمه أضعف الناس عمر بن سالم العطاس عفى الله عنه آمين وذلك في شهر محرم سنة ١٣٢٣ (ج) سبق لنا أن نشرنا في هذه المسألة سوئالا لأحد القراء في سنغافورة في واقعة حال هناك ثم جاءنا من سنغافورة رسالة بتوقيع أحد الحضارمة رغب إلينا مرسلها أن نرسل له بحرفي ع . ب قال فيها بعد الثناء والإطراء ان ما نشرناه في الواقعة (في ج ٨٦) لم يكن السؤال فيه مطابقا للواقع وان الشريعة التي تزوجت بالسيد الهندي قد زوجها وليها الشرعي برضاه ورضاها مع علمها بأن الزوج مطعون في نسبه على أنه قد شهد ١٢ شاهداً من أهالي بلده وغيره بالسيادة له وان ما ذكره السائل أيضاً عن طعن ذلك الرجل بكتب الشرع غير صحيح وطلب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم في الواقعة على ما قرره هو من توزيع ولي الشريعة لها برضاه ورضاها على أنه لا حاجة الى ذلك فان الجواب الأول ناطق بصحة العقد في هذه الحالة . وقد فهمنا من الرسالة ومن مجموع ما كتب إلينا في معناها من تلك الجزيرة ان سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادات الحضرميين الذين يوجد منهم طائفة هناك غالون في التفاخر بأنسابهم ، والإيدلال بأحسابهم ، ولذلك ذهبوا في الغلو الى ما تراه في فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التي سألتنا عنها أحد القراء في سنغافورة وقد أرسلنا إلينا صورتها مطبوعة فعلمنا أنهم طبعوها ووزعوها لاثبات اعتقادهم في أنفسهم

أما الحق في مسألة الكفاءة فهو ما بيناه في الجزء العاشر من المجلد السابع أيام حادثة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وقد نقل المؤيد ما كتبناه يومئذ فاطلع عليه الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى وكان في مصيف رأس البر فكتب اليّ « اطلعت في المؤيد على ما كتبت في الكفاءة والأولياء واستحسنته » وانما اطلع عليه في المؤيد لانه نشر فيه ما كتبت قبل أن أرسل المنار ولذلك كتب اليّ الامام في ذلك الرقيم « كنت أنظر أن يصل اليّ المنار هنا ليكون مما ألقى عليه نظري اذا أرجعته عن أمواج البحر الأبيض ولم أطلقه الى بساط النيل الأحمر فاني جالس طول يومي بين البحرين » والمقصود ان الاستاذ الامام

قد أجاز ما كتبه في الكفاءة فكأنه أقتى به
أما المنزع الذي رمى عنه الشيخ سالم العطاس فهو غريب وأوغله في الغربة
والغربة جعل الكفاءة في الشرفاء حقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع أبناء
الحسين بحيث لا يصح تزويج الشريفة بغير شريف ولو رضيت ورضي وليها
اذ لا يتصور أن يرضى النبي (ص) وسائر الشرفاء في مشارق الأرض ومغاربها
واستدلاله على ذلك بكونه ايذاء للنبي بايذاء أهل بيته قال وايدأوهم من أكبر
الكبائر يكفر مستحله ثم استدلاله أيضاً بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»
على كون ذراري علي موال على من سواهم من جميع الخلق بالنص وخروجه من
ذلك الى ان جميع الناس عبيدهم وأنه لا قائل بمجواز تزويج العبد لمولاه نهوذاً بالله
من هذا الغلو والغرور

يستدل الشيعة بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على ان علياً أحق
بالخلافة ممن سبقه فيها ولا أعرف عنهم أنهم بعدوا في الاستدلال الى جعل جميع
الناس عبيداً له ولذريته بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبي صلى الله عليه وسلم
بل الاسلام يمنع هذا فمن أين جاء به العطاس يرحمه الله ويصلح باله . وكيف يتفق
استنباطه هذا مع ذكره السلطان عبد الحميد بقلب الخلافة واذا كان غير الشريف
المعوي الفاطمي لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لانه عبدها فكيف يكون العبد
خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم
طاعته في كل معروف وأما الزوج فليس مولى لامراته بهذا المعنى بل يقول جماهير
الفقهاء انه لا يجب عليها طاعته الا في المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع .
والحق ان لفظ المولى في الحديث معناه الناصر كما قال الجوهرى في الصحاح ويطلق
في اللغة على صاحب والقريب والجار والخليف والنزيل والشريك والعبد والمعتق
والمعتق فكيف يسمح لنا الدين أن تتخطى هذه المعاني ونقول ان الحديث نص
في أن الناس عبيد لذرية علي؟ هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة
وسائر المسلمين عبيداً لعلي في حياته وهل ملك أولاده من بعده الناس بالارث
أم نص الحديث دال على انهم يملكونهم بالاستقلال في كل زمان؟ ظاهر قول

العطاس الثاني وكل مسلم يبرأ الى الله من الاول والثاني
كان الشرفاء وما زالوا يزوجون بناتهم من غيرهم وجميع العلماء يستحلون هذا
مع التراضي وسائر الناس تبسح لهم فيه فهل يقول العطاس ان جميع من استحل ذلك كافر
حتى المزوجون والمزوجات بالرضى والاختيار فيكفر الشرفاء مباينة في تعظيمهم ؟؟
ليس هذا المنزع الذي رأيت بأغرب من منزعه الآخر في جعل النسبة الى
الحسن والحسين في معنى نبوة النبي عليه الصلاة والسلام من حيث ان شرفها ذاتي
غير مدرك وانما من اختيار الله تعالى وانها منبع لكل نعت محمود وأن أكابر الاولياء
لو جاهدوا أبداً لا يبدلون لشر يف أثراً لأن الله تعالى بالغ في كمال تطهير آل
البيت اذ قال «ويطهركم تطهيراً» لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من
الله لهم: ثم قال ولهذا السر قال الله «قل لأسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى»
فانظروا أيها المنصفون كيف يلعب بكتاب الله ويحرف كلمة عن معناه ،
بدعوى الاهتداء بهديه، والعمل بأمره ونهييه، وانما هو اتباع الهوى، شرد بالغالين
عن معهد الهدى ، وأحمد الله تعالى أن جعلني شريفاً غير مفتون، وجنبي وقوي
مزال الغرور ، فأما قوله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً» (سورة الاحزاب ٣٣-٣٣) فقد ورد تعقياً لآيات في خطاب
نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى بها وينهاهن ويعلمن بأن
جزاءهن على الخير والشر مضاعف لأنهن لسن كسائر النساء وهذا ظاهر معقول
المعنى فان بيت المرشد الكامل قدوة في الهدى والرشاد ولو ظهر العمل السي من
ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرقاً للوحي لكان أعظم منفعة عن
الاهتداء والايمان فقوله تعالى بعد تلك الاحكام «انما يريد الله» الخ تعليل وبيان
للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء وكونهن جديرات بمضاعفة المذاب
على المعصية والثواب على الطاعة لكان القدوة كقوله تعالى بعد ذكر احكام الصيام
وساقها من الرخص «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وانما قال «عنكم»
لان النبي صلى الله عليه وسلم في البيت وهو المقصود بالتطهير أولاً وبالذات لأن
كمال نسائه ينسب الى هدايته صلى الله عليه وسلم

وأما قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » فليس معناه أنه يطلب من الناس مودة قرابته أجرة لتبليغه أحكام ربه حاش لله ما كان لني أن يطلب على التبليغ أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان وإنما الاستثناء منفصل ومعناه لا أسألكم أجراً على ما جئتكم به فتتوهموا أنني طالب منفعة لنفسي وإنما أسألكم ما هو نافع لكم وهو المودة في القرابة أي إن تودوا ذوي القربى منكم فهو أذاً بمعنى ما يؤثر عن الأنجيل من الأمر بمحبة القريب أو أن تودوني في قرابتي منكم لا لأنني بعثت لهدايتكم فعاملوني معاملة سائر الأقربين ولا تؤذوني وأما الدين فلكم دينكم ولي دين لست عليه بجبار، وإنما على البلاغ وللناس الخيار وعقب هذا بقوله « ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً » والآية من سورة الشورى وهي مكية من أول القرآن نزولاً وأمثال هذا الخطاب في الدعوة والاستمالة إلى الحق كثيرة ولا يمكن أن يحمل لفظ القربى فيه على ذرية فاطمة عليها السلام لما تقدم ولا نهالم تكن تزوجت ولا ولدت في ذلك العهد

سبق للمناقشة قول في تفسير هذه الآية وفيه ان الشيعة هم الذين افتحروا لها هذا المعنى غافلين عما وراءه من الطعن في الرسالة واحتجاج الكافرين على المؤمنين بأن الرسول كان يطالب بدعوته الدنيا لذريته كالملوك والأمراء... وإن القرآن بمجملته وتفصيله وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله ومعاملاته للناس وتوليتهم الأعمال كل ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً

أي غلو العطاس برحمة الله ويصلح باله ليس بالعريب؟ أنكره قول الإمام مالك: إن المسلمين أكفاء: واحتجاجة على ذلك بما كان من أئمة هذا الإمام مع النبي عليه السلام إذا كان لا يطاق أرض المدينة بالنعال واستنباطه منه عدم إباحة أفراش البضعة النبوية ووطئها؟ أيظن أن الإمام مالك كان يحرم أن يمشي الناس في المدينة بالنعال، أو أن تركب فيها الحمير والبغال؟ أيظن أنه يقيس اتخاذ المرأة زوجاً وقرينة للرجل تشاركه في نعمته وتتحد معه في معيشته على وطء الأرض بالنعل أو بغير النعل؟ ما هذا الفقه المقلوب؟

يسهل على من يسلك مسلك هذا المقتي في الاستنباط أن يستخرج من كلامه

ما يعده الفقهاء من المكفرات فيكفره كما كفرة من يخالف فتواه أو كاد يكفر بها جميع المسلمين والحق أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة الا بقول أو عمل يدل دلالة قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فمن آذى شريفاً من آل البيت لحظ من حفظ الدنيا يكون عاصياً لله كما لو آذى غيره لأن الأذى إحرام وأما من يؤذي الشرفاء لأنهم ينتمون إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالأقرب أن يكون أذى هؤلاء إياهم بهذا القصد، ولولا لكفره به لآلة له إذ لا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك ولا يظهر هذا إلا فيمن يؤذي كل من قدر على أذى من منهم فتى خصص فرداً أو أفراداً علم أنه لا يؤذيهم لأجل النسبة

وجملة القول أن الشريعة الإسلامية شريعة عدل ومساواة لا شريعة تقسيم ومحاباة وأحكامها عامة مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتخليتها بالفضائل ومدار المعاملات على درء المفسد والمضار وجلب المنافع وحفظ المصالح وليس لأحد أن يخص الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على أنها من التبعيد فأبناء الحسين وغيرهم من الناس سواء في أحكامها وما ورد في تخصيص آل النبي (ص) ببعض الأحكام كتحریم الصدقة عليهم «مقول المعنى ولا يجوز لأحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه وفي الحديث الصحيح أن الأكل في باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم وبنو المطلب لأذرية فاطمة خاصة. وإن الكفاءة في النكاح لا يستدل عليها بالفضائل والخصائص وإنما يرجع فيها إلى نص الشارع أو القياس الصحيح. أما نص الشارع فلم يصح منه في مسائلنا شيء قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث وأما ما أخرجه البزار من حديث «ما ذرفه» العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي بعضهم أكفاء بعض» فإسناده ضعيف: اهـ وإنما الكفاءة الثابتة في السنة خاصة بالدين والحرية والأخلاق واليسار وهذا ما كان عليه أكثر أهل الصدر الأول ومن قال من الفقهاء باعتبارها في النسب فحجته الصحيحته القياس ومداره على دفع العار فإذا لم يكن هنالك عار بالفعل فلا اعتبار بالنسب في الكفاءة

وعلى هذا أكثر البلاد الإسلامية فيما نظن وإذا رضيت امرأة شريفة هي وأولياؤها بالتزوج بمن ليس بشريف في بلاد يعد ذلك فيها من العار فلا حرج عليهم لأنهم أعلم بمصلحتهم وأحرص على شرف أنفسهم والأمم ليس بتعدي ولو كان ما ذكره العطاس من فضل أهل البيت يجعل استنباطه صحيحاً وداخلاً في الأحكام التعبدية لكان لنا أن نقول مثله في العلماء فإن ما ورد في الكتاب والسنة في مدح العلم والعلماء أعظم وأظهر مما ورد في آل البيت فهل نقول إنه لا يحل للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم لأن ذلك اهانة للعلم الذي عظمه الله تعالى فالامر فيه ليس إليه وإنما هو متعمد بذلك ؟ كلا إن الزواج من المعاملات التي تبنى على أساس المصلحة وكل قوم أعلم بمصلحتهم والشرع لم يحجر عليهم في اختيار الخير وإنما حرم عليهم الإيذاء والله أعلم وأحكم

هذا وإنني لأظن بالشيخ عمر بن سالم العطاس إلا الخير وحسن النية وأشكر لهجه للشفاء ولولا أن فتواه طبعت لما رددت عليها في المنار وأسأل الله تعالى أن يحفظنا وإياه من الغلو ويلهمنا رشدنا أجمعين

﴿ ضمان البضاعة وبيع التجارة والسيكارتو ﴾

(س ٢٩) سألنا كثيرون من أهل هذا القطر وغيره من الاقطار عما جرى عليه عرف التجار من ارسال البضائع للبلاد مضمونة من شركة تسمى شركة الضمان وقد أرجأنا الجواب عن ذلك لأجل أن نبحث عن كيفية هذا التعامل بنفسنا فنجيب عن بصيرة ولم يتيسر لنا ذلك وقد جاءنا من عهد قريب صورة فتوى في ذلك من سنغافورة يسألنا مرسلها عن رأينا فيها فلم نجد بداً من التعجيل بنشرها وبيان رأينا فيها وهذه هي :

بسم الرحمن الرحيم رب زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، أما بعد فقد ورد عليّ سؤال من بعض التجار القاطنين بمدن فيما أكثر أعاطيه في الناس ليكونوا على بصيرة من أمره ونص سؤاله هو .

ماقواكم دام فضلكم في معاطاة التجار مع الافرنج الجارية في هذا الزمان

بغير صيغة شرعية أصلاً وهو ان التاجر اذا أراد ارسال مال له الى بلد أخرى على طريق البحر يطالع ماله في احدى البوابير الذاهبة الى تلك البلاد المطلوب ارسال المال اليها . فاذا أطلع التاجر ماله وسلم نولاً على المال وأخذ ورقة من قبطان الوابور بوصول المال اليه في الوابور ومقداره وثمنه ثم اذا كان موجود احد الافرنج وعرض التاجر عليه ورقة صاحب الوابور وسلم له على المال المقدر فيها على كل مائة (ربية) خمس (رييات) يقدر المال الذي طلعه ثم يسلم له الافرنجي ورقة بعلامته متضمنة بكلام الافرنج ضماناً للمال عليه اذا غرق في البحر فهو يعطيه ثمنه بقدر ما هو محروفي ورقة قبطان الوابور وسمو هذه المعاملة « بيمه » . ثم انه يوجد افرنجي آخر اذا احتاج التاجر المذكور ثمن ماله الذي أرسله مقدماً فيعرض عليه ورقة الأفرنجي المتضمنة الضمان لليل فعند ما يراها يقدم للتاجر ثمن ماله ويحوله التاجر على وكيله الذي يسلمه بتلك البلدة الاخرى ان سلم المال من الفرق والا فيستلم ذلك الافرنجي الاخير من الافرنجي الاول الذي سلم الورقة المتضمنة لضمان المال بلغتهم فهل والحال هذا اذا جرت هذه المعاملة مناهل حرب أو مؤمنين من غير الفاظ شرعية أصلاً تكون من قبيل مالو أعطونا شيئاً من حقهم مجاباً برضاهم ويجوز أخذها أم لا يجوز ذلك أصلاً افتونا مأجورين نفع الله بكم المسلمين . اهـ .

﴿الجواب﴾ فقلت وبه القوة والحول ان هذه المسئلة هي من حوادث الزمن الاخير لم أر من تكلم عليها من أئمتنا الشافعية في كتبهم المتأخرة فيما اطاعت ومن حيث ان الباع قصير والمقام خطير تكأ كأت مدة عن الجواب ، وصاحب السؤال يلح علي في الخطاب ، ويطلب مني بيان حكم الله تعالى فيها فلم أجده بداً من اسعافه فافتحت ذلك ، متحرياً فيما هنالك ، مجتهداً في استخراجها من كلام الأئمة نصريحاً أو تلويحاً فأول ما وقفت على كلام في ذلك لحائمة محققي السادة الحنفية الامام الملاية ابن عابدين في حاشيته على الدر حيث قال في فصل في استئمان الكافر بعد كلام في ذلك مانصه (وبما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا وهو انه جرت العادة ان التجار اذا استأجروا مركباً من حربي فيدفعون له أجرته ويدفعون أيضاً معلوماً لرجل حربي مقيم في بلاده ويسمى ذلك المال (سوكره)

على انه مما هلك من المال الذي في المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن في دارنا مقيم في بلاد السواحل الإسلامية بأذن السلطان يقبض من التجار مال السوكره واذا هلك من مالهم في البحر شيء ، يؤدي ذلك المستأمن للتاجر بدله تماماً والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله لان هذا التزم مالا يلزم اه . أي فلا يحل أخذ ماله بعقد فاسد أي هذا الحكم مع المستأمن في دارنا قال بخلاف المستأمن في دار الحرب فان له أخذ مالهم برضاهم ولو بر با أو قمار لان مالهم مباح لنا الا أن الغدر حرام وما أخذ برضاهم ليس غدرًا من المستأمن منهم في دارنا لان دارنا محل اجراء الاحكام الشرعية فلا يحل لمسلم في دارنا أن يعقد مع المستأمن الا ما يحل من العقود مع المسلمين ولا يجوز أن يؤخذ منه شيء لا يلزمه شرعاً وان جرت به العادة كالذي يؤخذ من زوار بيت المقدس : اه ما نقلته عن حاشية الدر لابن عابدين

نرجع الى الحكم على عدن هل هي الآن دار حرب لاستيلائهم عليها أو باقية دار اسلام على أصلها نص في شرح الدر ان دار الاسلام تصير دار حرب بثلاثة أمور باجراء أحكام الشرك و باتصالها بدار الحرب ولا يعد البحر فاصلاً بل قال تقدم ان بحر الملح ملحق بدار الحرب والشرط الثالث أن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمن بالآمان الأول على نفسه أي الآمان الذي كان ثابتاً قبل استيلاء الكفار للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة اه . بتوضيح في حاشيتها لابن عابدين ولا شك ان هذه الشروط قد وجدت في عدن فهي دار حرب عند السادة الحنفية يجوز للمسلم فيها أخذ مالهم برضاهم ولو بر با وقمار كما تقدم آنفاً عن العلامة ابن عابدين أما عند الإمام الشافعي فلا تعتبر دار الاسلام دار حرب مطلقاً أي سواء غلب عليها الكفار أم لا منعوا المسلمين أم لا كما في باب الجهاد من شرح المنهاج للإمام ابن حجر رحمه الله تعالى

هذا ما عند السادة الحنفية أما حكم السؤال على مذهب السادة الشافعية فالذي ظهر لي من كلام فقهائنا انه اذا لم تجر هذه الالتزامات بمعاطاة أو صيغ فاسدة في الشرع ولا يتلفظ بشيء منها بل يعطيه ذلك المال بمجرد اوراق

تتضمن ذلك الإترام عن وجه رضاه واختيار فلا بأس بقبوله من كافر أو مسلم وما أظن أحداً يخالف في جواز قبوله كيف وقد نبه العلامة ابن حجر في الإيعاب في باب البيع عند القول بجواز المعاوضة حيث قال ولك أن تقول الكلام جميعه مفروض فيمن لم يعلم أو يظن رضا المأخوذ منه ولو بلا بدل أمام من علم أو ظن رضاه فلا يتأتى فيه خلاف المعاوضة لأنهم إذا جوزوا لهم الأخذ من ماله مجاناً مع علم الرضا أو ظنه فلا أن يجوز الأخذ عند بدل الشيء أولى لأن المدار ليس على عوض ولا على عدمه بل على ظن الرضا فحيث وجد عمل به وحينئذ لا يكون أخذاً من باب البيع لتعذر بل من باب ظن الرضا بما وصل إليه وعجيب من الأئمة كيف أغفلوا التنبيه على ما ذكرنا وكأنهم وكأولهم وكأولهم إلى كونه معلوماً اه كلام الإيعاب وكذلك ما يؤخذ في صورة السؤال لا يكون من باب الضمان ولا عدمه بل من باب أخذه بالرضا والاختيار هذا ما ظهر لي في المذهبين وفوق كل ذي علم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم (الختيم) (الواثق بخفي الألف عروي بن أحمد السقاف) كان الله لهما أمين

ثم كتب عند قوله بل من باب أخذه بالرضا والاختيار : ولك أن تقول هذا الكافر الملتزم للفرم عند التلف فيما كتبه للمسلم متردد بين غم وغرم فيحتمل أن يكون من أنواع القمار الممنوع اقراره عليه فنقول على فرض تسليمه انه نوع منه فلا نمنعه منه إلا أن كان من الملتزمين لأحكامنا أما كائني في عدن كما هو في صورة السؤال فليس من الملتزمين لأحكامنا بل ربما قهرونا على مجازاة بعض أحكامهم كما هو مشاهد فلا مانع من أخذ ماله برضاه هذا ما تبادر إلى فهمي الفاتر وعلمي الناقص فإن أصبت فمن عند الله وإن وجد نص يعتمد بخلافه فالمرجع إليه والله ولي التوفيق ﴿المنار﴾

ان ما يسمونه (سوكرة البضائع) عقد تأمين وضمان يكون بين التاجر صاحب البضاعة وبين رجل آخر هو وكيل شركة كبيرة والورقة التي ذكرها السائل العدني في استفتائه هي صك بعقد التأمين والضمان فهي متضمنة للإيجاب والقبول والفقهاء يعدون هذا العقد فاسداً لأن الضامن يلتزم فيه ما يلزمه شرعاً وكان يظن انه يأخذ ما يأخذه بدون مقابل ولكننا علمنا من بعض التجار أن لهذه الشركة التي تؤمن

اتجار على بضائعهم وتضمن لهم ما يملك منها أعمالاً في حفظ البضائع تتفق به مع شركات القل في المراكب وغيرها فهي إذاً من قبيل الاجارة كأن التاجر يستأجر صاحب الباخرة للقل وصاحب التأمين للحفظ فما يأخذانه من المال على ذلك يعد أجرة عملها فعلى هذا يجوز للتاجر أن يسوكر بضاعته ثم إذا هي تلفت بتقصير في الحفظ جاز له أخذ الضمان عنها وأما إذا تلفت بدون تقصير في حفظها فلا يجوز عند الفقهاء أخذ الضمان لأنه لا يلزم الأجير وإن التزمه وقد خرج السقاف الجواز في الواقعة المسئول عنها على مذهب الحنفية بأنه أخذ مال الحربي بعقد فاسد بغير عذر ولا خيانة وهو جائز وعلى مذهب الشافعية بأنه مال أخذ برضاء صاحبه وسكت عن إعطاء الاجرة ويجب التنبيه هنا الى مسألة مهمة وهي أن ما يشترطه الفقهاء باجتهادهم من شروط صحة العقود وفسادها ولزوم ما يلتزم فيها وعدمه ونفوذ الحكم بها وعدم نفوذه ليس من الأمور التعبدية التي يتقرب بها الى الله تعالى بحيث يكون العقد الفاسد معصية من المتعاقدين وإن كان برضاها واختيارها بلاغش ولا تقرير كلا ان هذه المسائل وضعت لاجل ضبط الاحكام وحفظ الحقوق وتسهيل الحكم بالعدل على القضاة فهي لا تسلب الناس حرية التصرف في أموالهم بما يرونه نافعا لهم في حفظها أو تنميتها مع التزام حدود الله الثابتة في كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كتحريم الغش والتفجير والخداع والغصب ونحو ذلك وهذا هو مراد ابن حجر الفقيه إذ جوز الأخذ والإعطاء بالتراضي فيما كان مخالفاً لشروط صحة عقد البيع (ومثل البيع غيره من العقود) فكأنه قال ان هذه الأركان والشروط التي ذكرها لصحة العقود هي التي يلزم الحاكم الناس بها إذا تنازعوا فإذا تراضوا فيما بينهم على خلافها فلا حرج عليهم وعد هذا من الأمور التي سكت عنها الأئمة لكونها معلومة بالبداهة فتبين من هذا ان العاقل الرشيد له أن يتصرف في ماله ما لم يرتكب محرماً والمحرّم فيه ضرر بالفاعل أو بغيره فإذا ثبت بالاختبار ان هذه (السوكرة) نافعة غير ضارة فهي جائزة إذ لم يرد نص من الشارع في تحريمها ومدار الاجتهاد في أحكام المعاملات على دفع الضرر وجلب المنفعة وحفظ المصالح وإذا أثبت بالاختبار أنها ضارة ومضیعة للمال بغير فائدة كانت محرمة والله تعالى أعلم

باب التوب والتعظيم

﴿المكتوب الثالث - من «إميل» الى أمه (*)﴾

افضأوه اليها بحبه لقينة من المثلثات - كيف تعلق قلبه بها - استعلامه سيرتها - تمنيه انقاذها مما هي فيه - طلبه المغفرة من أمه بعد اعترافه لها بالحب .
تحريراً في ١٢ مايو سنة ١٨٦

اني منذ عرفت نفسي ابثك جميع ما يسوءني وما يسرني وما أكره وما أحب وأكاشفك بالخير والشر ولا أكتُم عنك شيئاً حتى اني لما كنت بحضرتك ما كنت في حاجة الى البيان لانك كنت تطالعين أفكاري في عيني وتبصرينها تجول على جيبني وهذه أول مرة لي في حياتي أسررت فيها سرا وليت شعري أأبوح به الي قصب نهر الرين ؟ إذا لتضحك مني كما تضحك من اذني الملك ميداس (١) أم أبته الى القمر ؟ كلا فقد سمع كثيرا من أمثاله أم أكنه في قلبي ؟ اذا أنبئتني عليه سريري . ما أنا بفاعل شيئاً من ذلك بل أريد أن أودعه صدراً مني على ان الإفضاء به ليس من السهولة بالمقدار الذي كنت أتوهمه فاني ما أنشأت أخط هذه السطور الاولي من مكثوبي حتى ارتعشت يدي وخفق قلبي ولست إخالك الا ساخرة مني ولكن أقل ما أنا واثق به منك انك لن تجدي علي أن صدقتك الخير واذا كان الامر كذلك فلا بد من افشائه وهو اني أحب !

الآن أراك تسأليني من هي التي تحبها وأين رأيتها وكيف عرفتها وفي هذه

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب إميل القرن التاسع عشر

(١) ميداس بحسب ما جاء في أساطير اليونان هو ملك فريجيا وهي قطر من أقطار آسيا الصغرى اشتهر بواقعتين نذكر إحداهما فقط لاختصاصها بهذا الموضوع وهي ان ابولون بن المشتري حكمه في المناظرة التي قامت بينه وبين بان إله الرعاة في الموسيقى والشعر والفنون وكان بان صديقاً للملك فحكم له فلم يكتف ابولون في الانتقام من ميداس بسلخ جلده حياً بل جعل له بدلاً من أذنيه أذني حمار ففطاهما ميداس بتاج حتى لا يظهرا للناس ولما علم ان حلاقه لا بد له من رؤيتهما عاهده على كتمان أمرهما ولكن الحلاق لم يلبث أن ثقل عليه الكتمان فاحتقر حفرة في الارض عمز عن الناس وأسر فيها قوله ان لملك ميداس اذني حمار فاتفق بهد حين أن نبت في هذا المكان قصبات كانت كلما هزتها الريح كررت هذا القول

الاسئلة ما يزيدني حيرة وارتباكاً

في مدينة بُسن ملعب من الطبقة الثانية غير انه مشهور بحسن اختيار القصص
التمثيلية فيما يمثل فيه قصة مريم استوارت (١) وقصص شيلار (٢) وقصة غويت
عن فوست وصرغريته (٣) وغيرها من القصص الشهيرة والموسيقى والأغاني
الموقعة عليه في هذا الملعب يومان أو ثلاثة تحل فيها محل الأديبات والوقائع التمثيلية
وأنا أذهب اليه في بعض الأحيان لسببين أولها ترويح نفسي من عناء الدرس
وثانيها إيلافها أصوات اللغة الألمانية فمن نحو شهر ابتدأت قينة بافيريّة (٤) فتيّة
تفني على الموسيقى هناك وكان أول ما غنته قصة النبي من توقيع ماير بير فبلغت
من الاجادة في تغنيها الى حد أن جميع طلبة الجامعة كانوا يلحجون بذكرها كأنها
آية من الآيات فجزيت معهم في مساق الاعجاب بها ولما انطلقت الى الملعب
ورأيتهما داخلة في باحة التمثيل كان كلي عيوننا تبصر وآذاننا تسمع وليس صوتها هو
الذي اشتد اعجابي به مع كونه من أندى الأصوات وأندرها بل الذي ملأني
اعجاباً هو ما في تغنيها من الروح بل ما في خلقها من الحسن والاثقان فبت ليلى كله
أحلم بها ولا يفارقي طيفها وكنت أراها بين الافلاك السماوية وأسمع أنغام الكواكب
الموسيقية فكأن فيثاغورس (٥) كان يحب قينة مثلي عند ما كان يحدث تلاميذه
عن حسن ألحان النجوم

ولخوفي من انقضاء اعجابي بها فيما يلي من التمثيل عاهدت نفسي على أن
لا أختلف الى الملعب ليالي تغنيها ولكني ما استطعت أن أوفي بعهدي وقد اتفنى

(١) مريم استوارت هي بنت يعقوب الخامس ملك ايقوسيا وصريم لورين ولدت سنة ١٥٤٢ م وماتت سنة ١٥٨٧ م تزوجت بولي عهد فرنسا (من اول حكم فرنسيس الثاني) وبعد موت زوجها رجعت الى ايقوسيا وتزوجت بهنري درنلي ثم بالكونت بوتويل ثم ثار عليها رعاياها فلاذت باليهابات ملكة انكلترا التي حبستها ١٩ سنة ثم أمرت باعدامها (٢) شيلار شاعر ألماني شهير ولد سنة ١٧٥٩ م ومات سنة ١٨٠٥ ومن أشهر قصصه المحزنة النوبة والانشين وغليوم تل (٣) غويت واسمه جان ولف جانج هو أكبر كاتب ألماني ولد في فركت فور سيراين سنة ١٧٤٩ م ومات سنة ١٨٢٢ وفوست اسم لشخص خرافي مشهور في حكايات الالمان بأنه تعاهد مع الشيطان (٤) نسبة الى بافير احدى ولايات المانيا (٥) فيثاغورس فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة ٥٦٩ ق م ومات سنة ٤٧٠ ق م أقام بمصر وبابلون مدة طويلة ثم رجع إلى بلاد اليونان وأسس مدرسة في كروتون وهو أول من قال بالتناسخ وعرف نظام العالم الحقيقي

عني كثيراً خوف اقلالي من التحمس في حبها بما اكتشفته فيها على توالي الايام من الخصائص الجملة التي لم أكن لاحظتها من قبل ولا بد من الاعتراف لك بأنني كنت أجلس من الصف المواجه لباحة التمثيل بحيث أكون مرئياً لها وقد حسب لحظي مرة أو مرتين أنه لاقي لحظها... ولكن ربما كان هذا ضلالاً ومع ان التمثيل كان يمكث أكثر من أربع ساعات كنت دائماً أجده في غاية القصر وأغادر مقعدي في ختامه وقلبي مغمم بما لا يوصف من الاضطراب

خطر في ذهني ان أخاطبها بأبيات من الشعر أنظمها وأرسلها اليها غير ممضأة مني على يد بواب الملعب الهرم ففعلت وكنت أقول في نفسي وقت نظنها ان أقل فائدة لي منها ان تعلم ان واحداً من الناس يحبها ولكنها كانت أبيتاً رديئة وأقر بأنما ما كانت تؤدي نصف ما كنت أضمره لها من عواطف الميل وهذا ما دعاني الى عدم الاعتقاد بصحة ما قيل من أن الشعر من لوازم الحب كما قرأته ذات مرة في بعض الكتب وليس في قدرة أحد ممن عدا المصطفين من الخلق أن يعبر عن كل ما يجده في نفسه وبالي التي كنت واحداً من هؤلاء النوابغ الممتازين

كنت من مساعي في القرب من هذه الفتاة واقفاً عند الحد الذي ينتهك فيما أنا في يوم من أيام الآحاد أجوب المتنزه الذي تجتمع فيه نساء المدينة في نحو الساعة الثانية بعد الظهر اذا بها أقبلت آخذة نحوي في مخرف فنظر بيالي أولاً ان اتكب هذا المخرف لساوك احدى السبل المقاطعة له لانه كان يخيل لي ان سأصفق مما قام بنفسي من ضروب الانفعال والاضطراب غير اني تثبت ومشيت مشية الجندي الباسل الذاهب الى حومة الوغى فرأيتها في بزة بالغة من الرونق غايته على بساطها وارباه ! كم وددت لو كنت في تلك الساعة قفازها أو زهرة قلنسوتها أو مظلمتها التي تقيها حر الشمس ! أقول ذلك واني لاعلم انه كان مني قبيحاً ولكن لا ينبغي أن أكتنم عنك شيئاً من مواضع ضعفي

ان في اللحظ خاصة الجذب فاني كنت آنس من لحظي اذا رنوت اليها ان كله اقرار وتصريح بالحب ولما مر كل منا حذاء صاحبه جرى على وجهي لآلاء حسناتها كما يجري لمعان البرق ولم أجسر على الالتفات خلفي الا بعد ان جاوزتها

بثلاثين خطوة فرأيتها قد بمدت عني مهرولة غير اني بصرت في المسافة التي بيني وبينها بشيء أبيض يخفق خفوق جناح الحمامة من صفق الريح اياه فهاثر يثت في التقاطه فاذا هو مندبيلها قد سقط منها . . . أو تعمدت اسقاطه فعدوت خلفها ودفعته اليها فأظهرت الدهش من ضياعه وتلطفت في اسديائي الشكر على رده وراقني ان سمعتها تحسن التكلم بالفرنسية فلاح في ذهني أن أعرفها اني صاحب الشعر الذي أرسل اليها ولكني كنت من شدة الاضطراب الذي استولى على نفسي بحيث لم أستطع تحريك شفهي بكلمة ما ولا بد أن تكون حسبتني ابله يزعم العارفون بتركيب الحيوان ومنافع أعضائه ان الذاكرة لا تحفظ الروائح وعذرم في ذلك أنهم لم يحبوا في حياتهم فان مندبيلها وهو قطعة من النسيج البانسني (١) الرقيق كان يتضوع عن عطر لطيف لن أنساه مادمت حيا . وفي اليوم التالي لهذا اللقاء انطلقت الى ماحول المدينة من الرابي الزاهرة فجئت باقة من ألطف ما وجدته من الزهور البرية وأدناها على المفاف ولما حان وقت التمثيل خباها في قنصوتي المدرسية وأخذت مجلسي في اللعب فغنت كما دتها بصوت يسمو سامعيه الى السحاب ولكن كان يخيل الي أن هذه المرأة التي لاقيتها في الطريق أمس ذلك اليوم أكل من قينة وان كان استعدادها للتغنية مثارا للاعجاب وبعد ان انتهت من غنائها وانصرفت استعدادها جميع السامعين فهطلت حولها باقات الزهر من غرف اللعب والكراسي المقابلة لباحته وأن لي أن ألقى اليها باقي فاهتمت غاية الاهتمام بأن تبصرني عندا لقائهما مع تظاهري بالاختفاء خلف جبراني وما أدراك ما فعلته حينئذ؟ لقد أهملت كل ما ألقاه غيري من الازهار النادرة مثل زهر الكاملية (٢) وزهر التين الهندي والورد ذي الأسنة وعمدت الى باقي الحديقة المؤلفة من أزهار برية فتناولتها وضممتها الى قلبها أفلا ترين في ذلك برهانا على حبها لي ؟ ستقولين لي أنت لا تعرفها وقد تكون مخالفة تمام المخالفة لما تخيلته منها وانه كان ينبغي لك قبل أن تملل نفسك بالاماني والاهام أن تكون على بينة من أخلاقها وكيفية معيشتها فأجيبك أن هذا أيضا لم يفتني وأقر بأنني لم أقف من

(١) البانسني نسبة الى بانست وهو أول صانع لهذا النسيج (٢) الكاملية زهرة يابانية جلبها الى أوروبا مرسل ديني اسمه كاملي فنسبت اليه

تجري سيرتها الا على أخبار لا يزال فيها شيء من الغموض ولم يجتمع لدي في هذا الصدد الأقوال في غاية التعارض والتناقض فأنت تعلمين مقدار ما للشبان فيما بينهم من القسوة على النساء ولا سيما المثلثات فقد بلغ الحسد من افساد خلق الانسان الى حد أن جعل من لذاته تمزيق اعراضهن مع ما هن من الملكات التي هي مناط الاستحسان العام ولست بمخف عنك شيئاً مما يقولون فبعضهم ينسب لها من هنات الشباب ما يغير دمي ويشير غصبي و بعضهم يقول انها تعيش مع أمها في حي منعزل عن المدينة وقد أراني الطلبة هذه الام تصحبها ابلا عند خروجها من الملعب فلم أجدينها مشابة ما وان أردت الوقوف على شيء من نعتها فتخيلي امرأة ضخمة من عامة النساء قد ذر شاربها واني لمتألم من تصور ان مثل تلك الزهرة قد نبتت من هذه المارة ومهما يكن من وضاعة أصل تلك الجارية فمن الفضل أن تعامل بجميع ما يجب افتاة مخصصة مثلها من صنوف الرعاية والتكريم

على اننا اذا ساهمنا حصول أسوأ ما يتأتى حصوله منها وفرضنا ان سيرتها لم تكن دائماً مرضية أفلا يكون الذنب في ذلك على مهنتها وعلى من يعاشرونها من الناس ؟ اني أراها بالغة من الظرف والكياسة مبلغاً أستبعد معه أن لا تكون لها نفس زكية وربما لم يتفق لها في حياتها أن تمثل لها الحب الصحيح المطهر للنفس بشراً فاضلاً كريماً . وارباه أي فخر أناله لو أيسح لي أن أمد يدي الى تلك الروح الماسكية فأناشها من درك الانحطاط الذي هبطت فيه لتعود الى نور الهدى والفضيلة

ها أناذا قد كشفت لك مكنون سري ونجوت بهذا الاعتراف من شديد زجر سريرتي والآن أقع بين يديك راجياً منك غفران خطيئتي . اهـ

بإذن الأستاذ الامام

تأبين الأستاذ الامام

في يوم الجمعة (١٧ جمادى الثانية ١٨ أغسطس) اجتمع خواص الناس من العلماء والادباء والوجهاء من المسلمين وغيرهم عند قبر الأستاذ الامام حكيم الشرق

وحجة الاسلام الشيخ محمد عبده اثأينه وراثته وكان عدد المجتبعين عظيمًا كما كان ينتظر أو أكثر مما كان ينتظر فقد غص بهم المكان المعروف بالحوش والبطحاء التي أمامه ورجع خلائق أموا المكان فلم يجدوا مقعدا ولا موقفا

قام حسن باشا عاصم الذي كان رئيس الديوان الخديوي من قبل بعد تلاوة أحد اقراء آيات من الكتاب العزيز فألقى على الحاضرين سيرة الامام ، بالاختصار اللائق بالمقام ، وتلاه الشيخ أحمد أبو حطوه القاضي في المحكمة الشرعية الكبرى وأحد أكابر المدرسين في الجامع الازهر وطفق يسرد ما كان للفقيه عليه الرضوان من خدمة العلم والدين والاصلاح الصوري والمعنوي في الازهر والمحاكم الشرعية وماله من الايادي البيضاء على العلم والعلماء ، وقد ضعف صوته أن يصل الى آذان الحاضرين جلياً فامتدت الاعناق وكاد يضطرب الجمع فاستناب عنه محمد أفندي سعودي أحد كتاب المحكمة بعد الاعتذار . ثم قام حسن باشا عبدالرازق أحد أعضاء مجلس الشورى فد كر من فضائل الفقيه وفواضله وآثاره وما أثره ماشاء الله أن يذكر وتوسع بعض التوسع في أثره رحمه الله تعالى في مجلس الشورى وكيف كان صاحب الرأي الاعلى حتى ارتقى به المجلس وزال ما كان بينه وبين الحكومة من سوء التفاهم . وتقفاه قاسم بك أمين القاضي في محكمة الاستئناف الاهلية فد كر مكانة الفقيه في الامة ، وما امتاز به من المزايا الجمية ، وكيف وقف نفسه على اصلاح أمتة ، وكان قدوة صالحة في علمه وسيرته ، وكيف ارتقى بجده وعلمه وعقله وقوة ارادته ، الى مقام مكنه من الاخذ بزمام أمة بأسرها ، وسوقها الى المستقبل الذي هياها ، وهو مقام الامامة بأوسع معناها

تلا هؤلاء الخطباء أشعر الشعراء في هذا العصر حفي بك ناصف القاضي بمحكمة مصر الاهلية وحافظ أفندي ابراهيم فأنشد كل منهما مرثية أبكت السامعين بعد ما كدنا نظن ان تلك الخطب المؤثرة قد استنزفت الشوون من العيون .

فأما مرثية حافظ فقد نشرناها في جزء سابق وأما مرثية حفي فسننشرها مع سائر المراثي والتأبين في جزء الرثاء والتأبين من تاريخ الأستاذ الامام رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثم ختم الاحتفال كما بدى بتلاوة آيات القرآن الحكيم وانفض الجمع وهم يستطرون الرحمة لفقيه الشرق والاسلام ، ويسألون الله أن ينفع بسيرته الانام ،

وقد رأوا ان هؤلاء المؤمنين الذين يمثلون الطبقات العليا في الأمة على ما لهم من الصفة الرسمية قد سجلوا مناقب الفقيد على رؤوس الاشهاد وأقرهم الالوف على ذلك سبق للادباء والوجهاء في مصر ان اجتمعوا لتأبين ثلاثة رجال شفيق بك منصور يكن الذي كان قاضياً في محكمة الاستئناف ثم رئيساً للنيابة فيها ووكيلاً للنائب العمومي (المتوفى سنة ١٣٠٨) وعلي باشا مبارك ناظر المعارف الذي خدمها في مصر بهمة واجتهاد واخلاص بقدر ما سمحت له قدرته وحال البلاد (المتوفى سنة ١٣١١) ومحمود سامي باشا البارودي وهما العهد به ببعيد

كل أولئك نابغ في قومه انفرد بالسبق في بعض المزايا حتى لم يكن في عصره من يزاحمه في منريته فيدعي مساواته فيها وكأنك بهذه الأمة التي زادت بها الحرية الشخصية فوزى وتهجماً من الوضيع على محاكاة الرفيع فيما تسهل المحاكاة فيه مما كان عن الرفعة دون ما كانت به الرفعة قد صارت تجتمع لتأبين من ليس لهم فيها أثر يذكر ولا ذكر يرفع اجابة لدعوة أهلهم وأصدقائهم حتى لا يبقى لمثل هذا الاجتماع مزية يحفظها التاريخ أو يحفل بها المؤرخ

قد بلغ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى من المكانة العالية والشهرة الواسعة ان صارت الأبصار تشخص والقلوب من ورأها تتلفت الى كل ما كان يكون منه أو يصدر عنه أو يعمل له أو يقال فيه وهذا ما أحسب أن يجعل تأبينه سبباً لاجلال التأبين وحمل المقلدين على الرغبة فيه وهذا هو الذي يجعل التأبين بعد اليوم محاكاة لاجلال الأمة لمن يؤبن لاحكاية عنه اذ يمز أن تجذب قلوب جميع الطبقات في الأمة لمجتمع يشاد فيه بذكر رجل بعد خادما الامين ، وامامها في العلم والعمل والدين ، أو ينبغ فيها من يساهم الرجل في فضائله ، ويكون له في الأمة ولو بعض فواضله ، فتأبين الاستاذ الامام هو الذي جعل للتأبين شرفاً يرغب فيه ويحمل على محاكاته وهو الذي يسلبه هذا الشرف اذا كان غير مستحقه واذا فهم المقلدون هذه الحقيقة فانهم يكرمون من يفقدون من ذوي القرني أو الصداقة بترك الدعوة الى تأبينهم ويتركون هذا الأمر الى الأمة نفسها يقترحه فضلاؤها وكتابها لمن يروونه أهلاً له في المستقبل فيكون كما ينبغي أن يكون ، والله في خلقه مشوون ،

كتاب تعزية من عالم انكليزي

كتب مستر أدوارد برون أحد علماء الانكليز الاعلام المدرس في مدرسة كبرج الجامعة الكتاب الآتي بالعربية الى حموده بك عبده يعزیه به عن أخيه الاستاذ الامام فنشرناه هنا تنويهاً بانصاف كاتبه وفضله وتنبيهاً للاذهان على ما كان لامام الشرق في نفوس علماء الغرب ليعلم من لم يكن يعلم أن تعارف إمامنا بالافرنج قد كان حجة للإسلام وشرقاً للمسلمين . قال الكاتب :

سيدي الفاضل المكرم

لا أعلم بأي لسان أعزيكم وكل المصريين بل كل المسلمين بل كل العالمين ، على هذه المصيبة التي عمت الناس كلهم أجمعين ، وخصت المصريين ، ومنذورود هذا الخبر الهاثل رب يوم أردت ان آخذ القلم بأصابعي لكي أعرب عما في القلب من الحزن والغم الشديد ووضعت يأساً وعجزاً لان هذه المصيبة وراء الكلام خبر "ما نابنا مصمئل" جل حتى دق فيه الأجل

ياسيدي في مدة عمري رأيت كثيراً من البلاد والعباد وما رأيت مثل الفقيد المرحوم قط لا في الشرق ولا في الغرب فوالله كان وحيداً في العلم ، وحيداً في التقوى والورع ، وحيداً في البصيرة والاطلاع على ظواهر الامور وبواطنها ، وحيداً في البلاغة والفصاحة ، عالمًا عاملاً محسنًا ورعًا مجاهدًا في سبيل الله معجباً للعلم ملجأ للفقراء والمساكين شامساً في القر حتى اذا ما زكت الشعري فبرد وظل

كيف أصف بهذا اللسان العاجز هذا الرجل الوحيد الفقيد الذي كنت أفتخر بأن أحسب من أقل تلامذته انما أرجو من سيدي أن يقبل مني تعزية من قلب حزين غير قابل للتسلي على هذا الفقدان العظيم

أريد ان شاء الله أن أكتب شيئاً باللغة الانكليزية في ترجمة حال الفقيد وقد جمعت كل ما وجدت في الجرائد العربية في هذا الباب وأرجو من حضرتك أن تعينوني في ذلك بارسال الترجمة الموعودة في المؤيد اذا طبع على حدة لكي أسفيد بما فيه من المعلومات . فتقبل ياسيدي المكرم في الختام أخلص تعزيتي وأزكي السلام

المخلص أدورد برون



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: أني للإسلام صوي وده مناراه كنار الطريق)

مصر - ١٦ شعبان سنة ١٣٢٣ - ١٥ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٥

باب العقائد

﴿ مذهب السلف ، وطريقة الخنابلة في التأليف ﴾

نودج من مقدمات شرح عقيدة السفاريني الذي نطبه في هذه الايام المسمى (لوائح الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقيدة الفرقة المرحضية ، قال

﴿ السابع ﴾

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أو شهر بقباب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان فشو البدع وظهورها كان بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالاتهم وإبطال مذهبهم وتزييفه وذم من ذهب اليه أو عول عليه أو انتهى الى ذويه أو ناضل عنه أو مال اليه سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والخبر البحر المفضل أبا عبد الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الامة المقدمين قال حرب ابن اسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق بن ابراهيم بن راهويه مع ما ذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الابوار والتابعين الاطهار ومن بعدهم . قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف ، شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال وهو مذهب الامام أحمد واسحق وبقية ابن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن

حاصلنا وأخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والامام الخ
كلامه كما سنبه عليه في محاله» وعن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم في كتب
التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحق
وإبي بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي
حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر عبد العزيز وأبي الشيخ
الاصفهاني وأبي بكر بن مردويه وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد
على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد
بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب
السنة لأبي داود ولأبي بكر الأثرم ولعبد الله بن الامام أحمد والحنبل بن اسحق
ولأبي بكر الخلال ولأبي الشيخ الاصفهاني ولأبي القاسم الطبراني ولأبي عبد الله
بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري والابانة لأبي عبد الله
ابن بطة وكتاب الاصول لأبي عبد الله الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي
وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك فالأئمة الاربعة والسفيانان والحمادان وابنا
أبي شيبة والليث ابن سعد وابن أبي ذيب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري ومسلم
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور
وابن جريج والاوزاعي وابن الماجشون وابن أبي ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسمر
ابن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلي امام أهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة
وأبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية
أثرية وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه للعلامة التي ذكرناها
حتى ان الشيخ أباحسن الأشعري قال في كتابه - الابانة في أصول الديانة - مانعه
بمخروفيه «فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة
والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا
الذي به تقول وديانتنا التي بهاندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتصمون وبما
كان عليه الامام أحمد بن حنبل نصر الله وجهه قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه

الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين» انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك وبالله التوفيق

— الثامن —

قال الجلال السيوطي في الاوائل أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام في الرسالة المحوية الكبرى أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمان وأخذها ابان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهم اسم جنس لا اسم علم قال وكانت الصابئة اذذاك الاقليلا منهم على الشرك وعلماءهم الفلاسفة وان كان الصابي قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفارا ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية أو اضافية أو مركبة منها وهم الذين بحث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً - فيما ذكره الامام أبو حنيفة رضي الله عنه - عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر

الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فاسفته لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فرجعت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركون والفلاسفة الضالين امامن الصابئين وامامن المشركون فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب أهل الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه . وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحق والفضيل بن عياض وبشر الخافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خاق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب الضيعه فيما أقرى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وضللهم ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله فذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضالين قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل

فالمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً والمسلم يعبد إله الأرض والسماء والله أعلم

﴿التاسع﴾

مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت الماثور وأهله هم الفرقة
 الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة وكل مكرمة راجية من الشفاعة
 والورود على الموضع وروية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والأيمان بالقدر
 والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين
 كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه — ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى
 ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة بالأمور بها — من أن طريقة السلف أسلم وطريقة
 الخلف أعلم وأحكم وهو لاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد
 الإيمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين وإن طريقة الخلف
 هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب
 اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء
 الظهور وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف
 فجمعوا بين باطلين أجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال
 بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف *
 على علم الخلف) ما نصه «ومن محدثات الأمور ما أحدثته المعتزلة ومن هذا حذوهم
 من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطراً من الكلام
 في القدر لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وينقسم
 هو لاء إلى قسمين أحدهما من نفي كثيراً مما ورد به الكتاب والسنة لاستلزامه
 عنده التشبيه كنفي الروية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق
 السلف على تبديهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن ينتسب
 إلى السنة والحديث من المتأخرين والثاني من رام إثبات ذلك بأدلة العقول التي
 لم يرد بها الاثر ورد على أولئك مقالتهم كالكرامية ومن وافقهم حتى إن منهم من أثبت
 الجسم اما لفظاً واما معنى ومنهم من أثبت له تعالى صفات لم يأت بها الكتاب
 والسنة كالحركة وقد أنكر السلف على مقاتل ردة على جهنم بأدلة العقل وبالنوا

في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من اصرار آيات الصفات وأحاديثها كاجابات من غير تكليف ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من السلف خلاف ذلك ألبنة خصوصاً الإمام أحمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وإن كان بعض من كان قريباً من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل ابن سليمان فلا يقتدى به في ذلك وإنما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد ونحوهم رضي الله عنهم فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس الكلام المتكلمين فضلاً عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو زرعة الرازي: كل من كان عنده علم فلم يصن عنه واحتاج في نشره إلى شيء من الكلام فلم يتم منه وقال الحافظ ابن رجب أيضاً وفي زماننا تتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الأمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ ما لم تأخذ به الأمة من قبله وأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا يخلو من نظري الكلام الاتجهم: وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث وابتاع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات واجدال ونسبته إلى الجهل أو الحشو أو إلى أنه غير عارف بالله أو بدينه فمن خطوات الشيطان نعوذ بالله منه » انتهى ملخصاً

وفي الآداب للعلامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد قال حدثني أبي قال: قبور أهل السنة من أهل الكباثر روضة وقبور أهل البدعة من الزنادقة حفرة فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء الله: وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرفم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «إنا لله إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تسمع ومن

دعوة لا يستجاب لها» وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها «ومن دعاء لا يسمع» وفي بعضها «أعوذ بك من هؤلاء الأربعة» وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني» ورواه النسائي من حديث أنس رضي الله عنه وزاد «وارزقني علماً تنفعني به» ويأتي الكلام على هذا بأبسط من هذا في المقدمة والله أعلم

(المنار) كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الخبايلة فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر القول ما فهموها حق فهمها، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها، وأن كتب الاشاعرة هي وحدها منبع الدين، وطريق اليقين، ثم اطلعنا على كتب القوم فاذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المثلى، وتورد الناس مورد هم الاحلى، واذا بقارئها يشعر ببشاشة الايمان، ويحس بسريان برد الايقان، واذا الفرق بينها وبين كتب الاشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لحي، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتجتاذبه تيارات المباحث النظرية، وقد ظهر لي اذ تبينت ان مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم ان هذا من دلائل صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن المسلمين بعد أن نظروا في فلسفة الحكماء الأهلبيين، وخاضوا في جميع علوم الأولين، لم يأتوا بشيء في توثيق عقدا الايمان، ولا بالوصول الى الحق بالبرهان. الا بدون ما جاء به القرآن، ولو كان هذا القرآن من وضع البشر لارتقوا عنه بعد خروجهم من الأمية، وتوغلهم في العلوم العقلية من رياضية وطبيعية وفلسفية، ومما تفضل به كتب الخبايلة سائر الكتب أنها يحتاج اليها في كل زمان، وكتب الاشاعرة قد استغنى الناس عن معظم نظرياتهم الآن، لأن معظمها من الفلسفة اليونانية وقد نسخت، وفي مناظرة فرقة المعتزلة وقد انقرضت، نعم لا أقول ان كل ما كتب الخبايلة من المسائل والمباحث صواب، وانها معصومة من الخطأ فاليها المرجع والمآب، فان العصمة لكتاب الله وحده «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»

فتاوى المفتين

فتنا هذا الباب لا جابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسماء ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وبقاقد من تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وبقا أجنبنا غير مشترك مثل هذا. ولين بمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان اننا ندر صحيح لا غفاله

(اعطاء الزكاة والصدقة للشرفاء ومعاملتهم)

(س ٣٠) عوض بن جهمان سعيدان في (سنا فوره) ما قولكم سيدي في اعطاء الزكوات لمن صح انتسابهم الى الامام الحسين بن علي عليها السلام صحة لاصرية فيها يعتقدونها المعطى والمعطي اعتقاداً جازماً مع علمهما بالنهي الوارد فيه وتعليل الشارع عليه الصلاة والسلام عدم حلها لآل بيته بكونها أوساخ الناس الخ. لما ذكر من غنائهم بما لهم من خمس الخمس والحاجة تقليداً لقليل من متأخري أثمة الشافعية في تحليلهم الاعطاء والآخذ (كذا كتبت العبارة والظاهر انه يريد بيان علة من قال بالجواز بالحاجة مع عدم استغنائهم الآن بما لهم من خمس الخمس) فهل ما جرح اليه أولئك القليل مما يسقط به الجرح عن الآخذ وتبرأ به ذمة المعطي أم هو اجتهد مع وجود النص ونسخ لما صرح الشارع بعدم حله معللاًه بأمر ذاتي وهو مع ذلك حفظ قوم لا يتعداهم فاعطاؤه غيرهم ظلم لهم فلا يجوز؟

(س ٣١) ومنه معطوفاً على ما سبق: وفي الاموال حقوق على أهلها غير الزكاة فما هي؟ ولما كان القصد بيان الحكم المفهوم من النصوص الشرعية بهذا ذكرها وذكر ما فهمه سلف الأمة منها وذلك مما يتندر على أهل هذه الديار رفعنا هذه السطور مستمدين من المنار تحقيق المسألة خدمة للشرع كما هو ديدنه وله الشكر منا سلفاً والاجر من الله (ج) روى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة انه قال أخذ الحسن بن علي ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كخ كخ ارم بها أما علمت انا لانا كل الصدقة»

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وحبان

وصحاحه من حديث أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع اصحبني كي تصيب منها فقال لا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله وانطلق فسأله فقال «إن الصدقة لا تحل لنا وإن موالي انقوم من أنفسهم»

وجاء في شرح الحديث الأول من نيل الأوطار ما نصه: قال ابن قدامة لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة وكذا قال أبو طالب من أهل البيت حكى ذلك عنه في البحر وكذا حكى الإجماع ابن رسلان وقد نقل الطبري الجواز عن أبي حنيفة وقيل عنه تجوز لهم إذا حرموا سهم ذوي القربى حكاه الطحاوي ونقله بعض المالكية عن الأبهري منهم . قال في الفتح وهو وجه لبعض الشافعية وحكى فيه أيضاً عن أبي يوسف أنها تحل من بعضهم لبعض لأنهم غيرهم وحكاه في البحر عن زيد بن علي والمرتضى وأبي العباس والإمامية وحكاه في الشفاء عن أبي الهادي والقياس العياني قال الحافظ وعند المالكية في ذلك أربعة أقوال مشهورة - الجواز المنع، جواز التطوع دون الفرض، عكسه - والأحاديث الدالة على التحريم على العموم ترد على الجميع وقد قيل إنها متواترة تواتراً معنوياً ويؤيد ذلك قوله تعالى «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» وقوله «قل ما أسألكم عليه من أجر» ولو أحلها لآله أو شئت أن يطعنوا فيه ولقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الصدقة أوساخ الناس» كما رواه مسلم وأما ما استدلل به لقائلون بحلها للهاشمي من الهاشمي من حديث العباس الذي أخرجه الحاكم في النوع السابع والثلاثين من علوم الحديث بإسناد كله من بني هاشم أن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله إنك حرمت علينا صدقات الناس هل تحل لنا صدقات بعضنا بعض قال «نعم» فهذا الحديث قد أتته بعض رواه وقد أطال صاحب الميزان الكلام على ذلك فليس بمصالح تخصيص تلك العمومات الصحيحة، وأما قول العلامة محمد بن إبراهيم الوزير بعد أن سأل الحديث ما ألفه: وأحسب به متابعاً لشبهة القول به (قال) وأقول به قول جماعة وافرة من أئمة العترة وأولادهم وأتباعهم بل ادعى بعضهم أنه إجماعهم ولعل

توارث هذا عنهم يقوي الحديث : انتهى فكلام ليس على قانون الاستدلال لأن مجرد الحساب ان له متابعا وذهاب جماعة من أهل البيت اليه لا يدل على صحته وأما دعوى انهم أجمعوا عليه فباطل باطل ومطولات مؤلفاتهم ومختصراتها شاهدة لذلك ، وأما قول الأ مير في المنحة انها سكنت نفسه الى هذا الحديث بعد وجدان سنده وما عضده من دعوى الاجماع فقد عرفت بطلان دعوى الاجماع وكيف يصح اجماع لأهل البيت والقاسم والهادي والناصر والمؤيد بالله وجماعة من أكابرهم بل جمهورهم خارجون عنه ، وأما مجرد وجدان السند للحديث بدون كشف عنه فليس مما يوجب سكون النفس . والحاصل أن تحريم الزكاة على بني هاشم معلوم من غير فرق بين أن يكون المزكي هاشمياً أو غيره فلا ينفق من المعاذير عن هذا المحرم المعلوم الا ما صح عن الشارع لا ما افقه الواقعون في هذه الورطة من الأعذار الواهية التي لا تخلص ولا ما لم يصح من الأحاديث المروية في التخصيص . ولكثرة أ كاة الزكاة من آل هاشم في بلاد اليمن خصوصاً أ رباب الرياسة قام بعض العلماء منهم في الذب عنهم وتحليل ما حرم الله عليهم مقاماً لا يرضاه الله ولا نقاد العلماء فألف في ذلك رسالة هي كالسراب الذي يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجد شديناً ، وصار يتسلى بها أ رباب النباهة منهم وقد يتعلل بعضهم بما قاله البعض منهم أن أرض اليمن خراجية وهو لا يشعر أن هذه المقالة مع كونها من أبطال الباطلات ليست مما يجوز التقليد فيه على مقتضى أصولهم فالله المستعان ما أسرع الناس الى متابعة الحموى وان خالف ما هو معلوم من الشريعة المطهرة . واعلم ان ظاهر قوله « لا تحل لنا الصدقة » عدم حل صدقة الفرض والتطوع وقد نقل جماعة منهم الخطابي الاجماع على تحريمها عليه صلى الله عليه وآله وسلم وتعقب بأنه قد حكى غير واحد عن الشافعي في التطوع قولاً وكذا في رواية عن أحمد وقال ابن قدامة ليس ما نقل عنه ذلك بواضح الدلالة وأما آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أكثر الخنفية وهو المصحح عن الشافعية والحنابلة وكثير من الزيدية انها تجوز لهم صدقة التطوع دون الفرض قالوا الآن انحرى عليهم انما هو أوساخ الناس وذلك هو الزكاة لا صدقة التطوع . وقال في البحر ان خصص صدقة التطوع القياس على الهبة والهدية والوقف . وقال أبو يوسف ما

العباس انما تحرم عليهم كصدقة الفرض لأن الدليل لم يفصل اه ما في نيل الأوطار
فأنت ترى ان الحديث في تحريم الصدقة على الآل صحيح وان الخلاف في
معه ضعف ويزيد الخلاف ضعفاً عمل الناس بالحديث من الصدر الأول حتى صار الحكم
معلوماً من الدين بالضرورة . وان علته تنزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شبهة أخذ
الاجر على النبوة وكونها طريقاً له أولاً له الى حطام الدنيا ثم حمل آله على التنزه
عن أوساخ الناس ليتربوا على كرامة النفس وعزتها ويكونوا قدوة للناس سيرة
الترفع عن الدنيا والحساس ، وأي خسة أبلغ من رضى الانسان بأن يكون عالة
على الناس يده السفلى وأيديهم هي العليا؟ ولوجاز في أصل الشرع بذل الصدقات
لآل البيت لقدمهم الناس فيها على غيرهم حتى ليوشك أن يعطى منهم غير المستحق
ويحرم المستحق من غيرهم رجاء أن يكون ذلك أكثر قبولا عند الله تعالى وذلك
مما يحملهم على ترك الكسب اتكالا على ما يبذل الناس من صدقاتهم ، على انهم
لم يسلموا من هذا في كثير من البلاد مع تحريم الصدقة عليهم فان الناس يبذلون
لفقرائهم من صدقة التطوع ما يبذلون ، ويقدمون لوجهائهم من الهدايا ما يقدمون ،
حتى صارت معاشهم فائضة من أنامل الناس يوطنون أنفسهم عليها بطناً بعد بطن
فانصرفت همهم عن الكسب حتى ضعف استعدادهم له فنزل بهم الناس سيرة
علم الحياة الاجتماعية وهم يحسبون أنهم صاعدون فهو لاء الذين يحتالون لتجويز
اعطائهم الزكاة يحسبون أنهم يحسنون صنفاً بالقيام بمصلحتهم وسد خللتهم وفاتهم
أن الشارع أعلم بهذه المصلحة وأحكم ، حيث حرم عليهم ما حرم ، ومن الجهل أن
يقال ان التحريم خاص بذلك الزمان ، وان لنا أن نقول بنسخه الآن ،
كذلك أضر المحبون بنا معشر الشرفاء بالغلو في التعظيم لكان النسب لان هذا
كان سبباً لاقتناع الجماهير منا بهذه المكانة دون مكانة العلم والاستقلال الذاتي
فان صغيرنا يرى الكهول والشيخ يهون الى يده بالتقبل فلا يشعر بحاجة الى
كمال آخر يرتفع به ذكره ويعلو قدره فيكون سيدا في الناس بمجده في العلم والفضل ،
لا يعمل أيه وجهه من قبل ، والرأي عندي للاغنياء المحبين لآل البيت أن يساعدوهم على
الاستقلال بأنفسهم حتى يكون الناس في حاجة الى علمهم ورفدهم ولا يكونوا هم عالة

على الناس لأن يلبصقوا بهم أو ساخهم ويجعلوهم كالقمل الذي لا يعيش الا في الوساخة والدرن . وان يؤخذوا الشريف الذي يخرج عما يليق بشرفه من كرامة النفس ، والاعتصام بأدب الشرع ، مالا يؤخذون سواء ، وان يعظموا فضائله ، ويجلوا فواضله ، بأبلغ مما يكون لمن عداه ، كما توعد الله نساء النبي بمضاعفة عذابهن على الذنب ضعفين ، ووعدهن بإيتائهن أجرهن على العمل الصالح مرتين ، وهو تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأما الحقوق التي على الانسان في ماله غير الزكاة فمنها الواجب ، كالنفقة على من تنزله نفقته وكزالة ضرورة المضطر فان من رأى معصوماً مشرفاً على الهلاك من الجوع يجب عليه اطعامه كما يجب عليه انقاذ الغريق عند القدرة على ذلك والمراد بالمعصوم من لا يباح دمه شرعاً كالمحارب ولا يفهم من هذا أن غير المعصوم تحرم اغتياله مطلقاً فرب انقاذ محارب يأتي بمصلحة أو يسوق الى هداية . ومنها ما هو مندوب كبذل المال في وجوه الخير ايّا كانت كالضيافة وأنفعها في هذا الزمان انشاء المدارس لتعليم النافع والتربية الصحيحة والجمعيات الخيرية التي تقوم بتربية اليتامي وكفالة العاجزين ونحو ذلك من الوجوه التي يعم نفعها حتى ترتقي بالسبق فيها أمة على أمة ، وتستعلي بآثارها دولة على دولة ، وناهيك بالجمعيات التي تبث الدعاء في الاقطار لهداية الخلق الى الحق في زمن لا يحفل ملوك المسلمين وامراؤهم فيه بالدعوة ولا يهتم أمر الدين . وانك لتجد في باب التفسير من أجزاء المنار بياناً للآيات الكريمة التي تحض علي بذل المال في سبيل الله غير فريضة الزكاة فلا حاجة الى كتابة شيء من الآيات هنا وهي كثيرة جداً . وكذلك الاحاديث في هذا المقام كثيرة فان كان يرى السائل حاجة الى سرد شيء منها فليكتب اليها

لعن معاوية والترضي عنه - وفيه حكم اللعن مطلقاً -

(س ٣٢) ومنه : سيدي قال لي أحد العلماء ان من يلعن معاوية أقل خطراً من يترضى عنه ولقصور علمي لم أحر جواباً فهل هو مصيب فيما قال أم مخطي ؟ أفيدونا على صفحات المنار لازلتم مؤيدين وبعين العناية ملحوظين

(ج) هو مخطي بلا شبهة فالدعاء بالخير - ومنه الترضي - من البر الامن قام عنده دليل قطعي على ان فلاناً مات كافراً بالله وأن الله غضبان عليه وهذا لا يعرف

الابوحي من الله تعالى لأن المعاصي والكفر في الحياة لا يدلان دلالة قطعية على أن صاحبيهما ماتا عليهما لأن الخاتمة مجهولة بخلاف بين العلماء ولا العقلاء وأما اللعن فهو من السفه الذي لا ينبغي للمؤمن وقد قال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالسباب ولا بالطمان ولا اللعان» قال الخافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء رواه الترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه: ورواه غيرهم من حديثه ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً. وروى الترمذي من حديث ابن عمر وحسنه «المؤمن لا يكون لعاناً» وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان اللعانيين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» وورد في حظر اللعن وذمه غير ذلك من الأحاديث وقد جعل حجة الاسلام الفزالي اللعن على ثلاث مراتب بحسب الصفات المقتضية للعن الأولى أن يلعن الكافرين أو المبتدعين أو الفاسقين جملة، الثانية أن يخص طائفة منهم كآكلي الربا من الفاسقين مثلاً، الثالثة لعن شخص معين من هذه الأصناف ونذكر عبارته فيها قال رحمه الله تعالى

«الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبت لعنته شرعاً فتجاوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً أما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً. فإن قلت يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وإن كان يتصور فيه أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبتته على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل اجاز أن يقال لعنه الله أن مات على الكفر ولا لعنه الله أن مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر. وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعل

الاعيان فيه خطر لأن الاعيان تثقل في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوماً باللعن فكان يقول في دعائه على قریش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد رحتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذروي انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً فنزل قوله تعالى « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » يعني انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون . وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجوز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرء به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعمهم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة . فقال أبو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم « اكف عن أبي بكر » فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال « يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الالباء » (١) فكف الناس عن ذلك . وشرب نعيان الخمر فحدمرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك » وفي رواية « لا نقل هذا فإنه يحب الله ورسوله » (٢) فنهاه عن ذلك وهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائزة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلاً فضلاً عن غيره . فان قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال انه قتل أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق . « نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير

(١) الحديث رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة (٢) رواه

بهذا السياق ابن عبد البر في الاستيعاب وهو عند أحمد والبخاري وغيرهما لم يسم فيه نعيان

تتحقيق . قال صلى الله عليه وسلم « لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كافراً وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه » وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً . وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتتهك أن تشتم مسلماً أو تعصي اماماً عادلاً » (٢) والتعرض للأموات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله : قلت توفي قالت رحمه الله : قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » (٣) وقال عليه السلام « لا تسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء » (٤) وقال عليه السلام « أيها الناس احفظوني بين أصحابي واخلواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً » (٥)

« فإن قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله : لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فإن وحشياً قاتل حجة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا يجوز أن تنتهي

(١) الحديث رواه الشيخان والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم لفظ الفسق والحديث الذي بعده رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٢) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل (٣) رواه أحمد والبخاري والنسائي بدون ذكر قصة عائشة مع مسروق وهي عند ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤) رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة بن شعبه (٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس وبعض جملة شواهد في الصحاح كحديث أبي سعيد وأبي هريرة عند أحمد والشيخين « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وحديث ابن عمر عند أبي داود والترمذي « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » وغير ذلك

الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر
«وانما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان
فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر أو على الاجناس
المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم
يكن ففني السكوت سلامة . وقال مكى ابن ابراهيم كئنا عند ابن عون فذكروا بلال
ابن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون
انما نذكرك لما ارتكبه منك (١) فقال انماها كلمتان تخرجان من صحتي يوم القيامة
«لا إله الا الله ، ولعن الله فلاناً - فلأن يخرج من صحتي «لا إله الا الله» أحب
الي من أن يخرج منها (لعن الله فلاناً) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أوصني فقال (أوصيك أن لا تكون لعاناً) (٢) وقال ابن عمر إن أبغض الناس الى
الله كل طعان لعان . وقال بعضهم لعن المؤمن كمثل قتله قال حماد بن زيد لو
قلت انه مرفوع لم أبال (٣) وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمناً فهو مثل
أن يقتله : وقد نقل ذلك مرفوعاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) و يقرب
من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلاً:
لا صرح الله جسمه ولا سلمه الله : وما يجري مجراه فان ذلك مذموم . وفي الخبر ان
المظالم ليدعوا على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة « اه
ما كتبه الغزالي

(المنار) قد أوردت كل هذا ليعلم القارئ أن السنة الرجيحة والاحاديث
الصحيحة وسيرة السلف الصالحين وفقه أئمة الدين كل ذلك ينهى المؤمن عن

(١) ابن عون هو أبو عون عبد الله بن عون أحد أعلام السنة أدرك أنس بن
مالك وروى له الجماعة . و بلال بن أبي بردة هو ابن أبي موسى الأشعري كان أمير
البصرة وقاضياً روى له الترمذي حديثاً واحداً وكان قد آذى ابن عون ولذلك
سبه القوم ولعنوه أمامه فلم يشايهم بل أنكر عليهم (٢) رواه أحمد والبخاري في
التاريخ وغيرها (٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٤) المرفوع رواه الشيخان
من حديث ثابت بن الضحاك بلفظ (لعن المؤمن كقتله)

اللعن الذي يتساهل فيه أهل الأهواء من السفهاء وما أحسن قول حجة الإسلام «ففي لعن الأشخاص خطر ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره» أي فإن الله تعالى - وإن لعنه - لم يكافنا لعنه وأكبر العبر للمؤمن فيما تقدم تأديب الله تعالى نبيه إذا نزل عليه حين طفق يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة «ليس لك من الأمر شيء» أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون» وأصحاب بئر معونة سبعون رجلاً من القراء بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم ليعلموا الناس القرآن فقتلهم عامر بن الطفيل وأصحابه . وروى أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم من حديث أنس أن الآية نزلت يوم أحد حين كسر المشركون ربيعة النبي صلى الله عليه وسلم وشجوا وجهه وفي حديث ابن عمر عند أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد «اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت الآية وهي على هذا أكبر عبرة وأعلى تهذيباً

هذا وإن السواد الأعظم من المسلمين يعدون سب معاوية ولعنه من الكبائر ويرمون سابه بالرفض والابتداع وإن السني من المسلمين ليعادي الشيعي على سب معاوية وأبي سفيان بل لعن الخلفاء الثلاثة ويعادي الخارجي على سب عثمان وعلي مالا يعادي غيرها على ترك فريضة من الفرائض أو ارتكاب فاحشة من الفواحش فهذا الطعن في عظماء الصحابة وحمة الدين الأولين لو كان جائزاً في نفسه لكفى في تحريمه ما يترتب عليه من زيادة التفريق بين أهل القبلة وتمكين العداوة والبغضاء في قلوبهم حتى يكفر بعضهم بعضاً . لهذا لا أبالي أن أقول لو اطلع مطلع على الغيب فعلم أن معاوية مات على غير الإسلام لما جاز له أن يلعنه . فما قاله ذلك الرجل للسائل مردود لا قيمة له وهو دال على أنه جاهل بقيتي بغير علم بل بمحض الهوى (استدراك) علم مما تقدم عن الغزالي أنه لا يجوز لعن كافر ولا فاسق حي وإن هذا خطر لما يتضمن من الرضى بموته على كفره أو فسقه، ولا لعن ميت لأن الخاتمة مجهولة لا تعرف إلا بوحي من الله ، وأن لعن الفاسق والكفار عامة أو لعن صنف معين منهم في الجملة جائز ولكنه غير محمود شرعاً والأولى أن يستبدل

الانسان بذلك اللعن ذكر الله أو الكلام في الخير. وأقول إن جواز لعن الصنف أو النوع بمعنى عدم تحريره مقيد بما إذا لم يكن سباً لهم في وجوههم لأن السب محرم في ذاته لأنه بذاء مذموم وسبب للشحناء والصدوان وقد نهى الله تعالى عن سب معبودات المشركين، ثلاثاً يسبوا معبود المؤمنين، فقال في سورة الانعام «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» ولا يخفى ان حرمة الكتابي أعظم من حرمة المشرك واثقاء تنفيره أهم وان ايداءه اذا كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً محرم بالاجماع، وانه لا يصح أن يجعل لعن الفاسقين ذريعة الى تنفيرهم عن فسقهم كأن يحضر مجلس السكارى ويلعن شاربي الخمر على مسمع منهم لان الارشاد يجب أن يكون بالمعروف واللين - هذا وان لعن صنف من الكفار أو الفساق في حضرة أفراد من الصنف هو بمثابة لعن الاشخاص فهو معصيتان لأنه سب علي من جهة ولعن لأشخاص معينين من جهة أخرى.

فعليك أيها المؤمن أن تحفظ ما بين فكيك فانه لا يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائذ السننهم كما ورد في الحديث الصحيح عند الترمذي وابن ماجه. ولا تغتر ببعض حملة المائم، وسكنة الاثواب العباغب، اذا رأيتهم يلعنون الأحياء والأأموات ويكفرون المسلمين، ويبرزون خروجهم عن هدي الدين في معرض الدفاع عن الدين، فأولئك ليس لهم حظ من هدى الاسلام، ولا من العلم غير الثرة والتشديق في الكلام، وقد روى أحمد من حديث أبي ثعلبة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال «ان أبغضكم اليّ وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام» ومثله عند الترمذي من حديث جابر وله نظائر

ومن علامات هؤلاء السفهاء ان لهم في كل مجلس لسان ومع كل مخاطب وجه فهم المنافقون، هنا يذمون وهناك يمدحون، وهم على الناس شر من المبتدعة وأهل الأهواء الذين يلعنون أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان هؤلاء يغتر بهم العوام ما يغترون بأولئك. وشرهم الحساد الذين ينفرون الناس عن الحكماء المصلحين، ويخوضون في أعراض العلماء العاملين، «وعلي الله قصد السبيل ومنها جناثر ولو شاء لهذاكم أجمعين»

باب في بيان ما يجب على الوالد

« الحب الحقيقي ومعاملة الوالدين للشباب العاشق »

✽ المکتوب الرابع — من هيلانه الى ولدها (*) ✽

لقد راقى منك يا بني العزيز صراحتك وموافقة سرك لعلايتك واني مجتنبه كل الاجتناب مما زحتك في غايتك التي نطت بها أمانيتك ومع اعترافي بأن ما قصصته علي في شأنها لا يخلو من أمور تدعوني الى التفكير وتبيح لي أن أنبهك في أمرها الى تفاصيل اخاها مربية أتحامى ان أجرد تلك الاماني من زهوها وأعريها من روائها فليس عليك الا أن تنكر انك شاب غرماً تختبر شيئاً من أمور الدنيا وانك وآسفي لسرعان ما تتعلم أن لا تغتر بالظواهر وعسى الله أن لا يجعل في ذلك خسارة عليك قد تماهدت أنا وأبوك على عدم التداخل في محباتك بحال من الاحوال فأنت حينئذ آمن من ضروب عذلي وتأنيبي ولكنك بما صرت ولي نفسك مسئولي عن جميع ما يقترفه قلبك في سبيل الحب من الآثام واعلم أن من هو في مثل سنك يكون شديد الارتياح الى الاعتذار والانخداع فكم شاب يحسب من الحب ما ليس هو الا اضطراباً في مشاعره وسراباً يبدو لحواسه لان الحب الصحيح هو الاستيلاء على نفس المحبوب ولا يبلغه الا من كان حقيقاً به واهلاله

لم يلاق بنفسي أدنى أثر مما للناس في المثلثات من الاوهام وانهم اظالمون في حكمهم على كثير منهم وحاشا أن أحكم على تلك القينة التي فتنتك بمحاسنها وأن لا أعرفها وإنما أنبهك الى انك ليس لك حتى الآن أدنى وجه صحيح في أن تستنتج من بعض أحوالها معك أنها تفضلك على غيرك من عبادها فمن غرور الشبان أن يعتقدوا انهم محبوبون لأنهم محبوبون على أنني أسام لك ان قلبها ماب لمواطنك فالذي تعرفه منها والذي تتلمسه من وراء حبها ليس من الخصائص المقومة للمرأة في شيء لانك انما تهشق منها تفنيتها وحسنها ودعابتها وهي من ارباب

تستفيد العامة منها أكثر مما يستفيد الرجل الذي قد تصير صاحبة له فهل تدري ما بقي لتمثال حبك الذي تعبد به من المحاسن اذا زال عنه زخرف الملمع ورويقه وغرور العشق وخدعه ؟

أنت بنفسك فيما يظهر لي مرتاب من ماضي سيرتها لأنك تمنى لو أتيتك لك انتقاذا من الدرك الذي هي فيه وهي فكرة كريهة جعلها أدباء العصر بدعة من البدع ومما ذ الله صيانة لشرف المرأة نفسه ان اعتقد ان ذنوبها لا تكفر بل اني أسلم ما قلته من ان الحب قد يمحو بعض الادلناس ولكننا لانعلم كثيراً من أمثال النساء اللاتي أبن الى الرشيد بعد النفي ثم اني لأظنك فسكرت فيما يعترض مقصدك الدال عن البسالة من الصعوبات والمواقف فان انتقاذا الخاطئات الذي يحسن الطيش لبعض الشبان الاغرار أن يدعوهم لأنفسهم يلابسه في معظم الاحيان من الكبر والعجب أكثر مما يصاحبه من الاخلاص الحقيقي فكأنهم بهذا يعتقدون أن ملائكة العشق اللاتي أهبطن الى حضيض الرذيلة ليس لهن من الصلف والاياء مثل ما لهم . ان من يحاول ذلك العمل يجب أن يكون بالغاً من قوة النفس ولطف الذوق مبلغاً عظيماً يسمو به عن الغضب من المرأة الخاطئة واذا لاهلهم هل أنت في سنك هذا تأنس من نفسك قوة واقداماً على كتمان الغيرة فانها تبكيت ومواخذة للمرأة التي لم تكن طول حياتها عفيفة وهل لك من السلطان على نفسك ما يكفي لإخفاء ما يكون في معظم الاحيان ماثراً للريبة منك وهو ندمك على اجلالك لمثل تلك المرأة مع انه لا يسمح به عادة الا للزكية الطاهرة فاذا كنت لم تستكمل هذه الصفات فخل الجهاد عنك لأنه لا يكون من ورائه الا زيادة من تزعم انتقاذا خسرأ

من الامهات من يكتبن لأبنائهن في مثل هذا الموضوع على أسلوب مغاير لهذا تمام المغايرة فقد يؤنبهن ويجهدن في تخويفهن من عواقب طيشهم وغير الامهات قد لا يرين في كل هذا الامقدمة لواقعة من الوقائع الشائع حصولها بين الشبان وهفوة عادية من هفوات الطلبة وربما قلن فوق ذلك وهن مبتسمات «تهويناً تهويناً» فمن الواجب اقالة عثرات الشباب «وأما أنا فأعلم انك جاداً فيما كتبت والا لما

أفضيت اليّ بسرك ولهذا أجبتك بالجد واست أخاف عليك الآن تكون خدعة لما في خيالك من التوقد الذي هو من لوازم منك ومن العبث القول بالتسامح في أمر الحب فليس أحد يعلم عليه بالاستخفاف به لأنه إذا لم يرفع النفس ويزكها فإنه يسفلها ويدسيها وحسبي ما قلته في هذا الموضوع فلا أزيدك عليه شيئاً
جاءتنا أخبار من البيرو فقد كتب إلينا قوبيدون وجورجيا بأنهما يذكرا أنك و«لولا» ذكرا كثيراً

وما ينبغي أن تعلمه أيضاً أن «لولا» تفكر في اختيار مهنة لها فقد قالت لي من أيام مضت «أبي أريد أن أتعلم حرفة من أجل أن...» وما عمت أن فرت إلى حجرتها قبل أن تتم كلامها وقد أهر وجهها خجلاً

وأراني أدركت مرادها وهو أن المرأة التي لا مال لها ولا حرفة ليست حرة فإذا تزوجت فأما تزوج في الغالب مقام زوجها ومكاته و«لولا» لعزة نفسها وإياها تنصر من هذا الاحتياج ولا ترضى الاستكانة له فهي تريد أن تقول يوماً ما لمن يرونها من الناس أن استطاعني أن أعيش بعلمي وأني إذا أخلصت في تحصيل الاغتباط والسعادة لك فذلك لأنني أحبك

أستودعك الله يا بني العزيز وأوسع صدري على الدوام لتلقي أسرارك ومشاركتك في آلامك وأبعث لك في هذا قبلة الحب الذي لا يتغير الا وهو الحب الذي لك في قلب أمك. اهـ

أنا على الحسنة

مبادئ التعليم • في الدين القويم

كتب الشيخ مصطفى بكري الأسيوطي مدرس اللغة العربية بمدرسة مفاغة الخيرية رسالة وجيزة في أركان الاسلام الخمسة لأجل تعليم المبتدئين جعلها أسئلة وأجوبة وهي منتزعة من الكتب المتداولة مع التسهيل والتوسع في بعض المسائل فالرسالة سهلة من أحسن ما كتب للمبتدئين وكنانود من معلمي المدارس الخروج

عن تقليد عبارات بعض المتأخرين الى ما هو أسهل منها وأقرب الى الالذهان فانه
ليحزني أن يلحق الولدان أن الواجب اعتقاده في الله تعالى عشرون صفة واجبة
وعشرون صفة مستحيلة وصفة واحدة جائزة فان هذا الاصطلاح الذي جرى
عليه السنوسي في عقيدته دقيق لا يمكن أن يفهمه المبتدئ وحفظ الالفاظ ليس
من الاعتقاد في شيء . ما هي الصفة التي تشمل الوجودي والعدمي والواسطة
بينهما على القول بالواسطة وما فيه من الفلسفة الفرية ؟ كيف كان الوجود الذي
هو الجنس العالي لجميع الموجودات على التحقيق صفة ؟ وكيف كانت القدرة صفة
وكونه قادراً صفة أخرى ؟ وكيف جعل فعل الشيء أوتركه صفة من الصفات ؟
هل وردت هذه الاصطلاحات في الكتاب والسنة فلتتزم فهم العقيدة منها ؟ هل
كاننا الله تعالى اعتقاد كون الملائكة أجساماً نورانية قادرة على التشكل بالصور
الجميلة مسكنهم السموات دون الأرض وأن نعرف أربعة منهم فقط ؟ هل يذكر
في العقائد الوجيزة ماورد أو استنبط من أحاديث الآحاد عن عالم الغيب ؟

لعل مؤلف هذه الرسالة وأمثاله ممن يكتبون للتعليم يسلكون مسلكاً آخر
فيه تلاميذهم كأن يقولوا في تنزيه الله تعالى إن خالق هذه الكائنات لا يشبهها
ولا تشبهه فليس كمثل شيء مما نعرفه بحواسنا وتتصوره عقولنا فهو قديم ليس قبله
بشيء وهي حادثة لأنه هو الخالق وهي المخلوقة وهو باق أبدي لا يفتي ولا يتغير
وهي تتغير وتفتي . ويقولوا في الصفات الثبوتية ان الله تعالى عالم لا يعزب عن علمه
مقال ذرة في السموات ولا في الأرض لأنه خالق كل شيء والصانع الضميف من
الآدميين يعرف دقائق صنعته أفلا يعلم الخالق من خلق : ويقولوا في عالم الغيب
ان الله تعالى خلق خلائق كثيرة منها ما أعطانا حواساً ومشاعر لإدراكه
ومنها ما هو مغيب عنا . وعالم الغيب عظيم لا يحيط به الا الله تعالى وقد جاءنا
الوحي بذلك بعض ما فيه كالملائكة وحقيقتهم مجهولة عندنا لكن الله تعالى وصفهم
بأوصاف العقلاء وأسند اليهم العبادة وتلقين الوحي للأنبياء وغير ذلك فنؤمن
بما جاء به الوحي من ذلك لا نزيد عليه ولا ننقص منه ولا نقيس عليه ولا نشبهه بما نعلم
من عالم الشهادة ولا غرابة في هذا فاننا الى الآن لم نعرف حقائق ما نشاهده وما زال

يظهر لنا في هذا العالم أشياء كانت مفهومة لأنرى لها نظيراً فيما كنا نعرف من قبلها
كالكهرباء مثلاً . مثل هذا يقال ويكتب للبديين

جواهر البلاغة - في المعاني والبيان والبديع

كتاب جديد ألفه الشيخ أحمد الهاشمي وجعل له خاتمة في القوافي وفنون الشعر
وهو يمتاز على الكتب القديمة التي استمد منها بشيء يرغب القارىء في القراءة ويذوق
نشاطه ويحفز ذهنه وهو أنه جعل الكتاب على الطريقة المصرية في الوضع والطبع
أي جعل فيه بياضاً كثيراً وعناوين كثيرة وجعل لكل مبحث تمريناً أما البياض
فهو ما يترك غفلاً في صحائف الكتاب بين أبوابه وفصوله ومباحثه وكذا في اعجاز
السطور إذا تمت المسألة في أثناء السطر ، وقد أكثر صاحب جواهر البلاغة من
هذا البياض حتى أنه ليدكر الأقسام لشيء ، انقسم على هذا النحو
« فصاحة المركب سلامته بعد فصاحة مفرداته من ستة أشياء »

١ تنافر الكلمات مجتمعة

٢ ضعف التأليف

٣ التعقيد اللفظي

٤ التعقيد المعنوي

٥ كثرة التكرار

٦ تابع الإضافات

ومثل هذا كثير وقد جعل للكلام في الفصاحة عنواناً بحروف كبيرة وفصاحة
المفرد عنواناً مثله وفصاحة المركب عنواناً آخر وعلى ذلك فقس . وقد بلغت
كراريس الكتاب (ملازمه) ٢١ ولوطبع على الطريقة القديمة لما زادت على ١٥ الا قليلاً
وان هذا الوضع الذي يزينه حسن الطبع هو سبب من الرغبة في القراءة كما قلنا
والرغبة في القراءة هي السبب الاول في الرواج ومن ثم ترى هذه الكتب التي توضع
وتطبع على الطريقة المصرية أكثر رواجاً ولا يعتبر بهذا الذين لا يزالون يلتزمون
الطريقة العتيقة في جعل الكتاب كله كتلة واحدة سوداء يرمي اليها الناظر بطرفه
فلا يكاد يميز مبحثاً من آخر ويرون هذا الصنيع اقصداداً في الورق ولا يدرون أنهم

لوم يقتصدوا هذا الاقتصاد لكان خيراً لهم وللناس . على أن السابقين ما وضعوا
الفصول في الكتب إلا ليكون بين المبحث وما يليه بياض يهدي الطرف الى بداية هذا
وغاية ما قبله ولكن المتأخرين جعلوا لفظ (فصل) كالتعبد به فصاروا يضمونه في
اثناء السطر يتصل به ما قبله وما بعده فيكون وصلاً لا فصلاً

وضع في آخر الكتاب تقريظ منها تقريظ عزى الى الاستاذ الامام رحمه الله
تعالى نبينا اليه من رأى الكتاب من الأدباء فراههم عزوه لأن عبارته دون ما عهد من
عبارات إمام البلاغة وقد رابنا ماراهم ووددنا لو يطلعنا المواقف على الاصل الذي
عنده بخط الاستاذ الامام . وهذه عبارة التقريظ « اطلعت على كتاب جواهر البلاغة
في علوم المعاني والبيان والبدع والعروض والقوافي وفنون الشعر والسرقات والمحاضرات
الشعرية فوجدته كتاباً عظيماً ، وأسلوباً حكيماً ، يشهد لحضرة مؤلفه بملك الذوق
السليم ، والعقل الحكيم هداه الله الى « الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
غير المفضوب عليهم ولا الضالين . آمين » اهـ

ولاشك ان كل ذي ذوق سليم يعرف كلام الاستاذ الامام يرتاب في كون
هذا التقريظ له واذا ظهر انه له وانه لا غلط فيه ولا تحريف التمسالة عذراً وأزلنا
ارتياب المرتابين .

الألزم ، من لزوم مالا يلزم

«لزوم مالا يلزم» أو اللزوميات هو مجموع ما يؤثر عن الفيلسوف العربي أبي الملاء
المعري من الشعر في الفلسفة الإلهية والاجتماعية والكونية وانتقادات الانسان في
الكون وغير ذلك من ضروب التخيل والحقيقة . وهو ديوان طويل شهير يدخل في
سفرين كبيرين وقد عمد أحمد أفندي نسيم الشاعر المصري وعبد الله أفندي المغيرة
الاديب النجدي الى الكتاب فاختارا منه أرقه وأعذبه في مذاقهما وطبعاه في
ديوان لطيف سمياه (الالزم) الخ وكتب في أوله ترجمة وجيزة للناظم ذكرها في آخرها
ما كنا أوردناه في ص ٢٧٣ من المجلد السابع ديلاً على صحة عفيده وقوة دينه . وقد
نقلنا هناك الايات التي كانت أنشدها في إخلوته كما كتبت في ترجمته وهكذا
أوردها صاحب الألزم والبيت الاول منها يحرف وهو

كم غودرت غاده كعاب وعمرت أمها المعجوز

فإن السياق يدل على أنه يريد كم ماتت فتاة ناعمة الشباب كاعبة الشديين وعمرت بعدها أمها المعجوز ولفظ « غودرت » لا يدل على الموت لأن معناه تركت وكنا بعد أن نشر الجزء الذي كتبنا فيه الأبيات اهتدينا إلى أن غودرت محرفة عن « غوضرت » ولم يتح لنا التنبيه إلى ذلك إذ كنا لا ندكره عند كتابة المنار حتى تذكرناه الآن . وإذا صح هذا ولا يخاله إلا صحيحاً فهو قد استعمل غوضرت بمعنى ماتت في غضارتها ونضرة شبابها ولكن الصيغة التي جاءت من هذه المادة بهذا المعنى هي « اغنضر » ففي كتب اللغة التي في أيدينا اغنضر فلان بالبناء للمفعول مات شاباً صحيحاً أي في غضارة شبابه ورياحته وهله اغنضر وهو مأخوذ من اغنضر الكلاً إذا أخذه أو رعاه طرياً غنضاً في ريعان خضرته ويقال اغنضر الفاكهة إذا أكلها قبل إدراكها إذ تكون خضراء ولا يبعد أن يكون المعري قد روى غوضر بمعنى اغنضر أو يكون ممن يستجيز مثل هذا البناء ويراه قياساً وتذكرت أيضاً - والشئ بالشئ - يذكر - ما كنت كتبه في ترجمة محمود سامي البارودي (ص ٨٢٦ م ٧) من نفي المعرفة بكون صيغة تفرع عربية مسموعة لأنهم لم تذكر في مادة ف ز ع من القاموس وشرحه ولسان العرب وغيرها من الكتب ثم رأيتها في القاموس نفسه في آخر مادة روع قال « وتروّع تفرع » وعزمت على ذكرها في المنار وكنت أنساها عند الكتاب مع أن جريدة الصاعقة انتقدتها علي منذ أشهر فذكرتني بها ولكن في غير وقت كتابة المنار ولكل شيء أجل هذا وقد طال الكلام في الاستطراد وشعر المعري غني عن التقرير وقد طبع المختار من اللزوميات طبعاً جميلاً وهو يطلب من طابعه

— أبو مسلم الخراساني —

قصة تاريخية غرامية هي الحلقة التاسعة من سلسلة القصص التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان ويطبعا في مجلته « الهلال » واسم هذه القصة يدل على أن ما فيها من تاريخ المسلمين هو قيام أبي مسلم بالدعوة إلى الخلافة العباسية حتى سقطت بسعيه الدولة الأموية . وقد صارت طريقة صاحب الهلال في تأليف القصص معروفة

لجواهر قصصه غنية بهذه الشهرة عن التقريظ والتنويه ببيان فائدتها التاريخية وفكاهتها الأدبية فحسب المقرظ أن يعلم الناس بأن القصة طبعت على حداثتها وإنما تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

السلح الخفي - اليد الاثيمة

قصتان افرنجيتان ترجمهما صالح أفندي جودت ونظمتا في سلك قصص « مسامرات الشعب » والمراد بالسلح الخفي السم وباليد الاثيمة يد امرأة شريرة فاجرة كانت تنتقم بالسم من أعدائها وفي القصتين غرائب تلذ للقاري ولكنني أنصح لصاحب هذه المسامرات أن يختار القصص التي تمثل الفضيلة وتشرح محاسن آثارها على القصص التي تمثل الرذيلة وإن ساءت عاقبة أنصارها الآن تذكر الرذيلة من غير شرح لكيفيتها وتطويل بذكرها ويكون الاسهاب في بيان سوء مغبتها وشقاء أربابها

ألف نادرة ونادرة

كتاب لمحمد أفندي مسعود أحد كتاب جريدة المؤيد « محرريها » جمعه من الكتب الافرنجية وطبعه في مطبعته المعروفة بمطبعة الجمهور وصفحاته ٣٥٥ وفي هذه النوادر ما هو فكاهة وحكمة وما هو فكاهة فقط أو حكمة فقط ومنها ما ليس بشيء وجملة القول فيها أنها من المسليات التي يرغب فيها عند السآمة من العمل والكتاب لطلب من صاحبه في المؤيد بمصر

تاريخ الاستاذ الامام

يوزع هذا الجزء من المنار ونحن شارعون في طبع قسم التأبين والمرآة والتعازي من تاريخ الاستاذ الامام وهو وحده يدخل في مجلد ضخمة وفيه مما لم يطلع عليه القراء في هذه البلاد أقوال بعض الجرائد المعبرة في الاقطار الغربية الشرقية ومراي وتعازي بعض العلماء والأدباء التي لم تنشر في الجرائد المصرية ويتلوه طبع جزء منشآت الفقيد من المقالات العلمية والاجتماعية والرسائل الدينية والأدبية وغير

ذلك مما هو غير منشور ولا متداول ومنه مقالات «العروة الوثقى» برمتها ونوثر طبع جزء سيرته وترجمة حياته المطولة الى ما بعد تمام طبع هذين الجزئين لزيادة القروي والاتقان لأنها تكتب بحرقة كاملة ويفصل فيها ما لقيه في سبيل الإصلاح من العناء وما قيل فيه وما كيدله

ومنى تم طبع هذا الجزء الذي شرعنا فيه نعلن عنه في الجرائد ونجعل لكل مشترك في المنار الحق في أخذ نسخة منه مجاناً اذا كان قد أدى قيمة الاشتراك تامة. وانا في هذا المقام نعيد استجداء أصدقاء الامام ومريديه بأن يتفضلوا علينا بل على التاريخ بما عساه يوجد عندهم من آثاره القلمية وما يعرفون من مناقبه الشخصية لنضع كل شيء في موضعه من التاريخ فان الطبع فيه سيكون متصلاً ان شاء الله تعالى

هذا وان لتقليد تفضله الله برحمته صورة شمسية قد أخذت منه وهو يصلي في معهد عام في لندرة عند زيارته الأولى لها وذلك انه أدركه وقت الصلاة في ذلك المكان الذي هو كحديقة الازبكية بمصر ورأى انه اذا عاد الى المكان الذي يقيم فيه فان الصلاة تخرج عن وقتها فصلى على الأرض حيث كانت فأسرع حاملاً الآلات القوترافية الى أخذ صورة عالم شرقي في هيئة عبادة لم يسبق لهم رؤية مثلها ثم وصلت تلك الصورة الى هذه البلاد والى سوريا وتونس فمن كان عنده صورة منها فليكرم علينا بها لتأخذ مثلها ونعيد لها وله الفضل والشكر

شكر بعد شكر

كذلك كما في بعض أصحاب الجرائد اليومية المعتبرة في هذا القطر بأن يعبروا عن شكرهم بنشر هذه المجلة وأشواقه للذين عزونا عن فقد والدنا الجليل (تفضله الله برحمته) جاءتنا تعازي أخرى في البرق والهريد من أنحاء القطر ومن السودان ثم من بلاد الهند ومن بلاد المغرب فوجب علينا نبدي الشكر ونعيد لجميع الذين تمضوا بتعزيزنا أولاً وآخرأ ونسأل الله تعالى أيتهمم الأرزاء ، ويديم عليهم العناء ،



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي وده مناراه كنار الطريق)

﴿ مصر — غرة رمضان سنة ١٣٢٣ — ١٢٩ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

﴿ نموذج آخر من شرح عقيدة السفاريني ﴾

﴿ تنبيهات ﴾

(الاول) لا خلاف بين العقلاء ان الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزّه عن جميع صفات النقص لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص فقراهم ثبت أحدهم لله ما يظنه كمالاً وينفي الآخر عين ما أثبته هذا لظنه نقصاً وسبب ذلك أنهم سلطوا الافكار على ما لا سبيل اليه من طريق الفكر فان الله تعالى خلق العقول وأعطاهها قوة الفكر وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة للوهاب الإلهي فاذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه أصابت باذن الله تعالى واذا سلطت الافكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت من عمياء وخبطت خبط عشواء فلم يثبت لها قدم ولم ترتكن على أمر تطمئن اليه فان معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات وانما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص إلهي يختص به الانبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومما يوضح ذلك ان العقول لو كانت مستغلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وانزال الكتب واللازم باطل بالنص قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ولو انا اهلكناهم بعدذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) فكذا الملزوم فلما بعث الله الرسل وأنزل الكتب وجبت لله على الخلق الحجة البالغة وانقطعت علاقة الاعتذار (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنعها القبول وقد أنزل الكتاب وأنزل فيه ما حارت في ادراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله أمرنا الشارع بالايان بها ومنها ناعن التفكير في ذات الله رحمة منه بنا ولطفنا لعجزنا عن ادراكه فان تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تهب بلا فائدة ونصب من غير عائده وطمع في غير مطعم وكد من غير منجم وقد أمرنا بالايان بالمتشابه وفي الحديث «تعلموا القرآن والتمسوا غرائبه» يعني فرائضه أي حدوده - وهي حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموأحرامه وأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله» رواه الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجروا أمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموأحرامه وأفعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما هيئتم عنه واعتبروا بأمثاله وأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا» وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالة وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب» ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً بنحوه وروى ان أبي حاتم

من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسولهم في العلم ان آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه . ولما قدم ابن صبيغ المدينة المنورة وجعل يسأل عن متشابه القرآن أرسل اليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضر به حتى أدمى رأسه وفي رواية فضر به بالجر يد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برى ثم أعاد عليه الضرب ثم تركه حتى برى فدعا به ليعيده عليه فقال ان كنت تريد قتلي فاقتلي قتلاً جميلاً أوردني الى أرضي فأذن له الى أرضه وكتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين . وفي فروع ابن مفلح من علمائنا ان عمر رضي الله عنه أمر بهجر ابن صبيغ لسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات انتهى وهذا من سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسد باب الذريعة والآية الشريفة دلت على ذم متبع المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم الى الله وسلموا اليه كما مدح الله تعالى المؤمنين بالغيب فعلى العاقل الناصح لدينه ونفسه أن يسلك مسلك السلف الصالح وأن يرقى على سلم التسليم فانه من أنجح المصالح وأن يؤمن بالمتشابهات من آيات الأسماء والصفات كما فعل الصحابة والتابعون ويمثل من نبيه خاتم النبيين وإمام المرسلين في قوله « وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » فلقد بالغ في النصيحة بأدلة صحيحة وكلمات فصيحة فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته ورضي الله تعالى عن آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وذوي الحق وحزبه

❦ الثاني ❦

اعلم ان مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فالله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات من المحدثات فاذا ورد القرآن العظيم وصحیح سنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بوصف للباري جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم

ووجب اثباته على الوجه الذي ورد ونكل معناه للعزير الحكيم ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ولا نلحد في كلامه ولا في أسماؤه ولا في صفاته ولا نزيد على ما ورد ولا نلتفت لم طعن في ذلك ورد فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف فمن عدل عن هذا المذهب القويم زاعغ عن الصراط المستقيم وانحرف فذع عنك فلاناً عن فلان وعليك بسنة سيد ولد عدنان فهي العروة التي لا انفصام لها والجنة الواقية التي لا انحلال لها والله تعالى الموفق

الثلث

قد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والتقضي والتدقيق فيما زعموا انه قضايا برهانية وحجج قطعية يقينية وقد شحنوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتخيلات الكشفية والمباحث القرمطية وكان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي يبالغون في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله حتى ان هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس قال يوماً بلغني ان بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق والله علي ان أظفرن به الله لا قتلته قلة ما قتلها أحداً فأقام بشر متوارياً أيام الرشيد نحو من عشر بن سنة قال شيخ الاسلام بن تيمية وهذه التأويلات التي ذكرها بن فورك ويزكرها الرازي في (تأسيس التقديس) ويوجد منها في كلام غالب المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشاهير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخاري في المائة الثالثة في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افتري على الله من التوحيد) فحكي هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي ان المريسي أقمد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته وقد أجمع أئمة الهدى على ذم أئمة المريسية وأكثرهم كفروهم وضلواهم وذهموا الكلام وأهله بعبارات رادعة وكلمات جامعة قال أبو الفتح نصر المقدسي في كتابه (الحجة على تارك الحججة) بإسناده عن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول ما

رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح ولما كلمه حفص الفرد من أهل الكلام قال
 لأن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله عز وجل خير له من أن
 يتلى بالكلام وقال حكيم في أصحاب الكلام أن يصفهوا وينادي بهم في
 العشار والقبائل هذا جزاء من ترك السنة وأخذ في الكلام وقال سيدنا الإمام أحمد
 عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم وإياكم والخوض والمراء فإنه لا يفلح من أحب
 الكلام وقال في علماء أهل البدع من المتكلمة لا أحب لاحد أن يجالسهم ولا يخاطبهم
 ولا يأنس بهم فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة فإن الكلام
 لا يدعوهم إلى خير فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدل عليكم بالسنة والفقه
 الذي تنتفعون به ودعوا الجدل وكلام أهل الزيغ والمراء ادر كنا الناس وما يعرفون
 هذا ويجانبون أهل الكلام وقال رضي الله عنه من أحب الكلام لم يفلح عاقبة
 الكلام لا تؤل إلى خير أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسامنا وإياكم من كل هلكة
 وقد نقل عن هذين الامامين من ذم الكلام وأهله كلام كثير مذكور في كتب
 علماء السلف وعن عبد الرحمن بن مهدي قال دخلت على الإمام مالك بن أنس
 وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر فقال الإمام مالك رضي الله عنه للرجل لعلك
 من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام
 ولو كان الكلام علما لتكلم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم كما تكلموا في
 الاحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل: فهل يكون أشد من هذا الانكار
 من هؤلاء الائمة الكبار وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سمعت أبا حنيفة
 يقول لعن الله عمرو بن عبيد فإنه مبتدع والنصوص عن أئمة الهدى في ذلك كثيرة
 جدا وروى الامام الخافض شمس الدين الذهبي في كتابه (العرش) بسنده إلى أبي
 الحسن القيرواني قال سمعت الاستاذ أبا المعالي الجويني يقول يا أصحابنا لا تشتغلوا
 بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به وقال الفقيه أبو
 عبد الله القاسمي قال حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال دخلنا على
 الامام أبي المعالي الجويني نهوده في مرض موته فاقعد فقال لنا اشهدوا على أبي
 قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها السلف الصالح وأني أموت على ما يموت

عليه عجايز نيسابور قال الحافظ الذهبي قلت هذا معنى قول بعض الائمة عليكم
 بدين العجايز يعني انهم مؤمنات بالله على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام
 قال الحافظ الذهبي وقد كان شيخنا أبو الفتح القشيري رحمه الله تعالى يقول
 تجاوزت حد الاكثرين الى العلى وسافرت واستبقيتهم في المفاوز
 وخضت بحارا ليس يدرك قعرها وسيرت نفسي في قسيم المفاوز
 واجبت في الافكار ثم تراجع اختياري الى استحسان دين العجايز
 وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته الحموية وقد أخبر الواقف على نهايات
 اقدام المتكلمة بما انتهى اليه من مرامهم

لميري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
 فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن أوقار ع سن نادم
 وقول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال وأكتر سمي العالمين ضلال
 وأرواحنا في وحشة من جسامنا وغاية دنسانا أذى ووبال
 ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقال
 قال شيخ الاسلام ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وترك
 أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني الله
 برحمته فالويل لفلان وهأنا ذا أموت على عقيدة أُمي ويقول الآخر منهم أكثر
 الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام قال شيخ الاسلام ثم اذا حقق عليهم
 الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقعوا من ذلك
 على عين ولا أثر وما ذكرناه عن الأنبياء قطرة من بحر لجي وبالله التوفيق
 فان قلت اذا كان علم الكلام بالمشابة التي ذكرت والمكانة التي عنها برهنت
 فكيف ساغ للائمة الخوض فيه والتنقيب عما يحتويه ثم انك أتيت ماعنه نهيت
 وحررت ماعنه نفرت وهل هذا الا في بادي الرأي مدافعة وجمع للشيين اللذين بينهما
 تمام الممانعة قلت ان ما ذهب اليه ذهنتك من التمانع لم تنع وما سنع في خلدك من التدافع
 لم تدفع بل العلم الذي نهينا عنه غير الذي أنفنا فيه والكلام الذي حذرنا منه غير

الذي صنف فيه كل امام وحافظ وفقه فعلم الكلام الذي نهى عنه الأئمة الاسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل والإلحاد والأباطيل وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة دون علم السلف ومذهب الأثر وما جاني في الذكر الحكيم وصحيح الخبر فهذا العمري تزيق القلوب الملسوعة بأرقام الشبهات وشفاء الصدور المصدوعة بهراجم المحدثات ودواء الداء المضال وبازهر السم القتال فهو فرض عين أو عين فرض على كل نبيه وهو العلم الذي تعقد عليه الخناصر لدحض حجة كل متحذلق وسفيه فزال هذا الإشكال والله ولي الفضال اه المراد

(المنار) ما ذكر من ذم السلف لعلم الكلام الذي يقصده الجدل ثابت لا ريب فيه وقد يشكل على القراء ضرب عمر لصبيغ مع ما كان عليه المسلمون من الحرية في الصدر الأول حتى أنهم لم يقتلوا أحدا من مشيري الفتنة على عثمان بل نفوهم من بعض البلاد إلى غيرها عند ما رأى أمراء الأمصار أثر فتنهم فيها والسبب في تشديد عمر رضي الله عنه على صبيغ هو تعرضه للناس وتشكيكهم في دينهم فكان يجالس العامة والأعراب ويسألهم عن مثابه القرآن قال في القاموس عند ذكر اسمه « كان يعنت الناس بالفوامض والسوالات فنفاه عمر إلى البصرة » وخبر النفي هو المشهور وأما الضرب ففي النفس من كلامهم فيه شيء أقله المبالغة على أن الحاكم يجب عليه أن يدفع عن رعيته من يعتدي على عقائدهم وأفكارهم كما يدفع عنهم من يعتدي على أجسامهم وأموالهم وقد سبق لنا ذكر مسألة صبيغ في المنار ولا أذكر الآن الموضع الذي ذكرت فيه . وأما ذم الكلام على طريقة الجدل والتحيز للمذاهب فقد رجع إليه أكابر النظار من علماء الكلام بعد بلوغ الكمال كحجة الاسلام الغزالي والذي حققوه ان يلحق الجماهير من المسلمين عقيدتهم كما وردت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا جدل ولا خوض في النظريات وأن تذكر لهم الأدلة الكونية كما ذكرت في القرآن وان يذكر لهم وجه الاعتبار والخشية من ذكر صفات الله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة الموادث فإذا ذكرنا قوله « وهو السميع البصير » نذكر ذلك معتقدين انه لا يخفى عليه شيء من أقوالنا وأفعالنا ولا نبحت في كيفية سماعه وبصره كما لا نبحت عن كيفية علمه وقدرته

الحياة الزوجية

(٦)

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» (سورة الروم ٣٥-٢٠)

الركن الثالث من أركان هذه الحياة - الرحمة

نقدم ان الطور الاول من أطوار هذه الحياة خاص بالزوجين وهو سكون
نفس كل منهما الى الآخر ذلك السكون الذي لا نظير له بين سائر المتحابين لغير اتحاد
الزوجية وهو وجدان من وجدانات النفس لا يعرف كنهه الا الزوجان اللذان أحسنا
الاختيار فعارف الروحان وتمازج النسان ، فكانا حقيقة واحدة لها صورتان ،
وأن الطور الثاني يشار كها فيه غيرهما وهو الود الذي تحبته المصاهرة بين عشيرتي
الزوجين الوديين ، ونبين في هذه المقالة ان الطور الثالث مشترك بين الزوجين وما
يرزقان من الولد

الرحمة ضرب من ضروب وجدان النفس له مشار في النفس غير مشار السكون
الى المحبوب والأنس به، وغير مشار مودة المشارك في المعيشة والمشارك في المصلحة،
ذلك الذي يثير وجدان الرحمة ، ويهز عاطفة الرأفة والشفقة، هو ما ترى في غيرك
من ضعف أو سقم ، أو حاجة يصحبها ألم ، وهذا هو ملاك الحياة الزوجية عند حدوث
الأمراض والأدواء. وعند ما تذوي غصن الشبية هاتيك الأهواء ، ولولم يودع
الله تعالى الفطرة الا سكون الزوج للامسة الزوج ومودة كل منهما للآخر للتعاون
على المصالح والمنافع التي هي قوام معيشتها لكانت الحياة الزوجية نعيماً في الشباب
بوساً في الشيخوخة ، سعادة في السراء ، شقاوة في الضراء ، يتمتع كل من الزوجين
بصحة الآخر ونشاطه ، وبسطته واغتيباطه ، حتى اذا لست أحداهما حمة الضر ، أو عضته
ناب الفقر ، أو نالت السن من فتائه وجدته ، ألم تنل الناب من ثرائه وجيدته ،
استحال سكون الآخر اليه اضطراراً منه ، وانقلب مودته اياه مقاطعة له ، وبإلذاك
لو كان من نقص عظيم ، ينافي خلق الإنسان في أحسن تقويم ،

لأنهم هم هؤلاء الذين يملون أزواجهم عند السقم أو الهرم فلا يرحمون لهم ضعفاً، واللواتي يملن أزواجهن في الكبر أو الفقر فلا يحفظن لهم عبداً، قدسدت لهم فطرة هذا النوع الكريم، الذي خلقه الله في أحسن تقويم، كلاً بل أفسدت الشهوات فطرتهم، ونكست الأهواء خلقهم، فلبهم من الإنسان صورته وشكاه، لا روحه ولا عقله، ولا كرمه ولا فضله، بل صاروا أعدى للإنسان من الشيطان، وأضرب بمضرته من سباع الحيوان، وأي خير يرجوه الإنسان في نوعه، أو الأئمة في خاصتها، ممن لا خير فيه لمن انفصل لأجله عن أمه وأبيه، وأخته وأخيه وعشيرته التي توثقه، واتصل به على عهد الله وميثاقه في الفطرة البشرية، والشرعية السماوية، فكان معه روحاً حلت في جسمين، وهيون تجلست في صورتين، ثم لم يلبث بعد فراغ حظه منه، أن انفصل عنه، لا يرحم له ضعفه، ولا يعطف عليه عطفه، ؟ أليس المشارك له في النوع والصنف، أولى بهذه القسوة وهذا العنف، ؟ بني أن هؤلاء الذين استعبدتهم الأئمة، واسترققتهم «الأئمانية». أعداء الأهل والأقربين، بل أعداء البشر كلهم أجمعين،

هذا الضرب من فساد الفطرة هو في الرجال أكثر منه في النساء والعدوى فيه تفعل فعلها في البيوت تسير سير البريد من بيت إلى آخر ولا آسي بأسو هذا المرض الذي كاد يكون وباءاً. وأننى يوجد الأساءة أو تنتفع الأمة بمن عساه يوجد منهم وطب القلوب مهجور وأهله كأهل طب الأبدان منهم العالم العامل ومنهم الدجال المحتمل وقد مضت سنة الكون بأن الأمة في طور ضعفها وضعفتها تدين للدجالين المحتملين، وثفر من العارفين الناصحين، لذا ترى مدعي طب الأرواح عندنا من أكبر الأعوان على تخريب البيوت فمنهم الذين جعلوا طب القلوب الظاهر وسيلة لإعانة كل زوج على قهر الآخر بالتقاضي كبعض القضاة والمحامين، ومنهم الذين جعلوا طبها الباطن ذريعة إلى استحلال المحرمات بالفعل اعتماداً على شفاعة الشافعين، ولا تنساب بالقول إلى المشايخ الميتين،

فطر الله تعالى قلوب البشر على الرحمة ليتراحوا فلا يهلك فيهم العاجز والضعيف، وكل أحد عرضة لاستحقاق الرحمة في يوم من الأيام، وجعل سبحانه حفظ الوالدين والزوجين من الرحمة أرجح ليعنى بكل فرد من الناس أقرب الناس

مه عند شدة الحاجة الى العناية والكفالة فالزوج ازوجه عند الضعف في المرض أو
الكبر ، كما والدين لولدهما عند ضعفه في الصغر ، بل تجد المرأة أرحم بعلها في مرضه أو
كبره من أمه أو جدت وتجد الرجل أرحم بسكنه في مرضها أو كبرها من أبيها لو وجد
إذا كانت الفطرة سليمة ، فإن لم يكن كل من الزوجين أرحم بالآخر في كبره من والديه
فانه يقوم مقامهما إذا لا يضعف كل من الزوجين و يحتاج الى الرحمة الا بعد موت
الوالدين في الغالب فان مرض وهما في صحتها فانهما يكونان بعيدين عنه لا يسهل
عليها ترك بيتها ومن عساه يكون فيه من يحتاج الى رحمتها لأجل لزام ولدهما الكبير
المتزوج ، فظهر ان كلا من الزوجين في حاجة الى رحمة الآخر به عند ضعفه لا يقوم
بها سواه من الأقربين أو المستأجرين مقامه فيها

ليست الأريحية في سكون الزوج الى زوجه عند داعية المسيس ولا أريحية مودته
ومودة أهله في المعاشرة والمعاملة بأ كبر من الأريحية التي يجدها الرحمة به وحنوه
عليه في حال الضعف ، فإن الانسان يشعر بالارتياح من عناية غيره به عند الحاجة
مالا يشعر بها عند الاستغناء ، فالضعفاء والمرضى والمملقون يكبرون من أمر الوفاء
والاعتناء ، مالا يكاد يشعر به الاقوياء والأصحاء والأغنياء ، « ان الانسان
ليطفي أن رآه استغنى » وان من طغيانه أن يعتقد أن كل من يحفل به ويعني بشأه
فانما يفعل ذلك لأجل نفسه لا لأجله هو لان الناس في حاجة اليه وهو ليس في
حاجة اليهم ، وقد يبلغ به الطغيان الى ادخال زوجه وولده في هذا الحكم فاذا تحول
مد طغيانه الى جزر بالمرض أو الحاجة رقق قلبه ولطف شعوره وكان أعدل في الحكم
وأقرب الى عرفان قدر النعمة والشكر عليها

يسمون مسألة الزواج مسألة « مستقبل الانسان » وان كنت تجد في الاغرار
من لا يفكر عند ارادة الزواج بمستقبله مع من يختاره زوجا له فانك لا تكاد تجد
من لا يعبأ بهذا المستقبل اذا ذكر به فأعمل فكره فيه الا ما يكون من بعض
المترفين اذا فتن أحدهم بجمال امرأة يود أن يقضي منها وطرا ثم لا يبالي ما يكون
بعد ذلك ومثل هذا اذا ملّ طلق ولا تكاد تجد امرأة ترضى بالزوج بمثله ، على
أن هذا النوع من الازدواج ، هو أشبه بالاستئجار أو البغاء منه بالزواج ، وإنما

الزواج الشرعي الطبيعي ما كان عن ارادة الاشتراك في الحياة مدة الحياة والا كان متعة بالنفس والمخادعة ولا أرى الشيعة يدينون بجواز هذا الضرب من المتعة لان النفس محرم بالاجماع لاخلاف في ذلك بين سني وشيعي . واذا كانت مسألة الزواج هي أعظم مسائل مستقبل الانسان الخاصة أفلا يكون من أعظم الشقاء أن يبدأ أمر الزوجين بالسكون والود في السراء ، وينتهي بالاضطراب والتخاذل في الضراء ، يشكر أحدهما الزوجين للآخر عند إمكان استبداله أو الاستغناء عنه ، ويكفره أحوج ما كان اليه ، أي عاقل يرضى بهذه الخاتمة السوءى اذا علم بها أو ظن أن ستكون؟ لا شيء ، يخفف أثقال الفقر وأوزاره عن كاهل الرجل يحمله مثل المرأة التي ترحمه في فقره فتظهر له الرضى والقناعة ولا تكلفه ما تعلم ان يده لا تنبسط له فما بالك اذا كانت ذات فضل تواسيه به ، ولا شيء يعزي الانسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل والرجل للمرأة اذا ظهرت عاطفة الرحمة في أكمل مظاهرها فشعر المصاب بأن له نفساً أخرى تمدّه في القوة على مدافعة هذه العوارض التي لا يسلم منها البشر ، واعمكس الحكم في القضيتين ، يتجلى لك وجه الصواب في الصورتين ، اذا كان لركن الزوجية الاول وهو السكون المعبود تأثير في الثاني وهو المودة فلا ريب أن الركن الثالث وهو الرحمة يكون أثراً للركنين قبله أو فرعاً لها فعلى قدر السكون والمودة بين الزوجين في النعماء ، تكون الرحمة بينهما في البلاء ، لأن مصاب الوديد المحبوب يعيد للنفس ذكرى جميع حسناته ، وطيب أيامه وأوقاته ، ويمثلها في أبهى حللها ، ويعرضها على النفس في أجمل معارضها ، (المعرض هو الثوب الذي تجلى فيه العروس) فيخيل الى الحب ان تلك الحسنات واللذات قد اجتمعت وان المصاب يحاول أن يشتت شملها ، ويقطع حبليها ، فهو يوثب لذاته المجتمعة في شخص محبوبه ، ويحاول سلب منافعه باغتتيال نفس وديده ، فمن أراد أن يحسن مستقبله في هذه الحياة فليجتهد أولاً في حسن اختيار الزوج ثم ليخلص له المودة ثانياً ليمتع بوفائه أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً

ما أجهل الرجل يسيء معاشرته امرأته وما أحق المرأة تسيء معاشرته بعلها ، يسيء أحدهما الى نفسه من حيث يسيء الى الآخر فهو مغبون غائب ومغلوباً ومأربيت

ذنبا عقوبته فيه كذنب اسائة الزوج الى الزوج بل أرى العذاب يضاعف في الدنيا على ذنب الزوجية فيكون زوجا لا فردا وكل ذنب له عقوبة في النفس أو فيما يتعلق بالنفس تكون أثرا طبيعيا له الا ذنب أحد الزوجين في مناضبة الآخر فانه هو نفسه عقوبة لنفس مقترفه يومها وبمضها ثم انه يلد لها عقوبة أو عقوبات أخرى تكون أثرا له كسائر الذنوب . ولكن أثر ذنب الزوجية ليس كآثار غيره لأنه هو ليس كغيره فكبر الآثار وصغرها تابع لحال المؤثرات

أنهاك أيها المهرابة أن تسارع الى الزواج مهما تمادت بك العزوبة الا بعد حسن الاختيار ، وأنهاك أيها الأيم وأولياك أن نجيبوا خاطبا الا بعد التروي في الاختيار ، وأعظكما اذا أنتم تزوجتما فلم تجدوا ذلك السكون النفسي كاملا ، وذلك الود الطبيعي موافقا ، أن يتحجب كل منكما ويتودد الى الآخر ما استطاع ويجعل أكبرهم في هبته واستيها به قلبه لتحسن الحال ، ويرجى حسن العاقبة في المآل ، فان عجزا عن ذلك بعد الإخلاص في طبعه ، والجهد في إدراكه ، فليفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله عليما حكيما

اذا رزق الله الزوجين الولد تنمو به بينهما المودة والرحمة ويكون هو منبعا لرحمتها فاشتراكها في هذه الرحمة الوالدية التي لها مصدر واحد ومورد واحد يؤكده الصلة بينهما فييناها معتصمان بحبل الزوجية الذي هو من أقوى الروابط الحيوية اذاهما معتصمان بحبل الوالدية الذي هو أقوىها على الاطلاق وكيف لا يكون كذلك ورابطة الزوجية هي طاقة من طاقات حبل الوالدية اذ الوالدان هما الزوجان قد انتجا فكملت حيويتهما وجاءت بشريتهما .

كل واحد من الوالدين يشعر من حيث هو والد بما يشعر به الآخر ويملكه الوجدان الذي يملك الآخر وتولد فيه الآمال التي تتولد في الآخر ويكون جده وسعيه لمثل ما يجد ويسعى له الآخر ويرى سعادته عين سعادة الآخر ، أرايت هذا الاتحاد في هذه الشؤون كلها اذا صافح اتحاد الزوجية وعانقه كيف يكون حال المتحددين في تراحمهما وتعاطفهما بل في تمازجها وفناء كل منهما في الآخر ؟ لو كانت المسألة نظرية محضنة لحكم الناظر فيها مع سلامة الفطرة بأن الحياة الوالدية

هي كمال الحياة الزوجية وإن هذا الكمال هو الذي ليس بعده كمال فالوالدان هما أسعد الناس بنفسهما وولدهما لا يتصور أن يقوي الزمان على شت شملها، أو نكث فتلها، وإن اتحادهما هذا لا كبر عون لهما على أحداث الزمان، وأفعال الطبيعة في الانسان،

ما كان لسليم الفطرة الذي يعيش بمعزل عن فاسدي الأخلاق معتلي الطباع أن يتخيل وقوع نزاع يتبادى بين الزوجين الوالدين به المفاضلة التي تفضي إلى المباغضة، والمناسبة والمناهضة، على نحو ما يكون بين أصحاب التراث الموروثة، والاضدان المحبوة، كما يقع الآن على مرأى منا ومسمع والمعناليه من قبل. لكن الفساد قد بلغ من هذه الأمة مبلغاً لا يصدق عاقل، ولا يتخيله فاضل، إلا أن يرى بعينه، ويسمع بأذنه، وقد أحصى الأستاذ الامام عليه الرحمة قضايا سنة في إحدى المحاكم الأهلية فبان له أن ٧٥ قضية منها كانت بين الأقربين فما بالك بقضايا المحاكم الشرعية ولعل ٩٩ منها في المائة بين الأزواج والوالدين

سبق القول بأن الحياة الزوجية هي أصل الحياة الوطنية والحياة المالية فإذا كانت الأولى سعيدة كان ذلك أصلاً في سعادة الأمة وإذا كانت شقية كان ذلك علّة لشقاء الأمة لأن الأمة مؤلفة من هذه البيوت فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأُمته، كما علمت من حديث «خيركم خيركم لأهله» فما دامت حياتنا الزوجية مختلة معتلة فلا يرجى لنا أن نحيا حياة مالية طيبة. وإن هذا الشقاء في الأمة والبيوت هو في المسلمين أثر من آثار ترك عقائدهم وآدابهم الدينية، ونقطيع روا بطهم المالية، فختارهم لسعادة الدنيا دليل على أنهم - إن لم يعودوا ويتوبوا - سيخسرون سعادة الآخرة وذلك هو الخسران المبين

نقف عند هذا الحد في بيان أركان الزوجية الثلاثة التي نطقت بها الآية الكريمة في السورة التي ورد فيها أن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد شرحنها بما أمله علينا الفطرة، وهدتنا إليه الفكرة، اذهي التي أرشدتنا إلى ذلك بنجاعتها «إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون»

فتاوى المفتين

فتحننا هذه الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسمع الناس عامة، ونشرط على السائل أن يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزى إلى اسمه بالخرق فإن شاء، وإننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد منأخر السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، وإن يعنى على سؤاله شهران أو ثلاثة إن ذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

أسئلة من سنغافوره

(س ٣٣-٣٥) السيد سالم بن أحمد عبد الفتاح في سنغافوره : أني رأيت جريدتكم «المنار» الأغر في أبهى الكمال لأرشاد أهل الضلال والبدع وأنى سألتم أن تفتونا عن الأسئلة الآتية

(١) ما قولكم فيمن اعتادوا تلطيف قبلة المسجد بالسواد وغيره من أصناف الألوان ونقططع أطراف أثوابهم والصاقها بالبصاق على حيطان المساجد من داخلها (٢) ما قولكم في تقبيل شواهد الأموات والتوسل بها والدعاء بهذه الدعوات: عباد الله جئناكم طلبناكم، أغثونا أعينونا بمهتكم وجدواكم:

(٣) في آية نصف شعبان من كل سنة يفكون الصناديق والخواصيل (كذا) ويرغمون أن في تلك الليلة تقسيم وتوسيع الأرزاق، وفي أول ليلة من السنة الجديدة يجمعون شيئاً من النقود وغيرها كالخلي وشيئاً من خشيش الأرض يسمونه «السعدى» وعوداً من نخل المدينة ويجعلون الجميع فوق غطاء قدس ويرغمون أن تلك السنة تدخل عليهم بهذه الأشياء التي فعلوها، افتونا في ذلك ودمتم مأجورين:

(ج) عن تلطيف جدران المساجد وإصاق الخرق عليها

تلطيف قبلة المسجد وجدراته بالسواد وغيره من الألوان ينظر فيه من وجهين القصد منه وأثره في شغل المصلين به عن الصلاة فإن كان القصد منه تلويث المسجد وتقديره كما تشعر به كلمة «تلطيف» فهو معصية وقد ذكر بعض الفقهاء أن من يلطخ المسجد بنجس أو قذر يكون مرتداً يعنون أنه لا يعقل أن يهين أحد بيتاً ينسب إلى الله تعالى بتخصيصه لعبادته فيه وهو يؤمن بأن هذه العبادة حق شرعه الله

تعالى وكأنهم لم يلتفتوا الى احتمال أن يقع تقدير المسجد من غافل عن انكفر بالله وعن حقبة العبادة التي تؤدي في هذا المكان ولكن القرائن قد تكون دالة دلالة قطعية على ان ملوث المسجد غير كافر بالله ولا منكر لشيء من شريعة أهل المسجد ولا قاصد الى اهانة المسجد ولا وجه للحكم بالردة حينئذ والتلوّث محظور على كل حال ولا وجه لابطاحته .

وان كان القصد منه تزيينه بالألوان فخكه على كونه خلاف السنة يختلف باختلاف حال المصلين فان كانوا قد اعتادوا الصلاة في المساجد المزوقة بالألوان فصارت لا تشغل قلوبهم عن معنى الصلاة من التوجه الى الله تعالى وتدبر ذكره وكلامه فيها فالأمر في التزيين أهون اذ ليس فيه الا مخالفة السنة التي جرى عليها سلف الأمة في الأمور الظاهرة من غير اخلال بأمور الدين الباطنة كالتوجه الى الله تعالى والخشوع لذكره وتدبر كلامه، وان كان المصلون في هذا المسجد غالباً لم يعتادوا ذلك فالأمر أشد لأن هذا العمل يكون مخالفاً لأداب الدين الظاهرة والباطنة كما علمت

هذا ما يقال في فقه المسألة وأما المروي في المساجد مما يتعلق بها فكثير ومنه ما رواه أحمد ومسلم من حديث أنس مرفوعاً « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القدر والبول والخلأ وإنما هي لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة » ومنها حديثه عند أحمد والشيخين « النخاعة في المسجد خطيئة وكفارتها دفتها » وفي رواية أخرى البصاق بدل النخاعة وقد كانت أرض المسجد تراباً لا فرش عليها وكفارتها في مساجدنا أن تمسح وينظف المحل وقد ورد في الحديث النهي عن البصاق في المسجد ومن تنعم فليبصق في ثوبه أي كنديله وورد في البصاق فيه وعيد شديد

وجاء ذكر زخرفة المساجد في بعض الأحاديث التي وردت في علامات الساعة وفي افتراق الأمة مقرونة الى بدع وضلالات يقتضي السياق أنها مثلاً كحديث عوف بن مالك عند الطبراني « كيف انت يا عوف اذا افتقرت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها في الجنة وسائرهن في النار ؟ قال وكيف ذلك قال اذا كثرت الشرط وملكت الاماء وقعدت الجملاء على المنابر واتخذوا القرآن

مرامير وزخرفت المساجد ورفعت المنابر واتخذ النبي ءدولا والزكاة مغرمًا والامانة مغنما وتفقته في دين الله لغير الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأقصى أباه ولمن آخر هذه الأمة أولها وساد القبيلة فاستقمهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل انقاء شره فيومئذ يكون ذاك: الحديث وهو ضعيف وله شواهد في زخرفة المساجد وغيرها كحديث أبي الدرداء عند ابن أبي الدنيا في المصاحف « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فمليكم الدمار » . وأقوى من ذلك حديث ابن عباس عند أبي داود « ما أمرت بتشيد المساجد » وفسره ابن عباس بزخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى وفي فقه المسألة حديث عثمان بن طلحة عند أحمد وأبي داود وفيه « فانه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي »

ومنها في أشراط الساعة حديث ابن مسعود الطويل عند الطبراني ومنه « يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراتها أن تزخرف المحاريب وأن تخرب القلوب يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراتها أن تكنف المساجد وتعلو المنابر » الحديث . وله حديث آخر فيه هذا اللفظ وهو عند البيهقي في البعث وابن النجار قال البيهقي اسناده فيه ضعف إلا أن أكثر أفاظه قد روي بأسانيد متفرقة : أقول منها حديث أنس عند أحمد وأصحاب السنن ماعدا الترمذي ان النبي (ص) قال « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » وقد صححه ابن خزيمة وأورده البخاري تعليقاً بلفظ يتباهون بهائم لا يعمرونها الا قليلا:

واما إصااق قطع من أطراف ثيابهم بجدر المسجد فالذي تبادر الى فهمي أنهم يقصدون به دفع ضرر أو جلب منفعة قياساً على ما نراه في هذه البلاد وغيرها من ربط بعض الجاهلين قطعاً من أثوابهم ببعض الاشجار المعتقدة أو أضرحة الموتى المشهورين بالصالح أو أبواب الحجرات التي دفنوا فيها وكل هذه الاعمال مما تبع فيه المسلمون الجغرافيون سنن من قبلهم من الوثنيين بعد انتقال هذه الاحمال الوثنية الى أهل الكتاب فلا حاجة الى اطالة القول فيها ولا شبهة على هذه البدع لاعداء السنة وأنصار البدعة الا جعلها من أذبال ما يسمونه زيارة القبور وأن زيارة القبور المأذون فيها للاعتبار بالموت من هذه الاعمال الوثنية

عن (ج) عن تقيل أحجار القبور ودعاء الموتى والتوسل  مريد انسأل بشواهد الموتى الاحجار الكبيرة التي توضع تجاه رؤوس الموتى من قبورهم وتقبل هذه الاحجار من سنن الوثنية وأقبح البدع في الاسلام وأما دعاء الموتى فهو عبادة حقيقية لهم وان غير المبتدعون اسمها وأطلقوا عليها لفظ التوسل وقد كان هذا النوع من العبادة وهو دعاء غير الله أي نداؤه لطلب المنفعة منه أو دفع الضرر أو التقرب به الى الله وانخذه شفيحاً هو جل ما يعرف من عبادة المشركين لغير الله ولذلك فسر الدعاء بالعبادة حيث ورد في هذا المقام من القرآن . قال تعالى في سورة الاعراف «ان الذين تدعون من دون الله أمثالكم فادعهم فيستجيبوا لكم ان كنتم صادقين» وقال تعالى في سورة فاطر «ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئت مثل خبير» وقال في سورة الجن «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» والآيات في هذا لا تحصى وقال تعالى في سورة يونس «ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الآية وقال تعالى في سورة الزمر «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» الآية . وقد فصلنا القول في هذه المسألة في المجلدات السابقة سراً كثيرة وفندنا فيها ضراعم أهل التحريف والتأويل فليراجع ذلك في محاله مع الاستعانة بالفهرس . يطلب منه لفظ التوسل ولفظ الشفاعة ولفظ قبور الصالحين أو القبور مطلقاً

(ج) عن بدع ليلة نصف شعبان وأول السنة

قد كتبنا في بدع ليلة نصف شعبان غير مرة فمنها ما كتبناه في الجزئين السابع عشر والرابع والعشرين من المجلد السادس ومنها ما كتبناه في الجزء الذي صدر في ١٦ شعبان من المجلد الثالث وغير ذلك . ولم نذكر فيما أوردناه من بدع الناس في هذه الليلة مسألة تفكيك الصناديق والخواصيل للاستعانة على سعة الرزق وكان هذا من الخرافات المعروفة ببلاد السائل دون البلاد التي عرفناها وهي خرافة يتبرأ منها الاسلام ومن ينتسب اليه بحق . ومثله ما ذكره من خرافاتهم في أول السنة ويشبه أن يكون هذا من خرافات بعض العجائز الجاهلات ويطلق المصريون

على أمثال هذه السخافات اسم « علم الركة » يعنون به ثقايل النساء ونسب فآتهن
ومزاعمهن ومن قلما يسندن شيئاً من هذا الجهل الذي يسمينه علما الى الدين بؤولا ان
علم الركة في سنغافوره وأمثالها من البلاد التي يغلب فيها الجهل يستند سيئ بعض
مسائله الى الدين لما احتاج السائل الى جواب عن هذه المسألة يحتج به على الجاهلين
﴿ دعوى الرقيقة بعد موت السيد انها أم ولد له ﴾

(س ٣٦) عرض بن جميعان سميدان (سنغافوره) (*) ما هو الحكم في
جارية رجل تسكن معه في بيت وتتولى خدمته ثم مات عنها وزعمت أنه يطوها فهل
قولها كاف في اثبات نسب الابن وما يترتب عليه ؟ أم لا بد من عدم معارضة
ورثة سيدها ان كان له ورثة أولا يكفي الا استلحاق الحائز للركة للابن ؟ أم لا
بد من ارقاق الجارية وولدها الا بإقرار السيد لا غير وإقامة الحد عليها ؟ أفيدونا
بما تعتقدون أنه الحق والمسألة واقعة والخبط والخلط كثير لا زلتم هداة للحق دعاة للصدق
(ج) سكى الجارية في بيت سيدها لا يجعلها فراشا الا اذا أقر أنه جعلها
كذلك اقرارا صريحا فان جاءت بولد في حياته وادعاء كان ولده بلا خلاف وكانت
هي أم ولد لها حكمها المعروف وان لم يدعه فكذلك عند مالك والشافعي وأحمد لأنه
يكفي عندهم اعترافه بوطئها وهو الذي أعتقد . ولا حاجة لذكر دعواه الاستبراء أو
نفيه الولد لأنه ليس مما نحن فيه وما نحن فيه دعواها انه اتخذها فراشا ولا بد في
إثبات ذلك من بينة . وحاصل الخلاف في المسألة أن الحنفية يقولون لا يثبت كون
ولد أمته ابنا له الا باستلحاقه كأن يعترف به إن ولد وهو حي أو يقول ان جاءت
بولد فهو ابني أو مني ثم يموت فتلك بعد موته . وعند الاثمة الآخرين يكفي في
ذلك أن يعترف بوطئها فأما مجرد دعواها بعده فلا يثبت بها شيء . وان كان
هناك ورثة واعترفوا بأن الولد لمورثهم من جاريته فلا نزاع ولا اشكال والا
فالجارية على رقها ما لم تأت بينة على اقرار سيدها باقتراسها وأما إقامة الحد عليها
فالشبهة تدروها فيما نعتقد

(*) ذكرنا في الجزء الماضي السؤال عن لعن معاوية أو الترضي عند مسنداً
لهذا السائل وانما جاءنا بامضاء (م.م) وهو أحد القراء ولم يأذن بالتصريح باسمه

﴿ تفسير « فاذاها اجتماعا لنفس مرة » ﴾

(س ٣٧) ومنه : ما الذي ترونه صوابا في قول الشاعر

« الرأي قبل شجاعة الشجعان » الى قوله

فاذاها اجتماعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

أنشد البيت أحد الأدباء « مرة » على انه مصدر بمعنى القوة صفة لنفس فاعترضه شاعر بأن الشاعر لم يقل الا « مرة » أي اجتماعا مما فاحتج الأديب بما قاله بعض الشراح كالمكبري وبجواز الوصف بالمصدر كما في ألفية ابن مالك فأجاب الشاعر ان شرط جواز المصدر لم يتحقق . فتأول الأديب واحتج بأن مرة لم تذكر في القاموس ولا كتاب لسان العرب بمعنى « معاً » كأن يقولوا جاء الزيدان مرة : أي معاً كما يستعملونها للعدد سواء . فما هو الحق فيما ذكر أفيدونا :

(ج) الاصل الذي يبنى عليه الترجيح بين الأقوال في مثل هذه بلسالة هو الرواية فالشاعر الذي ضبط « مرة » في البيت بفتح الميم يحتاج في اثبات قوله الى رواية معروفة عن أبي الطيب المتنبي انه قال « مرة » بالفتح والى رواية أخرى عن كندة بأن هذه الكلمة تستعمل في لسانهم ظرفاً بمعنى « معاً » فإن لم يستطع اثبات الرواية فما عليه الا أن يعتمد الرواية التي سندها أو يتابع الأديب في قراءة مرة بالكسر كما ضبطها شرح ديوان المتنبي . قال الواحدي في شرحه : « فاذاها اجتماعا لنفس مرة » أي أية للذل والضم ولا تستليناها الإعداء : وقال المكبري : النفس المرة هي القوية الشديدة من مر الحبل والمرة الشدة ومنه قوله تعالى « ذمرة فاستوى » والنفس المرة التي هي لا تقبل الضيم : وظاهر كلامهم أن مرة صفة وهو غير معروف وإنما فسروه بالمعنى والاصل ذات مرة فحذف المضاف . وما قاله الشاعر في الوصف بالمصدر كان يستغنى عنه بقولهم ان الوصف به على كثرة سماعي وان ما ذكر من شروطه إنما ذكر لضبط المسموع لا لأجل القياس . ومن الروايات المتداولة في البيت ولم يذكرها الشارحان « فاذاها اجتماعا لنفس حرة » بالخاء المهملة وصف من الحرية وهي أظهر معنى وأصح مبنى ولا يبعد أن تكون مرة محرفة عن حرة والله تعالى أعلم

﴿ أسئلة من الجزائر ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من الجزائر وأحب مرسلها أن يرمز الى اسمه بكلمة « غويشم » قال بعد الثناء والسلام :

﴿ الفتن بين الصحابة رضي الله عنهم ﴾

(س ٣٨) انني أحببت أن أشرب من بحر علومكم فهم مسألة الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع علمهم لاشك بأفضلية بعضهم على بعض وسبب قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وكيف نسلت طريق الاعتقاد في ذلك تفصيلاً وتحقيقاً وعميقاً وتدقيقاً ومرادنا من استمداد هذا المرغوب من حضرتكم الفخيمة لكونها نتيجة حضرة المغفور له مولانا الاستاذ الامام الشيخ سيدنا محمد عبده رضي الله عنه فنحصل على بعض أفكاره في المسألة رحمه الله وأعزكم من بعده

(ج) لا يمكن التفصيل والتحقيق المطلوب في هذه المسألة في جواب سؤال وانما يكون ذلك في مصنف خاص بها ولو ذكر ذا كر خلاصة وجيزة لمصنف وضعه أو هيأه لصعب التسليم بها على من لم يطلع اطلاعه ولم يقتنع بما آخذ لتلك الخلاصة وأحب لكم أن تقرءوا ما كتبه رفيق بك العظم في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) وتعملوا رأيكم في ذلك وتراجعوا فيه كتب التاريخ حيث تجدون حاجة المراجعة وما يشبه عليكم بعد ذلك فراجعونا لنبين لكم رأينا فيه . على ان نذكر هنا شيئاً وجيزاً ينير لكم طريق البحث

أما علم الصحابة عليهم الرضوان بفضل بعضهم على بعض فهو على كونه ضرورياً في الجملة وكونه على غير ما يظن الجمهور في التفصيل لا يستلزم عدم وقوع الخلاف فان معاوية اذا كان يعلم ان علياً يفضل في العلم والتقوى فقد يعتقد انه هو يفضل علياً في السياسة والادارة وقول العلماء «يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل» معقول لا سبيل الى انكاره وهو مما لا يخفى على عاقل ويؤيده استدراك التلميذ على الاستاذ والمبتدي على المنتهي في مسائل يكون هو المصيب فيها ولاجل ذلك نبعث في كل ما قاله العلم الراسخون وأمة الفنون الواضعون رجاء أن نعلم ما لم

يعلموا أو نصيب بعض الأغراض التي أخطأوا كما قال الامام مالك رضي الله عنه: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: يشير الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويريد بعموم كلامه الصحابة فمن دونهم من علماء التابعين وهو يعلم ان فيهم من لا يُعد ممن يفضل في فهم الشريعة والوقوف على أحكامها. اذا فهمت هذا فلا تعجب لاختلاف الصحابة يوم السقيفة ولا يوم اختيار أحد الستة الذين جعل عمر الأمر فيهم ولا لاختلاف علي ومعاوية فان الصحابة لم يكونوا كالاشاعرة والماتريدية لهذا العهد مقلدين لشيخوخهم بأن أفضاهم فلان فلان الخ ولا ممن يقول إن الأفضل يجب أن يكون هو الخليفة. على أن الاشاعرة وغيرهم يجوزون إمامة رجل مع وجود أفضل منه اذا كان المولى حائزاً الشروط التي لا بد منها للإمامة

ثم اعلم أن كبار الصحابة كانوا يعلمون من مجموع ما جاء في الكتاب العزيز عن الشورى ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في سياسته وأحكامه ومن جعله الخلافة في قريش ان شكل الحكومة الإسلامية يجب أن يكون وسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة جمهورية وحكومة ملكية ووسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة الأشراف وحكومة الافراد أعني أن الذي فهموه كان وسطاً حقيقياً بين ما ذكرت من غير ملاحظة هذه الاطراف وكونه وسطاً بينها. فلماذا لم يجعلوها في آل البيت خاصة بهم اذ لو فعلوا ذلك لكانت من نوع حكومات الأشراف التي استعبدت الناس وجعلت الملك الهام معبوداً ولا تستبعد أنهم كانوا يفتنون لهذا الأمر لاسيما مع علمك بما أوتوه من نور البصيرة الذي أعشى شعاعه بصائر الفلاسمة والحكماء حتى هذا العهد وقد رأيت أن هذا الأمر وقع بالفعل من الفاطميين عند ما جعلوا الخلافة نراثاً فيهم لمكان نسبهم

ومن هنا تعرف سبب تألب الناس على عثمان بعد أن قويت عصبية بني أمية باستكثاره من استعمالهم حتى خيف أن يتحول وضع الخلافة عن الشرع ويصير حكم أشراف يقوم بالعصبية. وعثمان لم يكن يقصد هذا ولكن الحوادث مهدت له بما كان من لينه وحيائه وشره قومه وطعهم فيه حتى أحس المسلمون بالخطر قبله وهو

لا يرى قومه في جواز استئمانهم الا كسائر الناس . فارجع بعد هذا الى ما قلناه في
تقريظ كتاب (أشهر مشاهير الاسلام) في الجزء الثالث عشر من منار هذه السنة .
وحسبك الآن هذه التنبيهات ، وعليك بعد كثرة القراءة بمراجعة في المشكلات .

﴿ ثبوت رمضان بقول المنجم ﴾

(س ٣٩) ومنه: ثم أستفتيكم في مسألة ثبوت شهر رمضان بقول المنجم ولماذا
قال خليل « لا بمنجم »

(ج) راجع ص ٦٩٤ وما بعدها من المجلد السابع تجد القول في ذلك
مفصلاً تفصيلاً

(صلاة النساء في المساجد)

(س ٤٠) ومنه: هل يجوز للمرأة أن تصلي في المسجد أم لا لأن في بلادنا رجالاً
طفة بما لهم وجاههم حرّموا المساجد على النساء وأحلوا لهم العفريات (كذا)

(ج) كان النساء على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلين مع الرجال
في المسجد يقفن وراءهم فصلاتهن في المسجد سنة متبعة ثابتة لم يختلف في صحتها
أحد من المسلمين فتحريم ذلك على الإطلاق جهل فاضح . والاحاديث القولية
في ذلك كثيرة أشهرها حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا
استأذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فأذنوا لهن » رواه أحمد والشيخان وأصحاب
السنن ما عدا ابن ماجه ولكن ورد أن يخرجن غير متبرجات بزينة فقد روى أحمد
وأبو داود من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن
تفلات » أي غير متطيبات قالوا ويلحق بالطيب مافي معناه من المحركات لداعي
الشهوة كالخلي والحلل وجميع ضروب الزينة . وروى مسلم في صحيحه وأبو داود
والنسائي في سننهما من حديثه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أيما امرأة
أصاب بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » وأعم منه حديث زينب امرأة ابن
مسعود في صحيح مسلم « اذا شهدت احداً كن المسجد فلا تمس طيباً »

نعم ورد أيضاً أن صلاة النساء في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المسجد

فقد روى أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر «لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد ويؤمنن خير لهن» وله شواهد. وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» وفي اسناد الحديث ابن لهيعة ممن طعن في روايتهم ويجوز حمله على غير صلاة الجماعة. وفي الباب رأي عائشة رضي الله عنها قالت: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى من النساء ما رأينا لمنهن من المسجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها» رواه الشيخان وعلى هذا الرأي بني المتأخرون منع النساء من المساجد فهو اجتهاد لا يصح أن ينسخ النص القطعي الصريح ويحرم ما أحل الله ورسوله نعم إن علم أن خروجهن إلى المسجد يكون سبباً للفتنة جاز أو وجب منع من يعلم أو يظن الافتتان بهن فقط مع ازالة سبب الفتنة ولكن لا يصح أن يقال إن خروجهن إلى المسجد وصلاتهن فيه محرمة عليهن ولا أن يجعل حكماً عاماً مطلقاً

﴿ ذنوب الخطيب الذي يحث على الكسل والخرافات ﴾

(س ٤١) ومنه: كم هي ذنوب الخطيب الذي لا يأمر الناس إلا بالمعجز والكسل والموت والخرافات والتقليد وسي العادات؟ لازلت بحراً يستجلب دره، ومزناً يستوكف دره، والسلام

(ج) هذا الخطيب شر خطباء الفتنة وذنوبه لا تحصى إلا إذا أمكن احصاء تأثيرها الضار في الأمة وأناى يحصى وهو من الأمور المنووية التي لا تعرف بالعد والحساب فمن سيئات هؤلاء الخطباء وآفاتهم في الأمة أن كانوا علة من علل فقرها وضعفها في دينها ودنياها وضياح ممالكها من أيديها، فهم أضرموا على المسلمين، من الأعداء المحاربين، ومن دعاة الضلال الكافرين، ومثلهم كمثل الخطيب الجاهل يقتل الليل، وليس هذا محل شرح سيئاتهم بالتفصيل، ولكن لا بد من التنبيه على سيئه منها حادثة لم تكن من قبل وهي أن أبناء المسلمين الذين تعلموا العلوم العصرية وعرفوا أحوال الأمم وسياستها، وتأثير آدابها في مدنيها، وعزيمتها ولم يقفوا على حقيقة الآداب الإسلامية، ولا غير ذلك من الأصول الدينية، يتوهمون أن هؤلاء الخطباء ينطقون بلسان القرآن، ويبينون للناس لباب ما جاء

به الدين من الحكم والأحكام ، ويستدلون على ذلك باجازه العلماء ما يقولون وما يوردون في كلامهم من الأحاديث وان كانت موضوعة أو واهية ، وما يصرعون به من الآيات وان كانت بما ينهون عنه أمرة وعما يأمرون به ناهية ، ولكن أننى للسامع المسكين ، أن يميز الفث من السمين ، اذا كان لم يطلع على تفسير الكلام القديم ، ولم يقرأ علم الحديث الشريف ، فلا جرم ينفر من الدين نفور الكاره له ، المعتقد أن معارف البشر أهدي منه ، واذا كان عارفاً بدينه فانه ينفر من صلاة الجمعة وأعرف من المصلين من يتحرج أن يدخل المسجد بعد فراغ الخطيب من خطبته وحدثني الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أن رجلاً من النابغين في العلوم المصرية كان كثير الخوض في الدين والانكار لبعض أصوله وفروعه فما زال به الاستاذ حتى أزال شبهاته وأقنعه بأن يصلي فبدأ بصلاة الجمعة في الجامع الأزهر فسمع خطبة من الخطب المسؤل عنها فنفر ، وقال إن هذا شيء لا يصلح به أمر البشر ، وما أنا بعائد الى سماع هذه الخطابة ، انخداعاً بما للشيخ محمد عبده من الخلافة ،

هذا وان مقام الخطابة هو مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومقام خلفائه ونوابهم وقد أهين هذا المقام في هذا العصر لا سيما في مصر فصار يعهد به كثيراً الى أجهل الناس وأقلهم احتراماً في النفوس لان الخطابة في نظر ديوان الاوقاف هنا وظيفة رسمية تؤدي بعبارة تحفظ من ورقة فتلقى على المنبر أو تقرأ في الصحيفة ككنس المسجد يقوم بها أي رجل وفي نظر طلابها حرفة ينال بها الرزق ، فهم الديوان في الخطيب أن يكون قليل الاجرة لتوفر أموال الاوقاف فيوضع ما يزيد منها عن النفقات التي لا تفيد المساهمين في خزائنه أو خزائن البنك وقد اجتهد الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في احياء هذا الركن الاسلامي بجعل الخطابة خاصة بالعلماء الاعلام فوقفت السياسة في طريق مشروعه مدة حياته ولملها تنحى فينفذ بعد موته



كتاب التوجيه والتعلم

✽ المکتوب الخامس - في المدرسة الجامعة (*) ✽

كتب في ١٠ يولييه سنة ١٨٦٦

«من أميل» الى أبيه

كلفتني بأن أجعلك على علم بدروسي فوافاة لرغبتك أقول : الجامعة التي
أختلف اليها بناء في غاية الجودة وتفتح قاعاتها للتدريس في فصل الصيف من
الساعة السابعة صباحاً الى الساعة الاولى بعد الظهر ومن الساعة الثالثة بعده الى
الساعة السادسة وتنقسم دروس الاساتذة فيها الى عامة وخاصة فالاولى تلقى
بالضرورة مجاناً ويدفع الطلبة في مقابل تلقي الثانية «فريدريكين» ذهباً (٥٠ فرنكاً)
كل ستة أشهر وتنقسم جامعة «بن» مثل كل الجامعات في ألمانيا الى أربع مدارس
اختيارية احدها للقوانين والثانية للحكمة والثالثة للطب والرابعة للإلهيات ويتعلق
بكل من هذه المدارس الأربع فروع مختلفة يدرسها فيها رجال مخصصون بها
الجامعة تخلي بيننا وبين حرية التصرف في وقتنا ما باضاعته أو بالانتفاع به لا نرى
لا أرى لاحد منها أدنى تفتيش ولا أقل هيمنة علينا في سيرتنا على أي أعنقد مآقته
لي كثيراً من أن النظام التأديبي الناجع هو ما يفرضه الانسان على نفسه ويلتزم اتباعه
لامراء في أن أساتذة جامعتنا متضامون من العلوم غير أنني كثيراً ما شق علي
أن أتبع سلسلة أفكارهم في الدروس لسببين أولهما أن هذه الافكار ليست
في ذاتها واضحة وثانيهما أنني لقلّة تهودي على تصوير فكري بالألمانية حتى الآن
أجد من الصعوبة في فهم تلك الافكار أكثر مما يجده غيري من المتعودين
ويدهشي من أمر هؤلاء العلماء أنهم على سمو مكانتهم في العلم وبعد صيتهم
مغبونون في أجر عملهم اذ استدلت على هذا بما يبدو عليهم من رقة الحال وبقناعتهم
بالبسير من العيش ورثاة ملبسهم الذي يكاد يكون وسخاً وفقيرم هذا يؤلمني

(*) معرب من مابترية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

(٨٥ - ١١٠)

ويزيدهم في نفسي اجلالاً على اجلالهم الذي تدعوني اليه معارفهم فأولئك رجال يحبون العلم لا لكسب المال ولا للتمتع بالحطام وإنما يحبونه لما يحصله للعقل من لذاته وضروب اغتباطه

ثم ان بعض المدرسين يرتجلون الدروس مطنين فيها و بعضهم وهم الا كثرون يأتون بها مكتوبة فيلقونها على الطلبة وهو لاء يصغون لما يلقي عليهم ويكتبون ما يلقونه منه وقد وضعت لنفسي نمطاً في اختزال الكتابة وهو وان كنت لا أشك في قصوره لأ وليته يمكنني من اثبات الحدود الأساسية لما أسمعته من الجمل ينقسم الطلبة باعتبار مذاهبهم الى كاثوليكين و بروتستانتين متشددين يعد بعضهم نفسه للأعمال الخطائية وحكام يجتهدون في تأويل المذاهب تأويلاً مطابقاً للعقل وماديين وهم قليل يصرحون بأن زمن الديانات قد انقضى وأنه لا ينبغي اضاءة الوقت في المكوف على ما لا حقيقة له من هواجس القرون الوسطى وأحلامها رأيتك دائماً تجنب الخوض معي في المذاهب والاسرار الدينية واستنتجت من سكوتك عنها انك قصدت مني الاستقلال بنفسي في الاعتقاد ولقد حملتني عظميا فاني حتى هذا اليوم في غاية البعد عن معرفة ما يستقر عليه فكري في كثير من المسائل التي ترجفتي محاولة سبر غورها على انه لا بد من الاقرار لك بأنني لست مطرحة هذه الطائفة من الافكار ولا مغفلاً لها فكم مرة نظرت الى السماء في سكون الليل وحاولت على حداثة سني وجهلي أن أقرأ في نجومها حلاً للغز هذا العالم واتي منذ اليوم الذي شهدت فيه إلقاء جثة الملاح في البحر - وإخالك تذكرة - لا ينفك عني التفكير في سر الموت حتى في أحلامي وقد سألت القبور أن تكشفه لي فلم تحصر جواباً فعمدت من عهد دخولي الجامعة الى مطالعة ترجمة الفيدا (١) الألمانية والزنداوستا (٢) والتوراة فأثرت قراءتها في نفسي تأثيراً بليغاً وكان يترأى لي منها عالم جديد ولكن من خلال ظلمات لا يسعني الا الإقرار بأنهم لم تنقش

(١) الفيدا كتاب الهندو المقدس وهو اسم عام تحته أربعة كتب خاصة وهو الريجنيدا والسافيدا والياجورفيدا والاثارفافيدا (٢) الزنداويستا مجموع ما لأتباع زردشت من الكتب المقدسة

ولست أدري أأعكف على دراسة هذه الكتب أم أعدل عن اماطة الظلمات عما لا يتناهى فلا أشتغل إلا بما هو ثابت محقق من نتائج العلم
أنا الآن أحوج مني فيما مضى الى ارشادك والاستضاء بنور علمك ومن ذا
الذي أسترشد به وأستهديه سواك؟

جميع الطلبة يعلمون المجادلة والمناضلة وأنا مقتد بهم في ذلك فلي كل يوم
ساعة أو ساعتان أقضيها في ممارستها لان في هذه الممارسة تمرينا مفيدا في تقوية
الاعضاء وتنميتها ويؤكد لي العارفون من الطلبة أن أمهر المجالدين من يندر
التحرش به . ومع اني لا أرجو مطلقاً أن أبلغ في المجادلة والمناضلة مبلغ الفارس سان
جورج (١) أود لو أثبت في قاعة الممارسة ثبوتاً كافياً أني على علم باستعمال السلاح
حتى بحسب الطلبة حسابي فلا يستخفون بإغضابي فان المبارزة كثيرة الوقوع
بينهم وهم يجرحون فيها أحياناً ولكن يندر والحمد لله أن يقتلوا ومن يجرح منهم
لا يبالي بخدش وجهه بل يعتبر ندب الجروح على ما فيها من التشويه لخلقه من
موجبات اجلال النساء له

ثم اني أختم مكاتوبي راجياً أن تثق مني بدوام محبتي لك وتعلق قلبي بك .

البداوة - من باب الآثار الأدبية

قصيدة من نظم حسين أفندي عبد الفتاح الجمل ويعني بالبداوة تلك المعيشة
الهرية الحالية من ترف المدينة لا سكنى البادية فقط

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| ليت البداوة لي مهد ولي وطن | ففي الحضارة لي شغل عن الجدل |
| أعني بداوة عرب طاب مولدهم | وطاب محتدم في الأعصر الأول |
| فالأريحية فيها والنسدى خلق | ملازم لهم في الخصب والمحل |
| ترى العفاف لديهم مد أروقة | محفوظة بالتقى في كل مستغل |

(١) سان جورج شخص يذكر في الاساطير انه أمهر المجالدين والمناضلين

أما الوفاء فقد حازوا الفخار به فلا ضريب لهم في كل مرتحل
لا يفدرون ولو كانت منيتهم رهن الوفاء ولا يمسون في وجل (١)
نال السموأل فيه غاية وقفت عنها الملوك وقوف العاجز الخجل
ضحى ابنه خوف غدر لو تحمله لكان للعذر فيه واضح السبل (٢)
وعاصر كان في حفظ الجوار له بيت من المجد مرفوع اللواء علي
يحمي المجار به من كل غائلة م الانس والجن بل من سطوة الاجل (٣)
وفي التقى كان عبد الله ذا ورع لا يعرف الشرف في شيء من العمل (٤)

(١) كان حنظلة الطائي وعد النعمان بن المنذر بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت
فطلب النعمان من يضمه فضمنه شريك بن عدي . فعجب النعمان من رجوع
حنظلة وليس له داع غير الوفاء وعفا عنه

(٢) كان امرؤ القيس الكندي قد استودع السموأل سلاحاً ودروعاً وسافر
الى بلاد الروم فمات وهي عند السموأل فطلبها منه ملك كندة فلم يسلمها . فجرد
الملك عليه جيشاً وحاصره في حصنه المشهور بقوله

لنا جبل يحمله من نجيده منيع يرد الطرف وهو كليل
فوقع ابن السموأل أسيراً عند الملك فهدده بقتله ان أبي تسليم الوديعة فأبى وقال
له ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ما شئت فذبح ولده والسموأل ينظر .
وانصرف الملك خائباً ولم يأخذ الوديعة غير أصحابها الوارثين

(٣) كان الأعشى امتدح الاسود العنسي فأجازه بشيء كثير من الحلال والعنبر
فخاف على مامعه فأتى عاصم بن الطفيل فقال أجري قال قد أجرتك قال من
الانس والجن قال من الانس والجن قال ومن الموت قال نعم قال وكيف تجبرني
من الموت قال اذا مت وانت جاري بعثت الى أهلك الدية فقال الآن علمت
انك تجبرني .

(٤) هو عبد الله بن الزبير ترك عطاءه (ماهيته) في المسجد ثم أرسل خادمه

ولا بن عباس في حفظ المعلوم مدى ما فيه من مطمع يوماً الى رجل (٥)
 ماذا يقال وقد سارت مناقبهم كالشمس فينا بنور غير متقل
 وكيف للشعران يأتي على صفة الصديق أو عمر الفاروق ثم علي
 معامد طبعت فيهم وغيرهم تكافوها وليس الكحل كالكحل
 كأنما نبت هذي الفضائل في أرجائها فنت في السهل والجبل
 فهم كأنهم يُسندون من كرم أو أنه فطرة فيهم من الازل

باب الحكمة والاعمال

الثورة في روسيا

العلم نور لا ينتشر في بلاد الاوينجاب عنها من ظلمات الظلم بقدر ما يفيض
 عليها منه فاذا تمكن في النفوس وملكها وحصار صفة من صفات عدد كثير من أهلها
 فبشر أهلها بالسعادة بعد زمن طويل أو قصير لأن العلم مع الجهل وآثاره من
 الظلم والاستبداد لا يتجاوزان على وفاق وسلام بل يفتان يتنازعان ويتصارعان
 حتى يصرع أقواهما أضعفهما وينزعه من الارض

مقارعة العلم ومنافعه للجهل ومصارعه هي مقارعة طائفة من جند الحق لطائفة
 من جيوش الباطل والحق هو القوي المنصور ، والباطل معه هو الضعيف المحذول ،
 اللهم اذاهما وجدا فتجاولا وتصارولا ولكن قد يحول دون ظهور جند الحق مانع

بعد حين ليحضره فقال الخادم واننى لنا ذلك وقد دخل المسجد بعدنا كثير فقال
 عجبا ! وهل بقي أحد يأخذ ما ليس له

(٥) فضل ابن عباس مشهور انما اذكر هنا انه أنشد مرة قصيدة من شاعر
 (هو عمر بن أبي ربيعة) وجرى في المجلس ما اقتضى أن ينشدها ابن عباس فانشدها
 وقد بلغت سبعين بيتا فعجب الحاضرون فقال لهم تعجبون وهل يسمع أحد شيئا ولا يحفظه

فيظهر الباطل ويظن الظانون أنه قد غلب الحق على أمره وكيف يسمى غير
الموجود مغلوباً

فاض شعاع من العلم بمصالح الأمم وسنن العدل في الدول على البلاد الروسية
فما زال يزيح من تلك الظلمات المراكمة في النفوس حتى انزاحت فأشرقت العقول
واستنارت القلوب فعرفت حق الراعي على الرعية وحقوق الرعية على الراعي وتمكن
هذا الفرقان في نفوس كثير من المتعلمين فكان وميضه يلوح لأبصار المستبدين
من أفق المدارس الكلية فيندرم بالصواعق المحرقة فتهاجم قلوبهم ثم لا تلبث أن
أن تعود إلى طمأنينتها اغتراراً بفسوخ السلطة المطلقة القائمة على صخرة تقاليد الدين
وجهالة الأكرين حتى إذا ما انكشف للعالم كله ضعف دولة الاستبداد والظلم،
وأهزمها من وجه دولة العدل والعلم في الحرب الروسية اليابانية، إذ نكبت الثانية
بالأولى في جميع الوقائع البحرية والبرية، ظهر أهل العلم من الروسيين، وقاموا بالدعوة
إلى الخروج على الحكم المستبد، فنفقوا في البلاد روح الثورة فاشتعلت نارها،
وكثر أنصارها، ولم ينههم عن عزيمتهم أن وضعت الحرب أوزارها، وفرغت
الحكومة للثورة تبلو أخبارها، وتضرب وجوها وأدبارها،

بعد كفاح طويل عريض، وأخذ للتأثرين أليم شديد، وثبات من طلاب
الحرية، أمام أبواب العبودية، واصرار من طلاب العدل، على مقاومة الظلم والجهل،
خضع القيصر العظيم، لأولئك الشراذم من شعبه الحقير، وأمر بتحويل شكل
الحكومة الروسية، من إطلاق الاستبداد إلى قيود الشورى القانونية، فقالوا أنه
خضع اضطراراً لا اختياراً، فلا تغفروا بما أمر اغتراراً، بل أصرروا أيها الثائرون
والمعتصبون، يكن لكم كل ما تطلبون، فهم لا يزالون يقترحون، فهل يعتبر بحالهم
جيرانهم الأقربون،

نمزيتنا عن والدنا

لا يزال ترد علينا التعازي من محبيننا في المشرق والمغرب كالهند وسنغافوره
وجاوه وتونس والجزائر وقاس فتشكر لمن كتب ولمن سيكتب إلينا في ذلك
عموداً على بدء ونخص بالذكور أهل الوفاء في الديار التونسية من العلماء والأدباء

وأصحاب الصحف الفضلاء . وانا ننشر بعض ما تفضلوا به ليكون تعزية للبعيد من الأقرين . كتب أحد العلماء المدرسين بعد الثناء الذي هو أهله والدعاء

« العزاء بعد ثلاث وان كان تذكارا بالمصيبة ، فإن تركه ثلثة في وجه الود وشبهة في صحته مربية ، اليوم وصلت اليّ مجلة المنار فقرأت الخبر الأليم ، بوفاة والدكم البر الرحيم ، ذلك الخبر الذي ملأ فؤادي أسفاً مشاركة لكم على ما مجده ابن بار على فقد والد شقيق

« وفوق مشاركتك أيها الاخ في الحزن كيف لا آسف على فقد صاحب تلك الشئائل الزكية لولا أن فيما بذرت من كمالك الفطريّ مسلاة ومتعزى عنه فانك تخلد له ذكرا اخرى مما كانت تخلد له صفاته الطيبة وأنتم بحمد الله كما قال الشاعر
نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
ثم عظيم أن يلم بك أيها السيد مصابان في زمن متقارب يبري نفسك الشاعرة ، وبأصل فطرتك الطاهرة ، فتعز بأن الله جعلك لها لسان صدق في الآخرين ،
وعليك صلوات الله ورحمته بالصابرين ، »

وكتب عالم آخر من المدرسين

« حياك الله سيدي الاخ وعظم أجرك كما عظم رزك ومنحك من صلواته ورحمته وهدايته ما أنت أهله فلقد أبدت صبرا جميلا ، وثباتاً عظيماً ، أمام مصابين عظيمين تدكدك لهما الجبال الرواسخ - وفاة والدك الجسماني ، قبل أن يحف القلم من تأبين والدك الروحاني ، فرحمهما الله من أبوين صالحين تركا للاسلام فاضلا نحريرا مثل جنابكم الكريم فهما بذاك لم يموتا وانما غابا عن هذا الوجود الكدر وخلفا عملا كبيرا وسراجاً منيرا نسأل الله تعالى أن يطيل بقاءه ، ويديم اشراقه وارثاء الخ

وكتبت جريدة (الترقي) القراء التي تصدر في تونس ما يأتي تحت عنوان (الشام)
نعى لقراء الترقي شيخاً جليلاً وسيداً كريماً نبيلاً من نسل السلالة المطهرة ألا وهو سيد سادات الديار الشامية وفرع الدوحة الحسينية المرحوم الشيخ علي رضا أفندي الحسيني الحسني والد رصيفنا العلامة الفيلسوف الكبير السيد محمد

رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنير

قضى هذا الفاضل عمره المديد في اسداء المبرات واعمال الخيرات فكان
كفيل الأرامل ومربي اليتامى والمحسن للقريب والبعيد وقد قرأ العلم بطرابلس
الشام وارنقى في مراتب الدولة العلية التي كان مخلصاً في خدمتها للحد الذي جعله
ممتازاً على بقية الأشراف بورائة أعيان بلد القامون التي كان أنعم بها السلاطين
العظام على أسلافه الأكرمين وكان رحمه الله كما جاء في المنار «حسن المجاملة عظيم
التساهل في معاشره المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الإسلام والمناضلة عنه
بما يحج المناظر ولا يؤذيه» كهلاء السلف برد الله مضاجعهم

اتهمه مصادروه (أعداء الدولة) في الاوقات الاخيرة بالجاسوسية وبأنه يسعى
مع المرحوم فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده لتقويض أركان الخلافة العثمانية (لا سمح
الله) فسدوا بفراشه عقارب سعائتهم الممقوتة وأوغزوا عليه صدور رجال الدولة
فجعلته تحت مراقبة الجواسيس الحقيقيين بما تخرجت له النفوس الطاهرة والقلوب
الرحيمة فكان يقابل تحرشهم بالصبر واللين ويدعو الله مع أبنائه بتوفيق دولة
الاسلام وبتطهير ساحة سراية يلدز من أهل السوء والعدوان هذا وقد تسابقت
الجرائد الشرقية لتمجيده وتأبينه بأجمل عبارة تليق بمنزله حياً وميتاً ونحن نضم
لتلك التعازي عبارات تعزيتنا ونسأل الله أن يفسح له في صعيد الجنة وأن يجعل
عزاء بنيه خصوصاً رصيفنا العلامة المفضل محرر المنار الأغزاه

(المنار) نخص هذا الرصيف الفاضل بمزيد الشكر والثناء أن أحسن الظن
بنا وبالغ في مجاملتنا. ونذكر هنا أن كثيراً من كتب التعزية قد شتمت على الحكومة
العثمانية سوء معاملتها لوالدنا وشقيقنا بل جاء شيء من ذلك أيضاً في بعض البرقيات
(التلفرافات) فلم ننشر شيئاً منها لئلا يتوهم أننا ننتقم بذلك لنفسنا، ونستدرك على
الترقي أن السيد الوالد رحمه الله تعالى لم يدخل في أعمال الحكومة الرسمية على تعارفه
بكثير من وزراء الدولة وكبرائها. هذا وقلنا عزانا أحد عن والدنا الا وأعاد تعزيتنا
عن أستاذنا تغمدها الله تعالى برحمته، ومتعها بدار كرامته،





بؤنا الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدانا الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام سوى «منارة» كنار الطريق)

﴿ مصر - ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣ - ١٣ نوفمبر (ت) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب المقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثالثة

﴿ الاسلام هو الإصلاح الأكبر ﴾

مقال آخر آتي به اليوم تكميلاً لمقالي السابق (الدين في نظر العقل الصحيح) وإيضاحاً لما أجملته هناك في مسألة الإصلاح الإسلامي في الأرض. ولا أريد أن أذكر المسائل التي شارك الإسلام فيها غيره من الأديان الأخرى ولكنني ذاكراً ما امتاز به عنها ليتضح لأهل الانصاف، أنه هو الإصلاح الأكبر بلا خلاف

١ - التوحيد والتنزيه

أني القرآن بالتوحيد الخالص والتنزيه المطلق فقال «هو الله أحد» لا تدركه

الأبصار وهو يدرك الأبصار ليس كمثل شيء» وتماشى ما يوهم التشبيه والتجسيم
 إلا ما اقتضته ضرورة التعبير اللغوي حتى أنه أزال في مثل قوله «وهو أهون عليه»
 ما يتبادر منه من التمثيل بالمتخوفين بقوله بعده «وله المثل الأعلى» ففاق بذلك جميع
 الكتب الأخرى الممتلئة بالتشبيهات والتمثيلات حتى الساقطة الباردة منها. وأبان
 بمثل قوله «وان من شيء إلا يسبح بحمده» وقوله «ان كل من في السموات والأرض
 إلا آتي الرحمن عبداً» أن لا شجر ولا حجر ولا بشر تجوز عبادته من دون الله تعالى
 «إياك نعبد وإياك نستعين» فعرف الإنسان حقيقة حاله وأن لا يليق به أن يخاف
 أحداً سوى الخالق تعالى فخلص بذلك من الأوهام المحيطة به من كل جانب.
 هدأ الله بعد ذلك روعه منه وأعلمه أنه به رؤوف رحيم بل أشفق عليه من الأم على
 ولدها وأنه أقرب إليه من حبل الوريد يجيب دعوة الداعي إذا دعاه. فأحبه المسلم
 لإحسانه إليه وقربه منه مع جلاله وخاف من عقابه إذا هو عصاه. فمن غمره الملك
 بنعمه كان له محباً ولكنه يخاف أن يقع منه ما يغضبه. ومع ذلك إذا عصاه الإنسان
 ثم رجع إليه وجد بابه مفتوحاً وغفرانه واسعاً «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
 لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم». الله أكبر.
 أين هذا الاعتدال في العقيدة من افراط قوم يظنون أن الله لا يحب الإنسان إلا إذا
 قتل نفسه لتكفير ذنبه فأوقعهم ذلك في الاشرار الحقيقي وان أنكروه وفي التشبيه
 والتجسيم وما خالف المقول والمنقول. وأين ذاك الاعتدال من تفریط آخرين
 يعتقدون أن الله بعيد عنهم ولا يبالي بهم ولا يريد بهم خيراً

يزعم بعض من يدعي العلم من قسيسي المسيحيين أنه لم يرد في كتاب المسلمين
 ما يدل على حب الله لهم وحبهم له بل كل ما فيه الخوف والانزعاج منه فلذا أورد هنا
 ما ورد في القرآن الشريف في ذلك المعنى «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
 الله» والذين آمنوا أشد حبا لله» فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» ان الله
 يحب التوايين ويحب المتطهرين» وآتى المال على حبه» ويطعمون الطعام على حبه»
 وفيه من ذكر الرضى والرأفة والرحمة والغفران ما لا يوجد في كتب المسيحيين أنفسهم
 ويكفيك أن كل سورة مبتدأة بالرحمن والرحيم. فهل إله المسلمين قاس كإلههم هؤلاء؟

ألا ان التعصب يعمي ويصم
والخلاصة أنه بهذه العقيدة الصحيحة احتثت جذور الوثنية من الأرض وكذا
كل عقيدة اتفقت معها في الحقيقة وإن اختلفت عنها في الشكل وتبع ذلك طهارة
العقول من الوساوس والخرافات التي أحاطت بالأمم الأخرى، فأي اصلاح أكبر
من هذا؟

٣ - المساواة

قرر الاسلام أن أفراد البشر عند الله سواء وأنه لا ينظر الى صورهم وأزيائهم
بل الى قلوبهم . وأن رحمته تعالى لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وعذابه لمن عصاه
ولو كان شريفا قرشيا فلا فرق بين الغني والفقير والصعلوك والامير والحر والعبد
الا بالنقوى «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم» فرفع بذلك كل امتياز موهوم بين الافراد
ولم يجعل لأحد على الآخر سلطانا الا ما اقتضته حدود الشريعة لدفع الاذى وحفظ
الأمن وفيما عدا ذلك لا مسيطر على الانسان الا الله وحده وليس يفتناو بينه تعالى
حجاب أو واسطة «انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» فلا كاهن ولا رئيس
في الدين ليقترب الناس من رب العالمين . زال بذلك كل ما كان وضعه رؤساء الاديان
الأخرى من الحجز على العقول وعلى مامنحه الله لنا من الحرية كدعوى التوسط
بين الله والناس في غفران الذنوب وإباحة ارتكاب بعض المحرمات في مقابلة
درهات يأخذونها ومنع الناس من قراءة كتبهم الدينية الى غير ذلك من المفاصد
التي وقع فيها الامم الأخرى بسبب عبارات وردت في كتبهم فهموها بهذا المعنى
بحق أو بغير حق واستمروا على العمل بها الى ما بعد مجيء الاسلام بعدة قرون ثم
أخذ بعض الطوائف في الاصلاح بمثل ما أتى به ديننا القويم من قبل .
أمكن المسلم بسبب ذلك أن يقف بين يدي الله تعالى وحده ويقرأ كتابه
بنفسه ويفهم منه ما شاء أن يفهم فلا توسط ولا مراقبة ولا حجز . والناس غيره في
عبودية وذل، وغباوة وجبل، ذم الاسلام بعد ذلك التقليد ونهى عن متابعة الأهل
في شيء الا بدليل «واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » وأمر المسلم أن ينظر في القول ليميز صدقه من باطله . بدون نظر الى قائله « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » فأني دين أتى بمثل هذا كله ؟؟

٣ - العقل والعلم بالحقائق رائد الايمان الصادق

امتاز القرآن الشريف عن غيره من الكتب الدينية بمخاطبة العقل في جميع العقائد، والتحاكم اليه عند المخالف والتعاند. فلم يقرر عقيدة أو يرد أخرى الا بالدليل العقلي . أي كتاب غيره أقام الدليل على حدوث العالم بحركات الأجرام السماوية تذكر حجة إبراهيم على قومه في سورة الأنعام مثلاً تأمل قوله في الرد على من عبد مريم والمسيح « كانا يا كلان الطعام » وقوله « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » رداً على من اتخذ ولادته بدون أب دليلاً على ألوهيته . وقوله في اثبات النبوة « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون » فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » وقوله « فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » وقوله « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا الارتاب المبطلون » وقوله في عدم استحالة البعث « أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » الى غير ذلك من الآيات التي هي أساس علم الكلام كما بينا ذلك في المقال السابق .

ولم يكتف باقامة الحجج على العقائد فقط بل لا تجدد في الغالب أمراً أو نهياً الا أتبعه بالدليل ولم يرض بالاستسلام والرضوخ بدون معرفة السبب فقال مثلاً « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » أي ان الصيام الذي يقوي الارادة ويربي النفس على مراقبة الله تعالى ويعرفها مقدار النعم عند فقدتها أعظم معد للتقوى . وقال في الحدود « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وقال في الاخلاق « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وغير ذلك كثير مما لم يأت في كتاب سواه فلا تجد صحيفة منه خالية من قوله « لعلكم تعقلون » تتفكرون . يا أولي الألباب .

الأولي النهي . لذي حجر الخالخ » ثم ماورد فيه بشأن العلم والعلماء كثير « وما يعقلها الا العالمون » انما يخشى الله من عباده العلماء * وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم * هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وبذلك كله صار المسلم لا يبالي بعقيدة خالفت العلم الصحيح أو ناقضت حكم العقل فبينما تجد غيره يرضخ لعقيدة لا يفهمها ولا يمكنه أن يعبر عنها بما يجعله يفهمها بل يدعن ويسلم ثم يقيم الصلوات والأدعية لترسخ بالقوة في ذهنه — بينما تجد ذلك في غيره تجده هو يشق الحجب بفكره ويرقى الى الملكوت الأعلى بعقله عملاً بقول كتابه « قل انظروا ماذا في السموات والأرض »

لا يطالب القرآن أحداً بالايان لمجرد سرد قصص عن المعجزات وخوارق العادات بل أمر بالتدبر والنظر فيه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وخالف بذلك سائر الكتب الأخرى وفتح للعقل باباً واسعاً للبحث فيما أتى به حتى يحزم بأن صدوره من مثل محمد العربي الأمي صلى الله عليه وسلم ضرب من المحال . ولم يرد أن يخلق دونه الباب بتعداد حكايات لم تخل أمة من نسبة أمثالها الى مؤسسي دينهم بل قدورد في كلام بعضهم كالسيح مثلاً ما يدل على انكارها ان صحت الرواية عنه . وذلك قوله « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي » يريد بذلك أنه كما آمنت أهل نينوى بيونس لمجرد الوعظ فلتو من الناس بي أيضاً لهذا السبب بعينه بدون معجزة وماورد بعدها من قوله « لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » قال فيه المحققون من المسيحيين أنفسهم انه تفسير من جانب كاتب الانجيل وهو غلط الوجهين (الاول) ان المسيح لم يمكث في بطن الأرض على قولهم الا يوماً وليلتين كما هو صريح جميع الأناجيل و(الثاني) أنه بعد قيامته لم يظهر لاحد من هؤلاء الطالبين ولم يشاهده سوى بعض نساء وبعض المعتدين فيه . فكيف يكون ذلك آية مقنعة للمخالفين ؟ وخلاصة القول ان هذه العبارة تنفي جميع المعجزات ومع التساهل لا تبقي الا واحدة وقد ينالك حالها : فهذا هو شأن جميع الأديان التي لا حجة لها الا أمثال هذه الأقاصيص والاعجوبات : فهل تقارن هذه بالدين

الذي لا عقيدة ولا أمر ولا نهي ولا حكم فيه الا ويتبعه الدليل العقلي من نفس كتابه: فله دره من دين أحيا العقل بعد أن أماتوه، ونهض به الى حضيرة العلم بعد أن دفنوه، فأى اصلاح أكبر من هذا ؟

٤ - رفع وهم عن الناس في مسألة تأثير الشياطين

أتى الاسلام والناس جميعاً واهمون في مسألة تأثير الشياطين: رسخ في عقول الامم كافة أن الارواح الخبيثة مسلطة على الانسان بالاذى فاذا رأوا مفلوجاً أو مشلولاً أو مجنوناً أو أبكم أو أصم أو مصاباً بأي مرض آخر نسبوا ذلك اليها فامتلاّت قلوبهم رعباً منها وخافوا من الاماكن القديمة أو الخالية أو المظلمة أو من سقوط شيء على الارض أو من دخول محال التقوط الى غير ذلك من الاوهام التي لا يزال أثرها في نساء أهل مصر الى اليوم: ويا ليت الامر كان قاصراً على ما ذكر بل ظهرت نتيجة ذلك في أعمالهم وكانت سبباً في ضررهم ضرراً بليغاً فاذا أصيب أحدهم بمرض ما تداووا بالعزائم والطلاسم وابقاد البخور أو زيارة بعض القبور أو تعليق اوراق أو الاستنجاد براق حتى يتمكن الداء وتستفحل العلة فلا يقوى الطبيب على استئصالها أو ايقاف سيرها ويموت الشخص ضحية للجهل والوهم: هذا كان شأن الامم في هذه المسألة وهذه كانت افكارهم وكانت تأتهم الاديان ولا تزال عندهم هذه الخزعبلات المميتة للنفوس والاجسام بل إن بعضها ايدها تأييداً ونص على صحتها صريحاً: فتجد ان كل صحيفة من كتبها تدل على ان الشياطين هي علة هذه الامراض كالصرع وانواع الشلل والبكم والصمم وانواع الجنون والعنائة وغير ذلك مما عرفت اسباب اكثره العلوم الطبية الحديثة ومالا تعرفه قاسته على غيره لوجود التشابه العظيم بينهما ولشفاء بعضه باستعمال العلاجات المادية المحضة كالمواد الكيماوية ونحوها

اتي الاسلام والناس على هذه الحالة فلم يشأ ان يتركهم وشأنهم يخططون بخطط العشواء في الليلة الدهناء بل أصلح هذه كما أصلح غيرها مما يمتد النفس والجسم معاً صغيراً كان أو كبيراً وذلك بالافصاح أن ليس للشيطان على الانسان

من سلطان الا بالاغراء والوسوسة فلا يمكنه أن يؤذيه في جسمه أو عقله أو إحدى حواسه بشيء مطلقاً قال تعالى حكاية عن الشيطان «وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم» وقال تعالى في خطابه «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الفاوين» وما ورد فيه من قوله «لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» هو على سبيل التمثيل والتشبيح الذي ورد مثله في كل لغة مهما كان اعتقاد قائله فهو على حد قوله في مقام آخر «طلعها كأنه رؤوس الشياطين» (١) وتلك عبارة واحدة لم يرد غيرها.

فليطالع القاري العهد الجديد للنصارى مثلاً ليعلم الفرق بين هذا وذاك بمثل هذه الحقائق التي قررها القرآن صار المسلم الحق لا يعبأ بالشيطان ولا يخشى منه أذى أضرراً إلا ما كان دعوة لشهوة أو محوها مما يجب عليه أن يحترس منه فإذا أصابه مرض ما لم يستشف بقديس أو قسيس كما يفعل غيره بل يطلب الطب والدواء ويأتي البيوت من أبوابها فأعظم به من كتاب لم يهمل شيئاً فاسداً الا أصلحه . فأي كتاب يمكن أن نقارنه ؟؟

الله أكبر ان دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قبلاً

لا تذكروا الكتب السوافة عنده طلع الصباح فاطفى القنديلاً

الاعتقاد الصحيح لا يكون الا باقتناع العقل بدليل لا بارهاب أو ترغيب . فمن لم يطمئن قلبه بالبرهان ، لا يحصل له الايمان ، وان تظاهر بشيء منه فهو منافق كذاب ، فلا معنى لادخال عقيدة في القلب ، بواسطة التهديد بالقتل أو الضرب ، وهذا ما لا جدال فيه وعليه فاستعمال القوة للحمل على اعتقاد هوس وجنون وسعي فيما لا يمكن أن يكون . لهذا نهى الله المؤمنين عن الإكراه نهياً صريحاً يخافي عدة مواضع من كتابه العزيز « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ثم طيب قلوبهم بنحو قوله « لا يضركم من ضل إذا هتديتم » - وقوله « ولو شاء ربك جعل الناس

(١) المنار: الصواب ان الشياطين هتانوع من الحيات كما في التفسير المعتمدة .

أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ففقه المسلمون أن ليس من وظيفتهم بالنسبة لغيرهم ما مهام الله عنه . أمروا بالقتال ولكن لا للعقيدة بل لدفع الأذى وأمن الفتنة وحماية الدعوة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » الفتنة هي ما يفتن به المرء في دينه من أنواع الأذى والاضطهاد والمعنى قاتلوهم حتى يأمن كل منكم على نفسه ويكون دينه كله خالصاً لله لا يشوبه خوف أحد أو كتمان شيء لعدم انغصابه أو اظهار آخر لا يدين به لاجل ارضائه بل يكون دينكم وخضوعكم كله لله بدون مبالاة بغيره . ولو كان القتال لاجل الدين لما كان هناك معنى لقوله « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وقوله « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأثموا اليهم عهدكم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » وهذه الآيات مدنية . نزلت وقد أعين القتال وأنشبت الحرب أظفارها فكيف ينهى عن قتال من لم يقاتل أو يُعقد عهد مع المشركين ، اذا كانت الحرب لاجل الدين ولما أمر الله تعالى في سورة براءة بقتال المشركين الذين خانوا اليهود ونقضوا المواثيق وبدأوا بالعدوان ، وكانوا مهددين للمسلمين في كل وقت وأوان ، وخيف أن يدخل أحد في الاسلام حذراً للقتل أمن كل من رغب النظر فيه ليهتدي اليه بدون اكراه فقال « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »

والخلاصة أن المسلمين اذا أمكنهم الدعوة الى دينهم دعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ولكن اذا هددت الدعوة وخيفت الفتنة قاتلوا حتى يخضع المهدد لسلطانهم ويأمنوا شره و بعد ذلك يعطفون عليه بالرفق واللين والاحسان وحمايته في مقابلة جزئ يسير يدفعه من ماله وله أن يقيم على أي دين شاء . هذا هو حكم الجهاد في الاسلام كما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن . أما ما خالف ذلك فليس من الاسلام في شيء ، ويكون الحامل عليه الملك والاستعمار لا الدين وهذا مبحث آخر فليس للمسلم أن يقاتل من كان آمناً منه ، لأجل أن يكرهه على دينه ، أو يسيء الى من خالفه في الاعتقاد « لا ينهاكم

الله عن الدين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم
إن الله يحب المتقسطين» أو يقطع علاقته مع أهله لأجل الدين « وإن جاهدك على
أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » أو يعاقب
بأكثر مما عوقب به . أو يقتل في حرب به شيخاً أو طفلاً أو امرأة . إلى غير ذلك
من شرائع العدل والرأفة والرحمة . فأي دين بلغ من القوة ما بلغ الإسلام وعمل
بمثل هذه القوانين العادلة . قارن ذلك بما فعله بنو إسرائيل مع غيرهم وما فعله

النصارى مع مخالفينهم ومع بعضهم

يقولون إن المسيح عليه السلام فاق محمداً عليه الصلاة والسلام بالدعة والمرحمة ونقول
هب أن ذلك صحيح فهل يقارن من عاش ثلاث سنين في الضعف والمسكنة بمن
عاش ثلاثاً وعشرين وهابته الملوك والجبابرة ؟ فما يدرينا أنه لو عاش مثل ما عاش
وبلغ مثل ما بلغ ماذا كان يفعل . عاش محمد عليه السلام ثلاث عشرة سنة أو أكثر ولم
يبد منه عداوة لأحد وعاش المسيح عليه السلام ثلاث سنوات فبدت منه البنضاء
للناس إذا صح ما نقل عنه نعم انه قال « أحبوا أعداءكم : باركوا لأعدائكم » ولكنه
كان أول من خالف ذلك على روايتهم فقال « من لم يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده
واخوته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً » وقد برهن على هذا القول
بالعمل حينما قيل له أمك واخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك فقال « من
هي أمي ومن هم اخوتي — ومديده نحو تلاميذه وقال — ها أمي واخوتي : من يصنع
مشيئة أبي هو أخي وأختي وأمي » وقال في مثل له « أما أعدائي أولئك الذين
لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي » فما هذا التناقض
وما هذه الحال . والحق يقال إن حب العدو فوق الطبيعة البشرية فمن أراد أن يغيرها
لا يلتفت إليه ولا يسمع له قول كما هو مشاهد في العالم الآن بأجمعه، ولكن الشريعة
الإسلامية أتت لتقويم معوج الطبيعة لا لتغييرها وتبديلها فأمرت بما يقدر عليه
الإنسان بجهد قليل بأن حثت على الإحسان إلى المسيء « ويدعون بالحسنة السيئة »
ومدحت ذلك ولكنها أقرت بأن الأخذ بالمثل لا ظلم فيه ولا عدوان ولكنها لم
تندب إليه كما ندبت إلى الأول « ولئن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » فانظر

الفرق بين ما وافق الفطرة وبين ما حاول تبديلها. وهذا هو الشأن في كل المسائل التي خالف فيها الاسلام الأديان الاخرى المعروفة « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

٦ - اصلاح حال المرأة

أتى الاسلام وحال المرأة في اختلال، بنات مؤودة . وحقوق مهضومة ، وذل واحتقار ، حتى ظن بعض من كان يعتقد بنوع من البعث أن المرأة لا نصيب لها فيه ، طلاقاً وهي الاسباب ، أو امساك مع البغضاء والشحناء ، تعدد لاحدله أو اقتصار على واحدة أوقع غيرها فريسة للفقر والاهواء فماذا عمل الاسلام في هذه الحالة المختلفة ، وكيف أزال العلة ؟؟

حرم وأد البنات تحريماً تاماً . وأندر الناس عذاباً باليوم القيامة ان لم يتركوه « وإذا المؤودة سئلت » بأي ذنب قتلت » رفع شأن المرأة وحفظ حقوقها وجعل لها مثل ما عليها فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وهي درجة القوة والاتفاق كما ذكر في آية أخرى . ساوى بينها وبين الرجل في جميع الأمر والنواهي الدينية « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً » وقال أيضاً « اني لأضيق عمل عامل منكم من ذكر وأنثى » فعلم الرجل انها قرينة له في الآخرة كما هي في الدنيا ولا امتياز بينهما في ذلك . أمر بالاحسان اليهن في عدة مواضع ومعاشرتهن بالمعروف ونهى عن امساكهن ضراراً . وطيب قلب الرجل اذا حصل فيه شيء من الكره بقوله « وعاشروهن بالمعروف » فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » حتى لا يتسرع الى الطلاق لأقل سبب وأوجب عليه التروي وتحكيم حاكمين من أهلها قبل أن يقدم على ذلك « وان خفتم شقاق بينهما فابشوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » الآية لأن الطلاق وان كان مباحاً لكنه أبغض الحلال الى الله كما ورد في الحديث أما اذا لم يمكن التوفيق بينهما

لسبب مما من الاسباب فعدمه فيه حرج كبير فخل بالعائلة والنظام ويجري الى ما لا تحمد عقباه ولذلك نجد من حرم عليهم في شريعتهم أخذوا يتخلصون من ذلك بكل وسيلة

قال المولعون باللاوهام ان اباحة الطلاق تقلل الحب بين المرأة وزوجها لانها مهددة به في كل وقت . ولكننا نقول هل المرأة التي تعلم أن الجامعة بينها قسرية اضطرارية تضمن حب زوجها لها أكثر من التي تعلم أنه لو لم يكن هناك حب لسهل افراقهما؟ فها هذا القلب قلب الحقائق الى الضد!

كان تعدد الزوجات غير محدود عند العرب وعند غيرهم فوضع الاسلام له حدا كما هو معلوم ولم يندب اليه وقيده بشرط عدم الخوف من عدم العدل وفوائد الاباحة كثيرة منها (١) أن الانسان اذا أصاب امرأته مرض مزمن جعله ينفر منها فاما أن يبقيا أو يطلقها : أما طلاقها والحالة هذه فهو خلاف المروءة والانسانية اذا لم يمكنها أن تزوج بغيره وربما لا يكون لها عائل سواء وان أبقاها ولم يتزوج عليها تعطل نسله هو أيضاً وتعرض للاصابة بأمراض كثيرة تنشأ من عدم القيام بهذه الوظيفة أو اضطرره الشهوة الى الزنا أما اذا كان هو المصاب بذلك المرض المزمن فطلاقها اذا يكون عين الحكمة والصواب فتسلم من العدوى ان كان مرضه معدياً فيمكنها الزواج بغيره والقيام بوظيفتها التناسلية أو الاشتغال بشيء تكتسب منه قوتها . وهذا أيضاً من فوائد الطلاق . فهل في الطلاق والتعدد اصلاح للمرأة أم اضرار بها ؟ ومثل المرض المزمن المقيم في النساء فالزوج عليهن خير حل لهذه المسألة وخصوصاً فيمن كان يطلب وارثاً له في مال أو ملك (٢) عدد النساء أكثر من عدد الرجال فلو لم يبح التعدد لوجد عدد كبير منهن لاحيلة هن سوى الاتجار في أعراضهن كما هو مشاهد في أكثر بلاد أوروبا وذلك يجعلهن مبتذلات معرضات للأمراض واذا افقرن ومرضن أو كبرن في السن أو فقدن عضواً منهن فلا مخلص لهن من سوء الحال سوى الانتحار . فهل في التعدد اصلاح أم اضرار بهن ؟ هذا واذا علمنا أن شهوة الرجال أقوى من النساء بكثير وأنهم يميلون الى التعدد بخلاف الاناث كما هو مقرر في العلوم الباحثة في هذا الشأن أيقنا أن اباحة التعدد موافقة للنوع الانساني

من كل وجه. ولا ننكر أنها قد تجر الى بعض مضار . ولكن باستعمال العقل والجزم يغلب نفعها على ضررها .

ولا يزول ما بين الرجل العاقل وبين امرأته من المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما بسبب التعدد كما يتوهم البعض لأن قلب الرجل يسمع أكثر من واحدة كما أن قلب الأم يسمع جميع أولادها وقاب الاستاذ جميع تلاميذه النبهاء . فالتعدد لا يمنع من حب الجميع ألبتة ولا ينافيه . ولكنه ينافي العشق والفرام الذي هو أحد أمراض الحب . وأقصد بالعشق عبادة ذات مخصوصة والتفاني فيها بما يؤدي الى الموت ان فقدت ومثل هذا لا يليق بعاقل وهو لا يدوم بل سريع الزوال فالحب المقصود وجوده هو المهر عنه بقوله تعالى «وجعل بينكم مودة ورحمة» أي حب شفقة وحنان وحب اخلاق لا حب ذات وهذا لا ينافيه التعدد فقد توجد المودة والرحمة والشفقة والحنان وحب الاخلاق من شخص لكثيرين . ومتى علمت المرأة ذلك من الرجل وعلمت أنه هو عائلتها وكافلها أحبه قلبها رغم أنها وان كرهت شريكاتها فيه . وهذا الكره ناشئ من شهوة الاستئثار بالنفع وهي شهوة لا يجوز للرجل أن يطيعها فيها اذا اقتضت الضرورة خلافها . ولو عقلت المرأة أن غيرها يود من يقوم بشؤونها مثلاً وأن قلة الرجال بالنسبة لمن يستلزم قيام رجل واحد بشؤون أكثر من واحدة لو وجدت نفسها مخطئة في ايثار النفع الخاص على النفع العام . الامر الذي تحاشاه ديننا القويم والخلاصة أن الشريعة الاسلامية حلت مسألة المرأة أحسن حل وأصلحت حالها اصلاً لم تات به شريعة أخرى وقد أخذت الافكار سيئة في أوروبا تتقرب الى ما أتى به الاسلام بعد أن عادته عداء شديداً مدة مديدة

الحديث شجون — ايثار النفع العام على النفع الخاص هو مما يعبر عنه المسيحيون (بانكار الذات) . فهل الدين الذي يدعو المرأة لان ترى غيرها شريكة لها في زوجها كالذي يدعوها لان تستأثر بشخص وحدها وترى غيرها من النساء يرحن ويغدون في الطرقات كل يوم الى ما بعد نصف الليل ليحصلن على ما به يقتنن ويكتسبن؟؟ هل الدين الذي كان أهله في الصدر الأول يطلقون نساءهم ليزوجوهن اخوانهم من المسلمين ويطعموهن طعاماً هم أنفسهم محتاجون اليه يقال عنه انه لم

يعلمهم انكار ذاتهم!! ألم يرد في كتابهم قوله تعالى «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»؟؟ هل الدين الذي كان صاحبه يدعو ربه لينجيه من القتل والصلب بقوله على زعمهم «ان أمكن فلتعبر غي هذه الكاس» وزعمهم أنه لما حصل بالفصل ضجر وخارت قواه وصرخ قائلاً «إلهي إلهي لما ذا تركتني» كالدين الذي كان صاحبه لا يبالي بالآذى والقتل في سبيل نصرته الله ودينه وقد احتمل من الاضطهاد ذات مدة ثلاث وعشرين سنة ما لم يحتمله سواه وهو يتلو قوله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً» الآية أيهما برهن للعالم على انكاره لذاته في سبيل هداية الناس وارشادهم الى الحق مها أصابه وكان يقابل سهام العدو بصدرة وحده ويقول «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»؟ الله أكبر. أين هذا من ذلك. فما كان أغنانا عن هذا الجدل كله لولا اعتداؤهم علينا. هل أوجب المسيح الزكاة والصوم والحج على متبعيه مثل ما أوجب القرآن. أليس في هذه الثلاث أكبر معنى لا ينكار الذات ونفع الناس والاستيلاء على الشهوات ووطئها بالاقدام وتحمل المصاعب والمشاق للحصول على رضوان الله. أبعد ذلك يقولون ان المسلمين لا يعرفون معنى لا نكار الذات الذي يطنطنون به ويدعونه بالسنتهم وهم أبعد الناس عنه وأكثرهم انتماساً في الملاذ والشهوات. ولكن ليقف القلم عندها هذا الحد ولترجع الى ما كفا فيه

باب المقالات

﴿ دعوة اليابان الى الاسلام ﴾

خواطر وآراء

كان أشيع مندمنين أن أولي الامر في اليابان قد عرفوا بارتقاؤهم في العلم والسياسة أن دينهم الوثني باطل وأنهم يبحثون في غيره من الأديان ليختاروا لهم منها ما يظهر لهم أنه أهداها سبيلاً، وأقومها قيلاً وأقواها دليلاً، وأقربها من صداقة المدنية، وأبعداها عن عداوة العلوم الكونية، وأنهم لاحت لهم بوارق دين الاسلام فأحبوا اكتناه كنهه، والوقوف على حقيقة شأنه، فراجعت حكومتهم في ذلك سلطان

العثمانيين، لأنه أكبر سلاطين المسلمين، شاع ذلك أيام أرسل السلطان عبد الحميد تلك السفينة الحربية (أرطغرل) إلى بلاد اليابان لتزور حكومتها وأرسل معها وفداً دينياً ليبين لها حقيقة الإسلام كما قيل ولكن السفينة غرقت قبل أن تصل إلى حيث تقصد ثم سكت الناس عن الكلام في إسلام تلك الأمة ونسوه ولم يكن قد ظهر لهم حقيقة أمرها في القوة والمدنية

ولما ظهر من أمرها في الحرب الأخيرة في هاتين السنتين ما ظهر، وغلب نور فضلها — وهي دولة الشمس — على نور القمر، عاد المسلمون إلى حديثهم الأول في إسلامها فتحدث به المصري والسوري والهندي والروسي، والجزائري والنفوسي والأفغاني والصيني، من غير مواطأة بين مسلمي هذه الأقطار، ولا تقليد أحد منهم للآخر في الأفكار، وإنما هو شعور بهته في نفوس هذه الشعوب القصية، ما يعلمونه من الخطر على بقايا السلطة الإسلامية، بما جبل عليهم حكامهم من الجهل والاستبداد، مع وقوف دول أوربا لهم بالمرصاد، وباعتادوا عليه — أعني المسلمين — من الاتكال على الحكام في الأعمال، والاستعانة بهم من خواطر التكافل والاستقلال، والنهوض بمجالات الأعمال،

إسلام هذه الأمة العزيزة ذات الدولة القوية قد صار من الأماني التي يتخيلها كثير من المسلمين المتفكرين، الذين يألمون من سلطة المخالف لهم في الدين، فمنهم من يلهو بتخيلها في خلوته، ويتمثل بما قال ذلك الشاعر في معشوقته،

أما نبي من سعدى عذاب كأنما سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا
مُنَى إن تكن حقاً تكن أحسن المتى والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ومنهم من يتحدث بها في الأندية والسمار، ويشرح ما يكون لها من الفوائد والآثار، ويقول إن أسلم الميكادو فانا أول المبايعين، وأضمن له ذلك في جميع شعوب المسلمين، ومنهم من ارتقى عن الأماني وهم أحلام المستيقظين، وعن لغو الحديث وهو فاكهة الكسالى والعاجزين، إلى حيث من بطن فيهم كمال العلم بحقيقة الإسلام، على تأليف رسالة أو كتاب لدعوة أولئك الأقوام، ومنهم من يقترح أن يجمع شيء من المال، يجهز به دعاة من فضلاء الرجال، ليأتوا البيوت من

الأبواب ، وينشر والدعوة بالقول والكتاب ، ومنهم من ارتقى الى استعداد
للدعوة بالفعل ، ويقال انه قد انتدب الى ذلك أفراد من الشيعة في الهند ،
وأيننا بعض أولئك المتحمسين ، ونحدثنا مع بعض المقترحين ، فرأينا أن
السياسة هي ولدت في نفوسهم هذه الرغبة وقلما تجد فيهم من يود اسلام تلك
الأمة لباعث ديني خالص من شوائب السياسة وإني ليحزني أن لا أرى في
قومي كثيراً ممن بهتم بنشر الاسلام لذاته رغبة في سعادة من يدخل فيه وفوزه
برضوان الله تعالى ويعزني عن حزني أن أرى الاهتمام بحفظ السلطة الاسلامية
عظيماً في نفوس كثير من المسلمين فان للإسلام ركنين أحدهما للآخرة
وثانيها للدنيا وان ضعف أحدهما أهون من ضعف كليهما وان كان القوي لا يفي
عن الضعيف الا أن يستند اليه المصلحون في اقامة الآخر وارجاعه الى أصله
قلت لبعض المتكلمين معي في هذه الأمانة ان اليابانيين مستعدون لقبول
دين يتفق مع العلم والمدنية والقوة وإنا نحن واياكم لعل اعتقاد بأن الاسلام
الذي عليه المسلمون ليس كذلك والا لما حرموا من العلم والمدنية والقوة ما اعترضه
غيرهم ، وأن الاسلام الذي جاء به القرآن الحكيم وبيته السنة السنية وكان عليه أهل
الصدر الاول هو كذلك ، ثم ان ما تطلبونه بدعوة هذه الأمة الى الاسلام هو الاعتزاز
السياسي بهم والتمتع العاجل بحمايتهم وانما يرجي هذا اذا وجهت الدعوة أولاً الى
ملكهم ورجال حكومته وهؤلاء قوم سياسيون يوشك ان لا يعتدوا بقول أمثالنا في
بيان دين له ملوك وأمراء بدون استفتائهم فيه فاذا نحن كتبنا رسالة الدعوة وبيننا فيها
أصول العقائد والاحكام في الاسلام وأهمها عند هؤلاء شكل الحكومة وهو كونها
وسطاً بين الديمقراطية والديمقراطية المتطرفتين مشروطاً فيها مشاورة أولى الامر
في الشؤون السياسية واستنباط الاحكام وهم أهل الحل والعقد وأصحاب
المكانة والرأي - فما يشعركم أنهم يراجعون في ذلك السلطان الذي يرون المسلمين
يلقبونه بخليفة النبي صلى الله عليه وسلم ويعترفون له بالرياسة الدينية واذا هم فعلوا
فماذا تتوقعون من جواب السلطان ، ومن مفتي الدولة الا كبر الملقب بشيخ الاسلام ؟
قليل نتظر أن يكون الجواب تكذيب الرسالة ولكننا نقول ان هؤلاء العقلاء

لا يستفتون حكومة شخصية مطلقة، في شأن حكومة شوروية مقيدة، بل يعتمدون على الدليل والبرهان، والاستشهاد على ما يدعون اليه بما مضت به السنة ونطق به القرآن، قلت المسألة فيها نظر، تجب فيها جالة الفكر.

وهنا خاطر آخر: اذا قلنا هوؤلاء القوم ان هذا الدين هو الدين الوحيد الذي حفظ أصله وضبط تاريخه فكتابه المنزل نقل بالتواتر الصحيح فهو يقرأ في مشارق الارض ومغاربها كما كان يقرؤه النبي وأصحابه، ويكتب في بلاد العرب والحجج كما كتبه حفظة الوحي وكتابه، وأن ما فسر به وبينه من السنة العملية قد تواتر كذلك تواتراً حقيقياً لم تنقطع سلسلته في يوم من الأيام، وما يؤثر عن النبي وأصحابه من الأقوال، قد ضبط ضبطاً لم يعهد مثله في جيل من الاجيال، ومع هذا كله نفرض عليكم ما رضى جهاهيرنا لا نفهمهم وهو أن تتبعوا في الدين رأي عالم من المجتهدين الذين أفتوا وعلموا بعد النبي وأصحابه بعشرات أو مئات من السنين، ولا نبيح لكم أن تأخذوا الدين من كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، وتردوا الشريعة من ينبوعها الاول، فان رضيت بذلك عددناكم من المسلمين، والا كنتم في نظرنا من الضالين المضلين. — اذا فصلنا لهم هذا القول أفتراهم يرضون بأن نكون لهم هداة مرشدين، على رضانا بحرمان أنفسنا من الاستقلال بفهم الدين، أتراهم يتركون لنا ونحن دونهم في العلم ما نجهلوا به من الاجتهاد والاستقلال، والاعتماد في قبول أي شيء أو رفضه على قواعد الاستدلال، أتراهم يرون من الخير لدولتهم وأمتهم. ولمسابقة الاوربيين في ثروتهم وقوتهم، أن يتعبوا في أعمالهم السياسية والمالية والمدنية، بأقوال التارخانية والشر نبالية والولوالجية، أو أمثالها من كتب المالكية والشافعية، ؟ كلا ان البدهة لتقضي بأن أمثال هؤلاء المستقلين في كل شيء لا يقبلون الا ديناً معقولاً مساعداً على مسابقتهم للامم الراقية في كل شيء فيستحيل أن يقيدوا أنفسهم بفهم رجال غير معصومين وجدوا في زمان كانت سياسته وحرره ومدنيته وعاملاته التجارية وغيرها مباينة لما عليه أهل هذا العصر مباينة تقضي باختلاف الاحكام، وأن يدنوا باعتقاد العصمة لأئمة آل البيت عليهم السلام، ويأخذون ما يرويه عنهم الشيعة بالاستسلام، نحن نهزم بأن الاسلام دين الارتقاء الذي يناسب كل عصر فليس في كتابه

المزيز ولا في سنته الثابتة التي لا خلاف فيها بين المسلمين ما يبطل بسيرامة مستقلة ومسايقنا لسائر الامم ولكن في الاحكام الخلافية التي هي محل الاجتهاد بين الفقهاء ما لا يوافق مصالح الناس في كل عصر فالتزام أقوال بعض المجتهدين وأتباعه في أحكام المعاملات والسياسات والاخذ بكتب أي طائفة من الفقهاء هو عائق للأمة تلتزمه عن مجاراة أم لا تلتزم الامم ترى فيه مصلحة لها التي تختلف باختلاف ما يستحدث الناس آنأ بعد آن من ضروب التفتن في الكسب واستثمار الأرض . فمن يدعو اليابانيين الى الاسلام يجب أن يكون عالماً بالكتاب والسنة وما في هذا العصر من طرق مدنية الامم والدول وأن لا يلتزم الدعوة الى مذهب معين والا كان من الخائبين ، والويل لهذه الدعوة اذا جاءت من قبل شيوخ الرسوم المقلدين ، وأين نجد هؤلاء الدعوة الهداة المهديين .

ومن المسائل التي يجب اجالة الفكر فيها عند البحث في هذه الدعوة «مسألة الوطنية» التي يدعو اليها بعض الاحداث المتسمين بغواية أوربا أو اغوايتها للمسلمين ومن مقتضاها على ما يعرف القراء ان المسلم الياباني اذا جاء بلداً اسلامية غير بلاده وأراد الإقامة فيها يجب أن يعد دخيلاً وأن يسمى الوطنيون في مقاومته وعرقلة أعماله لئلا يربح من بلاده ما هم أحق به في شريعة الوطنية وان كانت أعماله خدمة لهم حتى في دينهم أو ترقية بلادهم وان كان لا يوجد في البلاد من يعني عنه فيها اذا سرى سم هذا الضرب من الوطنية في كل قدار من الأقطار الاسلامية الا يكون مانعاً من استفادة بعضهم بما يفضلهم به الآخرون من علم وعمل ؟ اذا كان اليابانيون أنفسهم على هذه الطريقة فهل يهمهم من أمر المصري والسوري والمغربي ما يحملهم على إفادة اخوانهم في هذه البلاد ؟ أو تود من عزة وقوة وعالم وصناعة ؟ ماذا ينتظر أهل مذهب الوطنية الكاذبة من دخول اليابانيين في الاسلام ومن أصول مذهبهم أن الرابطة الجامعة بين الناس هي عصبية البقعة لا الدين ولا اللغة بل ولا السياسة فان أحداث الوطنية في مصر لا يعدون العثماني السوري شريكاً لهم في وطنيتهم ، ولكن الشعور بعيل المسلمين في مصر الى اسلام اليابانيين وبستفادتهم منه يد لنا على أن الرابطة الاسلامية لا تزال أقوى من الرابطة الوطنية التي يدعو اليها الاحداث الجاهلون

ولا ينسين المتمني لو يسلم اليابانيون والباحث في دعوتهم ليعتز باسلامهم في بلادهم وان بعدت عنهم أنهم اذا قصدوا الى الدخول في سياسة بلاد غير بلادهم فان حكومتها اذا كانت اسلامية تناهضهم باسم الدين وعلماء الرسوم المقلدون يؤيدون حكوماتهم في أمثال هذه الامور بل هم عضد الحسكام وأنصارهم في كل شيء فهم يفتنون لهم بكفر اليابانين لاسيما اذا كانوا لا ياتزمون في اسلامهم اتباع مذهب من المذاهب الاربعة في الاحكام واتباع الاشاعرة او الماتريديّة في تقرير العقائد هذا اذا كانت الحكومة التي تقاومهم تنسب الى أهل السنة كالدولة العثمانية أو اتباع مذهب الشيعة اذا أرادوا الدخول في سياسة الدولة الإيرانية وبذلك يكون دخولهم في الاسلام لاجل السياسة فتنة للمسلمين لا يستهان بها ولا يسهل الحكم بنتيجتها

وقد يقال لو لم تستفد البلاد الاسلامية البعيدة عن اليابان من اسلامهم الا الاستفادة المعنوية لكفى وأدنى هذه الفائدة أن تخفف أوربا ووطأتها عن المسلمين في منصرفاتها بل وفي الممالك الاسلامية المستقلة التي يعيث الدول باستقلالها كل يوم حتى صار مهدداً بالزوال والعياذ بالله تعالى ولا يبعد أن يلهم الله ملوك المسلمين رشدهم في حالهون هذه الدولة العريضة اذا قضت حكمتها بأن لا تنازعهم على لقب «الخلافة» الذي كان بركان كل بلاء وعلة كل شقاء أصابا هو لا المسلمين ماضيهم وحاضرهم. أقول وان أمام هذه المحالفات ووراءها من مقاومة أوربا ما لا ينكره بصير ولا فائدة لنا في الخوض فيه وإنما نودع هذا المبحث الجديد (تمني اسلام اليابانين) من المسائل والخواطر ما يذكر الناسي وينبه الغافل الى المسائل التي يفيد تذكرها والتفكير فيها لتجدن أجدر المسلمين بالاستفادة من اسلام اليابانين - لو حصل - مسلمي الصين وان استفادة الدولة اليابانية منهم لا كبر من استفادتهم منها ذلك ان مسلمي الصين لا يقل عددهم عن عدد اليابانين وهم أشد أهل الصين بأساً وأعز نفراً، وأبرع في الجندية وأحسن أثراً فيسهل على الدولة اليابانية على قربها منهم، ومعرفة كثير من رجالها بلفتهم ان تستعين بهم على ما تريد مملكة الصين فتسود في الشرق الأقصى سيادة يمتد شعاعها الى الشرق الأدنى، فيحييه حياة جديدة تكون مبدأ لدخول

العالم كله في المدنية الفضلى، واستقامته على الطريقة المثلى، بالجمع بين الدنيا والدين بين مطالب الجسد والروح بين سعادة العاجلة والآخرة وذلك هو الفوز المبين تلك الخواطر التي عارضت الفكر وهو يجول في رياض هذه الامنية هي من أهم مسائل الاصلاح التي تذكرنا بمواضع ضعفنا وناهيك بمسألة فقد العلماء المستعدين للدعوة الصحيحة الى الاسلام التي يقدر أصحابها على التأسي بالانبياء عليهم السلام في مخاطبتهم الناس على قدر عقولهم وبما يناسب استعدادهم . انك لتدخل بيوت بعض علمائنا فتجد فيها ألواحاً معلقة على الجدران مكتوباً عليها بخط يلفت جماله النظر (العلماء ورثة الانبياء) وألواحاً أخرى مثلها في الجمال والبهاء كتب عليها (علماء أمتي كانبيا بني اسرائيل) (*) عقلت لتوهم الزائر ان صاحب الدار من هؤلاء الورثة ولكن الخبر الذي لا يتخذه الا زياء ولا تغره الرسوم يعلم أن واحداً من هؤلاء العلماء الرسميين لا يقدر على اقناع أحد من أهل هذا العصر بدعوة الاسلام بل يخشى أن يكون حديث الواحد منهم في الدين مع أهل العلوم الاجتماعية والسياسية حججاً بائناً كثيراً دونه بل شبهات قوية تصد عنه . واذا كانوا يعجزون عن كشف شبهة تعرض لتلميذ يتلقى العلوم المصرية وهو مؤمن بالله ورسوله وكتابه ولكنه جرى في التعلم على أخذ العلم بالدليل فأني يقدر على تمثيل الدين لفلسفة العصر وساسته معقول العقائد سامي الاداب منطبق الاحكام على منافع الامم في ثروتها ومدنيتها ومصالح الدول في ادارتها وسياستها ويقنعونهم بأن الاسلام لا يعيد العقل الى وثاقه ولا يكبل الفكر بأوهامه في قيد العلم بعد اطلاقه ثم يدحضون بالآيات البينات ما يوردونه عليه من الشبهات أين يوجد هؤلاء العلماء في المسلمين؟ واذا عطس الصبح فظهر واحد منهم أيعترف له الراسميون بالعلم والدين؟ وهل الاحكام والموام الاتبع هؤلاء الراسمين الضخام وهم مجموع المسلمين ودين الناس مما يقرره علماءهم الراسميون لحكامهم وعاهتهم . ناظر مناظر بعض العلماء الغربيين

(*) المبارتان ترويان في الاحاديث المرفوعة فأما الاول فحديث له أصل وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبي الدرداء ولكن اسناده مضطرب . وأما الثاني فهو موضوع قال ابن بحر والزر كشي لا أصل له

في كثير من مسائل الاسلام التي يشتبهون فيها فنهض بالحجة فقال له مرة إن ما تقول صحيح ومعقول ولكنه فلسفة وعقل لا دين وأما دين الناس ما هم عليه . وقال مرة أخرى أرأيت اذا سألت علماء الازهر ماعدا الشيخ محمداً عبده عن هذه المسائل ايجيبوني بمثل هذه الاجوبة ؟ قال لا أدري بماذا يجيبون وحسبك أن تعلم ان هذا هو الاسلام من اسنادي اياه الى القرآن والسنة

الدعوة الى الدين لا يقوم بها في هذا العصر كل من قرأ السنوسية والمقائد التنسية، ولو وقف مع ذلك على المواقف المضدية، وكل ما يقرأ في الازهر من الكتب الفقهية، للدعوة معارف أخرى منها فمها فهم الكتاب العزيز، والاطلاع على السنة ومعرفة ما فيها من حكم التشريع، ومنها معرفة السيرة النبوية وتاريخ الاسلام، والبصيرة في علم الاجتماع والتاريخ العام، والإلمام بآثار العلوم العصرية، والاطلاع على ضروب الاساليب المدنية، ومنها غير ذلك مما يتعلق بالدعاة ومن تراد دعوتهم وقد فصلنا القول فيها من قبل فليراجعه في المجلد الرابع من شاء وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يحاول اعداد فريق من طلاب العلم في الازهر للدعوة ولكن السياسة ما زالت تمارضه في عمله وتغري بذلك أهل الجحود من الشيوخ حتى جاءه الاجل، قبل أن يتحقق له الامل .

الاستعداد للدعوة يسير على أهل الازهر اذا سلكوا سبيل الاصلاح التي كان يريدونها الاستاذ الامام ولكن أنسى لهم بمثل الزعيم الذي فقدوا . وان في فضلاء المسلمين من غير أهل هذا المكان من هم أقدر على هذا العمل اذا حاولوه وانما يحتاجون فيه مع الهمة والمزينة الى المال وأغنياء المسلمين لا يزال أكثرهم حليف الجهل وأسير البخل . وقد يتوهم الكثيرون منهم أن دعاة النصرانية المنتشرين كالجراد في جميع البلاد تنفق عليهم دولهم من خزائنها والصواب ان جميع نفقات جمعياتهم ومدارسهم مما يتبرع به أولو الطول منهم وهي نفقات تبلغ الملايين من الجنيئات . فأين هذا السخاء الذي يؤيد به هؤلاء الناس دينهم من شح قومنا وقبض ايديهم عن كل ما يؤيد الدين ، وينفع جمهور المسلمين ، واعجب منهم اننا نفتخر عليهم بأننا أشد غيرة على ديننا منهم على دينهم ، فما اجهلنا بحالنا وحالهم ،

أشار علي بن أبي طالب

﴿ نصائح صحية للبنات من مجلة أبقراط ﴾

صحة الفنية وصحة الفقيرة . منفعة العمل في الدار . مضرة قراءة الروايات .
مضرة الخلوة . مضرة حكايات الخواادم والعجائز . مضرة تلوين الوجه . مضار الزار
وأمرضه وحقيقته .

جاء في باب صحة العائلات من مجلة أبقراط الطبية ما يأتي بنصه
أيها الفتاة الصغيرة ان عمرك الآن لا يتجاوز الثلاثة عشر ولكن ألا تدري ان
ان هذه الثلاثة عشر ستكون عشرين ثم ثلاثين ثم أربعين ثم ماشاء الله ؟ اني لا
أظنك الا عارفة بذلك . وها أنت متمنعة بالصحة خالية البال مالكة لأنواع
السعادة ترحين في بحبوحة من ثروة والديك فهل تستطيعين الصبر على ضياع شيء
من ذلك ؟ اني أعيدك بالله فان الصحة والهناء لا يعوضان غير اني أرى شيئاً أريد
أن أحدثك به لعلك تكونين على بينة منه . أرى ان الفتاة الفقيرة تقضي عمرها
في عافية لا مزيد عليها والفتاة الفنية كل يوم عندها طبيب يعالجها فلماذا ؟ اذا كنت
لا تعرفين فأنا عارف ويمكنني أن أعرفك ان الفتاة الفقيرة خادمة أبيها وأما
واخوتها وربما كانت خادمة لغيرهم أيضاً والفتاة المتوسطة هي خادمة نفسها وزوجها
ان كانت متزوجة أو خادمة نفسها فقط أما الفتاة الفنية بنت البك أو الباشا فليست
بمخدومة بل يخدمها الناس ولا عمل لها لأنها ترى كل عمل اهانة لنفسها وتعباً لذاتها .
تأمل أيها الفتاة قليلاً يظهر لك سر المسئلة . العمل لا يدمنه للفتاة مهما كانت
مترفة وهو قرن الصحة . والبطالة نذير المرض عند الفتيات فعليك بالعمل ولو
بسيطاً واحذرك من مطالعة الروايات فانها تضر بالصحة ولست مكلفاً أن أبين
لك السبب ولديك في منزل والدك الف عمل وعمل ولا أحسن من الخياطة والتطريز
ومما يجب أن أحذرك منه أيها الفتاة هو الجلوس وحدها لأنه مضر من جملة
أوجه متعب للفكر ومتعب للمعدة لان الفتاة التي تجلس وحدها تكون ساكنة

ساكتة لا تتحرك وهذا موجب للاسماك وغيره
ولا أريد أن أقول لك لا تسمي حكايات الخدمات والعجائز لأنها تضر
بالصحة اذ ربما تظنني أمزح مع اني لا أقول الا حقاً والاسباب غير مجهولة غير
ان الوقت لا يسمح لي بشرحها لك
ومتى صرت شابة في سن السابعة عشر مثلاً فاياك وتلك الالوان التي تستعملها
بعض الفتيات فانها فضلاً عن خروجها عن حد الادب تضر أيضاً بالصحة لأنها
مركبة من مواد سامة تضعف نضرة الوجه وتجعل للجلد ثنيات كذلك التي تظهر
على وجوه العجائز

ولا تشدي خصرك بهذه الكورسيه المعروف بالبوسطو لأنها تؤذي الظهر
وتسبب أمراض المعدة والأمعاء وتعطل حركة التنفس وحركة الهضم وكذلك
لا تستعملي الاساور الزجاجية التي تدخاين يديك فيها بالعنف فانها فضلاً عن ضررها
أصبحت من زينة النساء الباغيات وليس فيها من البهجة شيء

ولا يخفك أن لبعض الاخلاق تأثير كبير على الصحة فالكبرياء لا تصحب
انساناً الا وكانت لهمة لدوام اقتباس صدره والاستبداد يجعله في كدر دائم لكثرة
المعارضين والموائد مثل الاخلاق أيضاً فاياك التدخين لان الفتاة التي تشرب
الدخان يصفر وجهها وتضعف ضعفاً شديداً ومتى صارت كذلك تحتاج الالوان التي
تستعمل لإخفاء صفرة الوجه وهذه الالوان قلنا انها تضر أيضاً

وعندي مسألة أريد أن اتحققك بها أيتها الفتاة ولكنها تحتاج الى ايمان
النظر وعدم التعصب وتحكيم العقل وهذه المسألة هي (هل الزار حقيقي وهل هو
مفيد للصحة وهل له اسم عند الاطباء وهل يمكنهم أن يعالجوه كباقي الامراض
ولماذا يهيج بالطبل والبخور وما السر في تكلم العفريت على لسان المصابة اذا كان
هناك عفريت الخ؟) وانا الآن أبين لك هذه المسائل واحدة فواحدة

الاعتقاد يجر الى النفس انفعالا والانفعال له تأثير على الجسم ومتى عرفنا هذه
المقدمة الصغيرة تمكنا أن نبحث في تلك التفاصيل الطويلة العريضة
أما كون الزار حقيقياً فهذا مما لا شك فيه وهو موجود في سائر أقطار المسكونة

غير ان حقيقته غير الحالة الظاهرة في القطر المصري لان الشائع هنا هو ان المصاب به من الجن أو الاولياء مع ان هذا الاعتقاد فاسد ومن العجب ان كثيراً من الناس اذا قال لهم أحد ان الجن أو الاولياء ليس لهم دخل في الزار يقولون انه لا يصدق الشرع حالة كون جميع الشرائع تحمى الاعتقاد بذلك وأكبر دليل على فساد هذا الزعم ان لهذا المرض أطباء يعالجونه وينجحون في معالجته نجاحاً يئناً ولو كان من الجن أو الأولياء لما أمكن الطبيب مداواته وليست مجلتنا شرعية حتى نتكلم فيها على الاولياء أو مجلة عمومية فلسفية فتكلم على الجن

تسمع المرأة أو الفتاة ان في بيت إحدى قريباتها أو خلياتها ليلة زار فلا يهدأ بالها الا اذا كانت ذات نصيب من تلك الليلة خصوصاً اذا كانت مدعوة الى الحضور فروح سليمة متعافية أو مريضة منهوكة ولكنها لا تشعر بشيء وهي حضرت مجلس الزار وسمعت الطبل واستنشقت رائحة البخور جاءها العفريت أو الشيخ كما يقال وتعود الى منزلها في أشد التعب ثم تشعر بنشاط لا يمكنه الا قليلاً ثم يزداد الآلام فيما بعد فيقولون ان الشيخ قد غضب وهكذا وهي لا تعلم بحقيقة الحال ولا يزال هذا دائماً حتى تكون من الهالكين مع انها لو عرفت أن هذا من الامراض العصبية ويسميه الطبيب تشنجاً ويمكنه مداواته لتخلصت من تلك المصائب

لعلك أيتها الفتاة تقولين انك قد قلت ان المصابة تشعر بنشاط بعد الزار فكيف ذلك ان كان الامر غير حقيقي؟ فأضرب لك مثلاً: اذا جئت بعصا رفيعة وضربت بها ضربات خفيفات متواليات على خاصرة القدم (بطن الرجل) فانك تجد من لذلك لذة كما لو وضعت قطعة صغيرة من الثلج بين كتفيك وهذه ليست لذة ولكنها ألم في الحقيقة كاللذة التي توجد في الزار وأما النشاط الذي يحدث بعد ذلك فلا يحتاج لبحث لان كل مضرة تزول يحدث بعدها نشاط ثم يعقبه رد فعل أو (نكبة) وهذا معنى ذلك

أما النساء اللواتي يرى عليهن هذا العارض فعلى قسمين الاول النساء اللاتي يصرعن عند انشاق الروائح القوية سواء كانت كريهة أو عطرية أو عند الغضب أو سماع الاصوات المزعجة كدق الطبل ورنه الموسيقى أو عند الفزع من أمر

فجائي او التأثير من أي شيء . مهما كانت واسطته وهذا الفريق من المصائب او المصابين عندهم مرض عصبي يمكن الطبيب ان يعالجه فعلى من شعر به ان يبادر الى العلاج قبل ان يستفحل الامر

والقسم الثاني هو النساء اللاتي يرقصن على رنة الآلات المستعملة لهذه الغاية وقصاً منتظماً ويتكلمن كلاماً يوهن به انهن مختطات بالجن او الاولياء ويطعنن اشياء من ازواجهن ويمسسن بايديهن على رؤوس الاطفال لتحصل لهم بركة الولي أو رعاية العفريت وهذا القسم من النساء خليعات لادواء لهن غير الزجر والاهانة والتكذيب فانهن مدعيات وكاهن من ذوات الثروة او الازواج الاغنياء وهن يلاحظن المرأة الغنية التي تحضر مجالس الزار اذا افقرت يفارقها الزار وهي تعرف حقيقة الامر اه

﴿ تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن ﴾

كنا جردنا تفسير الفاتحة من المنار وضمننا اليه ما كتبه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في المسائل التي ينتقدها أعداء الاسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كمسألة الفرائق ومسألة زيد وزينب ومسألة القدر وطبع ذلك كله في كتاب فقدت نسخته سريراً وألح علينا الكثيرون بطبعة ثانية فطبعتها مع زيادة بيان وفوائد وضمننا اليه ما كتبه الاستاذ الامام في رواية سحر اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام فجاء كتاباً جامعاً لأهم ما يؤثر عن فقيدنا في الارشاد القويم . وقد كان الكتاب يباع أخيراً بخمسة قروش صحيحة فرأينا أن نعيد ثمنه الى قرشين ونصف قرش (٢٥ ملياً) على ما زدنا فيه وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر . ومن طلب أن يرسل اليه في البريد فليرسل ثلاثة قروش صحيحة

تاريخ الاصلاح في الازهر . أو أعمال مجلس ادارة الازهر

من أراد أن يعرف حقيقة الازهر وما كان عليه قبل أن ينتدب الاستاذ الامام عليه الرحمة لإصلاحه وما كان من هذا الاصلاح فيه مدة اشتغال ذلك المصلح في إدارته فليقرأ كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر) فانه تاريخ رسمي للإصلاح ولحال المكان والمكين وعن النسخة منه أربعة قروش ويسمح لمن كان أزهرياً بربعها وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها

نابا الحكيمة

(احصاء رسمي)

لخسائر الدولتين في الحرب الاخيرة

رأينا في جرائد مصر وسوريا والهند عدة احصاءات لخسائر الحرب بين روسيا واليابان فاخترنا منها الاحصاء الآتي الذي نشر في جريدة ثمرات الفنون وهو اهتم الاحصائيون السياسيون اهتماماً شديداً لوضع الاحصاءات الدقيقة لخسائر الحرب الروسية واليابانية، وقد نقلت احدى الجرائد الروسية احصاء رسمياً قالت انه أدق وأضبط احصاء يوثق به واليك بيانها:

| الخسائر الروسية البرية | | | اسم الموقعه جرحى وقتلى اسرى مدفعا | |
|--------------------------|------------|--------|-----------------------------------|--------------|
| اسم الموقعه | قتلى وجرحى | أسرى | مدافع | كينتشاو |
| تيورتشان | ٢٥٠٠ | ٢٥٠ | ٢٨ | ١٥٠٠ |
| كينتشاو | ٢٥٠٠ | ٤٠٠ | ٥٢ | ٥٠٠٠٠ |
| وافنفو | ٥٠٠٠ | ٣٠٠ | ١٥ | ٣٠٠٠٠ |
| لياوان | ٣٠٠٠٠ | ٩٠٠٠ | ٣٠٠ | ١٢ |
| شاهو | ٧٠٠٠٠ | ١٦ | ٣ | ٦٠٠٠٠ |
| هيواتيبي | ٤٠٠٠٠ | ٧٠٠٠٠ | ٢٠٠٠٠ | ٢٠٠٠٠ |
| موكدن | ١١٠٠٠٠ | ٤٠٠٠٠٠ | ٤٠ | ٢٢٦٤ |
| بورارثور | ٢٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠٠ | ٤٥٦ | ١٥ |
| الخسائر اليابانية البرية | | | اسم الطراد | |
| اسم الموقعه | جرحى وقتلى | أسرى | مدفع | اسم الطراد |
| تيورتشان | ٩٠٠ | ٣٥ | ٣٥ | بورودينو |
| | | ٣٥ | ٣٥ | اكندر الثالث |
| | | ٣٥ | ٣٥ | سوفوروف |

| اسم الطراد | ثمنه بملايين فرنك | اسم الطراد | ثمنه بملايين فرنك |
|----------------------|----------------------|--|-------------------|
| اريول | « اسر » ٣٥ | نوفيك | « اغرق » ١٠ |
| رفيزان | « اخرج من البحر » ٣٥ | بور يارين | « اغرق » ١٠ |
| سيسوي | « اغرق » ٣٥ | جيتمشوج | « اغرق » ١٠ |
| نافارين | « اغرق » ١٥ | ازرود | « اغرق » ١٠ |
| بثرو بولسك | « اغرق » ٢٥ | ومجموع ذلك كله ٢٨ | دارعة بين |
| بولتافا | « اخرج » ٢٥ | طرادات وحراقات وغواصات وينبغي | |
| سباسطبول | « اغرق » ٣٥ | أن نضيف الى هذا العدد عدداً من سفن | |
| اوسلايا | « اغرق » ٣٠ | الشن التي أغرقت أو أسرت ولا يقل | |
| بيرسفيت | « اخرج » ٣٠ | عدها عن ٢٠ وبضعة من الغواصات | |
| بوربدا | « اغرق » ٣٠ | ومثلها من الزوارق وقد بلغ ثمن مجموع | |
| تقولا الاول | « اسر » ٣٠ | الاسطول الذي خسره روسيا سبعائة | |
| مدرعات لحماية الشطوط | | مليون فرنك والانكى من كل ذلك ان | |
| اوشوكوف | « اغرق » ١٠ | معظم سفن أسطولها وقع في قبضة اليابان | |
| ابركسين | « اسر » ١٠ | أما اليابانيون فقد خسروا في البحر | |
| سينيافين | « اسر » ١٠ | طرادين وحراقتين فقط وقد بلغت خسارة | |
| ديريك | « اغرق » ١٥ | الروس الحرية بوجه عام نحو ٥ أو ٦ | |
| بايان | « اخرج » ٢٠ | مليارات فرنك أما خسائر اليابان فبلغت | |
| ناخيموف | « اغرق » ١٥ | من ٣ الى ٤ مليارات فرنك | |
| فلاديمير مونوماخ | « اغرق » ١٥ | و بلغ ما اقترضته روسيا أثناء الحرب | |
| بالادا | « اخرج » ١٣ | ملياراً و ٥٧٤ مليون فرنك وبلغ ما اقترضته | |
| قارياج | « اخرج » ١٥ | اليابان مليارين من الفرنكات | |

هذا ما ترجمته الثمرات وقد أصلحنا فيه غلطاً في الأرقام. ورأينا نحوه في جريدة
حبل المتين الفارسية ومجموع خسائر اليابان البرية فيها ٢١٦٤٠٠

تبرج النساء وأنصار الحجاب

كتبنا في الجزء الثالث نبذة في الشكوى من تبرج النساء بمصر حثنا فيها أنصار الحجاب على إعمال أقلامهم في الانتقاد على هذا التبرج القبيح الذي يتبرأ منه الدين والأدب ولا ترضاه المدنية الاوربية التي أسرفت في اطلاق الضارب للنساء إسرافها المعروف اذ صارت حال نساتنا المسلمات في الاسواق والشوارع أبعد عن الصيانة والأدب من حال نساء الافرنج . كانت حملتنا شديدة على حملة الاقلام الذين أنكروا على الاقوال في المسألة وسكتوا عن الأفعال التي يشاهدونها حيناً توجهوا: وعرضنا بذلك حفز الهم لانتفاء التبرج في الصحف المنشرة وازعاجها الي تسفيه الرجال الذين يسمعون لنسائهم بهذا التهنك

ندبنا أولئك الكاتين فلم يتدب منهم أحد للكتابة في انتقاد الفعل، ولكن وجد ممن كان ألف في المسألة من انتقد علينا القول ، وله وجه من حيث ان عبارتنا توهم أننا لا نعقد باخلاص أحد ممن كتب وألف ولا غيره واننا نرفع هذا الوهم بالتصريح كما رفعناه آنفاً بالتلميح اذ قلنا ان الغرض من القول الحفز والازعاج الى الانتقاد فنقول اننا نعقد اخلاص بعض الكاتين حتى المختلفين فيما كتبوا ولكن المخلص في تفنيد قول يراه خطأ لا يسلم من تبعه التقصير في انتقاد الأفعال الخاطئة اذا كان غيورا مخلصاً . واننا لم يتمثل لنا عند كتابة تلك النبذة الا الذين ذكرنا أنهم سودوا وجوه الصحف في الانكار على طالب تخفيف الحجاب وعيننا بالصحف الجرائد اتباعاً للعرف ولم تقصد واحداً ههنا منهم

واننا لانزال نبديء القول ونعيد في المسألة معتقدين أن جملة الجرائد على هذا التبرج وتشجيعها على الرجال الذين يمكنون نساءهم منه ويرضون لهم به يفيد فائدة عظيمة وأن سكوت الكتاب عنه ينافي الغيرة وأن أولى الكتاب بهذا الانتقاد المرة بعد المرة هم الذين فاضت بكلامهم أنهار الجرائد رداً على كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديد وانهم اذا استمروا على سكوتهم كان قولنا الذي قصدنا به المبالغة في حشهم غير مبالغ فيه واذا كان لبعضهم مانع من الكتابة اليوم فلا يصح أن تغلبهم الموانع في سائر الأيام

﴿موعظة وعبرة في وفاة حرة﴾

في منتصف شهر شعبان الماضي توفيت الى رحمة الله تعالى فاطمة بنت الاستاذ الامام الكبرى زوج محمد بك يوسف بمرض مفاجي ، قضى عليها بعد اسبوع من نزولها وكانت قدرأت نفسها في النوم مع والدها في روضة فعبثت الرويا في المرض بأنه مرض الموت فأوصت بأن لاتنعي وأن تشيع جنازتها على السنة فلا يمشي أمامها قراء ولا منشدون ولا حملة الرياحين ونحوهم وأن لاتكفن بحريز . وأوصت بأن يوقف عشرة فدادين من أطيانها على الأعمال الخيرية وخصت بعض ذوي القربى ومن كان يواسيهم والدها بشي من الريع . وقد شيعت جنازتها كما أوصت ولعلها أول امرأة في مصر أوصت بمثل هذا في عصر يحكم النساء فيه على الرجال حتى العلماء بالمحافظة على هذه البدع الذميمة فهكذا تكون تربية المصلحين، وهكذا تكون بنات العلماء العاملين، هذه هي العبرة التي لأجلها ذكر المنار وفاة امرأة فضلت الرجال باتباع الدين حية وميتة وأذكر من فضلها رحمها الله أنها لم تخرج في جنازة والدها ولم تكن تتردد لزيارة قبره وإيكنها قبيل أسبوع المرض زارت القبر وعادت تقول ان في جانب قبر والدي مكانا آخر لا بد أن أدفن فيه وقد كان ذلك

كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أول رجل معروف ترك بدع الجنائز والمآتم جهرا عند مامات والداد و بعض ولده حتى أنه لم يكن يحتفل الاحتفال الذي يسمونه (الميتم) تحريفا عن المآتم . ويتوهم الجاهلون من قول الجرائد ان مآتم فلان سيكون ثلاثة أيام عملا بالسنة أن الاحتفال المعتاد هنامسنون وأن النبي والصحابة كانوا يجتمعون كل ليلة من الثلاث في دار الميت أو عند بيته حيث تعد لهم المقاعد ويهيأ لهم الخدم فيخوضون في شجون الحديث والقرآن يتلى . حاش لله ما جاءت السنة بمثل هذا وإنما مضت السنة بأن المصاب لا يعزى بعد ثلاث لأن التعزية بعدها تذ كبر بالمصيبة

ثم ان كثيرا من الكبراء أصحاب العزائم قد تركوا بدع الجنائز وناهيك برياض باشا فاته عندما توفيت زوجته لم يشيع جنازتها بالاناشيد أمامها ولا بالفراشين المؤثرين بالحريز الحاملين للرياحين في شبه المباخر من الفضة كما يفعل الاغنياء تقليدا لمباخر النصارى . وفعل مثل ذلك كثيرون من العلماء والوجهاء فلا عذر بعد هذا ان يستند عن ترك هذه البدع بالمحافظة على التقاليد والمادات ،

يؤتي الحكمة من يشاء: من يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المكتبة
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستهترون القول فيتعنون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« مناراً كمنار الطريق »)

(مصر - غرة شوال سنة ١٣٢٣ - ٢٨ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٥)

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

تمة المقالة الثالثة لصاحب التوقيع

٧ - الرقيق وإصلاح حاله وتحريره

قضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضاً من قديم الأزمان . فلم تخل أمة من الاسترقاق واختطاف الناس للنجارة فيها . عومل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب بما يجعل وجه الإنسانية يحمر خجلاً وقلب المؤمن ينفطر من الله وجلاً . ولكن هكذا كان وهكذا حصل .

أتى الإسلام فرقاً لحالم كما كان شأنه لجميع الضعفاء . منع الاسترقاق بتاتاً إلا أن يكون في حرب شرعية مع قوم لم يؤمنوا من أذاهم من غير المسلمين . وبهذه القاعدة سداً كثر بنايعة وغلق أبواب الظلم والعدوان . أمر بالاحسان إلى الأرقاء ومعاملتهم بالرفق واللين . فقال « وبالوالدين إحساناً وبذي القربى » إلى أن قال « وما ملكت

أيمانكم» ونهى عن لطم المملوك وضر به وجعل كفارة ذلك العتق فقال عليه الصلاة والسلام «من لطم مملوكه أو ضر به فكفارة عتقه» وليس هذا فقط بل قال «أخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلموهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم» وقال «لا يقل أحدكم عبدي أمي وليقل فتاي وقتاني وغلامي» وحث على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله «من كانت له جارية فعلمها وأحسن إليها وتزوجها كان له أجران» هذا وقد أمر الله تعالى بتزويجهم فقال في القرآن الشريف «وأنكحوا الإيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» وإذا اقترش السيد أمة فولدت له كان الأولاد أحرارا ويرثون في أيهم إلى غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط . ليس هذا كل ما فعله الإسلام بأولئك الضمفاء بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الإنسان مخالفاً للدين حتى في أبسط المسائل كالحنث في الأيمان فقال «لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته» إلى أن قال «تحرير رقبة» وليس هذا فقط بل أمر بجمع الأموال - الزكاة - من الأغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب «إنما الصدقات للفقراء» - إلى قوله - «وفي الرقاب» الآية وتكرر حث ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله - إلى أن قال - «وأنى المال على حبه ذوي القربى» - إلى قوله - «وفي الرقاب» وقال أيضاً «فلاقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة» إلى غير ذلك مما يطول شرحه . أليس ما أتى به القرآن منذ قرون هو ما نفتخر به المدنية الحديثة وتبته اعجاباً به ؟

يزعم دعاة المسيحية أن ما قام به الأوروبيون في الزمن الأخير هو من آثار دينهم فيهم . ولكن الحقيقة أن ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا إليه عن قرب ولا دخل للدين فيه . والا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على أشنع الأحوال !!

وهل ورد في المسيحية كلمة واحدة عن تحرير الرقيق؟ الذي ورد فيها هو أمر

الارقاء أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح عليه السلام وأن يبالغوا في حسن اقيام بخدمتهم تمجيداً لتعاليمه عليه السلام كما يقول بولس في رسالته وقد وافق على ذلك بطرس الخواري في رسالته الأولى حيث أوصى العبيد بأن يخضعوا لساداتهم ويخشعوا لهم فإين هذا من ذاك وأين اثري من اثرياً . ولم يهتم المسيح بشأن العبيد ويرى في التهم كمارق الاسلام وينه عن الاسترقاق متبعيه أو يأمر باستعمال الرقيق بهم والذين ولو بجملة واحدة ؟ يقولون أنه لم يأت ليسن شرائع أو ينسخ ما كان موجوداً منها . ونقول رداً عليهم لم حرم الطلاق والنزوح بالمطاقة والتعدد في الزوجات . أما كان يمكنه أن ينهى الناس عن استعمال القسوة على الأقل مع أولئك الضعفاء . وإذا قدر على الأول فكيف لم يقدر على الثاني مع ان الأول اشق على النفوس من الثاني . (١)

هذا والحق يقال إن ما أتى به الاسلام لم يأت بمثلته دين على وجه البسيطة ولو كان المسلمون في درجة الأوروبيين مدنية وعلماء لكانوا أولى الناس بذلك العمل العظيم وهو تحرير الارقاء الذي لم يعرفه غير دينهم . ولكن قضى الله أن يكون المسلمون حجة على دينهم كما كان يقول حكيمنا الاستاذ الامام قدس الله روحه

٨ - أصناف آخرون رعاهم الاسلام بعين رعايته

﴿الفقراء والمساكين﴾

قضت الحكمة الإلهية أن يكون الناس مختلفين في الدرجات ما بين غني وفقير او صعلوك وأمير الى غير ذلك من أنواع الاختلافات التي قامت بسببها الأعمال في الارض ودارت حركة الاشغال وكثرت المنافسات في الحصول على العيش والارتقاء جاء الاسلام فقرر هذه القاعدة العمرانية « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » وخالف بذلك من أراد أن يجعل المعيشة اشتراكية لأن ذلك هدم للنظام ومدعاة للكسل وترك للأعمال وإيقاع للبشر في مهواة الفقر والفاقة والتقهقر . ولذلك لم ينجح ولن ينجح من حاول تبديل خلق الله ولكن

(١) النار: كان سكوت المسيح عن مثل هذا لأن الأمة لم تستعد له مع علمه بأن الدين الاخير سيدينه في وقته وقد عبر عن رسول هذا الدين بقوله روح الحق الذي يبين لكم كل شيء

من الاختلاف نشأ مرض التباغض في جسم الهيئة الاجتماعية فحقد الفقير على الغني وأراد به السوء . فأفهم الاسلام هؤلاء البائسين حكمة الله في ذلك وأمرهم بالتزام الصبر والرضا بقضائه ووعدهم خيراً في الآخرة . ثم عطف على الأغنياء وألزمهم أن يعطوهم شيئاً من أموالهم مساعدة لهم في معاشهم وكرر ذلك المرة بعد المرة حتى أنك قلما ترى سورة من القرآن خالية من ذلك « وآتوا الزكاة » فاستل بذلك صفات أهل الفاقة ومحض صدورهم من الفل . فأبي دواء أنجمع من هذا ؟ وأي دين أوجب ذلك كما أوجب القرآن ويميز بين الصدقة والزكاة ؟

﴿ الأيتام ﴾

لم يهمل الاسلام شأنهم بل حافظ على حقوقهم وحرم اغتيال شيء من مالهم « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً » ونهى عن اغصابهم واذلالهم فقال « فأما اليتيم فلا تقهر » وحث على اطعامهم في نحو قوله « أو اطعموا في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة »

﴿ ابن السبيل ﴾

عندي أن اللقيط أجدر بهذا اللقب من المسافر وغيره فان لم يكن هو المراد بهذه التسمية وحده . فليكن مما يدخل في عمومها وان كان اللقطاء في بلاد الاسلام قليلين وعليه يكون القرآن قد أمر بصرف جزء من الزكاة في تربيتهم واعدادهم لأن يكونوا نافعين للمجتمع الانساني . فأبي شيء يفتخر به الغريبيون لم يوجد في ديننا ؟ وأي دين وجد فيه ما يمكن أن يفهم منه هذا المعنى بصراحة مثل ذلك ؟ (*)

(*) النار : جاء في آية مصارف الزكاة ذكر ثمانية أصناف منها أربعة ذكرت بلام الملك « أمما الصدقات للفقراء والمساكين » الخ والباقيات ذكرت هكذا « وفي سبيل الله وابن السبيل » والحكمة في ذلك أن الاصناف الأولى يملك أفرادهم نصيبهم من الزكاة وأما الأربعة الباقية فهي من المصالح العامة التي يصرف المال فيها ولا يملكه افراد الآخذين وقد فسر وافي سبيل الله بالجهاد وزاد بعضهم الحج والاستاذ الامام يقول انه يشمل غير ذلك من المصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات وهو

٩ - الخمر والميسر ولحم الخنزير

نهى القرآن نهياً صريحاً عن هذه الاشياء الثلاثة بما لا يقبل تأويلاً . ولم يرد عن نبيه أنه حول الماء خمرًا ممجزة له ليشربه الناس . ولم يأت في عبادات الاسلام ما يشرب فيه الخمر على أنه دم الإله (تعالى) وحكمة تحريم الخمر والميسر لا تخفى على أحد . وأما لحم الخنزير فقد سبق أننا كتبنا في المزار في إحدى السنين الماضية ما فيه من المضرات التي هي علة تحريمه ونجاسته

١٠ - مصالح الدنيا

أباح القرآن بعد ذلك الطيبات أكلاً وشراباً وزينة ولباساً (اقرأ أوائل سورة الأعراف) وأمر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » فلم يبحث على زهد أو رهبانية أو إخصاء أو نحو ذلك مما هو عقبة في سبيل الرقي والتقدم (أنظر مثلاً انجيل متى إصحاح ١٩ : عدد ١٠ - ١٢) وجملة القول أن الاسلام لم يدع أصلاً من أصول الاصلاح الا أتى به ولكن العمل بما قال به الفقهاء المقلدون لا بما دل عليه اللفظ والاسلوب في الكتاب ولا فضيلة الاقرارها فهو وحده الدين الكامل بلا شك ولا مرأى . ولا يراى بالدين والانبياء الا أن يكونوا كالطب والأطباء لامراض الاجتماع . ولا يعرف قدر الدين الا بقدر شفائه للادواء فهل هناك دواء شاف لمن تعاطاه غير الاسلام . لهذا أخذت

على كل حال ليس مما يملكه أفراد معينون بل يشتري به السلاح وتقام به الحصون وتنشأ به الاساطيل الى غير ذلك مما يتوقف عليه الجهاد فلذلك عبر عنه بقوله « وفي سبيل الله » ولما عطف عليه ابن السبيل كان من مقتضى الاسلوب أن يكون هذا من المصالح فلو كان ابن السبيل خاصاً بالمسافر الذي ينقطع في سفره كما يقول الفقهاء اعطفه على الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والفارمين . فلم من هذا أن ابن السبيل في قوله تعالى « وفي سبيل الله وابن السبيل » يجب أن يكون من المصالح التي ينفق فيها المسلمون . لفظ ابن السبيل وحده يدل على من لم يعرف له أصل ينسب اليه فتسبب الى الطريق لئني وجد فيه وهو أظهر في القبيح منه في المنقطع في سفره الحلال كما قال الكاتب

الامم تقرب منه يوماً بعد يوم الى أن يتحقق نبأ الغيب «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»

المقالة الرابعة وهي الخاتمة

(في رد بعض شبهات)

إذا قامت في نفس الانسان شبهة ولم يمكنه — أو لم يرغب — إزالتها أعنته عن قوة البراهين ولو كانت تلمس باليد وصارت عقبة في سبيل فهمها . وكما ناداه منادي العقل والانصاف أن أذعن . صاح به شيطان الشبهة أن لا تقتر ، والى غير اعتقادك لا تركز ، ولذلك تجده يقرأ من البراهين ، ماهو آيات للمستيقنين ، ولا يزداد الا جهوداً ، وللهحق جحوداً ، فلماذا رأيت أن أختم مقالاتي السابقة برد ما أعلم أنه العقبة الكبرى أمام اقتناع الكثيرين ممن يقرأونها وهم غالباً صنفان إما أن يكونوا ممن أثرت في عقولهم نظريات الماديين ، وإما أن يكونوا من المسيحيين

شبهتان للماديين في القرآن

أما الأولون فأعظم ما يشبه عليهم ذكر قصة آدم في القرآن وخلق العالم في ستة أيام لأن ما عندهم من نظريات «داروين» وغيرها يحول دون التسليم بما ورد في الكتاب . ولي كلمتان أقولهما لهذا الصنف من الناس (الأولى) أنني أقر وأعتقد أن مذهب «داروين» هو أسوأ ما وصل اليه الفكر البشري لحل معميات هذه المسائل — الآثار الجيولوجية ، الأعضاء الأثرية ، التشابه العظيم بين الحيوانات وخصوصاً بين أجناسها وغير ذلك من المسائل العلمية في عالمي الحيوانات والنباتات التي لا يمكن تعليلها الآن بأحسن من هذا المذهب — ولكن لا ينتج من ذلك أنه هو الحق الذي لا يصل البشر الى تعليل آخر غيره . فكم من نظريات عمل بها العالم أجيالاً وقرونًا في تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها . أما كنا في الزمن الاول نعتقد أن العناصر أربعة فقط (الهواء والنار والماء والتراب) أما كنا نعتقد أن الأرض هي مركز العالم وأن الشمس والسيارات تدور حولها ؟ أما كنا

نعتقد صحة خبطهم وخططهم في أمرجة الانسان وأسباب الامراض ومعالجتها ؟ أما
كنا نعتقد بكل هذه المسائل وغيرها ونظن أنها الحق الذي مابعد الا الباطل .
فما هو اعتقادنا اليوم ؟ أتترك القارئ ليتفكر في هذه المدألة وليستحضر في ذهنه
تلك الدهور الغابرة

(الكلمة الثانية) لم يرد في القرآن الشريف نص قطعي على أن آدم أول بشر
خلق على وجه الارض ولا على أنه أبو جميع الناس ولا على أنه خلق مباشرة من
التراب بل وجد فيه ما يشير الى خلاف هذه المسائل ومثل ذلك قوله تعالى «أني
جاءل في الارض خليفة» قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فإن لم
يكن قبله أحد فمن يخلف حتى سماه خليفة ؟ ولولم تشاهد الملائكة افساد الناس في
الارض وسفكهم دماء أنفسهم فمن أين علموا ذلك ؟ ومثل قوله تعالى «يا أيها
الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منها
رجالا كثيرا ونساء» . اعلم أن القرآن كثيرا ما يخاطب العرب دون غيرهم من
الأمم كما في قوله «انا جئناك قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» . فلا يتحتم أن يكون
المراد بكل خطاب للناس فيه جميع من على وجه الارض وإنما هو لاء قد يكونون
مطالبين بالتبع للعرب المخاطبين ابتداء على حد قول القائل — اياك أعني وأسمي
يا جاره — ومثل قول الخطيب لسامية يا أيها الناس لا تشربوا الخمر مثلا فهو وان
كان يخاطب الحاضرين الا أنه لا يقصد نهيمهم وحدهم عن الشرب بل هم وجميع
من على شاكلتهم فكذا يجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية التي نحن بصدددها
للعرب وان كان غيرهم مطالباً بالتقوى مثلهم . وقد ورد في القرآن لفظ الناس ولم
يرد به الا طائفة قليلة وذلك نحو «واذا قيلن لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن
كما آمن السفهاء؟» فالمراد بالناس هنا طائفة المؤمنين . واذا تصفحنا القرآن وجدنا
أن التكلم في أكثره مع العرب . اذا علمت هذا أقول «يا أيها الناس» أي العرب
و «من نفس واحدة» أي نفس أمهم لأن الأم هي الأصل الممول عليه ولها الحظ
الأوفر في تكوين الانسان كما يتضح للناظر في العلوم الطبيعية . واذا لاحظت أن
هذه الآية هي أول سورة النساء أدركت ما فيها من حسن الابتداء وبراءة الاله من الهال

«وخلق منها زوجها» أي من جنسها كما في قوله تعالى «خلق لكم من أنفسكم أزواجاً» أو باعتبار أن المرأة هي أصل الرجل ولو كان المراد في مثل هذه الآية أن آدم وحواء هما أصل جميع الأمم لما قال في آخرها «وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً» بل كان يقول «وبث منها جميع الرجال والنساء». أو ما يفيد هذا المعنى من التعبير كما هو مقتضى السياق . ولكن عبارة القرآن الشريف صريحة في أن المبعوث منها بعض الرجال وبعض النساء لا كلهم . هذا ولا مانع من أن يكون آدم وحواء هما أبوا العرب وبعض الأمم الشرقية . وأما غيرهم فليهم آباء آخرون . ولا يوجد في القرآن ما ينافي ذلك . وقد علمت أن هذا التفسير فيها دليل لنا لأعلينا أن قلنا بذلك المذهب — مذهب داروين — ولذا أوردناها في هذا المقام . واعلم أن القرآن قد يخاطب النبي فقط «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» وقد يخاطب العرب وقد يخاطب أولاد آدم «يا بني آدم خذوا زينتكم» وقد يخاطب المؤمنين في زمن النبي ومع ذلك قد يريد بالخطاب من هم على شاكاة المخاطبين لا المخاطبين فقط ففي هذه الآية التي نحن بصددناها وإن كان الخطاب لبني آدم على اعتقادنا الآن المطالب بالتقوى جميع الناس . وهذا وفي قوله تعالى «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» إشارة إلى أن الله تعالى خلق الناس أولاً ثم صورهم ثانياً أي أحسن خلقهم ثم أسجد الملائكة لبعض أفرادهم الذي اختاره أن يعمر بعض الجهات ويكون خليفة لقوم بادوا فيها . ومثل ذلك قوله تعالى «ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون» والجنان خلقناه من قبل من نار السموم» وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون» فكأنه يشير إلى أنه خلق الإنسان من الطين وليس فيها دليل على أن ذلك مباشرة» ثم أمر الملائكة بالسجود لأحد أفراد الإنسان الذي خلقه مثلهم أولاً من الطين الذي يرفع الملائكة عنه ويحتقرونه فكأنه يقول أنا أمركم أن تسجدوا لهذا الفرد المخلوق من الطين كغيره من الناس الذين تحتقرونهم ولذلك كرر قوله «من صلصال من حمأ مسنون» وقد يتمسك البعض بقوله تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» «قائلاً

ان كان آدم كسائر أفراد البشر مخلوقاً من ذكر وأُنثى على مذهب «داروين» فلم خص بالذ كر دون اي فرد آخر . قلت لأن الخطاب مع النصارى الذين يعتقدون بمخلقة آدم من التراب مباشرة فأتاهم بما هو أعجب على حسب اعتقادهم وكأنه يقول ان كان آدم في اعتقادكم مخلوقاً بلا أب ولا أم فكيف تعجبون ممن خلق بلا أب فقط . فان قيل لم قال «عند الله» ولم يقل — عندكم — قلت ليشعر بأن هذا التمثيل ان لم يكن مقبولا عندهم فهو عند الله مقبول وكذا عند جميع المنصفين من الناس لأن ما قبله تعالى فهو حق مقبول عندهم كأنه قال ان مثل عيسى كمثل آدم خلقه كما خلقه وان لم تقبلوا هذا التمثيل فهو عند الله مقبول . ثم ان الضمير في قوله خلقه عائد على ما أرى الى المسيح عليه السلام لأنه هو موضوع الكلام أي انه خلقه من تراب كما خلق آدم . ومن المعلوم أن المسيح لم يخلق مباشرة من التراب فيكون آدم مثله وعليه تكون هذه الآية أيضاً لا علينا ان قلنا بمذهب «داروين» ومعناها هكذا: اني آتيكم بمثل مقبول عند الله وان لم تقبلوه وهو أن المسيح مخلوق من تراب كأني فرد من أفراد البشر وأخص آدم بالذ كر لأنكم اذا اعتقدتم فيه هذا الأمر المجيب — وهو خلقه بلا أب ولا أم — كان الواجب أن لا تندهشوا من مسألة المسيح التي هي أقل غرابة من ذلك .

اذا علمت ذلك تحققت أن القرآن قد أشار الى أن آدم ليس أباً لجميع البشر الموجودين الآن وليس هو أول من خلق . ولم يخلق مباشرة من تراب . وعليه يكون جميع ما ورد في القرآن بشأنه سهل التفسير بما ينطبق على مذهب «داروين» تماماً وأما خلق العالم في ستة أيام فقد ورد في القرآن أن اليوم عند الله آلاف من السنين «وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» وقال أيضاً «تخرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فيجوز أن يكون المراد بهذه الأيام الستة آلاف من السنين (*)

(*) النار : اليوم في اللغة هو الزمن فالسنة الأيام هي ستة أزمنة انتقلت بها السموات والارض من طور الى طور حتى تم خلقهما على هذه الصفة المشاهدة كما أوضحنا ذلك في المجلد السادس (ص ٣٣١)

❦ شبهات النصارى في القرآن ❦

« وأما المصنف الثاني وهم المسيحيون » فليهم شبهات (الاولى) ان القرآن قد أخذ ما أتى به من الامم الاخرى ويستشهدون على ذلك بما يوجد فيه مشابهاً أو مماثلاً ما عند غيرنا من القصص أو العبادات أو العقائد أو غير ذلك . ولكني أذكرهم بثلاث مسائل (١) ان القرآن أنى يصلح ما كان فاسداً عند الامم لا لأن يزيله كله ويأتي بشيء جديد من الأول الى الآخر . كلا بل اذا وجد حسناً أبقاه واذا وجد قبيحاً محاه (٢) ان القرآن نص على أن الله بعث لكل أمة رسولا في عدة مواضع منه منهم من نعرف ومنهم من لا نعرف واذاً فلا غرابة اذا وجد عند هؤلاء الامم شيء من القصص الصحيحة والعقائد الحقيقية والعبادات . فان وافق عليها القرآن فما ذلك الا لانها وحي من عند الله لهؤلاء الناس . وان خالف شيئاً منها فما ذلك الا لوقوع الفاط فيها على ممر الزمان . وان رد عليها فما ذلك الا لانها مما افترته الناس على الله (٣) اذا صح ذلك التعليل فيما أتى به القرآن مماثلاً ما عند الناس فاذا يقولون فيما يوجد فيه مما لم يأت به دين آخر ولم يعرفه أحد الا في الايام الاخيرة وقد فصلنا ذلك في المقالات السابقة

(الشبهة الثانية) ورود بعض غلطات في القرآن على زعمهم . ولا حجة لهم على ذلك الا مقارنة القرآن بكتبهم . فان وجدوه موافقاً في شيء قالوا أخذه منها . وان خالف قالوا أخطأ . وان أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع . فنعسا لحججهم المضحكة !! نحن لا نريد أن نطيل الكلام معهم في هذا الباب ولكننا نطالبهم بأن يجيبونا عن هذه المسائل الثلاث بما يقتنعون به هم أنفسهم اقتناعاً حقيقياً بدون رياء أو مكابرة (١) أن يثبتوا بالبرهان القاطع صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم و (٢) أن كاتبها موحى اليهم من الله وأنهم لم يخطئوا في شيء كتبوه و (٣) أنها وصلت إلينا كما كتبها هؤلاء بدون تحريف لا بالزيادة ولا بالنقص ولا بالتبديل .

نحن نعلم وكل الناس يعلمون الا الجاهلين أن في هذه الكتب عبارات تدل على أن كاتبها ليسوا من نسبت اليهم ولنضرب مثلاً واحداً اصحاح ٣٤: ٥ و ٦ من

سفر التثنية يدل على أن الكتاب لم يكن موسى . وان قيل ان أحدا أضافها فمن
هو حتى تثق بأقواله وكيف يضيف الى كتاب الله ما لم يكن منه . وإذا أمكن
مثل هذه الاضافة فلم لم يمكن اضافة غيرها مما لم ينزله الله . ثم نسألهم كيف
الف الناس كتباً كثيرة ونسبوها الى الموحى اليهم كذباً ؟ كيف ميزتم الكتب
الصادقة من الكاذبة وما هي حججكم ؟ لم رفضت بعض الطوائف ماسلمته
الاخرى ؟ بماذا اعتقدتم أن كتابها ملهمون من الله . هل للخوارق التي يتناقضها
جميع الأمم عن موسى دينهم بل وعن غيرهم كالصالحين الاولياء والقديسين -
أم لماذا ؟ أو لم يقعوا في الغلط مع أننا نجد أنهم كانوا يفسرون الاشياء على غير
حقيقتها كتفسير كثير من الامراض بتأثير الشياطين وكظنونهم في قوس قزح
الذي برهن العلم أنه موجود منذ وجد السحاب والنور وأنه نتيجة انكسار النور في
مثل الماء أو البلور

نحن نعلم وأهل العلم يعلمون أن هذه الكتب مملوءة بما يسمونه غلط
الكتاب . وفيها من الفقرات الزائدة والناقصة ما يدهش ذوي الالباب وفيها من
التناقض ما يحير العقول . ولنضرب مثلاً لكل . أما مثل غلط الكتاب فما ورد
في السفر الثاني للايام اصحاح (١٦ : ١) اذا قورن بالسفر الاول للملوك
(١٥ : ٣٣) ومثل الزيادة ما ورد في رسالة يوحنا الاولى ٥ : ٧ التي فيها اشارة
صريحة لعقيدة التثليث ومثل التناقض ما في الاصحاح ٩ عدد ٧ من كتاب
الاعمال والاصحاح ٢٢ عدد ٩ من نفس الكتاب اذ يقول في الاول ان الذين معه
سمعوا الصوت وفي الثاني أنهم لم يسمعوا الصوت . فإذا جاز أن يكون الكتاب
أخفاً في النسخ وانتشر خطؤه في جميع النسخ فكيف لا يجوز أن يكون حرف
شيئاً وانتشر كذلك ؟ !! وإذا جازت الزيادة في الفقرات والنقص فيها فكيف
نؤمن أنه لم يزد أو ينقص ما يخل بالمعنى ؟ وإذا وجد التناقض فكيف نرجح
الصحيح على الباطل ؟ هذا هو حال الكتاب الذي يتخذونه ميزاناً لكتاب الله
تعالى وشتان ما بين هذا وذاك

واننا نريد قولنا بايراد أربعين شاهداً من هذه الكتب على وجه الاختصار

الذي لو راجعته لوجدته إما خطأ وإما تناقضاً وإما زيادة وإما دليلاً على أن المؤلف ليس من نسب إليه الكتاب إلى غير ذلك من الدلائل على فساد هذه الكتب وإذا لم تفهم بعض ما أشير إليه من عباراتها فطالع أحد التفاسير لتفهم غرضي لأنني لا أريد ذكرها بالتفصيل والتكلم عليها خوفاً من التطويل الممل فلذا أكتفي بالإشارة إلى أمائها وأترك الباحث وراء الحق يبحث كما شاء وهي هذه :-

﴿ أربعون شاهدة من «الكتاب المقدس» عندهم على تناقضه واختلافه ﴾

(١) رسالة يوحنا الاولى ٧:٥

(٢) تيموثاوس الاولى ١٦:٣

(٣) أكو ٥:١٥ ومسا ١٤:١٦

(٤) أعمال ٧:٩ و ٩:٢٢

(٥) أعمال ١٠:٢٢ و ١٦:٢٦

(٦) يوحنا ١٣:٣

(٧) يوحنا ١٩:٢ ومتى ٢٦:٦٠ و ٦١

(٨) يوحنا ٣١:٥ و ١٤:٨

(٩) مرقس ١٦:١ و ٢ ويوحنا ٢٠:٢٠

(١٠) مرقس ٢٦:٢

(١١) مرقس ١٠:٤٦ ولوقا ٣٥:١٨

(١٢) مرقس ٦:٨ ولوقا ٣:٩

(١٣) متى ٩:٢٧

(١٤) متى ١٢:٤٠

(١٥) متى ١٣:٦

(١٦) متى ١٩:٢٨

(١٧) متى ٢:١٥ و ١٧ و ١٨

(١٨) متى ٥:١٧ و ٣١ و ٣٢ و ٣٨ و ٣٩

(١٩) متى ١٦:٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ١٨:٢ وأتساءل ١٥:١٥ و ١٧ و ١٨ و ١٠:١١ ومتى ٢٤:٣٤

- (٢٠) متى ١٢:١
(٢١) متى ١١:١ و ١٧
(٢٢) متى ٩:١٨ و مرقس ٥:٢٣
(٢٣) دانيال ٩:٢٤
(٢٤) حزقيال ٤٥ و ٤٦ وسفر العدد ٢٨ و ٢٩
(٢٥) حزقيال ١٨:٢٠ وخروج ٢٠:٥
(٢٦) أرميا ١:٥٢ - ٣٤
(٢٧) زكريا ١:١٢ - ٢٦
(٢٨) ٢ أيام ١٥:١٩ و ملو ١٥:٣٣
(٢٩) ٢ أيام ٢٢:١ و ملو ١٥:٣٣
(٣٠) ٢ أيام ٢٣:٢ و ملو ٨:٢٦
(٣١) ١ أيام ١٩:١٨ و صمو ١٠:١٨
(٣٢) ١ أيام ١٨:٤ و صمو ٨:٤
(٣٣) يشوع ١٠:١٣ وتكوين ١٤:١٤ (انظر صمو ١:١٧ وقضا ١٨:٢٩)
(٣٤) يشوع ١٥:٦٣ (انظر صموئيل الثاني ٥:٦ - ٨)
(٣٥) يشوع ٢٤:٢٩ - ٣١
(٣٦) تثنية ٢٣:٢ و ٣
(٣٧) تثنية ٣٤:٥ - ١٠
(٣٨) خروج ١٢:٤٠
(٣٩) تكوين ٤٦:١٥
(٤٠) تكوين ٣٦:٣١ - ٣٩

ناهيك بما في هذه الكتب من الغلط والخطأ في المسائل العلمية والأخلاقية
والاعتقادية وقد أشرنا الى بعضها فيما سبق . (محمد توفيق صدقي)
(النار) ان ما ذكره في كون آدم ليس أول البشر على الاطلاق موافق لمذهب الصوفية
الذي يؤيدونه بالكشف كما يعلم من كلام الشيخ الأکبر محي الدين بن عربي . والمقالة بقية

باب الترخيم والتجديد

تقرير مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٢ الدراسية

﴿ تمهيد ﴾ جاء في كتاب « أعمال مجلس ادارة الأزهر » مانصه : في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٣ صدرت الارادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الاسكندرية بالجامع الأزهر ومضمون الارادة « ان الجانب العالي وافق ارادته العلية أن تكون الاسكندرية ملحقة بالأزهر في التدريس والعلوم والامتحان وان مجلس ادارته يضع لها القوانين والنظامات ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة ويحصر الاماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وان يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهور بهم الاقدمين » ثم ذكر بعد هذا ان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية (يعني الاستاذ الامام رحمه الله) سافرا الى الاسكندرية للابتداء بتنفيذ هذا الامر الذي كان من رغائب الثاني وأثر سعيه - فرتب ادرجات العلماء وأحصيا عددهم واختاروا الشيخ محمود باشا شيخا لعلماء الاسكندرية و بعد ان عاذا اشتغلا مع مجلس ادارة الأزهر بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الاسكندرية فوضع . ثم ان الشيخ محمود باشا أبي أن يكون شيخا لعلماء الاسكندرية تابعا للأزهر فوقف العمل واتفق أن جاء الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان في ذلك العهد الى مصر بالاجازة فأراد أحد أعضاء المجلس (يعني الاستاذ الامام) على أن يكون شيخا لعلماء الاسكندرية فصادف منه ارتياحا « فأشار عليه أن يعمل ليصل الى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ومهد لذلك باسترضاء الجهتين جهة السودان لتوافق على نقله وجهة مصر ليرضى بتعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية وكل سمح بهما بالنجاح فقرر مجلس الادارة في ١٦ ابريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب الى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالي بذلك فكان ما طلبه المجلس وصدر الأمر العالي بتعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ ابريل ١٩٠٤ وانحل

ذلك المشكل العظيم» اه ما أردت نقله من كتاب أعمال الازهر
وأقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يتوسم في الشيخ محمد شاكر
الهمة والنشاط في العمل ويعرف فيه حب النظام فلذلك اختاره قاضياً للسودان
أولاً ثم شيخاً لعلماء الاسكندرية آخرأ وهو الذي أقنع الحكومة السودانية بأن
ترضى بنقله وأقنع مجلس ادارة الازهر بطلب تعيينه وتسهيل السبيل له وانظر ما جاء
عن مبادي عمله في كتاب (أعمال مجلس الازهر) قال مؤلفه

« قام شيخ علماء الاسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام لما فيه من الفطنة
وشدة الذكاء ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر وعضده مجلس الادارة الازهرية
وشيوخ الازهر أكبر التعميد وسهل له الطريق في استعمال فكرته ولم يقيد بنظام
سوى نظام الازهر نفسه ونسخ له صور القوانين والقرارات التي يجري عليها العمل
المستمر وقرر له كل ما طلبه في سير الاعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه
منهم فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفي تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد
والمواظبة على إلقاء الدروس واستصدر أخيراً من مجلس الادارة قراراً بمحصر المساجد
التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد» الخ

ثم ذكر أنه في آخر السنة الدراسية قدم تقريراً الى مشيخة الجامع الأزهر
فصل فيه أعماله في تلك المدة وما يريده في السنة الجديدة. ونقول قد تمت هذه
السنة ووضع لها تقريراً رفعه «للاعتاب الخديوية» لالمشيخة الأزهر وهو موضوع
ما نكتب هنا بعد هذا التمهيد فنبيد رأينا في مسائله التي فيها مجال للرأي ثم في عبارته

﴿ مبحث التعليم الديني - رأيه ورأينا ﴾

في مقدمة التقرير كلام في فائدة عرض الأعمال على أصحاب الافكار
والآراء قال بعده «وهذه خلاصة الأعمال في مشيخة العلماء بمدينة الاسكندرية
وأن المشيخة ليسرها أن ترى ذلك اليوم الذي يتناول فيه كبار اكتاب أقلامهم
لا فاضة البحث في ترقية التعليم الديني واعلاء شأن معاهد العلوم الدينية استنباضاً
للهم وترغيباً في تربية الشبيبة المصرية من كل الطبقات التي تتكون منها الامة
تربية اسلامية مؤسسة على اتباع شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى العمل

بما جاء به من عند ربه بحيث تكون دعائم التعليم لكل بناء المسلمين هي تلك الدعامات التي بني عليها الاسلام وهي الاقرار بالله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام حتى لا يرى في الشيعة المصرية (وهم رجال الغد) من يجترى على ترك فريضة أو سنة أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قد يروا الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

﴿المنار﴾ قد أحسن الاستاذ في عرض تقريره على محك النقد بما كتبه في هذه المقدمة و بما كتب به اليها والى غيرنا من أصحاب الصحف . وانا نبداً بابتداء رأينا في هذه الجملة فنقول انه يعني بالشيعة — وهي مصدر — الثبائن بل من دونهم من المميزين المرشحين وما ذكره بشأن تربيتهم تربية اسلامية غير كاف على ما في العبارة من الاطباب الذي أفضى الى التكرار ايضاحاً للواضح في قوله «على اتباع شريعة المصطفى (ص) وعلى العمل بما جاء به» وقوله بعد هذا «بحيث تكون دعائم التعليم» الخ لا يصلح تصويراً وبياناً للاتباع والاهل فان التعليم غير التربية العملية ثم ان الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم من الاسلام ليس هو الاقرار بالله بالوحدانية الخ ما ذكره لأن كل مسلم يقر هذا الاقرار ويسهل عليه أن يتعلم كيفية اقامة الصلاة في مجلس واحد وكذلك أحكام الصوم ولا يجب على مسلم تعلم أحكام الزكاة والحج الا اذا كانا مفروضين عليه لغناه . ثم ان تعليم هذا الاقرار وهذه الاعمال لا يترتب عليه ما ذكره غاية له بقوله «حتى لا يرى في الشيعة المصرية من يجترى على ترك سنة أو فريضة» الخ فان الأستاذ الكاتب يعلم كما نعلم ان عدد المسلمين الذين تعلموا هذه الأمور وعملوا بها لا يتناوله الاحصاء ولا يكاد يوجد فيهم من لا يجترى ولا يصبر على ما ذكر .

ان الاحاديث التي اكتفت في اجراء أحكام الاسلام على المرء بالشهادتين والعمل بالاركان الاربعة الاخرى انما هي في شأن الكافرين الذين يدخلون في الاسلام فهذه هي الامور الظاهرة التي يعدون بها مسلمين وقد كان ممن قام بالاركان الخمسة في الظاهر المنافقون الذين نزل فيهم من الآيات ما نزل وقال فيهم النبي

صلى الله عليه وسلم ما قال، والمتدثون من جهلة الأعراب الذين سلموا بظاهر الدين ولم يفهموا عقائده بالبرهان المفيد اليقين الا بعد حين وفيهم نزل (قالت الاعراب آما قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولا يدخل الإيمان في قلوبكم) الآية
الغاية التي ذكرها انما ترجى للكلمة من الذين تربوا على الاصول الثلاثة في حديث جبريل المتفق عليه من رواية عمر وأبي هريرة وهي الاسلام المفسر بالاركان الخمسة التي ذكرها صاحب التقرير وهي عبارة عن القسم العملي من عبادات الدين والايمان وهو عبارة عن القسم الاعتقادي منه والاحسان وهو الادب الكامل الذي هو أثر الاعتقاد الصحيح والعبادة القوية والتهديب المعتدل . ونعني بترتيبهم على هذه الاصول الثلاثة تهويدهم العمل بالعمل منها من أول النشأة بحسن القدوة لا بمجرد الطلب باللسان وتلقينهم العلمي منها بالدلائل التي يخضع لها العقل ويطمئن بها القلب
وجهة القول ان عبارة التقرير في هذا المقام مضطربة وغير مينة لما يجب من التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ولا للضرورة منه وهو (١) العقائد الدينية على طريقته القرآن مع كشف الشبهات التي فشت في هذا العصر بين المسلمين من غير خلط بفلسفة اليونان وشبهات المبتدعة الذين انقضوا ودرست مذاهبهم . و (٢) الآداب الدينية مع بيان فوائدها للتأديب بها في نفسه وفيمن يعيش معهم بحيث يقتنع بتعلمها أن فيها سعادة الدنيا قبل الآخرة ويتضح له ذلك بالتأديب بها فعلا . و (٣) الأحكام العملية مع بيان أسرارها وفوائدها في نفس العامل وفي صلته بالناس الذين يعيش معهم على ما بينا آنفاً . هذا ما يذكر في دعائم التعليم الديني بالاجمال ونحث الكتاب على الرغبة في إقامة هذه الدعائم بتعليمها لأولاد المسلمين وتنشئتهم على العمل بها في البيوت وفي المدارس حتى يصير العلم بهاموياً بالوجدان . وانا نعلم ان كاتب التقرير يقر هذا في نفسه وان لم تتناوله عبارته وله أن يقول ان سيرته التي سيشرحها تتفق معه في الجملة وان كان اللاحق لا يدفع الابرار السابق . ونحن لأنرتاب في حسن قصده، وما قلناه بيان جاء في وقته ،

﴿التعليم الاسلامي في الاغنياء والاعلياء﴾

ثم قال الاستاذ صاحب التقرير بعد ما تقدم : « وما يجب أن يتنبه له عقلاء

الاسلام وعظاء الامة أن التعليم الديني قد كاد يكون منحصرا في طبقات الفقراء، وبعض الطبقات الوسطى من الامة الإسلامية دون الطبقات العليا منها وذلك خطر غير قليل على الجامعة الإسلامية بمرور الدهور والاعوام اذا قدر أن ينتهي الأمر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولاها سواهم من الطبقات الاخرى وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية في أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم وبعبارة أوضح تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المادية، والقوة المادية بعيدة عن المزايا الدينية، وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية ما يصلح عبرة لكرام القوم وخاصة المسلمين وعقلاء الامة

« فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا فلعلهم اذا فكروا فيه كثيرا يترجح عندهم ان يتربى أبناؤهم تربية دينية اسلامية محضة تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين حتى اذا تخرجوا على هذا المبدأ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة التي ترجى من أمثالهم مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران واذا شاء عظماء الامة أن يتربى أبناؤهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني ويحملون له المكانة العليا في أفئدة الناس أجمع وما ذلك على الله بعزيز نساءله الهداية والتوفيق لأقوم طريق » اهـ

(المنار) هذه ثمرة مقدمة التقرير وجملة ما يقال فيها أنها من الخواطر الحيدة التي تسنح للاذكياء وغرض الكاتب منها فيما يظهر دعوة اغنياء المسلمين في هذه البلاد الى نظم أولادهم في سلك طلبة العلم الديني في الاسكندرية والمنايا بالإسماعيل على هذا التعليم . وما من مسلم متفكر الا وهو يتمنى أن يقبل الاغنياء مع الفقراء على تلقي العلوم الدينية والتأديب بأدب الاسلام وانها لأمنية لا تنال بالتعبير عنها في تقرير ولا بالدعوة اليها والترغيب فيها بالكلام المبهم . بل بترقية المدارس الدينية ترقية تجذب الفني اليها باعتقاد أن فيها سعادته في الدنيا قبل الآخرة بحجمها بين علومها مع الاقتصاد في الوقت على ما سنبيته بالايجاز الذي تقتضيه الحال

لا يقدم الناس على شيء الا اذا علموا علم اذعان بأنه خير لهم وأكفل لمصالحهم

ودعوة الأغنياء الى التعليم الديني لم تبين على بيان يودع نفوسهم من العلم بذلك ما يحملهم على اجابة الدعوة فان عبارة التقرير لم تذكر من المرغبات في الدعوة الاتوفي الخطر على الجامعة الاسلامية الذي جعله مشروطاً بانحصار التعليم في غير الاغنياء وفرع من هذا الاصل انحصار الرياسة الدينية في غيرهم وجعل الوظائف الدينية تالية للرياسة في هذا ثم فسر ذلك بعبارة أصرح في مقصده وهي جعل الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية . فكأن هذا التجرد هو الخطر فاتقاؤه هو المرغوب الوحيد للاغنياء في اجابة الدعوة وهو يتوقف على الاقتناع بصحته وصحة كونه محل الخطر على الجامعة الاسلامية وصحة كون معاهد العلم الديني في الاسكندرية تجمع للمتعلمين بين القدرة على النهوض بالاعمال المالية مع الفضائل والمزايا الدينية ليجمعوا بين القوتين وكون ذلك يمنع الخطر . على ان هذا كله غير واضح في كلامه ولنا ان نجعل كل كلمة من تلك الكلمات التي يفسر بعضها بعضاً في كلامه مرغباً مستقلاً ونوسع الدائرة بالاستنباط ثم نرى أيكفي ذلك لاجابة الدعوة أم حسب الذين اعتادوا الارتياح الى أمثال هذا الاقتراح في الجرائد أن من الجواذب اليه والمرغبات فيه ما ذكره الاستاذ من الخطر على الجامعة الاسلامية، والترغيب في الرئاسة الدينية، والوظائف الدينية، وتجريد المزايا الدينية من القوة المالية، وكفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين، لطلاب هذه التربية مع التعليم؛ أين توجد التربية الاسلامية والتعليم الديني الجامعان لكلمة المسلمين الموثقان لروابطهم؟ أين أولئك العلماء الذين أشار اليهم وما هي آثارهم في وقاية الامة من الخطر، ماهي الرياسة الدينية التي لا ينالها الا من تعلم العلوم الدينية وتربي في حجرها، ثم ماهي الوظائف الدينية التي يرفع الاغنياء أبصارهم اليها، أليست هذه الكلمات من قبيل ما يطفو فوق أنهار الجرائد كل يوم كفقاقيع الماء، ثم يتلاشي في الهواء، بلى انها من هذا القبيل ولا تنس انا نحننا السانحة في نفسها وجزمنا بأن كل مسلم عاقل يتمناها، وكيف السبيل الى نيل الاماني:

فيادارها بالخيف ان مرادها قريب ولكن دون ذلك أهوال
نيس في الاسلام رياسة دينية حقيقية كالرياسة في الاديان الاخر فان

كل مسلم مكلف فهم دينه من كتابه وسنة بديه ان استطاع فان لم يستطع ذلك بنفسه استعان بأي مسلم يرى انه يعرف حكم الله الذي يطلبه لا تنحصر افادة الدين في رؤساء معينين . وقد مضى الاصطلاح بأن يدعى سلطان المسلمين رئيساً دينياً وان قال الصحابة في أبي بكر عليه الرضوان رضي الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي في امامة الصلاة — أفلا نرضاه لدنيانا: فجعلوها دنيوية وهل يطمع غني أو فقير بهذه الرياسة الشرعية أو الدينية، مهما بلغ في التربية والعلوم الاسلامية؛ وأما الوظائف الدينية الحقيقية المحضة كإمامة الصلاة والأذان فلا يرغب فيها الاغنياء بل لا يرضونها لأنفسهم على أنها لا تزال مبدولة للجاهلين . وهناك وظائف شرعية كالقضاء والافتاء وليست مما يرغب فيه الاغنياء هنالما هو معروف للكاتب والقارئ

لا خطر على الجامعة الاسلامية في انحصار الوظائف الدينية في أهل الفضائل والمزايا الدينية من الفقراء والأوساط ومن يتحلون بهذه الفضائل والمزايا لا يعجزهم أن يطلبوا الغنى فينالوه وأن يقنعوا بالأغنياء يئذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الله لإقامة المصالح العامة . ثم إن تحلي الأغنياء بالفضائل والمزايا الدينية ليس مما يتوقف على هذا التعليم الذي يدعوم اليه الاستاذ في تقريره . فجملة القول أن عبارة التقرير في هذه المسألة مبهمة مضطربة كعبارة التي قبلها

إذا قلنا ان المسلمين أو الجامعة الاسلامية على خطر فأنما نعيد قولاً تكرر منا في المنار كثيراً . ونعيده الآن لنقول ان التعليم الديني في مصر ليس له أثر مافي حفظ ما يسمونه الجامعة الاسلامية بل ربما كان له الأثر في اضعافها لأنه لا يدفع الشبهات الطارئة في هذا العصر على الدين ولا يبين انطباق أحكامه على مصالح البشر ومنافعهم الشخصية والاجتماعية ولا يخرج رجالاً يصلحون حجة على أهل التعليم الدنيوي باستقامتهم وفضائلهم وقدرتهم على النهوض بالأعمال العظيمة عامة كانت أو خاصة حتى إذا أردنا أن نقول : ان أثر التعليم الديني في أهله هو أفضل من أثر التعليم الدنيوي بأهله أو مساو له في شؤون الدنيا ويفضله في الآخرة قلنا ذلك بقوة تحترق الآذان ، ونصيب من النفوس مواقع الوجدان ، بل كثيراً ما يأتي هذا التعليم بضد ذلك حتى صارت جميع الطبقات التي يصفونها بالعلماء

تفكه بانتقاد أهله والخوض فيهم
 زار القاهرة في هذه الايام أستاذ من أساتذة المدارس الاسلامية في روسيا
 وكان جل هم البحث عن طرق التعليم الديني وغير الديني فساء ما رأى في
 الأزهر من الفوضى وفساد طريقة التعليم وزرت معه بعض العظماء فكانوا اذا
 ذكر الأزهر وأهله يقولون انه لاخير في هذا المكان يرجوه الاسلام وان أهله
 « كالخشب المسندة » وألقاب أشنع لأحب ذكرها . والتعليم في الاسكندرية
 قد أوشك بفضل التعليم في الأزهر بالنظام والمراقبة والامتحان والمكافأة التي
 طالب المصلح بها أهل الأزهر وحتمها عليهم بالقانون منذ عشر سنين أو أكثر
 فنمروا منها نفاراً وأصر كبراً وهم على رفضها اصراراً ، ووجدوا لهم من السياسة أنصاراً :
 انه ليسرنا أن ينفذ في الاسكندرية شيء من الاصلاح الصوري مع توجيه
 الهممة الى شيء من الاصلاح المعنوي وأن يصدق ظن شيخنا الاستاذ الامام في
 الشيخ محمد شاكر ونراه موقفاً الى السداد في تنظيم معاهد العلم في تلك المدينة
 ولكننا نقول ان هذا كله لا يكفي في الاصلاح المطلوب الذي يرجى لوقاية الاسلام
 ولا مسلمي مصر من الخطر ولا لاجذب أولاد الأغنياء الى هذا التعليم اذا أغنياء أحرص
 الناس على الزمن أن يضيع منه خمس عشرة سنة أو عشر سنين في معالجة كتب محدودة
 في الفنون العربية والفقه الذي صار أكثره غير معمول به والكلام الذي معظمه
 نظريات في مذاهب انقرضت وهم يرون أنه يقل في مجالس هذه الكتب من
 ينجح في فهمها وأن الذين يفهمونها قلما يوجد فيهم من يفيد الأمة فائدة لها شأن
 في ترقيتها أو الدفاع عن دينها وحقيقتها بل قلما يوجد فيهم من تصح عبارته العربية
 وكيف يفهم الدين من لا يتقن لغته اتقاناً

ان توحيد التعليم والتربية في الأمة باشتراك جميع الطبقات فيها مما يتوقف
 عليه تحقق وحدة الأمة وقوتها وهواها يتوقف على وجود زعماء من المسلمين
 يعرفون أسبابه فيأتونه من أبوابه وما أبوابه الا المدارس التي تجمع بين علوم
 الدين وعلوم الدنيا مع النظام الذي انتهى اليه رقي البشر الاجتماعي والصناعي .
 وأعني بعلوم الدين علوم القرآن والسنة وما فيهما من الحكم والاسرار الموافقة

لرقي الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفادته سلف الامة منها في تفصيل ليس هذا
المقال بالذي يتسع له فأكتفي بهذه الكلمة كما أكتفي من بيان فوائد النظام بأن
مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لا ينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل في
الازهر لتلك الكتب التي لا غناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية
فيكفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقتهم في التعليم خمس سنين
إذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسنها يكون تمهيداً لما يريد
المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وإن للشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو
أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالاذكياء العارفين
بنظام التعليم كـريدي الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم
بمساعده في تقريره الاخير . وما وضع للازهر انما كان موقفاً روعى فيه ضعف
الاستعداد . وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعد به القوم الى نظام
أكل منه تزداد به العلوم ويجعل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الاطلاع بجميعها .
وسنين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم

باب الخبيرة

مسألة مكدونية

﴿أوروبا وتركيا - أو الدين والسياسة﴾

اشتد ضغط دول أوروبا على دولتنا في هذه الايام يعرض عليها أن يكون
لهم مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما يطلبن بالتهديد
والوعيد . وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجل ادارة تلك البلاد - وهي سياج
عاصمة الدولة - أوربية محضة . وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من
نحو ثلاث سنين لا نخشى الا من روسيا لأنها كانت تستعد للحرب فإذا هي تستعد
لجايابان التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء مشورا

كتبنا في الجزء الأول لسنة المنار السادسة (سنة ١٣٢١) الصادر في ٣٠ مارس سنة ١٩٠٣ م نبذة في ثورة مكذوبة قلنا فيها مانصه : ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا فحال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها ، وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يطعم ولا يطعم شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جد جدها يكتفي منها بلقمة كبيرة يلتهمها ويتركها بعد ذلك وشأنها ، ولا يطوف في خاطر عاقل انه يسمح بجندي ألماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطعان ، اه واذا ظهر لنا أن اليابان كفتنا الخوف من روسيا بما نكلت بها وبما أعقبت حربها اياها من الثورة التي كادت تدمر البلاد الروسية وتذهب بسلطانها المطلق وتقبض ظله عن الأرض فلندكر ما كتبناه في تلك النبذة عما نخشاه من أوربا على تلك البلاد اذا أمنا روسيا وعن اضطراب المسلمين لذلك ثم تقفي عليه بما حدث في هذه الأيام . قلنا هناك :

« كانت قلوب المسلمين في الميدين (أي عيدي سنة ١٣٢٠) محوطة فوق بلاد مرا كش توأما فتنة الخارج كما تسوءها سيرة المالك ، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها هم أكبر من هم مرا كش - هم الدولة المسلمة الكبرى (وقاها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا فاذا كانت لا تريد سوءا فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراباً ولا تخش مغيبته فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبة تنتظر حينئذ استقلال مكذوبة أو وضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير أوربا بالمسألة الشرقية - مذهب التفكيك وتحليل العناصر - وهذا المذهب خير لدول أوربا وأسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتح والغلب لان هذا يمزجه الاتفاق على ما يتعسر الاتفاق عليه وبقضي بئس أموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقيين أو المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر ينحل من عناصر بلادهم وكل قطعة تنتقص من أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي . فاذا لم يتعلموا بتكرار النذر ، وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أياهم يعيشون ،

«مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض لما تقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع ما بقي تحت حكم العثمانيين من بلاد أوربا ومايدانيها كبلاد الارمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا ان أوربا نصيرة لهم وأن الطريقة الوحيدة لاثارة نهرتها عليهم وتصديها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دماءهم تأدياً لهم» اه المراد منه

ثم كتبنا مقالة في الجزء الحادي عشر الصادر في غرة جمادى الثانية من تلك السنة (١٣٢١) رجحنا فيه ان استعداد روسيا الحربي إنما كان لاجل توقع الحرب مع اليابان وأن الخوف على دولتنا يومئذ إنما هو من الجانب الذي كانت ترجوه من قبل وهو انكلترا وأوضحنا بعض الايضاح ما عليه أوربا من التحامل علينا ولا بأس بذكر شيء من ذلك هنا . قلنا بعد الكلام في عدوان البلغار وأخذها بمحضة الثورة في مكدونية تعويلاً على مساعدة بعض الدول

«أيقل ان نتحرش بلغار يا الضميفة بالأسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن وراءها أسداً أو أسوداء اذا لم يكن الأسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد؟ الا قرب عندي أن يكون الخوف اليوم في موضع الرجاء بالأمس فأننا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسننا الظن بالانكليز حتى توقعنا أن يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدنا فرنسا على ذلك ولما ترجع عندنا الآن أن روسيا لا تريد حرباً ولا تضمر غدراً (أي لنا) انعكس الرأي الأول وظننا السوء بانكلترا وتوقعنا انها قد اتفقت مع فرنسا على النفع في نار الثورة . . . الى أن قلنا

«ان سلوك أوربا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويعنون بها الاسلامية سلوك عجيب وأعجب صورته وأغرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان فقد جعلت أوربا بالدولة البائدة بالعدوان، المغلوبة في ميدان الطمان، هي الفائزة بالنتيجة اذ جعلت ولي عهداها كمالاً على ولاية عظيمة من ولايات الدولة المنتصرة (وهي جزيرة كريت) على أن تكون هي الحافظة والحامية لتلك

الولاية وما يدرينا لعلمهم يريدون الآن سلخ ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة، وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة يغذون به من يروونه أولى به حتى لا يبقى إلا الرأس والقلب فيسهل على الرأس الاتفاق على الايقاع به « اننا نرى دول أوروبا عابثة في كل حين باستقلال الدولة، ففي كل حادثة لهم أوامر تطاع، ومناهي تجتنب، والدولة راضية وكل ما تجنيه في بعض الاحيان لا يخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الأوامر أو إرجائها وكلماتهم للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هتف الممرورون مع الفارين . نحن أصحاب السياسة المثلى ، والكلمة العليا . فإذا انتهى أجل الارجاء ، وحل اليأس محل الرجاء ، سكتوا واجمين ، أو خدعوا أنفسهم معتدلين ،

« يقول الأوربيون ان الذي أذل تركيا وذللها لهم هو ظلمها لمن ليس على دينها من رعيتهما لاسيما النصارى . ولنا أن نقول ان وجدنا سامعاً : اذا كانت هذه الدولة تظلم المخالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوروبا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها ؟ أمن الممقول أن يهرب الناس من ظال العدل الى هاجرة الظلم واذا زعمتم أنها تظلم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تظلم الخائف الذي يجد أنصاراً أقوياء ينتقمون له وتدع من لا ولي له ولا نصير ، واذا كانت أوروبا تعبت باستقلال الدولة وتفتات عليها في سياستها الداخلية حباً في العدل بالمظلومين فما بال هذه الرحمة لا تحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحرق فيهم القتل بأيدي النصارى لأنهم يهود ؟؟ ليس موقفنا مع أوروبا موقف جدال وحجاج ولكنه موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف يفعل اه المراد منه

هذا شيء ما كتبناه في المسألة والعهد قريب بظهورها وقد كرت السنين فما زادت هذه الآراء الا بياناً وأرجحاً . وضمت أوروبا بضباطاً من جندها يحفظون الأمن في الولايات المكدونية مع رجال الضبط العثمانيين ليكونوا مطالبين على كل ما يقع في البلاد ثم أرادت القبض على أزمة المالية والادارة فاقترحت على الدولة تعيين مندوبين ماليين من الدول العظام يضعون الميزانية للبلاد وينظرون في أمراهم والمستخدمين من تولية وعزل ويتصرفون في الجباية والصرف ويكونون تابعين في أعمالهم

لسفراء دولهم . فخلاصة هذا الاقتراح أن تكون مالية تلك الولايات وادارتها في أيدي دول أوربا كأن أمر الأمن في أيديهم وللدولة اسم السلطة والسيادة لا ينازعها فيه منازع الآن لما عليه أمراء الشرق وملوكه من التفاني في عشق الألقاب: رفض السلطان قبول هذا الاقتراح الجائر الذي يقلص ظل سلطته عن تلك الولايات التي هي حاضرة لعاصمة ملكه فألحت الدول عليه وهددته باحتلال بعض الجزائر العثمانية التي تقرب من باب الاستانة (الدردينيل) فأصر على الإبقاء وإياه الحق في ذلك ولكنهم قوم يطمعون في ضعفه

ماودع المسلمون رمضان واستقبلوا عيد الفطر الا وقلوبهم تكاد تنفطر أسى وحزناً، وحقداً وضغناً، الأسف والحزن على ما وصلت اليه الدولة الإسلامية الكبرى من الضعف باهمال إصلاح بلادها، والمقد والضعف على أوربا المتعصبة التي تريد محو سلطة المسلمين من أوربا ثم من الأرض كلها . وقد رأيت من مسلمي هذا القطر المبارك فوق ما كنت أعتقد فيهم من الفخيرة والتألم على الدولة العلية أعزها الله بالعدل والعلم والإصلاح، ومن البغض لأعدائها خذلهم الله بالتفرق والتعاضد والانتقام،

والرأي عندي وعند كل من تكلمت معهم في هذا الأمر، من ذوي الرأي والفكر، أن اصرار الدولة العلية على رفض ما يطلب الدول منها هو الصواب وأن شر عاقبة تتوقع لهي خير منه أو أضعف شراً وأقل ضرراً، ان استيلاء الدول على تلك الولايات بالقوة بعد مقاومة الدولة لهن هو خير من تسليمهن ادارة مالياتها بالتهديد والانتذار والوعيد فان كلا الأمرين خسران مبين للبلاد وفي الخنوع والاستسلام للوعيد خسران معنوي أعظم وهو خسران الشرف والاستقلال يقابله في المقاومة مع حفظ هذا الشرف فوز معنوي عظيم وهو ايقاظ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإشعارهم بالخطر الذي يهدد سلطتهم من حيث هم مسلمون ولا شيء أنفع لهم في هذا العصر من هذه اليقظة والشعور وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان الحرب العثمانية الروسية الأخيرة قد كانت هي المبدأ لهذه الحركة الفكرية العامة في المسلمين وان كان البلاء لينزل من قبل هذه

الحرب في القطر الاسلامي فلا يهتز له القطر الذي مجاوره دع البعيد عنه الذي انقطعت
دونه أخباره وقد صرنا نرى المسلمين في كل قطر يتألمون لما يصيب اخوانهم في سائر
الاقطار لا سيما اذا كان المصاب من اعتداء الاجانب عليهم

ان ساسة أوربا يقدرّون هذه الحركة التي أشار إليها حكيمنا قدرها، ويحيطون
بما لنحط به من خبرها، لذلك أجمعوا كيدهم على ذبح العفريت بسيفه الخشبي (*) اذ
يتعذر قتله بسواه أعني أن يزيلوا السلطة الاسلامية من الارض بنفوذ رؤسائها
من السلاطين والأمرء - يدخلون في أمر الواحد منهم ويدعونه الى ما يريدون،
فيقالون به نيلهم والمسلمون وادعون ساكنون، يحسبون أن أولي أمرهم منهم
وأنهم لأمرهم يخضعون، فمثل أوربا في سياستها هذه وفي انتقاصها للمالك الاسلامية
من أطرافها كمثل الطبيب يخدر العضو ويقطعه حتى لا يشعر صاحبه بشدة الألم ولكن
الطبيب يعمل هذا لمصلحة الجسم وهم يعملونه لمصلحة أنفسهم باعدامه بل التهامه

يقول قوم ان الدافع لاوربا على هذا هو التعصب على الاسلام ولذلك
لا نرى الدول النصرانية تثقف على العبث باستقلال دولة نصرانية فيجب ان يقابل
المسلمون ذلك بالتعصب على النصراني كافة . ويقول آخرون ان أوربا بريشة
من التعصب الديني الذي لا يعرف في غير الشرق وانما هي المصالح السياسية لا مذهب
لها ولا دين ولذلك ينتصر الامبراطور غليوم النصراني للخليفة المسلم العثماني
وتطارد حكومة فرنسا الرهبان وتبترأ من الكنيسة . والصواب في المسألة ان أوربا
لا تعصب على المسلمين من حيث هم مسلمون يقرون الله بالوحدانية ولمحمد صلى الله
عليه وسلم بالرسالة ويصلون الى الكعبة ويعبدون الله تعالى على غير الطريقة التي
يعبده بها سواهم وانما تعصب عليهم لان لهم سلطة ودولا فالذين سموا تعصبها

(*) في الحكايات الخرافية التي يلهي بها الامهات أطفالهم ان للعفريت سيفاً
خشبياً اذا ذبح به مات واذا ذبح بسيف آخر من الحديد والفلز لا ذفانه لا يصيبه ضرر،
ولا يحدث منه في رقبة ولا جسمه أدنى أثر، ولكنه ينتبه لمحاول قتله فيفتك به وكذلك
المسلمون لا يسهل اهلاكم الا بواسطة رؤسائهم الذين هم سيوفهم ولذلك تحاول
أوربا أن تكون هذه السيوف الخشبية في يدها فاللهم أصلح الراعي والرعية

سياسيا قد صدقوا ، والذين سموه دينيا لم يكذبوا ، فاذا كان لا يهمها أمر الدين الاسلامي من حيث هو اعتقاد وعبادة ، فأكبرهما ان لا يكون له سلطان ولا سيادة ، ألا يجدر بالمسلمين اذا ان يحرقوا عليها الأرم ، ويعتقدوا ان شرف سلطتهم لا يسلم حتى يراق على جوانبه الدم ، بلى وانما موضع الخطأ ان يحاولوا الانتقام من الذميين والمسلمين ، والله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فاذا ونا النصارى في بلادنا ، عصيان لدينا وخراب لديانا ،

اذا كان المسلمون قد شعروا شعورا صحيحا بالخطر الذي ينذر سلطتهم ، والبلاء الذي يهدد ملتهم ، فليهم ان يعرفوا كيف يقاومون العدوان بمثله لان الله تعالى يقول « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله أي ولا تبغوا وانما تعتدي علينا أوربا بقوة أمتها ، وعلمها وصناعتها ، ونظامها وثروتها ، ودهائها وحكمتها ، ولذلك تستفيد مما بقي لنا مالا نستفيد . فادمنا على هذا الجهل والخلل ، والتفرق والفتل ، فاننا لا يمكن ان نقف أمام أوربا . فاذا لم يظفروا بمكدونية تمام الظفر في المرة ، فأنهم يظفرون بها وبغيرها اذا أعادوا الكرة ، ولنا فيما مضى عبرة وأي عبرة ، بماذا تقاومهم ؟ رؤساونا مستبدون ، وحكامنا ظالمون ، وعلمانا جامدون ، وأغنيانا ممسكون ، وخواصنا مترفون ، وعوامنا جاهلون ، فاذا رضينا لأنفسنا بهذا فاننا نكون من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولا ينطبق علينا قول ربنا « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فلينا أن نبذل المال ، ونجمع شمل الرجال ، لترقي الامة فتلزم الحكم باصلاح الحال ، فان العصر عصر الامم لا عصر الافراد وعصر النظام والاجتماع لا عصر الاستبداد ،

وفاة الشيخ عبد القادر الراجي

الشيخ عبد القادر الراجي الكبير أشهر فقهاء الحنفية في الازهر بل في البلاد العربية كلها أتقن المذاهب علما وتعلما وتأليفا وعملا بالحكام الشرعية فقد كان رئيس المجلس العلمي في المحكمة الشرعية بمصر . وقد وقع اختيار الحكمة على

ترشيحه لمنصب الافتاء فسمي مفتيا للديار المصرية في أوائل رمضان الماضي * فلم يلبث ان توفي فجأة ليلا وهو في مركبته يقصد زيارة أحد نظار الحكومة والناس يقصدون داره لتمنيته فاستحال السرور بالمنصب عند أهله حزنا وتحولت تهنيتهم به تهزية لهم عنه وضيع جنازته مع العلماء والوجهاء نظار الحكومة وبعض كبار حاشية الأمير وصلي عليه في الجامع الازهر ودفن في قراقة المجاورين وكان ذلك اليوم موعد نشر خبر تعيينه مفتيا في الجريدة الرسمية فلم ينشر

آل الرافعي في غنى عن التعريف فعلموا أنهم وأدباؤهم وخدمة الحكومة منهم كثيرون في وطنهم (سوريا) ومهاجر الكثيرين منهم (مصر) وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كبيرهم في العلم والوجاهة ومن ذوي الدرجة الاولى في الازهر . وما كان يمتاز به على أكثر الشيوخ البحث في الامور العامة وكثرة السؤال عن أحوال الدولة . وكان بعيدا من الفتن والخوض في الناس وقورا مهيبا المجلس ذا أخلاق شريفة حافظا لكرامة العلم محترما عند أهل الدنيا كاحترامه عند أهل الدين . تفعمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأحسن عزاء ولده وأهله وأمرته الكريمة عنه

﴿ إحياء سنة أزهريّة ﴾

كان من عادة أهل الازهر اذا مات عالم منهم أن يجتمعوا في الازهر يوم الجمعة بعد موته لقراءة ختمة يهدي ثوابها الى روحه ولانشاد المراثي التي يرثيها الشعراء منهم فأبطل الاصلاح هذه العادة مع عادات أخرى مثلها ولكن شيخ الأزهري الشيخ عبدالرحمن الشرييني أمر بالعود الى هذه العادة التي سماها المؤيد « سنة حسنة » فاجتمع الازهريون لرثاء الشيخ عبدالقادر الرافعي في الجامع الازهر رحمه الله تعالى وحضر الاجتماع خلق كثير فقراء وأنشدوا مرثيه لبعض الشيوخ ثم وزعوا على الحاضرين شيئا من الحمص والزبيب كان يتناثر منهم في المسجد وهو من تمام سنتهم التي أحييت بعد أن ماتت وانه ليلعب على ظني أن الرافعي رحمه الله تعالى لو كان حيا واستشير في احياء هذه السنة لآشار بعد احيائها ولما سماها سنة حسنة بل بدعة سيئة واذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشر

المسلمين بحياة العلم والدين،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولي الأبواب

الحكمة
١٣١٥

فبشر صبادي الذين يستمرون القول فيتمون أحسنه
أولئك الذين هم لهم الله وأولئك هم أولي الأبواب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صويوه منارة كنار الطريق)

(مصر - ١٦ شوال سنة ١٣٢٣ - ١٣ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٥)

الدين في نظر العقل الصحيح

الشبهة الثالثة - مريم أخت هارون

قال تعالى حكاية عن قوم مريم عليها السلام في خطابهم لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءاً وما كانت أمك بغياً » . قال المسيحيون (ولا نجد كتاباً لهم في الطعن في الاسلام خالياً من ذلك) إن القرآن هنا نص على أن مريم هي أخت لشخص يسمى هارون فتكون هي مريم أخت هارون وموسى النبيين عليهما السلام وعليه يكون القرآن قد دل على أن عيسى عليه السلام ابن أخت موسى فيكونان معاصرين . فانظر الى هذه البراهين المفحمة ، والأقيسة المنطقية المدهشة !! هل يلزم من كون مريم أم المسيح لها أخ يسمى هارون أن تكون هي مريم أخت موسى ؟ أما رأيتم أنه قد يوجد في بيت أبٍ وابن وأخت له وتكون أسماؤهم كاسماء أشخاص من بيت آخر ؟ قد رأينا ذلك كثيراً ولكننا ما رأينا أحداً يقول إن هذا البيت هو البيت الآخر بعينه . فما بالكم خرجتم عن العقل في مسائل الدين !! هل ورد في القرآن أن هارون هذا هو هارون النبي أخو موسى أم ورد فيه أن مريم العذراء هي أخت موسى الذي جاء بالثوراة ؟ ألم يقل القرآن الشريف بعد ذكره الثوراة وأنبياء بني اسرائيل التابعين لها في سورة المائدة « وقفنا على آثارهم بهيسى بن مريم » فإذا كان هنا ينص على أن عيسى عليه السلام أتى بعد جميع أنبياء بني اسرائيل التابعين لموسى فكيف تستتجون منه أن عيسى معاصر لموسى ! ولما يذكر المسيح في القرآن الا بعد ذكر موسى أو أنبياء بني اسرائيل فليق الله المنصفون .

هذا وإذا علمنا أنهم لا يعرفون اسم أبي مريم عليها السلام بالجزم حتى سماه بعض الأناجيل القديمة التي رفضوها يهوياً قديم علمنا كيف أنهم يجهلون نسبها فلا غرابة إذا جهلوا أختها لها يسمى هارون . بل اختلاف أناجيلهم في نسب المسيح اختلافاً أتبعهم منذ وجوده في التوفيق بينها يجعلنا لانبا بما يعرفونه عنه وعن أهله

عليه السلام . ولا حاجة لنا بتأويل بعض مفسرينا الذين قالوا ان هرون كان رجلاً صالحاً فجعلت أخته في الصلاح والتقوى أي أنها مثله في ذلك أو كما يقال أخو العرب وأخو الحرب

الشبهة الرابعة - السامري

قال تعالى في حكاية عجل بني اسرائيل (وأضلهم السامري) فقال المسيحيون ان السامري هذا الذي ذكره القرآن هو من السامريين وهو لا لم يوجدوا الا بعد موسى بعدة سنين . ولكننا نطالبهم بالدليل على هذا الزعم الفاسد وكيفية استنباطهم له . وهل اذا جهلنا أصل هذا اللفظ يحملنا الجهل على أخذه من لفظ السامريين فنقول أنه واحد من تلك الفرق وبعد ذلك نبي عليه ما نبي من الأوهام، فكم في الكتب المقدسة من ألفاظ لا يدرك اشتقاقها ولا تعرف أصولها . ولم لا يكون ما ورد في القرآن منسوباً لبلد غير ما عرفنا من البلدان ؟ وهل يمكنكم الجزم بأنه لم يسم بلفظ سامرة غير سامرة فلسطين مع علمنا بخلاف ذلك . وفي البلاد القديمة أيضاً ما يسمى (سام راه) أو (سمرا) (١) ويجوز أن يكون (السامري) نسبة لبيت رجل من بني اسرائيل يسمى (شامر) مثلاً (٢) وهذا الاسم وما يشابهه له وجود في أسفار العهد القديم أنظر (١ أخبار الأيام ٧: ٣٤ و ٨: ١٢) واذا تذكرنا أن الأسماء المعربة تتغير بالتعريب تبعاً لبلد عنها أصلها أحياناً (٣) كما في عيسى بالنسبة ليشوع (بالشين) ويحيى بالنسبة ليوحنا ويونس بالنسبة ليونان وغير ذلك فالتنا لا نستغرب نسبة (السامري) الى شامر بل لأنرى من الغرابة أن نجعل الأصل المعرب منه هذا اللفظ بالمرّة فانظر الفرق بين لفظ عيسى و يشوع مثلاً . وما قيل في هذه الآية والتي قبلها يمكننا أن نرد بمثله اشتباههم في لفظ هامان الوارد في

-
- (١) المنار : صرح بعض المفسرين بأن السامري منسوب الى بلد اسمها سامرة
 (٢) أكثر الألفاظ التي هي في العبرية بالشين المعجمة تذكر بالعربية اذا نقلت اليها بالسين المهملة فسامرة فلسطين عبريتها شوميري واسم موسى عندهم بالمعجمة
 (٣) ليس هذا خاصاً بالعربية فالأفرنج أشدّ تغييراً وتحريراً للألفاظ المنقولة الى لغاتهم

القرآن في قصة فرعون .

وميجوز أيضاً أن يكون السامري لقباً لشخص من بني اسرائيل ومعناه الحافظ وأصله من لفظ شمر المبري الذي معناه حفظ . فإذا كانت كل هذه الاحتمالات جائزة قريبة فكيف يجزمون بخطأ القرآن في ذلك ؟

الشبهة الخامسة - غروب الشمس في المين

قال تعالى في قصة ذي القرنين « وجدها تغرب في عين حمة » أي الشمس فقالوا ان القرآن يدل على أن الشمس تغرب في نفس الأرض وتجاهلوا أن في مثل هذا المقام يقول القائل في كل لغة (رأيت الشمس تغرب في البحر) مثلاً مع أن القائل قد يكون أعلم الجغرافيين والفلكيين وإنما يعبر هذا التعبير بحسب ما يبدو لنظر الواقف على ساحل البحر . والقرآن الشريف إنما نسب الأمر إلى ذي القرنين فقال وجدها اشماراً بأن ذلك هو ما تخيله بصره فما أحسن هذا اللفظ في مثل هذا المقام . ولو كان الكلام في مقام التكوين والخلق ونص القرآن على أن الشمس تغرب في جزء من الأرض لكان لهم الحق في هذا الانتقاد . على أنه تعبير معروف عند كل الناس حتى المتقدين

ويناسب هذا الموضوع أن نشير إلى ما قاله العلماء في مسألة جريان الشمس بما يؤيد ماورد في الكتاب العزيز « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » فقد اتفقت كلمتهم على أن الشمس وجميع ما حولها من السيارات تجري في الفضاء إلى حيث لا يعلم أحد وهذا يوافق كل المواقفة ما قاله القرآن الشريف من غير زيادة ولا نقصان

الشبهة السادسة - آزر أبو إبراهيم

قال تعالى في إبراهيم عليه السلام « وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر » فاعترض على ذلك دعاة المسيحية قائلين ان ماورد في التوراة هو أن أبا إبراهيم يسمى تارح فمن أين أتى القرآن بآزر : قلنا اننا قد تكلمنا على ما يسمونه بالتوراة بما لا يمكنهم الرد عليه . ثم ان القرآن لم ينكر هذه التسمية وورد اسم آخر فيه قد يكون بسبب

أن الرجل مسمى باسمين أو أحدهما لقب له كما يقولون هم أنفسهم لرفع التناقض المالى كتبتهم في أسماء كثير من الأشخاص . ولكننا لانكتفي بذلك بل نبين لهم أصل هذه التسمية الواردة في القرآن ليعلموا أنه لو كان اخذ ما أتى به من كتبهم كما يهذون لما خالفها في مثل هذه الأشياء البسيطة خوفاً من أن يقع في مخطئة منهم لا حاجة اليه بها ، وكان في أمن منها لو وافق على ماورد فيها .

آزر لفظ قديم معناه النار وأطلقه قدماء الفرس والكلدان بين والاشوريين على كوكب المريخ لظنهم أنه من نار ثم عبده في صورة عمود وصاروا يلقبون الاشراف منهم بهذا اللفظ (آزر) تبركابه وقد وجد كثيراً في كتابات البابليين أيضاً . وعليه قال العلماء ان آزر هو اللقب الوثني لأبي ابراهيم ويوافق ذلك ماورد في تفسير البيضاوي وغيره من أن آزر اسم للآله الذي كان يعبده فهل فيما أتى به القرآن بعد ذلك أدنى شبهة . بل أليس فيه حجة على صدق النبي الامي وخصوصاً اذا لاحظنا أن التوراة لم يرد فيها هذا اللقب ولا في التلمود الذي سماه (زاراج) فمن أين أتى القرآن بذلك لولا وحي الله ؟

الشبهة السابعة - جبل الجودي

قال تعالى في سفينة هود عليه السلام « واستوت على الجودي » فقال بعضهم المذكور في التوراة أن اسمه (أراراط) ولم يرد لفظ « جودي » فيها فمن أين أتى به القرآن ؟ ونجيب عن ذلك بأننا لانعاباً بكتبهم لما ذكرناه سابقاً ثم نبين أصل ما ذكره كتاب الله . هذا الجبل يسكن بجواره الكرد (الاكراد) ولذلك سموه بلقهم كاردو أوجاردو وجرفها اليونانيون جوردي ومنه عرب لفظ القرآن جودي « »

« المنار : ان نسخ التوراة ليست متفقة على ان السفينة استوت على أراراط فان السريانية والكلدانية منها صرحت بأنها استقرت على جبل الاكراد وهذا موافق لقول بروزس معاصر الاسكندر الاكبر . أورد هذا في دائرة المعارف العربية وقال : وواقعه أيضاً القرآن الشريف ولا تزال الروايات تشير الى أن الجودي كان مركز الحادثة المذكورة (الطوفان) وهي تسند هذا الرأي الذي ذكره بروزس الى وجود آثار الفلك على قمة ذلك الجبل :

الشبهة الثامنة - الناسخ والمنسوخ

ذهب جمهور المسلمين الى أن القرآن قد وقع فيه نسخ كثير واستدلوا على ذلك بأحاديث آحادية وبفيض آيات وزدت فيه وتغالوا في المسألة حتى أنهم جعلوا جزءاً عظيماً من القرآن منسوخاً . ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا الطين بلة بأن ادعوا نسخ بعضه بالسنة حتى جرأوا الخصوم على الطعن في الكتاب العزيز ولكن قىض الله لهم في كل زمن من رد عليهم في أكثر هذه الدعاوي أو في جميعها من علماء الاسلام المحققين . فقد ظهر بينهم من أفهمهم معنى أكثر هذه الآيات وأبان لهم أن لا ناسخ ولا منسوخ فيها بالدليل الذي لا يقبل الرد مثل الامام الشوكاني وغيره وقام الامام الشافعي رضي الله عنه وأبطل دعوى نسخ الكتاب بالحديث . وذهب أبو مسلم الاصفهاني المفسر الشهير الى أنه ليس في القرآن آية منسوخة وخرج كل ما قالوا أنه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل ونقل عنه الفخر الرازي آراءه في ذلك في تفسيره المشهور . ومن العلماء المتأخرين الأستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان يدحض كل دعوى بالنسخ في أي آية فسرّها بالحجة الواضحة والبراهين الظاهرة وقال في أحاديث الآحاد أنها ظنية محتمل أن تكون مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصلاح لخداع الناس حتى أن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة حاله وبقي ما وضعه رائجاً مقبولاً لم يطعن في سنده أهل النقد . وتبعه في كل آرائه هذه الأستاذ الرشيد حفظه الله . ولولا خوف التطويل لنقلت عنهم آراءهم في جميع هذه الآيات . فليراجعها في كتبهم وليتدبر القرآن بنفسه من أراد أن يهتدي الى الحق

والخلاصة أن مذهب النسخ في القرآن ليس من المقائيد الاسلامية في شيء .
بمعنى أن المسلم يمكنه أن يفهم كتاب الله ويكون مؤمناً به حقاً بدون أن يحتاج الى القول بشيء مما زعموه البته . ومن أراد أن يحاججني في ذلك فليبه بالقرآن وحده .

الشبهة التاسعة - هاروت وماروت - السحر - هل سحر النبي؟

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا
الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَاءُ - وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَارُوتَ وَمارُوتَ، وَمَا
يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ
بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ،
وَيَعْلَمُونَ مَا يَفْضُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَأَقْبَدَ عَلَيْهِمْ أَمْرًا أَشَدَّ مِنْهُ بِلَا أَلْفِافَةٍ
مِنْ خَلْقٍ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

ذهب كثير من المحققين سلفاً وخلفاً إلى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين
بالصلاح والتقوى في بابل وكانا يعلمان الناس السحر وبلغ حسن اعتقاد الناس
بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحى من الله وبلغ مكر
هذين الرجلين ومخافتتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفي علمهما أنهما صارا
يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما « انما نحن فتنة فلا تكفر » أي انما نحن
أولو فتنة نبوك ونختبرك أنشكر أم تكفر وننصح لك بأن لا تكفر. يقولان ذلك
ليوها الناس أن علومهما إلهية. وصناعتها روحانية. وأنها لا يقصدان إلا الخير كما
يفعل ذلك دجاجة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على
زعمهم: نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجل غير زوجها إلى غير
ذلك من الأوهام والافتراء: واليهود في ذلك خرافات كثيرة حتى أنهم
يستقدون أن السحر نزل عليها من الله وأنهما ملكان جاءا لتعليمه للناس وقد
جاءهم في ذلك جهالة المفسرين. فجاء القرآن مكذباً لهم في دعواهم نزوله من السماء
وفي ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين »

الى آخر الآية فما هنا نافية على أصبح الاقوال ولفظ «الملكين» هنا وارد على حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر في كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم وكما يرد في كلام المسلم في الرد على المسيحيين ذكر تجسد الإله وصلبه وان كان لا يعتقد بذلك

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك في قوله «واتبعوا ما تتلو الشياطين» خبثاء الانس وأشرارهم كما في قوله «واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم» وقوله «شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض» والذي يبين هذا المعنى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها قوله «تتلو» لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد ومعنى تتلو هنا تقص وقوله بعدها «يعلمون الناس السحر» يبين هذا أيضاً اذ لا يتعلم أحد السحر الا من شياطين الانس .

وقوله تعالى «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» هو من قبيل التمثيل واظهار الامر في اقبح صورته أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الخيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه والخلاصة ان معنى الآية من أولها الى آخرها هكذا:-

ان اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالاقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر وهو لم يكفر ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سموها ملكين ولم ينزل عليهما شيء وإنما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنها كانا يوهان الناس أنها لا يقصدان الا الخير ويحذرانهم من الكفر . وبلغ من أمر ما يتعلمونه منها من طرق الخيل والدهاء أنهم يفرقون به بين المجنمين ويحلون به عقد المتحدين

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للذم فلا يصح أن يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين . والذي يدل على صحة ما قلناه فيها أن القرآن أنكر نزول أي ملك الى الأرض ليعلم الناس شيئاً من عند الله غير الوحي الى الأنبياء ونص نصاً صريحاً أن الله لم يرسل الا الانس لتعليم بني نوعهم فقال

« وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذِّكر ان كنتم لاتعلمون »
وقال منكراً على من طلب إنزال الملك « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا
ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون » وقال في سورة الفرقان « وقالوا مال هذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً » -
إلى قوله - فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً »

واعلم أن السحر لا يغير حقائق الأشياء وإنما هو تخيل وشعوذة وحيل كما قال
تعالى في حكاية سحرة فرعون « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » وقال أيضاً
« سحرنا أعين الناس واسترهبوهم » أي أنهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهموهم
صحة ما يفعلون . فإين هذا من قول كتاب اليهود الذي يقول « وصارت العصي
ثمايين » كأن المسألة كانت حقيقة .

هذا وإذا لم يكن للسحر تأثير حقيقي فلا يمكن أن يسحر النبي صلى الله عليه
وسلم حتى أنه صار يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كما افتراه المفترون اذلو
جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحى إليه شيء وهو لم يوح إليه ولصدق عليه قول
الكافرين « ان تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » وقد أنكر القرآن عليهم ذلك بنفسه
وإنما قالوه طعناً فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه أنه ساحر وكاهن ومجنون
وشاعر إلى غير ذلك مما اختلقوه . وأما قوله تعالى « ومن شر النفاثات في العقد »
الذي اتخذ المفترون دليلاً على افكهم فمعناه هكذا :-

النفاثات من صيغ المبالغة كالعلامة والفتاة يستعمل كذلك للذكر والأنثى
والنفاثات جمعها والمراد بها هنا النامون المقطعون لروابط الألفه المحرقون لها بما
يلقون من ضرام نائمهم وما ينقثون فيها من سموم وشاياتهم . والمقعد كالعقود
معنى مثل عقدة النكاح وعقدة البيع وغيرها . كأنه قال تعود من شر من يسمى
لحل المجتمعات الخيرية والتفريق بين المحبين المتحدين

والدليل على كذب المفتريين غير ما ذكرنا أن هذه السورة مكية وما يزعمونه
يدعون أنه حصل بالمدينة فكيف يصح أن يقال نزلت فيه . وهذا التفسير الذي
ذكرناه مأخوذ من أفكار الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد ذكر ما يقار به المحقق

أبو مسلم الأصفهاني ونقله عنه الامام الرازي واستجسسه وذكر مثله المفسر الشهير أبو السمود أيضاً.

فهذه هي أكبر مطاعنهم في القرآن الشريف وأكثرها وروداً في كتبهم وقد اتضح لك مما قررناه واتفق عليه العلماء المدققون أنها كالسراب يحسب الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً . بل إن بعضها ليس فيه على القرآن شبهة بل هو له حجة كما يتبين لك من البحث عن أصل لفظي آزر والجودي مثلاً . وقس على أمثالها مما لم نذكره هنا لشدة سخافته

هذا وليعلم القوم أن ما ذكر في القرآن من المسائل الغريبة كتكلم النملة وسباع سليمان لها أن حمل على ظاهره وتسخير الجن له وغير ذلك ليس مما يصادم البداهة العقلية أو يناقض البراهين القطعية . وإنما هو غريب وليس كل غريب مستحيلاً والا لكانت جميع المعجزات مستحيلة وكذا جميع الاختراعات والاكتشافات الحديثة . فمن ادعى أن في القرآن شيئاً مستحيلاً فليطعن بالدليل المنطقي الصحيح والاضر بنا بكلامه عرض الحائط واعتبرناه هاذياً

﴿مسألة صلب المسيح﴾

بقي عليّ أن أنبه الناس على ما يفتره هؤلاء الدعاة طعنًا في القرآن في مسألة أخرى وهي دعوى صلب المسيح قائلين أنه وحده هو الذي أنكر صلب المسيح ولم يسبقه سابق إلى ذلك فإن هذه الحقيقة قال بها كثيرون من فرق النصارى الأولين مثل الباسيليديين والسيرينثيين والكاريوكراتيين والثانيانوسيين وغيرهم وقد ذكرت أكثر هذه الطوائف من قبل في رسالة لي سميتها (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الإسلامية) فمن شاء فليراجعها . وورد مثل ما قاله القرآن في كتب أخرى كالكتاب المسمى رحلة الرسل وهو يشبه كتاب الأعمال الذي عند النصارى الآن وفيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وغيرهم ومما ورد فيه أن المسيح لم يصلب وإنما صلب واحداً آخر بدله كبروآم العلامة ميل الانكليزي مترجم القرآن عن آخر يدعى (فويتيس) وكذا ما ورد في انجيل برناباس وهو أحد الأناجيل التي رفضها المسيحيون يؤيد ما أتى به القرآن تماماً حتى في ذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم صراحة . وهذا

الانجيل مما كتب قبل الاسلام بقرون . وان ادعى بعضهم أن أحد المسلمين حرقه أجينا كيف حرق المسلمون جميع نسخه حتى الموجودة عند النصارى ولم لم يحرق المسلمون غيره من كتبهم على ان المسلمين ما عرفوه الا عنهم وان تعجب فمعجب قولهم في مسألة قيام المسيح من القبر على زعمهم: اذا كانت هذه القيامة موهومة فأين جسده اذا . وفاتهم أن موسى عليه السلام الذي مات موتاً طبعياً بين قومه لم يعرفوا قبره الى الآن ونصت التوراة على ذلك في آخر اسفارها «تثنية ٣٤: ٦» فهل يستبعدون قولنا ان المسيح لم يعرف أحد قبره مع ملاحظة أن التلاميذ فروا من حوله وتفرقوا وتولى الأمر غيرهم ممن لهم غاية وغرض في إخفاء جثته لوقتل لا لطفاء نار المشاحنات والفن ومحو الشغب بين الناس هل يستبعد هذا ولا يستبعد أن كاتب سفر التثنية لم يعرف قبر موسى مع وجود الفرق العظيم بين هذه الحالة وتلك ؟

لا يبعد أن يكون ما يقصه النصارى علينا هو من قبيل تلفيق روايات التمثيل وغيرها مما كتبه الناس قديماً وحديثاً . ومثل هذه التلفيقات كان شائعاً في العصر الاولي المسيحية حتي أن كل طائفة من طوائفهم ألقت أناجيل ورسائل كثيرة ونسبتها الى المسيح وتلاميذه لتأييد آرائهم وهم باقرارهم براء منها . فيجوز أن تكون هذه القصة مما كتب في أواخر القرن الاول أو في القرن الثاني . وقد خالفها يومئذ طوائف كثيرة كما خالفوا في مسائل أخرى كالتجسد والتثليث . وها قد أخذ الحق يحصص الآن بينهم بعد أن صار الباطل أجيالاً عديدة وأخذ الناس يدخلون في عقيدة التوحيد والتثنية أفواجاً أفواجاً وانتشرت أفكار الموحدين في أوروبا وأمريكا وأوشك سراج الحق يكون وهاجا .

﴿ اعادة برهان النبوة باختصار ﴾

عند هذا الحد أقف بالقارى . وقبل أن أتركه أكرر عليه مرة أخرى بغاية الإيجاز برهان النبوة لعلمي أنه الآن يمكنه أن يدركه ادراكاً حقيقياً أكثر من ذي قبل فأضعه تحت نظر عقله مختصراً كي يجول بسهولة في انحنائه ويحيط بأطرافه وأرجو من المخالفين أن يعنوا النظر في جميع مقالاتي هذه ايمان من يريد أن يكتب للناس

ردا عليها لأنهم يصبرونهم بأنفسهم لأجل ما ورثوه عن آبائهم . فإن الحق أحق أن يتبع (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) . وهاك البرهان، موجزا بقدر الامكان:

رجل يتيم، فقير، أمي، لم يشتغل بما كان يشتغل به قومه من الشر أو الخطيئة ومحوها، لم يهد عليه الكذب في صفه، نشأ في وسط الجهل والثنية، فأتى والعالم محتاج الى الاصلاح بعقائد صحيحة أشار الى براهينها وعبادات وشرائع وأخلاق وحكم وقصص مفيدة ومسائل علمية لم تكن معروفة واخبار ببعض مغيبات تحققت وأخرج العرب من أحط دركات الهرجاسة الى أعلى سلم من المدنية في مدة قليلة . ثم انتشر اصلاحه في العالم بسرعة لم تعهد . ولم يوجد فيما أتى به شيء يقطع العقل بطلانه الى الآن بعد مضي ألف ومئتين من السنين . بل أخذ الناس المرتقون يستصوبون أعماله وأقواله ويفهمون اسرارها . أتى بجميع ذلك في عبارات خارقة للعادة في بلاغتها، ومخالفة للمعهود في أسلوبها، وطلب من البشر أن يعارضوه في شيء مما أتى به ويستعينوا بمن شاءوا فلم يقدم على ذلك أحد ونجح، بل أذعن جمهورهم ومن شذ افتضح، ثم هو لم ينغمس في الملاذ والشهوات والترف كما بينا ذلك فيما مضى بل كان أبعد الناس عنها

فكيف لا يعثر الانسان على غلطة مقطوع بها في قرآنه مع علمنا بحاله وكيف لم ينجح أحد في معارضته الى الآن كما أنبأ بذلك . فلم يأت بشر بشيء مثل جزء من كلامه لفظاً ومعنى ؟

فماذا يجيبون أيها المبطلون، وكيف تعالون ذلك أيها الواهمون ؟؟ ولنجتمع هنا آيات القرآن، الدالة على ذلك البرهان، تماماً للفائدة، وبياناً لكونه حجة الله على الناس كافة

« ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * (١) ووجدك عائلاً فأغنى »

(١) المنار الضلال في اللغة أني تخطئ الطريق وقد كان النبي قبل النبوة لا يعرف طريق الايمان والشرع فهداه الله اليه كما قال تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا »

وما كنت ثناء من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له * فقد لبث فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون * هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسول أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين *

وليلاحظ القارىء أي أوردت هذه الآيات على هذا الترتيب . لتكون كل دعوى من البرهان السابق مؤيدة بشيء من القرآن . فأعظم به من كتاب جمع فأوعى ، وأكرم به من نعمة من الله كبرى ، قشعت غياهب الظلام ، وأنارت قلوب الأنام بضياء الاسلام ، فبلغ الله عنا محمدا أزكى السلام في البداية والختام ،

﴿ ختم المقال بذكر شيء من كتاب الله تعالى ﴾

إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته . وما الظالمين من أنصار * ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . إنك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . بعضكم من بعض . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب *

(محمد توفيق صدقي)

الطبيب بسجن طره

﴿ المنار ﴾ السبب في كتابة هذه المقالات هو أن كاتبها كان يحب البحث

عن كل ما يعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب ولهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يعرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لغيرهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده أفندي إبراهيم عرفناهما منذ سنين اذ كانا يرجعان اليانفي بعض مباحثها ويعرضان علينا أهم ما يشبه عليهما كسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لا يوجد في مصر من طلاب المعلوم الدينية لاجل الاقتناع والاذعان ، والقدرة على الإقناع والبيان ، الا هذان التلميذان ، وأحدهما مسلم والآخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعتقاد فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى أن يتقعا على ان الحق فيها كذا فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه في دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح (فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم لبراهين الدين وحكمه ثبتنا الله واياه) وهذه المقالات هي صورة اعتقادها الذي هداها اليه ربها بعد اطالة النظر والاستدلال عدة سنين وأكثر ما فيها من المسائل في الألوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لا تقليداً بل اقتناعاً بالنظر والاستدلال . وللكاتب مسائل كثيرة هداها اليها البحث والتنقيب ومراجعة كتب المسلمين والافرنج لاسيما في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالفه في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط أن يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وما هو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لأن المقام مقام تأييد الاعتقاد وهو لا يكون بأخبار الآحاد ، ولا بتقليد الآباء والأجداد ،

وكأنني ببعض الشيوخ المقلدين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أو وافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كمسألة ابن السبيل ومسألة النسخ فالذين الذين منهم يعذره والجامد المتعصب يفظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام ، وأن مقاليدهم التقصر عن ذلك ولو راجعهم في شبهاتهم لما رجع الا بالجحود والاحاد « ومن يضل الله فإله من هاد »

روابط الجنسية * والحياة المالية

❦ وفلسفة الاجتماع البشري ❦

وعندنا في خاتمة المجلد السابع بأن نعود في هذا المجلد الى نشر المقالات الاجتماعية والفلسفية وذكرنا هناك بعض الموضوعات التي سبقت الى الذهن عند كتابة تلك الخاتمة ومنها الحياة الزوجية والحياة المالية وكذا الوطنية . وقد حالت الحوادث دون الاكثار من المقالات وسبح القلم سبوحاً طويلاً في بحث الحياة الزوجية فكانت ست مقالات ورأينا أن نقفي عليه بالكلام في الحياة المالية وكذا الوطنية بعد تمهيد في فلسفة الاجتماع البشري بالاجاز فنقول

خلق الانسان ليعيش مجتمعاً يتعاون أفراده على الأعمال التي هي قوام حياتهم الشخصية والنوعية واظهار استعدادهم الانساني في استثمار الأرض واظهار أسرار الكون فأعني بالاجتماع ما هو أوسع من اجتماع الزوجين الذي يشاركهم فيه سائر أنواع الحيوان ومن اجتماع النحل والنمل وتعاون أفرادها على ما به حفظ حياة نوعيهما فالحياة الزوجية ليست خاصة بالانسان ولا الحياة الأهلية (العائلية) فمن كان لا يشعر بفائدة لنفسه الا أنه يعمل لياكل ويطعم من يعول من أهل وولد فحياته ان كانت أوسع من حياة الطير فهي لا تصل الى مرتبة بعض الذباب والحشرات (النحل والنمل) فان لهذين النوعين من التعاون على الأعمال المشتركة ما تقصر عنه همة كثير من الناس فما أحقر من يرى وجوده أضيق من وجود الذباب والحشرات

لا تفاوت بين أفراد نوع من أنواع المخلوقات تعلمه كالتفاوت بين أفراد البشر يتسع وجود زيد منهم فيملاً الآفاق ، ويضيق وجود عمرو حتى يضيق به قفص جسمه، يشعر ذاك بروحه الكبيرة أنه خلق لينهض بأمة كبيرة أو ليفيد جميع الأمم، ويحار هذا في خدمة جسده، ويرى نفسه عاجزة عن تغذيته وتوفير لذته، فإذا زدوج فصار له بيت كان همه أكبر، لأنه أعجز عن سياسته وأصغر، وبين هذين

الطرفين سواد عظيم لكل منهم سهم من سعة الوجود على قدر قوة الانسانية فيه وضعفها فاذا كثر أصحاب السهام العظيمة في أمة من الأمم اتسع وجودها ببسط سلطاتها على الأمم التي قلت سهامها وخف بها ميزانها فينقبض وجود هذه بمقدار اتساع وجود تلك فاما أن تعتبر فيخرج أفرادها من مضيق الحياة الشخصية الجسدية الى مجبوحة الحياة الاجتماعية حتى يتقلص ظل غيرهم عنهم واما أن يكونوا غذاء للغالب لا بقاء لهم الا باستبقائه اياهم لحاجته وقد ينكش وجودهم ويتقلص حتى يضمحل ويفنى كأن لم يكن شيئاً مذكوراً

أين المصريون الأقدمون، أين الكلدانيون والآشوريون والبابليون، أين الرومان والفرس الأولون، أين هنود أمريكا المريقون،؟ منهم من اندغم وجوده في وجود آخر أوسع منه وأقوى، ومنهم من انقرض وجوده فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا، سنة الله في التكوين والتمكين، «ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»، الذين يتقون أسباب الفساد والزوال، ويصلحون في الأرض بالأحكام والأعمال، «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ»

قلنا ان وجود الشخص الواحد يتسع ويضيق بمقدار معنى الانسانية في روحه قوة وضعفاً، وان وجود الأمة ينبسط وينقبض بحسب كثرة أصحاب السهام العظيمة من سعة الوجود فيها، فهذا هو معنى الحياة المزيّنة في الأفراد وفي الأمم فكمال الشخص انما هو في كونه يعمل للأمة التي يعتز بعزتها، ويهون بهوانها وضعفها، وكمال الأمة انما هو في حفظ ما به كانت أمة وبسطه بجمل وجود غيرها تابعاً لوجودها ما به تكون الأمة أمة معنى يوجد في كل فرد من أفرادها يربط بعضهم ببعض حتى يكون الجمع الكثير به واحداً وقديماً عنه بالجنسية وهو النسب والبيئة أو الوطن واللغة والدين والحكومة وأنت ترى أن بعض هذه المعاني أوسع من بعض فأول اجتماع كان بين البشر يتعاون به أفراد كثيرون على مصلحة الجميع هو اجتماع القبائل البدوية التي تنسب الى أب واحد ثم كانت دائرة الاجتماع تتسع في البشر فتكبر الهمم وتعاو النفوس لشعورها بسعة وجودها وما هي مطالبة به من العمل لحفظ

كون كبير واسع . وكما اتسعت دائرة الاجتماع تتسع منها فائدة البشر فبعد أن كان امتياز القبائل والشعوب لأجل التماكر والتغابن ، صار باتساع ذلك المعنى لأجل التعارف والتعاون ، كما قال تعالى « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »

إذا كانت الجنسية في الأمة هي النسب كانت بسطتها في الوجود بطيئة . كذلك الوطن إذا كان بلداً محدودة كمصر أو الشام أو العراق . وليس نشر اللغة وجعلها جنسية بالامر السهل ومثلها الدين إذا كان خاصاً كاليهودية . وأما الحكومة فهي أوسع من جميع ما ذكر و بها تكونت الأمم الكبرى كإمبراطورية الإسكندر والإمبراطورية الرومانية في الزمن الماضي وكالسلطنة العثمانية والحكومات الاستعمارية في هذا الزمان . ولكن الجنسية في الحكومة لا تعد جنسية حقيقية إلا إذا كانت الشريعة أو القوانين التي يحكم بها الرعايا المختلفون في النسب والوطن واللغة والدين مبنية على قواعد العدل والمساواة بينهم وكان القائمون بها من لفيفهم لا من طائفة معينة منهم . على أن هذا الشرط الأخير إنما تشترطه الطوائف والشعوب الراقية في معارج الاجتماع دون سواها وإن من الشعوب ما يغلب فيها الشعور بأنها خلقت لتكون محكومة من القرباء وأن جنسها لا يصلح للأحكام .

يكون اتساع محيط الجنسية نافعا للبشر ما قصد بها تكثير سواد أهلها ومشاركة كل من يدخل فيهم لهم في جملة مزاياهم . ومتى قصد الشعب الاستئثار بالمنافع دون من يمتد وجوده اليهم وينبسط نفوذه فيهم كان آفة على سائر الشعوب لا يهدل فيهم ولا يمكنهم من الارتقاء في معارج الكمال الانساني فسنة الله في كمال الشعوب والامم ونقصها كسنته في الأفراد نقص كل منها بالأثرة والغلو في حب الذات حتى لا يتحرك حركة المنفعة ذاته وكمال كل منها بالقصد الى نفع غيره وايصال الخير اليه وجعل المنفعة الذاتية تابعة للمنفعة العامة

فالنتيجة لما تقدم من القواعد أن أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجماعات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة بأن يقصد بها الخير للجميع والمساواة بينهم في الحقوق وتمكينهم من الرقي الى ما أعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعي . وإنما الجنسية يتحسر عليها نوابغ

الحكام وهي موجودة في الملة الإسلامية وإن كان المسلمون من أبعد الناس عنها فهذه الملة هي التي عرفها كتابها العزيز بقوله : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » : الملة الإسلامية تساوي بين المختلفين في الأنساب والأوطان والأديان وتسمح لمن يدخل في حكمها وهو على دينه أن ينشئ في بلادها محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته فلا تارمه بأحكامها الزاماً فإن هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه وبين أقرب الناس من بنيتها وأعلى أفرادها مكانة فيها . فهي تدعو جميع البشر إلى التعارف والتآلف في ظل حمايتها وأنه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شيء إلا محاولة إزالته أو إزالة فائدته للناس وهي دفع الشر والأذى عنهم وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم في أديانهم وأعمالهم التي لا تضر سواهم . هذا ما تبذله لكل من قبل حمايتها ، واستظل برايتها ، ثم إنها تختص من قبل هدايتها في الدين بأخوة روحية ، أخص من هذه الأخوة الإنسانية ، لأنه يشارك أهلها فيها يؤهلهم لسعادة الحياة الأخرى ، فهو أقرب إليهم بالروح ممن لا يشار إليهم إلا في سعادة الحياة الدنيا ،

هذه الجنسية هي نهاية ما يمكن وضعه لسعادة البشر كلهم في هذه الحياة ولكن الناس لما استعدوا لها تمام الاستعداد لذلك لم يرعوها حق رعايتها ونسقد أن يسعدون إليها في يوم من الأيام . تقول يهودون إليها عوداً ، دون يقصدون إليها قصداً ، لأنها قد وجدت في الجملة مدة قليلة على عهد الخلفاء الراشدين فرقص لها العالم الإنساني وأقبلت عليها شمو به أيما إقبال ثم طفق نورها ينخبو بما أفسد فيها الأمويون ومن بعدهم ولكنه كان على ضعفه أفضل عند جميع الأمم من كل ماعداه لذلك كان يخرجهم باختيارهم من جنسياتهم إخراجاً ، فيدينون لها شمو باً ويدخلون فيها أفواجا ،

كانت حكومة الخلفاء الراشدين حكومة عسكرية لأن الدعوة لم تكن أمنت ، والسلطة لم تكن استقرت ، وكانت على ذلك حكومة عادلة رحيمة فضلتها كل من ذاق حلاوتها على ماعهد من قومه . وكانت حكومة الأمويين في الشرق والغرب وحكومة العباسيين في الشرق الإسلامية أي أكثر الفروع دون الأصول وأعني بالأصول قواعد

الحكومة الأساسية كانتخاب الحاكم العام وإلزام الأمة بالشورى واتباع الشريعة وكانت على ذلك أفضل من جميع الحكومات التي عرفها الناس قبل الراشدين . ولو وجدت الحكومة الإسلامية على حقيقتها في دولة آمنة مطمئنة لاختارها كل من عرفها من الرافقين ، حتى تكون ملاذ البشر أجمعين ،

سيقول الجاهلون بحقيقة الإسلام ان هذا من غلو المسلم المدعن وياتون على ذلك ببعض الاعمال والتقاليد التي انتقدت على المسلمين واتي لعل علم بشبهاتهم لكثرة ما بلوت من أمثالهم وما كشف تلك الشبهات على بعير ولكن القول قلما يقنع الجاهل لاسيما اذا كان متعصباً لرأيه ، غير محيطة بتفصيل ما عند خصمه ، لست أعجب ممن نشأ في دين يعادي الإسلام اذا هو أنكر مزايا الإسلام الظاهرة ، وأصوله الواضحة ، بله المزايا التي فقدت من المسلمين ، فلا أثر لها الا في ثنايا آيات الكتاب المبين ، انما عجيبي ممن نشأ في المسلمين وهو منهم ثم هو يجهل مكان الجنسية الإسلامية الواسعة العامة لجميع الشعوب والطوائف ، الشاملة لجميع الخيرات والموارف ، فيدعو الى جنسية الوطن كبعض أحداث المصريين أو جنسية اللغة والنسب كبعض جهلة الترك . فمثل هؤلاء كمثل من يهلم مصرا ويبنى قصرا ، بل هم أضيق وجودا وأضعف فكرا ،

يعذر في مثل هذه الدعوة القبطي في مصر والأرمني في بلاد الترك والاسرائيلي في فلسطين لأن السلطة في أيدي غيرهم فليهم الحق في أن يطلبوا مساواتهم بسائر أبناء بلادهم . على أن وجود هذه الطوائف القليلة العدد أوسع من وجود دعاة الوطنية والجنسية فانهم يطمعون في الاستقلال ببلاد أكثرها لغتهم فهم يطلبون سمعة وامتدادا ، ودعاة الوطنية والجنسية منا ينفون ضيقاً وتقليصاً

لولا جنسية النسب لما تمزقت السلطة الإسلامية في ريعان شبابها فكانت عباسية في الشرق أموية في الغرب فاطمية في الوسط والشريعة واحدة والملة واحدة ولما كان بين ذلك من ملوك الطوائف ما كان . لولا جنسية اللغة والوطن لما تفرق المسلمون بعد ذلك الى دول وممالك كالتركية والفارسية والافغانية وما كان قبلها في الهند من السلطنة التيمورية وغيرها في المشرق وكالبربرية في شمال افريقية

العربي وغير ذلك مما كان في قلب هذه القارة الاسلامية التي استولت عليها أوربا الا قليلا. ولوعقل المسلمون معنى الحياة المالية، لكانوا في هذه الممالك كلها أحسن نظاما ووحدة من الامبراطورية الانكليزية

ان الحياة الوطنية الصحيحة هي جزء من الحياة المالية الاسلامية فاذا حيي المسلمون في قطر ما حياة اسلامية فبشر جميع دعاة الوطنية الصحيحة من أهل المال التي تعيش معهم بجميع ما يطلبون من عدل وحرية ومساواة وتعاون على درء المضار وجلب المنافع وكل ما به تهر البلاد وتزيد خيراتها، وبشر المسلمين منهم بأن سيكونون مركز الجاذبية العامة لجميع الشعوب المسلمة في الارض ثم مشرق المدينة الفضلى لجميع العالمين

يا لله العجب ! ثلاث مئة مليون أي ثلاث مئة ألف ألف من المسلمين قد اكتظ بهم قلب الارض من مرا كش الى الصين ولا تجد لهم قوة ولا سلطة عزيزة لا يعبث باستقلالها عايت، ولا يلمس شرفها لامس، أرأيت لو كان لهم حياة مالية، تشعرهم بحقيقة الأخوة الاسلامية، أما كان يعتز بعضهم ببعض ويعد بعضهم بعضاً ولو امداداً مضيئاً؟ أكان يسهل على الناقم من شعب من شعوبهم أن ينتقم منه بغياً وعدواناً وهو يعلم أن قلب الارض يخفق للعدوان عليه خفقاناً لا يستهان به؟

ما هو المرض الذي أضف في المسلمين هذه الحياة المالية العليا؟ هو عصبية الجنس واللغة والوطن وهي العصبية التي حاول الاسلام القضاء عليها فلما غير الملوك شكل حكومته الى ضدها تمكنوا من محاربتة بجنسياتهم فما أفسد علينا ديننا ودينانا الا الملوك المستبدون وأعوانهم من علماء سوء وتلك سنة قدخلت في كل أمة قال فيها الشاعر

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

هل من سبيل الى اضعاف هذه النزعة الجنسية الخبيثة وإمالة هذه النزعة الوطنية الحققاء من طريق الحياة المالية الاسلامية واشعار المسلمين في جميع الأقطار بحقيقة الرابطة التي تضم بعضهم الى بعض اشعاراً بملك الوجدان وتصدر عنه

الأعمال التي توثق هذه الرابطة وتؤكد ما فيها من حقيقة الأخوة مع بقاء كل قوم منهم في بلادهم وتعاونهم مع سائر أهلها على عمارتها بالعدل والاحسان والتواضع والاخلاص؟ السبيل واضحة وهي جبل الله المتين وسراج المنير ولكن السياسة والجهل عقبتان كوثان من دونها يصدان السالك عن المضي فيها ولا يذلل العقبات إلا هم الرجال فأين الرجال؟

السياسة المانعة من حياة المسلمين المالية نوعان سياسة أجنبية وسياسة مسلمية وإن أهل البصيرة من المسلمين لم يخالف في أيهما أشد وطأة فالذين يحكمهم الأجانب يعتقدون أن حكاهم أعداء دينهم فهم وحدهم العقبة في طريق رقيهم في هذه الحياة . والذين يحكمهم المسلمون يعلمون أن حكاهم بجهلهم وبماتيتهم وتبلم من عشق الاستبداد والسلطة المطلقة التي لا تكون إلا الله هم العقبة الكبرى في طريق الحياة المالية بالاعتصام بجبل الله المتين، والاهتداء بكتابه المبين، والجمع بذلك بين مصالح الدنيا والدين ،

ومن عرف الحكومتين ، وعجم عودي السياستين ، فهو أعلم بالحق ، وأجدر ببيان الفرق ،

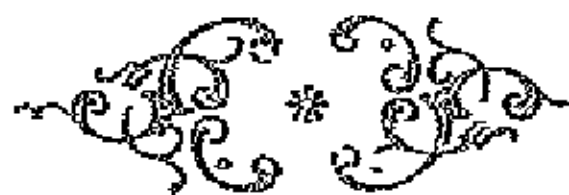
الأجانب الحاكمون في بلاد المسلمين منهم القاسي الخائف ك هولندا وفرنسا ومنهم اللين المتساهل كإنكلترا ولم يبلغ أشدها جوراً ومنعاً للمسلمين من التعليم والترقية أن يحجب عنهم من كتب العلم والترقية ما تحرمه عليهم بعض الحكومات الإسلامية أو المسلمية ولكن محبي الإصلاح من المسلمين يرجون أن يفلحوا حكوماتهم ويلزموها بالعدل والمساواة وترقية العلوم والعقول وحرية الاجتماع للخير ويرون الأجانب عقبة في طريقهم فإن إكراه الحكام على ترك الاستبداد لا تتمكن منه الأمة المستعدة له إلا بثورة داخلية والمسلمون يعتقدون أن الأجانب يتر بصون بهم الدوائر فإذا هم ثاروا على حكومة من حكوماتهم المستبدة اغتصم الأجانب هذه الفرصة فأوقعوا بالدولة وقضوا عليها فالأجانب عقبة في طريق المسلمين أينما ساروا وتوجهوا لافرق بين بلادهم المستقلة وبلادهم المستعمرة . وهذا هو السبب في مقت عامية المسلمين اسكل من يتكلم في عيوب الدولة العثمانية ولو كان صادقاً قاصداً للإصلاح قائمهم

في الغالب يعتقدون ان اظهار عيوبها عون للاجانب عليها وقد يكونون مخطئين في اعتقادهم هذا وأنى لنا بالرجال العارفين الذين يكشفون للعامة عن وجه الصواب فيعرفونه معرفة اذعان ؟

المرشدون الرسميون فينا جاهلون بشؤوننا وسياستنا وعون للحكام كيفما كانوا لأن لهم سماً من سلطتهم وأصحاب الجرائد منا لا هم لأكثرهم الا الازدلاف الى الحكام ، والمخطوة عند الموام ، على أنهم لا حرية لهم في بلادنا المستقلة تمام الاستقلال ، ولو كانت هناك حرية لوجد من يفيد لاسيما في البلاد العثمانية فان البلاد لم تخل من العقلاء المخلصين .

هذا شأن السياسة في صدححي الاصلاح الحقيقي عن السعي اليه في طريقة وأما الجهل فلا حاجة الى بيان وجهه القبيح فان ضرره ما لا ينكره أحد في جملة ولا يتسع هذا المقال لتفصيله ،

لا نياس من روح الله ولا تقنط من رحمته فان حوادث الزمان تعمل لنا مالا نعمل لأفئسنا ، ورب عدوان علينا لأجل إيمانتنا ، يكون سبباً من أسباب حياتنا ، بينا في الجزء الماضي ان الحرب الروسية العثمانية قد أحدثت في المسلمين هزة حيوية كما قال حكيمنا رحمه الله وقد رأينا أثر هذه الهزة في هذا الشهر عند ما علم المسلمون بتهديد أوروبا للدولة العلية واحتلال أسطولها المختلطة لجزيرة (مدالي) لمل الدولة على تمكينهم من ادارة الولايات المكدونية حتى ان بعض فضلاء المسلمين في الهند (هو القاضي أمير علي الشهير) كتب الى التيمس أشهر الجرائد الانكليزية يبين سوء تأثير عمل أوروبا في نفوس المسلمين كافة وينذر بسوء العاقبة . على أن الشدائد والبلايا إنما تكون محيية اذا عرفت الأمة كيف تستفيد منها فلندع لها أثرها وفعالها الطبيعي ولنبحث فيما يجب علينا أن نعمله لحياتنا المالية ، وكيف نجتنب مكافحة السياسة ومنازعة الجمل وهو ما نبينه في مقال آخر



بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

الدعوة الى الاسلام

الدعوة حياة الاديان والمذاهب والجمعيات وغيرها من الأمور العامة التي يراد تكثير سواد أهلها فبالدعوة ينتشر الباطل ويظهر، وبترك الدعوة ينطوي الحق ويخفى، وأشد أهل الأديان عناية بالدعوة إلى دينهم النصارى فقامن مذهب من مذاهبهم المشهورة إلا وله دعاة في جميع الأقطار تنفق عليها الجمعيات الدينية مما تجمعهم من أغنيائها ودول أوربا تحميهم أينما كانوا، ويتبعهم سلطانها أينما تمكنوا، ولم أر كالمسلمين إهمالا للدعوة . ولولا أن الاسلام هو دين الفطرة الموافق للمصالح المطابق للعقول لارتد عنه في هذا الزمان أكثر المنتسبين إليه من العوام الجاهلين الذين لا يسمعون كلمة هداية، ولا يجدون في كثير من الاقطار عزة حمية، ولو أن المسلمين يهنون بالدعوة إليه لدخل الناس فيه كل يوم أفواجا كما كان في أول نشأته، أيام نشر دعوته، ومن أعجب أمر هذا الدين المتين انه ينمو بنفسه، ويجذب الناس إليه بطبعه، « هذا وما كيف لو »

وانه ليسرنا أن نرى نفوس المسلمين الذين أيقظتهم حوادث الزمان قد توجهت إلى احياء الدعوة الاسلامية وكثر الحديث فيه بينهم، حيث يجدون حرية في دينهم، كبلاد مصر وبلاد الهند . أما هذه البلاد فقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى عازما على إعداد فرقة من طلاب الأزهر للدعوة يتعلمون ما ينبغي لها في هذا العصر من العلوم والفنون التي يتمكنون بها من اقناع أصناف المدعوين، وكشف شبهات المنكرين، ولكن ما أحدثه أعداء الإصلاح من الشغب والمقاومة حالت دون ما كان يريد لعل مراده الشيخ شاكر يوفق إلى ذلك في الاسكندرية اذا استقام على ما عهد به إليه، وإن كان يعوزه ما كان المرحوم أقدر عليه، وأما مسلمو الهند فقد انتقل الأمر فيهم من طور الفكر أو التمني إلى طور العمل

والدعوة . وهالك ما جاء في العدد الاخير من جريدة الرياض الهندية التي تصدر بالعربية والأوردية المؤرخ في ٢٥ رمضان الماضي قال

﴿ دعوة الاسلام في السند ﴾

مضت بضعة أشهر على إعلان الجرائد الآريوية (فرقة حديثة من هندو الوثنيين) أنه دخل في دين الوثنية عائلة اسلامية تحتوي ٥٦ نسمة تسكن بلدة لركانه (بليدة في السند) وأظهروا عليه فرحاً شديداً وحسبوا أن هذا هو الخسران المين للاسلام والمسلمين والفوز العظيم لهم وشاع هذا الخبر أسرع من البرق في جميع أقطار الهند وأثر تأثيراً سيئاً في المسلمين وحزنوا حزناً شديداً فمنهم من يكذب هذا الخبر ومنهم من يتمجب منه غاية العجب ويقول من ذا الذي يعبد الله الواحد الأحد الصمد القدير الذي خلق الأرض والسماء ثم يتبع من اتخذ إلهه هواه وكيف يعبد أصناماً حجيرية لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ان هذا شيء عجاب—

ومنهم من يشدد النكير على علمائنا الكرام بأنهم لا يسمعون في تسكين قلوب ضغناء المقول من المسلمين ولا ينفعون بنصائحهم جميع الأنام بل يقصرون مواعظهم ونصائحهم على الذين يتبعونهم ويحسنون الظن بهم ولا يقدمون على اظهار الشك في أقوالهم ويحبون ان لا يسمعوا غير «سمعنا وأطعنا» قولاً آخر— بل ينهزون الذي يعترض عليهم بالالقباب وبش الخطاب—

فمن الذين أنكروا هذا الخبر وكذبوه أصحاب الجرائد وأعضاء اللجان الاسلامية— فأصحاب الجرائد التمسوا في جرائدهم من المسلمين الذين يسكنون في لركانه وحواليها أن يكتبوهم بأحوالهم

وأعضاء اللجان عزموا الى ارسال الواعظين الى لركانه ليصدقوا هذا الخبر ويعطوا المسلمين المردددين الذين يشكون في الاسلام— فوصل المولوي محمد ابراهيم ومولوي نبي بخش مندوين من بعض اللجان الى لركانه وكتبوا وكتب بعض المسلمين منها أنه كانت في لركانه عائلة صغيرة من الهند وكانوا هم وأباؤهم وأجدادهم هندية يعبدون الأوثان ويحرقون أموالهم ويعتقدون بالعقائد التي يعتقدونها سائر الهنود الوثنيين الا أن جد هم بدلداس صار موظفاً في ديوان السادات أمراء لركانه

واختار مراسم المسلمين كما يختار أكثر الهنود مراسم الهزاء بسيدنا الامام الحسين بن علي رضي الله عنه وبنون في المحرم تماثيل مقابرهم ويلبسون اثياب الخضراء ويجمعون الاشتراكات لهذه التماثيل ويقولون انهم فقراء الامام وينذرون لها ندوراً كما يفعل المسلمون الجاهلون في شهر المحرم ومن الهنود من لقب بالألقاب الاسلامية كمرزا تفته وغير ذلك فهكذا هذه العائلة قد اختارت رسوم جهال المسلمين استرضاء لمواليهم المسلمين واشتهروا بالاشيوخ واستمروا عليه حيناً من الدهر الا انهم لم يؤمنوا ولم يدخلوا في حوزة الاسلام قط وكانوا يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويرسلون نبذاً من الشعور على رؤوسهم ويستعملون الزناير ويسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء المشركين ويتبعون أهل الشرك في عقائدهم وتفردوا بهذا أو بسبب آخر من أقوامهم فسعت الآرية في انضمامهم الى فئتهم فجازوا بذلك وأظهروا في جرائدهم انهم كانوا من المسلمين

أما العالمان العاملان المذكوران فصما عزمهما على دعوة الاسلام وتبليغه الى الذين لا يعرفون محاسن الاسلام واحياء سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم التي تركها العلماء منذ قرون عديدة فانه صلى الله عليه وسلم كان يذهب تارة الى عكاظ وتارة الى الطائف وتارة يضع مأدبة لتقرish وبلغهم آيات الله ويحثهم على طاعة الله ويهديهم الى سواء السبيل ويهضمهم في الجامع العامة التي تشتمل على طوائف الناس من المؤمنين والمشركين —

وعلماء هذا الزمان مارعوا هذه السنة حق رعايتها بل حصر واماوعظهم ونصائحهم في المساجد حيث لا يحضر الا من يصلي ولا يصل وعظهم الى المسلمين الذين غرقوا في بحار المناهي والمناكر ولا يصل نداء وعظهم الى من لا يؤمن بالله واليوم الآخر — الا أن هذين العالمين قد أحيا هذه السنة وعملا عليها عملاً حسناً فعمما مواعظهما وجددا عزمهما الى هداية الذين لا يدينون دين الحق وشرعافي الذهاب الى القرى والبلاد وأنتجت مساعيها نتائج حسنة فاعتنق الدين الاسلامي في أسبوع واحد أربع مائة من الرجال والنساء والصبيان وما زال عدد التاركين الوثنية الداخلين في الاسلام يزداد يوماً فيوماً في هذه الاقطار الى أن بلغ عدد من

أسلم ٨٥٧ نسمة والعلمان المتورعان مجتهدان في دعوة الاسلام وكل يوم نتظر أن تصل
الينا بشارة جديدة. يفرح بها المسلمون فرحاً -

يا معشر المسلمين أفلا تنظرون بهين الناقد البصير الى أعمال علمائكم كيف
نجمت مساعيهم في برهة من الزمان فها هذا الا نتيجة احيائهم سنة من سنن الرسول
صلى الله عليه وسلم فان اختار علماءنا الكرام هذه الخطة التي عمل بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم مدة عمره الشريف رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا -
فعليكم أيها المؤمنون أن تحسبوها تجربة حسنة وتبنوا عليها بناء جيداً فان
ارتقاء القوم لما كان يتوقف على تعليم العلوم والصنائع والتجارة وكثرة العدد والعدد
عقدتم لتعليم العلوم والصنائع جمعيات عديدة فالاجدر أن تقيموا الدعوة الاسلام
جمعية أيضاً يشترك فيه المسلمون كلهم واجتهدوا في نشر الاسلام حق الاجتهاد
وانظروا الى معاصريكم من المسيحيين كيف يجتهدون في اشاعة المسيحية وكيف
يصرفون عليها قناطير الذهب والفضة كل سنة كما يظهر من رسالة مكاتبنا المكرم
التي أدرجناها

وانظروا الى اخوانكم الآرية كيف يجتهد كل واحد منهم في اشاعة مذهبهم
الكثير حزبهم مع أن معتقداتهم مخالفة للعقل السليم ولا تقاوم الادلة الفلسفية
كعدد الآلهة ومسئلة التناسخ وعبادة آلات التناسل وغير ذلك من العقائد الباطلة
وشائنة ولكنهم يجتهدون في تكثير أفراد هذه المذاهب ويفوزون فوزاً تاماً
حتى انه لم يبق قرية أو بلدة من الهند الا ويوجد فيه عدد من هذه الفرقة الحديثة التي
بنت منذ خمس وعشرين سنة

أما دينكم فمطابق لفطرة الله التي فطر الناس عليها وأصوله موافقة للعقل
والحكمة والفلسفة فوجهوا وجهكم الى هذا الأمر الجليل والتفتوا اليه أجل التفات
واعقدوا الجمعية جديدة أو خثوا احدى الجمعيات الموجودة عليه لتعمل فيه بالنظام المتين
والتدبير المستقيم المستقل وتديم الجهد عليه فالقوز والنجاح بين أيديكم لا ريب فيها
ان العالمين المذكورين قد قرعوا هذا الباب وفتحاه لكم وقدما نتائج
مساعيها الحسنة اليكم ليكون لكم درساً مفيداً - فعليكم أن تنصروها وتدبروا تدابير

حسنة لاستمرار الاعمال التي شرعنا فيها -

يامعشر المسلمين اتنبهوا من هذه الغفلة وجددوا عزائمكم وقوا قلوبكم وصمموا نياتكم وقوموا لاجياء قومكم واشاعة دينكم وتكثير حزبكم لتكونوا من المسلمين الصادقين الذين يفاخر بكم نبيكم الامم لكثرة عددكم وقوة عددكم وجهادكم بأموالكم وأنفسكم وأقلامكم وأقدامكم واسمعوا بالاخلاص في اعلاء كلمة الله ونشر شعائر الله وافشاء أحكام الله واتقوا واجتمعوا ولا تفرقوا فان يد الله مع الجماعة .» اهـ بنصه مع تصحيح بعض الكلمات

﴿ الدعوة الى الاسلام في اليابان ﴾

كانت الجرائد رددت صدى مانشر في مجلة (شوكيا) اليابانية عن تصدي حسان المسلم الصيني لدعوة قومها الى الاسلام بتأليف كتاب نشره في تلك البلاد ثم نقل بعضها عن الجزء الصادر من تلك المجلة في أول سبتمبر الماضي شيئاً عن بحث لجنة الأديان اليابانية في ذلك الكتاب وملخصه أن رئيسها كلف المستر كوروما دراسة قسم العبادات من الكتاب والمستر جورافوش دراسة قسم المعاملات والمسترايوا داوا دراسة قسم العقوبات مع اشتراك الجميع في المسائل المريضة من كل قسم . وكتب الى المستر حسان يدعو الى اليابان لماذا كثرته في مسائل كتابه فلي وتلقته اللجنة بالحفاوة والاكرام وكان يحضر اجتماعهم . ولما دارت المناقشة في كلمة « لا إله الا الله » قاعدة التوحيد أورد المستر كوروما كل ما في خياله من الادلة النظرية لاثبات تعدد الآلهة ولكن رفيقيه مالا الى رأي المستر حسان . ومن رأي اللجنة أن تنشر كل ما تراه صحيحاً من المسائل الاسلامية بعد الاتفاق عليه في الجرائد في صحف خاصة توزع على العامة : وانا نخشى أن يعجز أخونا حسان عن اقناع القوم ببعض المسائل لتمسكه فيها بمذهب معين فان الذي نعرفه عن مسلمي الصين أنهم قلما يعرفون من الاسلام غير مذهب الحنفية . ونود أن يستحضر لنا بعض أهل النيرة هذه المجلة وما عساه يطبع في المناظرة ويترجمه ليتسنى لنا مشاركتهم في بحثهم نحن ومن يهمه ذلك من العلماء ونكتب اليهم ما نراه مقنعاً لهم ان شاء الله تعالى

﴿مسألة مكذوبة وتأثيرها في المسلمين﴾

اتفقت النمسا وروسيا وانكلترا وفرنسا وإيطاليا على إرسال أسطول مؤلف من سفن لتهديد الدولة العلية وإلزام السلطان بأجابة ما يطلبن من المراقبة المالية الأوربية في تلك الولايات وقد احتل الأسطول المتحد جزيرة مدالي وأصر السلطان على رفض طلبهن كما قلنا في الجزء الماضي

وكان من بعض أجوبته لسفرائهن أنه لا يقدر على احتمال ضغط المسلمين في هذه الحادثة أو ما هذا معناه ففسرت شركة روتر في برقياتها هذه الكلمة بأن السلطان يهدد أوربا أو النصارى بالحرب الدينية وقيام المسلمين عامة على النصارى وأن السفراء فهموا هذا منه وأن سفير الانكليز قال أنه هو المسؤول عن كل ما ينجم من الاعتداء على رعية دولته والسلطان لم يقصد شيئاً مما زعموا وإنما أراد أن يبين لهم عذره في رفض طلب الدول وهو أن المسلمين يسخطون عليه ويقولون أنه هو الذي أضاع بلاد الدولة

قال روتر كلمته وطيرها بالبرق الى مصر وغيرها فأحدثت في النفوس اضطراباً عظيماً فكثير حديث الناس في المسألة حتى النساء وانتشر الخبر في العامة انتشاراً عظيماً وتوقع الأجنب حدوث فتنة عظيمة إذا تمادى الخلاف بين الدول المتحدة وتركيا المنفردة وأنشأت الجرائد تبين ضرر الصدوان وفوائد الصفاء والاتفاق. ولكن لم يطل والله الحمد أمد الاضطراب والاشفاق على الدولة من عدوان أوربا فلم نلبث أن أنبأنا البرقيات بأن الباب العالي اتفق مع الدول على قبول المراقبة بعد تعديل وتخوير فيها فسكنت النفوس مرة واحدة واطمأنات القلوب وسكنت الجرائد عن الخوض في المسألة ووعظ الناس بوجوب السكينة لولا ما حدث في الاسكندرية

حدث في الاسكندرية أن بعض رعاع اليونانيين أطلق الرصاص على آخر فأصاب رجلاً مسلماً فانتصر المسلم بعض العامة ولليوناني من حضر من قومه فانتشرت الفتنة وظن بعض القوغاء من أحداث المسلمين أن ما يتحدث به الناس من الحرب الدينية قد وقع فتألبوا وكثر جمعهم وصاروا يصيحون في الشوارع الحرب الدينية ويضربون من يلقون من اليونانيين وغيرهم فجرح خلق كثير وعجز رجال

الشحنة عن قل الجموع وحفظ الأمن فأمر محافظ الاسكندرية بأن يجاء بمطافئ
الحريق فيرش منها الماء في المحشر ففرق الماء تلك الجموع من حيث لم يضر أحدا
منهم ونعم الرأي رأي المحافظ

وقد اتفقت الجرائد العربية والافرنجية على أن الذنب في الحادثة لشرار
اليونان لا للمصريين وروى بعضها أن قنصل اليونان نفى طائفة منهم بالاتفاق
مع الحكومة . وقد قبض على جماعة من المشاغبين لأجل محاكمتهم ويقال ان
الحكومة ستعاملهم بالقسوة وتعاقبهم أشد العقاب عبرة لهم ولأمثالهم
وروت الجرائد أيضاً أن محافظ الاسكندرية أمر الخطباء والوعاظ بأن ينصحوا
للناس بموادة النصارى وغيرهم من المخالفين لهم في الدين ليعلم الجاهلون أن الدين
يأمر بالعدل والإحسان لا بالظلم والعدوان . وقدرت البرقيات والجرائد الأوربية
أن السلطان أمر خطباء الاستانة ووعاظها بمثل هذا . وينكر بعض الناس مثل هذا محتجاً
بأن أهل الاستانة لم يعرفوا من الخلاف بين الدولة العلية والدول ما يعرفه الآريون
والمصريون وان مثل هذا الوعظ قد يضر ولا ينفع لأنه يذب النفوس الى ما كانت
غافلة عنه ولا تفينا هذه الآراء وما كان للمنار ان يذكر الحوادث الا لبيان العبرة فيها
العبرة في هذه الحادثة من وجوه (أحدها) أن لعامة المسلمين غيرة على دينهم
وعلى سلطتهم وحظاً مآمن الشعور بالحياة المليّة العامة ولكن ليس لهم زعماء يخدمون
هذا الاستعداد ، ويستخدمونه بما ينفع الأمة والبلاد (ثانيها) ان هؤلاء العوام
لجهلهم بدينهم عرضة لمخالفته بقصد الاهتداء بهدايته حتى يسهل دفعهم الى الفتن ،
وايقاعهم في مزالق المحن ، ولا علاج لهذا الجهل الا التعليم الديني النافع والتربية
الاسلامية القويمة ، واذا كانت الحكومة تظن أن القسوة في عقاب المذنبين في
حادثة الاسكندرية تكون تربية لساير العوام ورادعا لهم عن الوقوع في مثل ما وقع
فيه المعاقبون فظننا هذا اثم فان العوام لا يندفعون بالفكر والقياس بل بالوجدان
والإحساس ، فاذا حدث في وقت آخر ما يحرك احساسهم للشر ، فانهم لا يتذكرون
ما سبق للمذنبين من العقوبة والضرر ، فعلى الحكومة المصرية أن تعنى بتعميم التعليم
الديني ما استطاعت (ثالثها) ان شرار الأجانب باعتمادهم على الوطنيين

واعترازهم بحماية حكوماتهم لهم من العدل يحفظون القلوب عليهم ويملاًونها حقدا وضغناً فاذا جاءت أحداث الزمان بالفرصة للتشفي والانتقام، ومقابلة المدوان بالعدوان، كان من ظلم الحكومة أن تنكل برعيها اذا قدرت، ومن البلية عليها وعلى البلاد ان عجزت، (رابعها) ان بعض الاجانب ينهزون هذه الحركة بلقب انتعصب الديني الذي هو عندهم من الالقب الممقوتة ولو أنصفوا لعرفوا أن كل حركة ضدهم فهم سببها سواء كانت دينية أو دنيوية (خامسها) ان جميع الاجانب يقتنون السلاح ويتعلمون استعماله ويقل في الوطنيين من يقتنيه أو يحسن استعماله والحكومة المصرية تشدد على رعيها في اتخاذه وذلك مما يحفظ قلوبهم على الاجانب اذ يعتقدون أنهم يستعدون للايقاع بهم ومن مصلحتها أن تقرب القلوب بعضها من بعض بالمساواة وهذا يتوقف على رضا دول أوربا فلعلمن يفكرن في ذلك وعلى ذكر السلاح نقول ان الحكومة العثمانية في سوريا قد اتقنت التشديد على العلم ومنع الكذب والجرائد خوفاً من حركة الفكر ولكنها لم نتقن منع السلاح فلا يكاد يوجد أحد في بيروت ولا لبنان لا يتخذ بندق مرتين وغيرها من المدى والمسدسات وبكثر السلاح أيضاً في سائر البلاد وسيم قنسال الله أن يقيها الفتن، ما ظهر منها وما بطن

أبناء الأزهر - الشيخ أحمد الرفاعي

هذا الشيخ هو أول من تجرأ على الجهر بمعارضة الإصلاح في الأزهر باسم الانتصار للدين ودعا الشيوخ الى ذلك فأجاب دعوته كثيرون لا الا كثرون. وقد كان من عاقبة أمره ما عرفه الناس هنا وخاضت فيه الجرائد وهذا ما نشرته جريدة اللواء (في ع ٨٧٧ الصادر في ١٨ رمضان الماضي)

«من المسائل التي يجب علينا نحن معشر الوطنيين النظر فيها وتلافيها قبل أن ينهبنا اليها الغير تلك الحالة المكذرة التي وقعت من الشيخ أحمد الرفاعي شيخ المقاري . ومعلوم ان هذا الشيخ نال الخطوة السامية لدى الجنااب العالي الخديوي نداء سنوات وكمن مرة طاف على العلماء بالعرانض لطلب عزل شيخ الجامع والمفتي وكان الكثيرون يتبعونه وكان يقرأ التفسير في القبة اثناء شهر رمضان . وقد

بلغ من تقربه ان سمو الأ مير رشحه لمشيخة الازهر عقب احالة فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ سليم البشري على المعاش

«أما الذي علمناه وعلمه الكثيرون فهو ان الشيخ المذكور لما تبين شيخاً للمقاري أقيم ناظراً على وقف مشروط النظر فيه لمن يكون في وظيفته فكان من تصرفه المخالف للشرع الشريف انه أجر لمخضرة سمعان بك صيدناوي التاجر الشهير في الموسكي قطعة أرض لمدة ستين عاماً بأجرة زهيدة جداً . ولما بلغ هذا الخبر أولياء الأمور فصاوه عن وظيفته من مشيخة المقاري فأصبح غير ناظر على الوقف ثم أبى الجنب العالي قبوله في السراي العامة كما انه لم يدعه للافطار في عابدين مع بقية العلماء وسيجري الشأن بابطال عمل الرجل شرعاً وهذا وان كان يريح البال بعد العلم بهذه الحادثة الا ان الجاري الآن من الغرابة يمكن ذلك ان الشيخ لا يزال مدرساً في الازهر

«وغني عن البيان ان وظيفة التدريس خصوصاً في مدرسة كلية مثل الازهر الشريف هي وظيفة سامية لا تسند الا الى الرجل الشريف الطاهر السمة ولا يليق ان يقول الناس في الخارج على واحد يشغلها . وعندنا أن عالماً حسن السمة خير ألف مرة من عالم أوسع منه علماً يكون سيء السمة غير محمود الذكر لأن مثل هذا يكون مثلاً رديئاً لا يميزه به يعتقد الطلبة ان العلم يسمح لصاحبه بنجرب الذمة « فهل ترضى مشيخة الأزهر أن يهان التدريس الى حد أن يترجع في حلقاته من آتى أمراً مخالفاً للشرعية السمحاء (الصواب السميحة)

فان كان الشيخ قد آتى ما آتى وهو عالم بمخالفته الشرع فهذا يكفي لحرماته من التدريس وان كان أتاه وهو غير عالم بمخالفته فهناك الطامة الكبرى لا سنادا للتدريس لمن لا يعرف نواهي الشرع وان كان أتاه عن ضعف وكبر فهو غير لائق للتدريس . فهل لمشيخة الازهر ان توجه أنظارها الى ذلك صيانة لشرف العلم والمتعلمين . اه (المنار) كان للواء أن يلتبس للشيخ عذراً فيما فعل ولو بالطرق التي يسمونها حيلة شرعية وتقول انه بعد هذا قد أقبل الشيخ الرفاعي من مجلس ادارة الازهر الذي عين عضواً فيه عقب ترك الاستاذ الامام له والذين كانوا يعارضون الاصلاح كلهم مثل هذا الشيخ أو دونه



بؤنى الحكة من يشاء ومن بؤنى الحكة ففءا وتى
غبرا كبرا وما يءلا كرا الا والالباب

الحكة
١٣١٥

بؤنى عباى الذى يسمعون القول ففءون اءنه
اولئك الذى هءاهم الله اولئك هم اولوالباب

(قال عليه الصلاء والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطرىق)

﴿مصر الاربعاء غرة القعدة سنة ١٣٢٣ - ٢٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٥﴾

الحياة المالية بالتربية الاجتماعية

﴿هذا ما وعدنا به في مقالة روابط الجنسية والحياة المالية في الجزء السابق﴾
 ذهب كثيرون من نابتة الترك والمصريين مذاهب الخيال الذي انعكس
 الى أفكارهم مما شهدوا من ظواهر مدنية أوربا فحسبوا أن فلاح كل شعب
 وكل قطر معلول لهة واحدة هي تقليد أوربا بنشر العلوم الرياضية والطبيعية
 ونظام الحكومة والأخذ بعادات أهلها ويستدلون على رأيهم هذا بما كان من
 ارتقاء اليابان في نحو ربع قرن بهذا التقليد ويحسبون هذا برهاناً قاطعاً لا سبيل
 الى المكابرة فيه الا ممن كان أعشى البصيرة جاهلاً بحال هذا العصر وفروا بحال
 قومه في حاضرهم أو ماضيهم وكأنني بمن تعود منهم قراءة الكلام المقول في
 المنار وقد أنكر فاتحة هذا القول وساء ظنه بمن سمى هذه القضية البديهة اليقين
 عنده تخيلاً وحسباناً .

لا تعجلوا بالإنكار عليّ فليست بمنكر فائدة تلك العلوم ولا أقول ان أمة
 تعز وتقوى في هذا العصر مع الجهل بها وبطرق الاستفادة منها وارجعوا الى
 أنفسكم فانتم أعلم بها منكم بأوربا واليابان . انكم قد سبقتم اليابانيين الى هذا
 التقليد فالمصريون منكم قد مرّ على أخذهم بهذا التقليد قرن كامل والترك قد تاهزوا
 ثلاثة أرباع القرن ولم يدرك أحد من الفريقين غبار اليابانيين الذين لا يزيد سنهم
 في المدنية على ربع القرن الا قليلاً . فدولة اليابان قد دوخت في بضع سنين أكبر دولة
 شرقية وأكبر دولة غربية وطققت ثرى الأرض وتستعمر البلاد ، وبلادكم تنقص
 من أطرافها ، ويفتات عليكم فيما بقيت لكم رسومه منها ، فأى أثر لتقليد أوربا
 تحمدون ، وأى فائدة له في أنفسكم تعرفون ،

هل يستطيع المصري أن يقول ان حكومتنا لم تتشكل بشكل الحكومات
 الأوربية فلم يتم لنا التقليد الذي هو علة النجاح ؟ أنى وكل ما عرفته هذه
 البلاد من نظام أوربا ومدنيتها فهو من حكومتها لا من أهالي ولا تزال الحكومة

أرقى من الرعية تسوقها في كل طريق وتقودها بكل زمام . منح الشعب المصري حرية القول والعمل والاجتماع منذ ربع قرن ولم توجد له جريدة ذات مذهب ملي نافع ورأي اجتماعي ثابت ولا مدرسة كلية بل ولا جزئية يهتد بتعليمها وتربيتها تنظر البلاد الى المتخرجين فيها نظر الرجاء بما ترى من امتيازهم على المتخرجين في مدارس الحكومة فمدارس الحكومة وهي في أيدي الأجنبي ترجح على جميع المدارس الأهلية رجحاناً مبنياً ، ولم تؤسس فيها شركات كبيرة للزراعة أو للتجارة أو للصناعة نجحت في عملها ، فكانت موضعاً للثقة بها ، ولم يوجد فيها للمسلمين وهم السواد الأعظم غير جمعية خيرية واحدة لاتزال فقيرة بالنسبة الى الجمعيات الخيرية في أوروبا واليابان على ما قاسى مؤسسوها من العناء والبلاء في سبيلها ولا يزال مجلس ادارتها يمحو من دفاترها في كل سنة أسماء كثير من الأغنياء الذين يشتركون فيها وتبرع عليهم السنون ولا يؤدون اليها ما فرضوه على أنفسهم لإعانة فقرائهم وأكثرهم من المتعلمين علوم أوربا في بلادهم أو في أوربا نفسها .

وأما الترك فقد ملأ طلاب المدنية منهم الآفاق أنينا وشكوى من حكومتهم وطعنًا في سلطانهم وانتي على اعترافي لهم بأنهم في مجموعهم أرقى من المصريين علماء وأخلاقاً وأقوى عزيمة واستقلالاً أقول ما قاله كبير من كبارهم : إننا بطعننا في السلطان وصراخنا بالشكوى من حكومة « الماين » نعتزف للعالم علناً بأننا لسنا أمة اذلو كنا أمة لما قدر رجل واحد على أن يفعل فيما يشاء ويحكم ما يريد ولما عجزنا عن وضع بناء حكومتنا على أساس الشورى الشرعية اتى فرضها ديننا ورأينا نجاح الأمم بها ، فهولاء الخائنون منافى السلطان إنما يهضمون على ذقونهم : يريد هذا التركي الكبير ان الشعب لم يرتق الى المستوى الذي يقدر فيه على تغيير شكل الحكومة فهو اذا لم يستفد من تقاليد أوربا ما اعتزت به أمته وارتقت به دولته بل كان كل خذلان أصيبت به الدولة أثراً من آثار خيانة هولاء المقلدين أورد بالمعبر عنهم بالمترجمين فهم الذين اقترفوا جريمة الخيانة في حربها الأخيرة مع روسيا وهم الذين أفسدوا البلاد بظلمهم وبيعهم الدماء أو الحقوق بالرشوة لأجل ارضاء شهواتهم التي استفادوا التفتن بها من مدنية أوربا

لا ريب أن معظم ما أخذناه عن أوربا كان سبباً في زيادة قوتها فينا واستيلائها على كثير من بلادنا وامتصاصها لثروتنا وقد ضعفنا وماقونا وبعدنا عن الاستقلال ولم تقرب منه فلماذا كان هذا منتهى حفظنا منها وكان حظ اليابان ما نعلم من القوة والمنعة والعزة والثروة؟ وكيف السبيل إلى استخراج لبن هذه المدنية من بين فرائدها ودمها أم كيف السبيل إلى نجاح أمتنا فهذه الصين قد أنشأت تقتدي باليابان في إصلاح شأنها وتنظيم حكومتها وهذه روسيا قد وضعت الثورة حكومتها في البوتقة لتذيبها وتنقيها من أوضارها فإذا صلت حالها بين الحكومتين فإن فساد الأرض ينحصر فينا وحدنا، وإذا جطلنا الكلام في الشعوب والملل، لافى الحكومات والدول، فأننا لا نجعل أننا قد دفعنا من صدرها إلى أعجزها، وصرنا إلى ساقتها بعد أن كنا في مقدمتها، فماذا يجب علينا من العمل، قبل أن ينقطع منا الأمل؟

أقول في الجواب يجب أن نكون أمة واحدة تربطنا رابطة واحدة تصل بعضها ببعض حتى يشعر كل صنف وقبيل منا بل كل فرد بأنه عضو من جسم كبير له حياة واحدة عامة منبثقة في جميع الأعضاء ما دامت الأعضاء متصلة فإذا ما انفصل عضو منها فارقته الحياة إذ لا حياة له في نفسه. وأنا لا نشعر الآن بهذه الحياة وإنما يشعر كل واحد منا بنفسه وحدها فهو يعمل لها وحدها فالمدس والطبيب والفقير والقانوني والمدرس وسائر أهل المعارف هم كالحداد والنجار والزارع والصانع والأجير والخنير وغيرهم من أهل الحرف والصنائع كل واحد منهم يتعلم ليتوصل إلى رزقه وما يتبع به نفسه وأهله لا يلاحظ مصالحة عامة ولا رابطة جامعة فوجوده لا ينبسط إلى أكثر مما ينبسط له ووجود بعض الذباب والحشرات على ما شرحناه في مقالة روابط الإنسانية فالعلوم الرياضية والطبيعية والشرعية وغيرها لاحظ فيها عندنا لما يسمونه الحياة الاجتماعية وهي الأمة في مجموعها لا أجزاءها فلو صار كل فرد منا عالماً بفن من الفنون التي ارتقت بها أوربا ونحن على هذه الحال، لما كان ذلك كافياً لجعلنا أمة عزيزة كاملة الاستقلال، قصارى هذا العلم أن ينقل هؤلاء الأفراد من مرتبة الحرف والودع إلى مرتبة الحرف زجاجاً كان أو جوهرًا مع بقاء كل خزعة منفردة عن الأخرى إذ لا سلك

هناك تنظم فيه ولا ناظم يؤلف بينها في السلك فيجعلها عقدا . وأعني بالسلك هنا رابطة الجنسية و بناظم العقد المربي الاجتماعي لا المربي الصناعي . حدثني محمد توفيق البكري قال سمعت السيد جمال الدين في الأستانة يقول: ان المسلمين لا يتمتعون بشيء من هذه العلوم التي تعلمونها لأن السلك عندهم منقطع ولا فائدة بدونه: أو ما هذا معناه قال لي البكري وقد فاتني أن أسأله عن مراده بهذا السلك فما رأيك فيه مثل المعلم الفني والمربي الصناعي كمثل من ينظف قطع المعدن أو الجواهر ليُتَنَفَّعَ بها في الجملة ولا يبالي أكانت حبة في عقد أو فصاً لخاتم أو كمثل من ينحت الحجارة النحت الأول لتباع لمريدها فهو لا يني ولا يعنيه أمر الباني أكان يريد مسجد صلاة أم هيكل أو ثان . وأما المربي المالي والمعلم الاجتماعي فهو الذي يقيم بناء الأمة أو ينظم عقدها فيجب أن يكون هو الرئيس على معلمي الفنون والعلوم المدير لمدارسهم لأنهم هم الذين يمهّدون له العمل ويهيئون له الحجارة التي يقيم بها البناء فإذا خلت مدارس الأمة من هؤلاء المربين والمعلمين فبشرها بأنها تهيأ أفرادها للدخول في بناء غير بنائها وهكذا نرى الذين تعلموا العلوم والفنون مناهم الذين مكنوا الأجانب منا بنصحهم لهم في خدمتهم، وان لم يصلوا في التشرف بهم إلى أن يجعلوا من بنيتهم، وهكذا تتبدل أحوال الأمم وتتغير أشكالها كما صارت كنائس القسطنطينية مساجد ومساجد قرطبة كنائس

ألا ان حياتنا المالية التي هي سلك اجتماعنا وينبوع سعادتنا لا تنفخ روحها فينا إلا بالتربية الدينية الدنيوية فيجب أن يكون جل اهتمام طلاب الإصلاح منا في الدعوة إلى هذه التربية والسعي لها وإزالة العقبتين اللتين ذكرناهما في مقالة الجزء الماضي من طريقها أعني عاقبة السياسة وعقبة الجهل وكيف يكون ذلك .

كتبت ما تقدم فلم يقف القلم دقيقة ولا لحظة انتظارا لما عليه الفكر حتى اذا انتهى إلى هذه النقطة وقف ساعة من الزمان ، وكان هذا شأنه في المقالة الأولى . فلم يقف الا عند نقطة بيان العمل الواجب علينا فكانت وقفته خاتمة المقالة .

فما لقم لو قوف الفكر ، ووقف الفكر لأن تصور العاملين حال بينه وبين تصوير بل ، انتقل من إملاء الواجبات التي يطالبها إلى البحث عن العاملين الذين

محتاجهم ، كأن صائحا أهاب به . قف لا تخاطب من لا يسمع ، ولا تطالب من لا يعمل ، . فوق هنية ثم أنشأ يحجوب البلاد ويتصفح الوجوه فرأى أن أكثر الذين يعقلون ما يقال ، ويقدرّون على الأعمال ، أحلاس بيوت ، وأحلاف خمول ، ومن قد ظهر بما نصح للأمة ، قد استفاد بنصحه الظنة ، فلا يثق به الجمهور ، ولا يكون إليه تدبير الأمور ، ثم عاد إلى قبر الاستاذ الامام ، فبكاه بالدموع السحاج ، وتذكر أن الأمة ما فقدت رأيه ونصيحته ، وإنما فقدت زعامته وامامته ، فانها لم تكدر تشهر بأنه رب السلك ، وربان الفلك ، فتستعد لقبول ما يأتيه من النظام ، إلا وقد اختطفه منها الحمام ،

فان لم يأتنا ندب بسلك فلا عمل هناك ولا نظام
وان لم يأتنا نوح بفلك على الاسلام والشرق السلام
هذا ما كان من الفكر في سكوتة عن الاملاء قد أملاه ، ثم عاد الى ما كان
وعد القلم به فوقاه ،

يجب على العامل في مصر والهند مالا يجب على العامل في الأستانة والشام ، ويطلب من المصلح في تونس والجزائر ، مالا يطلب من المصلح في فارس أو قران ، ولا أذكر مرا كش اذ ليس فيها - على ما أظن - رجال ، ولا الصين لأن المسلمين فيها لا يهمهم غير جمع المال ، وجملة القول ان الشعوب الاسلامية متمزقة ، في بلاد متفرقة ، وليس لشعب منها من الحرية في العلم والعمل للدنيا والدين مثل ما لمسي مصر والهند وهم في مقدمة المسلمين ذكاء وفطنة ولولا ما يعوزهم من العزيمة والثبات والاستقلال الشخصي الذي تفضلهم به الشعوب العثمانية لكانوا هم الرجاء لسائر المسلمين ، ولا أعتد دعوة أحداث الوطنية في مصر مانعا لا تنفاج المسلمين بالمصر بين فان دعوتهم لا تزال - ضعيفة لا ينحش أن تفصل هذا الموضوع من جسم الملة .

انما يكون العاملون لخير الاسلام في مصر والهند بما من من غائلة السياسة اذا هم اتقوا الاصطدام بالسياسة والافتتان بها فيجب أن يكون عايم الاسلام نفسه لالهوى أمير أو مليك ، ولا اتكالا على دولة أو حكومة ، ولا لأجل مقاومة الساطة ، أو معاندة

القوة ، ولولا افتتان المصريين بالسياسة وتعلق نفوسهم بمناهضة انكسار اتكالا على فرنسا لنجحوا في ظل حرية الاحتلال الانكليزي نهضة كانوا بها أئمة المسلمين ولكنهم لم يكادوا يشفوا من داء الفرور بفرنسا حتى قام من خطباء الفتنة من يفرهم بألمانيا ويغريهم بمناصب القوة المحتلة الحقيقية اتكالا على قوة ألمانيا الوهمية .

يخدع بعض المصريين أنفسهم ويخادعون قومهم اذ يقولون ان الحياة الوطنية انما تكون بكثرة السلام في ذم كل عمل للمخائين واظهار الميل عنهم الى غيرهم ، ويتوهم الأ كثر من منهم ويوهمون قومهم بأن من يعمل لخير ملته وأمه في مصر فهو على خطر ايதாக الانكليز به لان الحرية التي عندهم لا تعدوا اباحة القول وعمل المنكر ، وان كلاً لمخطي فيما يقول ويزعم فان القول لا ينزل القوم ولذلك أباحوه فاذا آنسوا ان وراءه عملا فلا يعجزهم إيجابه وهم هم الذين يلعبون بالأمر والدول كما يشاءون . وأما من يعمل في سلطتهم لخير نفسه بالاهتداء بدينه والارتقاء في دنياه فاتهم لا يصدونه عن السبيل ، ولا يقيمون في وجهه العراقيل ، وقد ارتقى وثنى الهند في ظل حريتهم ارتقاء مبيناً والمسلمون نائمون فلم يقعدوا القائم ، ولا أيقظوا النائم ، ولما انتبه المسلمون من نومهم ، ودعاهم الداعي الى العمل لقومهم ، قال لهم الانكليز ان تعملوا لأنفسكم فانا مسعدون ، وان تهملوا شؤنكم فماتنحسركم إلا مهملون ،

الانكليز قوم يحبون الكسب بهدوء وسلام فهم لا يجركون أضغان الناس عليهم ولا يقصرون في تسكين ما تحرك من نفسه أو حركه خصم آخر ينظرهم ، لا يماندون الطبيعة ولا يساعدونها على أنفسهم ، فمن استعدت طبيعته لعلم أو عمل مع مسالمتهم اقتنعوا بأن يستفيدوا منه بحسب حاله فهم يرضون من العالم ما لا يرضونه من الجاهل ، ويعاملون الشعب المستقل المتحد بغير ما يعاملون به الشعب المستبد المستعبد ، فما أجبن من يقول انهم لا يمكنوننا من العمل ، وما أجمل من يقول لماذا لا يعملون لنا ما لا نعمل لأنفسنا انهم اذا أعداؤنا . نعم انهم أعداؤك العقلاء وأنت بجهلك أعدى أعداء نفسك

اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

هذه ما تقنعهم به عقبة السياسة في مصر والهند أعيدته مختصرا وهو أن يكون

عملنا لأحياء ملتنا وترقية أمتنا بالعلوم النافعة والأعمال المالية المشتركة والجمعيات العلمية الخيرية مع مسالة القوة بالصدق لا بالرياء والمخادعة وما مسالة القوة بالتركيب بمقاومتها لأجل قوة خارجية سواها . أما مطالبتها بترك كذا مما يضر البلاد أو فعل كذا مما يفيدها فلا ينافي المسالة ولا يقتضي المقاومة وإذا صار في البلاد أمة تطالب بذلك على بصيرة وحق فإن طلبها لا يكاد يرد إذا كان معقولا فإن العاقل لا يظلم مع العاقل لا سيما إذا كان أمة (الكلمة للسيد جمال الدين رحمه الله) ولن تكون هذه الأمة إلا بالحياة المالية التي ندعو إليها

تلك الحقيقة وقد يتوهم ضعفاء العقول أن فيها مصانعة للمحتلين وما أنا بمحتاج إلى مصانعتهم لدنيا أريد لها منهم وهم أغنى بقوتهم وبراعتهم في استثمار البلاد وتدبير أمور الأمم غني . ولو كنت أصانع لكنت أخرج إلى مصانعة الهوام بمجازاتهم على أهوائهم ليزداد مجلتي رواجاً فيهم أو بعض الكبراء الذين يبدلون الأموال لمن يواتيهم على ما يريدون وما كان هذا مني ولا ذاك ولن يكون إن شاء الله تعالى . إن أريد إلا اقناع طائفتين من الناس بما لو اقتنعوا به رجي أن تستفيد الأمة من عملهم . الطائفة الأولى جماعة من أهل المعرفة بما ينفع الأمة بصدمهم عن العمل لها اعتقاد أن الانكليز واقفون بالمرصاد لكل عامل ملته لأنهم أعدوها ولا قدرة لنا عليهم فعلى السكون والسكوت وهو لا يهم الواهمون . والطائفة الثانية مؤلفة من أفراد كثيرين لا يعرفون النافع للامة والمحيي للملة وإنما يظنون أن الواجب على كل وطني أو مسلم أن يعتقد أن كل ما يعمله المحتلون البلاد ضار فإن كان نافعا في الظاهر فهو ضار في الباطن وأن يقاوم القوم بالقول فيذمهم ويتبع أعمالهم ويظهر الميل إلى دولة أوربية أخرى نكاية فيهم ، وهو لا يهم المخدوعون . فأولئك لجبنهم لا يعملون بعملهم النافع وهو لا يهمهم يقولون ما لا يفعلون ، والفارون لهم يخادعونهم بما لا يعتقدون

أريد العمل لما يحيي الملة وينهض بالأمة ولا حرية لنا في غير مصر والهند فأحب أن يقدروا العارفون بالخير والشر قدرها ويستفيدوا منها لينشط أهل الهند ولكيلا يطول على المصريين أمد الوهم وسوء الظن بالانكليز كما طال على مسلمي الهند فحرموا

الاستفادة من حريتهم حقبة من الزمن ولم يشعروا بخطأهم الا بعد أن رأوا الوثنيين قد علوهم بالعلم والعمل والثروة والحكم. فحسب المصريين ربع تلك المدة وليعلموا أن اقتحام العقبة سهل كما ذكرنا ومن بين لنا خطأنا فأناله شاكرون، ولرأيه ناشرون، نعم ان حكومة فارس (ايران) لاتعادي العلم، ولا تمنع الاجتماع، ولكن الشعب ناثم، يحلم بظهور المهدي القائم، وهي عاجزة عن النهوض بنفسها، وما أحوجها الى نقطة شمسية، قبل أن يفرغ لها الجاران، فتقتالها الغيلان،

بيننا معنى الحياة المالية وأن رابطة الملة في الاسلام هي أقوى الروابط وأعمها فقط للبشر وأن العاقل اذا فقه سرها لا يرغب عنها ولا يفضل عليها غيرها ولو لم يكن من أهلها وأنها الآن منحة وأنها على انحلالها موضع للأمل وأنه يجب على المسلمين توثيقها وتوكيدها وأن أخرى الناس بالعمل والسمي لها مسلمو الهند ومصر — ويليه مسلمو التتر في روسيا واستعدادهم قوي وستظهره الحرية المنتظرة بعد الثورة — وان ما يمنهم من العمل ليس الا وهما يقويه الجبن أوجهالة يمددها الخداع والغرور. هذا وسنشير الى اقتحام عقبة الجهل فيما يأتي

أما العمل الواجب فلا يشرح بالتفصيل الا للعاملين ويجب أن يكون دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً للعقائد دافعاً للشبهات الراجحة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب مؤثراً للرابطة المالية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر. ومنافعهم في هذا الزمان ومن ذلك بيان أن كل محرم ضار وكل حلال نافع (٤) تعلم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس بمعرفة سنن الله وحكمه في الخلق وترقية مجموع الأمة بالأعمال التي تزيد في ثروتها وعزتها (٥) احياء اللغة العربية بإلزام المتعلمين التحاور بها استبدالاً لها باللغة العامية وتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين، وخطباء مؤثرين، (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة بقصد اثناء ثروة الأمة ببنى أفرادها (٧) الجمع بين التعليم على النهج الذي شرحناه وبين التربية العملية في المدارس

الاسلامية المفقودة من الأرض (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال في العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس ، وعلى حب الأمة وشرف الملة . والكافل لهذه الاركان الثمانية هم المعلمون المربون الذين بينا وظيفتهم . وههنا تعرضنا عقبة الجهل جهل رجال الدين - والعامة من ورائهم - بهذه الطريقة للتعليم الديني وبقائدة العلوم الدنيوية وجهل علماء الدنيا بهذه الطريقة لتعليم علومهم . على أن أمر هؤلاء أهون ، وارشادهم الى المطلوب منهم أيسر ، واذا بعدنا عن علماء الرسوم الدينية ومعاهدهم كالأزهر وما ألحق به في هذه الديار فانتاناً من معارضتهم ومناصبهم لنا في تعليمنا على أن صوتهم في مصر قد خفت ونفوذهم قد ضعف ، ولا نعدم من يعلم الدين على الوجه النافع الذي أشرنا اليه حتى ممن كان تعلم في هذه المعاهد وصادف علوماً وهداية أخرى بشرط أن يوجد المدير العام رب السلك وناظم العقد

لا يكون هذا الا في المدارس الكلية فلا حياة بدونها ولو بقي الاستاذ الامام حياً لأست في مصر مدرسة كلية وشرع فيها قبل مضي هذا العام فقد كان أعدها عدتها وعزم على جمع المال لها في هذا الشتاء ، جزاه الله عن نيته وعمله أفضل الجزاء ، وقد كان مضطراً بهذا الأمر وامله يوجد في مصر من يستخدم الاستعداد الذي تم لها كما كان يريد رحمه الله . أما إنشاء الجمعيات والشركات فان البلاد المصرية والهندية شرعت فيه ويرجى لها النجاح بالتدريج ان شاء الله تعالى

هذا ما نذكر به أهل العقل والفيرة من مسلمي مصر والهند وقزاق وغيرهم من مسلمي الفرس على نومتهم ، ومسلمي العثمانيين والتونسيين على ضيق عطنهم ، وحيف زمنهم ، وضعف مُسنهم ، على أن استعدادهم الفطري للعمل ربما كان أقوى ، واستقلالهم في الارادة والفكر أقوى ، ولكن اقتحام العقبتين أشق عليهم وأعسر ، فهم أحق بالاجتهاد وأجدد ، ويتوقف ذلك على أعمال تعرف مما تنقشه الاخطار في الصدور ، لا مما تبثه الافكار في السطور ، وكل ميسر لما خلق له ، «ألا الى الله نصير الأمور»

باب التبرير والتجليل

﴿ تقرير مشيخة علماء الاسكندرية ﴾

الاحصاء العام

كتبنا في الجزء التاسع عشر رأينا في مقدمة هذا التقرير ونكتب الآن شيئاً عن فصوله ومسائله المقصودة منه بنفسها وأولها فصل الاحصاء العام وفيه ان الإقبال على طلب العلم في الاسكندرية كان في هذا العام عظيماً حتى بلغ عدد الطلاب في هذا العام ٧٢١ طالباً وكانوا في نهاية السنة الماضية (وهي الاولى للمشيخة) ٣٤١ فالتزايده ٣٨٠ ولكن لم يثبت من هؤلاء وهؤلاء الا ٤٤٠ وهو العدد الموجود والمسجل الآن . وقد قال الاستاذ واضع التقرير « ان جميع مديريات القطر المصري قد اشتركت في طلب العلم الشريف بهذه المدينة » وجعل ذلك دليلاً على الشعور العام والميل الخاص الى الترقى في طلب العلوم الدينية وأحال في بيان هذا على الجداول التي وضعها لاحصاء الطلاب فراجعناها فلم نر فيها ذكراً لمديرية القليوبية ولا لمديرية الجيزة ولا لمديرية بني سويف . ورأينا أكثر من جاء الاسكندرية من مديرية البحيرة وسببه ظاهر وهو قربها منها وبعدها عن مصر ثم من الغربية ولعله هذه العلة وأما الشرقية والفيوم فلكل منهما طالب واحد في الاسكندرية ولمديرية جرجا اثنان ولكل من قنا وأسيوط والمنيا ثلاثة والمنوفية أربعة والدقهلية خمسة ولأسوان ستة ولا يعرف السبب في وجود هؤلاء في الاسكندرية .

وما ذكر في التقرير من كون هذا أثر الشعور العام والميل الخاص الى الترقى في العلوم الدينية فهو غير ظاهر لأن هذا العدد قليل وأسباب الاختيار مجهولة ولأن التعليم في الاسكندرية هو دون التعليم في مصر وطنطا من وجهين أحدهما أن المدرسين في مصر ين أرقى في العلوم الدينية ووسائلها من المدرسين في الاسكندرية وثانيهما ان الدروس نفسها أرقى والعلوم أكثر في الاسكندرية يقرءون الجلالين

في التفسير وفي الأزهر يقرءون البيضاوي والكشاف وتفسير الجلايين أصغر كتب التفسير وأقلها فائدة والبيضاوي والكشاف أعلاها ولا يخفى أن روح الدين كله في القرآن فمن لم يرتق فيه فلا رقي له . وليس في الاسكندرية شيء من علم الأصول ولا المعاني ولا البيان وفهم الفقه والتفسير والحديث لا يتم لمن لاحظ له من هذه العلوم . والمذنب في عدم قراءة هذه العلوم أنه ليس في الاسكندرية من الطلاب الا خمس فرق ابتدائية أو خمس سنين على اصطلاحهم وليس من غرضنا هنا الانتقاد على اختيار ما اختارت المشيخة لهذه السنين من الدروس وإنما الغرض بيان أن العلوم في مصر وطنطا أرقى منها في الاسكندرية فطالب الرقي في هذه العلوم لا يختار الأدنى وهو الاسكندرية على الأعلى كالأزهر .

فالنبيه على هذه الدقائق مما لا بد منه للباحث في الأمور العامة وسنن الاجتماع لأن أكثر الناس قداعتادوا ترك التدقيق في أمثال هذه الأقوال، وأمثال هذه الطرق من الاستدلال، التي جرى عليها بعض أصحاب الجرائد في هذه البلاد، واعتاد السكوت عن التحصيل أهل الفهم والتدقيق من الكتاب، حتى صارت دهاء الأمة تعتقد في الأمور العامة غير الصواب، فالمعقول في مسألة إقبال الناس على التعلم في الاسكندرية هو ما ذكرنا من أن أهل البحيرة والغربية يرجعونها تقربها وما جاء من غير هاتين المديريتين لا يعتد به ولا ينهض دليلا على ما يرمي إليه التقرير من شعور الأمة بأن العلوم الدينية في الاسكندرية أرقى فطالب الرقي يفضلها ويختارها . ويوضح ما يريد صاحب التقرير من تفضيل مشيخته على مشيخة الأزهر في التعليم ما ذكره في الفصل الآتي قال

﴿ طرق التعليم ﴾

« كان الأزهريون ولا يزالون يعتمدون في تعليمهم لطلاب العلم الشريف العناية بتنمية القوة العاقلة وإعدادها للبحث واستنتاج النتائج من المقدمات ولذلك كانت عنايتهم بالجدل وطرق الإقناع أكثر من عنايتهم بالتماس النتائج الحقة (كذا) من مقدماتها الصحيحة . وقد كنا نرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة لولا أن بعض المتأخرين استعملوها بافراط حتى مع صفار الطلبة والمبتدئين

في العلوم فيقتضي الطالب الاعوام العديدة من بداية طلبه بين تشيكات ومناقشات واعتراضات وأجوبة قلما يحسن معها العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها
«ولقد أدركنا الطرف الأخير من ذلك الزمن الذي كانت عناية أ كابر العلماء فيه الازهرين وغيرهم متجهة في بداية الطلب الى تكليف الطلاب بحفظ متون العلوم (كذا) وهي مسائلها التي تسرد سردا ثم التدرج معهم في ادراك تلك المسائل تدرجاً يناسب مداركهم وقواهم العقلية حتى يبلغوا الحد الذي يقتدرون فيه على الاشتغال بإقامة الأدلة والبراهين على الدين كانوا يعلمون (كذا) . ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح الذي استضاء به العالم الاسلامي دهرًا طويلا . وهذا التدرج في التعليم كان طريقة للمتقدمين يحسن بالتأخيرين أن يسلكوها اتباعاً لسلفهم الصالح»

ثم نقل من مقدمة ابن خلدون نبذة في التعليم ملخصها ان التعليم انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج مراعى فيه استعداد الطالب بأن يقرأ له الفن ثلاثاً يلقي عليه في الاولى أصول المسائل وتشرح بالاجمال ويخرج بالثانية الى التفصيل وذكر الخلاف ووجهه ويستقصى في الثالثة كل عويص ويوضح كل مقفل ثم ذكر ابن خلدون أنه شاهد كثيراً من المعلمين يجهلون طرق التعليم فيلقون على المتعلم في أول تعليمه المسائل المثقاة ويطالبونه بحلها ويخلطون عليه غايات العلوم في مبادئها ويكلفونه وعيها وهو لم يستعد لها فيكمل ذهنه ويكسل ويهجر العلم ظناً منه انه صعب في نفسه وانما هو سوء التعليم . ثم ذكر صاحب التقرير مفسداً آخر من مفسدات التعليم في مثل الازهر فقال

« واذا أضفنا الى هذا الذي قاله المحقق ابن خلدون مفسداً آخر لطرق التعليم وهو اطلاق السراح للطلاب وتركهم يحضرون ما يشاءون ويتركون ما يشاؤون ويتدرجون في تلقي العلوم كما يشتهون بدون مراقبة على المواظبة في الطلب ولا ملاحظة لاستعداد الطالب فيما يريد تلقيه ، كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل ، فلم يكن من العجب أن يقتضي الطالب العشرات من السنين في دور العلم ومعاهد التعليم ثم لا يكون حظه من تلك السنين الطوال الا إضاعة العمر في

الاختلاف الى الدروس بلا فائدة يستفيد بها ولا علم يحصله ولا يقتصر ضرره على نفسه ولكنه يتعدى الى العلماء المتصدرين للتدريس فيكون حجة للذين يسبون التدريس في الأزهر الشريف وملحقاته وبرهاناً تنقطع دونه السنة الذين يدافعون عن التعليم في دور العلم الاسلامية »

ثم ذكر أن مشيخة الاسكندرية تداركت هذا الفساد في طرق التعليم بشيئين (١) تكليف بعض العلماء مراقبة الطلبة في شؤونهم الدراسية ونحو يدهم على الأخلاق المرضية (كذا) (٢) تقرير الامتحان السنوي على كل طالب حتى لا ينتقل من علوم سنته الى أرقى منها الا اذا أظهر الامتحان استعداده لعلوم تلك السنة . قال «أما العيب الذي أشار اليه ابن خلدون فقد تلافته المشيخة بشيئين أيضاً . الأول تنبيه حضرات العلماء والمدرسين الى ملاحظة قوى الطلبة والاقتصار على تفهيمهم مسائل الكتب المكلفين بتدريسها (كذا) بدون تعرض لكلام الحواشي والشروح الطوال خصوصاً مع المبتدئين في الطلب » والثاني عناية المشيخة بانتخاب الكتب التي تناسب كل سنة من سني الدراسة

ان الذي يمكن أن يلخص به كلامه في عيوب التعليم في الأزهر وما على شاكاته من المدارس الدينية على ما فيه من الاضطراب والايهام هو أن العيوب ثلاثة (١) أن بعض المتأخرين قد استعملوا طريقة الأزهر القديمة في التعليم التي كان يرجى خيرها بافراط حتى مع الصغار والمبتدئين فصار الطالب يقضي السنين بين التشكيكات والمناقشات فقلما يحسن العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها (٢) الولوج بالشغب والمحدثات الذي كاد يطفىء مصباح الاسلام وهو ما كان عليه أهل الأزهر من الابتداء بحفظ المتون والتدرج في ادراك مسائلها . وقال ان هذا ما كان عليه سلف الأمة الصالح واستدل على ذلك بعبارة ابن خلدون (٣) اطلاق السراح للطلاب يتدرجون كما يشتهون ويحضرون من الكتب ما يختارون بدون مراقبة . وذكر من ضرر هذا العيب أن الطالب يقضي العشرات من السنين في معاهد العلم بلا فائدة وأن ذلك برهان للذين يسبون التدريس في الأزهر وملحقاته لا يرد وحجة لا تدحض . ثم ذكر ان مشيخة الاسكندرية قد تداركت هذه العيوب أي فبرئت

من استحقاق السب وبقيت هذه العيوب في الأزهر وسائر ملحقاته في التعليم .
واننا نبحت في هذه المسائل شاكرين لله تعالى أن وفق عالماً من علمائنا الرسميين
للكتاب في طرق التعليم وعرض آرائه على الباحثين والمنتقدين ولا غرو أن تثنى
بالشكر للشيخ شاكر

أبدأ ببيان ما أشرت إليه من الاضطراب والابهام بل والابهام في العبارة
فأقول ان عبارة التقرير في هذا الموضوع عبارة من قضت عليه الحال بأن يداري
ويواري فيوم بعض القارئ بما بهم على الآخرين، ويرضي المختلفين في الرأي؛
بالدم في معرض المدح والمدح في معرض الذم ويأتي بقياس مؤلف من مقدمات؛
تؤخذ بالتسليم وان كانت نظريات، وتكون النتيجة ان التعليم في الأزهر له كذا
وكذا من العيوب والمفاسد، وان التعليم في الاسكندرية له كذا وكذا من المحاسن
والفوائد، ولكن العبارة لم تواته على ما يكيد (أي يحاول) فلم تأت الا ببعض ما يريد،
هذا ما توهم اليه العبارة من غرض الكاتب وما كان مستولياً عليه من الفكر ومناًثراً
به من الشعور عند الكتابة ذكرناها على الطريقة القرية في النقد وهي عندنا أفضل
ما يعتذر به عن الكاتب عند من يرى الاضطراب في القول فيحمله على
مركب آخر .

ماذا يفهم القارىء من قوله ان طريقة الأزهر بين التي درجوا عليها كانت
تقضي بالعناية بالجدل وطرق الاقناع أكثر من العناية بطلب النتائج الحقيقية
من مقدماتها الصحيحة وقوله انه كان يرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة
لولا ان أفرط فيها بعض المتأخرين فسلك فيها مع الصغار العاجزين عن الاستفادة
بها . هذه الطريقة شر طريقة جرى عليها الناس لا يصل سالكها الا الى افساد العلم
والدين كما بين ذلك حجة الاسلام الغزالي في كتاب العلم من الاحياء
ماذا يفهم القارىء من قوله بعد ذلك انه أدرك الطرف الاخير من ذلك الزمن
الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه متجهة الى تكليف الطلاب حفظ المتون
والترجيع معهم في فهمها؟ أهذه هي الطريقة الاولى أم غيرها؟ ظاهر السياق أن هذا
يضاح لما قبله وهو ما كان عليه المتقدمون لا بعض المتأخرين الذين قال انهم

أفرطوا في استعمال تلك الطريقة ولا ينافي ذلك قطعاً ما ذكره من أنهم ينتهون الى الاقتدار على الاشتغال باقامة الادلة والبراهين على الذين كانوا يعلمونهم لأنه إنما جعل غايتهم الاستعداد لاقامة الادلة والبراهين على معلمهم لا الاقتدار على اقامة البراهين بالفعل على المطالب الصحيحة فلا يقال ان قوله هذا مناقض لقوله السابق لان العناية بالجدل لاجل الاقتناع والالزام لا تقضي الى القدرة على تأليف البرهان لا فائدة العلم . وتشبيهه هذه الطريقة بالمصباح وقوله ان العالم الاسلامي استضاء بها دهرأ طويلاً كرجاءه الانتفاع بها في النبذة الاولى

وأما قوله «ولكن الومع بالشغب والمحدثات قد كاد يظني هذا المصباح» فهو على ايهامه وايهامه لا يمكن أن يحمل الاعلى افراط أولئك المتأخرين في استعمال طريقة الازهر وهم بعضهم لأنه لم يذكر لغيرهم اساءة أخرى في اتباع الطريقة التي حمدها وقال ان الأزهريين كانوا ولا يزالون عليها . ولكن كلمة الشغب غريبة جداً في هذا المقام لأن معناها تهيج الشر فها هو الشر الذي هيج على العلماء من الأزهريين وغيرهم حتى كاد يظني ذلك المصباح - مصباح العناية بالجدل وتكليف الطلاب حفظ المتون والتدرج معهم في فهمها ؟ ألا ان هذه الكلمة في هذا المقام من أوابد الغرائب التي لا تأنس فيه ولعلها اقتبست من بعض الكلام البليغ لإفادة معنى آخر فسقطت في هذا المكان فلم تقبلها فيه الأذهان ، على أن بعض ما عورض به الاصلاح قد كاد يكون شغباً أو كان والسياق هنا يأتى ارادته

وجملة القول ان الاستاذ صاحب التقرير بين طريقة الأزهر بما لا يحمد به ولكنه حمدها وغاية ما انتقده أن بعض المتأخرين بالغ فيها مع بعض الصغار من الطلاب وضرر هذا قليل تسهل ازالته . ادام أ كابر العلماء على خلافه وأن الومع بالشغب والمحدثات كاد يظني المصباح ولكنه لم يطفئه فبقي وهاجاً . وبالبته بين لنا أزال هذا الشغب فصرنا آمنين على المصباح أم الومع به ما زال يلح بأهله فالمصباح على خطر ؟ ولقد أيد مدح هذه الطريقة الأزهرية بقوله انها كانت طريقة المتقدمين من السلف الصالح واستدل بكلام ابن خلدون . ما قاله ابن خلدون ليس حكاية عن السلف وإنما هو رأي له يرد به على من شاهد من المعلمين الكثيرين الذين

ينطشون طرق التعليم وليس هو كل رأيه فرأيه يخالف لما عليه الأزهري كما يعلم مما يأتي
 بحار قارىء التقرير فلا يدري أهذا المدح لطريقة الأزهري بيان لا اعتقاد
 الكاتب أم يزداد به شيء آخر؟ العبارة محتملة يقوي إرادة المدح فيها عزوها إلى
 السلف والاستدلال عليها بكلام ابن خلدون ولكن قوله بعد ذلك كله أن هناك
 مفسداً آخر لطرق التعليم به « كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل » يدل
 على أنه لم يقصد غير الذم. فماذا فعل ذلك المصباح في هذه الظلمات المتركة؟
 الفصل معقود لبيان طرق التعليم فكان ينبغي أن تذكر الطرق المعروفة فيه
 ويذكر أهلها ويفاضل بينها لبيان ما اختارته مشيخة الاسكندرية منها ولكنك
 تخرج من الفصل ولم تع غير طريقة واحدة للأزهري عرضت لها عيوب ومفاسد
 فأزالت مشيخة الاسكندرية عيوبها ومفاسدها فصارت خير الطرق عندها، تهي هذا
 بعد أن يضطرب ذهنك في الفهم، وتحار في التزيل بين المدح والذم، فهذا ما
 يقال في هذا الفصل من التقرير

وأما الموضوع في نفسه فالحق الذي نعلمه فيه علم اليقين ما نقول: أن طريق
 الأزهري في التعليم طريق طويلة مشتبهة بالصوى، كثيرة التمتع والهوى، وأن أهل
 الأزهري كانوا ولا يزالون سائرين عليها على غوائلها، إلا نفرًا من المتأخرين قد
 اتقوا بعض مفاسدها، عملاً ببعض ما هداهم إليه الإصلاح الذي دعا إليه الاستاذ
 الامام رحمه الله تعالى وهو الذي اختار للشيخ محمد شامكر بعض تلامذته منهم
 يدرسون في الاسكندرية. وقد بشرنا الشيخ محمد شاكر أنه أنفذ شيئاً من ذلك
 الإصلاح شيئاً آخر فمجموع ما شرع فيه أربعة أمور: ١ مراقبة المعلمين للطلبة و٢
 تقرير الامتحان السنوي و٣ حمل المعلمين على التدرج في التعليم و٤ اختيار الكتب
 وهذه الامور مما دعا إليه الاستاذ الامام في الأزهري واشتغل بها مجلس ادارته شغلاً
 طويلاً كما يعلم من تاريخه (كتاب أعمال مجلس ادارة الأزهري) وقد عارض في هذه
 الأمور بعض أكابر المشايخ المتقدمين لا (المتأخرين) الذين ذمهم التقرير المتقدمين
 الذين أدركهم أو بعضهم كاتبه قبل ظهور ما عبر عنه «بالشغب والمحدثات» ومن حسن
 الخطأ لا يوجد في مشيخة الاسكندرية أمثال هؤلاء أكابر المتقدمين اذ لو وجد أمثالهم

في شهرتهم ونفوذهم لما تيسر له أن يقرر ما قرره من إزالة المفاصد فإن تيسر له
تقريره بالقول فلا يتيسر إنفاذه بالفعل على أن الانفاذ عسر على كل حال لقلة
من عندنا من أهل الكفاءة إذ لم تتعود هذه الطائفة على النظام ولم تعرف ما
وصلت إليه الأمم في الارتقاء في فن التعليم . ومالا يدرك كله لا يترك كله والعمل بمد
بعضه بعضاً فنسأل الله كمال التوفيق للعامل والثبات عليه والإخلاص فيه ، وأما
الصواب في نظام التعليم فلا محل هنا للكلام فيه لما سبق لنا من التفصيل من قبل
ونكتنا تأتي من تاريخ الأمة فيه ومنه تعرف طريقة السلف والخلف فنقول

طريقة المسلمين في التعليم وتاريخه عندهم

أن التعليم فن صناعي يرتقي بارتقاء حضارة الأمة ويندلى بتدليها ولم ينزل
الوحي بكيفية تنظيم المدارس وتلقين العلوم والفنون للناشئين فنقول إن قوانين
التعليم أحكام تعبدية تلقى بالرواية ويتبع فيها طريق السلف الصالح من أهل
الصدر الأول لأنهم أعلم الناس بغرض الشارع وأشدهم محافظة عليه . وإذا كان
التعليم فناً صناعياً فالذي ينبغي للأمة هو أن تفكر دائماً في ترقيته ولا يكتفي المتأخر
فيه بتقليد المتقدم بحجة أنه متبع لسلفه معظم لهم إذ ليس من تعظيم الصحابة
عليهم الرضوان أن نحارب بمثل ما كانوا يحاربون به من السيوف والرماح، ونترك
المدافع وغيرها عما استحدث من آلات الكفاح ، فما جاء في تقرير مشيخة
الاسكندرية من استحسان طريقة كذا اتباعاً للسلف الصالح - لوصح - غير سديد ،
إنما السداد أن نختبر طرق التعليم المستحدثة ونختير أمثلها فإن التعليم في هذا العصر
أقوى عوامل الكفاح بين الأمم حتى تقلوا عن البرنس بسمرق الشهير أنه قال
إننا قد غلبنا فرنسا بالمدرسة . على أن ما ذكر في التقرير هو مخالف لطريقة السلف
الصالح في التعليم كما هو معروف للمطلع على التاريخ وتعرفه مجملاتنا

كانت طريقة افادة العلم في الصدر الأول الرواية السانية ثم الاملاء والمذاكرة .
ولما كثر التصنيف واتسعت حضارة المسلمين صاروا يدرسون بعض الكتب المصنفة
وأكثرها في روايات الحديث والآثار وأشعار العرب ووقائدها وفي العلوم العربية
والشرعية المؤيدة بهذه الروايات . ولما دخلت في الأمة العلوم اليونانية اتخذوا لهم

معلمين من أهل المال الأخرى فحدثت لهم طرق جديدة ، ثم انحصر التعليم في قراءة الكتب غالباً فكانت طرق الناس في التعليم تابعة لطريقهم في التأليف ، وأول اشتغالهم بالتأليف في الفنون كانت بجمع الروايات التي يتلقونها والأدبيات التي يهيئونها ويعملونها ثم توسعوا في ذلك ويسهل أن تعرف طريقة التدريس في كل قرن بالاطلاع على طائفة من الكتب التي صفت فيه . روايات ورفائع فأصول وقواعد مؤيدة بها فاختصار ثم ذكر المنتهى فاختصار على المختصرات وما كتب عليها فخلط للعلوم وخلل في التعليم . وجملة القول في سيرة المسلمين في التعليم أنها كانت سائرة على سنة الفطرة بطبيعتها بقوانين وضمت لها ثم انحرفت حتى ضاع العلم وضل الفهم وصرتنا إلى ما نرى

لم يدون المسلمون قوانين للتعليم في عنقوان دولة العلم فيهم بل كان موكولاً إلى المدرسين يسلكون فيه مسالك الكتب المصنفة فكثرت الطرق بكثرة المصنفات واختلاف مذاهب المصنفين والمدرسين حتى قام في القرون الوسطى من ينتقد ما عليه أهل عصره ومن قبلهم كالامام الفزاري وتلميذه أبي بكر بن الهري ثم جاء الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون فبحث في التعليم بحثاً لم يسبقه إليه سابق وضعه على قواعد الفلسفة فأصاب كثيراً من الأغراض . ومن الأصول التي قررناها أن التعليم من الصنائع التي تتبع حال الحضارة والعمران في الترقى والتدلي كسائر الصنائع وأن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل وأن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتحصيل . وأن خلط العلوم بعضها ببعض يحول دون الظفر بشيء منها ، وإن غاية تعليم الفن هي تحصيل الملكة فيه ، والمراد بالملكة ملكة العمل فملكة البلاغة هي أن يكون ذوق الكلام البليغ صفة مالكة للنفس بها يسهل الاتيان بالكلام البليغ قولاً وكتابة دع فهمه والتمييز بين أقسامه وعلى ذلك فقس . وقد استفاد ابن خلدون هذه القواعد والأصول من النظر في كتب المتقدمين ومعرفة تاريخهم ومن اختبار حالة التعليم والتأليف في عصره ، ولكن المسلمين لم يستفيدوا من أصوله هذه ولا من أصوله في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع لأن هذا انما جاءهم في طور التدلي في العلوم والعمران كما قلنا في مقدمة أسرار البلاغة وما نقله

عنه الشيخ محمد شاكر في تقريره هو من المواضع التي قصر فيها وأجمل وعنده
الفرار من التكرار وإنما يعرف رأيه من مجموع ما كتبه وتقدم التنبيه على بعضه ، ومنه
تحصيل ذوق البلاغة بممارسة الكلام البليغ ومنه الاستدلال على حسن طريقة التعليم
بقصر مدة التحصيل وذهمه الاعتماد على الحفظ وتفضيله طريقة تونس ، بالأكتفاء بخمس
سنين في تحصيل الملكة على طريقة المغرب في جعل مدة التحصيل ١٣ سنة وكانوا
يعتمدون على حفظ المتون وقد استدرك عليه علماء التعليم والتربية (البيداغوجيا) في
هذا العصر فيما رآه من ابتداء المتعلم بأصول المسائل من كل باب واعادتها بالتكرار
ثلاث مرات بالتفصيل الذي ذكره ، ومن الغريب ان صاحب التقرير لم يأخذ عنه
الا المجل المستدرك عليه وترك سائر آرائه وهي مخالفة لما عليه المشيخة بالاسكندرية

هذا صفوة ما نختصر به تاريخ التعليم عندنا وأما العلوم أنفسها فكانت العناية
بها تختلف باختلاف حال الدولة التي هي أس الحضارة وشر ما حدث في القرون
المتوسطة العناية بالجدل والخلاف في الفقه وقد انبرى حجة الاسلام الغزالي لبيان
مفاسد هذه البدعة بعد أن خاض فيها مع الحائضين ، وكان في مقدمة المبرزين ،

﴿ رأي الامام الغزالي في التعليم الاسلامي ﴾

كتب ابن خلدون ما كتب في التعليم من حيث هو فن صناعي يرتقي بارتقاء
ال عمران . وأما الامام الغزالي فقد كتب فيه من حيث هو طريق الارشاد وهداية
الدين فما ذهب اليه هو هدي السلف الصالح - والجدير بأن تهتدي به مشيخة العلوم
الدينية المحضة - الذين غرضهم حفظ الدين والاهتداء به . قال في فصل (بيان القدر
المحمود من العلوم المحموده) بعد أن قسم العلوم الى محمود قليله وكثيره ومذموم قليله
وكثيره وهو ما لا يفيد في دنيا ولا دين وقسم يحمد منه مقدار مخصوص ويندم التوسع
فيه والاستقصاء مانعه

« وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته
وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا » ثم مدحه وبين ما
يحتاج اليه طالبه من المجاهدة وتهذيب النفس وقال « وأما العلوم التي لا يحمد منها
الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم

منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاراً وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر . فكن أحد رجلين امارجل مشغول بنفسك واما متفرغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك . فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة وانصوم وإنما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم « وأطال في بيان مكانة علم التهذيب من الدين وأن الأعمال الظاهرة لا تفيد عند الله بدونه ثم قال « وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الأثم وباطنه وصار ذلك ديدنالك وعادة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وداع التدرب فيها فابتدى بكتاب الله ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم النسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالباً للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطاوعة لغيرها (يعني العمل المطلوب لعينه هو العلم بالله وبسنة في خلقه وحكمته كما تقدم) وكل ما يطلب لغيره فلا ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الاوله اقتصار واقتصاد واستقصاء » ثم ذكر نموذجاً لهذه المراتب الثلاث ومثل لها بالكتب المختصرة والمتوسطة والمطولة ومن رأيه أن المطولات تصنف للمراجعة لا للتدريس ثم نهى عن الجدل والخلافات في المذاهب وذكر أنها من البدع التي لم يهتد مثلها في السلف وشبهها بالسهم ثم قال

« وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ما جهلوا: فلا تظن ذلك فعلى الخير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً وزاد على

الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يفرنك قول من يقول ولا يعرف علاه إلا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها إلا ولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلم الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيطه على شروط الجدل في أكثر الامور فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمتعضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال»

ثم طفق يذم الجدل في العلم مطلقاً ومنه قوله : وفي الحديث في معنى قوله تعالى « فاما الذين في قلوبهم زيغ » الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذروهم . وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يعلق عليهم باب العلم ويفتح لهم باب الجدل : ثم عقد بعد ذلك باباً لبيان سبب علم الخلاف وآفات الجدل والمناظرة والحديث الذي ذكره في تفسير الآية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عائشة وأورده بالمعنى . فلينظر القارئ أين طريق السلف في العلوم الدينية من طريق الازهر على رأي الشيخ محمد شاكر ، وكيف العناية عندهم بالجدل مكان العناية بهم عن السلف من العلم بالله وصفاته وأفعاله (وهي تعرف من علم الكون) وبسننه في خلقه (وهي المعبر عنها في هذا العصر بعلم الاجتماع وعلم نواميس الطبيعة) وعلم حكمة ترتيب الآخرة على الدنيا : لاشي من ذلك في الازهر ولا في الاسكندرية فعسى أن يوقعهم الله تعالى للاسترشاد وما كتبه حجة الاسلام في ذلك

تعب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اقناع كبار شيوخ الازهر في اصلاح التعليم فكانوا لا ينفذون كل ما اقتنعوا به وهو بعض ما دعا اليه مما يريد منه أن يكون الفرض من كل فن وعلم القدرة على استعماله والوصول الى غايته دون الجدل والمباحكة في

عبارات كتبه وهذا عين ما يقوله الفزالي وما كان يعني به السلف . وسنعود في
الجزء الآتي إلى الكلام في التعليم ان شاء الله تعالى

انشاء مجلة المقتبس

المقتبس

انشأ صديقنا محمد أفندي كرد علي الدمشقي في القاهرة مجلة أدبية علمية
اجتماعية شهرية سماها (المقتبس) وقد أصدر الجزء الأول منها في شوال وهو لشهر
الحرم من العام القابل أصدره قبل وقته تمجيلاً للفائدة . اعتاد المصريون على كثرة
رؤية الصحف الجديدة وعلى سرعة فقدائها فقلت ثقتهم بالجديد وان كان مفيداً
لعدم ثقتهم به وبدوامه ولسبب آخر هو عدم ثقتهم بثبات صاحب الصحيفة على الخطة
التي يختطها لنفسه في ابتداء عمله . فمن النصيحة لقراء المنار أن يعرف اليهم المقتبس
(الكاتب) أولاً والمقتبس (المجلة) ثانياً ليشارك من يشترك عن يمينه .

محمد أفندي كرد علي من شبان دمشق الذين حسنت تربيتهم وعني بتعليمهم وقد
اشتغل زمناً بتحرير جريدة (الشام) وله مقالات كثيرة في مجلة المقتطف ويعرف
التركية والفرنسية معرفة جيدة ويحسن الترجمة عنهما وعبارته من أحسن عبارات
كتاب هذا العصر وأسلمها من الخطأ والمسلطة والمعاذلة . وهو حسن الاختيار
فيما يقتبس من الكتب العربية والأوربية وحسن القصد فيه . وما حمله على انشاء
هذه المجلة إلا ولوعه بنشر العلم والأدب الذي يراه نافعا فالكتابة انشاء وترجمة
هي منتهى لذته لا يكره فيها إلا الخوض في السياسة وكل ما يختلف الناس فيه
المذاهب والمشارب ، فأنشأ مجلة المقتبس ليمتع عقله بلذته ، ويفيد قراء العربية
بحسب استطاعته ، ودعوة أصدقائه من الكتاب إلى مساعدته ، وهو غني عن
الكسب بقله وقد وطن نفسه على الخسارة المالية سنتين أو ثلاثاً ولكن محبي العلم
والأدب في مصر وغيرها لا يرضون له الخسارة في خدمتهم ان شاء الله تعالى
مباحث المجلة تدخل في عشرة أبواب (١) صدور المشاركة والمشاركة — وهو

لتراجم الرجال الذين ينتفع بسيرتهم ٢ المقالات ٣ التريية والتعليم ٤ الصحف
المنسية - ينشر فيه ما طوي ذكره من منشور العربية ومنظومها في الجدل والمهزل ٥
تدبير الصحة ٦ تدبير المنزل ٧ المطبوعات والمخطوطات ويدخل فيه تقرير
الكتب المنشورة بالطبع والتعريف بالكتب المخزونة في المكتاب ٨ مقالات
المجلات يذكر فيه أهم ما في المجلات العربية والأجنبية من المقالات والآراء ٩
سير العلم - يدخل فيه ما يقتبس من المجلات العربية ١٠ نقاضة الجراب - وهو في
الشجون والأفكار

جاء في الجزء الأول ترجمة وجيزة لابن حزم ومقالة في الأمية والكتائب
وأخرى في سيئات القرن الماضي ملخصة من مجلة فرنسية ، ومقالة في تعليم اللغات
وهي مترجمة أيضاً وبعض مقاطع من شعر حافظ وعبد الرحمن شبنبر والرافعي
متفرقة ونبذة في التمثيل في الاسلام ونبذة في التنازل الغريب يريد كثرة النسل *
ونبذة في العمل والعملة وشي من نصائح ابن حزم وشي من نكات الوهراني وشي
في وصف الجرائد لعبد الله باشا فكري * ونبذة في أوقات الطعام ونبذة في استعمال
السكر وأخرى في حياة الفقير ورابعة في دواء الأرق * وكلام عن كتاب مداواة
النفوس لابن حزم وعن منشآت الوهراني وعن كتاب فرنسي اسمه نصائح للعملة
وعن قصة (في وادي الهموم) * كل شي مما تقدم في الباب اللائق به عند الكاتب
وفي باب سير العلم نحو ٢٠ نبذة وجيزة . وغير ذلك

وقد انتقدنا عليه أموراً لا يسلم من مثلها المبتدئ بالعمل منها أنه كتب عن
ابن حزم في ثلاثة أبواب وتكلم عن الوهراني في غير ما موضع . ترجم ابن حزم
في الباب الأول ثم ذكر شيئاً من نصائحه في باب الصحف المنسية ثم ذكر الكتاب
الذي اقتبس منه النصائح في باب المطبوعات وكان يحسن أن يذكر في باب
واحد من هذا الجزء وكذلك يقال في تكرار ذكر الوهراني والكلام في العملة .
ومنها أن ما ذكره من النصائح لم يعد من الصحف المنسية وقد طبع الكتاب قبل
وجود المجلة . فإن أراد بالصحف المنسية ما أهل الناس العمل به فالباب واسع
يدخل فيه كثير من المجلدات العظيمة في التفسير والحديث والرقائق وغير ذلك

فالاتقاد على الباب نفسه أولى . ومنها أنه لم يكن يحسن ذكر منشآت الوهراني والتشويق اليها والتصريح بتعمد كتمان مكانها لأن هذا يغري أهل الولوع بأمثال هذه المسائل الى البحث عنها ومن بحث عن الموجود ظفر به غالباً . ومنها ان بعض المباحث لم توضع في الأبواب التي هي أليق بها فقد أدخل في باب التربية والتعليم الكلام في العملة والصناع وأخرج منه بحث تعليم اللغات . وذكر شيئاً من مقاطيع الشعر في باب المقالات دون باب الصحف المنسية . ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته الى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه كما يرى المدقق في ترجمة ابن حزم وما نقل منها عن النخبة لابن بسام . ومنها الاختصار المخل في بعض المباحث كمبحث « الأمية والكتاتيب » فالظاهر انه يريد الكلام على الامية في الاسلام وكيف انتقلت العرب بعده منها الى التعلم حتى إنشاء الكتاتيب قديماً وحديثاً ولكنه جعل محور ربع ما كتبه في معنى لفظ الأمي وفي تفسير ماورد في أهل الكتاب من قوله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني » (وقد ذكر في المقتبس لفظ يقرأون بدل يعلمون سهواً قليلاً صحح) وكان المناسب أن يذكر تفسير قوله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فقد فسر الكتاب هنا بالكتابة وهما مصدران للكتب . ثم ذكر شأن الكتابة في الجاهلية وذكر أمماً أخرى بالايجاز ولم يذكر عن الاسلام بعد ذلك الا سطر ونصف سطر وقال بعد ذلك « هذه زبدة ما يقال في معنى الأمية في الاسلام » الخ والسبب في هذا الاختصار المخل رغبة الكاتب في ايداع الجزء مباحث كثيرة . وأمثال هذه الامور التي انتقدناها مما يسهل تلافيها لاسيما بعد التنبيه اليها ومنها ما تتبع فيه اصطلاح مجلات اوربا وان لم يكن عندنا مألوفاً

وجهة القول أن « المقتبس » مجلة نافعة حسنة العبارة وصاحبها كما قيل له في كل جو متنفس ، ومن كل نار مقتبس ، وهي مرجوة الثبات والدوام ، مرجو لها التقدم الى الأمام ، وصفحات الجزء منها ٥٦٦ وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً صحيحاً في مصر وثلاثة عشر فرنكاً في سائر الاقطار

﴿ كشف الحبايا - والمسلمون والقبط ﴾

ظهرت جريدة أسبوعية جديدة بهذا الاسم لعبد الحميد أفندي فريد الذي كان قبطياً فأسلم تاركاً خدمة الكنيسة القبطية التي كان واعظاً فيها وخدمة مدرسة القبط في ملوي وكان ناظراً لها - تاركاً هذا وهو مورد معاشه لأنه اعتقد بعد طول البحث بحقية الدين الاسلامي قلقي من القبط مناهضة شديدة ومناصبه قوية كما هي عادتهم حتى انهم هددوه وأبهوه بما يحكم فيه القضاء حكمه المهيمن لو ثبت فلم تثبت التهمة، ولكنه هو ثبت في الفتنة، وأنه أهذه الجريدة يبين فيها الآيات والدلائل التي أخرجته من دين وهدته الى آخر ويند كرفها بعض ما لقي من القوم الذين فارقه، وما هم عليه مما نفره منهم، فينتقد جميع ما يراه منتقداً من هذه الطائفة، وقد صدر العدد الأول من الجريدة في ١٤ شوال الماضي وفيه شيء كثير من ذلك

لأن القوم عذروا الرجل فيما ظهر له أنه الحق ولم يفتنوه ليكتم اعتقاده وينافق بإظهار خلافه لما تصدى للاشتغال «بكشف الحبايا» وقد يقرأ قارؤهم هذه الكلمات التي كتبها فيهم منها أنني أنصر له وأحمد عمله لأنه صار مسلماً فأنا أنعصب له تعصباً جنسياً كما يعبد منهم ومن اتخذ الدين جنسية من المسلمين وغير المسلمين . ولكن من يقرأ المنار يعلم أنني أدعو دائماً لأن يكون الدين كله لله لا لعصبة الجنسية . وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم «ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود عن جابر بن مطعم أدعوا الى هذا لاعتقادي ان الناس اذا تركوا العصبية الجنسية فانهم يعذرون كل معتقد في اعتقاده ولا يفتنونه فيه وإنما يدعو الداعي الى اعتقاده بالبرهان الذي يستند اليه فيه كما أمر الله تعالى بقوله «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» ومن كان على بينة من اعتقاده فهو يعتمد في نشره على بيانه للناس كما قال تعالى «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» وسنة الله في الخلق تقضي باختيار الأمثل، وترجيح الأفضل متى وجدت الحرية، وزال الاضطهاد والفتنة، رأيت في جريدة «كشف الحبايا» كلمة لعلي لم أرها لم أكتب ما كتبت

رأيت فيها الرجل يقول انقوم فيما حكاه ان أحدهم قال له وهو أقرب الناس إليه وأعز الأصدقاء له « يا ليتك كفرت بالله وصرت وثنيًا أو طبيعياً فكان ذلك أولى وأحسن من دين محمد » وباليته حذف ما حذف من قوله فلم يكتبه كله . ولا شك عندي بأن قائل هذه الكلمة لاحظ له من الدين إلا العصبية الجنسية السوءى وبقض المسلمين لأن كل متدين بل كل انسان يرى أن أقرب الناس إليه فيما هو عليه من كان مشاركاً له فيه على نسبة ما به الاشتراك فأقرب الناس من الكتابي من كان يؤمن بالله وبالرسل والكتب ثم من كان يؤمن بالله دون الرسل ثم من كان له دين مآولو وثنيًا وأبعدهم عنه من لا يشاركه في شيء من ذلك فكيف يكون قائل تلك الكلمة مسيحياً يدين بما أمر المسيح من محبة الأعداء ثم يقول ما قال في دين ونبي جاء في كتابه « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى »

ليس الذنب في هذه العصبية الجنسية الجاهلية خاصاً بالقبط بل هي عامة بصوم الجهل في البلاد فغوغاء المسلمين وكثير ممن يعدون من نبيائهم يأتون بالأعمال المنكرة في الحفاوة بمن يسلم من النصارى فيحفظون قلوبهم ويحركون أضغاثهم وذلك ضار بمصالحهم الدنيوية التي تتوقف على البر والمجاملة وحسن المعاملة لأعلى ترك الأيذاء فقط وليست من الدين في شيء بل هي مخالفة له لأنه ينهى عن الأيذاء وأمر بالعدل والاحسان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين » ومن الدلائل على ان عمل هؤلاء الذين يفرحون ويطربون بمن يسلم من النصارى من عصبية الجاهلية لا من الغيرة الاسلامية أن أكثرهم يجنون عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا يكادون يعملون بما يعلمون منها

المسلمون والنصارى في هذه العصبية الجاهلية سواء والعارفون بمضارها من الفريقين قلما ينهون عنها وقد علمت مما قص علي من الوقائع في ذلك أن الفرق بين المسلمين والقبط فيها من وجه واحد وهو أن علماء المسلمين وكبراءهم من الحكم وغيرهم قلما يوجد فيهم من يحيل الى ما تفعله العامة أو يساعدهم عليه وأن القبط

يعملون ما يعملون بتواطئ بين كبرائهم من رجال الدين ورجال الحكومة وغيرهم والسبب الطبيعي في ذلك أن ما يفعله المسلمون لا يحتاج الى رأي ولا تدبير ولا مساعد ولا نصير لأنه عبارة عما يسميه فاعلوه من العامة (هيصة) يجتمع فريق من الفوغاء يحتفلون بالمسلم الجديد بالصباح في الشوارع بالدعاء للاسلام والتعريض بالكفار . وقلما يتنصر مسلم وان وقع ذلك لا يبالون به ولا يجتهدون في ارجاع المتنصر عما ذهب اليه . وأما القبط فان جل فعلهم في منع من يريد الاسلام من الدخول فيه بالترغيب والترهيب ثم الايذاء ولا يخلو ذلك من خطر على فاعله فالترهيب مع اتقاء الخطر لا يكون الا من كبراء الامة رأياً ونفوذاً . ان تواطئ كبراء القبط على ما يتعلق بشرفهم آية بيّنة على حياتهم القومية وقوة رابطتهم الجنسية وهم يفضلون المسلمين بهذا ولكن توجيه هذه القوة الى مقاومة من يدخل في الاسلام والكيد له والحيولة بينه وبين زوجه وولده مما لا تقل فائدته ولا تؤمن غائلته فلو تساهلوا فيه وتركوا من يسلم وشأنه لكان خيراً لهم وان كان يحسر عليهم مادام المسلمون مصرين على تلك المظاهرات الصبائية . فأنا أدعو الفريقين الى ترك الدين لله وجعل الرابطة المالية حادياً يحدو بالامة الى الاعتزاز بالعلم والعمل ولا عزة بمن يتوجه الى غير دينه مقتنعاً معتقداً ثم يترك ذلك خوفاً ويعيش منافقاً .

ثم انني أنصح لعبد الحميد أفندي فريد المسلم الجديد بأن يجعل عنايته في طلب فضائل الاسلام والاجتهاد في التحقق بها حتى لا يكتب ولا يأتي مالا يبيحه له فقد رأيت فيما كتبه تحت عنوان عن أبواب الكنيسة السرية وأمورها الخفية اسناد حب الباطل واتباع الفساد الى بلعام بهد جعله نبياً والمسلمون لا يعترفون بنبوة بلعام حتى على ما ذكر في التفسير من كونه هو المراد بقوله تعالى « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » كما يعلم من مراجعة كتب التفسير . وأنصح له أن لا يكتب ما يكون سبباً للعداوة والبغضاء فان كان للقبط سيئات خفية فالشرع الاسلامي لا يأذن بفضيحة الناس واظهار سيئاتهم لما في ذلك من اعلان القبيح وغير ذلك من المضار وان كان فيها ما يضر المسلمين جهلهم به فالتحذير منه مما لا يتعسر مع الأدب والاحتراس وما ذكره في الأبواب السرية ليس من النصيحة

للمسلمين في شي . . الجريدة تطلب من صاحبها في ملوي وقيمة الاشتراك فيها ٢٠ قرشاً في مصر و يقبل من طلاب العلم كافة ومن خدمة الجوامع نصف القيمة

— كتاب الخير والشر — أوقصة كاترينا —

لا سكندر ديماس الشهير بتأليف القصص الخيالية قصة سماها « كاترينا بلوم » نقلها الى العربية كل من محمد أفندي وجيه رئيس كتاب المجلس البلدي في المنصورة وحسين أفندي الجمل وكيل البريدي المطرية مطرية الدقهلية — نقلها بالتعاون والاشتراك وطبعها على نفقتها فكانت صفحاتها ٢٤٠ وهي بشكل كتاب الاسلام والنصرانية وجعلها ثمنها ستة قروش صحيحة لمن يطلبها بالبريد

سما القصة كتاب الخير والشر لأن كاترينا التي هي موضوع القصة خيرة فاضلة ربيت تربية فطرية بعيدة عن منازع الشر وكان لحالها الذي رباها ولد عني به كما عني بها فكانا متشاكين فتحابا ورغبا كما رغب مربيهما أن يكونا زوجين وكان هناك رجل شرير يكيد لها ويحاول افساد ذات بينها وإيقاعها في الهلاك فكان عاقبة أمره خسراناً وانتصر الخير على الشر . على ان اسم « كتاب الخير والشر » أكبر من هذه القصة اذ ليس موضوعها بيان أنواع الخير وطرقها والهداية اليها وبيان أنواع الشر وطرقها وكيفية اجتنابها . وأكبر ما في القصة من العبرة بيان مضرة جهل المرأة وتعصبها وتحكيم هواها في أمر تزويج ولدها فقد كان جهل أم برنار وتعصبها للكاتوليكية واتباع هواها في منعه من الزواج بينت عمه البروتستانتية أضرت من كيد ذلك الشرير له ولخطيته ولولاها لما كان لذاك الكيد أثر يذكر . فهذا دليل على أن الحب الجاهل كثيراً ما يكون أضرت من العدو عاقلاً أو غير عاقل . ومن قرأ وصف تلك المرأة رأى أنه ينطبق على أكثر نساء هذا العصر في هذه البلاد وأمثالها

وأما عبارة الترجمة فهي بفضل أكثر ما ترى من عبارات مترجمي القصص وتتحاشى كثيراً من الاغلاط المشهورة فيها وفي الجرائد . وقد طلب العربان في مقدمتهما للقصة غض الطرف عن السهو والزلل وعدا ذلك من نظر التنشيط دون التشييط وليس الأمر كذلك فان التنبيه على ذلك هو الذي ينشط الكاتب

يرجع إلى الاعتراض من مثله وهو لا يمنع من رواج العمل لاسيما في القصص لأن أكثر قرائها أوجبهم يبتغون بها التسلية

خاتمة الجزء من باب الفقه

﴿ شيخ الأزهر ، وزينة الكسوة والمحمل ، حكم الفرجة عليها ﴾

الشيخ عبدالرحمن الشرييني شيخ الجامع الأزهر مشهور بالتشف والزهة والعزلة والأعراض عن أهل الدنيا ولما ذهب إلى الاسكندرية لوداع الأمير قبل سفره إلى أوربا في الصيف الماضي ذكرت جريدة المؤيد من خصائصه أنه لم ير الاسكندرية قبل هذه المرة ولم يحضر الاحتفال بمحمل الحج أي ولا الاحتفال بنقل كسوة الكعبة وقد لهج الناس يومئذ بما كتب المؤيد فمنهم من قال ان هذا ذم لا مدح ومنهم من توقف في الحكم — ذلك أن من الناس من يظن أن الاحتفال بالكسوة والمحمل من شعائر دين الاسلام و يظن أن حضور العلماء فيه هو من آيات ذلك والالابوا وأنكروا ، والحق أن امتناع الشيخ الشرييني لم يكن إلا لاعتقاده بأن حضور ذلك الاحتفال حرام وانما نورد هنا بعض نصوص فقهاء مذهبه في ذلك

قال البجيرمي على الخطيب : والكسوة المعروفة حرام لاشتمالها على الفضة : (قال) والحرمة هنا عدها البلقيني من الكبار وقال الأذري أنها من الصغار وهو المعتمد وقال ويحرم زر كشة أستار الكعبة من الفضة ومثلها في حرمة الزر كشة بما ذكر ستور قبور الأنبياء والمرسلين على المعتمد خلاف للبلقيني . وإذا قلنا بحرمة ذلك فتحرم الفرجة عليه أيضاً كالفرجة على الزينة المحرمة لكونها بنحو الحرير بخلاف المرور عليها لحاجة وامتناع ابن الرفعة من المرور أيام الزينة كان ورعاً كما قاله الرمي . ولو أكره الناس على الزينة المحرمة لم يحرم عليهم وهل يجوز التفرج عليها حينئذ ، الذي يتجه المنع لأن ستر الجدران بالحرير حرام في نفسه وعدم حرمة وضعه لئلا كراه لا يخرجها عن الحرمة في نفسه وما هو حرام في نفسه يحرم التفرج عليه لانه رضاء به كما قاله ابن قاسم على المنهج اه كلام البجيرمي ومثله ذلك في حواشي الشبرايملي على الرمي

وقال البجيرمي على الخطيب أيضاً تنبيه يعلم من هنا - أي من الكلام على
الحرير - وما يأتي في زكاة النقداً للمحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه
ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكذا
الذهب الذي على الكسوة والبرقع الخ اهـ قل على المحمل اهـ
وقال الباجوري في حواشيه على ابن قاسم الغزي ويحرم التفرج على المحمل
المعروف وكسوة مقام إبراهيم ونحوه ونقل عن البلقيني جواز ذلك لما فيه من التظيم
لشعائر الإسلام وإغاطة الكفار وهكذا كسوة تابوت الولي وعساكره اهـ
وقال الجمل في حواشيه على المنهج ويحرم ستر الجدران ونحوها بالحرير كستر
ضرائح الأولياء إلا الكعبة وقبور الأنبياء نعم لا يحرم ستر الجدران به في أيام
الزينة بقدر ما يدفع الضرر ويحرم المرور والفرجة عليها لغير حاجة خلافاً للعلامة ابن
حجر . وعلم من هذا وما يأتي في باب زكاة النقداً للمحمل المشهور غير جائز ولا
تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام إبراهيم عليه الصلاة
والسلام وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع اهـ البرماوي اهـ الجمل
وقال الشيخ عوض على الخطيب وكذا يحرم تمويه كسوة الكعبة والمحمل
الشريف والتفرج عليهما حرام وكذا الزينة التي تفعل بمصر اهـ
هذا هو المتمد وما نقلوه عن البلقيني ولم يحفلوا به هو رأي له مبني على شبهة
واهية وهي إغاطة الكفار ولو جاز أن نكلف إغاطة الذميين والمجاهدين لما
جاز أن نرتكب المعصية لذلك وتظيم شعائر الحج إنما تكون في إقامتها على وجهها
في مواضعها . وقد ذكرت الجرائد في هذه الأيام أن شيخ الجامع حضر الاحتفال
بنقل الكسوة في ألبينا نعرف هل ظهر له بعد أن صار شيخاً للآزهر خطأ فقهاء المذهب
وصحة رأي البلقيني فاتبعه ليعظم الشعائر ويغيظ الكفار أم ظهر له دليل آخر على الحل؟

(تصحیح غلط) وقع السطر الذي ينبغي أن يكون في آخر ص ٧٣٦ من الجزء

١٩ بعد السطر الثالث عشر من تلك الصفحة فليعلم

وجاء في السطر ١٥ من صفحة ٧٤٧ كلمة (سفينة هود) والصواب (سفينة نوح) فلتصحح

بؤني الحكمة من يشاء ومن بؤني الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذلل أكبر إلا بالباب

المجلة
١٣١٥

فيغير عباده الذين يستهون بالقول فيبوءون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« منارا » كنار الطريق)

﴿ مصر الخميس ١٦ القعدة سنة ١٣٢٣ - ١١ يناير (ك) سنة ١٩٠٥ ﴾

تجارة الرقيق وأحكامها في الإسلام

من آثار المرحوم السيد عبد الرحمن افندي الكواكي الشهير كتبها بعد سياحته الأخيرة قبل موته

من كان مطلعاً على احوال سواحل شرقي افريقيا وسواحل جزيرة العرب
ويطلع على ما كتبه المستر... بخصوص مسألة الرقيق وما نسب فيها من القصور
للهوتم الدولي في زنجبار يستغرب جدا من تسرع وتهجم الكاتب المذكور على
مواخذة مصلحة الرقيق بدون تثبت في الامر ولو أن جنابه اعتنى بتحقيق مسألة
الرقيق لظهرت له الحقائق الآتية

(أولاً) ان هذه التجارة بهمة المؤتمر المشار اليه وحراسة أوروبا الدائمة لم
يبق منها الا اسمها تقريبا

(ثانياً) هذه البقية مقصورة على شمال شرقي افريقيا حيث نخاسي الجنس السواكي
والجنس الثقلي يجلبون من السودان بعض الرقيق الى الثغور المهمة الافريقية المتقابلة

من جزيرة العرب لثغور الوجه وينبع وجدة ورابع وميلت وقونقذه وجران
(ثالثاً) تهرب الرقيق سكاد ينحصر بسفائن جده المشهور أصحابها بالمهارة
البحرية وبالأقدام على المخاطرات . فهذه السفائن تنقل الرقيق من شرقي

أفريقيا الى غربي جزيرة العرب يعني ان الثغور المذكورة التي تفصل بين السواحل الغربية فيها وما بينهما من الثغور المهمة تلك الثغور الباقية وحيدة في تجارة الرقيق بل ومنذ سنين الى الآن يتشكى أهل الحجاز من وجود قرصان في تلك المياه تحت رئاسة ابن غيش والحكومة العثمانية لا تصفى تلك الشكايات البتة

(رابعا) هذه السفائن ليست حرة في نقل الرقيق انما هي تخاف من بواخر حراسة الرقيق ولذلك ترصد أواخر الشهر القمري لتتشم السرى ليلا تحت ستار الظلام فتقطع من الساحل الافريقي اذا صادفت الريح موائقة عند غروب الشمس وتصبح في شاطئ جزيرة العرب

(خامسا) اذا تعمق جنباه في التحقيق كما يفعله المغمورون بالحرية غراما أصوليا يعرف ان البقية اليسيرة للرقيق هي تصدر من الحجاز مع قوافل الحجاج فتدخل بالاكثر الى نجد وأقل منها الى اليمن وأقل من الجميع الى بلاد سوريا وهذه الاخيرة ما عاد يدخلها رقيق الذكور مطلقا

ثم لا بد أنه كتب ملاحظته في التدابير التي يراها تفيد في حسم هذا الاس الذي يشتكى منه ونحن لأجل ان لا نترك عين هذا الاعتراض يتوجه علينا نقول ان أفضل التدابير في هذا الخصوص هي هذه

(أولا) أخذ سفائن جده وينبع وسفائن سواكن وما في جوارها أيضا التي أصحابها من أهالي جدة تحت مراقبة قوية من قبل قناصل الدول المجتمعين في جده

(ثانيا) ابرام السفارات في الاستانة على الباب العالي ان تلزم حكومة الحجاز بمنع بيع الرقيق علنا حتى في سوقه الخصوص في مكة المسمى (الدكة) كما هو جار الآن

(ثالثا) ان يصير تهديد الباب العالي تهديدا مشتركا دوليا بان اذا بقيت تجارة الرقيق مباحة في الحجاز فالدول (تسحب تنازلها عن اقامة وكلاء سياسيين لها في ولاية الحجاز في غير جدة وذلك لأجل مراقبة تحرير الرقيق مع حماية

الحجاج المسلمين من رعايا الدول أو الذين في حمايتها (١)
لي صديق من علماء العرب المسلمين ومن مشاهير الأحرار والكتاب السياسيين (٢)
فذاكرته في شأن خصوص الرقيق والديانة الإسلامية وما هو نظر علماء الإسلام
في هذه الخدمة للإنسانية القائمة بها الدول الغربية فقال
* *

ان الدين الإسلامي جوز الرق كسائر الأديان ولكن هذا الدين المرقى في
الحكمة التشريعية بالنسبة الى كل الشرائع القديمة لم يمنع الأحكام القاسية المألوفة
منع مصادمة أنما شدد في ثبوتها وجعل للمبتلين بها كثيرة منقذة من العقوبات
الشديدة باسم الدين (٣) ومن جملة ذلك انه ضيق دائرة الرق جداً بحيث يظهر
بكل وضوح ان قصد الشريعة الإسلامية ابطال الرق أساساً بالتدريج كما يعلم من
الأحكام الآتية

(١) الشريعة حصرت الرق في المتوالدين من أبوين رقيقين وفي أسرى الحرب
القانونية مع غير المسلمين وغير العرب وغير الأقارب فان هذه الأصناف لا تسرق
(٢) جعلت الاسترقاق غير الشرعي من أعظم المحرمات فيأتي في المحرمات
تالي النفس (وفي نسخة: ومبلغه منها ان يأتي بعد قتل النفس)
(٣) جعلت العتق هو الكفارة الوحيدة لجملة خطايا دينية اذا وجد الرقيق
مها بلغت قيمته

(٤) جعلت العتق هو الكفارة العظمى لجميع أنواع الخطايا التعبدية
(٥) جعلت العتق من أهم والتدور
(٦) جعلت العتق محلاً للحنث باليمين التي لا يتعلق بها حق من حقوق الناس

(١) هذه الجملة التي بين قوسين قد رجحت من الأصل وكأنه كان يريد ان
يكتب في موضعها رأياً آخر وقد أصاب بحذفها على ان الدول لا تتجراً على هذا
الآن (٢) لا يخفى على القارئ انه يعني بهذا الصديق الاستاذ الامام (٣) هذه
العبارة مبہمة مقضبة والمراد منها أن الإسلام شدد في شروط جواز هذه الأمور
كالرق وتعدد الزوجات تنغيها عنها وجعل للخروج منها منافذ كثيرة كما يأتي

- (٧) جعلت العتق أتم وفاء لحق شكر الله على النعمة أو على السلامة من خطر
 (٨) جعلت العتق أهم ما يوصي به المسلم بعد موته ليكافئه الله بهتقه من
 عذاب الآخرة

والحاصل ان الاسلام كاد ان يلزم أهله بأن كل فرد منهم يعتق ما يمكنه
 إعتاقه من الرقيق ولهذا لا يستمر الرقيق عند المسلم مدة طويلة قط بل مدة موقفة
 وكذلك الشريعة المدنية الاسلامية هي أعظم شريعة جاءت محامية عن
 الحرية وذلك انها (١) جعلت الرق يسقط بمجرد ان يدعي الانسان انه حر
 إذ اعتبرت لزوم تصديقه لأنه يدعي حقا طبيعيا وألزمت مدعي ملكه باثبات
 أصل رقيقته (٢) جعلت اقرار الانسان على نفسه بالرق ولو ألف مرة لا يسلب
 حريته ولا يمنع من ادعاء الحرية بعد (٣) جعلت الرق يسقط بمرور لفظ
 العتق على لسان المالك ولو هازلا أو سكرانا أو بلفظ لا يفهمها أو مكرها على النطق
 بها (٤) جعلت رق الانثى شبه ساقط بمجرد ان تلد ولدا من مالكتها فلا تنقل
 الى ملك آخر وبموته تصبح حرة مطلقة (٥) جعلت القول قولها في ان حلتها هو
 من مالكتها واذا أنكر فقولها يؤثر في عتقها وان لم يؤثر في ثبوت نسب الولد منه
 (٦) جعلت مالك جزء من رقيق ولو واحدا من ألف اذا أعتق جزءا عتق الكل
 رغما عن باقي شركائه وحق لهم تضمين المقت خسارتهم فقط (٧) جعلت حكم
 القاضي بالمقت ينفذ مطلقا ولو كان ظالما في حكمه (٨) جعلت خليفة المسلمين اذا
 رأى في اجتهاده (ولا بد ان يكون الخليفة مجتهدا شرعا) ان كافة الارقاء المملوكين
 للمسلمين رقيتهم غير صحيحة فحكم بحريتهم جميعهم نفذ حكمه وصار المبيد أحرارا
 دفعة واحدة ولو خالف في حكمه آراء بعض المذاهب الاسلامية القديمة الى غير
 ذلك من الاحكام الشرعية التي تقاوم عادة الاسترقاق القديمة في البشر مقاومة
 شديدة فشريعة الاسلام هي أول شريعة دينية سياسية دافعت عن الحرية
 ونادت بابطال الرق بتلك الوسائل وليست معاداة الشريعة الاسلامية للرق
 من الغريب لانها ظهرت في العرب الذين هم أحرص الامم على الحرية ونزلت
 في أرضهم التي نزلت فيها أيضا صحف الحكمة على موسى إبي الانبياء عليهم

السلام وتحمرت بلفتهم التي كتب بها أول قانون للحرية والإخاء والمساواة ولكن كما جرت سبيل برايرة الشمال رياض الرومان واليونان فأوقعتهم في القرون الوسطى المظلمة .. كذلك جرت سبيل المغول واخوتهم رياض العرب فأوقعتهم في مثل تلك القرون التي يسمون بالخروج منها

ومن ثم فالعلة الحقيقية لاستمرار الرق هي الامراء المستبدون الذين لا يتقادون للدين الاسلامي الا لاجل تطبيقه على اهوائهم فهم يتخذون الدين في الظاهر حجة للتمتع بالرق لاسيما بعد ان قامت الامم الغربية ودولها بتحريره فهو لاء الامراء يظهرون الآن امام اوربا انهم يودون منع الرقيق ولكن يخافون رعاياهم المسلمين لان الرقيق جائز شرعا ولضرورة المحافظة على الآداب والعادات الاسلامية لا يمكنهم ابطاله دفعة بل تدريجيا مع ان مسامير الرق في الحقيقة هي كبرياء الامراء والمقلدين لهم وليست هي الاسلام نفسه كما يفترونه عليه ولا بد ان يستغرب الاورباويون اذا قلنا ان علماء الدين الاسلامي ليس فيهم من يجوز الرقيق مطلقا منذ عدة قرون اي منذ لم تبقى حرب قانونية اسلامية يراد بها حماية الدعوة الاسلامية ونشرها او يراد بها المدافعة عن الجمعية الاسلامية وكذلك لم يبق في الامة اسراء متسلسلين وانما العلماء الاحرار يسكتون ويتجاهلون خوفا من الامراء او محاباة لهم لانهم يرون ان اعظم بيت في الامراء المسلمين لم يزل منذ اربعة قرون تقريبا متبعا قانونا عائليا من مقتضاه عدم زواج ذكورهم بنساء غير رقيقات فأهانتهم وزوجاتهم جميعهن رقيقات من الكرج او الجركس . مع ان الرق لا ينطبق شرعا على الكرج منذ قرن ونصف اذ انقطع دخول جيوش الاسلام الي بلاد الكرج وكذلك لا ينطبق على الجركس لانهم مسلمون ولما هو معروف ايضا من ان الجركس يبيعون اولادهم يبا او يسترقون من المدينين لهم اولادهم في مقابلة ديونهم

العلماء والمسلمون اذا لم يسكتوا عن بيان هذا الخلل في الكرج والجركس يلزمهم ان يحكموا ويصرحوا ايضا بان جميع أولئك الامراء ليسوا باولاد شرعيين .. وهو لاء الامراء يمكنهم بلا صعوبة ان يطلوا هذا القانون العائلي كما أطلوا اخبر

منذ أربعين سنة قاتون قتل جميع اولاد الاميرات السلطانيات اللاتي كن يزوجن لأزواجهن بشرط ان لا يعقبن اولاداً ابداً وذلك للحرص على عظمة بيتهم الملوكي من ان يكثر الاتساب اليه

اما ما يقال عن حاجة المسلمين للرقائق لاجل الخدمة فليس هناك حاجة ضرورة انما هي كبرياء وعظمة وتقليد لأرباب البيوتات من الامراء فقط كما ان الحصيان لا ضرورة لوجودهم والشرعية الاسلامية لا تجوز خصاء الحيوان فضلاً عن الانسان واذا وجد رجل مخفي بفعل الغير فأكثر المذاهب الاسلامية ومن جملتها المذهب الحنفي السلطاني تعتبره كسائر الرجال بلا فرق ولا تجوز استخدامه في القصور بين النساء ولا يخالف هذه المذاهب في ذلك غير المذهب الشافعي فقط

الشرعية الاسلامية وعلماءها الاحرار يشكرون أوروبا على منحها الرقيق وهم مسرورون من نجاح سعيها لتحقيقه ويتمنون لو ان أوروبا تهتدي الى وسيلة تكون قاطعة مانعة بها يسد باب الرقيق بالكلية

يقول صديقي المذكور انه يلوح لفكره من التدابير المؤثرة في هذا الشأن ما يأتي (أولاً) ان تستعمل أوروبا نفوذها الأدبي في استقباح وجود الجنس الاسود ذكورا واناثا في قصور الامراء بحجة قبح خلقهم واخلاقهم وكذلك استقباح وجود اناث بيض في تلك القصور اسيرات ذليات بدون جناية ولا اختيار (ثانياً) ان تحمل أوروبا الامراء الشرقيين على اتباع عادات امراء الغرب باعلان زواجهم الشرعي وتكرهمهم بالتدريج ان يطلبوا من دول أوروبا ان لا تعتبر رسماً من وراثتهم الشرعيين في الامارة كل مولود لهم من زوجة غير شرعية وهذا التحديد لاجل ان يعلن زواجها قبل الولادة بسبعة أشهر على الأقل ومنع اعلان الزواج بعد ظهور الحمل

(ثالثاً) ان تكلف الدول سفراءها في القسطنطينية وطنجة وطهران وكابل وقناصلها في تونس ومصر وجدة (عوضاً عن مكة) بان يستفتوا بواسطة حكومات العواصم الاسلامية من المفتين الرسميين التابعين لمذاهب مختلفة عن الحكم الشرعي

في مسألة نصها كما يأتي

(ما قول علماء الشرع الإسلامي المحترمين في الإنسان هل يصبح اعتبار رقيقاً بشرائه من أوليائه أو بالسرقة أو بصورة الأسر ولكن في حرب قامت بها فئة صغيرة مسلمة خارجة عن الجامعة الإسلامية ومخالفة في ذلك الأسر عهداً أكثر سلاطين المسلمين عهداً عاماً دولياً بإبطال الأسر الحربي مقابل عدم وقوع الأسر على كافة المسلمين (١))

إن هذا الاستفتاء ينتج أن القسطنطينية تحاول في الجواب وتنعى علماء مكة عن الجواب أما باقي المواضع فكما يجب بعدم جواز الرق وهذا الجواب من الباقيين يكفي لامتناع الأمراء من فخخة استخدام الرقيق خوفاً أدياً من رعاياهم ويكفي لامتناع الناس امتناعاً دينياً من تلك الرقيق فيصبح أنصار الرق من المسلمين أعداء له وبذلك يتم بعد سنين قلائل إبطال الاسترقاق من العالم فيرتفع عن عاتق الإنسانية هذا العار العظيم والأولى أن يكون الاستفتاء مرفقاً بالنص العربي السالف البيان لأجل أن لا يقع فيه تحريف من ترجمته إلى ترجمة فيجد العلماء المتشرعون الرسميون مهرباً بالنأويل والمواربة في الجواب فيرضون السائلين ويرضون الأمراء بخلاف ما إذا كان النص عربياً بلغة الشريعة الإسلامية ذاتها اهـ

المنار

يصلم القراء أن علماء الأفرنج يعدون مسألة الرقيق من أكبر المطاعن في الإسلام ويفتخرون بأن مدنيهم أرقى من الإسلام لأن الإسلام يأمر باستعباد البشر وهم يحردون الأرقاء حباً في الإنسانية وقد أرجع دعاة النصرانية ملكاً من ملوك المسلمين عن الإسلام بحجة أن النصرانية والإسلام شيء واحد إلا أنها تفضله بهذه المسألة رحمة بالبشر فرجع وتبعه قومه . على أن كتاب دينهم الذي ينصرونه وينشرونه فيه من الشدة على الأرقاء ما لا يوجد له نظير في الإسلام

(١) ينبغي أن يضاف السؤال وليست هذه الحرب لأجل حماية الدعوة الإسلامية

إذا لا توجد حكومة شرعية تدعو إلى الإسلام

والاسلام لم يأمر بالرق ولا جعله فرضاً ولا سنة وانما هو شيء كان عليه الناس من جميع الأمم فوضع له من الاحكام ما يحويه مع الحكمة . وهذه المقالة كان الكواكبي رحمه الله تعالى كتبها ولم ينقحها فنشرناها على علائها بتصحيح مادفاعاً عن الاسلام وضناً بآثار هذا الرجل العاقل ان تضعي حتى اننا نشرنا ذلك الرأي الذي رجحه (أي أفسد سطورره أو شطبه كما يقولون) وأما ما ذكره عن استرقاق الكرج والشركس فما أراه الا له لا لصديقه الذي نقل عنه تلك المسائل الشرعية في الرق فقد عهدناه يبحث في هذه الشؤون ونحن لا وقوف لنا على شيء من أحوال السرايى الشراكسات والكرجيات فنحكم في المسألة فمن كان عارفاً بذلك من فضلاء القراء فيكتب اليانا به وله الفضل وبما يراه نافعا في المسألة هذا وان للمرحوم الكواكبي كتاباً سماه (ماذا أصابنا وكيف السلامة) أودعه مالم يرجع عنه من آرائه في طبائع الاستبداد مع فوائد كثيرة سياسية واجتماعية ولعلنا نجعله ملحقاً للمنازل في العام القابل

فَتَاوَيْتُ الْمَسْأَلَةَ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماد منامنا خرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا . ولن نمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(أسئلة من دمياط تتعلق بقصة المولد النبوي)

من الشيخ محمد عبد الفتاح المدرس ببعض مدارس دمياط قال بعد الثناء والتحية : جاء الى مدينة دمياط ليلة النصف من شعبان رجل (من الاشراف) المتسبين للعلم وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها (جامع البحر) حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة وبعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء (وقد قرأ عليه هنا درس في عقيد الاسلام والشرق المرحوم

الشيخ محمد عبده حينما كان بمصيف رأس الهر في السنة الماضية (وابتدأ يسرد فوائد جمة لسماع قصة المولد النبوي ثم سرد ما لا اذكر منه على كثرة غير ما يأتي)
 (١) ان أول ما خلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم ومنه استمد جميع مخلوقاته
 (٢) ان الله تعالى حينما زوج آدم بحواء قام في الملائكة خطيباً معنا بذلك ثم فرض عليه صداقاً صلاته على النبي (ص) مائة مرة وقد صدع بالامر غير انه لم يستطع اكمال المدد بل انقطع نفسه عند اتمام السبعين فأقاله الله من الباقي وجعل ذلك سبباً في جعل الصداق قسمين مقدم ومؤخر

(٣) ان جميع الوحوش البرية والبحرية بشر بعضها بعضاً ليلة الحمل بالنبي (ص) ونطقت بذلك بلسان عربي مبين
 (٤) ان مريم حضرت ليلة ولادة النبي مع سارة وآسية لأنهن زوجاته في الجنة

(٥) ان العلماء اختلفوا في أمر آسية فقيل انها لم تكن ماتت الى هذا الحين لأنها رفعت الى الجنة حين استغاثت بالله من فرعون وعمله وقيل ان الله أحياها لهذا الغرض والاول أصح

(٦) ان من يعتقد ان أحد الانبياء ولد من الفرج يكون كافراً لانهم جميعاً ولدوا من ثقب في الجنب الايسر

(٧) ان النبي وجميع الانبياء أحياء في قبورهم حياة كحياتنا هذه لقول النبي (ص) (أنا في قبري حي طري) وقوله (نحن معاشر الانبياء أحياء في قبورنا) ومن الأدلة المحسوسة (تأمل) على ذلك ان علياً (رضي الله عنه) حمل زوجته فاطمة بعد موتها على يديه وأتى بها الى القبر الشريف وقال يا رسول الله هذه فاطمة الزهراء بضعتك الطاهرة قد جادت بروحها الى الله في هذا اليوم وقد جئت بها اليك لتزورك فانفتح القبر (سبحانك بهتان عظيم) ومد النبي يديه فلقاها من علي وأضجها بجانبه وقيل انه ردها اليه فدفنها بالبقيع ولذلك ترى الناس يزورها بالمكانين عملاً بالروايتين

وان سيدي أحمد الرفاعي حين زار القبر الشريف أنشد هذين البيتين

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الارض غني وهي نائبي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
فقد النبي يده الشريفة اليه امام الحاضرين فقبلها
(٨) ان عدد الانبياء ونجوم السماء كعدد شعر لحية النبي صلى الله عليه

وسلم ١٢٤٠٠٠

هذا يامولاي قليل من كثير مما قصه هذا الرجل في تلك الليلة أمام المئات
من المسلمين عامتهم وخاصتهم وفضيلة شيخ العلماء ساكت لا يبدى أقل اعتراض
على هذا الكلام مع ما عرف عنه من الفيرة على الدين ومحاربه مثل هذه
المقائد التي حشرها القصاصون في الدين فتوهوا بها وجهه الجميل .
لو كان هذا الرجل من العامة لسكتنا ولكنه معدود ضمن العلماء في قرية
المنزلة وقد خطب أمام أمير البلاد هناك وصلى خلفه فريضة الجمعة سمعت ذلك
من بعض أهل المنزلة

وقد رفع حضرة الفاضل مكاتب المقطم أمر الرجل الى فضيلة شيخ الازهر
وطلب منه اعلان رأيه في جميع ذلك وما نظنه الامبرثا للدين من هذه الاضاليل
وسيكتب جواب فضيلته بجريدة المقطم . وكتب حضرة الفاضل مكاتب البصير
بجميع ذلك الى جريدته أما مكاتبي الجرائد الاسلامية فلم يكتبوا شيئاً من ذلك .
لهذا نرجوكم توضيح رأيكم في ذلك خدمة للدين وأهله والسلام

جواب المنار

لو أن مدرساً عالماً مفسراً محدثاً على صراط السلف الصالح قدم مقعد ذلك
الرجل المختلق على الله ورسوله ودينه ونهى الناس عن بعض البدع الفاشية ،
والظلمات الفاشية ، وفسر لهم النصوص التي تنهى عن جعل الصالحين لله انداداً ،
وجعل قبورهم أعياداً ، والاحاديث التي تلزم الذين اتخذوا القبور مساجداً ، وشرفوها
وأوقدوا عليها السرج ، وهداهم الى رفض البدع ، والوقوف عند حدود السنن ،
لنزلت به الارض زلزالها ، ووجهت اليه العامة أنكالها ، ولوجد ممن يعرفون
بالخاصة من ينصر الجبهة عليه ، ومن أصحاب الجرائد التي تدعى اسلامية من

يفوق السهام اليه ، ولكادت له السياسة ، وناصبته منصات الرياضة ، أما أمثال هذا المدرس فكثيرون لاسيما من المسجد الحسيني في العاصمة حيث يكثر تردد العلماء ، والمحافظين على الرسوم الدينية من الكبراء ، لاسيما في شهر (رمضان) ومن هؤلاء المدرسين من يبيع البطائق للنجاة من النار ، ويعلم الناس مكفرات الاوزار ، ومنهم من يبيع النشرة والحجاب ، لقضاء الحاجات وشفاء الاوصاب ، ومنهم من يتلى الناس بفرور ، ويحوّطهم عن النور الى الديجور ، ولا منع ولا استنكار ، ولا تعجب ولا استكبار ، وقد صاح من سنين صائح بهذه البدع ففرقها بتفريق الناس عنها ، ودعا الى السنة الصحيحة فجذب اليها وأدنى منها ، فاضطرب لصيخته سدة القبور ، وأكل ما يقدم اليها من الهدايا والتذورات ، ووسوسوا في شأنه لبعض المتحمسين من الموام ، وقالوا انه ينكر نفع عمود الرخام ، (هو عمود من أعمدة المسجد الحسيني ينسب الى السيد البدوي ويستشفى الناس بالتمسح به) وينكر صحة حديث « لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه » ، ويقول بجهالة من اختلقه بزعمه ووضعه ، فألب الناس على داعي السنة ، وكاد يتلى بما ابتلى به الأئمة من المحنة ، فلا تعجبوا لما سمعتم فثله كثير ، والامر لله المولى الكبير أما المسائل التي لخصتم بها قول ذلك المدرس فبعضها باطل باجماع المسلمين لم يقل به أحد منهم يعتد بقوله ومنها ما جاءت فيه روايات كاذبة أو واهية أو لا يحتج بها في أمر اعتقاد يشترط الإذعان له في صحة الايمان أو يعد انكاره كفرا ولا في الاحكام التي يكتفى فيها بالظن وإنما تساهل الجماهير بمثله في باب الفضائل والمناقب . وما اختيار الناس أمثال هذه الروايات في قصة المولد الا لجلهم بما أعطى الله خاتم الرسل والنبين ، من المزايا التي فضل بها الاولين والآخرين ، جهلوا الفضائل الواضحة اليقينية ، فاستبدلوا بها تلك الاقاويل الواهية والوضعية ، وقلما تجد في هؤلاء الفالين في الاطراء عالما بالحديث يعرف ماصح منه وما لم يصح أو عالما بأصول العقائد يقيم البرهان عليها ويقدر على الدفاع عنها ، أو عالما متبعا لهدي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معتصما بالاخلاص والتقوى . ان هم الا أصحاب أوهام ، وشقاشق يتقربون بها من

العوام، واننا نشير الى اجوبة تلك الاسئلة بالتفصيل الذي يتسع له الباب

﴿ ١ - مسألة خلق كل شيء من نور النبي (ص) ﴾

واول من خلق الله

(ج ٤٢) قولهم ان اول ما خلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكاد تجده في غير هذه القصص التي يسمونها الموالد لا قليلا ويروونه عن عبد الرزاق وليس في الايدي نسخة من جامع او مصنفه ولا هو مما يتلقاه أهل هذا العصر بالرواية فيعتد بنسبته اليه فالعمدة في قبول ماخرجه رواية الحفاظ بعده عنه وأجمعهم للأحاديث الحافظ السيوطي ولم يذكر هذه الرواية في الخصائص الكبرى التي جمع فيها كل ماورد في خصائصه عليه الصلاة والسلام من صحيح وغير صحيح ولا في الجامع الكبير أو جمع الجوامع وهو الذي قال أنه لم يترك حديثاً مروياً الا أودعه فيه وإنما أورد الروايات في كونه صلى الله عليه وسلم كان نبياً بين خلق آدم ونفخ الروح فيه ولا شيء منها في الصحيحين ولا في السنن الاربع وأقواها حديث ميسرة الفجر عند أحمد والبخاري في تاريخه (لا في صحيحه) والطبراني والحاكم والبيهقي وأبي نعيم قال متى كنت نبياً؟ قال (ص) « وآدم بين الروح والجسد » . وحديث العرياض بن صارية عند أحمد والحاكم والبيهقي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني عند الله في أم الكتاب لحاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته »

قال في المواهب وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين: فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم تقف عليه بهذا اللفظ انتهى : قال الزرقاني في شرحها أي انتهى : ما نقله من كلام شيخه وبقية « فضلاً عن زيادة: وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » قال شيخنا — يعني الحافظ ابن حجر — في بعض الاجوبة عن الزيادة أنها ضعيفة والذي قبلها قوي ولعله أراد بالمعنى والا فقد صرح في السيوطي في الدرر بأنه لا أصل لهما والثاني من زيادة العوام وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأنتي بطلان اللفظين وأنهما كذب وأقره في النور والسخاوي نفسه في فتاويه أجاب باعتماد كلام ابن تيمية في وضع اللفظين قائلاً وزاهيك به اطلاعاً وحفظاً أقر له بذلك المخالف

والموافق . قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي
مارأيت أشداً استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه ولسانه بعبارة
رشيقة وعين مفتوحة انتهى

وقد فسر بعض العلماء المتقدمين أمثال هذه الأحاديث بأنها اخبار عما في علم
الله تعالى ولم يرضه التقي السبكي . قال السيوطي في الخصائص :
« فان قلت أريد ان أفهم هذا القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد أن
يكون الموصوف به موجودا وإلما يكون بعد بلوغ أربعين سنة فكيف يوصف به
قبل وجوده وقبل إرساله وان صح ذلك ففيه كذلك ؟ (قلت) قد جاء أن الله
تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الإشارة بقوله « كنت نبياً » الى
روحه الشريفة أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وإنما يعطى خالقها
ومن أمده بنور إلهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في
الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم
آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقهم متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت
فصار نبياً » اه المراد منه ثم أورد بعد هذا التأويل بأنه كان نبياً في العلم الإلهي وهو
ظاهر في حديث العرباض الذي يؤيده حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم « أن
الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة
ومن جملة ما كتبه في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين » والشاهد
قوله أن حقيقة نبينا قد تكون مضبوقة قبل خلق آدم ولو كان هناك حديث يثبت
أن نور النبي صلى الله عليه وسلم خلق قبل كل شيء لاحتج به ولم يدع أن
حقيقة الإنسان هي شيء غير روحه وجسده وبني جوابه الثاني على احتمال أن
تكون حقيقة النبي (ص) خلقت قبل حقيقة آدم . وهذا الحافظ أبو نعيم وهو قبل
السيوطي لم يذكر ذلك الحديث في كتابه (دلائل النبوة) الذي جمع فيه كل ما
رواه في هذا الشأن

واذا رجعت الى استقصاء ما روي في خلق العالم تراهم أهملوا ذلك الحديث
وروا ما يخالفه كحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذي « ان أول

ماخلق الله القلم » الحديث وهو عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم في الحلية والبيهقي عن ابن عباس « ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون » وعند البيهقي في الصفات عن ابن عمر، وحديث أبي هريرة عند أحمد والحاكم « كل شيء خلق من الماء » لعل المراد كل شيء حي كما قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . ولهذا الأحاديث أحاديث تعارضها وليس فيها شيء قطعي الثبوت والدلالة والقرآن صريح في أن السموات والأرض كانتا رقا ففصلهما وخلقهن من مادة نشبه الدخان

ثم ان لحديث عبدالرزاق تمة فيها ان ذلك النور تجزأ مرات الى أجزاء خلق منها القلم واللوح والعرش والكرسي والملائكة والسموات والأرضين والجنة والنار ونور أنصار المؤمنين ونور قلوبهم فمعناه الظاهر أن الله خلق من نوره شيئاً وخلق من هذا الشيء سائر الأشياء حتى نار جهنم والأرض وما فيها من الجماد والنبات والحيوان فامضى كون ذلك الشيء الأول نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو فرد من الأحياء الذين خلقهم الله في هذه الأرض التي هي من أصغر الكواكب التي لا يعلم عددها الا خالقها ؟ وما نسبة هذا الفرد الكريم الى ذلك الخلق العظيم الذي منه العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والسموات والأرض والجنة والنار ؟ ظاهر الحديث أن المخلوقات كلها هي نور محمد (ص) كله وهو من المخلوقات بالضرورة فما هي نسبته الى سائر ما هي نسبة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي القرشي الذي بعثه الله تعالى نبيا منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن الى جميع المخلوقات ؟ هل هو جزء منها أو كل لها وهي أجزاء له فيقال ان حقيقة محمد هي مجموعة الكائنات ومجموعة الكائنات هي محمد بن عبد الله الذي ولد من نحو أربعة عشر قرنا (ص) ؟ ثم ما معنى كون هذا من نور الله واذا سلمنا بظاهر هذا الحديث فيماذا نحتاج من نسميهم كفارا اذا قالوا ان واجب الوجود قد اتقسم فكان هذه الانواع من الكائنات ؟ « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يا أيها الكفار بعداذ أنتم مسلمون »

هذا الحديث حديث جابر المروي عن عبد الرزاق لأصله وليس فيه تنظيم

لخاتم النبيين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، بل هو مشار شباهات وشكوك في الدين
يسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين ،

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وما الرسل الا بتر مثلكم ،
يوحي اليهم ما فيه هداية لكم وما البشر الا جند قليل من جنود الله التي لا يعلمها
الا هو قال فيهم « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ورفع بعضهم فوق
بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده ففضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على
الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور ارتقائهم واستعدادهم لاتصال
بعضهم ببعض فهو صلى الله عليه وسلم أنفع الناس للناس ولو كان هو الاصل لجميع
المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله
لصرح بذلك في كتابه المبين ، الذي ما فرط فيه في شيء من مهمات الدين ، أو
لروي برواية صحيحها جماهير المحدثين ، وكل ذلك لم يكن فانفراد عبد الرزاق
بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ، ولا يشهد لها قتل ،
فان عبد الرزاق وان احتج كثيرون بحديثه وروى عنه الأئمة وبجلوه قد جرحه
مسلم وغيره واليك بعض ما قالوا فيه

قال الامام أحمد أتينا عبد الرزاق قبل المتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه
بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع . وقال النسائي فيه نظر لمن كتب عنه
بآخره روي عنه أحاديث مناكير . وقال ابن عدي حدث بأحاديث في
الفضائل لم يوافقه عليها أحد ومثالب لغيرهم مناكير ونسبوه الى التشيع . وقال
الدارقطني ثمة لكنه يخطئ على معمر في أحاديث . وقال عبد الله بن أحمد
بن حنبل سألت أبي عن عبد الرزاق يفرط في التشيع قال أما أنا فلم اسمع
منه شيئا ولكن كان رجلا يعجبه أحاديث الناس وقال محمد بن عثمان الثقفي
البصري لما قدم العباس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزاق أتينا فقال
لنا ألسنت قد تجشمت الخروج الى عبد الرزاق ورحلت اليه وأقيمت عنده ؟ والله
الذي لا اله الا هو ان عبد الرزاق كذاب والواقدي أصدق منه . أورد الحافظ
الذهبي هذا ثم قال : قلت هذا ما وافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ ، وأئمة

العلم محتجون به الا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى
وقال الذهبي في أحمد بن عبد الله ابن أخت عبد الرزاق : قال ابن حبان
كان يدخل على عبد الرزاق الحديث فكل ما وقع في حديث عبد الرزاق من
المناكير فليته منه وقد تقدم ذكره كذبه أحمد والناس

(٢ - مسألة مهر حواء من آدم)

(ج ٤٣) ما ذكره في ذلك كذب صريح لا حاجة لإطالة الكلام في رده
اذ لا شبهة فيه على الدين قرد ولا شبهة عليه هو فتكشف ولم ينقله محدث فينظر
في سنده وإنما وردت رواية ضعيفة في أمره بالصلاة على النبي (ص) ٣ مرات
أو عشرين مرة

﴿ ٣ - بشارة الوحوش بحمله (ص) ﴾

(ج ٤٤) ان الأثر الذي يذكره في نطق الدواب والوحوش ليلة جملة صلى الله
عليه وسلم قد أخذناه واضع قصص المولد من رواية أبي نعيم وهو منكر جدا أورده
السيوطي في الخصائص الكبرى وأنكره مع آخرين آخرين وهذه الآثار الثلاثة
قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد وانما نوردتها بنصها ليعلم القراء أنه
لم يصح منها شيء فلا يفتروا بأصحاب العمام المجراء اذا قرءوها وأجازوها قال :
(١) أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم
قال لما حضرت ولادة أمية قال الله للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب
الجنان كلها وأمر الله الملائكة بالحضور فزالت تبشر بعضها بعضها ونطاولت جبال
الدنيا وارتفعت البحار وتبأشر أهلها فلم يبق ملك الا حضر . وأخذ الشيطان
فغل سبعين غلا وألقى منكوساً في لجة البحر الخضراء وغلت الشياطين والمردة
وألبست الشمس يومئذ نورا عظيماً وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء
ينظرون ولادة محمد صلى الله عليه وسلم . وكان أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا
أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأنت لا تبقى شجرة الاحملت
ولا خوف الا عاد أمنا فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الدنيا كلها نورا
وتبأشرت الملائكة وضرب في كل سماء عمود من زبرجد وعمود من باقوت قد

استنار به فهي معروفة في السماء ، قد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، قيل هذا ما ضرب لك استبشارا بولادتك: وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطئ نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر جعلت ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السماء يدعون بالسلامة ونكست الأصنام كلها وأما اللات والعزى فأنهما خرجتا من خزانتهما وهما تقولان ويح قريش جاءهم الأميين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها . وأما البيت فأياما سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول الآن يرد علي نوري ، الآن يجيئني زواري ، الآن أظهر من أدناس الجاهلية ، أيتها العزى هلكت . ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن . وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) وأخرج ابو نعيم عن ابن عباس قال كان من دلالات حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت في تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبها وانزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك . ومرت وحش المشرق الى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً ، وله في كل شهر من شهوره نداء في الارض ونداء في السماء: أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج الى الارض ميمونا مباركا قال وبقى في بطن أمه تسعة أشهر كمالا لا تشكو وجما ولا ريحا ولا مفضا ولا ما يعرض للنساء من ذوات الحمل . وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة آلها وسيدنا بقي نبيك هذا يتيما فقال الله أناله ولي وحافظ ونصير . ونهر كوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتاني آت حين مر بي من حملة ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين طرا فإذا ولدته فسميه محمدا . فكانت تحدث عن نفسها وتقول لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمرا

عظيما فإني ذلك فرأيت كان جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب
عني كل رعب وكل وجع كنت أجد ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبنا وكنت
عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن
من بنات عبد مناف يمدقن بي فينا أنا أعجب وإذا بدياج أبيض قد مد بين السماء
والارض وإذا بقائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا
في الهواء بأيديهم اباريق من فضة ورأيت قطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي
مناكيرها من الزمرد واجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري وابصرت تلك
الساعة مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام منصوبات علما في المشرق
وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني الخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه
وسلم فلما خرج من بطني نظرت فيه فإذا أنا به ساجدا قد رفع اصبعيه كالتضرع
المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتي غشيتها فغيب عن وجهي .
وسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد شرق الارض وغربها وأدخوه البحار ليعرفوه
باسمه ونهته وصورته ويعلموا أنه سحي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا
محي في زمنه . ثم تجلت عنه في أسرع وقت فإذا أنا به مدرج في ثوب صوف
أبيض وتحتة حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب وإذا
قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة .
ثم اقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة حتي غشيتها
فغيب عن عيني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد الشرق والغرب ومواليد
النبيين واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والطير والسباع وأعطوه صفاء
آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت
داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى وانغمروه في أخلاق الانبياء . ثم تجلت
عنه فإذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية وإذا قائل يقول بنح قبض
محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل في قبضته وإذا أنا بثلاثة
نفر في يداهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء وفي
يد الثالث حريرة بيضاء فتشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه

ففسله من ذلك الا يريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الي

(٣) وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن العباس قال لما ولد أخي عبد الله وهو أصغرنا (١) كان في وجهه نور يزهر كنور الشمس فقال أبوه ان لهذا الغلام لشأناً فرأيت في منامي أنه خرج من منخره طائر أبيض فأتيت كاهنة بني مخزوم فقالت لي لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب له تبعاً فلما ولدت آمنة قلت لها ما الذي رأيت في ولادتك قالت لما جاءني الطلق واشتد بي الأمر سمعت جلبة وكلاماً يشبه كلام الآدميين ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب ما بين السماء والأرض ورأيت نورا ساطعاً من رأسه قد بلغ السماء ورأيت قصور الشام كلها شعلة نار ورأيت قربي سر بامن القطا قد سجدت له ونشرت أجنحتها ورأيت تابعة سميرة الاسدية قد مرت وهي تقول مآلتي الأصنام والكهان من ولدك هذا هلكت سميرة والويل للأصنام ورأيت شاباً أتم الناس طولا وأشدهم يابضاً فأخذ المولود مني فتفل في فيه ووهه طاس من ذهب فشق قلبه شقاً ثم أخرج قلبه فشقه شقاً فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها ثم أخرج صرة من حرير أبيض ففتحها فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة وألبسه قميصاً فهذا ما رأيت « ١ هـ

أقول هذه الآثار الثلاثة هي ينبوع خرافات قصة المولد والثاني منها يذكرونه برمته في أكثرها وقد قال السيوطي بعد إيرادها هنا مانصه:

هذا الاثر والآثران قبله فيها نكارة شديدة

ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم

(١) قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب : كان العباس أسن من رسول الله (ص) بستين وقيل بثلاث : أقول وهذا القول مجمع عليه من المحدثين والمؤرخين وهذا الحديث مبني على أن العباس أسن من والد النبي صلى الله عليه وسلم فهو مخالف لأجماع المحدثين وكفى بذلك كذباً

تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك

هذا كلام السيوطي على تساهله في الجمع وأقول إن أبا نعيم لم يذكر هذه الآثار الواهية في كتابه دلائل النبوة على ما فيه من الروايات الضعيفة والمنكرة كما ترى في النسخة المطبوعة منه فكان ينبغي أن يتبعه في ذلك لأن الخصائص كالدلائل مؤلفة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم على أن ذكره لها مع براءته منها كان خيراً من السكوت عنها . وعبارته تدل على أنه أورد في الخصائص كثيراً من الروايات المنكرة وهو كذلك . وقد ذكر بعد الآثار الثلاث رواية مخزوم ابن هاني عن أبيه عند البيهقي وأبي نعيم وفيها أنه ارتجس ليلة المولد إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة وفيها رؤيا الموبدان وحكاية سطيح الكاهن . وقال في آخرها : قال ابن عساكر حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مخزوم عن أبيه تفرد به أبو أيوب البجلي : أي وما تفرد به لا يحتاج به . وتذكر هذه الآثار في بعض القصص والكتب بعبارات مختلفة بزيادة ونقص ولا يلتفت إلى شيء منها فإن العبرة بما يروي المحدثون ، لا بما يهذي به القصاصون ، هذا وإذا أردنا أن نبحث في هذه الآثار من جهة موضوعها وحفظ المشركون في الجاهلية وسائر الأمم لها إلى أن ظهر الإسلام فأننا نجد فيها مالا تقبل معه فإن أمثال هذه الغرائب من شأنها أن تستفيض وينقلها الجاهير ولم يرو أن أحداً من المشركون آمن لأجلها ولم يروها أهل الصحاح كالبخاري ومسلم بل تركوها لعدم الثقة بروايتها . وأما أبو نعيم فإنه لم يروها واثقاً بها ولكنه كان يروي المناكير بل والموضوعات ويسكت عليها اعتماداً على أن الناس يعرفون درجتها من سندها ولكنهم انتقدوا عليه ذلك هو وابن منده وكان يعطن أحدهما بالآخر للمعاصرة . قال الحافظ الذهبي في الميزان فيها : لا أقبل قول كل منهما في الآخر وهما عندي مقبولان لا أعلم لهما ذنباً أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عليها : اهـ . ويوجد شيء من هذه الروايات في كتب أخرى لنير المحدثين لا يوثق بها

ولا بأسانيدها ككتاب مسامرة الاخيار المنسوب للشيخ محي الدين بن عربي على ان فيها ذكر المجهولين والضعفاء ورواة المناكير كسعيد بن عثمان الكريزي قال الذهبي كان يحدث في اصبهان بالمناكير وحفص بن الصباح الرقي قال لما كم حدث بغير حديث لم يتابع عليه ويحيى الباطلي ضعفوه وضعفوا شيخه ابا بكر بن مسلم الحمصي وغيرهم . وحسبنا ما في كتاب الله تعالى والاحاديث والآثار الصحيحة في آياته وفضائله عليه افضل الصلاة والسلام فلا حاجة لنا بامثال هذه الروايات هذا وقد طال بنا القول وسنجيب عن بقية المسائل في الجزء الآتي ولم ننس الاسئلة الواردة من تونس وسنغافورة ولكل شيء اجل

باب في تعليم اللغات

نكتفي في هذا الباب من هذا الجزء باقتباس المقالة الآتية من مجلة « المقتبس » تنويها بحسن اختيارها للمفيد وايداننا بما للفريدين من الرقي في فن التعليم ، قالت

تعليم اللغات

ان تعليم اللغات على الطريقة التي جرى عليها الغربيون واقتبسها المشاركة قد تكون نظرية أكثر مما هي عملية فيطول أمرها ويصعب تناولها . وإطاما رأينا من يترجم أشعار شكسبير الانكليزي أو بوالو الافرنسي وإذا رمنه الاقدار في شوارع لندن أو باريز لا يطاوعه لسانه أن يلفظ كلمات مهتدي بها لوجه طريقه . ذلك لأن الطريقة في تعلمه تلك اللغة الأجنبية هي عين الطريقة التي يستخدمها الاوربيون في تعليم الصم البكم بل عين النهج الذي يمهجه المغاربة في تعليم احدى اللغات الميته من لاتينية ويونانية أو احدى اللغات الحية من انكليزية وفرنسية وإيطالية وغيرها . اذ يكون تدريس النحو والصرف والترجمة من الكتب هو العدة في اثنان اللغات ويسهل على المعلم أن يدرس تلميذه على هذا النحو وربما أخذ في تعليمه لغة وهو لا يحسن أن يوافق بين جملتين صحيحتين في تلك اللغة التي عهد اليه تدريسها ولم يجود التلفظ بها فكان شغله الشاغل تعليم تلامذته أصول التصريف

والاعراب والترجمة على حين قد ثبت ان الدارس قد يستظهر قواعد لغة وقوانينها ولا يبرع في اللغة نفسها . واسقم المذاهب في تعلم لغة أن يتكلم المرء بلغته في خلال تعلمه لغة غيرها .

من أجل هذا قضت الحال أن تكون دراسة قواعد الاعراب والتصريف بعد معرفة اللغة معرفة عملية لا نظرية ولا تفيد الترجمة والنقل الا اذا توفرت للطالب باديء بدء معرفة الاساليب في اللغة الغريبة . فعلى من رام أن يتكلم لغة ويكتب فيها أن يفكر في تلك اللغة ويكون شعوره شعور أهلها فيها لا ان يصيغ تراجم وينقل جملاً . فتسندعي الأفكار والانفعالات للحال ما يحتاج اليه الطالب من الالفاظ التي يعبر بها عنها فتصير اللغة التي يتعلمها لغة ثانية له ولا تكون الترجمة من لغته أو إليها اذا دعت الحال حرفاً بحرف بل على طريقة تنقل بها الصورة الى التعبير عنها . وقلما يسمع المتعلم في معظم المدارس اليوم صدى اللغة التي يتعلمها ويقتضي له أن يربي عليها أذنه وذاكرته ما أمكن . وما أشبه المدرس وهو يشرح للدارس دروسه بلغته الأصلية الابامّ تود أن تعلم طفلها وهو ألكن تمام قواعد الفعل الماضي وتصريف الافعال الشاذة بدلاً من أن تعنى بتعليمه أن يحسن تلفظ الكلمات الاولى التي يحاول لفظها .

وما فتى تعلم اللغات يختلف باختلاف الاجتهاد في كل قوم ومعظمه دائر في الغرب منذ ثلاثين سنة على طريقتين وهما اما أن يقيم المتعلم زمناً في بلاد اللغة التي يريد تعلمها أو ان يكون أهل الطفل في سعة من العيش فيتخذون له مؤدباً أو مؤدبة يعلمه اللغة بالعمل بين ظهراي أهله وأسرته . وقد ابتدع الاستاذ برليتز الاميركاني طريقة سهلة لتعليم اللغات جرى عليها بعضهم في أميركا وأوربا فاسفرت عن نجاح أكيد . وطريقته عبارة عن نظر عقلي وعلم عملي و بلفظ آخر نظر في المحسوسات لا المجردات اذ اللغة عبارة عن أصوات محكية لا عن اشارات مكتوبة . والتعليم سماعي أولاً ثم نظري . ولا يعتمد في طريقته الى الترجمة ولا الى النقل ولا يستخدم فيها الطالب معجماً ولا يستصحب كتاب قواعد بل يتعلم الانسان القوانين بعد لا كمال المعرفة العملية على نحو ما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه . وليس

في تعلم القواعد نفع حقيقي الا متى عرف المرء اللغة فالقواعد تشرح اللغة شرحاً علمياً فتبحث عن علل يتأتى الاستغناء عنها بادية بدءً وقبلما تنفع في تلقين اللغة شأن مصور لا يحتاج الى ائتمان العلوم الطبيعية والكيمائية ليصنع صوراً شمسية بديعة .

ما اللغة في الحقيقة الا صورة محكية من الحياة فاقضى في تعلمها أن يسير الانسان من نفس الحياة لا ان يعتمد الى اشكال من التعبير لا تمس ولا تتحرك وقبلما تتلاءم الالفاظ وصور الافكار بين لغة وأخرى كل التلاؤم فالبداءة بالترجمة الحرفية من لغة الى لغة يراد تعلمها اضاءة للوقت واتعاب للذهن على غير طائل . ومن المصير المتعذر ان يرسم المرء صورتين رسماً خفيفاً على حين لا يضع احدهما على الاخرى وكذلك الحال في اللغات فقد امتنع أن يحكم وضع لغتين بمضهما على بعض

واللغة بموجب هذه الاصول الجديدة عبارة عن محادثة دائمة باللغة الغريبة فكل ما يقع نظر التلميذ عليه مباشرة يكون له منه مادة درس وموضوع تعلم . وذلك بتربية الاذن والحواس الصوتية . فيلقن الاستاذ تلميذه حسن اللفظ وسرعة التركيب فيدرس الافعال الاولى بالاعمال والحركات يقوم ويذهب الى اللوح الاسود فيكتب ويفتح الباب ويرفع الكتاب ويضعه ثم تعرض على سمعه مشاهد الحياة اليومية فيسهل عليه تأليف جمل صغيرة يتزايد كل يوم عددها بسرعة . فيكون للتلميذ بهذه الطريقة في تأليف الجملة ما يلزمه من أوليات القواعد والروابط . والامم بأسرها تتعلم لغاتها بالعمل أولاً ثم بالنظر . فيتعلم المتعلم ما تمس حاجته اليه أن يكتب بدون غلط ويتعلم التلميذ أولاً معاني الكلمات الغريبة ثم يلحق التمرينات الجديدة بعد معرفة اللغة معرفة فطرية فمعرفة عقلية . ومن اللازم اللأزب الاعتياد على الصور قبل القواعد . ثم يبدأ المعلم بالسؤال فيجيبه المتعلم ولا يزالان ينتقلان من البسيط الى المركب ومن شرح المفردات الى تفسير المبازات ويكون كل ذلك باللغة التي يراد اتقانها .

واللفظ في هذه الطريقة المقام الاعلى . ولم يكن يعنى بتقويمه من قبل . والابساتذة الذين يحسنون التلفظ بلسانهم ممن تعلموها على الأسلوب الطبيعي في طفوليتهم أو اتقنوها بمقامهم في البلاد التي تكلم فيها تلك اللغة . وجودة

اللفظ هو روح اللغة على التحقيق . ولا تعد العبارة شيئاً مهما بلغت من الضبط متى قبح اللفظ وتجلت اللهجة الأعجمية فيه عياناً . ومن الهجنة أن اللفظ لا يكاد يصلح إذا فسد لأول أمره . وصعب على الإنسان مالم يعود .

فالطريقة المشار إليها مغايرة لطريقة الترجمة المألوفة في الاغلب اذ كل معرفة يرشد اليها المتعلم على هذه الصورة لا تحسب ناقصة الجهاز مشوشة الاسلوب .
وقلما يجد الالفاظ في لغة ما يقابلها في لغة ثانية وكل لغة اصطلاحاتها الخاصة بها ليس للترجمة مهما أتقنت أن تنقلها على أصلها اذ التصورات التي تمثلها لغة لا تتحد مع تصورات تمثلها ألفاظ لغة أخرى اتحاداً ذاتياً معنى ومبنى . كتب أحد الغرباء الى فنيون العالم الفرنسي المشهور « أن لي منك يا مولاي امعاء والد » يريد أن يقول « قلب والد » وقال الفونس الثاني عشر ملك اسبانيا وقد جاء قصره في يوم احتفال : « أتود أن تتعب معي نحو النافذة » يعني بذلك أن تقترب نحو النافذة .

ولو تعلم ذاك الكاتب وهذا الملك ان يتكلموا بالفرنسية على طريقة الاستاذ برليتز اذاً لنجيا من هذا الفلظ الشائن وكان شأنهما في سهولة التعبير وجودة التصوير شأن اولئك التجار والسوقة ممن ينزلون بلاداً لا يحسنون لغتها فما هو الا قليل حتى يمرنوا على تكلمها زمنا فيحسنونها ولا إحسان من تعلموها على دكات المدارس وهم يقبلون المعاجم ويتأبطون كتب نحوها وحرفها ويأمنها ناقلين ناسخين مستظهرين ناسين . وطريقة برليتز هذان يستعمل اولاً اللغة المتعلمة خاصة وان يتابع التصوير في اللغة الغريبة مباشرة بدون وساطة اللغة الاصلية وان تعلم أسماء الاعيان بقوة الحس وتعلم أسماء المعاني بتتابع التصور ويدرس النحو بالامثلة والشواهد

هذا مذهب الاستاذ برليتز في اتقان ملكة اللغات وقد انتقل من نيويورك الى باريس عام ١٨٨٩ فاست في هذه العاصمة أول مدرسة على تلك الطريقة وانتقل هذا المذهب في تلك السنة الى انكلترا والمانيا فاست في كل من لندن وبرلين مدارس لهذا الغرض . وما برحت مدارسها تتكاثر في الاصقاع الاوربية حتى كانت في بدء هذه السنة ٢٤٢ مدرسة في أوروبا وحدها وكلها أسفرت عن ارتقاء واقتصاد في الوقت والمال وطريقة القائمين بهذا الامر أن يكون لكل

تلميذ استاذها الخاص به فيأخذ هذا يعلم تلميذه ما يقع نظره عليه في قاعة الدرس من منضدة وكرسي وكتاب وباب ونافذة يلفظها بلفتها ولا يزان بكررها المتعلم حتى يتقن اللفظ فإذا نفذت المسميات لدى الاستاذ في الغرفة يعمد الى صور سهلة واضحة رسمت على صفحات مجموعة رسوم فما هو الا ان يتعلم التلميذ أسماء الاشياء الواقعة تحت حسه مع الالوان التي يمتاز بها كل منها ثم ينتقل الى صفات الحجم وافعال الحركات والأعداد . فإذا أُنجز درس الاشياء يشرع المعلم في اختيار جمل يكون التلميذ قد عرف أكثر مفرداتها . فلا يمضي ثلاثون درساً الا وقد عرف التلميذ الافعال الشائعة في الاستعمال والمفردات التي تدخل غالباً في الاحاديث العامة ويمكن في ستين درساً من بيان فكره أصبح بيان في كل ماله علاقة بمجرى الحياة الاجتماعية العادي . ويحسن في اختيار المعلمين ان يكونوا ممن لا يعلمون لغة المتعلم . ومما بضحك ما وقع لولد أحد كبار المنشئين الفرنسيين وكان يدرس الالمانية على طريقة برليتز قيل انه لما بلغ به المعلم الى تمييز الفعل المتعدي من اللازم لم يفهم التلميذ المراد من المتعدي واللازم وأخذ معلمه يشرحهما له بالاشارة تارة والتشبيه طورا فلم يفلح وكان تلميذه معه كاعجم طمطم لا يفهم ولا يفهم . وأبى الاستاذ على تلميذه أن يفسر له شيئاً بلفته مع إلحاحه عليه في ذلك وراح الطفل الى دار أبيه وقد بلغ منه الفيظ وأنشأ يقاب كتاب نحوه يقتش عن الاشكال فاهتدى بنفسه الى حله وشكا أمره الى والده فقال له : أي بني لقد أحسن الاستاذ أن أبي عليك شرح ما يريد تعليمك بلفتك ولو قاله لك لغرب عن ذهنك وأصبح لديك بعد زمن نسياً منسياً . أما الآن فأني على ثقة من انك لا تنسى التفرقة بين الفعل اللازم والمتعدي ولو بعد مئة سنة

قال الكاتب الذي عربنا عنه هذا المبحث وقد كاد أرباب الافكار والخصافة يجمعون على ان اللغات الحية لا تعلم كاللغات الميتة بل انه لا بد في الاولى من المران على التكلم بها من أول وهلة وأنه ما من لغة مهما تراءى من صعوبتها على المتعلمين باديء بدء سواء كانت اللغة الروسية أو الهندية أو العربية أو الصينية الا ويتيسر إتقانها على طريقة برليتز في مدة تختلف باختلاف ذكاء المتعلم وصعوبة اللغة والله أعلم

باب الحجة في الاسلام

مسلمو الصين والاسلام في اليابان

في الصين عشرات من الملايين المسلمين هم أكثر أهل تلك المملكة الكبرى مالا وأعز نفرا—هم أكثر مالا لأنهم أبرع في التجارة وأكثر اشتغالا بالصرف والدين بالر بالفاحش ويستحلون الربا على تشدهم بما يعرفون من دينهم لأن كتب الفقه الحنفي (كتب مذهبهم) تبيح في دار الحرب. وهم أعز نفرا لشجاعتهم واتقانهم للفنون العسكرية فهم أقوى جيش الدولة وأمنع حماة الأمة. وقد أنشأوا يهاجرون الى اليابان بأموالهم وسلعهم لأجل الصرف والدين والتجارة بعد ما كانوا محججين عنها لأنهم علموا أن اليابان تغيرت حالها بعد الحرب فصارت تحترم الغرباء وكانت تحتقرهم. وانا نتوقع أن يستفيد المسلمون من معاشره اليابانيين الميل الى الأعمال الاجتماعية والعلوم العصرية فاننا نعرف عنهم أنهم لا يتعلمون الا قدر الحاجة من القراءة والكتابة والاحكام الفقهية ثم ينصرفون الى الأعمال المالية ان لم يدخلوا في أعمال الدولة العسكرية والادارية

ومن الغريب أن تظهر الدعوة الى الاسلام في اليابان من بعض مسلمي الصين دون مسلمي الهند أو الامتانة أو مصر. ولو كان مسلمو الصين على علم واسع بالاسلام لكانوا أحق بهذه الدعوة لأنهم أول من تستفيد منها وفائدة اليابان من الاتحاد معهم أعظم فانها بهم تستعمر مملكة ابن السماء (الصين) كلها وناهيك بمملكة تضم بين جوانبها أكثر من ربع البشر وما أرى أن مسلمي الصين يلاحظون هذه الفائدة اذ بلغني أنهم لا يحفلون بالسياسة بل لا يفكرون فيها وما أظن أن دعوة الشيخ حسان لهم الى الاسلام الا بياعث ديني وذلك—ان صح—خير من أن يكون بياعث سياسي فان من يدعو الى الدين لأجل السياسة لا يكون جديرا بالنجاح كن يخلص في دعوته لله رب العالمين

المعروف عن الأمة اليابانية ان العلم قد هدى فضلاءها وزعماءها الى بطلان

الوثنية التي درجوا عليها وانهم يطلبون باستعدادهم الجديد دينا معقولا يتفق مع المدنية والعلم والعمران فهم يطلبون الاسلام ولا يجدون من يمثله لهم ونخشى أن يعجز الشيخ حسان الصيني عن اقناعهم فيظنون أن مبلغ علمه بالاسلام هو الاسلام فينصرفوا عنه الى غيره . فهل نجد في مسلمي هذه الديار رجلين أو ثلاثة قد استعدوا للدعوة الى الاسلام بفهم الكتاب والسنة وحكم التشريع ومواضع الشبهات على الدين ومسالك كشفها والقدرة على تمثيل الاسلام جامعا بين مصالح الدنيا والآخرة موافقا لحال الناس في عصر العلم والحضارة والصناعة عصر الكبرياء والبخار = يتركون وطنهم المحبوب ويسافرون الى اليابان لمساعدة أخيهام الشيخ حسان الصيني على الدعوة ؟ وهل نجد في أغنيائنا من يتبرع بشيء من فضل ماله لمساعدة هؤلاء الدعاة ان وجدوا أولا أجل ايجاد دعاة الاسلام يعلمون تعليما خاصا يساعدهم على ذلك ؟

وجد في المسلمين من يثق بدينه ولا يرتاب فيه أكثر ما يوجد في اليهود والنصارى ولكن الشاك في دينه من اليهود والنصارى يبذل في نشره ونصره ما لا يبذل المسلم الموقن لأن المسلمين قد ضعفت فيهم الحياة الاجتماعية وغلبت عليهم الأثرة بعد ذلك الا يثار الذي مدح الله سلفهم عليه بقوله « ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وانا لا نطمح بأن نرى من مساعدة جميع أغنيائنا على نشر دعوة الاسلام مثل ما تبذله جمعية غسالات ليون للمبشرين بالنصرانية وهي جمعية ألفتها غسالة في تلك البلدة الفرنسية من بنات حرفتها ورأس مالها الآن يبلغ ألف ألف . نعم ان كثرة تعرض دعاة النصرانية في مصر للطعن في الاسلام قد وجه قلوب كثير من أهل الغيرة الى مسألة الدعوة فهم قد نفخوا المسلمين ولم يضرهم وان لم تفهم هذا جرائدنا التي طفقت تدعو الحكومة الى منعهم من الدعوة ونشر الكتب ولو كانت هذه الجرائد تحسن خدمة الاسلام لردت عليهم بما يدفع الشبه ويقوي استعداد المسلمين لمثل عملهم وأني لها بذلك ؟ وانا لفرجو من المسلمين مهضة جديدة لدعوة دينهم الحق بالاستعداد والامداد ، والله الهادي الى سبيل الرشاد

بؤننى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المكتبة
١٣١٥

بؤننى عبادي الذين يستهون بالقول فبؤننى
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«منارا» كنار الطريق)

﴿مصر الجمعة غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٣ - ٢٦ يناير (ك) سنة ١٩٠٦﴾

تمت سيرة الاستاذ الامام

تابع لما في الجزء الرابع عشر

(مذهبه وطريقته في الاصلاح)

كان تقدمه الله برحمته قد شرع في كتابة تاريخ نفسه كتب في فاتحته
مذهبه في الاصلاح مجلا وشرع بعدها في الفصل الاول وهو في أهله الذين نبت
فيهم وتربي التربية الأولى معهم ولم يتم (وقد جعلنا جميع ما كتبه من ذلك في
الجزء الاول من تاريخه الذي يطبع الآن) فكلتمه في تلك الفاتحة هي خير
ما نورده في بيان مذهبه بالاجمال

قال بعد البدء بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم على خاتم المرسلين « وبعد فما
أنا ممن تكتب سيرته ، ولا ممن تترك للاجيال طريقته ، فاني لم آت لأمتي عملاً
بذكر ، ولم يكن لي فيها الى اليوم أثر يوثر ، حتى أكون لأحد منها قدوة ، أو
يكون لأحد في أسوة ، وهذا الذي أجده من استصغار أمري وخفاء أثري ، وظهور

اخفى بعد الثورة العراقية وجعلت الحكومة ان يلهما عليه عشرة آلاف جنيه وانما
ذلك عبد الله أفندي نديم الذي حكم باعدامه . هذا والثورة العراقية أشهر حوادث
مصر والاستاذ الامام من أشهر رجال العصر

عجزني عن بلوغ ما يرمي اليه فكري ويطمح اليه نظري ، كان يمنعني من اكتب شيئاً يتعلق بحياتي ، تعرض فيه بداياتي وشي من أعمالي بعدها وصفاتي ، حتى أكون به باقيا عند من يطالع به مماتي ، وكنت أقول: وقت أصرفه في حكمة أستفيدها ، خير من زمن أنفقه في قصة أستعيدها ، وما الذي عساه يبقى مني ، وأنا في قومي لم أترك ما يؤثر عني ، »

ذكر بعدها ان بعض معارفه من الغربيين وغيرهم طالبوه بأن يكتب تاريخاً لنفسه وألحوا في ذلك ثم قال

« لما تكرر الطلب في هذه الصور المختلفة رأيت أن الإضراب عن الإجابة اغراق في الخمول ، وتقصير في احترام رأي لم يشبه رياء ، ولم يحمل عليه الا قوة الظن بالفائدة في المطالب ثم نظرت نظرة في نفسي وما كانت بدايتي ، وما نزعت اليه أثناء الطريق في سيري ، وما انتهيت اليه فيما تأخر من أيام عمري ، وقتت جميع ذلك الى ما عليه الناس حولي ، فوجدت اختلافا قد يسهو عنه الغافل ، ولكن ربما ينتفع بملاحظته العاقل ،

« وجدت اني نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر ودخلت فيما فيه يدخلون ، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون ، واندفعت الى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعرفون عليه ، وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت اليه ، وارتفع صوتي بالدعوة الى أمرين عظيمين (الأول) تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه الى منابعها الأولى ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وثقل من خاطئه وخبطه ، لنتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم ، باعثاً على البحث في أسرار الكون ، داعياً الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالباً بالتعويل عليها في آداب النفس واصلاح العمل ، وكل هذا أعده أمراً واحداً . وقد خالفت في الدعوة اليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة — طلاب علوم الدين ومن

على شاكلهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم ،
 « أما الامر الثاني فهو اصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان
 في المحاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على
 الكفاية منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس . وكانت
 أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجج الذوق وتنكره لغة العرب الخ
 (ثم قال) « وهناك أمر آخر كنت من دعائه والناس جميعاً في عى عنه وبعد
 عن تعقله ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية وما أصابهم الزهن
 والضعف والذل الا بخلاؤ مجتمهم منه وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق
 الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . فم كنت فيمن دعا
 الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكها وهي هذه الامة التي لم يخطر لها هذا
 الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرناً - دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم
 وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتقلبهم شهواتهم ، وأنه لا يردده
 عن خطئه ولا يقف طغيان شهوته ، الا نصح الامة له بالقول وبالفعل
 « جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه * والظلم قابض على
 صولجانه * ويد الظالم من حديد * والناس كلهم عبيد له أي عبيد *
 « نعم انني في كل ذلك لم أكن الامام المتبع ، ولا الرئيس المطاع ، غير أنني
 كنت روح الدعوة ، وهي لا تزال بي في كثير مما ذكرت قائمة ولا أبرح أدعو
 الى عقيدتي في الدين ، وأطالب باتمام الاصلاح في اللغة - وقد قارب - أما أمر
 الحكومة والمحكوم فركته بقدر يقدره ، وليد الله بعد ذلك تدبره ، لأنني قد
 عرفت أنه ثمرة تنجنيها الامم من غراس تفرسه وتقوم على تنميته السنين الطوال ،
 فهذا الغراس هو الذي ينبغي ان يعنى به الآن ، والله المستعان ، « اه المراد
 وذكر بعده اصابته ونجاحه في بعض الأمور واخفاقه في بعضها
 علم من عبارته ان الاصلاح الذي دعا اليه ديني وأدبي وسياسي وأنه ترك
 الاخير بعد طول الاختبار ويؤيد ذلك ما يؤثر عنه من القول في ذم السياسة
 كقوله: ما دخلت السياسة في عمل الا أفسدته: وقوله في مقالات الاسلام والنصرانية

« فان شئت أن تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فاننا معك من الشاهدين . أعوذ بالله من السياسة ومن افظ السياسة ومن معنى السياسة ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يُجَنُّ أو يعقل في السياسة ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس »

ترك السياسة التي هي مقاومة الاستبداد والحكم المطلق ومحاولة تغيير شكل حكومة بقوة رعية . وأما السعي في اصلاح حكومة بلاده بإقناع حكامها وأولي الأمر فيها بما فيه خيرها ومصلحتها وإرشاد رجال الشورى من الأمة الى طرق السداد في قوانين الحكومة ومسالك الإقناع لما يظهر بالمشاورة أنه الصواب فهو لم يتركه بل كان يصرف فيه أكثر أيام حياته ، وهو ليس من السياسة التي حكم بإفسادها الأعمال ، وإبطالها للأمانى والآمال ،

ترك السياسة خيرها وشرها ، ولكنها — قاتلها الله — لم تتركها من ضررها ، فقد كان يناجي ربه على فراش الموت برمل الاسكندرية والسياسة تنقب في سواحل بيروت باحثه عنه معتقدة بما أوحى اليها شياطين الجواسيس أنه جاء بيروت متنكراً ليزيل سلطة ابن عثمان ويبدل منها ساطة جديدة لأحد أبناء علي ، وتعدت بشرها الى بعض من قيل لها أنهم من محبيه في تلك البلاد فاتهمهم بالجرائم بل وبالجنایات السياسية وعاقبت بعضهم ولا تزال تعاقب بعضاً وكان أشدهم عقوبة أقواهم براءة ، وان أقواهم تهمة لأظهر براءة من الامام نفسه إذ اتهم بأنه متنكر في بيروت أيام كان يعالج الموت في رمل الاسكندرية . أفلا يكون رضي الله عنه جديراً بالاستغاثة من شيطان السياسة الذي هو شر من شيطان الوسوسة وأشد ضرراً بلى . ولولا معارضة السياسة لعمل الرجل للإسلام في هذه البلاد ما يتناهه الإسلام في جميع البلاد ، على ان السياسة ما قويت عليه نفسه بل كان الله ناصره لنصره دينه فكلماً كادت له تلك الماكرة كيدا رد الله كيدها في نحرها فتشتي وقد زادت شهرة الرجل بما كانت تحاول من إخفاء ذكره ، وعرف الناس بعض ما كانوا يجهلون من فضله ، فما أضرت له وليسكنها أضرت الأمة بتأخير الإصلاح ولا أقول

بمنعه فإن البذور التي ألقاها قد نبتت فكانت زرعاً أخرج شطأه ولا يلبث أن يستوي على سوقه ويجود بثمره فيغيظ المفسدين في الأرض، ويطلق السنة التاريخ بلعن محاولي قلمه الى يوم المرض
هذا ما يتسع له المنار من ذكر مذهبه في الإصلاح مجملاً وموعداً بالتفصيل التاريخ الذي نشغل بطبعه الآن

﴿ آماله وامانيه ﴾

كان أمله في الإصلاح محصوراً في الأزهر فكان عازماً على توسيع دائرة العلوم والعرفان فيه وعلى إيجاد طوائف من الإخصائيين الذين يتقنون علماً واحداً يكونون فيه مرجعاً . وكان يود أن يبدأ بإيجاد طائفة للقضاء الشرعي وطائفة تستعد للدعوة الى الاسلام ، وأخرى للخطابة ووعظ العوام ، وأهل الأزهر لا يزالون بمنزل عن العالم فهم لا يشعرون بشيء مما وراء جدران الأزهر وباليتمهم كانوا يعرفون حقيقة جميع ما يرون في ذلك المحيط فالاستعداد فيهم لقبول الإصلاح ضعيف ولقاومته قوي الا ان يكون من جانب السلطة لذلك لجأ الرجل الى الامير وطلب إسماعله على إصلاح الأزهر وكان نجاح الإصلاح بقدر ذلك الاسعاد

﴿ مدرسة كلية ﴾

ولما ضعف أمله في الأزهر منذ ثلاث سنين فكر في إنشاء مدرسة كلية في القاهرة تنفي عنه في تخريج رجال يخدمون الملة والأمة فاستمال أحمد باشا المنشاوي ونفخ فيه من روحه حتى عزم الرجل على تأسيس المدرسة بماله وإيقاف أرض واسعة عليها تكفي لتفقاتها ولكن المنية اخترمته عند الشروع في الاستعداد بإرشاد الاستاذ الامام . وقد قضت الحوادث بعد موت المنشاوي ان يستقيل من مجلس ادارة الأزهر ويتركه الى أن يفعل الزمان فيه فعله ، ويعده لما خفي في الغيب له ، وعند ذلك قويت العزيمة على إنشاء المدرسة الكلية وبعد العروي وطول التشاور مع أهل الفيرة والاخلاص وضع المشروع للاشتغال بإنشاء الكلية في هذا الشتاء كما قلنا في جزء سابق وان ما خسرتنا بموت هذا الرجل العامل لم يدع في نفوسنا مكاناً للحسرة على الحرمان من هذا العمل

﴿ جريدة يومية ﴾

وكان في عزمه السعي في انشاء شركة تنشى جريدة يومية في القاهرة تختار لها طائفة من الكتاب الإخصائيين ينفرد بعضهم في بيان ما عليه المصريون في المدن والقرى والمزارع من العادات والتقاليد والاعتقادات وبعضهم في المسائل الاقتصادية والزراعية وبعضهم في الموضوعات العلمية والأدبية . ويوضع لهم قانون لا يتعدونه ومن أحكامه الاقتصار في المسائل السياسية والاخبار الصادقة على ما فيه السيرة والفائدة لأهل البلاد، وعدم المدح والذم الشعري ، وقبول الانتقاد على ما ينشر فيها من كل كاتب أديب ، ومنها أن يرجع في بيان جميع المصالح ذات البال الى ما يقرره مجلس ادارة الجريدة بالمشاورة فلا يكون ما ينشر فيها عبارة عن رأي رجل واحد ومثالا يتذبذب مع ميله وهواه ، ومنها أن لا تكون الجريدة خصما لجريدة أخرى . كنت ممن يلح عليه بهذا السعي منذ سنتين واخترت لهذا العمل من الكتاب المجيدين المعتدلين من رضي بهم وكشفنا كثيرين من الكبراء والفضلاء في ذلك واخترنا منهم أعضاء لمجلس الادارة ووضعت تقديرا عميدا لانشاء المطبعة ونفقات العمل . ولو بقي الامام حيا لرجونا أن يبرز هذا العمل في هذا الشتاء وان خسارتنا بفقده لا عظم من كل خسارة

(السياحة في الشرق)

كان من نيته الحسنة احسن الله ثوابه - أن يسبح في بلاد الهند وبلاد الفرس وبلاد روسيا الاسلامية ليخبر حال المسلمين بالفعل في الشرق كما اختبرها في الغرب والوسط فيعرف ما يصلح لجميع شعوب المسلمين من الحرية والعمل وما يصلح الآن لبعض دون بعض ولا حاجة الى شرح ما وراء هذا الاختبار لو كان

﴿ تفسير القرآن وتاريخ الاسلام ﴾

كان صاحب هذه المجلة قد اقترح على الاستاذ الامام ان يكتب تفسيراً للقرآن في رمضان سنة ١٣١٥ اي قبل الشروع في انشاء المنار وذلك بعد ان اقترحت عليه قراءة درس في التفسير تردد فيه ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور . زرته

في يوم الجمعة ثلاث عشرة خلت من الشهر فقرأ لي عبارة من كتاب فرنسي يطعن في الاسلام ويطفق يرد عليها واحتاج في الرد الى الكلام في تفسير « رب العالمين » فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان ينسر فاقترحت ذلك عليه واني اذكر هنا شيئاً مما كتبه يومئذ في مذكري عن ذلك الاقتراح وهو:

« قلت لو كتبت تفسيراً على هذا النحو تقتصر فيه على حاجة العصر وتترك كل ما هو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه .. فأجاب ان الكتب لا تفيد القلوب العمي فان دكان السيد عمر الخشاب مملوءة بالكتب من جميع الفنون وهي لا تعلم شيئاً منها .. لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى في نشرها . اذا وصل كتاب الى أيدي هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه صرفوه الى ما يوافق علمهم ومشر بهم كما جروا عليه في نصوص الكتاب والسنة التي تريد بيان معناها الصحيح وما تفيد . ان الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته وإشارته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن السامع أن يسأله عما يخفى عليه منه فاذا كان مكتوباً فن يسأل ؟ ان السامع يفهم من كلامه المتكلم ٨٠ في المئة والقارئ لكلامه يفهم ٢٠ في المئة على ما أراد الكاتب . مع هذا كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية وكنت أذكر كثيراً من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، وكان من حقها أن تكتب وما علمت أحداً كتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطين من مدرسة الحقوق وكنا يراجعاني في بعض ما يكتبان . وأما المسلمون فلا .. قرأت تفسير سورة العصر في ستة أو سبعة أيام وكان كل درس لا يقل عن ساعتين أو ساعة ونصفاً بينت فيها وجه كون نوع الانسان في خسر الا من استثنى الله تعالى وما المراد بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر الى غير ذلك مما لو جمع لكان رسالة حسنة في تفسير السورة وما علمت أحداً كتب منه شيئاً الا أن يكون عبد العزيز (المتبادر أنه يريد عبد العزيز افندي محمد القاضي في المحاكم الأهلية لهذا العهد وكان يومئذ

تلميننا في مدرسة الحقوق)

« قلت له انه يوجد كثير من المنبذين لحال العصر والاسلام في البلاد المتفرقة وكثير منهم انما نيهتهم (العروة الوثقى) فأجاب بجواب طويل حاصله أن حال المخاطب يؤثر في نفسه وأنه يعسر أو يتعذر عليه إلقاء الحكمة الى كل أحد » قلت ان الزمان لا يخلو من يقدر كلام الاصلاح قدره وان كانوا قليلين فالكتابة تكون بمثابة مرشد لهم في سيرهم وان الكلام الحق وإن قل الآخذ به والعارف بشأنه لحسنه بحسب ناموس الانتخاب الطبيعي لا بد أن يحفظ وينمو بمصادقة الملاءمة المناسبة له كما حفظت العروة الوثقى فان أوراقها الأصلية الضعيفة قد بليت ولكن ما فيها من المقالات البديعة المثال والفوائد العظيمة حفظت في الطروس والنفوس : ثم أطلنا القول في العروة الوثقى »

« نقلت بعض ما كتبت يومئذ بنصه لما فيه من بيان رأيه رحمه الله وتأثره باستعداد المسلمين في ذلك الوقت . وكنت أذكر له وجوب الكتابة في التفسير كلما سنحت لي الفرصة وكان خلاصة رأيه أنه ينبغي أن يكتب تفسير لبعض القرآن لا لجميئه بأن تفسر الآيات التي قصر المفسرون في بيان حكمها وأسرارها لاسيما ما يتعلق منها بروح الدين من الهداية والتهذيب وأمور الأمم الاجتماعية .

ثم شرع في قراءة التفسير بالأزهر وكان ذلك في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وقبل شروعه كتبت مقالة في المؤيد عنوانها (القرآن) بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتمام به وأن كتب التفسير غير كافية لذلك وان الاستاذ سيقرا التفسير على ذلك الوجه فانتشر الخبر وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس إقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين في هذا العصر تبين به ان الاستعداد للاصلاح ينمو وكان ذلك الدرس أعظم ما خدم به الأزهر والاسلام كما كانت قراءته لأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز أنفع ما خدم به اللغة العربية هناك

عين مفتياً للديار المصرية في الشهر الذي شرع فيه بقراءة التفسير فظننت كما ظن هو أن هذا المنصب ليس فيه عمل يستغرق الوقت وطمت في وجدانه فرصة يكتب فيها تفسيراً على طريقته في الدرس فلما رأيت الأعمال قد كثرت وفتح

لها من منصب الافتاء أبواب جديدة شرعت في كتابة التفسير على تلك الطريقة كما اقترح علي بعض اهل العلم والفضل. وكنت في البداية لا أكاد أزيد على خلاصة ما يقرره في الدرس الا قليلا اذ لم يكن في نيتي تجريدا ما يكتب منه في المنار وجمله كتاباً مستقلاً. ثم رأيت من الواجب بسط القول وطبع التفسير على حدة عند سنوح الفرصة ففعلت بإجازته رحمه الله تعالى واستحسنه. فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة عرضه عليه بعد ذلك فقرأه وزاد فيه ما رأى حاجة الى زيادته ومنه ايضاح الكلام في الملائكة وأجاز باقي ما كتبناه كما هو فكأنه هو الذي كتبه.

رأى رحمه الله تعالى ان هذا التفسير الذي نشره على طريقته التي تلقيناها عنه ونودعه اختياره وفهمه للآي وفقهه في القرآن هو الضالة المنشودة وأنه لا حاجة معه الى أن يكتب هو بيده تفسيراً ولكنه كان عازماً على تأليف كتاب يكون مقدمة لهذا التفسير يبين فيها حاجة البشر الى ما في القرآن من الاصلاح العظيم، والهدى القويم، على طريقة رسمها، وأعد لها عدتها، وأتى لا رجو من عناية الله وفضله أن يوفقني لوضعها على الوجه الذي فصله لي تفصيلاً، وأن يحقق أمله في هذا المأجر بإقذاره على اتمام التفسير فإنه قد صرح بهذا الأمل وبآمال أخرى من جنسه « وما توفيتني الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

ذلك أمله في التفسير ومقدمته وأما تاريخ الاسلام فقد كان عزم على تأليف كتاب فيه بعد أن أتم تدريس كتاب (دلائل الاعجاز) وكان قد كثرت الاقتراحات عليه في اختيار ما يقرأ بعده في وقته ومنها اقتراح السيد علي البلاوي شيخ الأزهر لذلك العهد (رحمه الله تعالى) أن يقرأ تاريخ الاسلام اذ لا يقدر على ذلك غيره ورأيت نور الله مضجعه يستدري أنه لا يوجد عند المسلمين تاريخ ديني فيدرس فعزيت رأيي شيخ الأزهر رجاء أن يكتب هو ما يقرأ فما كان الا أن شرح الله صدره وعزم على أن يكتب فنطبع ما يكتب كراساً بعد آخر وهو يدرسه في الأزهر - التدريس يتبع الطبع والطبع يتبع التأليف. ولكن حال دون ذلك ما كان من الاحداث في مقاومة الاصلاح التي انتهت باستقالته من ادارة الأزهر في اثر استقالة شيخ الأزهر وحرمة الاسلام بتلك الفتن « أو الشغب » كما قيل من هذه الخدمة الكبرى التي

يهر علينا أن نجدها عوضاً ولكن ما خسرناه بوفاة الرجل أعظم والأمر لله العلي الكبير
تلك أقرب آمال الرجل في خدمة دينه وأمه وأما آمال الأمة فيه فقد كانت عظيمة
تتناول المصالح العامة والخاصة فكم من غيور على ملته وبلاده كان في نفسه أن
يقوم بأعمال نافعة بإرشاد من قد تناوأسعاده ، وكم من متعلم ذكي كان يود أن يضع
كتباً نافعة بهديه وامداده ، وكم من عامل كان يرجو الرقي في عمله بجأه وشفاعته ،
وكم من عائل كان ينتظر الاستقناء بكرمه ومساعدته ، وقدمات بموته أكثرها تيك
الآمال ، وانقطع الرجاء من أكثر تلك الاعمال

وقد أشار الى تلك الآمال في آيات قالها قبل موته اذ كان أشيع خبر موته
قبل الوفاة بأيام فبلغه ذلك فجالت نفسه في آماله وامانيه للأمة وآمال الناس فيه
فجاش في نفسه الشمر فأنشد

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ولست أبالي أن يقال محمد | أبل أم اكتظت عليه المآثم (١) |
| ولكنه دين أردت صلاحه | أحاذر أن تقضي عليه العمام (٢) |
| والناس آمال يرجو نيلها | إذا مت ماتت واضمطت عزائم |
| فيارب ان قدرت رُجى قرية | الى عالم الأرواح وانقض خاتم (٣) |
| فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا | رشيدا يضيء النهج والليل قائم |
| يمائلي نطقاً وعلماً وحكمة | ويشبه مني السيف والسيف صارم |

(١) أبل المريض شفي من مرضه واكتظت المآثم امتلأت وازدحت
بالناس والمآثم جمع مآثم وهو مجتمع الناس في الحزن وهو في أصل اللفظة عام في
الحزن والفرح ثم غلب على جماعتهن في المصائب ثم نسبت هذه الفلحة (٢) قضاء
العائم على الدين قد يكون بعداوتهم للعلوم والفنون التي هي قوام الدول والامم باسم
الدين فيكون المشتغلون بها بعداء عن الدين معتقدين انه آفة العمران واصحاب العمام
عاجزين عن الجمع لهم بين مصالح الدنيا والدين حتى يترك بالمرّة الا من افراد لا تقوم له
بهم قائمة (٣) انقضاء الخاتم عبارة عن مفارقة الروح للبدن وهي من اشارات الصوفية

قال هذه الايات مرة واحدة في حال مؤثرة من غير روية ولا تفكر وكتبها عنه أخوه حموده بك ومصطفى بك الباجوري ولم أكن حاضرا فلما جئت قال لي: قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك كأنني لا أقول الشعر الا في الحبس أو المرض:- .
يشير الى تلك القصيدة التي نظمها في السجن أيام الحوادث العراقية - وأنشدني الأيات فكتبها على هذا الوجه وقد وصلت الى الجرائد فنشرتها وذكرت البيت الثاني هكذا

ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه المهام
ثم قال انه خطرت له ايات أخرى بعد ذلك وأنشدنيها فكتبها ورأيت قد ترك فيها ألف التأسيس كأنه نسيه أو أذهله عنه المرض وهذه الأيات في وصف المرشد التي طلبه في دعائه ذكر منها بيت واحد في بعض الجرائد الاسبوعية محرراً فأذكره صحيحاً وهو

ويخرج وحي الله للناس عارياً عن الرأي والتأويل يهدي ويلهم
هذا مجمل ما يتسع له المنار من سيرة هذا الامام الجليل وأخلاقه وما آثره وأما خلقه فقد كان ربة بادنما سكا قوي المضل أسمر اللون براق العينين جهوري الصوت مهيب الطلعة عظيم الهامة قال مختار باشا الغازي لو وزن دماغ هذا الرجل لرجح بكل مخ عرف من عظماء الرجال فيما أظن واني لا آسف على عدم وزنه اذ لو تحقق ظني لكان من الفخر العظيم لنا ان كان أكبر دماغ عرف في البشر منا: وقد كان في شبابه من أفراد الناس في قوة المضل حتى انه دفع حصانا جامعاً فأرجعه الى الوراء حتى وقع على عقبه . ولكنه كان مع ذلك كثير الأستقام ومبداً ذلك نسم صديدي أصابه فقاب عن الوجود أكثر من شهر لا يحس ولا يمي بل كان جسمه يتصبب عرقاً وبعد أن شفي منه كان يعاوده في كل سنة كما كان يعاود النبي صلى الله عليه وسلم سم أكلة خبير كل عام ، واعتبرته أمراض أخرى أضعفت من قوته ولم تضعف من همته وعزمه وحزمه حتى لقي ربه تغمده الله برحمته ورضوانه .
وأسكنه فسيح جناته . ونفنا والمسلمين بل وسائر العالمين بسيرته وعلمه آمين

فتاوى المفتين

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ،اذلا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلاده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانفذ كرا لاسئلة بالتدريج غالبا ورمزنا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا أحيانا غير مشترك لئلا هذا ولن ءفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ ثمة أجوبة الاسئلة الدمياطية ﴾

﴿ ٤٥ وه - حضور مريم وسارة وآسية مولده (ص) ﴾

(ج ٤٥) أورد في المواهب الأثر الذي فيه بيان ان أولئك النسوة الطوال اللواتي جنن آمنة عند ولادتها هن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وبعض الحور العين وقال : « وهو مما تكلم فيه » أي طعنوا في سنده وكم من حديث ضعيف يورده صاحب المواهب ولا ينبه الى طعن المحدثين فيه فلو لا أن هذه الرواية من أوهى الروايات لما قال أنهم تكلموا فيها وحسبك أن السيوطي لم يذكرها في الخصائص ولا أبو نعيم في الدلائل ، فلا حاجة الى ذكر سند من رواها وتفصيل القول في جرح رجاله

(ج ٤٦) وأما ما قاله ذلك الرجل في اختلاف العلماء في أمر آسية فهو من الحرافات التي لا قيمة لها عند أهل النقل ، وهي مما ينبذه العقل ، نعم ذكر في بعض كتب التفسير التي تعنى بنقل القصص أن الله تعالى رفع امرأة فرعون الى الجنة وعزوا هذا القول الى الحسن البصري وهو كما قال الألويسي لا يصح بل هو كذب من القصاصين على الحسن

(٩ ولادة الانبياء)

(ج ٤٧) ما ذكره في ولادة الانبياء جهل قبيح لاشبهة عليه من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا تابعي ولا فقيه مجتهد ولا عالم ولا محدث ولا مؤرخ يعتد به وقد روى المحدثون كل ما قيل في ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صحيح وضعيف ومنكر وموضوع ولم تخطر هذه الفرية على بال أحد منهم فهي

خرافة من مفتريات الجاهلين الذين يتوهمون ان الانبياء منزهون عن الأمور البشرية وان الولادة كما يولد الناس نقيصة لا تليق بهم . وليت شعري كيف تكون الولادة المعتادة نقيصة لمن أودع في هذا الرحم نقطة ثم كان علقه ثم كان مضغة ثم نما في بطن أمه بدم الحيض ؟ أم يقول هؤلاء الجاهلون انهم لم يحمل بهم كما حمل بغيرهم فلم يكونوا من نطف آبائهم ولا من يوض ودماء أمهاتهم ؟ ان كانوا يقولون ان هذه السنة الالهية في الحمل والولادة نقيصة فقد انكروا ما ذكر الله من خلق الانسان في أحسن تقويم . ولم يحسن في نظرهم قوله تعالى بعد ذكر اطوار الحمل « فتبارك الله أحسن الخالقين » ومن العجائب أن يمكن ذلك الجاهل من الكلام على الناس في المسجد فيكفر المسلمين سلفهم وخلفهم إذ لم تخطر هذه الخرافة على بال أحد منهم ويجعل الاسلام والايمان من خصائص من اقربى هذه الخرافة ومن صدق بها من الجاهلين

(٦ حياة الانبياء في قبورهم)

(ج ٤٧) لهذه المسألة أصل في الروايات المنقولة ولكن ما أورده لا يصح منه شيء . لاسيما الخبر الأول وأنا أذكر هنا أشهر ما ورد في هذا الباب من الاحاديث (الحديث الاول) عن أوس بن أوس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه « ومن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي » قالوا يا رسول الله وكيف تمرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت قال « ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء » رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وحياة الانبياء وغيرها من كتبه وأبو داود والنسائي والطبراني في معجمه وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في صحاحهم فصححه بعضهم وتبعهم النووي في الاذكار وحسنه آخرون منهم المنذري . لكن قال الحافظ السخاوي بعد ما أورد تصحيحهم وتحسينهم « قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسين الجعفي رواه أخطأ في اسم جده شيخه عبد الرحمن بن بديد حيث سماه جابرا وإنما هو تميم كما جزم به أبو حاتم وغيره وعلى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم

ان الحديث منكر وقال ابن العربي انه لم يثبت: لكن رده هذه الملة العار قطني وقال ان
صباح حسين من ابن جابر ثابت والى هذا جرح الخطيب والعلم عند الله تعالى . ثم نبه
على ان ابن ماجه سمى الصحابي في كتاب الصلاة من سننه شداد ابن اوس وذلك
وهم نبه عليه المزي وغيره ووقع عنده في الجنائز على الصواب

(الحديث الثاني) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا
لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها » قلت وبعد الموت
قال « وبعد الموت ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء فني الله
حي يرزق » رواه ابن ماجه لكن بسند منقطع والطبراني في الكبير بلفظ قريب
من لفظ ابن ماجه وليس فيه « ونبي الله حي يرزق » وكذلك النجيري بلفظ آخر .
قال الحافظ العراقي ان اسناده لا يصح

(الحديث الثالث) عن أنس (رض) رفعه « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون »
أخرجه البيهقي في حياة الانبياء من طريق يحيى بن أبي بكر عن المستلم بن سعيد
عن الحجاج بن الأسود وهو ابن أبي زياد البصري عن ثابت البناني عنه ، ومن طريق
الحسن بن قتيبة عن المستلم . وأخرجه أبو يعلى والبخاري من الوجه الأول والبخاري
وابن عدي من الثاني والحسن ضعيف . قال السخاوي وأخرجه البيهقي أيضاً من
رواية محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن ثابت بلفظ آخر قال « ان الأنبياء
لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في
في الصور » قال ومحمد سي الحفظ اه أقول حديث أنس هذا رواه ابن حبان
وقال باطل وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقواه في الآتي بشواهد

وهذه الاحاديث الثلاثة هي عمدة القائلين بحياة الاجساد ولم يصرح بها الثالث .
وهناك روايات أخرى في ان الصلاة والسلام عليه يلفها ملك أو ترد روحه
فيعرض عليها ذلك ونذكر اشهرها

(الحديث الرابع) عن عمار بن ياسر (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ان الله ملكاً أعطاه الله أسماء الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت فليس أحد يصلي علي »

صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان» الحديث رواه أبو الشيخ ابن حبان وأبو القاسم التيمي في الترغيب والحارث في مسنده وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والبرزاري في مسنده وغيرهم وفي سند الجميع نعيم بن ضمضم وفيه خلاف عن عمران قال المنذري لا يعرف قال السخاوي بل هو معروف لينة البخاري (أي قال في حديثه لينة أي ضعف ما) وقال لا يتابع عليه وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال صاحب الميزان أيضاً لا يعرف. هذا كلامهم في عمران وحسبك قول البخاري بليته وعدم متابعتة وأما نعيم بن ضمضم فقد قال الذهبي في الميزان ضعفه بعضهم وقال الحافظ ابن حجر انه لا يعرف لأحد فيه قولاً غير قول الذهبي هذا

(الحديث الخامس) عن أبي امامة الباهلي (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرة بها ملك موكل حتى يلقيا: رواه الطبراني في الكبير من رواية مكحول عنه وقد قيل انه لم يسمع منه وروى له عن مكحول موسى بن عمير وهو الجمدي الضرير كذبه أبو حاتم

هم (الحديث السادس) عن أبي هريرة (رض) رفعه : من صلى علي صلاة جاءني بها ملك فأقول أبلغه عني عشرة أو قل له لو كانت من هذه العشر واحدة لدخلت معي الجنة كالسبابة والوسطى وحلت لك شفاعتي ثم يصعد الملك ينتهي الى الرب الخ ولا حاجة الى ذكره كله وهو مكذوب أخرجه أبو موسى المديني قال السخاوي وهو موضوع بلا ريب . ومثله حديث معاذ الذي فيه : وركل بقبري ملكاً يقال له منطروس رأسه تحت العرش الخ قال السخاوي أخرجه ابن بشكوال وهو غريب منكر بل لوائح الوضع لا ثقة عليه : وإنما ذكرت أمثال هذا الحديث لئلا يفتر بها من يراها في الكتب التي لا يعرف مؤلفوها الحديث

(الحديث السابع) عن ابن مسعود (رض) رفعه «ان الله ملائكة سياحين يلفونني عن أمتي السلام» رواه أحمد والنسائي والدارمي وأبو نعيم والبيهقي والخلفي وابن حبان وقال الحاكم صحيح الاسناد وأمل هذا أقوى ما في الباب وان كان الحاكم يتساهل في التصحيح حتى انه صحح بعض الاحاديث المنكرة والموضوعة واستدركها على الصحيحين . وقد حسنه غيره وعضدوه بما له من كثرة الشواهد.

(الحديث الثامن) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فان صلاتكم تبطني حينما صكنتم » أخرجه أحمد وأبو داود وصححه النووي وهو مضعف وليس صحيحاً في نفسه ولكن له شواهد من اسيل من وجوه مختلفة . وفي الجملة ان ماورد في ابلاغ الملائكة اياه عليه الصلاة والسلام هو أقوى ما في الباب وأما ماورد في رد روحه وصماعها فهاك أقوى ماورد فيه

(الحديث التاسع) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من أحد يسلم علي الا رد الله تعالى اليّ روعي حتى أورد عليه السلام » رواه أحمد وأبو داود والطبراني والبيهقي وحسنه وصححه النووي في الاذكار بل قال الحافظ ابن حجر رواه ثقات واستدرك عليه تلميذه الحافظ السخاوي قال : لكن قد انفرد به يزيد بن عبد الله بن قسيط برواية له عن أبي هريرة وهو يمنع الجزم بصحته لان فيه مقالاً وتوقف فيه مالك فقال في حديث خارج الموطأ : ليس بذلك وذكر التقي ابن تيمية ما معناه ان رواية أبي داود فيها يزيد بن عبد الله وكأنه لم يدرك أبا هريرة وهو ضعيف وفي سماعه منه نظر انتهى على أن طريق الطبراني وغيره مسألة من ذلك لكن فيها من لم يعرف : اهـ ما كتبه السخاوي

وقال ابن القيم : ان هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه أحمد وأبو داود وغيرها من الأئمة في مسألة الزيارة وهو أجود ما استدلل به في هذا الباب ومع هذا فانه لا يسلم من مقال في اسناده ونزاع في دلالة

أما المقال في اسناده فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة ولم يتابع ابن قسيط في روايته عن أبي هريرة أحد ولا يتابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط . وأبو صخر هو حميد بن زياد وهو ابن أبي الحارث المدني الخراط صاحب العباء سكن مصر ويقال حميد ابن صخر — وبعد ان ذكر الاشتباه في كون هذا الاسم لاثنين وحقق انه واحد — ذكر أن يحيى بن معين واسحاق بن منصور ضعفاه وذكر عن أحمد روايتين احدهما انه قال ليس به بأس والثانية قال انه ضعيف ثم أطل في ذكر الخلاف في عدالته وحقق ان ما تفرد به يستشهد به ولا

يصح . ثم ذكر الخلاف في عدالة ابن قسيط شيخ أبي صخر ومنه قول مالك فيه ليس هناك عندنا : أي لا يعتد بروايته على أنه روى عنه وقول ابن أبي حاتم : ليس بقوي : وقول ابن حبان : إنه رديء الحفظ : فإن قيل روى له الشيخان قلنا نعم لكن من غير حديث أبي هريرة فروايته عن أبي هريرة هي محل انتزاع (الحديث العاشر) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ بعيداعلمته » أخرجه أبو الشيخ في الثواب له من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عنه ومن طريقه الديلمي . كذا قال البخاري قال وقال ابن القيم أنه غريب وذكر عن شيخه أن سنده جيد . ثم ذكر اللفظ الآخر للحديث وهو « من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً وكل الله به ملكاً يبلغني » الخ وقال أخرجه العشاري وفي سنده محمد بن موسى وهو الكديمي متروك الحديث وهو عند ابن أبي شيبة والتميمي في ترغيبه والبيهقي في حياة الأنبياء باختصار : من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً بلغته : ثم قال : وأورده ابن الجوزي من طريق الخطيب وأتهم به محمد بن مروان السدي ونقل عن العقيلي أنه قال لا أصل لهذا الحديث من حديث الأعمش وليس بمحفوظ اهـ

أقول هذا ما قاله البخاري وقال ابن القيم أن هذا الحديث لا يعرف إلا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الأعمش كما ظنه البيهقي وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة وهو عندهم موضوع على الأعمش . ثم ذكر أقوال المحدثين في جرحه . وذكره الشوكاني في الموضوعات وقال في أسناده كذاب أقول هذه الأحاديث أشهر وأقوى ما روي في هذا الباب وقد رأيت مائة الحديث فيها من الكلام والطعن في رجالها ومن عرف أسانيد أمثال هذه الأخبار وتاريخ رجالها تبلى له فضل البخاري ومسلم واحتياطهما في صحيحهما . وهي في مجموعها تدل على أن الأنبياء أحياء في البرزخ ولكن هذه الحياة غيبية لا نعرف حقيقتها وليست هي كالحياة في هذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين . وإذا لم نهض هذه الأحاديث حجة على ما يجب الإيمان به من عالم

الغيب فنحننا البرهان القطعي وهو كتاب الله تعالى الناطق بحياة الشهداء عند ربهم
والانبياء أفضل منهم وأجدر بهذه الحياة وبما هو أعلى منها ولكن الواجب علينا
أن نفوض العلم بكيفية ذلك الى الله تعالى ولا نقيسه على أمر الدنيا كما فعل بعضهم
اذ قالوا ان الانبياء يأكلون في قبورهم ويشربون وينكحون وكل هذا من الجراءة
على عالم الغيب والقول فيه بالرأي . والمتبادر من قوله تعالى « أحياء عند ربهم »
أن هذه الغيبة أعلى من الثواء في القبور وقد ورد فيها أحاديث بأن أرواحهم تسرح
في الجنة أو تكون معلقة بالعرش ولا محل لا يرادها هنا وإنما نقول ان الواجب علينا
هو أن نستقد أن الموت ليس عدماً محضاً وأن في البرزخ حياة قبل حياة الآخرة
وكلاهما من عالم الغيب الذي نفوضه الى الله تعالى . وقد ورد في حديث ابن
عباس مرفوعاً ان الرجل اذا سلم على ميت يعرفه رد الله عليه روحه حتى يرد عليه
السلام وقد صححه ابن عبد البر . أفنقول ان حياة كل ميت ورد روحه اليه اذا
صحح هو حياة الانبياء والشهداء ؟ كلا أنها حياة غيبية لا ينكرها الا منكر البعث
والآخرة ولا يقول فيها بالرأي والقياس الا المتجرى على الكذب المستهزى
بالدين والله ولي المتقين

وأما ما ذكره ذلك الجاهل من أثر علي وفاطمة عليها السلام فهو من اختلاق
غوغاء العامة . وأما حكاية الرفاعي فقد ذكرها شارح القاموس لهلي أبي شبك
الرفاعي لا للشيخ أحمد الرفاعي وهي من الحكايات المملوءة بها كتب القصص
لا تدخل في باب الاحتجاج الشرعي وسيجيء ذكرها وذكر أمثالها في مبحث
الخوارق والكرامات الذي كان آخر عهدنا ببيان أنواعه ووجوه تأويلها المجلد
السادس وسنمود اليها ان شاء الله تعالى

استدراك

بعد كتابة ما تقدم وطبع بعضه راجعت اسم عبد الرحمن بن ميسرة راوي
الحديث الأول وحجاج بن الاسود راوي الحديث الثالث في الميزان للحافظ الذهبي
فاذابه يقول: عبد الرحمن بن ميسرة عن أبيه ضعيف قاله يحيى وقد وهّاه ابن حبان
(أي قال انه واهي شديد الضعف) وهم حيث يقول عبد الرحمن بن بديل بن

ورقاء وقهواه غيرهما :

وقال : حجاج بن الاسود عن ثابت نكرة ماروى عنه فيما أعلم سوى مسلم بن سعيد فأتى بخبر منكر عنه عن أنس في أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون رواه البيهقي

﴿ ٨ - عدد الانبياء ﴾

(ج ٤٩) وردت أحاديث في عدد الانبياء لا يصح منها شيء منها حديث أبي ذر عند الحاكم والبيهقي أنهم ١٢٤ ألفاً وان المرسلين ٣١٣ ومنها حديث أبي الدرداء يخالفه في عدد المرسلين ففيه أنهم ٣١٥ وهو عند احمد والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي في الاسماء ومنها حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أنهم ثمانية آلاف نصفهم من بني اسرائيل ومنها حديث جابر عند ابن سعد وأبي سعيد عند الحاكم « أني خاتم ألف نبي أو أكثر » . وروي عن كعب أنهم ألف ألف وأربع مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً (اي نحو مليون ونصف) والذي عليه المحققون وذكره في كتب العقائد انه يجب الايمان بأن الله تعالى أنبياء كثيرين هو يعلم عددهم وأن منهم من ذكره تعالى في كتابه العزيز فنو من بهم تفصيلاً ومنهم من لم يذكرهم كما قال « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » وقالوا ان من عدّ فأخطأ فلا يخلو من أن يكون زاد في الأنبياء من ليس منهم أو نقص منهم من هو منهم من غير خبر عن المعصوم متواتر بل ولا صحيح . وأما ما قاله ذلك الرجل في شعره لحيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من سوء الأدب هكذا عمّ الجهل فصار الناس يكذبون على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويروج كذبهم في العامة لاسيما اذا كان في سياق تعظيم الانبياء ، وما بالناس لانظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام بيان ما آتاهم الله تعالى من الفضائل ولا تتخذهم قدوة وممثل قول الله تعالى « فبهذا هم اقتسده » وقوله « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » ؛ ان هذا يشق على المفتونين بالدنيا ولكن الكذب يسهل عليهم ، ويجذب قلوب جهلة العامة اليهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ قصة المولد لدبيع ﴾

(س ٥٠) من أحد أهالي (جوهري) في جنوب ميلادي

أنكر أحد طلبة العلم وهو رجل غريب قراءة قصة المولد النبوية للدبيعي وأمله غير المحدث بدعوى أن فيها كذباً وخرافات والقصة المذكورة مما يداوم على قراءتها للعوام عدد وافر من الذين تعتقد فيهم الولاية يقولون للعوام إن روحانية المصطفى صلى الله عليه وسلم تحضره من أوله إلى آخره وتحضر في غيره عند القيام فقط فتري هجيري أهل هذه البلاد قصة المولد المذكورة فهي قد مرت على سمع الجمل الفقير من العلماء ولم ينكرها غير الرجل المذكور فهل هو مصيب أم لا؟ أفيدوا والله يقيقكم للأمة

(ج) الصواب ما قال ذلك الطالب الغريب وأمله من الغرباء الذين ذكروا في حديث مسلم « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » وقد قرأت طائفة من هذه القصة فإذا بصاحبها يقول في فاتحتها « فسبحانه تعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللزب ، وعرض فخره على الأشياء ، وقال هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفاء ، وأكرم الحبايب ، قيل هو آدم قال آدم أنيله به أعلى المراتب ، » ثم ذكر إبراهيم وموسى وعيسى بمثل هذه الاسجاع الركيكة فهذا كذب صريح على الله تعالى لم يروه المحدثون . ثم رأيت يذكروا (في ص ٦ و ٧) حديثين أحدهما عن ابن عباس رفعه أن قریشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه الخ وهذا كذب ظاهر أيضاً وقریش كانت قبل الإسلام مشركة وعند ظهور الإسلام كان منها أشد الناس كفراً وإيداء للنبي صلى الله عليه وسلم وصدا عن سبيل الله فما معنى ذلك الأصل الدوراني الذي يناقضه هذا الفرع الظلماني . والثاني أثر عن كعب الأحبار لا يصح وقد سماه مؤلف القصة حديثاً لجهلة

أما قول قراء هذه القصة من المحتالين على الرزق بدعوى الولاية إن روحانية المصطفى تحضر مجالسهم التي يكذبون فيها عليه فثله كثير من أولئك الدجالين

ولا علاج لهذا الجبل إلا كثرة العلماء بالسنة والدعاة إليها بين المسلمين وذلك
بساط قد طوي وإن كثيراً من المسلمين يعادوننا ولا ذنب لنا عندهم إلا الانتصار
للسنة النبوية والدعوة إلى الله ورسوله بالحق لا بالأهواء

يا ما قولكم : ولعله غير المحدث : فلا حاجة اليه لأن هذه القصة منسوبة الى
 بعض من قبل يسرى ديعاً بديل مهلة فهو حدة فشناة تحتية معين مهلة ولا يوجد محدث
 بهذا الاسم ولعلكم ظنتم أنهم يعنون به عبد الرحمن بن عبي بن محمد بن نصر بن
 علي بن سب (أي علي هذا) بديع كحيدر بتقديم المشاة التحتية على الموحدة و
 من نصر حوا بدسبته اليه

﴿ثالثة عظيمة في بحث العمل بالحديث الضعيف﴾

وأي من لم يشتغل بعلوم الحديث ما ذكرناه في تخريج الأحاديث التي
ذكرنا في هذا الجزء وما قبله ونحوها يظهر له فضل المحدثين بعض الظهور ويحتمل
منه غير ذلك فإنه لم تعن أمة بضبط دينها كما عنيت الأمة الإسلامية . هذا وإن
ما ذكرناه من تعدد الاستقصاء ولم نراجع فيه جميع الكتب التي خرجت هذه
الأحاديث لا توجد كلها عندنا ولم نر حاجة إلى البحث عنها مع حصول المقصود
فيها .

في باب كثيرا من المحدثين قد تساهلوا في تخريج الأحاديث التي وردت في باب الرغيب والترهيب لا اعتقادهم جواز العمل بالضعيف منها ما لم يكن في ذلك قول النووي بل قال بعضهم يستحب العمل به لأنه من الاحتياط

وقد سمعت شيخنا (يعني الحافظ ابن حجر) يقول في كتبه
أنه العمل بالضعيف ثلاثة (الأول) متفق عليه أن يكون الضعف
في شيء من أفراد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن ثمة غلظه
أنه مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخرج بحيث لا يكون له أصل
كان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لثلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه

وسلم ما لم يقله (قال) والأخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد والأول نقل الملائي الاتفاق عليه . ونقل عن الإمام أحمد أنه يعمل بالضعيف إذا لم يوجد غيره ولم يكن ثم ما يعارضه . ونقل ابن منده عن أبي داود أن الإمام أحمد يخرج الأسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره وأنه عنده أقوى من رأي الرجال

فالمذاهب في الحديث الضعيف ثلاثة ما نقل عن أحمد بشرطه المذكور آنفا ومذهب الجمهور الذين يشترطون فيه الشروط الثلاثة المتقدمة . وإثبات أنه لا يجوز العمل به مطلقا وهو ما صرح به أبو بكر ابن العربي المالكى . قالوا وأما الموضوع فلا يجوز العمل به مطلقا ولا روايته إلا مع بيان وضعه واستدلوا على ذلك بحديث سمرة (رض) عند مسلم في الصحيح « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » وروى « يرى » بضم الياء أي يظن وفي « الكاذبين » روايتان الشنية والجمع . وأنت ترى أن بعض الأحاديث التي لا تصل إلى درجة الوضع في اصطلاحهم قد يظن الظان أنها كذب بل قد يعتقد ذلك بقرائن قوية ككون أسلوب الحديث وعبارته كعبارات المولدين وكون معناه مخالفا لما هو ثابت في الكتاب أو السنة الصحيحة أو نظام الخليفة المبرع عنه بسنن الله تعالى أو غير ذلك من الأسباب . ومن فهم القرآن المجيد وعرف السنة الصحيحة لا يطمئن قلبه شيء من تلك الروايات الغريبة في المناقب وإن وجد لها متابعات من الضعاف

وهنا مرة قدم رأيا فيها كثيرون فصحتحوا أو حسنوا أحاديث من المناكير والضعاف الشديدة الضعف بحجة أن لها شواهد من جنسها وما كل شاهد يصلح مقويا وإن قافد الشيء لا يعطيه

ثم إن باب المناقب الذي أحقوه بفضائل الأعمال في حراز رواية الحديث الضعيف فيه قد يدخل فيه الأخبار عن عالم الغيب وهو من الدنيا التي يطلب فيها اليقين فيروون فيه حديثا منكرا أو متعيفا وأحبا ويسكنون عليه لأن باب المناقب فيشيع ويشتهر فيشيع عتيدة تحمى الزمان بكثرة منكره وهو أن باب المناقب مثبتة إلى حقيقة الإيمان

وقد يكون هذا النوع من الروايات شبهة على الدين وسبباً في الطعن فيه أو صادراً لكثير من الناس عن قبوله . انك اذا أردت أن تدعو أهل أوروبا أو اليابان الى الاسلام ونشترط عليهم التصديق بأن أجساد الأنبياء لا تبلى وأنهم لم يولدوا كما يولد البشر ونحو ذلك فإن مثل هذا الشرط كافٍ لرفضهم الدعوة وقد علمت أنه لم يرد في هذا حديث صحيح فضلاً عن متواتر فضلاً عن آية قرآنية . وهو يخالف لسنة الله في الخلق الثابتة بالمشاهدة وبقوله تعالى «ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً» فإذا اطمان قلبك لحديث ضعيف أو حسن في مثل ذلك وصدقت به أيها المسلم فلا ينبغي لك أن تجعله عقيدة دينية وتجعل عدم النص من الصحابة وأئمة السلف على نفيه اجماعاً اذ يجوز أن يكون لم يخطر لهم على بال واعلم انه ليس من تعظيم الانبياء عليهم الصلاة والسلام تزيينهم عن الصفات البشرية فإن هذه نزعة كفر سبق اليها المشركون الذين احتجوا عليهم بمثل ما أخبر الله عنهم بقوله « ما هذا الا بشر مثكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون » وقوله عنهم « ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » وقوله عن فرعون وقومه «أنو من لبشرين مثلنا » وقد ثبت في المقائيد ان الأنبياء تجاوز عليهم جميع الأعراض البشرية التي لا تنافي تبليغ رسالة ربهم والقرآن ناطق بذلك وهو الحق الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»

﴿ازالة وهم﴾

يرى كثير من أهل العلم والمعرفة أن من الصواب إقرار العوام على ما يعتقدون من الخرافات والأوهام في الدين وكتبان ما قاله الأئمة من حفاظ الحديث من بيان ضعف بعض الروايات في ذلك أو وضعه ورأيت منهم من يحتاج على ذلك بأن حجة العوام تثبت دينهم الا هذه الخرافات فإذا بطل اعتقادهم بها مرقوا من الدين . وهي حجة داحضة فكتمان العلم من الكبار والباطل لا يؤيد الحق وأقرروا الخرافات ينفر العقلاء والمتعلمين من الدين والعوام تبع لهم ولو بعد حين . ولولا إقرار العلماء وخرافات لما خفي أكثر العقلاء أنها منه فصاروا يمرقون منه فييان الحق ينفع به والخاص ويحفظ الدين وكتبان يضيئه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

باب التوفيق والتعلم

بقية الكلام على تقرير مشيخة العلماء في الاسكندرية

﴿ المراقبة العامة على الطلاب ﴾

ذكر في هذا الفصل أنه عهد الى تسعة نفر من العلماء في مراقبة الطلاب في مسجد ابي العباس المرسي يتناوبونها ثلث فيفصلون في المنازعة أو الاساءة العادية التي يكفي في التأديب عليها الزجر والنصيحة والموعظة الحسنة ويرغمون الامر فيما يستحق فاعله العقوبة الى المشيخة ويأمرون بالصلاة مع الجماعة ويكونون مرجعا للطلاب في تصحيح المتن التي يحفظونها وحل المشكلات التي تعرض لهم . وقد كان من عقوبة بعض فاسدي الاخلاق من الطلاب طردهم من معاهد العلم . وعهد الى فريق من العلماء في زيارة الطلاب في مساكنهم يراقبون شؤنهم في معيشتهم ويسألون الجيران عن أحوالهم . ووعد بأن سيفنى بهذه المراقبة في القابل بأكثر مما غني بها في هذا العام . وهذا مما يمتاز به التعليم في الاسكندرية على التعليم في الأزهر فتني على الشيخ محمد شاكر الثناء الحسن ونرجو له زيادة التوفيق

﴿ الامتحان ونتائجه ﴾

ذكر في هذا الفصل ان مشيخة الاسكندرية رأيت أن تمتحن جميع طلاب العلم الخاضعين لنظامها في كل عام . وان تستعين في عملها هذا ببعض المتخرجين في مدرسة دار العلوم . وكذلك فعلت وتم الامتحان قولاً وكتابة فكان أن تقدم للامتحان من طلاب السنة الأولى ٣٠٣ من مجموعهم وهو ٣١٢ نجح منهم ١٩١ نقلوا الى دروس السنة الثانية . وتقدم من طلاب الثانية ٥ من ٥٤ فنجح ٤٨ نقلوا الى دروس الثالثة . وتقدم من الثالثة ٣٨ من ٤٢ نجح منهم ٣٥ وتقدم من طلاب الرابعة ٢١ من ٢٤ نجح منهم ١٨ قال

« وقد ألقنا بناجحي هذه السنة من نجح من طلاب السنة الخامسة ورغب في الاستمرار على طلب العلم الشريف والاتقاع له وهم ثمانية أشخاص مختلفو

المذاهب لا يمكن أن تنشيء المشيخة لأجلهم سنة مخصوصة
ثم قال : كان الامتحان الشفهي وسطا في الشدة واللين والتحريري غاية في
النظام والترتيب وهذه أول مرة جلس فيها طلاب العلوم الدينية مجلس الامتحان
المهيّب امام الاساتذة وبين يدي المحبرة والقرطاس يستعملون قواهم العقلية للإجابة
عما سئلوا عنه ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه عن النظر الى ما يفعله غيره : أه
وهو من دواعي السرور والثناء على مشيخة الاسكندرية

﴿ مكافأة الناجحين ﴾

ذكر في هذا الفصل ان الأمير وضع مئة جنيه مصري « تحت تصرف المشيخة
من مخصصاتها في الميزانية لمكافأة جميع الناجحين في هذا الامتحان » وهذه
الجنيئات من مال الاوقاف . ثم ذكر ان الذين استحقوا الجائزة ٣٠٠ طالب
وتقول ان الناس هنا لم ينسوا انه كان قد خصص المكافأة في الأزهر ٤٠٠ جنيه
من مال الأوقاف فما زال الشيوخ الجامدون يتوسلون الى الأمير حتى ألغاهوا وهذا
مما تفضل به مشيخة الاسكندرية مشيخة الأزهر

النظام الدراسي

ذكر في أول هذا الفصل ان نظام التدريس في هذه السنة (التي وضع
التقرير لها) كان تجربة واختبارا وإن المهم الآن هو النظام للسنتين المقبلة . ثم
وضع لكل سنة جدولا ذكر فيه الكتب التي تقرأ فيها وأوقاتها والبحث في ذلك
وفي الكتب التي اختارها يطول ومن قرأ كلامه فيها علم أنه في حيرة من فقد
الكتب التي تصلح لتعليم المبتدئين وله المذر في ذلك فان الكتب الأزهرية
لا يوجد فيها ما يصلح للمبتدئ والاستغناء عنها بمثل كتب نظارة المعارف في الفنون
العربية وبعض المصنفات الجديدة في غيرها كسر القيود التقليد وهو مما يتعذروا
بتعسر لاسيما على المبتدئ في العمل ولكن الإصلاح يتوقف على تدريس بعض
الكتب الجديدة كما توقف الامتحان والنظام على مساعدة بعض من عرف
الطرق الحديثة في التعليم .

إذا كان ثم ما يمنع تدريس كتب المعارف في النحو والصرف والبلاغة فأظن أن شيئاً يمنع من تدريس كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) الذي ألفه الشيخ محمد الحضري الأزهرى الدارى إذ لا يوجد في الأيدي مختصر السيرة النبوية يصلح للتدريس سواء وله كتاب آخر في تاريخ الخلفاء الراشدين لم أراه وأظن أنه يصلح للتدريس أيضاً . فهذا جواب ما طلبه في الكلام على دروس السنة الأولى من الإرشاد إلى مختصر وجيز في السيرة النبوية وتاريخ الراشدين . وإذا أراد التوسع في تاريخ الإسلام في غير هذه السنة فلا أراه يستغني عن كتاب أشهر مشاهير الإسلام .

ثم إن الأكتفاء بمختصر البخاري يقرأ في عدة سنين تقصير في الحديث فهذا المختصر يقرأ في سنة واحدة ثم لا بد من قراءة غيره ومن العناية بعلم المصطلح وقد الرجال . ونكتفي بالتنبيه إلى هذين الأمرين في هذا المقام ونحن نعلم عذر المشيخة في كل تقصير ، ونسأل الله تعالى أن يسهل لها كل عسير ،

وفي التقرير فصول أخرى في المدرسين وفي المساجد المدة للتدريس فيها وفي مساكن طلاب العلم ، وفي كل فصل منها دلائل واضحة على همة شيخ العلماء وعنايته بإتقان عمله

(عبارة التقرير)

نكتفي بما تقدم من القول الوجيز في موضوع التقرير ونحتم التقريظ والانتقاد ببعض الشواهد على ملاح لنا من التساهل في عبارته لأنني تساهل العلماء بإيراد المفردات والأساليب العامة ووضع الكلم في غير مواضع جناية على اللغة لأن الناس يقلدوهم فيما يكتبون . واني أورد هنا ما يقبل التأويل بتكلف ، وما لا يقبله ولو مع التصرف . وأرى أن صاحب التقرير لو شاء أن ينتقحه حتى يسلم من الخطأ إلا ما لا يسلم منه المولدون لفعل وعسى أن يفعل في تقرير آخر وهو أهل لذلك

(١) قال في الصفحة الثانية : ولاشية في الخطأ إذا صحبه حسن النية : والاشية

هي اللون في الشيء يخالف لونه الأصلي ومنه قوله تعالى في وصف البقرة « لاشية فيها » أي لالون آخر في جلدها . وقد استعمل الشية هنا بمعنى العار والميب بذليل

قوله بعد ذلك : بل الميب كل الميب أن يخطئ المرء ثم يصر على خطئه وقد نبه الى موضعه من عمله عنادا واستكبارا :

(٢) وقال فيها : وترغيبا في تربية الشبيبة المصرية : الخ الشبيبة مصدر وقد جعلها هنا وفي مواضع أخرى جمع شاب . وقد سرى اليه هذا من الجرائد (٣) قال (في ص ٣) : وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية : كذا ولفظ

التالي لا معنى له هنا والمقام مقام الاضراب (٤) وجمع النظام في أول الصفحة الرابعة بالنظامات وكرر هذا الجمع في مواضع أخرى وهو جمع مؤنث للمصدر غير صحيح اذا أريد به النوع .

(٥ و ٦) وقال فيها وأيدينا مبسوطا بالدعاء لسموه على هذه النعم المتابعة التي أحسن بها على الأمة الاسلامية : علل الدعاء بعلی وعدى به الاحسان وهو غير معروف وهذه الصفحة لا تريد على أربعة أسطر

(٧) قال في (ص ٥) أقبل الطلاب اقبالا كلياً : وهذا الوصف من استعمال الدواوين والجرائد ولا يظهر له وجه عربي وجيه

(٨) وقال فيها : ولكن هذا الفظن لم يثبت زمناً طويلاً حتى تبدد : يريد لم يثبت أن زال ولا تفيد هذا المعنى كلمة تبدد اذ معناها تفرق فكان بدا أي حصصاً وقالوا تبدد الحلي على صدر الجارية أي أخذته كله

(٩) وقال فيها أسلفنا ان عدد الطلاب الخ أي بينا ذلك فيما سلف ومضى ولم ترد في اللغة بهذا المعنى . وقد يقال انه كقوله تعالى « بما أسلفتم في الايام الخالية » والصواب ان الاسلاف في الآية وان فسروه بما قدمتم من الاعمال الصالحة هو بمعنى السلم ودين السلف فقد سمي الله تعالى الانفاق في سبيله قرضاً حسناً في عدة آيات وسماه عند ما ذكر الجزاء عليه اسلاًفاً وهذا هو معنى تفسيرهم له بتقديم الاعمال اي جعلها قدامهم وأمامهم ولا يسمى الكلام الماضي اسلاًفاً ولا كل شيء فعل في الماضي اسلاًفاً . هذا ما أجزم به فمن لم يقبله فأنا أترك له هذا الانتقاد جدلاً الا أن يأتي بشاهد عربي قاتني أتبعه فيه اتباعاً

(١٠) وقال فيها ومن مطالعة الجدول المرفق بهذا يتضح كذا . أقول إن

لفظ المرفق بكذا يستعمل في عرف الدواوين بمعنى المرسل مع الشيء يقولون ورقة الحساب مرفقة بورقة الخطاب (مثلاً) وهذا خطأ فإن أرفق في اللغة لم يرد بهذا المعنى ولكنه ورد بمعنى رفق به ونفقه . على أن استعمال التقرير ليس بمعنى ما تقدم بيانه من استعمال الدواوين وإنما يعني بقوله « الجدول المرفق بهذا » الجدول المسطور في هذا الفصل من التقرير كما قال بعد ذلك « جداول الاحصاء المرفقة بهذا الفصل » وما كان أعناه عن لفظ المرفق . ولعله يجهل بعد هذه الجداول عدداً يشير اليه بالأرقام أو بأسماء العدد فيقول ويعلم من الجدول الأول كذا ومن الجدول الثاني كذا :

(١١) وقال فيها : ولكنه على العموم يبشر بكذا : وكتاب الجرائد تستعمل هذه العبارة بمعنى قولهم في « الجملة » والعموم مصدر عمّ ومعناه الشمول ويستعمل في اصطلاح الأصوليين بمعنى استغراق اللفظ لأفراد غير محصورين وعند أهل المنطق ينحو هذا ويقابل بالخصوص ولا محل لشرح ذلك هنا وعبارة التقرير ليست من هذا في شيء

(١٢) قال (في ص ٦) وقد يستلفت انظار الباحث الخ وصيغة الاستلفات لم ترد في اللغة وقد سبق لنا ولكثير من الكتاب المدققين استعمالها تبعاً للجرائد وكان أول من نبهنا اليها المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي قد ذكرنا ذلك في المنار يومئذ . وقد ورد لفته وألفته

(١٣) واستعمل فيها وفي غيرها لفظ (الاحناف) جمعاً لحنفي وهو غير صحيح (١٤ و ١٥) وقال فيها وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل : يعني بالاحصائية الجدول الذي أحصى فيه عدد التلاميذ ولا يظهر لي وجه وجيه لتسميته احصائية . ولا حظ لا يتعدى بعلى وهو يكثر من قول لاحظ عليه فهو خطأ . والعرب تستعمل لفظ « عام قابل » للعام الذي بعد عام المتكلم وورد في الحديث فلا أدري لماذا يستبدل به صاحب التقرير لفظ المقبل ولم اعده عليه . ومعنى أقبل في اللغة جاء من قبل أي من جهة الامام فلفظ مقبل ليس نصاً في العام الذي بعد عامك كلفظ « قابل » وليس في الصفحة السابعة والثتين بعدها الا الجداول

(١٦) كتب فوق الجدول الذي في (ص ٩) مانعه « إحصائية طلاب العلم الشريف بغير الإسكندرية والجهات التابعة لها » فوصف الجهات بوصف المذكور العاقل ولعل هذا سبق قلم أو تحريف من المطبعة

(١٧) وفي هذا الجدول كلمة (أصوان) والصواب أسوان بالسين المهمة ولكن هذا من الخطأ الرسمي الذي عليه الحكومة وبلغنا ان نظارة المعارف صححته لها (١٨) وفي (ص ١٠) وصف النتائج بالحقة وهي تأنيث للحق وهو لا يؤنث وقد كثرت الجرائد استعمال الحقة فترى فيها الوطنية الحقة، الشريعة الحقة، الديانة الحقة، وهو خطأ (١٩) وقال فيها استعمالوها بإفراط: يعني الطريقة والطريقة لا تستعمل استعمالا

وكان يحسن ان يقول أفرطوا فيها

(٢٠) وقال فيها: تكليف الطلاب بحفظ: الخ ولم يرد كلف متعديا بالباء بل ورد كلفه الأمر ولكن الفقهاء قد عدوا كلف بالباء فلما زول كلامهم العذر بتعديته بها ولا نكاد نسلم منه على علمنا به

(٢١) وقال فيها « حتى يلبفوا الحد الذي يقنطرون فيه على الاشتغال بأقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون » وحسب القارئ لهذه الجملة قراءتها فلا حاجة الى بيان ضعفها .

عبارة هذا التقرير الذي يبلغ زهاء ٩٠ صفحة وهذه الاغلاط مستخرجة من اربع صفحات منه قد عدت عشرة لأن منها الاولى وليس فيها الا عنوان التقرير والثانية نصف صفحة . والرابعة اربعة أسطر ، والسابعة والثامنة والتاسعة ليس فيها غير الجداول . وفي هذه الصفحات غير ما ذكرنا ولكنه يحتمل التأويل فتركناه . هذا واننا نعتقد ان الشيخ شاكر هو من اكتب العلماء ونكتفي بهذا النموذج من انتقاد الرسميين ولكنه يكثر قراءة الجرائد فأثرت في نفسه أساليب أكثرها حظوة عنده وهو لكثرة شغله لم يدقق في تحرير عبارة تقريره فجاءت كعبارة بعض الجرائد واننا لم تقدم على انتقاد التقرير الا لعلنا بسعة صدره وعرفانه لقيمة الانتقاد وقد أشار الى ذلك في المقدمة فله الشكر على هذا الارشاد وعلى خدمته للعلم والتعليم « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

(أبونا آدم ومذهب دارون . من باب الانتقاد على المنار)

كتب الينا بعض القراء وكتبنا بعضهم في إنكار ما كتبه الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في مقالات (الدين في نظر العقل) عن خلق آدم ومذهب دارون . وأنكر بعضهم سكوتنا على ما كتب فنجيهم (أولاً) بأنه ليس من شأن أصحاب الصحف أن يقرنوا رأيهم بكل ما ينشرونه لغيرهم و(ثانياً) ان الكاتب قد ذكر ما ذكره في المسألة على تقدير ثبوت مذهب دارون ثبوتاً قطعياً وهو غير ثابت عنده الآن فهو يقول ان مذهب دارون في المسألة ظني لا يقيني وهو ان ثبت بالبرهان اليقيني فإنه لا ينقض القرآن بل يمكن أن يؤخذ من القرآن ما يوافق

واعلم ان ماورد في القرآن من خلق آدم من تراب ومن طين قد ورد نظيره في خلق الناس كلهم قال تعالى في سورة الانعام (٦ : ٢) « هو الذي خلقكم من طين » وقال في سورة الصافات (٣٧ : ١١) « فاستقتهم أجم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب » فهل هذه الآيات نصوص قاطعة على ان مخاطبين بها خلقوا من الطين مباشرة ؟ واذا جاز تأويلها جاز تأويل ماورد في آدم وذلك بمثل قوله تعالى في سورة المؤمنين (٢٣ : ١٣) « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين » ومعلوم ان مادة النسل من الطعام وأصله مواد الارض النباتية . وماورد في خلق الناس من نفس واحدة ليس نصاً قطعياً في أن المراد بالناس جميع البشر اذ لو كان ذلك نصاً لما قالوا ما قالوا في تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف (٧ : ١٨٩) « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » وهو ان الخطاب لقريش والمراد بالنفس الواحدة ابرهم قصي وذلك ان الله تعالى أخبر عن هذه النفس الواحدة وعن زوجها أنها جملا له شركاء وآدم لم يكن مشركاً . وقد سبق لنا بيان آخر لمعنى الآية والمراد هنا ان اختلاف المفسرين في معنى الآية دليل على أنها ليست نصاً قطعياً في ان النفس الواحدة آدم . وليت شعري ماذا يضر المسلمين بيان النخرج من اعتراض الكفار على القرآن فمن لم يعجبه هذا الجواب فليأت بأحسن منه وليمتدح غير هذا وذلك فأنما غرضنا بيان أن كلام الله تعالى حق لا سبيل الى نقضه بحال

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أول الأنبيا

الحكمة
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله وألقاهم أولي الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و«منارة» كمنار الطريق)

(مصر السبت ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٢ - ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦)

باب الانتقاد على المنار

﴿ اشتراط الولي في النكاح ﴾

قد تكرر القول منا بأننا ننشر في المنار كل ما ينتقده أهل العلم علينا ونبدي رأينا فيه ونترك الترجيح للقراء والحق أبلغ لا يخفى على ذي البصيرة . وانا نحب أن ننشر ذلك في آخر جزء من السنة إلا أن يكون الانتقاد يتعلق بشبهة على الاعتقاد أو نحو ذلك مما يضر تأخير نشره . وقد ورد علينا في ذي الحجة من السنة الماضية انتقاد من أحد فقهاء الحنفية في الهند على ما كتبناه في مسألة اشتراط الولي في النكاح وكان الجزء الرابع والعشرين قد كتبت أصوله فأخرت الانتقاد ونسيته زمناً ولما راجعت الآن مالمدي مما انتقد به عليّ رأيتهم مع آخر فجعلته في أول الباب فأنا أشره ثم أجيب عنه بما يتسع له الباب . قال المعارض بعد البسملة والحمد والاستعانة ما نصه :

« أما بعد فما أغرب المار ما أتى به في مجلته (كذا) (الجزء الثاني عشر من المجلد السابع) بان الولي لا بد منه للنساء (كذا) في عقد النكاح سواء كن بالغات أم لا وانه لا يجوز نكاح المرأة بغير الولي وزعم ان قول الامام ابي حنيفة رحمه الله بعدم اشتراط الولي في نكاح المرأة المكافئة لمخالف للكتاب والسنة وقول الصحابة واستدل على دعواه بحجج ليست بنص على ما ادعى ، واستدلالات غير مثبتة لما نطق وقضى ، فأردنا في هذه المقالة كشف الستر عن وجه هذه المسئلة ورفع الحجاب عن ساحة تلك القضية فأقول وبالله التوفيق ان قول الامام في هذا الباب هو الموافق للكتاب المين وسنة رسول رب العالمين وآثار الصحابة والتابعين

أما كتاب الله تعالى فقد قال جل وعلا « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » فانه سبحانه نسب النكاح الى النساء وان كان لا يجوز بدون الرجال ما نسب اليهن (كذا) بل الى الاولياء . وأما قوله تعالى « وأنكحوا الايامى منكم » فهو وان كان فيه خطاب مع الرجال الذين يتولون المقد لكن لا يفهم منه اشتراط الولي وانه لا بد منه كذلك قوله تعالى « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن

فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف» لا يفهم منه أيضا اشترط الولي بل ليس فيه ذكر الولي حتى يستدل به على الاشتراط أو عدمه فان الخطاب في « فلا تعضلوهن » للازواج لا الاولياء كما فهمه صاحب المنار كيف وينتشر منه الكلام ويتفكك به النظام فان الخطاب في اذا طلقتم مع الازواج قطعاً واذا كان الخطاب في « فلا تعضلوهن » مع الاولياء لا مع الازواج ينتشر الكلام ويتعذر فهم المرام وكلام الله تعالى عما يصفون كما حقته الرازي في تفسيره حيث قال اختلف المفسرون في أن قوله فلا تعضلوهن خطاب لمن؟ فقال الا كثرون انه خطاب للاولياء وقال بعضهم انه خطاب للازواج وهذا هو المختار الذي يدل عليه أن قوله تعالى « اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن » جملة واحدة واحدة مركبة من شرط وجزاء فالشرط قوله اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن والجزاء قوله فلا تعضلوهن ولا شك ان الشرط وهو قوله اذا طلقتم النساء خطاب مع الازواج فوجب ان يكون الجزاء وهو قوله فلا تعضلوهن خطاباً معهم أيضاً اذ لو لم يكن كذلك لصار تقدير الآية اذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء وحينئذ لا يكون بين الشرط والجزاء مناسبة أصلاً وذلك توجب تفكك نظم الكلام ونزويه كلام الله عن مثله واجب .

وأما حديث معقل بن يسار قال كانت لي أخت فأتاني ابن عم فانكحها اياه فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة فبهرها وهو يته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له يا لعمركمك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها والله لا ترجع اليك ابداً وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الي بطلها فانزل الله هذه الآية قال في نزلت فكفرت عن يميني وانكحتها اياه . فهو أيضاً لا يدل على ان الخطاب مع الاولياء اما تعلم ما تقر في الاصول من ان العبارة بعموم المعنى لا بخصوص المور فهذه الآية وان كانت مورده (كذا) الخاص الازواج ولكن لما كانت العبارة بعموم المعنى دخل فيه عضل معقل بن يسار الذي هو ولي هذه المرأة ففهم أن الآية في نزات (كذا) أما قول القائل « ولو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت مع ما ذكر من رغبتها »

فقد فوغ اذ يجوز ان تكون امتناعها (كذا) عن التزوج بعدم تمكنها مخالفة أخوها
(كذا) الذي حان بان لا يزوجها به مع رغبتها اليه (كذا) لأن الغالب في النساء
ان يكن تحت تدبير الاولياء وآرائهم ولا يقدرن على المخالفة في باب النكاح وان
كان الاذن الشرعي هن في ذلك (كذا) كما حقه الرازي في تفسيره حيث قال لم
لا يجوز ان يكون المراد بقوله فلا تعضلوهن ان يخليها ورأيها في ذلك وذلك لأن
الغالب في النساء الا يأمي أن يتركن الى رأي الاولياء في باب النكاح وان كان
الاستئذان الشرعي هن وان يكن تحت تدبيرهم ورأيهم وحينئذ يكونون متمكنين
من منعهم كتمسكهم من تزويجهن فيكون النهي محمولا على هذا الوجه وهو منقول
عن ابن عباس في تفسير الآية

وكذلك قوله « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فنصف ما فرضتم الا ان يعفون أو يعفو الذي يده عقدة النكاح » الآية لا يفيد
للعواكم (كذا) لمانا المراد بالذي يده عقدة النكاح هو الولي لكن يحمل على
الصغيرة كأن « ان يعفون » على الكبيرة (كذا) غاية ما في الباب انه يلزم منه ان
نكاح الصغيرة لا ينقد بدون الولي وانه لا بد منه وهذا عين ما ذهبنا اليه

وأما سنة رسول الله فمنها ما رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي قال
جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله جئت أهب لك نفسي فنظر
اليها رسول الله (ص) فصعد النظر فيها وضو به ثم طأطأ رسول الله (ص) رأسه
فقال رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول
الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال وهبل عندك من شيء قال لا والله
يا رسول الله فقال اذهب الى اهالك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال
لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله (ص) انظر ولو خاتما من حديد فذهب
ثم رجع فقال والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا ايرازي فقال
سبل ما لهرءاء فلما نصفه فقال يا رسول الله (ص) ما تصنع بإزارك ان لبسته لم
يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حينئذ
على مجلسه قام فراه رسول الله صلعم موليا فامر به فدعي فلما جاء قال ما دامك

من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها فقال تقرأهن عن ظهر قلبك؟ قال نعم قال «اذهب فقد ملكتكها بما ملكك من القرآن» فقد أنكحها رسول الله (ص) غير إذن وليها بل ومع عدم التفنيش والتفنيح بحال. وليها (كذا) ودعوى الخصوصية لا تسمع بغير دليل (رواية الاكثرين زوجتها بملكها)

ومنها ما رواه الطحاوي في معاني الآثار عن أم سلمة قالت دخل علي رسول الله (ص) بعد وفاة أبي سلمة فخطبني الى نفسي فقلت يا رسول الله انه ليس أحد من أوليائي شاهدا فقال انه ليس منهم شاهد ولا غائب يكره ذلك قالت قم يا عمر فزوج النبي (ص) فتزوج. ومنها ما رواه سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو الاحوص عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي سلمة جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي أنكحني رجلا وأنا كارهة فقال لا يبيها لانكاح لك اذهي فانكحي من شئت فنهذه الاحاديث كما ترى دالة على عدم اشتراط الولي وان النساء البالغات لمن ان يباشرن العقد بنفسهن من غير احتياج الى الرجال

وأما ما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم لا تنكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن فلا يفهم منه ان حق الزوج (كذا) للرجال دون النساء كذا في الحديث ان نكاح الايم وكذا البكر لا تعتقدان (كذا) بدون إجازتهما من نكاحها أو كفاية وأما ان حقيقة مباشرة العقد للرجال أو النساء فهو بمنزلة عن هذا الحديث وقد روى هذا الحديث ابن عباس بلفظ الثيب أحق بنفسها من وليها البكر تستأذن في نفسها وأذنها صلاتها والتأويل بان المراد أن لا يزوجه إلا بأمر

مع تحريف باطل لا يقبله العقل السليم والفهم المستقيم ربما حديث أبي موسى لا نكاح الا بولي : فقد أعلمه ابن حبان بالإرسال وذكره الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام وتصحيح الحاكم كتبه في الترمذي (كذا) وكذلك حديث ابنا امرأة نكحت بدون إذن وليها فنكحتها باطل بل ان نكاحها باطل فان دخل بها قبلها المهر بما استعمل من فرجها فان لم يكن سلطان ولي من لا ولي له أيضا ضعيف فان الزهري لا يولي بكره منه بل لا يزوجها خشى ان يكون سليما وهم كما نقله الحافظ ابن حجر في الترمذي ان

عائشة التي روت هذا الحديث زوجت حفصة بنت اخيها عبد الرحمن وهو غائب بالشام كما اخرجته مالك في الموطأ : فنسبة النسيان الى الزهري كما فعله صاحب المنار كما ترى

والخلاص ان حديث لا نكاح الا بولي : وان كان ينجر ضعفه بكثرة الطرق لكن لا يساوي درجة الكتاب والصحاح من الاحاديث التي ذكرت فضلا عن ان يكون فضلا فافهم وأنصف. وكذلك حديث ابي هريرة : لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها : رفعه غير محفوظ كيف واكثر اصحاب هشام بن حسان أحد رواة هذا الحديث كنضر بن شميل وسفيان بن عيينة وغيرهم يرويان موقوفا وكذا الامام الاوزاعي الذي هو المتابع للهشام (كذا) ايضا يرويه موقوفا قال الشوكاني في نيل الاوطار الصحيح وقفه على ابي هريرة

وقد نقل في عدم (كذا) اشراط الولي في النكاح عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشعبي وغيرهم من التابعين كما نقله ابن أبي شيبة في مصنفه فتبين بهذا بطلان قول الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك. فتصور بهذا جلالة كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال الصحابة والتابعين كلها تدل على ان نكاح الحرة البالغة العاقلة نفسها (كذا) بغير ولي جائز هذا حكم الله في دينه وحكمته ظاهرة فان النكاح تصرف في خالص حقها وهي من أهله لكونها عاقلة بالغة ولهذا جاز لها التصرف في الاموال واختيار الأزواج فلا معنى لاشتراط الولي لصحته غاية ما في الباب ان يكون للولي الاعتراض اذا قصرت في أمر بان تزوجت بغير كفؤ أو بأقل من مهر المثل والله أعلم وعلمه أتم (عبد الرؤف البهاري)

هذا ما كتبه بحروفه المعترض لم تصح منه الا عبارة الرازي وبعض أغلاط الاملاء وهي قليلة وأشرنا الى بعض ما في عبارته من الغلط والضعف بكلمة (كذا) بغير أرسل اليها مقالته بعض قراء المنار الأخير وكتب اليها في آخرها ما يلي :

حضرة الفاضل العلامة والمجد الفهامة أدام الله مجدكم
السلام عليكم ورحمة الله وبعد فإن مقالكم في المنار في اشتراط الولي في النكاح
لما نظر بعض أحبتي إليها وأمعن فيها كتب لي بما يتضمنه هذا الكتاب فأحبينا
إرسالها إلى جنابكم رجاء إشاعتها في مجلتكم . وإن شئتم أجبت عما فيه ولكم
الفضل ولا زلتم بخير
السيد رحمة الله مهتم مدرسة جامع العلوم
مظفر پور - الهند

﴿ جواب المنار ﴾

نشهد الله تعالى أنه لو ظهر لنا أن مقاله هذا المعترض حق لاعترفنا به وهل
يمنع المشتغل بالعلم من رؤية الحق حقاً والاعتراف به إلا التعصب لمذهب معين
يحاول أن يثبت له الحق في جميع مسائل الخلاف وينفيه عن مخالفيه وما نحن
بالمتعصبين ، إن نقول إلا كما قال إمام دار الهجرة « كل أحد يؤخذ من كلامه
ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر » يعني قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وإذا كان
جماهير علماء الأمة قد اثبتوا في الأصول أن الحق واحد في كل مسألة وأنه لا عصبة
في بيان أحكام الشريعة إلا للأنبياء فليس يعقل أن يكون واحد من الأئمة قد
أصاب في كل ما خالف به غيره وأخطأ سائرهم فيه بل يصيب هذا تارة وذلك
تارة أخرى والمتأخر أقرب إلى الصواب غالباً لأنه يطلع على مقاله المتقدم ويزيد
عليه . وقد قال الإمام الشافعي للإمام محمد صاحب الإمام أبي حنيفة (رحمهم
الله تعالى أجمعين) : ناشدتك الله أصحابنا (يعني الإمام مالك) أعلم بكتاب الله
أم صاحبكم (يعني أبا حنيفة) فقال اللهم صاحبكم وسأله مثل هذا في السنة فاعترف
بان مالك أعلم بها فقال له الشافعي فعلم تقيس أنت وصاحبك . اه بالمعنى .
ونحن نعلم ان الشافعي قد أخذ الحديث عن مالك وحفظ الموطأ وزاد عليه في الرواية
وكان عربياً يحتاج بهريته ومع ذلك قال طلبت لغة العرب عشرين سنة . ثم ان
الإمام أحمد أخذ عن الشافعي وزاد عليه في الرواية وكان عربياً فصيحاً فالذي
يفلب على الظن ويوافق سنة التدريج التي كان بها خاتم النبيين أفضلهم أن أقرب
المذاهب إلى الصواب في المسائل الخلافية أحمد فالشافعي فمالك فأبو حنيفة رضوان

الله عليهم أجمعين . وليس هذا بقادح في فضل المتقدم بالسبق اذ يوجد في الفاضل ما لا يوجد في الأ فضل كما مثلنا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يجب أن يكون المتأخر هو المصيب دائماً وان تساوى مع سابقه في درجة الاجتهاد وزاد في الاطلاع لما يعرض للمرء أحياناً من الذهول والنسيان وكلال الذهن وغير ذلك من العوارض ولذلك وجب عرض مسائل الخلاف على الكتاب والسنة كما قال تعالى (٥٩:٤) « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً » والرد الى الله تعالى هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول بعد وفاته هو الرد الى سنته لا خلاف في ذلك . والواجب ان يرد ما يتنازع فيه اليهما على انهما الاصل الذي يحمل عليه غيره لا لأجل تطبيقهما على قول معين ولو بالتكلف وجعلهما فرعين فان هذا هو التفسير بالرأي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه أصحاب السنن ٣ من حديث ابن عباس مرفوعاً . اذ تم هذا فإليك البحث فيما كتبه المقترض في تطبيق الآيات والانحاديث على مذهبه على ضعفه في اللغة العربية كما علمت من عبارته

(١) استدل بقوله تعالى (٢٢٩:٢) « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » على أن المرأة تتولى العقد بنفسها دون وليها لأنه أسند النكاح اليها . ونسي أو تناسى أن النكاح هنا لا يصح ان يفسر بالعقد اذ لو فسر به لكانت الآية دليلاً على أن الماطقة ثلاثاً اذا عقد عليها رجل آخر وطلقها ولم يدخل بها فأنها تحل لزوجها الاول وهذا يخالف لمذهب إمامه الذي يريد الانتصار له ولما ذهب الائمة الثلاثة وغيرهم من السلف والخلف فهو تفسير مردود لا يقول به أحد من المسلمين وقد بيناهم في الآية في موضعها من التفسير فراجعها في الجزء الثالث (ص ٤٨١) من هذا المجلد

(٢) زعم ان قوله تعالى (٢٣:٢٢) « وأنكحوا الايامى منكم » الآية يفهم منه اشترط الولي . ونقول يفهم منه ان الرجال مخاطبون من الله تعالى بتزويج النساء ولم يخاطب سبحانه النساء بتزويج أنفسهن فكيف تزعم ان القرآن يدل على انه شرع للمرأة ان تزوج نفسها . وقد علم من السنة التي جرى عليها السلف والخلف

من الأمة ان الرجال المخاطبين بتزويج النساء هم الاقربون اليهم بالاولياء
لا الاجانب

(٣) وزعم أيضا ان قوله تعالى (٢٣:٢) «فلا تفضلوهم ان ينكحن أزواجهن»
لا يفهم منه اشتراط الولي لانه لم يذكر الولي ولأن النظام يتفكك بهذا التفسير. وانه لزعم
غريب اعتاد مثله اهل الجدل. كأن هذا القائل ومن تقايعه أعلم بتدلول الكلام
ونظامه من الصحابي الذي قال ان الآية نزلت فيه اذ عضل أخته فلم يرض ان
يعيدها الى زوجها الذي طلقها حتى نزلت الآية فيه فزوجها منه ، وأعلم بهذا
المدلول من الأئمة الثلاثة وسائر علماء السلف والخلف الذين أخذوا بحديث البخاري
في سبب نزولها . فراجع تفسيرها في (ص ٥٢٧) وما بعدها من هذا المجلد . وما
نقله من اختبار الرازي مردود لمخالفته الحديث الصحيح وقول الجمهور باعترافه
على أن الرازي أجاب عنه وأشار الى ترجيح مذهب إمامه الشافعي

(٤) زعم ان حديث معقل بن يسار لا يدل على أن الخطاب في النهي عن
العضل للأولياء لما تقرر في الأصول من ان العبارة بعموم الفحوى . ونقول ان
المراد بعموم الفحوى أن ماورد بسبب خاص لا يقصر على سببه بل يؤخذ بعموم
اللفظ فكل رجل منهي عن عضل موليته كمعقل بن يسار . وجعل الخطاب في
هذا النهي الأزواج المطلقين لوجه له في العربية لأن المعنى عليه : لا تفضلوها أيها
الأزواج مطلقا لكم ان ينكحن أزواجهن : وما أزواجهن الا مطلقوهن ولا معنى
لعضلن عن أنفسهم . وما قاله من زعم أن النهي للأزواج من أن المراد بأزواجهن
من يصيرون أزواجهن على سبيل المجاز المرسل تنافيه الإضافة اليهن على ما حقيقته
الامام عبد القاهر الجرجاني في مثله . واذا لم تكن الآية هم الحديث نصا في أن
الرجال هم الذين يزوجون ويمنعون فليكن ظاهرا في ذلك واين النص أو الظاهر
أو الإشارة من الكتاب على مذهب المتري من أن المرأة تزوج نفسها ؟

(٥) مادفع به قولنا «لو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت» الخ مدفوع من
نفسه وقوله عن الرازي ؟ لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله «فلا تفضلوهم» أن
مخليا ورأيها : لا يصح سندا لأن الحديث ناطق بأنه كفر عن يمينه واستحضير

زوجها وعقد له عليها ولو كان المراد ما ذكره لكتبت عن المعارضة أولاً ذن لها ان
تتقد عليه . ولو كان هو وغيره من الاولياء ممنعوا النساء مما هو حق لهن لما أقروهم
الشرع على ذلك بل لأمرهم بتركهن يزوجن أنفسهن أمراً صريحاً

(٦) سلم ان الذي بيده عقدة النكاح في قوله تعالى « الا ان يعفون »
الح هو الولي ولكنه خصه بولي الصغيرة . على أن الخلاف فيه اقوى من الخلاف
في المنهين عن المضل . وهو على قول من ذهب الى أنه الولي حجة من المصحيح
على ما ذهبنا اليه من ان الرجل هو الذي يزوج المرأة وان الشريعة لم تسمح لها
بأن تزوج نفسها ، وعلى اقول الآخر لا يدل على ما ذهب اليه الحنفية من أن أمرها
بيدها اذا كانت راشدة — فهذا مجموع ما ذكره من آيات القرآن دليلاً على مذهبه
وقد رأيت أنه لا حجة له في شيء منه بل هو حجة عليه

(٧) حديث سهل بن سعد حجة على مذهب المتعرض في جعل الصداق
منفعة فانه صريح في جعل تعليم مأمعة من القرآن صداقاً وهو لا يجزئه وفي عدم
استقلال المرأة بتزويج نفسها ورجوعها الى ولاية الامام اذا لم يكن لها ولي كما قال
بعض العلماء في تلك المرأة فانه لم يكن يعرف لها ولي من المؤمنين . على أن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو صاحب الولاية العليا على جميع من آمن به
لقوله تعالى في سورة الاحزاب (٣٣ : ٦) « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض » فولاية الأقربين بعضهم
على بعض هي دون ولايته عليه الصلاة والسلام ومن فروع هذه الولاية ما نزل
فيه قوله تعالى في هذه السورة « ٣٦ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » وقد نزلت في إباء زينب وأخيها
الذي هو ولها تزويجها بزيد . فتزويج النبي عليه الصلاة والسلام تلك المرأة
المجهولة لذلك الرجل لا حجة فيه على أنه يجوز للمرأة التي لها ولي أن تزوج نفسها
أدتوكل من تشاء من الرجال في تزويجها كما هو مذهب المتعرض الذي يزعم أن
حديث سهل حجة له اذ لا يقاس أحد به صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الحافظ السيوطي هذا الحديث في باب اختصاصه (ص) بأنه يزوج

من شاء من النساء بمن شاء من الرجال . واستدل على هذه الولاية الخاصة له (ص) بالآية التي ذكرناها آنفا وقلنا أنها نزلت في زيد وزينب وبحديث أبي هريرة عند البخاري وغيره « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة » وذكر في الباب ما أخرجه ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي أن عبد الله ذا البجادين خطب امرأة فلم تزوجه فسالها أبو بكر وعمر فأبت فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا عبد الله ألم يلغني أنك تذكر فلانة » قال بلى قال « فاني قد زوجتكها » فأدخلت عليه وهذا الحديث مفضل بالآية وبما ورد في الصحيح . فلي نظر المنصف الى تحريف هؤلاء المتعصبين يتركون العمل بالحديث فيما هو صريح فيه ويحتجون به على مخالفهم فيما لا يدل عليه وهكذا شأن من يجعل مذهبه أصلا والكتاب والسنة فرعين يحملان عليه ولو بالتأويل أو يتركان

(٨) حديث أم سلمة فيه حجة على مذهب المعارض فان قولها « ليس أحد من أوليائي شاهدا » دليل على أنه كان من المعروف في الاسلام أن المرأة لا يزوجه إلا بعض أوليائها وليس فيه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبطل هذه السنة حتى يكون حجة على جماهير الأمة القائلين بأن الولي هو الذي يتولى التزويج بل فيه أن عمر ولدها هو الذي زوجها وهو وإيها ان صح الاحتجاج بالحديث وقد استدلل الطحاوي (محدث الحنفية) رحمه الله تعالى بهذا الحديث على ان المرأة لا تتولى بنفسها عقد النكاح وان كانت ثيبا بل توليه الرجال خلافا لما زعم المعارض .

هذا وقد أعلّ المحدثون حديث أم سلمة هذا بان عمر ابنها كان صغير السن يومئذ فانه ولد في الحبشة في السنة الثانية من الهجرة وتزوج (ص) بأمه في السنة الرابعة ، وبأنه عليه الصلاة والسلام لا يفتقر في نكاحه الى ولي

(٩) حديث أبي سلمة عند سعيد بن منصور غير معروف ومن سعيد غير متلقاة بالرواية ونسخها مقطورة فمعاها يوجد منها لا يحتاج به بمقتضى القاعدة التي قررها ابن الصلاح في تلقي الكتب والاحتجاج بها وأبو الاحوص شيخ سعيد هو سلام بن سليم وقد روى عن عبد العزيز بن رفيع بالفاء (لا بالباء الموحدة

كما ضبطه المعترض) وقد ذكر في تهذيب الكمال جميع من روى عنهم عبد العزيز ولم يذكر فيهم أباً سليمة . وهذه كنية غير واحد من الصحابة والتابعين . ثم ان ما انفرد به سعيد في سننه يجب ان يكون محل النظر فقد ذكر صاحب التهذيب وتبعه الذهبي في الميزان عن يعقوب بن سفيان أن سعيداً كان اذا رأى في كتابه خطأ لا يرجع عنه .

والذي روي في هذا المعنى واحتج به الحنفية حديث ابن عباس عند أحد وأبي داود وابن ماجه والدارقطني أن جارية بكرا أتت النبي صلى الله عليه وسلم قد كرت ان أباه زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم : وزواه الدارقطني عن عكرمة مرسلًا وذكر انه أصح . والحنفية يحتجون بالمرسل . وقد حققنا من قبل أن ليس للولي أن يجبر موليته على النكاح والحديث مرسله وموصوله لا يدل على أكثر من ذلك فلا شبهة فيه على القول باستقلال المرأة بتزويج نفسها . فمن قال من الأئمة بنفي الاجبار مصيب فالحق انه هو الذي يزوج برضاها واذنها . ومن قال ان لها ان تستقل بتزويج نفسها فلا دليل له من كتاب ولا سنة بل الكتاب والسنة حجتان عليه

(١٠) زعم ان حديث أبي هريرة عند الجماعة «لا تنكح الأيم حتى تستأمر» الخ لا يفهم منه ان حق الزوج (يريد التزويج) للرجال . ولو قال لا يدل على اشتراطه لكان له وجه أما نفيه الفهم فلا وجه له لأن الكلام مبني على ان سنة الاسلام جارية بتزويج الرجال للنساء فالشارع ينههم أن يفعلوا هذا — وهو حق لهم أقرهم عليه بشرطه — الا بعد أمر من الثيب واستئذان البكر . فهو اذا لم يدل على إنشاء مشروعية كون الولي هو الذي يزوج فهو يدل حتماً على ان ذلك كان مشروعاً وعليه العمل . ولا تنافي ذلك الرواية الثانية عن ابن عباس فان كونها أحق بنفسها يقتضي أن يكون للولي حق ولها حق هو آكد وهو يتفق مع وجوب استئذنها . والحكمة في هذا التعبير أن الثيب كثيراً ما كانت تخطب الى نفسها وأما البكر فلم تجر العادة بخطبتها الى نفسها بل الى أوليائها ، والثيب لا تستحي أن تصرح برضاها بمن خطبها والبكر تستحي وغرض الشارع أن يبين للأولياء ما ينبغي لهم

مراعاته في تزويج موليائهم فحرم عليهم الاكراه والاجبار وأمرهم أن يستأذنو
البكر فيمن يرضونه لها من الخطابين وأن يكتفوا منها بالسكوت الذي يشعرون بالرضى
ولا يكلفوها الاذن الصريح وأن يتركوا الثيب وشأنها في الاختيار اذا خطبت الى
نفسها واليهام فلا يزوجهما بمن يخطب اليهم الا بأمر صريح منها لأنها لا تستحي من
التصريح بمن ترضى وتختار . هذا هو مفهوم مجموع الروايات ولو فهم الصحابة
منه أن الثيب تسقط على نفسها لفعل ذلك كثيرات منهن ولكن لم يرد ذلك من
أحد في رواية سالمة من العلل « وفي مختصر مشكل الآثار أن الذي للمرأة قبل
الحق في عقد نكاحها أن تأذن فيه لوليها وتوليها ذلك فيكون العقد منه عليها عقدا
منها على نفسها لان عقود الوكلاء في هذا مضافة الى أمرهم وبهذا الجمع بين
الروايات نقول

(١١) اقتضب المقرض الكلام في اعلال حديث « لانكاح الا بولي »
مع علمه بما ورد في تصحيحه قال في نيل الاوطار بعد ان أورد حديثي أبي موسى
وعائشة في المنتقى معزوين الى الامام أحمد وأصحاب السنن ما عدا النسائي مانصه :
« حديث أبي موسى أخرجه أيضا ابن حبان والحاكم وصححه وذكر له الحاكم
طرقا وقال وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وأم
سلمة وزينب بنت جحش ثم سرد تمام ثلاثين صحابيا . وقد جمع طريقة الدماطي
من المتأخرين . وقد اختلف في وصاه وارساله فرواه شعبة والثوري عن أبي
اسحق مرسلا ورواه اسرا ئيل عنه فأسنده . وأبو اسحق مشهور بالتدليس . وأسنده
الحاكم من طريق علي بن المديني ومن طريق البخاري والذهلي وغيرهم أنهم صححوا
حديث اسرا ئيل وحديث عائشة أخرجه أيضا أبو عوانة وابن حبان والحاكم وحسنه
الترمذي وقد أعل بالارسال وتكلم فيه بعضهم من جهة ان ابن جريج قال :
ثم لقيت الزهري فسأله عنه فأنكره : وقد عدّ ابوالقاسم بن منده عدة من رواه
عن ابن جريج فبلغوا عشرين رجلا وذكر ان همرا وعبيد الله بن زحر تابعا
ابن جريج على روايته إياه عن سليمان بن موسى وان قره وهو موسى بن عقبة ومحمد
بن اسحق وأيوب بن موسى وهشام بن سعد وجماعة تابوا سليمان بن موسى عن

الزهري . قال ورواه أبو مالك الجاني ونوح بن دراج ومندل وجهنر بن برقان وجماعة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . وقد أعلّ ابن حبان وابن عدي وابن عبد البر والحاكم وغيره الحكاية عن ابن جريج بانكار الزهري . وعلى تقدير الصحة لا يلزم من نسيان الزهري له ان يكون سليمان بن موسى وهم فيه . اه كلام نيل الاوطار ومنه تعلم ان ما ذكره المترض من إبطال الحديثين لا يشفي العلة ولا يبرد الغلة وان الحجة بهما قائمة .

(١٢) وأما قوله ان عائشة راوية الحديث زوجت حفصة بنت أخيها الخ أي فهو ضعيف بعمل الراوي بخلاف روايته على طريقة الحنفية فجوابه من وجهين احدهما اننا لانسلم ان عمل الراوي بخلاف روايته يبطل العمل بها لأن الرواية حجة بشرطها وعمل الراوي ليس بحجة لأنه غير معصوم لاسيما اذا كان عمله مخالفا لما ورد عن الشارع المعصوم . وثانيهما ان فقهاء مذهب المترض اوردوا أثر عائشة في كتبهم وذكروا ما قيل في معناه من انها أذنت في التزويج وهدت أسبابه فلما لم يبق الا العقد أشارت الى من يلي أمرها عند غيبة أبيها ان يعقد . يدل على ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قل كانت عائشة رضي الله عنها تخطب اليها المرأة من أهلها فتشهد فاذا بقيت عقد النكاح قالت لبعض أهلها : زوج فان المرأة لا تلي عقد النكاح : أسنده البيهقي عنه

(١٣) ثم ان المترض جاء بعد ايراد ما تقدم بحاصل مردود وهو ان حديث « لانكاح الا بولي » وان كان ينجر ضمنه بكثرة الطرق لا يساوي درجة الكتاب والمصحاح التي ذكرت . وقد علمت مما تقدم ان الحديث صحيح بل بكاد بكثرة طريقة والعمل به يكون متواترا ، وأن الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة ما ذكره المترض منها وما لم يذكره مؤيدة له لا معارضة

(١٤) ومن غريب أمر المترض في تحريفه انه قال بعد هذا ان حديث أبي هريرة « لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » غير محفوظ مرفوعا وينقل تصحيح وقفه عن نيل الاوطار وهذه عبارة نيل الاوطار فيه : « وحديث أبي هريرة أخرجه أيضا البيهقي قال ابن كثير انه صحيح وقفه على أبي

هريرة وقال الحافظ رجاله ثقات . وفي لفظ للدارقطني كنا نقول التي تزوج نفسها هي الزانية : قال الحافظ فبين ان هذه الزيادة من قول أبي هريرة وكذلك رواها البيهقي موقوفة في طريق رواها مرفوعة في أخرى « اه فعلم من هذا أن الجملة الأخيرة من الحديث رويت مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو موقوفة على أبي هريرة . وعبارة أبي هريرة كنا نقول ان الزانية هي التي تزوج نفسها صريحة في ان هذا القول كانت فاشيا في الصحابة ومثله لا يفشو بمجرد الرأي فله حكم المرفوع ولو لم يرفع فكيف وقد رفع كما علمت

(١٥) قال إن عدم اشتراط الولي في النكاح منقول عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشعبي وغيرهم من التابعين الخ ونقل ان هذا نقل لم يثبت ولذلك قال الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك أي خلاف اشتراط الولي . وقد روى الدارقطني عن الشعبي قال ما كان أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشد في النكاح بغير ولي من علي كان يضرب فيه : فظهر بهذا كله بطلان قول المعارض « فتور بهذا جله أن كتاب الله » الخ بل كتاب الله تعالى وسنة رسوله وأقوال الصحابة والتابعين وعلمهم في جملة على ان المرأة لا تزوج نفسها بل يزوجه من حضر من أوليائها الاقرب فالأقرب برضاها . فان لم يوجد لها ولي رجع أمرها الى امام المسلمين ذي الولاية العامة فهو يزوجه ولهذا خالف أبا حنيفة فيما انفرد به صاحبه محمد بن صاحباه وقالوا بوجوب الولي ذكر الطحاوي في شرح معاني الآثار قال الامام أبي حنيفة ان للمرأة الحق في تزويج نفسها بدون ولي قياسا على تصرفها في مالها وأنه ليس للولي ان يعترض الا اذا تزوجت بغير كفر أو بدون مهر المثل قال : وقد كان أبو يوسف يقول ان بضع المرأة اليها وأنه ليس للولي ان يعترض عليها في نقصان ما تزوجت عليه عن مهر مثلها ثم رجع الى قول محمد أنه لا نكاح الا بولي : اه فاذا كان صاحباً أبي حنيفة (رحمهم الله تعالى) قد خالفاه في هذه المسألة بمدا علمنا بما ورد فيها عن الشارع وأصحابه مما لا محل له معه تقياس البضع على المال ، فما مال هذا المقلد المعارض جاء في آخر الزمان يحرف الكلام عن مواضعه ليصحح

قول أبي حنيفة على أن في المذهب الحنفي مسائل لا تخصى قد رجع الشيوخ فيها قول صاحبيه على قوله .

وأما ما ذكره في حكمة مذهبه فهو وجه القياس الذي بطل بالنص والحكمة البينة لما ثبت بالنصوص هي ما بيناه في المنار (ص ٤٦١) من المجلد السابع ونقول في خاتمة البحث ان من يريد الاهتداء بالكتاب والسنة يجب عليه عند النظر فيهما أن ينبذ هواه وتعصبه و يقصد ان يجعلهما الأصل الأصل الذي يعمل به وينبذ كل ماخالفه لأن ينظر فيهما التماساً لتأييد قول رجل معين كلامه هو أصل الدين عنده فان وافقته النصوص الإلهية قبلها والا حرفها وصرفها عن وجهها علي أن المتعصب لرأي ما يعيه تمصبه عن رؤية الحق والملة قد قطع على نفسه طريق النظر في الدليل، « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ طعام أهل الكتاب ومجاملتهم ﴾

كتب الينا بعض القراء الفضلاء من مسلمي « بوسنه » ما يأتي

الى حضرة العالم الكامل الاختم !

أيها النحرير الشهم الفاضل

ما مرادكم بالمبارة الآتية في الجزء السابع من المجلد الثامن من المنار القراء في صحيفة ٢٥٥ الا وهي « وأراد تعالى ان نجاملهم ولا نعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباحه لنا بشرط ولا قيد »

وهذا لا يصح نظرا الى الظاهر لأنه لا بد ان يكون مقيدا بأمور ولا أقل من التقيد بالوجوه التي تبيح أكل مال الغير لنا

وقد وقعت بعد العبارة السابقة في السطر الخامس في تلك الصحيفة أيضا هذه العبارة « : ولا جل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل في سورة المائدة » فان الظاهر من تينك المبارتين ان النص الوارد في تحليل طعام أهل الكتاب مطلق لا يتقيد بقيد ما أصلا وانه مستثنى من جميع المحرمات الواردة في آية « حرمت عليكم الميتة » الى آخره فيلزم من هذا ان يكون طعام أهل الكتاب حلالا لنا ولو كان مطبوخا من الميتة أو لحم

الخنزير أو الدم المسفوح أو الخمر أو غير ذلك
وأما تعليقكم بالمجاملة فلان سلم أنا محرضون عليها من الشارع إلا إذا كانت في حدود
الشرع . والقول الواقع في الآية بمقابلة هذا يدل صريحاً على أن المراد بحل طعامهم
المجاملة معهم في المعاشرة كالأجابه إلى دعوتهم ودعوتنا إياهم إلى موافقتنا وكالمساهلة في
البيع والشراء معهم والأفلا معنى لحل طعامنا بالنسبة إليهم لأن الحلين عائد لنا .
وأول الآية وآخرها ينفي صراحة الحل المطلق ويدل على الحل المقيد
بالحدود الشرعية فينتج من هذا أن مجاملتنا إياهم وإن وسعت في الشريعة بالنسبة
لثنتين لكنهما أيضاً محدودة بالأحكام الشرعية . والا فالمجاملة الكلية لا تقع إلا
باتباعهم في الجميع » ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتي تتبع ملتهم » . ولنا
مأمورين بل نحن منهيون عن تجاوز حدود الله في مجاملة أخ ديني ولو كان أشرف
من في الأرض فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

أتمس من فضلكم التفصيل الشافي على هذه الاستفسارات لتزيلوا تحيري في
هذا الشأن ولكم من الله الأجر الجزيل ومني المنة العظيمة وإن لم يمكن لجنا بكم تعريف
المراد بالكتابة القصيرة فارجو من سروء تكم أن تكرموني بارسال الاجزاء الباقية
في هذه المسئلة . وإن كان عليكم بأس بفصل بعض الاجزاء من المجلد الواحد فأرسلوا
المجلد المطلوب بتمامه وأنا أرسل لكم على الفور قيمته
ع . ق . م

(المنار) المراد بطعام أهل الكتاب الذي أحله الله لنا هو ما كان حلالاً في
دينهم والميتة والدم ولحم الخنزير من المحرمات في التوراة ولم ينسخ المسيح تحريمها
وأما أكله النصارى بقول بولس الذي يدخل الفم لا ينجس الفم وإنما ينجسه ما يخرج
منه وهذا مباينة منه في ذم الكلام القبيح . ونحن لا نقول بأن الخنزير يدخل في
عموم طعامهم فإذا خالفوا دينهم وأكوه فأكلهم إياه لا يبيحه لنا . ولا يتأني هذا
قولنا أن الله تعالى أباح لنا طعامهم بلا شرط ولا قيد لأن هذا بيان للآية ولا
شرط فيها ولا قيد . وقد صرح بعض علماء السلف من الصحابة وغيرهم أن
المراد بطعام أهل الكتاب في الآية ذبائحهم لأنها مظنة التحريم وغيرها حل
بمقتضى الأصل في الأشياء وهو الإباحة إلا ما حرم بالنص علينا وعليهم وهو الميتة

المحرمة لعارض ولحم الخنزير المحرم لذاته . وهذا لا ينافي الاطلاق في العبارة ولا في بيانها كما قلنا اذ لم يعهد في أساليب لغة من اللغات عند بيان مسألة علمية أو حكم شرعي ان يذكر معها أو معه جميع ما تقر في بيان مسألة أو حكم آخر . يمكن أن يكون له علاقة بالبين بتقييد أو تخصيص . مثال ذلك اذا قلنا : ان العسل نافع : فان هذا الاطلاق صحيح ولا حاجة لتقييده بقولنا : بشرط أن لا يكون آكله أو شارب محرورا وأن لا يسرف في الاكثار منه : واذا قلنا أن الشرب في آنية الزجاج حلال فلا حاجة في صحة القول الى تقييده بقولنا اذا كان الاناء طاهرا وغير مغصوب : اذا تدبرتم هذا علمتم أنه اذا قال قائل : تستحب مجاملة أهل الكتاب أو برهم : فلا يجب عليه أن يقيد ذلك بقوله : بشرط أن لا يشاركهم في عبادتهم وتقاليدهم الدينية ولا يرتكب معهم محرما كشرب الخمر : فان هذا لا يدخل في اطلاق القول فيحتاج الى اخراجه بالقيود ولا أقول أنه يدخل فيها وتعتبر في اخراجه القرائن المعلومة بالضرورة كما يتوهم الضعيف في اللغة

هذا واننا قد فصلنا القول في مسألة الذبائح وطعام أهل الكتاب في المجلد السادس واننا نرسله اليكم فطالعوه وان لاحت لكم شبهة فاكتبوا اليها
﴿ مسألة خلق أينما آدم ﴾

أجبت في الجزء الماضي عما انتقد به على رأي الدكتور محمد أفندي صدقي في مسألة خلق آدم ومذهب دارون التي جاءت في مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) ثم راجعنا ما كتب الينا في ذلك فاذا بالشيخ قاسم محمد أبي غدير يذكر آية من الكتاب لم تذكرها في جوابنا وهي قوله تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » الآية وهي أقرب الى تأويله من غيرها لأنها تشبه خلق عيسى بخلق آدم وعيسى لم يخلق من التراب مباشرة والضمير في قوله خلقه يحتمل عوده اليه . ثم سأل عن الأحاديث التي تفيد خلق آدم من التراب مباشرة والجواب ان تلك الأحاديث رواية آحاد لا تفيد اليقين ، فان فرضنا أنه ثبت ما يناقض شيئا منها فاننا لا نعلمه ناقضا للدين ، ولا تنس اننا نوّمن بأن آدم خلق من التراب كما ورد بلا تأويل ، وانما التأويل لإلزام المترض على الدين

أشارت على البرية

(انتقاد شواهد الطبعة الاولى من تفسير ابن جرير)

(تابع ص ٣٠ من الجزء الاول)

- (١١٠) متبدلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب
ورد في الرابع ص ١٥١ وهو لدريد بن الصصة وكتب هكذا
* متبدلاً تبدو محاسنه يضع الهنا مواضع النقب
(١١١) أذاع به في الناس حتى كأنه بلياء نار أوقدت بثقوب
في الخامس ص ١٠٦ وكتب الشطر الثاني هكذا * يعلنا نار أوقدت بثقوب *
(١١٢) قريب قراه ما ينال عدوه له نبطاً عند الهوان قطوب
في الخامس ص (١١٧) وكتب الشطر الثاني هكذا * له نبطاً أبي الهوان قطوب *
(١١٣) وكنتم لزاز خصمكم لم أعرد وقد سلكتك في أمر عصيب
ورد في الثاني عشر ص ٤٧ وفي الرابع عشر ص ٧ وكتب في كليهما بدل
أعرد أعود بواو وبدل أمر يوم . وورد في الثامن عشر ص ١٢ وكتب
صحيحاً إلا في استبدال يوم بأمر
(١١٤) تريك سنة وجه غير مفرقة ملساء ليس بها خال ولا ندب
في الثالث عشر ص ١١٦ وقد كتب بدل خال حال بجاء مهملة وصوابه
بجاء معجمة

- (١١٥) وقفت على ربع لمية ناقي فما زلت أبكي نحوه وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أثبه تكلمني أحجاره وملاعبه
في الرابع عشر ص ١٤ وكتب الشطر الاول من البيت الثاني هكذا
* وأسقيته حتى كاد مما أثبه *

- (١١٦) صداع وتوصيم العظام وفترة وغم مع الاشراف في الجوف لانت
في الثالث والعشرين ص ٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا

« وعي مع الاشواق في الجوف لاتب »

وقبل البيت: فان يك هذا من نبذ شر به فاني من شرب النبيذ لاتب
(١١٧) قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العنماج وشدوا فوقه الكربا
في السادس ص ٢٨ وكتب بدل العناج القناح والعناج للدلاء ما تعنج به
من جبل يجعل تحتها مشدودا الى العراقي يكون عوننا للوذهم والكرب جبل يشد
على العراقي ثم يثنى ثم يثك

(١١٨) لذن بهز الكف يعسل مته فيه كما عسل الطريق الثعلب

في الثامن ص ٩٢ وكتب بدل بهز بهن وبذل فيه فيها
(١١٩) امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب
في التاسع ص ٤٨ وكتب بدل نسب بسين مهمله وصوابه بمجمعة
(١٢٠) ما ان رأيت ولا سمعت بمثله كاليوم طالي أنيق جرب

في السادس والعشرين ص ١١٣ وكتب هكذا

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم طال أنيق حرب
(١٢١) وفي كل جي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نذاك ذنوب

في السابع والعشرين ص ٨ وكتب الشطر الاول هكذا

« وفي كل يوم قد خبطت بنعمة »

(١٢٢) كانوا كسائلة حقاء اذ حقنت سلاءها في أديم غير مربوب
في الاول ص ٤٧ وكتب بدل كسائلة كسائلة وبذل مربوب مربوب مع
ان فيها الشاهد

(١٢٣) فلست لانسي ولكن للأك تنزل من جو السماء بصوب

في مضمين في الاول ص ١١٣ وكتب هكذا

فلست بانسي ولكن ملاثكا تنزل من جو السماء بصوب
وفي الاول ص ١٥٢ وكتب الشطر الاول هكذا فلست بمحي ولكن ملاثكا
وكتب في الثاني تحدر بدل تنزل ولعله رواية

(١٢٤) حتى اذا ملكوهم في قتائبة شلا كما تطرد الجمالة الشرذا

في أربعة مواضع (١) في الأول ص ١٥. وكتب فيه قيافة بدل قنائة
ويطرد بدل تطرد (٢) في الرابع عشر ص ٧ وكتب هكذا

حتى اذا أسلكوهم في قنائة شلا ٧ كما تطرد الجمالة الشرذا

(٣) في الثامن عشر ص ٢١ وكتب هكذا

حتى اذا أسلكوهم في قنائة سلا كما تطرد الجمالة الشرذا

(٤) في الرابع والعشرين ص ٢٢ وكتب كالثالث الا انه بدل أسلكوهم سلكوهم

(١٢٥) اسود شري لاقت اسود خفية تساقوا على حرّ دماء الاساود

في التاسع والعشرين ص ١٨ وكتب كرى بدل شري . وفساقوا بدل

ساقوا . و بدل خفية خنية

(١٢٦) لا أرى الموت يسبق الموت شيء نقص الموت ذا الفنى والفقير

في الرابع عشر ص ٢٧ وكتب هكذا

لا أرى الموت ان الموت شيء ينقص الموت الفنى والفقير

(١٢٧) كأن غديرهم بجنوب رسلنى تمام قاق في بلد قنار

في الرابع ص ٥٦ وكتب الشطر الاول هكذا * كأن غديرهم بجنوب سلى *

والغدير بالمين المهمة والذال المعجمة الصوت وهو يصف قوما منهزمين

(١٢٨) وشر المنايا ميت وسط أهله كهلك القتي قد أسلم الحي حاضره

في الاول ص ١٠٧ وكتب الشطر الثاني هكذا * كهلك القنائة استسلم الحي حاضره

(١٢٩) سألتاني الطلاق ان رأيتاني قلّ مالي قد جثمتاني بنكر

ويّ كأن من يكن له نشب يحسب ومن يفتقر يعيش عيش

في العشرين ص ٧١ وفيه رأيتاني بدل رأيتاني وكتب في الثاني يحب بدل

يُحسب وكأها في الشطر الاول والصواب ما كتبنا

(١٣٠) قد شربت الادّه يد هينا قُلَيْصَات وأبيكرينا *

ورد في الثلاثين ص ٥٦ وكتب هكذا

قد رويت الادلهيد هينا قليصاب وأبيكرينا ٧

الدهاء ماشية الابل صفرة وجهه جمع سلامة وقليصات جمع سلامة لمصر

قلوص وايبكرنا صمر أبكرا جمع بكر ثم جمعه جمع سلامة
(١٣١) لعمري أيها لا تقول ظعيتي الا فر عني مالك بن أبي كعب

ورد في الصفحة ٦٦ من الجزء السابع عشر وكتب هكذا
لعمري أيها لا تقول ظعيتي الا ترعني مالك بن أبي كعب ٧
(١٣٢) الا لحا الله بني السمات عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفَاء ولا أكيات

هكذا أنشدتها صاحب اللسان في مادة ن و ت وقال انه يريد الناس واكياس
وورد هذا الرجز في الجزء الثامن ص ١٤٦ هكذا
الا لحا الله بني السعلاب عمرو بن يربوع لثام الباب ليسوا بأعقاب ولا اكتاب
(١٣٣) وصاليات للصلي صلي

ورد في الرابع ص ١٧٠ وكتب بدل وصاليات والصاليات وهو غلط كما
كتب الصلا بالالف للصلي والبيت من أرجوزة عجاجة ويريد بالصاليات
الاثافي وبالصلي الوقود

(١٣٤) يحوذها وهو لها حوذني
من الأرجوزة السابقة وورد في الخامس ص ١٩٧ وكتب هكذا
يحوذهن وله حوذني

ثم ذكر الطبري ان فيه رواية أخرى وقد كتبت بالشكل السابق تماما
من غير فرق

(١٣٥) وحاصن من حاصنات مُنْس من الاذى ومن قراف الوقس
ورد في الخامس ص ٥ وكتب فيه بدل مُنْس منْس وبديل قراف فراق وهما من
ارجوزة للمعاج يمدح الوليد بن عبد الملك والقراف المدانة والوقس الجرب

(١٣٦) أخاف زبادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا ومحمد درجة سمرا

في الرابع ص ٨٣ وكتب بدل أراهم دراهم وهو غلط والأداهم القيود

(١٣٧) الله يعلم انا في تَلَفْتنا يوم الفراق الى أعبا بنا صور

في الثالث ص ٣٣ وقد كتب بدل تلفتنا تلفينا وهو تحريف يحل بهوام البيت

وبدل أحبابنا جيراننا ولعلها رواية وما ذكرناه رواية اللسان في مادة صور
 (١٣٨) صرت نظرة لوصادفت جـوز دارع غدا والمواصي من دم الجوف تنغر
 في الثالث ص ٣٤ وكتب بدل جوز جون وبدل الجوف الجون وكلاهما تحريف
 (١٣٩) ولم يستر يثوك حتى رميت من فوق الرجال خصا لا عشارا
 في الرابع ص ١٤٧ وكتب بدل ولم يستر يثوك: فلم يستر يثوك: وهو تحريف
 (١٤٠) فما ألوم البيض الا تسخرا لما رأين الشَّمَطَ القَفَنَدرا
 في الاول ص ١٦ وكتب بدل رأين رأينا وهو تحريف ولحن
 (١٤٠) ألكنى اليها عمرك الله يافى بآية ماجأت الينا مهاديا
 ورد في موضعين الاول في الاول ص ٣٥ وكتب بدل الكنى اتكنى. الثاني
 في الاول ص ١٥٢ وكتب صحيحا
 (٢٤٢) يا ابن أخي ولو شهدتك اذ تدعو تيمما وأنت غير محباب
 في التاسع ص ٤٣ وكتب بدل تدعو تيمما تدعوها وهو تحريف يخل
 بالوزن والمبنى

(١٤٣) أنت المصطفى المذهب المحض في النسبة ان نص قومك النسب
 ورد في الاول ص ٣٦٤ من آيات الكيت الاسدي وقد كتب هكذا
 المصطفى المحض المذهب في النسبة ان نص قومك النسب
 والشر الاول مختل وصحته ما ذكرنا
 (١٤٤) قالت قتيبة ماله قد جلات شيئا شواته
 في التاسع والمشرين ص ٤٢ وكتب هكذا
 قالت نديثة ماله قد جلات شيئا شواته
 (١٤٥) إني ومن أين آبك الطرب من حيث لا صبرة ولا ريب
 في الثاني ص ٢٢٤ وكتب بدل آبك يأتبك والبيت مطلع كلمة الكيت
 التي منها البيت المذكور في الشاهد ٣
 (١٤٦) ترى أرماعهم متقلديها اذا صدى الحديد على السكاة
 ورد في موضعين الاول في الاول ص ٥٨ وكتب بدل ارماعهم ارياقهم

والثاني في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل الحكمة الكتاب و بدل صدي صدا
 ١٤٧ اذا القنبضات السود طوفن بالضحي رقدن عليهن الحجال المسجف
 ورد في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل القنبضات القسيات و بدل رقدن
 وفدن وأعقب بعدد ٧ والقنبضة المرأة الدمية أو القصيرة والبيت للفرزدق
 من كلمته التي أولها

عزفت بأعشاش وما كدت تعرف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
 ويصف بيت الشاهد وما قبله وما يليه نساء المهرقات اللاتي ينزل بهن
 ١٤٨ يقدفن كل مُجَلّ نَشَاج لم يكس جلدا في دم أمشاج
 في التاسع والعشرين ص ١٠٩ وكتب هكذا

يطرحن كل مجل نشاج لم يك خلا في دم امشاج
 والبيت من أرجوزة لرؤبة ويصف النوق انهن اجهدن حتى قدفن بما في
 بطونهن والمجل الذي لم تكمل مدة حمله والنشاج الذي ينشج والنشيج الشهيق
 ١٤٩ كان بقايا الأثر فوق مثونه مدب الذي فوق النقا وهو سارح

ورد في موضعين الاول في الرابع عشر ص ٥١ وكتب هكذا
 كان بقايا الأثر فوق مثونه مدب الذي فوق النقا وهو سارح
 الثاني في التاسع والعشرين ص ٩٨ وكتب صحيحا الا انه وضع البنا موضع
 النقا وكتب الدبي بالالف (لهابية) محمد الحصري

التقريظ

﴿ تاريخ القرآن والمصاحف ﴾

عني المسلمون بالقرآن المجيد عناية لم تكن بمثابة كتابها فحفظوه في الصدور
 والسطور من زمن تنزيله الى هذا اليوم وألفوا الكتب الكثيرة في ضبط كتابته
 وتلاوته فبينوا الرسم مهمله ومعجمه وغفله ومنقوطة وكيفية الأداء والتجويد والوقف
 والابتداء وعدد الآيات والكلمات والحروف كما بينوا المعنى والاعراب ونكت
 البلاغة وطرق الاستنباط. ولما كان المصحف المعظم قد وصل الى المتأخرين في أحسن

خط وأجمل شكل حتى بين فيه مواضع الوقف المطلق والجائز والصالح والممتنع اكتفوا بذلك عن الرواية والمدارسة في رسم الحروف وتاريخ المصاحف ولم يغزوا في ألفاظه إلا بتجويدها علما وعملا في الاكثر فأثقفوا مخارج الحروف وصفاتها من الإظهار والإخفاء والجهر والهمس والقلقة والمد والقصر وغير ذلك . ثم قضت حاجة هذه الأيام بمراجعة ما كتب في تاريخ المصاحف فانتدب صاحبنا موسى أفندي جارا لله روستوفدوني الروسي الى تأليف كتاب في تاريخ المصاحف يصدره أجزاء صغيرة كلما تم جزءا طبع ونشر . وقد طبع الجزء الأول في بطرسبرج في أوائل ربيع الأول من هذه السنة وأرسل إلينا نسخة منه وطلب منا انتقادها واتفق ان رأى النسخة في يدنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قبل ان نقرأها فأحب ان يطلع عليها فأخذها وكان المرض قد اشتد عليه وشغلنا بمرضه ثم بموته عن البحث عنها في أوراقه وكتبه ثم أرسل إلينا نسخة أخرى سنقرظها في جزء آخر ان شاء الله تعالى

﴿ كتاب الخدمة المدرسية . في تسهيل قواعد العربية ﴾

كتاب في مبادئ النحو والصرف لجرجس أفندي الخوري المقدسي مدرس العربية في المدرسة الأمريكية بطرابلس الشام قال في مقدمته انه أطال الفكر في كيفية التأليف المفيد للتعليم وكتب في مذكرته كل ما كان يخطر له في أثناء التدريس للتلاميذ والتلميذات من الاحداث موافقا لأذواقهم وجعل ذلك دعامة كتابه هذا ثم قال :

« فجمعت فيه من الصرف والنحو ما يسهل فهمه على التلميذ ويتمكن به من ضبط ألفاظه وكتابته ونسخته حسب أفكاره تنسيقا يرتاح اليه المتعلم مفضلا القليل المفهوم على الكثير المعقد اتباعا لرأي فلاسفة هذا العصر بشأن التعليم . وافتتحت الفصول ببيانات وذيلها بآراء موافقة لمتنص الحال وأدخلت الى اللغة نوعا جديدا من الاعراب سميته (الاعراب التصويرية) اقتبسته من الانكليزية » الخ

ثم طلب من الاساتذة والكتبة انتقاد الكتاب ليحل بما يرشدونه اليه في الطبعة الثانية . وقد أخرنا تقريرنا الكتاب لعلنا نجد وقتا لمطالمة وانتقاده فأعوزنا الوقت فلم نجد بد من ذكره والتنويه بما نؤجلاه مؤلفه فيه توجيهها للانظار اليه

(مجلة الشتاء) مجلة أدبية علمية تاريخية فكاهية شمرية أنشأها في مصر سليم بك المنحوري الشاعر الدمشقي المصري الشهير وهي تصدر في فصل الشتاء ويحتجب في الصيف، وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشاً بمصر يأتى السنة التي هي الشتاء تدفع مقدماً . وقد صدر الجزء الأول منها في شهر يناير والثاني فيما يليه . وإنك لتقرأ بعض ما جاء في الجزء الأول فإذا هو يمزج الفكاهة والدعابة بالجد فتجلى لك روح هذا الشيخ الكبير ، بخفة الحزور الطري حتى لا أكاد أفرق بين ما قرأته له اليوم وما كنت قرأته له وأنا تلميذ مبتدئ . كان الأدب قد طبع روح هذا الرجل بطابع لم تقو عليه السنون ولم تؤثر فيه عواصف السياسة التي تغير الأوضاع ، وتبدل الطباع ، وأنني أكتفي الآن بهذا التشويق إلى مجلة الشتاء بالإشارة إلى ما فيها من حرارة الشباب ولعلي أجده وقتاً آخر أنتقد فيه ما ليلي أجده فيها من برد الشتاء ولا أقول برد الشيخوخة لئلا أجمع بين الضدين وإن كان أجمع بينهما من محسنات البديع عند الشعراء فيشفع لي عند الرصيف القديم الجديد الذي اشتغل بالصحافة وأنا وليد ، على أن السوري لا ينتقد برد الشتاء ، فإلى الأبد أن أعهد بذلك إلى أحد المصريين الأدباء

باب الخيال والأدب

(مسألة تزوج الهندي بالشريفة في مستغافوره)

اختلف علينا القول في هذه المسألة التي استفتينا فيها من قبل . وقد كتب إلينا السيد حسن بن علوي بن شهاب أحد شرفاء الحضارمة المقيمين في مستغافوره حقيقة الواقعة فنحن ننشرها هنا (اذ فائنا نشرها في باب الانتقاد على المنار) لئلا نكون مصرين على الخطأ بعد ظهور الصواب ، قال بعد رسوم الخطاب ، :

تكرر في المنار المنير ذكر مسألة تزوج هندي بشريفة بمستغافوره ولكن لم تكن المسألة كما قالوا بل كتبها الأغراض أبواب اللبس والتدليس فأجبت أن أفيدكم بالواقع وما رآه كمن سمع واني أعقد أن المنار طالب للحق ولا تهمه الشخصيات ولذلك لم أكتب له فيما سبق حرفاً وليس لي الرأي في نشر ما كتبه وإغفاله

الهندي رجل نفي من الهند مؤبدا الى ستغافوره وليس له نسب يعرف ولكن يقال ان أباه معلم صبيان والشهود الذي قيل عنهم أنهم شهدوا له بالشرف لا صحة لما قيل في كثرتهم بل قال اثنان نسمع انه سيد ولا يعرفون له ثلاثة آباء في الاسلام هذه هي حال الزوج المشهود له بالشرف . وأما المرأة فبنت لم تتجاوز خمس عشرة سنة من السادة العلويين الحضارمة المشهور نسبهم المدون في الأسفار بالتواتر عند أهله وفي آياتها المدد الجهم من العلماء والمصنفين وأهل الفضل والزهد والتقوى لا يمتري في ذلك أحد من الحضارمة

عجز الهندي عن اسمالة الشريفة فقصده رجلا من بني العطاس جملة العرب عريفاً لتسجيل المقود في المحكمة الانكليزية فتوصل به الهندي فتردد الى أم الشريفة حتى أقنعها وكان للشريفة أخوان أحدهما غائب والثاني حاضر الا انه جاهل فراوده العطاس في تزويجها بالهندي فتأبى وامتنع وقد تم أمر العطاس مع الأم فلما لم يجد الاخ بدأ من تزويجها طلب من العطاس أن يتحقق من العلماء الموجودين من العرب عن نسب ذلك الرجل فأكد له وأقسم بأنه قد تحقق الأمر ولم تبق لديه شبهة ولا ريبه فدلاهما بغير ورولتن العطاس أخا المرأة المقد في الساعة الحادية عشرة ليلا فمير الجميع أخاها ووبخوه حتى انه بعد ذلك هرب مما أصابه من التعبير ثم ان أخا المرأة الغائب شكاً من ذلك وتذمر فيما ذكر يتضح فساد النكاح على مذهب الشافعي كما لا يخفى على من له إلمام بالفقه والله على ما نقول شهيد وحسبنا الله وما شرحته ثبت بالتحقيق الذي أجرته الجمعية العربية وبشهادة الشهود واقرار أهل القصة فلا مسية في شيء منه البتة

أما ما قيل من اهانة بعض من حضر العلم الشريف وكتبه قلم مبالغ فيه والواقع ان اثنين من طلبة العلم وجهاً كلاماً قارصاً الى رجل له شرف وسن وجاه لدي الجميع أراد المناضلة عن العطاس لأنه بكى اليه واستنصره ولبس عليه وكان ذلك الرجل ساذجاً ويرى ذنك الطالبين مثل أولاده فتصد ردها عن تنقيفه لا استخفافاً بالعلم وأهله . وأما ما جاء في قبالة السيد عمر بن سالم العطاس في بيان خطأ ابن عمه من أن إسقاط الكفاءة من الشريفة غير ممكن لأن شرفها ذاتي

فذلك مذهب لكثيرين من علماء حضرموت واليمن والحجاز وعدد منهم مجتهدون فلا غرو اذا خالفوا الشافعي أو هو وبقية الثلاثة ولا يلزم من المخالفة التحقير أو عدم الاتباع ويطول الشرح والقصد ايضاح الحق وتحقيقه جعلنا الله واياكم من الطالبين له المتقادين آمين

حسن علوي بن شهاب

﴿ المنار ﴾ قد كتب الينا غير هذا السيد أيضاً ممن نثق به ان الواقعة كما قال . أما الحق في الكفاءة بالنسب فهو ما ينهيه من قبل من أنها مسألة اجتهادية مدارها على التعبير فحيث كانت المرأة تعبر هي وأولياؤها بالرجل فهو غير كفو لها وما قاله العباس في الشرف الذاتي لا يصلح دليلاً شرعياً . نعم ان مخالفة الشافعي أو لغيره لا يعد تحقيراً ومن قال ان الخلاف يستلزم التحقير فقد زعم ان الساف وغيرهم من الائمة والعلماء في كل زمان يحقر بعضهم بعضاً اذ لم يتفق اثنان منهم في كل مسألة والله أعلم

السيد علي البيلاوي - وفاته

السيد علي البيلاوي من شرفاء مصر وكبار علماء المالكية في الأزهر ولما جئنا مصر كان تقيب الاشراف وشيخ المسجد الحسيني وكان يلزم هذا المسجد وقد عرفناه فيه وكناه في ابطال البدع التي يأتيها العوام عند القبر الحسيني وعمود الرخام الذي أمام مقصورته وهو كما سبق لنا القول يتمسح به للتبرك والاستشفاء لأنه يسمى عمود السيد ، فقال ان هذه البدع قد استحكمت في نفوس المامة وصارت أرسخ العقائد فيها فلا يمكن نزعها الا بالتدريج البطيء ، واذا فاجأناهم بقولنا ان هذا ليس من الدين خشينا عليهم أن يشكوا في أصل الدين ويمرقوا منه . وقد ناقشناه يومئذ في رأيه بل ظننا انه لا يود ابطال شيء من تلك البدع وانما قال ما قال جدلاً ثم تبين لنا ان ظننا هذا كان على اطلاقه خطأ ولم نعرف حقيقة فضل الرجل بل لم يعرفه جمهور أهالي البلاد الا بعد ان صار شيخاً للأزهر

عين شيخاً للأزهر بعد عزل الشيخ سليم البشري في ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ وكانت ادارته قد وقفت حركتها فكان خير عون للاصلاح اذ اتفق مع الاستاذ الإمام في كل رأي ولم يخالفه الا فيما كان يسميه التدريج في التنفيذ وان كان بطيئاً وكان الاستاذ

الامام يفضل التعجيل بالتنفيذ اغتناماً للفرصة وخوفاً أن تفوت قبل آتمام العمل وكذلك كان . وقد قلنا في كلام عن الأزهري في أجزاء هذه السنة انه قد ظهر للحكام وغيرهم من حسن ادارة هذا الرجل فوق ما كانوا يظنون . ومن أراد أن يعرف ما كان على عهده من حسن الادارة والنظام فليرجع الى كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهري) وجملة القول إن الرجل كان في عقله وفضله وإدارته وأخلاقه وأدابه من خيرة علماء المسلمين في هذه الديار بل لا يفضل عليه ممن عرفناهم بعد الاستاذ الامام أحدا منهم . توفاه الله تعالى في مصر وقد ترك من الولد الصالح من يحكي ذكره في العلم ومكارم الاخلاق اللاتقة بالشرفاء فنحري عنه ولديه النحيين السيد محمد المدرس في الأزهر وأمين دار الكتب المصرية (الكتبخانة) والسيد محمود دا شيخ المسجد الحسيني وصائر الأهل والأقربى والعلماء والشرفاء ونسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان

(خاتمة السنة الثامنة)

باسم الله وحده نختتم الجزء الأخير من هذه السنة كما بدأنا أول جزء منها باسمه وحده فهو الذي يذكر ويحمد في السراء والضراء ، وعلى الزعزع والرخاء ، فان السراء من نعمه الظاهرة ، والضراء من نعمه الباطنة ، يربي بهما عباده فيتلي ما في قلوبهم ، ويمحص ما في صدورهم ، والله عليم بذات الصدور

منينا في هذه السنة بشيء من المصائب والنوائب نرجو ان نكون وفقنا معه للصبر ، وأدّخر لنا عند الله فيه الأجر ، زيادة عما آتانا به من الثقة بوعده ، والتوكل عليه والرضى بقضائه وقدره ، والعبرة بشؤونه في خلقه ، والاعتماد بعد ذلك كله على ما وهب من القوى ، والتحقق بمقام « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ، فله الحمد على ما استأثر به وعلى ما أبقى ، والله الحمد على ما أخذ وعلى ما أعطى ، والله الشكر والثناء الحسن في الآخرة والأولى ،

قلنا في فاتحة السنة الماضية وخاتمها ان المنار قد دخل في سن التمييز نعم وقد ميزنا في هذه السن بين كثير التشابهات كالخل الصادق ، والخب الماذق ، والمتودد يتغنى العرض ، والوديد لا لمة ولا لغرض ، والموافق في الاعتقاد والشعور ، والمناق لا ليس ثوب الزور ، فنسأل الله كمال البصيرة ، وتام صفاء السريرة ،

أما قراء المنار فهم ينمون بنموه، يزيدون بزيادة سنته ولم ينقص من عددهم انتقاص أهل الأهواء، ولا خوض أهل الدهان والرياء، ولا تشكو إلا من تقصير بعضهم في أداء قيمة الاشتراك ومعظم التقصير في هذا ما فانا قلما نتقاضى مشتركا أو نذكره بكتاب يرسل، أو وكيل يسأل، بل تركناهم إلى أرحمتهم، ووكنا بهم غيرهم ومسؤولهم، ومنهم من ينسى فيحتاج إلى التذكير، ومن يكسل عن إرسال المبلغ في البريد فيفريه التسوية بالتأخير، ومنهم السابقون إلى الأداء، والمقتصدون في الوفاء، وأما تنهض الأعمال بأمثال أولئك وهو لا، ويندر أن يكون في قراء المنار من يهضم حقه عمدا، ويقصد إلى أكل قيمة الاشتراك قصدا، نعم إن أهل مصر قد اعتادوا أن يدفعوا قيمة الاشتراك في الصحف للوكلاء الذين يتقاضونهم وأهل أهل تونس مثلهم إذ لا يرسل القيمة إلينا بغير طلب أكثر من عشرهم وجميع المشتركين في الشرق والغرب يرسلون إلينا قيمة الاشتراك من غير طلب لا بمطل منهم إلا بعض أهل الهند وأفراد من أهل الجزائر وأهل المغرب الأقصى وقد كنا عهدنا بوكالة المنار في تونس إلى رجل اسمه علي زين فحصل ما شاء أن يحصل وأكله مع ثمن كتب كنا أرسلناها إليه. ثم وكنا رجلا من الأدباء فتضاعف المشتركون في القطر التونسي بدعوته ولكنه كان يشكو من صعوبة التحصيل وقد كانت وكالة في السنة الخامسة ولم يرسل إلينا بياناً بأسماء بعض من دفع القيمة إلى محصله (أحمد أبي خطيوة) إلا في أول هذه السنة كتب إلينا أسماء من دفعوا الاشتراك في السنة الخامسة ومن مطلوا وعشرين مشتركا دفعوا في السادسة ووعد بإرسال بيان أسماء بقية المشتركين الذين دفعوا فيها وفيما بعدها والذين مطلوا وقد انسلخت السنة ولم يرسل إلينا شيئا

وقد كتبنا إليه منذ شهر ونصف كتابا أرسلناه في البريد مضمونا فلم يجر جوابا ولم يرجع إلينا قولاً ولعل له عذرا ونحن نلوم قتلته في أدبه وفضله لا يقصر في حقوق الأدب عمدا وإنا نعتبر وكالة موقوفة حتى يأتينا منه ما نعرف به سبب ترك المكاتب والمحاسبة ونرجو من المشتركين في القطر التونسي أن يرسلوا إلينا قيمة الاشتراك بعد وصول هذا الجزء إليهم حواله على البريد في القاهرة وسواء عاد

الوكيل في تونس الى التحصيل للنار أو وكلنا غيره لا يجوز لشرك أن يدفع الى
أحد قيمة الاشتراك بمقتضى وصل من الوصولات القديمة فاننا منطبع وصولات
خاصة بتونس والبلاد التي حكمها حكمها في الاشتراك يذكر فيها المطلوب
بالارقام والحروف هكذا

١٨ فقط ثمانية عشر فرنكا لا غير

وتختم بختم ادارة المجلة وتديل بتوقيعنا المعروف

﴿ شرط الاشتراك في السنة الثامنة ﴾

يرسل النار في المقابل الى من كان يرسل اليهم عملا بالاستصحاب فكل من
قبل الجزء الاول من السنة الثامنة فعتبر مع علمه بشرط اشتراك الى آخر السنة
فان لم يرخص فليرد اليها الجزء الاول لأن فقد جزء من أجزاء السنة كفقده جميع
أجزاءها فهذا عقد يمتد بين جميع المشتركين أية فترة منهم ورضاهم به قبول الجزء
الاول من السنة الثامنة فمن قبله وجبت لنا عليه قيمة الاشتراك كاملة وإن ردت
بقيمة الجزء فان لم يرسل القيمة فهو غير مؤلف بما عاقد عليه

ثم ان ادارة المجلة لا تملك جزءا ما من أحد من المشتركين فمن طلب منها
جزءا لم يرسل اليه بعد موعده مدوره بمدة لا تزيد على شهر يرسل اليه حتما وإذا
طلبه بعد شهر من موعده وصوله اليه وجب عليه ارسال ثمنه وهو خمسة قروش مصرية
إذا كان الطالب من القطر المصري وفرنك و ٧٥ مئتما إذا كان الطالب من قطر
آخر وعنده ذلك يرسل اليه ان وجد والا رد اليه ما أرسله

ويخصص النار في السنة الثامنة في كل شهر عربي مرة عملا باقتراح كثير من
القراء ولا يقتصر من أوراقه شيء فيكون الجزء ٨٠ صفحة وبذلك يتيسر لنا أن
نذكر في كل جزء من مواد في التفسير والمقالات والقضايا والمسائل العلمية والأدبية
والأخبار والآراء فهو زيادة إيمان وكثافة في مسأله ومباحثه وقد رأى القراء اننا
جددنا حروفه ونسأل الله تعالى أن يوفقنا في المستقبل خيرا ما وفقنا له في الماضي
فهو الموفق والمعين، وسلام على المرسلين والحمد رب العالمين

﴿ كلمة مع نخبة النصارى لقراءة المصلحين الأخيار ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هنا كم الله بالعام المودع وجدد عليكم
نعمه في العام القابل . وبعد فإن العارف بهذه الخدمة التي تستغرق أوقات ونشئ
المجلة لاسيما في تمحيص الدلائل وتخرج الأحاديث لا ينسى أن أقل ما يجب
من مساعدتها أداء قيمة الاشتراك القليلة في أوقاتها وأكثره الدعوة إلى النصارى
والسعي في تكثير عدد قارئيه . فتشكر الأفاضل الذين يدعون إليه والذين
سبقوا قدفعوا قيمة الاشتراك عن السنة التاسعة قبل دخولها والفضلاء الذين يدفعون
مناطهم في أثناء السنة فلا تخم وفي ذمتهم شيء . ونذكركم منهم من أنسهم كثرة
أعمالهم إرسال قيمة الاشتراك أن يتفضلوا بإرسالها على رأس السنة ولهم الشكر والثناء
الحسن وقد زادت النفقات علينا بسمة انتشار المجلة حتى أنها تبلغ في الشهر الواحد
بضعة آلاف فإذا كان الآكثرون لا يدفعون القيمة إلا بعد انتهاء السنة فمن أين
نأتي بهذه النفقات لنا وللمال طول السنة وليس لنا عمل آخر

سنزيد النفقات في العام الجديد بزيادة عدد المستخدمين الذي دغنا إليه
شكوى كثير من المشتركين في هذه السنة من عدم المبادرة إلى إجابة مطالبهم
حتى في إرسال وصلات الاشتراك وأمل هذه الشكوى تزول في العام الجديد إذ
جعلنا للإدارة وكلاء والمكتبة وكلاء

ونرجو من مشركي النصارى الكرام في القطار التونسي أن يرسلوا إلينا قيمة
الاشتراك حوالة على البريد أو أحد التجار في القاهرة ويعرفونا بما دفعوه عن
السنين السابقة للوكيل نؤكدهم الرجاء بذلك وإن يصححتمونا لنا عناوينهم لنطبعا

سيصدر الجزء الأول من السنة التاسعة (وصفحاته ٨٥) في منتصف شهر
الحرم والثاني في أوائل صفر وذلك لما علينا من كثرة الأعمال في خاتمة هذه السنة
وبعد هذا يصدر كل جزء في غرة الشهر إن شاء الله تعالى